مَعْنَ عَنَى الْمَالِمِ الْمَالِمِينَ الْمُلْكِمِينَ الْمُلِمِينَ الْمُلْكِمِينَ الْمُلْكِمِينِ الْمُلْكِمِينَ الْمُلْكِمِينَ الْمُلْكِمِينَ الْمُلْكِمِينَ ال

مختّصلتغیبیالامٔام الجلیل لها فِظعادالدین آبی الفِرَا ، اساعین ربکشیرالدمشقی المتوفی ۴۲۸ ه

المجلّدالثالث

اختمار وتعقیق محمعی الصت ادبی انتادالند و بخصاره الشقه والداسات الاسلامیه منت الکرمة عامة الملك عبدالقرن

دارافران الکرار بیرست الطبعة السابعة (منقحة) جميع الحقوق محفوظة عميع الحقوق محفوظة ۱۴۰۲ هـ = ۱۹۸۱

مُلْبِع عَلَىٰ نفقت مَا الْمُحْسِنِ الْكَبْيرِ الْمُحْسِنِ الْكَبْيرِ مَعْسَالِي الْسِيْرِ اللهِ وَقَفَّ اللهِ تعسَالَىٰ وَحَمَدُهُ وَقَفَّ اللهِ تعسَالَىٰ اللهِ فَكُلِّ جَسَير اللهِ فَكُلِّ جَسَير الْمُحَدِّدِ اللهِ مُحَدِّدُ اللهُ مُحَدِّدُ اللهُ مُحَدِّدُ اللهُ مُحَدِّدُ اللهُ مُحَدِّدُ اللهُ مُحَدِّدُ اللهُ اللهُل





بسماسة الرحن الرحيام Metize . عَلَمْ لِرِدُ الْمُرْتِينِ الْمُرْتِيلِي الْمُرْتِينِ الْمِرْتِيلِي الْمُرْتِيلِي الْمُرْتِيلِي الْمُرْتِيلِي الْمُرْتِيلِ

مَالُ اللَّهُ مَالَكُ " إِن هَ ذَا الْقَ رَآنَ بَهُ لِي اللَّحْ هِ أَن أَقُوم "

وَنُنَزِّل مِن القرِّلَ فِي مَا هُوَشَفًا ۚ وَرَجْمَةٌ لِلْمُوْمِنِينَ ۗ..

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاهُ وَالسَّلَامِ:
" أمشكاف أمسَّتى حَمَّلَة القَّسَرَآنِ" (متعنعية القَّسَرَآنِ" (متعنعية المُسَّدِية المُسْرَافِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِ المُسْرَافِ المُسْرَافِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِ المُسْرَافِقِ المُسْرَافِ المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِقِ المُسْرَافِ المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي المُسْرَافِي أ

مَنْ قَرِأَ حَرِنْهِا مِن حِتابِ اللَّهِ فله حَسَيَنةً وَالْحَسَنةُ بَعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لاَ أَقَوَٰلُ اللَّم حَرْفَ ، وَلِلْحِن ٱلْفِ حَرْفَ وَلَامٌ حَرَفٌ وَمِسِيمٌ حَسَرُف * "البناعي"

إِحْسَرَاوُا القُرَآنَ فإنَـهُ يَأْتَى يَوْمِ القيّامَةِ شَفيعًا لُاصَّحَابِهِ" البخايج

المئ كُلِّ مُؤْمِن وَمِؤْمِن حَبِي ..

يُدىدِاكِسَعَادَةَ فَيْ الدِّينَا وَالْمَخِاةَ فِي اللَّحْرَةِ ..

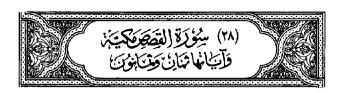
أصري كناب اللك وتغشير ..

لتَكُونَ عَوْفاً عَلَى فَهُم العُراّت مَ لِهِ مَل بِعِ ..

مَقَدَّمَاكَ عَلَيْهِ الْمُهُدَّمِ وَالْمَدَمِ: تركت في عما إن تيسَّكة بدلن تصلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسَدني . مناع ليح

الريمكير بكار شربتني





طسَمَ ﴿ تِلْكَ ءَا يَكْ الْكِتَكِ الْمُبِينِ ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَبَا مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إِنَّا فِرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَآيِفَةً مِنْهُمْ يُذَيِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ مِنسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِن الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَيُريدُ أَن تَمُن عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْ تَعَلَيْهُمُ الْوَرْفِينَ ﴾ وَنُرِيدُ أَن تَمُن عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْ الْمُؤْمِن وَهُورَيْنِ فَي اللهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّ

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة. وقوله: ﴿ تلك ﴾ أي هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن، وقوله: ﴿ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ﴾ أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر، ثم قال تعالى: ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ أي تكبر وتجبر وطغى، ﴿ وجعل أهلها شيعاً ﴾ أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيا يريد من أمور دولته، وقوله تعالى: ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ يعني بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيى نساءهم، إهانة ملم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض – إلى قوله – يحذرون ﴾ وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال تعالى: ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون – إلى قوله – يعرشون ﴾، وقال تعالى: ﴿ كذلك بهم، كما قال تعالى: ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون – إلى قوله – يعرشون ﴾، وقال تعالى: ﴿ كذلك المناهم الذي إسرائيل ﴾ أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدرة الإله العظيم الذي لا يخالف أمره ولا يغلب، بل نفذ حكمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه وتدلله وتنفداه وحتفك وهلاكك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السهاوات العلا هو القاهر الغالب العظيم، القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل، خافت القبط أن يفني بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة، فقالوا لفرعون: أنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم، وغلمانهم يقتلون، ونساؤهم لا يمكن أن تقمن بما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك، فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدرن على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا، قبحهم الله تعالى، فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تفطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً، وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكُ مَحْبَة مني ﴾ فلما ضاقت به ذرعــاً ألهمت في سرها ونفث في روعها، كما قال تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تحافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذتِ تابوتاً ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر، وذهلت أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري، فاحتملنه فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها، ولهذا قال: ﴿ فَالتَّقَطُهُ آلَ فُرْعُونَ لَيْكُونَ لَحْم عدواً وحزناً ﴾ الآية، قال محمد بن إسحاق: اللام هنا (لام العاقبة) لا (لام التعليل) لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، قال تعالى: ﴿ إِن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ﴾ الآية، يعني أن فرعون لما رآه هم بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته (آسية بنت مزاحم) تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون، فقالت: ﴿ قرة عين لي ولك ﴾، فقال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه، وقوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعْنَا ﴾ وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه، وقوله: ﴿ أَو تتخذه ولداً ﴾ أي أرادتَ أن تتخذه ولداً وتتبناه، وذلك أنه لم يكن

لها ولد منه، وقوله تعالى: ﴿ وهم لا يشعرون﴾ أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة .

وَأَصْبَحَ فُوَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَلْرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ عَلَوْلَا أَن رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ عَ قُصِيهِ فَلْرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ عَلَوْلَا أَن رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ عَلَى أَمُلِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكُفُلُونَهُ لِلكُرُّ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿
وَلَا تَصْرُونَ ﴿
وَلَا تَصْرُونَ ﴿
وَلَا تَصْرُونَ وَلِيَعْلَمُ أَنَّ وَعُدَ اللّهِ حَتَّى وَلَكِنَ أَكْرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغاً، أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، قاله ابن عباس ومجاهد ﴿ إن كادت لتبدي به ﴾: أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها، قال الله تعالى: ﴿ لُولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه ﴾ أي أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي ما يقال لها فقالت لها ﴿ قصيه ﴾ أي اتبعي أثره وخذي خبره، وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك ﴿ فبصرت به عن جنب﴾ قال ابن عباس: عن جانب، وقال مجاهد: بصرت به عن بعيد. وقال قتادة: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل ثدياً وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها، قال الله تعالى: ﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أي تحريماً قدرياً وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾؟ قال ابن عباس: فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يَدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها، فالتقمه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قلد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجاه ورزق دارٌ ، ولهذا جاء في الحديث: « مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ،، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة، فسبحان من بيده الأمر ، يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً ، وبعد كل ضيق مخرجاً ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها كه أي به ﴿ ولا تحزن كه أي عليه ﴿ ولتعلم أن وعد الله حتى ﴾ أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين، وقوله تعالى: ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى عَاتَدِنَاهُ حُكُمَا وَعِلْتُ وَكَذَالِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَاذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَاذَا مِنْ عَدُوّهِ وَ فَاسْتَغَنْتُهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى مِن أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَاذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَاذَا مِنْ عَدُوّهِ وَ فَاسْتَغَنْتُهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الشَّيطُانِ إِنَّهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَلذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيطُانِ إِنَّهُ مَعُولًا مَنِي قَالَ رَبِّ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى السَّيطُونَ إِنَّهُ مَعْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّيطُونَ إِنَّهُ مَا الْعَنْ الْكُونَ ظَهِيرًا إِنِّهُ عَلَى اللَّهُ مِن عَلَيْهِ الْمُعْتَلِقُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمَا الْعَلَيْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَهُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَالَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَه

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام، ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكماً وعلماً، قال مجاهد: يعني النبوة ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾، ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما كان تعالى قلره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي، الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين، فقال تعالى: ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ قال ابن عباس: وذلك بين المغرب والعشاء، وقال ابن المنكدر عن ابن عباس: كان ذلك نصف النهار ()، ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ أي يتضار بان ويتنازعان، ﴿ هذا من شيعته ﴾ أي إسرائيلي وهذا من علوه أي قبطي، فاستغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام، فوجد موسى فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبطي ﴿ فوكره موسى فقضى عليه ﴾ قال مجاهد: فوكره أي طعنه بجمع كفه، وقال قتادة: وكره بعصا كانت معه فقضى عليه أي كان فيها حتفه فات، ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين هال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحم • قال رب بما أنعمت علي كه أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة ﴿ فلن أكون ظهيراً ﴾ أي معيناً ﴿ للمجرمين ﴾ أي الكافرين بك، المخالفين لأمرك .

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآيِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغُوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿ اللَّهُ مَا أَنَ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِاللَّمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا مَا اللَّهُ مُن يَعُمُ اللَّهُ مَا قَالَ يَنْمُوسَىٰ أَثْرِيدُ أَن تَقْتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا

أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١

يقول تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطي إنه أصبح ﴿ في المدينة خائفاً ﴾ أي من معرة ما فعل ﴿ يترقب ﴾ أي يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر ، فر في بعض الطرق فإذا ذلك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر ، فلما مر عليه موسى استصرخه على الآخر فقال له موسى: ﴿ إنك لغوي

⁽١) وهو قول سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وقتادة .

مبين ﴾ أي ظاهر الغواية كثير الشر، ثم عزم موسى على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه ﴿ يا موسى ﴾ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فه، ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده فعلم فرعون بذلك، فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك .

* وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَدُمُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّنِصِحِينَ ﴿ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجَلَ ﴾ وَصَفَهُ بَالرَجُولِيةَ لأَنهُ خَالَفَ الطَّرِيقَ فَسَلَكَ طَرِيقاً أَقَرِبُ مَن طَرِيق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى، فقال له يا موسى ﴿ إِن المَلاَّ يأتمرون بك ﴾ أي يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوكُ فاخرج ﴾ أي من البلد ﴿ إِنِي لَكَ مَن الناصِحين ﴾ .

* فَخَرَجَ مِنْهَا خَا بِفَا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهُ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِي أَنْ اللهِ يَمْ فَخَرَجَ مِنْهَا خَا بِفَا يَتَرَقَّ فَالَ عَسَىٰ رَبِي أَنْ يَعْ فَخَرَجَ مِنْهَا خَا السَّبِيلِ ﴿ وَهَا مَلَ اللهِ عَلَيْهِ أَمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ الْمَرَأَتَيْنِ يَهُدِينِي سَواءَ السَّبِيلِ ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ الْمَرَأَتَيْنِ يَهُدُودَانِ فَال مَا خَطْبُكُمَّا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءً وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿ فَيَ الطِّلْلِ لَ الطِّلْلِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله

لما أخبره ذلك الرجل بما تمالاً عليه فرعون ودولته في أمره، خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله، بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة ﴿ فخرج منها خاتفاً يترقب ﴾ أي يتلفت ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ أي من فرعون وملته، فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكاً فأرشده إلى الطريق ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ أي أخذ طريقاً سالكاً فرح بذلك، ﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ أي الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعله هادياً مهدياً، ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر يرده رعاء الشاء ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ أي جماعة يسقون ﴿ ووجد من دونهم امرأتين تلودان ﴾ أي تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا، فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما، ﴿ قال ما خطبكا ﴾ ؟ أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء، ﴿ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ أي لا يحصل لنا ستي إلا بعد فراغ هؤلاء، ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ أي فهذا الحال الملجيء لنا إلى ما ترى، قال الله تعالى: ﴿ فسقى لهما ﴾ . روى عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين تلودان قال: ما خطبكا ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه، ثم

لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم⁽⁾. وقوله تعالى: ﴿ ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خبر فقير ﴾ قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة، وقوله: ﴿ إلى الظل ﴾ جلس تحت شجرة، قال السدي: كانت الشجرة من شجر السمر، وقال عطاء: لما قال موسى ﴿ رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ أسمع المرأة .

فَجَآءَتُهُ إِحْدَنَهُمَا غَيْسِي عَلَى اسْتِحْبَآءِ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا فَلَكَ جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا يَحْفُ جُبُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ ﴿ قَالَتْ إِحْدَنَهُمَا يَنَأْبَتِ اَسْتَقْجُرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا يَحَفَّ جُبُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ ﴿ قَالَتْ إِحْدَنَهُمَا يَنَابُتِ اَسْتَقْجُرُهُ إِنَّ أَنْ خَيْرَ مَنِ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ ﴿ قَالَتُ إِحْدَى الْبَلَقَ هَلَتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرُنِي مَمَّنِي جَبَعَ فَإِنْ السَّقَعَجُرْتَ الْقَوْمُ الْأَمِينُ ﴿ فَالَا إِنِي أَرِيدُ أَنْ أَنْكُمَكَ إِحْدَى الْبَلَقَ هَلْتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرُنِي مَمَّنِي جَبَعَ فَإِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنَ عَشَرًا فَيَنْ عَلَى أَن تَأْجُرُنِي قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ اللَّهُ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ اللَّهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

لما وجعت الموأتان سريعاً بالغنم إلى أبيهما أنكر حالهما بسبب بجينهما سريعاً، فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها، قال الله تعالى: ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ أي مشي الحرائر، جاءت مسترة بكم درعها، قال عمر رضي الله عنه جاءت ﴿ تمشي على استحياء ﴾ قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلّفَع من النساء ولاجة خرّاجة الله ﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لن ﴿ وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ربية، بل قالت: ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ يعني ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا، ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ يقول: طب نفساً وقر عيناً فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لمم في بلادنا، ولهذا قال: ﴿ نجوت من القوم الظالمين ﴾ وقد اختلف المفسرون في الرجل من هو ؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين أوم المؤسن من قوم شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ ، وعن ابن عباس قال: الذي استأجر موسى (يثرى) صاحب مدين رواه ابن جرير، ثم قال: الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر ولا خبر تجب به الحجة في ذلك. وقوله تعالى: ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ أي قالت الحجة في ذلك. وقوله تعالى: ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ أي قالت

⁽١) أخرجه ابن أبي شيبة وإسناده صحيح .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم واسناده صحيح، ومعنى السلفع: الجريئة من النساء السليطة الجسور كما أفاده الجوهري .

⁽٣) هذا هو المشهور عند كثير من العلماء وهو قول الحسن البصري .

إحدى ابنتي هذا الرجل قيل: هي التي ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لأبيها: ﴿ يَا أَبِتَ استَأْجِرِهِ ﴾ أي لرعية هذه الغنم، ﴿ إِن خير من استَأْجِرِت القوي الأمين ﴾ قال لها أبوها: وما علمك بذلك ؟ قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطبق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جثت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اختلف علي الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهندي إليه (الله وقال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف حين قال أكرمي مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿ يَا أَبِت استَأْجِره إِن خير من استَأْجِرت القوي الأمين ﴾، ﴿ قال إِني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ أي طلب اليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه و يزوجه إحدى بنتيه .

وقوله تعالى: ﴿ على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فن عندك ﴾ أي على أن ترعى غنمي ثماني سنين، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا فني الثمان كفاية، ﴿ وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ أي لا أشاقك ولا أؤاذيك ولا أماريك. وفي الحديث: «إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه ه أي لا أشاقك ولا أؤاذيك ولا أماريك. وفي الحديث: «إن موسى عليه السلام أخل الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴾ يقول: إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين، فإن أتممت عشراً فن عندي فأنا متى فعلت أقلهما، فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط، ولهذا قال: ﴿ أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ﴾ أي فلا حرج عليّ، وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام ولهذا قال: ﴿ أيما الأجلين وأتمهما. روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى ؟ فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب، فأسأله، فقدمت على (ابن عباس) رضي الله الأجلين قضى موسى ؟ قال: «أوفاهما وأبرهما، قال: وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما ه أن سئل: أي الأجلين قضى موسى ؟ قال: «أوفاهما وأبرهما، قال: وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما ه ألى النب جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي وروى ابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه: كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها، فعمد موسى فرفع حبالاً على الماء، فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة، فولدن كلهن بلقاً إلا شاة واحدة فذهب بأولادهن كلهن ذلك العام .

* فَلَكَ قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْ لِهِ تَ عَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۚ قَالَ لِأَهْ لِهِ آمْكُنُواۤ إِنِّى عَانَسَتُ نَارًا لَّا عَلَى مَن شَلِطِي الْوَادِ الْأَيْمَنِ لَعَلَى عَالِيَ عَالِمَ الْعَادِ اللَّهُ مَن اللَّهُ وَمِن اللَّهُ وَاللَّهُ مَن اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَصَالًا فَا اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَل عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ عَلَى اللْعَلَمُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى

⁽١) روي هذا القول عن عمر وابن عباس وشريح القاضي وقتادة ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن (عتبة بن المنذر السلمي) مرفوعاً .

⁽٣) أخرجه البزار عن أبي ذر رضي الله عنه .

بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ وَأَضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ مَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسَقِينَ ﴿

قد تقدم أن موسى عليه السلام قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما^(١). قوله: ﴿ وسار بأهله ﴾ قالوا: كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلاً فجعل كلما أورى زنده لإ يضيء شيئًا فتعجب من ذلك، فبينها هو كذلك ﴿ آنس من جانب الطور ناراً ﴾ أي رأى ناراً تضيء على بعد ﴿ فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ﴾ أي حتى أذهب إليها ﴿ لعلي آتيكم منها بخبر ﴾ وذلك لأنه قد أضل الطريق ﴿ أُو جَدُوةَ مِنَ النَّارِ ﴾ أي قطعة منها ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أي تستدفئون بها من البرد، قال الله تعالى: ﴿ فلما أتَّاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن ﴾ أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانَبِ الغربي إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ ﴾ فهذا نما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة، والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء، في لحف الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتاً في أمرها فناداه ربه ﴿ أَن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ أي الذي يخاطبك ويكلمك هو ﴿ رب العالمين ﴾ الفعال لما يشاء، تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات، في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، وقوله: ﴿ وَأَن أَلْقَ عصاك ﴾ أي التي في يدك، كما في قوله تعالى: ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنسي ولي فيها مآرب أخرى ﴾، والمعنى: أمَّا هذه عصاك التي تعرفها ﴿ أَلَقُهَا فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هي حية تسعى ﴾، فعرف وتحقّق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون. ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أي تضطرب، ﴿ كَأَنَّهَا جَانَ وَلَى مَدْيِرًا ﴾ أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها واتساع فمها، واصطكاك أنيابها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعثها تنحدر في فيها، تتقعقع كأنها حادرة في واد، فعند ذلك ﴿ ولى مدبراً ولم يعقب ﴾ أي ولم يلتفت لأن طبع البشرية ينفر من ذلك، فلما قال الله له: ﴿ يَا مُوسَى أَقْبَلُ وَلَا تَخْفُ إِنْكُ مَنَ الْآمَنينَ ﴾ رجع فوقف في مقامه الأول، ثم قال الله تعالى: ﴿ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق، ولهذا قال ﴿ من غير سوء ﴾: أي من غير برص. وقوله تعالى: ﴿ واضم إليك جناحك من الرهب ﴾ قال مجاهد: من الفزع، وقال تتادة: من الرعب مما حصل لك من خوفك من الحية؛ والظاهر أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب، وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده، فإنه يزول عنه ما يجده. عن مجاهد قال: كان موسى عليه السلام قد ملىء قلبه رعباً من فرعون، فكان إذا رآه قال: ﴿ اللهم إني أدراً بك في نحره، وأعوذ بك من شره ﴾ فنزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام، وجعله في قلب فرعون فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار ". وقوله تعالى: ﴿ فَذَانُكُ

⁽١) هو عشر سنين على رأي الجمهور وقال مجاهد: عشر سنين وبعدها عشر أخر رواه عنه ابن جرير .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد .

برهانان من ربك كه يعني جعل العصاحية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار، وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿ إلى فرعون وملته كه أي وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع، ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه.

قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسُ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿ وَأَنِى هَنُرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَمِي رِدْ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون في قال رب إني قتلت منهم نفساً في يعني ذلك القبطي، في فأخاف أن يقتلون في أي إذا رأوني، في وأخي هارون هو أفصح مني لساناً في وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لنغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة، فحصل فيه شدة في التعبير، ولهذا قال: في واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي في فأرسله معي ردءاً في أي وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمري، يصدقني فيا أقوله وأخبر به عن الله عزَّ وجلَّ، لأن خبر الواحد، ولهذا قال: في إني أخاف أن يكذبون في، وقال محمد بن إسحاق: في النفوس من خبر الواحد، ولهذا قال: في إني أخاف أن يكذبون في، وقال محمد بن إسحاق: في ردءاً يصدقني في أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فإنه يفهم عني ما لا يفهمون، قلما سأل ذلك موسى، قال الله تعالى: في سنشد عضلك بأخيك في أي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبياً معك، كما قال في الآية الأخرى: في قد أوتيت سؤلك يا موسى في. ولهذا قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه من (موسى) على (هارون) عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً، ولهذا قال تعالى في حتى موسى في وكان عند الله وجيها في أذا كما بسبب إبلاغكما آيات الله، كما قال تعالى: في أيها الرسول بلغ من ربك - إلى قوله - والله يعصمك من الناس في، ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى: في أنتها ومن اتبعكما الغالبون في، كما قال تعالى: في كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز في، وقال تعالى: في وقال تعالى: في إن النه أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في ولدنيا والآخرة فقال تعالى: في وقال تعالى: في إن النعم ولمنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا في إلى آخر الآية.

* فَلَتَّ جَآءَهُم مُّوسَى بِعَايَنتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَنَدَآ إِلَّا سِمَّرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَنَدَا فِي ءَابَآيِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ لِمَا الْأَوْلِينَ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ لِمَا عَلَيْكُ الظَّالِمُونَ ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُ وَعَلِيمَهُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِي أَعْدُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ

يخبر تعالى عن بجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملثه، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة، على صدقهما فيم أخبرا به عن الله عزَّ وجلَّ، من توحيده واتباع أوامره، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه، وأيقنوا أنه من عند الله، عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: ﴿ ما هذا إلا سحر مفترى ﴾ أي مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، وقوله:

﴿ وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، ويقولون ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى، فقال موسى عليه السلام مجيباً لهم: ﴿ ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ يعني مني ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم، ولهذا قال: ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أي من النصرة والظفر والتأييد، ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي المشركون بالله عزَّ وجلً .

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه، وافتراثه في دعواه الإّلهية لعنه الله، كما قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَخْفُ قومه فأطاعوه ﴾ الآية، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإّلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولم وسخافةً أذهانهم؛ ولهذا قال: ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ مَا عَلَمَتَ لَكُمْ مَنَ إِلَّهَ غَيْرِي ﴾، وقال تعالى إخباراً عنه ﴿ فحشر فنادى ه فقال أنـا ربكم الأعلى﴾ يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين، ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك، فقال: ﴿ لَٰٓتُنَ اتخذت إَلَهَأ غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾، وقوله: ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إلَّه موسى ﴾ يعني أمر وزيره (هامان) مدير رعيته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له آجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع العالي، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إلَّه موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ الآية. وذلك لأن فرعون بني هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه إنَّما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إلَّه غير فرعونَ، ولهذا قال: ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين﴾ أي في قوله إن ثَمَّ رباً غيري، لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لأنه لم يكن يعترف بُوجود الصانع جل وعلا، فإنه قال: ﴿ وما رب العالمين ﴾ ؟ وقال: ﴿ لئن اكخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ ، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَا مَا عَلَمَتَ لَكُمْ مَنَ إِلَّهَ غَيْرِي ﴾ وهذا قول ابن جرير ، وقوله تعالى: ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ أي طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفساد، واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد، ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد﴾، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿ فَأَخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أي أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد، ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أثمة يدعون إلى النار كه أي لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ، ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ أي فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَهَلَكُناهم فلا ناصر لهم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك، ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ قال قتادة: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾. * وَلَقَدْ ءَاتَهْتُ مُوسَى ٱلْكِتَلْبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَاآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ آلاً وَلَىٰ بَصَآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ آلِهُ وَلَىٰ بَصَآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ آلاً وَلَىٰ بَصَآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اللهُ وَلَىٰ بَصَآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اللهُ وَلَىٰ بَصَآ بِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَهُمْ يَتَلَكُمُ وَلَا قَالِهُ اللَّهُ وَلَا يَعْمَلُونَا اللَّهُ وَلَا يَعْمَلُونَ اللهُ وَلَىٰ اللهُ وَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وَلِهُ اللهُ وَلَهُ عَمْ اللهُ وَلَا لَهُ اللهُ وَلَىٰ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَىٰ اللهُ اللهُ وَلَيْ يَصَالَعُونَ اللهُ وَلِيهِ اللهُ اللهُ وَلَىٰ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَا لَعْلَاقُ وَلَا لَهُ وَلَقَالُهُ وَلَهُ اللهُ وَلَىٰ اللهُ لَهُ اللهُ وَلَهُ وَلَا لَا لَعْلَى اللهُ وَلِيهِ اللهُ وَلِي اللهُ اللهُ وَلَهُ اللهُ وَلَا لَهُ اللهُ وَلَىٰ يَصَالَ إِلَا لَهُ مِنْ اللّهُ وَلَا لَقُولُونَ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا لَا لَهُ لَكُونَ هُمُ اللّهُ وَلَهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَلَىٰ لَعْلَالُهُ وَلَا لَعْلَالَهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ وَلَا لَهُ عَلَيْكُونَا لَا لَا لَهُ لِللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَهُ عَلَالَهُ وَلَى اللّهُ وَلَا لَهُ عَلَيْكُولُونَ وَلَهُ لَا لَهُ إِلْمُ لَا عَلَيْلُونَ اللّهُ لَا عَلَالِهُ وَلَا لَهُ وَلِهُ لَا لَهُ لَا لَهُ عَلَيْكُونَا لَا لَا لَ

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، من إنزال التوراة لم عليه بعدما أهلك فرعون وملأه، وقوله تعالى: ﴿ من بعدما أهلكنا القرون الأولى ﴾ يعني أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة و فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ ، وروى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السهاء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير أهل القرية الذين مسخوا قردة بعد موسى، ثم قرأ: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ الآية، وقوله: ﴿ بصائر للناس وهدى ورحمة ﴾ أي إرشاداً إلى العمل الصالح، ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرِّبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّهِدِينَ ﴿ وَكَكِنَاۤ أَنشَأْنَا قُرُونَا فَنَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُّ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُّ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِى أَهْلِ مَدْيَنَ نَتَلُواْ عَلَيْهِمْ اَلْيَتِنَا وَلَذِيظًا كُنّا مُرْسِلِينَ ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَذِيزَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِكَا مُرْسِلِينَ ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكَ إِنَّ مِنْ اللَّهُ وَمَا مَا أَنْهُم مِن نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَمَا كُنتَ بِعَلِيمِهُمْ عَلَيْهُ وَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ الْمَيْوِلِ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَا مُنَا لَمُؤْمِنِينَ ﴿ مِنْ اللَّهُ مِنِينَا وَلَا اللَّهُ مِنِ اللَّهُ وَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَلِعَ عَالِيْتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَا اللَّهُ مُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكِ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلِينَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَاتَبِعَ عَالِيْكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ إِلَّهُ لَا أَنْهُمُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُولُونُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ ا

يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد على ، حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن سامعه شاهد وراء لل تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك، كما أنه لما أخبره عن مريم، قال تعالى: ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾، ولما أخبره عن نوح وإغراق قومه، قال تعالى: ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ الآية. وقال بعد ذكر قصة يوسف ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ الآية، وقال في سورة طه: ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما

⁽۱) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري موقوفًا، ورواه البزار من طريق آخر عن أبي سعيد مرفوعًا بلفظ ما أهلك الله قومًا بعذاب من السهاء ولا من الأرض إلا قبل موسى ثم قرأ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى ﴾ .

قد سبق﴾ الآية، وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلّم الله موسى من الشجرة على شاطىء الوادي، ﴿ وَمَا كُنْتَ منَّ الشاهدين﴾ لذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى أوحٰى إليك ذلك، ليكون حجة وبرهاناً على قرونُ قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم، وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ أي وما كنت مقياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا، حين أخبرت عن نبيها شعيب وما قاله لقومه وما ردوا عليه، ﴿ وَلَكُنَا كَنَا مُرْسَلِينَ ﴾ أي ولكن نحن أوحينا إليك ذلك، وأرسلناك إلى الناس رسولاً، ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ قيل: المراد أمة محمد، نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم ُ قبل أن تدعوني(*) ۚ وقال قتادة: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانَبِ الطَّورَ إِذْ نَادِينًا ﴾ مُوسَى، وهذا أَشْبَه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمرك، ثم أخبر ههنا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكُ مُوسَى ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِذْ ناداه رَبِّه بالوادي المقدس طوى ﴾، وقال تعالى: ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أي ما كنت مشاهداً لشيء من ذلك، ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بإرسالك إليهم. ﴿ لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ أي لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عزَّ وجلَّ، ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ الآية، أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة، ولينقطع عذرهم إذا جاءهُم عذاب من الله بكفرهم، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير، كما قال تعالى: ﴿ أَن تقولُوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهِلِ الكتابُ قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ والآيات في هذه كثيرة .

فَلَتَ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَا يَكُولُواْ بِمَا أُوتِي مُوسَىٰ مِن قَبْلُ فَالُواْ مِحْدَانِ تَظَنهُ وَا يَعَالُواْ إِنَّا بِكُلِّ كِنفِرُونَ ﴿ قَلْ فَأْتُواْ بِكِتَبِ مِنْ عِندِ اللّهِ هُوَ أَهَدَىٰ مِنْهُمَا أَنَّيِعُهُ إِن كُنتُمْ صَندِقِينَ ﴿ فَا فَإِن لَمْ يَسَتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَبِعُونَ أَهْوَا عَهُمْ وَمَنْ أَضَلُ مِمْ وَاللَّهُ عَوْلَهُ بِغَيْرِ كُنتُمْ صَندِقِينَ ﴿ فَي فَإِن لَمْ يَسَتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمُ أَنِّكَ يَتَبِعُونَ أَهْوَا الْحَامَ أَهُوا عَمْ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ * وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَمُهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَهُمْ يَنذَكَّرُونَ ﴾ هُدًى مِن اللّهِ

يقول تعالى مخبراً عن القوم أنه لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول، فلما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد على الله على وجه التعنت والعناد، والكفر والإلحاد: ﴿ لُولا أُوتِي مثل ما أُوتِي موسى ﴾ الآية، يعنون مثل العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتنقيص الزوع والثمار مما يضيق على أعداء الله، وكفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى إلى غمير ذلك من الآيات الباهرة، والحجج القاهرة، التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام، حجة وبرهاناً

⁽١) أخرجه النسائي في سننه عن أبي هريرة موقوفاً، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً .

له على فرعون وملته، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملته، بل كفروا بموسى وأخيه هارون، كما قالوا لهما:
هو أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا كه، وقال تعالى: هو فكذبوهما فكانوا من المهلكين كه، ولهذا قال ها هنا:
هو أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل كه أي أولم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة، هو قالوا
ساحران تظاهرا كه أي تعاونا، هو وقالوا إنا بكل كافرون كه أي بكل منهما كافرون، قال مجاهد: أمرت اليهود
قريشاً أن يقولوا لمحمد على الله عليهما وسلم هو تظاهرا كه أي تعاونا وتناصرا وصدق كل منها الآخر؛ وهذا قول جيد
قوي، وعن ابن عباس: هو قالوا ساحران تظاهرا كه قال: يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية
الحسن البصري، وأما من قرأ هو سحران تظاهرا كه قال: يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية
الحسن البصري، وأما من قرأ هو سحران تظاهرا كه قوي عن ابن عباس: يعنون التوراة والقرآن، قال السدي:
يعني صدّق كل واحد منهما الآخر، وقال عكرمة: يعنون التوراة والإنجيل واختاره ابن جرير، والظاهر أنهم يعنون
التوراة والقرآن لأنه قال بعده: ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه كه، وكثيراً ما يقرن الله بين
التوراة والقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ قال في آخر السورة ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن كما الآية، وقال: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك كه، وقال في آخر السورة ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن كما الآية، وقال: ﴿ وهذا كتاب أزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون كه .

وقد علم بالضرورة لذوي الألباب، أن الله تعالى لم ينزل كتاباً من الساء - فيا أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف، من الكتاب الذي أنزل على محمد على ، وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى عليه السلام، وهو الكتاب الذي قال الله فيه: ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ والإنجيل إنما أنزل متمماً للتوراة، ومحلا لبعض ما حرم على بني إسرائيل. ولهذا قال تعالى: ﴿ قَل فَاتُوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ أي فيا تدافعون به الحق وتعارضون به من الباظل، قال الله تعالى: ﴿ فَإن لم يستجيبوا لك ﴾ أي فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ﴿ فَاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ أي بلا دليل ولا حجة، ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله، ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ قال عجاهد: فصلنا لهم القول، وقال السدي: بينا لهم القول، وقال قتادة، يقول تعالى: أخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ .

ٱلجَنْهِلِينَ ٢

يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتِيناهم الكتاب

يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾، وقال تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ﴾. قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿ يس والقرآن الحكيم﴾ حتى ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكتابُ مَنْ قبله هُمْ بِهِ يؤمنون ﴿ وإذا يَتْلِي عَلَيْهُمْ قَالُوا آمنا بِه إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له، قال الله تعالى: ﴿ أُولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول، ثم بالثاني، ولهذا قال: ﴿ بِمَا صِبْرُوا ﴾ أي على اتباع الحق، فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس، وقد ورد في الصحيح: « ثلاثة يؤتون أُجرِهِم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أُمَة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها »، وفي الحديث: « من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا وعليه ما علينا »^(۱) ، وقوله تعالى: ﴿ ويدرأون بالحسنة السيئة ﴾ أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون، ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله في الزكاة المفروضة، وصدقات النفل والقربات، وقوله تعالى: ﴿ وإذا سمعوا اللَّغُو أعرضوا عنه ﴾ أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم، بل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغُو مَرُوا كَرَاماً ﴾، ﴿ وَقَالُوا لِنَا أَعْمَالنا وَلَكُم أَعْمَالُكُم سَلام عَلَيْكُم لا نبتغي الجاهلين﴾ أي إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق أعرضوا عنه، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب، وقالوا: ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها. قال محمد بن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ وَهُو بَمَكَة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم (أبو جهل بن هشام) في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، ما نعلم ركبًا أحمق منكم، فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، قال ويقال: إن النفر النصارى من أهل تجران وفيهم نزلت هذه الآيات ﴿ الَّذِينَ آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون كه، إلى قوله: ﴿ لا نبتغي الجاهلين كه قال: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟ قال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في (النجاشي) وأصحابه رضي الله عنهم، والآيات اللاتي في سورة المائدة ﴿ ذَلَكَ بَأَنَ مَنْهُمْ قَسَيْسَيْنُ وَرَهْبَانًا – إلى قوله – فَاكْتَبْنَا مَعُ الشَّاهْدِينَ ﴾ .

* إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَجْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاء وَهُو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ وَقَالُواْ إِن نَتَّبِعِ اللَّهُ لَكُ لَا تَهْدِى مَنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ ثُمَرَا اللَّهُ مَرَمًا ءَامِنُ الجُنْبَ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَدُنَا وَلَكِنَّ اللَّهُ عَنْ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ ثُمُ كَرِمًا ءَامِنُ الجُنْبَ إِلَيْهِ ثَمْرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَدُنَا وَلَكِنَ

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن القاسم بن أبي أمامة .

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ بِطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَلِكِنُهُمْ لَرَّ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَا نَعْنُ الْوَرِثِينَ ﴿ وَمَاكُنَا مِنْ فَرِيةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتُهَا فَتِلْكَ مَسَلِكِنُهُمْ لَرَّ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ اللهِ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَيْهِمْ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ظَالِمُونَ ﴿ ﴿ وَا

⁽٢) أحرجه مسلم والترمذي .

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم .

يقول تعالى معرّضاً بأهل مكة: ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ أي طغت وأشرت، وكفرت نعمة الله فيا أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال: ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان – إلى قوله – فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ أي رجعت خراباً ليس فيها أحد، ثم قال تعالى مخبراً عن عدله، وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له، وإنما بعد قيام الحجة عليهم، ولهذا قال: فيها أحد، ثم قال تعالى مخبراً عن عدله، وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له، وإنما بعد قيام الحجة عليهم، ولهذا قال: النبي الأمي رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجام، كما قال تعالى: ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾، وقال النبي الأمي رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجام، كما قال تعالى: ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ الآية، فأخبر تعالى أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها التي ترجع إليها، وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: « بعثت إلى الأحمر والأسود » ولهذا ختم به النبوة والرسالة، فلا نبي بعده ولا رسول، بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة، وقيل المراد بقوله: ﴿ وقيل المراد بقوله وقيل المراد بقوله: ﴿ وقيل المراد بقوله وقيل المراد بقوله وقيل المراد بقوله وقيل المراد بقوله والمراد والمراد

وَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَنَكُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ ۚ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ يَا أَفَنَ وَعَدْنَكُ

وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كُن مَّنَّعْنَاهُ مَنْكَ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَيَوْمَ ٱلْقِيَلَمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۞

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية، بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة، من النعيم العظيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾، وقال: ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾، وقال: ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾، وقال رسول الله يهيئي : « والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه » ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَ عَلَى الآخرة الله لا تعه كمن معقل من يقدم الدنيا على الآخرة، وقوله تعالى: ﴿ أَفَن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقبه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾، يقول تعالى: أفن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب، كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده فهو ممتع في الحياة الدنيا أياماً قلائل ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ ؟ قال مجاهد: من المعذبين، وهذا كقوله تعالى: ﴿ ولولا نعمة ربي قلائل ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ ؟ قال مجاهد: من المعذبين، وهذا كقوله تعالى: ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ .

* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِى الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَنَوُلَآءِ الَّذِينَ أَغُوَيْنَآ أَغُوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۚ تَبَرَأْنَآ إِلَيْكُ مَا كَانُوۤا ۚ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿ وَقِيلَ آدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَلَدْعُوهُمْ فَلَمْ

⁽١) حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس ببعيد كما قال ابن كثير . ﴿ ﴿ ﴾ أخرجه مسلم في صحيحه .

يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأُواْ الْعَذَابِ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿ فَيَعْمِينَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْلِكِمَا أَلْمُوسَلِينَ أَلَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْلِكِينَ اللَّهُ الْمُؤْلِكِينَ اللَّهُ الْمُؤْلِكِينَ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

يقول تعالى مخبراً عما يو بخ به المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول : ﴿ أَين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ ؟ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا، من الأصنام والأنداد هلُّ ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد كما قال تعالى: ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكُم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾، وقوله: ﴿ قال الذين حْق عليهم القول ﴾ يعني الشياطين والمردة والدعاة إلَّى الكفر ﴿ رَبَّنَا هُؤُلَّاءَ الَّذِينَ أَغُوينَاهُم كَمَا غُوينَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبَدُونَ ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم، ثم تبرأوا من عبادتهم. كما قال تعالى: ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾، وقال تعالى: ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾، وقال الخليل عليه السلام لقومه ﴿ ثم يوم القيامة يُكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ الآية، وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ الآية، ولهذا قال: ﴿ وَقِيلِ ادعوا شركاءكم ﴾ أي ليخلصوكم ثما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا، ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب كه، أي وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة، وقوله: ﴿ لَوَ أَنْهُم كانوا يهتلون ﴾ أي فودُّوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ه ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاكه'، وقوله: ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أُجبتم المرسلين ﴾ النداء الأول سؤال عن التوحيد، وهذا عن إثبات النبوات، ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم، وكيفكان حالكم معهم ؟ وهذا كما يسأل العبد في قبره: من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إلَّه إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأما الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري، ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت، لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، ولهذا قال تعالى: ﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ قال مجاهد: فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب، وقوله: ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ أي في الدنيا ﴿ فعسى أن يكون من المفلحينكه أي يوم القيامة، و (عسى) من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة .

وَرَبُكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ اَلِخَيْرَةٌ سُبْحَنَ اللّهِ وَتَعَالَى عَمَّ يُشْرِكُونَ ﴿ وَرَبُكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ وَهُوَ اللّهُ لَآ ۚ إِلَا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكُرُ وَ إِلَيْهِ مُذُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ وَهُوَ اللّهُ لَآ ۚ إِلَىٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكُرُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، قال تعالى: ﴿ وربك يخلق

ما يشاء ويختار ﴾ أي ما يشاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَمُ الْخَيْرَةَ ﴾ نني على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَمُومَ وَلَا مُومَنَة إِذَا قَضَى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ ولهذا قال: ﴿ سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً، ثم قال تعالى: ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ أي يعلم ما تكن الضائر ، وما تعلنون ﴾ أي يعلم ما تكن الضائر ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ ، وقوله: ﴿ وهو الله لا إلّه إلا هو ﴾ أي هو المنفرد بالإلّهية، فلا معبود سواه، كما لا رب سواه، ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ أي في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته، ﴿ وله الحكم ﴾ أي الذي لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي جميعكم بعدله وحكمته، في الأولى والآخرة في سائر الأعمال .

قُلْ أَرَةَ يُتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ مَنْ إِلَّهُ عَيْرُ ٱللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَا ۚ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهَ عَلَيْكُم النَّهَ عَلَيْكُم النَّهَ عَلَيْكُم النَّهَ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتُعُواْ مِن فَضْلِهِ عَلَيْكُم النَّهُ كُونَ النَّهُ كُونَ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم النَّهُ كُونَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلْمَاكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ عَلَيْكُم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللّ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

يقول تعالى ممتناً على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائماً عليهم سرمداً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولسشمته النفوس، ولهذا قال تعالى: ﴿ من إلّه غير الله بأتيكم بضياء ﴾ أي تبصرون به وتستأنسون بسببه ﴿ أفلا تسمعون ﴾ ؟ ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار ﴿ سرمداً ﴾ أي دائماً مستمراً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلّت من كثرة الحركات والأشغال، ولهذا قال تعالى: ﴿ من إلّه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ﴾ ؟ أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم، ﴿ أفلا تبصرون ؟ ومن رحمته ﴾ أي بكم ﴿ جعل لكم الليل والنهار ﴾ أي خلق هذا وهذا ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أي في الليل، ﴿ ولتبنغوا من فضله ﴾ أي في الليل، ﴿ ولتبنغوا من فضله ﴾ أي في الليل والنهار والترحال والحركات والأشغال، وقوله: ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي تشكرون ﴾ أي أي الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ والآيات في هذا كثيرة.

وَيَوْمُ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَرْعُمُونَ ﴿ وَتَرَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَا تُواْ بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُواْ

أَنَّ ٱلْحَتَّى لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿

وهذا أيضاً نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله إلَهاً آخر، يناديهم الرب تعالى على رؤوس

 ⁽١) هذا النوع يسمى في علم البديع (اللف والنشر المرتب) حيث جمعهما في اللفظ (الليل والنهار) ثم أعاد ما يتعلق بهما
 الأول على الأول، والثاني على الثاني .

الأشهاد فيقول: ﴿ أَين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي في دار الدنيا، ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيداً ﴾ قال مجاهد: يعني رسولاً، ﴿ فقلنا هاتوا برهانكم ﴾ أي على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء ﴿ فعلموا أن الحق لله ﴾ أي لا إلّه غيره فلم ينطقوا ولم يحيروا جواباً، ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي ذهبوا فلم ينفعوهم .

* إِنَّ قَدْرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِ مَّ وَءَاتَيْنَهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأَ بِٱلْعُصْبَةِ أَوْلِي ٱلْفُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ, قَوْمُهُ, لَا تَفُرَحُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ (إِنَّى وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَـٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَمِنَ ٱلدُّنْيَ ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا ٓ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْخِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿ عن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿ إِن قارون كان من قوم موسى﴾ قال: كان ابن عمه^(١) ، وقال ابن جريج: هو قارون بن يصهب بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث، وزعم محمد بن إسحاق أن قارون كان عم موسى ابن عمران عليه السلام، وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم، وقال قتادة: كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله، وقوله: ﴿ وَآتيناه من الكنوز ﴾ أي الأموال ﴿ ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة ﴾ أي ليثقل حملها الفِئام من الناس لكثرتها، قال الأعمش: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا، وقيل غير ذلك والله أعلم، وقوله: ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي وعظه فها هو فيه صالحو قومه، فقالوا على سبيل النصح والإرشاد: لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال ﴿ إِن الله لا يحب الفرحين ﴾. قال ابن عباس: يعني المرحين، وقال مجاهد: يعني الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وقوله: ﴿ وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنياكه أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعـة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه، ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أي أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ أي لا تكن همتك بما أنت فيه أنْ تفسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله ﴿ إن الله لا يحب المفسدين ﴾ .

قَالَ إِنْمَــَا أُوتِيتُهُ, عَلَى عِلْمٍ عِندِىَ ۚ أُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهُ قَـدْ أَهَلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْعَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞

يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير ﴿ قال إنما أُوتيته على علم عندي ﴾

⁽١) وهو قول إبراهيم النخمي وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم .

أي أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمجبته في، فتقديره إنما أعطيته لعلم الله أقي أفي أهل له، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم عن علم عندي ﴾ أي أنه أوتيته على علم عندي الله أن الله يقدر أحد كان يعاني علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل، لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليه إلا الله عز وجل أن وقال بعضهم: إن قارون كان يعرف الاسم الأعظم فدعا الله به فتمول بسببه، والصحيح المعنى الأول، وهذا قال الله تعالى راداً عليه فيا ادعاه من اعتناء الله به فيا أعطاه من المال ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أكثر منه مالاً ، وما كان ذوبهم أهلك عن محبة منا له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم، ولهذا قال: ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ أي لكثرة ذنوبهم، قال قتادة ﴿ على علم عندي ﴾ على خير عندي ، وقال السدي: على علم أني أهل لذلك، وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في قوله ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطافي هذا المال، وقرأ: ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ الآية، وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ الآية، وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه، لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي.

فَخْرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ زِينَتِهِ عَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيْوَةَ ٱلدُّنْيَ يَلْيَتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِي قَرُونُ إِنَّهُ لَدُو حَظِّ

عَظِيم ﴿ وَقَالَ الّذِينَ أُوتُواْ الْعَلَمُ وَيَلَكُم ثُوابُ اللّهَ خَيرٌ لّمَن وَامَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا وَلا يُلقَنَهَا إِلّا الصَّبِرُونَ ﴿ وَاللّهِ بَعْلِ اللّهِ مَعْلِ اللّهِ مَعْلِ اللّهِ عَظِيم ﴿ قَالُوا يَا لَيْتَ لِنَا مَثْلُ ما أُوتِي قَارُونَ السّجَاةِ اللّهَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَ كَا كَانَ لَهُ مِن فِيَّةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُنتَصِرِينَ ١

 ⁽١) رد ابن كثير على هذا القول وبيّن أن من ادعى أنه يُحيل ماهية ذات إلى ماهية أُخرى فإنما هو كذب وجهل وضلال، وزغل
وتمويه على الناس ثم قال: فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء فهذا أمر لا ينكره مسلم،
 ولا يردّه مؤمن، وقد أجاد رحمه الله في هذا المقام وأفاد .

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ ثَمَنَوْا مَكَانَهُم بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْلِرُ لَوْلآ أَن مَنْ الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا لَا مَنْ الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا لَا مُنْ الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا الله عَلَيْدُ الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا الله عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا الله عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ الله عَلَيْ الله عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا خَسَفَ بِمِنْ عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ الله عَلَيْنَا عَلَيْدُ الله عَلَيْنَا عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ الله عَلَيْنَا عَلَيْدُ الله عَلَيْدَا عَلَيْدُ الله عَلَيْنَا عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ الله الله عَلَيْدَا عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ الله الله عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ عَلَيْدُ اللّهُ عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ الله عَلَيْدُ عَلَيْكُولُونَا وَلْمَالِكُونَ عَلَيْدُوالِكُونَا وَاللّهُ عَلَيْدُوا عَلَيْكُونَا عَلَيْدُوا عَلَيْدُوا عَلَيْكُونَا أَنْ اللّهُ عَلَيْدُوا عَلَيْكُونَا أَنْ اللّهُ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُولِ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُولُون

لما ذكو تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقّب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت في الصحيح عند البخاري أن رسول الله ﷺ قال: « بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»، وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ: « بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة ». وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام، وقبل: إن قارون لما خرج على قومه في زيتته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة، فمر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله، فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه، فدعاه موسى عليه السلام وقال: ما حملك على ما صنعت ؟ فقال: يا موسى أما لئن كنت فضلت عليِّ بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا، فاستوت بهم الأرض، وعن ابن عباس قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة، وقال قتادة: ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مَن فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ أي ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وُحشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره، وقوله تعالى: ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس ﴾ أي الذين لما رأوه في زينته: ﴿ قالوا يا ليت لنا مثل ما أُوتِي قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ فلما خسف به أصبحوا يقولون ﴿ ويكأن الله ببسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ أي ليس المال بدالٌّ على رضا الله عن صاحبه، فإن الله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب ،، ﴿ لُولا أَنْ منَّ الله علينا لخسف بنا ﴾ أي لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينـا لخسف بنا كما خسف به لأنا وددنا أن نكون مثله، ﴿ ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ يعنون أنه كان كافرًا ولا يفلح الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقد اختلف في معنى قوله ههنا ﴿ ويكاِّن﴾ فقال بعضهم: معناه ويلك اعلم أن، ولكن خفف فقيـــل ويك ، ودل فتح أن على حـــذف اعلم، وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة و يكأنُّ، والكتابة أمر وضعي اصطلاحي والمرجع إلى اللفظ العربي والله أعلم. وقيل: معناها ﴿ ويكأن ﴾ أي ألم تر أن، قاله قتادة: وقيل معنَّاها وي كأنّ ففصلها، وجعل حرف وي للتعجب أو للتنبيه، وكأن بمعنى أظن وأحتسب. قال ابن جرير : وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة إنها بمعنى ألم تر أن، والله أعلم .

* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوَّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاً وَالْعَنْفِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ مَن جَآءَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللللَّا الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون ﴿ علواً في الأرض ﴾ أي ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم، قال عكرمة: العلو: التجبر ، وقال سعيد بن جبير: العلو البغي، وقال سفيان الثوري: العلو في الأرض التكبر بغير حق، والفساد أخذ المال بغير حق، وقال ابن جرير ﴿ لا يريدون علواً في الأرض تعظماً وتجبراً، ﴿ ولا فساداً ﴾ عملاً بالمعاصي. وفي الصحيح عن الذي علياً أنه قال: وإنه أوحي إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد » وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة أفن الكبر ذلك ؟ فقال: ولا، إن الله جميل يحب الجمال ،، وقال تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فله خير منها ﴾ أي ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل، ثم قال: ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، هل بجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، هل بجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ وهذا مقام الفضل والعدل .

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً له بأنه سيرده الى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِي فَرْضَ عليك القرآن ﴾ أي افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ وقال: ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ . وقال ابن عباس ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ يقول: لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن، وقال بجاهد: يحييك يوم القيامة ، وقال الحسن البصري: إي والله إن له لمعاداً فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة ، وقد روي عن ابن عباس ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ قال: الجنة ، وقد روي عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخاري في التفسير عن ابن عباس ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ أي لرادك إلى مكة ، وعن الضحاك قال: لما خرج محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ : إلى مولدك بمكة ، وعن الضحاك قال: لما خرج النبي عليه أي من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله عليه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ النبي عليه القرآن لرادك إلى معاد ﴾ الله مكة ، وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً ، والله أعلم .

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي عَلِيلًا، كما فسر ابن عباس سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ أنه أجل رسول

الله على إليه، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله، وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق، وقوله تعالى: ﴿ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴾ أي قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل: ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى مذكراً لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم: ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك أن الوحي ينزل عليك، ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أي إنما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك، فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة ﴿ فلا تكونن ظهيراً ﴾ أي معيناً ﴿ للكافرين ﴾ ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم، ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك ﴾ أي لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك، فإن الله معلي كلمتك، ومؤيد دينك، ومظهر الملك به على سائر الأديان، ولهذا قال: ﴿ وادع إلى ربك ﴾ أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَدَعَ مِع اللهَ إِنَّهَا آخرِ لا إِنَّهَ إِلا هُو ﴾ أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الآلهية إلا لعظمته، وقوله : ﴿ كُلُ شيء هالك إلا وجهه ﴾ إخبارٌ بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلاق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿ كُلُ مَن عليها فان و ويقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: ﴿ كُلُ شيء هالك إلا وجهه ﴾ أي إلا إياه، وقد ثبت في الصحيح: «أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد «ألا كُلُ شيء ما خلا الله باطل » ﴾ ، وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿ كُلُ شيء هالك إلا وجهه ﴾ أي إلا ما أريد به وجهه، وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كُلُ الأعمال بأنها باطلة، إلا ما أريد به وجهه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه أن كُلُ اللوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس، فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كُلُ شيء وبعد كُلُ شيء، وكان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين: فيقول أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿ كُلُ شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وقوله: ﴿ له له الحكم ﴾ أي الملك والتصرف ولا معقب لحكه ﴿ وإليه فيقول: ﴿ كُلُ شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وقوله: ﴿ له له الحكم ﴾ أي الملك والتصرف ولا معقب لحكه ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي يوم معادكم فيجز بكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

[آخر تفسير سورة القصص ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار .



أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ أستفهام إنكار، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين، بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء » وهذه الآية كقوله: ﴿ أم حسبم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾، وقال في البقرة: ﴿ أم حسبم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزازلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان، ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وغيره في مشل قوله: ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلا لنرى، وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فإنه يتعلق وغيره في مشل قوله: ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلا لنرى، وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود، وقوله تعالى: ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكون ﴾ أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من وراثهم من العقوبة والنكال ما هو الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من وراثهم من العقوبة والنكال ما هو

⁽١) أخرج ابن أبي حاتم: أن ﴿ آلم أحسب ... ﴾ نزلت في أناس كانوا بمكة. أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب الرسول عليه السلام بالمدينة أن لا يقبل منهم حتى يهاجروا، فخرجوا إلى المدينة فردهم المشركون، وأخرج ابن سعد: أنها نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله، كما في اللباب .

أغلظ من هذا وأطم، ولهذا قال: ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ﴾ أي يفوتونا ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي بئس ما يظنون .

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتِ وَهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ وَمَن جَهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَنِيمُ عَنِ الْعَالَمِينَ اللَّهِ وَاللَّهِ عَلَيْهُمْ اللَّهِ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى: ﴿ من كان يرجو لقاء الله ﴾ أي في الدار الآخرة وعمل الصالحات، ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له رجاءه، ويوفيه عمله كاملاً موفراً، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات. ولهذا قال تعالى: ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي من عمل صالحاً فإنما يعود نفع عمله على نفسه، فإن الله تعالى غني عن العباد ولو كانوا كلهم على أنقى قلب رجل منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾. قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف، ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم، ومع بره وإحسانه بهم، يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفّر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح، كما قال تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴾. وقال ههنا:

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَنَ بِوَلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ ۽ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُ مَا إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَالْمُ الْعِلْمُ مَا أَلِي مَرْجِعُكُمْ فَالْمُ الْعَلْمِينَ فَي الصَّلِحِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلِحِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الصَّلْمِينَ فَي الْمَالِمِينَ فَي الْمُلْمِينَ فَي الْمَالُونَ فَي الْمَالِمِينَ فَي الْمَالِمِينَ فَي الْمَلْمُ الْمُعُمِّلِ فَي الْمَالِمُ لَهِ الْمَالِمِينَ فَي الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ اللَّهِ الْمُعْلِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمِينَامِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمِينَامِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمِينَ الْمِينَامِينَ الْمِينَامِينَ الْمِينَامِ الْمِينَامِ الْمِينَامِ الْمِينَ الْمَالِمِينَ الْمَالِمُ الْمَ

يقول تعالى آمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين، بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق، ولهذا قال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾، ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما المتقدم، قال: ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ أي وإن حرصا أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فلا تطعهما في ذلك فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصدلحين لا في زمرة والديك، ولهذا قال تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾. عن مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال: نزلت في أربع آيات فذكر قصته، وقال، قالت أم سعد: أليس عن معيا بالبر ؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها

شجروا (ا) فاها، فترلت: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ الآية .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِى فِي اللَّهِ جَعَلَ فِنْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَهِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّامَعُكُمٌ ۚ أُولَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَلَمِينَ ﴿ وَلَيَعْلَنَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى مخبراً عن صفات المكذبين، الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه — إلى قوله — ذلك هو الضلال البعيد ﴾ " ثم قال عز وجل : ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ﴾ أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم إنا كنا معكم أي إخوانكم في الدين، كما قال تعالى: ﴿ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ﴾ الآية، وقوله تعالى مخبراً عنهم ههنا: ﴿ ولئن جاء نصر من وبك ليقولن إنا كنا معكم ﴾، ثم قال الله تعالى: ﴿ أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾ أي أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنه ضمائرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة ؟ وقوله تعالى: ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء، ليتميز من يطبع الله في الضراء والسراء، ومن يطبعه ويعلمن النه أغاركم ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ وَامَنُواْ ٱلَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَائِكُمْ وَمَاهُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَائِلَهُم مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ

لَكَنذِبُونَ ١٠ وَلَيَحْمِلُنَّ أَتْقَالُهُمْ وَأَتْقَالًا مَّعَ أَتْقَالِمِمْ وَلَيْسْعَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٠

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾ أي آثامكم إن كانت لكم آثام، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك في رقبتي، قال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ﴾ أي فيا قالوه إنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم. فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، قال الله تعالى: ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾، وقال تعالى: ﴿ ولا يسأل حميم حميا يبصرونهم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وليحملن أثقالم وأثقالاً مع أثقالم ﴾ أخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزاراً أخر،

⁽١) فتحوا فمها بعود .

⁽٢) أخرجه الترمذي في باب التفسير في قصة (سعد بن أبي وقاص) مع أمه، ورواه أيضاً مسلم والإمام أحمد وأبو داود والنسائي .

بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً، كما قال تعالى: ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ الآية، وفي الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً »، وفي الصحيح: «ما قتلت نفس ظلماً الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل ». وقوله تعالى: ﴿ وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ أي يكذبون ويختلقون من البهتان .

وفي الحديث: «إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول: وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ثم ينادي مناد فيقول: أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال، فيشخص الناس أبصارهم، حتى يقوم بين يدي الرحمن عزَّ وجلَّ، ثم يأمر المنادي، فينادي من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهلم، فيقبلون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمن، فيقول الرحمن: اقضوا عن عبدي، فيقولون: كيف نقضي عنه ؟ فيقول: خلوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخلون منها حتى لا يبقى منها حسنة، وقد بتي من أصحاب الظلامات، فيقول: اقضوا عن عبدي، فيقولون: لم يبق له حسنة. فيقول: خلوا من سيئاتهم فاحملوها عليه » ثم نزع عليه بهذه الآية الكريمة: ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون كه (١) وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه: « إن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، وقد ظلم هذا وأخذ من سيئاتهم مال هذا، وأخذ من عرض هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا لم تبتى له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ».

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ـ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّالَةُ اللَّالِلْمُ اللَّا اللَّاللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّالَةُ

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله على ، يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة، يدعوهم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فراراً، وما آمن معه منهم إلا قليل، ولهذا قال تعالى: ﴿ فلبث فيهم الله سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ أي بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار، فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم، فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك، ويذل عدوك ويكتبهم ويجعلهم أسفل السافلين. عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا، وقوله تعالى: ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة ﴾ خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا، وقوله تعالى: ﴿ وجعلناها آية للعالمين ﴾ أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام، وقد تقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته، وقوله تعالى: ﴿ وجعلناها آية للعالمين و وجعلنا المنفينة باقية؛ إما عينها - كما قال قتادة - إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان، كما قال تعالى: ﴿ وآية لم أنا حملنا ذربتهم نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان، كما قال تعالى: ﴿ وآية لم أنا حملنا ذربتهم

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي أمامة مرفوعاً .

في الفلك المشحون﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَا لِمَا طَغَى المَاءَ حَمَلُنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةَ » لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾، وقال ههنا: ﴿ فَأَنجينَاه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ .

وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ آعُبُدُواْ اللّهَ وَا تَقُوهُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ إِنْكَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ إِنْكَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ إِنْكَنتُمْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَا بْتَغُواْ عِندَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَقَا فَا بْتَغُواْ عِندَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ مِنْ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

وَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَلِقَآبِهِ } أَوْلَنَهِكَ يَهِمُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأَوْلَنَهِكَ هَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبُّ

يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه السلام، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قدادر على إعادته، فإنه سهل عليه يسير لديه، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله

⁽١) وبه قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الأظهر .

الأشياء: السهاوات وما فيها من الكواكب النيرة، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبراري وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حلوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول للشيء كن فيكون، ولهذا قال: ﴿ أولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعبده إن ذلك على الله يسير ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعبده وهو أهون عليه ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ﴾ أي يوم القيامة ، ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ ، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿ من القاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويرحم ما يريد، فله الخلق والأمر لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة ، كما جاء في الحديث: ﴿ إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم أن معجزين في الأرض ولا في السماء ﴾ أي لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه ، بل هو القاهر فوق عبده ، وكفوا الله من دون الله من دول الله من يها على المعبود أحد من أهل صماواته وأرضه ، بل هو القاهر فوق كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ أي جحدوها وكفروا بالمعاد ، ﴿ أولئك يشوا من رحمتي ﴾ أي لا نصيب لهم فيها ، كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ أي موجع شديد في الدنيا والآخرة .

فَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَن قَالُواْ اَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَنتِ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ ﴿
وَقَالَ إِنَّمَا اَتَّحَذَتُمُ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَلَثُ مَودَةً بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فَمَ يَوْمَ الْقِيْمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضِ
وَقَالَ إِنَّمَا الْحَدُدُ بَعْضًا وَمَأْوَلَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِن نَّاصِرِينَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحق بالباطل، إنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان ﴿ إِلا أَن قالوا اقتلوه أو حرقوه ﴾، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم، ﴿ فقالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾ وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، ثم أضرموا فيها النار، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وخرج منها سالماً بعدما مكث فيها أياماً، ومذا وأمثاله جعله الله المناس إماماً، فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان، وقوله تعالى: ﴿ فأنجاه الله من النار ﴾ أي سلمه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً، ﴿ إِن في ذلك لاّيات لقوم يؤمنون ه وقال إنما انخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ﴾، يقول لقومه مقرعاً لم وموبخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان، إنما انخذتم هذه لتجتمعوا على عباداتها في الدنيا صداقة وألفة منكم وموبخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان، إنما انخذتم هذه لتجتمعوا على عباداتها في الدنيا صداقة وألفة منكم وموبخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان، إنما الصداقة والمودة بغضاً وشنآناً، ثم ﴿ يكفر بعضكم ببعض ﴾

⁽١) أخرجه أصحاب السنن .

أي تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿ ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ أي يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾، وقال تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾، وقال ههنا: ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعضكم بعضكم بعضكم بعضكم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله .

* فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِي مُهَاجِرً إِلَى رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ وَإِنَّهُ إِنَّهُ وَجَعَلْنَا فِي وَوَهَبْنَا لَهُ وَإِنَّهُ وَعَالَمَا فَي وَعَلَمَا الْعَرْمَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ وَعَالَمَا الْعَرْمَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ وَالْعَرْمَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ الْمَالِمِينَ الْمُ

يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم أنه آمن له (لوط) يقال: إنه ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هاران بن آزر، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسل في حياة البخليل إلى أهل سدوم وإقليمها، وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي، وقوله تعالى: ﴿ وقال إلى مهاجر إلى ربي ﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿ وقال ﴾ على (لوط) لأنه هو أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى (إبراهيم) وهو المكنى عنه بقوله: ﴿ فآمن له لوط ﴾ أي من قومه، ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك، ولهذا قال: ﴿ إنه هو العزيز الحكيم ﴾ أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله، وقال قتادة: هاجرا جميعاً من كوفى وهي من سواد الكوفة إلى الشام، روى الإمام أحمد عن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة (يزيد بن معاوية) علمت الشام، فأخبرت بمقام يقومه (نوف البكالي) فجئته إذ جاء رجل، فانتبذ الناس وعليه خميصة، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما رآه نوف أمسك عن الحديث، فقال عبد الله: سمعت رسول الله يقول: وإنها ستكون هجرة بهده هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، فتلفظهم ارضهم تقذرهم نفس الرحمن، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، فتبيت معهم إذا باتوا وتقبل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف منهم ه. قال: وسمعت رسول الله على يقول: وسيخرج أناس من أمني من قبل المشرق، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قطع ، كلما خرج قرن قطع – حتى عدها زيادة على عشرين مرة – القرق يخرج الدجال في بقيتهم هالا .

وقوله تعالى: ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ ، كقوله: ﴿ فلما اعتزلم وما يعبلون من دون الله ، وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ﴾ أي لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي ، وولد له ولد صالح نبي في حياة جده ، وكذلك قال تعالى: ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ أي زيادة ، كما قال تعالى: ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقر به أعينكما، فأما ما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ قال: هما ولدا إبراهيم ، فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد، فإن هذا الأمر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس ، وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلاً وجعله للناس إماماً أن جعل في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبي بعد

⁽١) أخرجه الإمام أحمد، ورواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد .

إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) حتى كان آخرهم عيسى بن مريم، فقام مبشراً بالنبي العربي سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء، من سلالة (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام، وقوله: ﴿ وَآتِناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ أي جمع الله بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني والمنزل الرحب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن وكل أحد يحبه ويتولاه، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال تعالى: ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ وأتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ وأن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين – إلى قوله – وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾، وكما وتُقطعُونَ السِّبِيلَ وَتَأْتُونَ أَلْفُلِحشَةً مَاسَبَقَكُم بَهَا مِنْ أُحَدِم إلا أَنْ قَالُواْ أَثَقَنَا يَعَدَابِ الله إلى الله إلى المنيل وَتَأْتُونَ أَلْفُلُواْ الْفُلُواْ أَثَقِنَا يَعَدَابِ الله إلى الله إلى المناد في الديبيل وَتَأْتُونَ أَلْفُلُواْ أَثَقَنَا يَعَدَابِ الله إلى الله إلى المناد في السَّبِيلُ وَتَأْتُونَ أَلْفُلُواْ أَنْفُلُواْ أَثَقَنَا يَعَدَابِ الله إلى الله الله وكما كُنتَ مِنَ الصَّدِينَ فِي قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الله المناد في المناد في المناد في المناد الله الله الله المناد في الديناد إلى قوله – وإنه المناد المناد إلى المناد

يقول تعالى مخبراً عن نبيه (لوط) عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتباعهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، هو وتأتون في ناديكم المنكر كه أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، فن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضاً في الملاً قاله مجاهد، ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون، روى الإمام أحمد عن أم هانيء قالت: سألت رسول الله عليه عن قوله تعالى هو وتأتون في ناديكم المنكر كي قال: « يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه »(١). وعن مجاهد هو وتأتون في ناديكم المنكر كي قال: الصفير ولعب الحمام وحل أزرار القباء، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَان جواب قومه إلا أن قال اثننا بعذاب الله إن كنت من الصادقين كي وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم، ولهذا استنصر عليهم ني الله فقال: هو رب انصرني على القوم المفسدين كي وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم، ولهذا استنصر عليهم ني الله فقال: هو رب انصرني على القوم المفسدين كي .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَهِمِمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهَلِكُوٓاْ أَهْلِ هَاذِهِ الْقَرْيَةِ ۚ إِنَّ أَهْلَهَ ۚ كَانُوْ ظَالِمِينَ ﴿ قَالَ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَاذِهِ الْقَرْيَةِ ۚ إِنَّا أَهْلَهَ ۚ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿ وَلَمَّا أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بَهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَحَفْ وَلَا تَحْزَنُّ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَا آمْرَا تَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بَهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَحَفْ وَلَا تَحْزَنُّ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَا آمْرَا تُلَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ

⁽١) أخرجه أحمد ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم .

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَنذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿ وَلَقَد تَرَكَا مِنْهَا عَايَةٌ بَيِّنَةٌ لَوَا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَندِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿ وَلَقَد تَرَكَا مَنْهَا عَايَةٌ بَيِّنَةٌ لَوَى اللَّهُ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّلْمُ الللَّا اللَّاللَّاللَّا اللَّا اللَّالِمُ الللللَّا الللَّاللَّا اللَّلْمُاللَّا الللل

لما استنصر (لوط) عليه السلام باقة عزَّ وجلَّ عليهم بعث الله لنصرته ملائكة، فروا على (إبراهم) عليه السلام في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى إبراهم أنه لا همة لمم إلى الطعام نكرهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة، وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك، كما تقدم بيانه في سورة هود والحجر، فلما جاءت إبراهم بالبشرى وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع لعلهم ينظرون؛ لمل الله أن يهديهم، ولما قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية في قال إن فيها لوطاً، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين فه أي من الهالكين لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم، ثم ساروا من عنده فلخلوا على (لوط) في صورة شبان حسان، فلما رآهم كذلك في ميء بهم وضاق بهم ذرعاً فه أي اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه، وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم، ولم يعلم بأمرهم إلا في الساعة الراهنة في قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين و إنا متزلون بأمرهم إلا في الساعة الراهنة في قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين و إنا متزلون بأمرهم إلا في الساء أم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، وجعل الله مكانها بعجرة خيئة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد، ولهذا قال تعالى: في وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل بحران منها آية بينة كه أي واضحة في لقوم يعقلون كه، كما قال تعالى: في وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعلون كه ؟

وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنقَوْمِ اغْبُدُواْ اللَّهَ وَارْجُواْ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿
فَكَذَّابُوهُ فَأَخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَائِيمِينَ ﴿

يخبر تعالى عن عبده ورسوله (شعيب) عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة، فقال: ﴿ يَا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ قال ابن جرير: معناه واخشوا اليوم الآخر ، كقوله تعالى: ﴿ لن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ ، وقوله: ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم، وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقوله : هستمرها في دارهم جائمين ﴾ قال قتادة: ميتين، وقال غيره: قد ألقي بعضهم على بعض .

* وَعَادًا وَتَمُودَاْ وَقَد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِن مَّسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَمُهُمُ الشَّيطَنُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُواْ

مُسْتَبْصِرِينَ ﴿ وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَلَمَنْ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَلْبَقِينَ ﴿ وَهَا مَا لَا رَضِ وَمَا كَانُواْ عَلَيْهِ مَا مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَعْرَفْنَا فِي الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَعْرَفْنَا وَلَا لِمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنْهُ سَهُمْ يَظْلِمُونَ وَيَ

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم؛ وأخذهم بالانتقام منهم، فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون (الأحقاف) وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن، وثمود قوم صالح كانوا يسكنون (الحجر) قريباً من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً وتمر عليها كثيراً، وقارون صاحب الأموال الجزيلة والكنوز الثقيلة، وفرعون ووزيره (هامان) القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله عليه فكلاً أخذنا بذنبه أي كانت عقوبته بما يناسبه في فنهم من أرسلنا عليه حاصباً في وهم عاد، وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة ؟ فجاءتهم ربح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب، تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم، وتقتلمهم من الأرض إلى عنان الساء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نحل منهم من الأرض إلى عنان الساء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نحل منهم من الأرض إلى عنان الساء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا الدلالة على تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا نبي الله صالحاً ومن آمن معه، وتوعلوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات، في ومنهم من خسفنا به الأرض هوهو قارون الذي طغى وبغى وعتا وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحاً واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، في ومنهم من أغرقنا في هو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر، في وما كان الله ليظلمهم في أي فيا فعل بهم، في ولكن كانوا أنفسهم يظلمون في أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقاً بما كسبت أيديهم.

* مَثَلُ الَّذِينَ الْخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أُولِيَا ۚ كَمْثِلِ الْعَنكُبُوتِ الْخَذَتَ بَيْنَا وَ إِنَّ أُوهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكُبُوتِ لَيْنَا وَإِنَّ أُوهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكُبُوتِ لَكُونُ مِن دُونِهِ عِن شَيْءٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّاللَّالَّلَا اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ ا

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَلِمُونَ ﴿

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها، ثم قال تعالى متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم، ثم قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا

العالمون ﴾ أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه. عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَتَلَكُ الْأَمْثَالُ نَصْرِبُهَا لَلنَاسُ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (١)

خَلَقَ اللّهُ السَّمَنوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَتَّى ۚ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ اللّهُ الْتُم الصَّلَوَةَ ۚ إِنَّ الصَّلَوَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكِرِ ۖ وَلَذِكُو اللّهِ أَكْبَرُ ۖ وَاللّهُ يَعْلُمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴿ إِنَّ الْمُعَالَمُ عَلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴿ إِنَّ الْمُعَالَمُ عَلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴿ إِنَّهُ لِللّهِ اللّهِ الْحَبْرُ ۖ وَاللّهُ يَعْلُمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴿ إِنَّ الْمُعَالَمُ عَلَمُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْحَبْرُ ۗ وَاللّهُ يَعْلُمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴿ إِلَيْهِ الْعَلَامُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ اللّهُ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ اللّهُ اللّهُ إِلَّهُ إِلَيْهِ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْ

يقول تعلى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه خلق السهاوات والأرض بالحق، يعني لا على وجه العبث واللعب في لتجزى كل نفس بما تسعى في، ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى في، وقوله تعلى: ﴿ إِن فِي ذلك لآية للمؤمنين في أي لدلالة واضحة على أنه تعلى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية، ثم قال تعلى آمراً رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وإبلاغه للناس، ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر في يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس مرفوعاً: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً » .

(ذكر الآثار الواردة في ذلك)

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الطبراني بنحوه .

⁽٣) أخرجه البزار والإمام أحمد في مسنده .

⁽٤) وهو قول مجاهد وبه قال غير واحد من السلف.

عباس: هل تدري ما قوله تعالى: ﴿ وَلَذَكُرُ اللهُ أَكْبُرُ ﴾ ؟ قال، قلت: نعم، قال: فما هو ؟ قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجيباً وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، واختاره ابن جرير .

وَلَا تُجَدِيلُواْ أَهْلَ الْكِنْدِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمُ وَقُولُواْ وَامَنَا بِالَّذِي أَنزِلَ إِلَيْنَا وَالْهُمُ الْكِنْدِ إِلَا إِلَيْنَا وَالْهُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿

قال تتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف، وقال آخرون: بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ الآية. وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلْمُوا مَنْهُم ﴾ أي حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينتذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يمنعهم ويردعهم، قال جابر: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف، قال مجاهد: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظُلْمُوا مَنْهُم ﴾ يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية، وقوله تعالى: ﴿ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ يعني إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنَّه قد يكون حقاً ولا تصديقه فلعله أن يكُون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً بجملاً، أخرج البخاريرحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تَصْدَقُوا أَهْلِ الْكَتَابِ وَلَا تَكَذِّبُوهُمْ ﴿ وَقُولُوا آمَنَا بِاللَّذِي أَنزِل إلينا وَأَنزِل إليكم، وإلَّهمَا وإلهكم واحد ونحن له مسلمونكه . وروى ابن جرير عن (عبد الله بن مسعود) قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال، وروى البخاري عن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث، تقرأونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. وحدَّث معاوية رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب(١)

وَكَذَالِكَ أَنزَلْنَ ۚ إِلَيْهَ كَ ٱلْكِتَنبُّ فَالَّذِينَ ءَاتَلْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمِنْ هَنَوُلآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا كَذَالِكَ أَنزَلْنَ ۚ إِنَّا الْمُعْلِلُونَ يَجْعَدُ بِعَا يَنتِنَا إِلَّا ٱلْمُعْلِلُونَ اللَّهُ وَمَا كُنتَ لَنْلُواْ مِن قَبْلِهِ عِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُ ۚ إِذَا لَا رَتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ يَجْعَدُ بِعَا يَنتِنَا إِلَّا ٱلْمُنْظِلُونَ

⁽١) أخرجه البخاري موقوفاً على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال ابن كثير : معناه أنه يقع منه الكذب من غير قصد، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن الظن فيها وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة .

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَنُتُ بَيِّنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمُ وَمَا يَجْحَدُ بِعَايَلَتِنَا ٓ إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿

يقول الله تعالى: ﴿ فَالذَينَ آتيناهُم الكتاب يؤمنون به ﴾ أي الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته، من أحبارهم العلماء الأذكياء وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ مِن العلماء الأذكياء كَ (عبد الله بن سلام) و (سلمان الفارسي) وأشباههما، وقوله تعالى: ﴿ ومن هؤلاء من يؤمن به ﴾ يعني العرب من قريش وغيرهم، ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾ أي ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل، ثم قال تعالى: ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول الذي الأمي الذي يجلونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المذكر ﴾ الآية، وهكذا كان رسول الذي يجلونه مكتوباً على يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم، وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت على حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل الوحي والرسائل إلى الأقاليم، وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت على الذي ﴿ ولا مخطه بيمينك ﴾ تأكيد أيضاً وخرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لارتاب المبطلون﴾ أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء، وقد قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة، ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾، قال الله تعالى: ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السهاوات والأرض ﴾ الآية، وقال ههنا ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، يحفظه العلماء، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً، كما قال تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ وقال رسول الله يَهِلِيني : ﴿ ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوبيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً »، وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى: ﴿ إِن مبتليك ومبتل بك، ومنزلٌ عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظاناً »، أي لأنه محفوظ في الصدور، ميسر على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظاً ومعنى، ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في صفة هذه الأمة (أناجيلهم في صدورهم)، وقوله تعالى: ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ أي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها ﴿ إلا الظالمون ﴾ أي المعتمون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه، كما قال تعالى: ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

وَقَالُواْ لَوْلَآ أَنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَكٌ مِّن رَبِّهِ عَلَمْ إِنَّمَا ٱلْآيَكُ عِندَ اللّهِ وَ إِنَّمَاۤ أَنَاْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ وَأَلَمُ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِ مَا يَكُوهِمْ أَنَاۤ أَنزَلْنَا عَلَيْكُ الْكِنْ يَاللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًّا عَلَيْكُ الْكِنْ اللّهِ يَاللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًّا يَعْمُ مَا فِي السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَطِلِ وَكَفَرُواْ بِاللّهِ أَوْلَا بِكَ هُمُ الْخُدْسِرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في بتعنتهم، وطلبهم آيات يعنون ترشدهم إلى أن محمداً رسول الله، كما أتى صالح بناقته، قال الله تعالى: ﴿ قَلَ ﴾ يا محمد ﴿ إنَّمَا الآيات عند الله ﴾ أي إنما أمر ذلك إلى الله، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم، لأن هذا سهل عليه يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التعنتُ والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنْعَنَا أَنْ نُرْسُلُ بِالآيَاتُ إِلَّا أَنْ كَذْبُ بها الأولونُ • وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بهاكه، وقوله: ﴿ وَإِنَّا أَنَا نَذَيْرِ مَبِينَ ﴾ أي إنما بعثت نذيراً لكم فعليّ أن أبلغكم رسالة الله تعالى، و﴿ مِن يهد الله فَهو المهتد﴾، ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تلمم على صدق محمد ﷺ فيا جاءهم، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة سورة منه، فقال تعالى: ﴿ أُولُم يَكُفُهُم أَنَا أَنزِلنَا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ ◊ أي أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب، فجنتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي، كما قال تعالى: ﴿ أُولُمْ يَكُنْ لِهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمُهُ عَلَمَاءً بَنِي إسرائيلَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾ وفي الصحيح عنه ﷺ: 3 ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذِّي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة 🕊 . وقد قال الله تعالى: ﴿ إِن في ذلك لرحُمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ أي إن في هذا القرآن ﴿ لرحْمة ﴾ أي بياناً للحق وإزاحة للباطل ﴿ وذكرى ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون، ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ كَفِي بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عُنه بأنه أرسلني، فلو كنتُ كاذباً عليه لانتقم مني، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضِ الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات ﴿ يعلم ما فِي السموات والأرض، أي لا تخفى عليه خافية، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطُلُ وَكَفُرُوا بِاللَّهِ أُولِئْكُ هُمُ الْخَاسُرُونُ ﴾ أي يوم القيامة سيجزيهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا، في تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، فسيجزيهم على ذلك إنه حكيم عليم .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلُّ مُسَمَّى لِحَاءَهُمُ الْعَذَابُّ وَلَيَأْتِينَهُم بَعْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطُةٌ بِٱلْكَنْفِرِينَ ﴿ يَوْمَ يَغْشَلْهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ قَيْ اللَّهِ مَا لَكُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ فَيْ اللَّهِ اللَّهِمَ الْعَذَابُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الل

 ⁽١) أخرج ابن جرير وغيره قال: جاء أناس من المسلمين بكتب كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي عَلَيْكُم : « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم، إلى ما جاء به غيره » فتزلت ﴿ أُولَم يكفهم ... ﴾ . (٢) أخرجه الشيخان والإمام أحمد.

يقول تعالى مخبراً عن جهل المشركين، في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم، وبأس الله أن يحل عليهم الكما تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللهم إِنْ كَانَ هَذَا هُو الْحَقَ مَن عَنْكُ فَأَمْلُ عَلَيْنَا حَجَارَة مَن السّاء أَو اثننا بعذاب أليم ﴾، وقال ههنا: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ﴾ أي لولا ما حتم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريباً سريعاً كما استعجلوه، ثم قال: ﴿ وَلِيأْتِينَهم بغتة ﴾ أي فجأة، ﴿ وهم لا يشعرون و يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لحيطة بالكافرين ﴾ أي يستعجلون العذاب وهو واقع بهم لا محالة، ثم قال عز وجلً: ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾، كقوله تعالى: ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾، وقال تعالى: ﴿ لهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي، وقوله تعالى: ﴿ ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ تهديد وتقريع وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على النفوس، كقوله تعالى: ﴿ يوم يسخبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر و إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾، وقال تعالى: ﴿ يوم يدعّون إلى نار جهنم دعًا و هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

يَنعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ أَرْضِى وَسِعَةً فَإِيَّى فَاعْبُدُونِ ﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَا بِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّنَهُم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَعْرِى مِن تَعْتِهَا اللَّهُ الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجُرُ الْعَلِمِلِينَ ﴿ وَاللَّهِ لِينَ وَاللَّهِ لِللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّ

هذا أهر من الله تعالى لعباده المؤمنين، بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾. عن الزبير بن العوام قال، قال رسول الله عليه : «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثا أصبت خيراً فأقم » و فلذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المتزلين هناك (أصحمة النجاشي) ملك الحبشة رحمه الله تعالى، فآواهم وأيدهم، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله يكي والصحابة الباقون إلى المدينة المطهرة، ثم قال تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ أي أينا كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم، فإن الموت لا بد منه ولا محيد عنه، ثم إلى الله المرجع والمآب، فن كان مطيعاً له جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب، ولهذا قال تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر وحسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا، ﴿ خالدين فيها أي ماكنين فيها أبداً لا يبغون عنها حولا، ﴿ نعم وحسل ولبن، يعمت هذه الغرف أجراً على أعمال المؤمنين ﴿ الذين صبروا ﴾ أي على دينهم وهاجروا إلى الله، والماملين عمت هذه الغرف أجراً على أعمال المؤمنين ﴿ الذين صبروا ﴾ أي على دينهم وهاجروا إلى الله، ونارقوا الأهل والأقرباء، ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده .

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن الزبير بن العوام .

وفي الحديث: وإن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وتابع الصلاة والصيام، وقام بالليل والناس نيام »(١) ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم. ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في ساثر الأقطار والأمصار، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَكَأْيَنَ مَنَ دَابَةً لَا تَحْمَلُ رَزَّقُهَا ﴾ أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئاً لغد، ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ أي الله يقيّض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَن دَابَةً في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: « يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ » قال، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: « لكني أشتهيه وهذا صبح رابعةٍ منذ لم آذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟» قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: ﴿ وَكَأْيِن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله عزَّ وجلَّ لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كَنز دنياه يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد ٣٠ ، وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا ٣٠٥. وقوله: ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوال عباده ﴿ العليم ﴾ بحركاتهم وسكناتهم . وَلَهِن سَأَنْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَنوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَغَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأَنَّى يُوْفَكُونَ ﴿ إِنَّ اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَيَقْدِرُ لَهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّن تَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءَ مَا ٓ ۚ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١

يقول تعالى مقرراً أنه لا إلّه إلا هو ، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السهاوات والأرض، والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الحالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم وأرزاقهم فتفاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في مادته، وكثيراً ما يقرر تعالى «مقام الإلهية» بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً .

⁽٢) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم وفي إسناده ضعف كذا قال ابن كثير .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد، ورواه البيهتي عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (سافروا تصحوا وتغنموا) .

المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. وَمَا هَذِهِ الْخَيْوَةُ اللَّهُ اللّ

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب هو وإن الدار الآخرة لهي الحيوان في أي الحياة الدائمة، الحق الذي لا زوال له ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله تعالى: ﴿ لو كانوا يعلمون في أي لآثروا ما يبقى على ما يفنى. ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فلا يكون هدام منهم دائماً ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين في كقوله تعالى: ﴿ وإذا مسكم الفر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم في الآبة. وقال ههنا: ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون في وقد ذكر محمد بن إسحاق عن (عكرمة بن أبي جهل) أنه لما فتح رسول الله عليها أي مكة، ذهب فاراً منها، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة، فقال أهلها: يا قوم أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجي ههنا إلا هو، فقال عكرمة: والله لئن كان لا ينجي في البحر غيره فإنه لا ينجي في المحدن ذلك ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك، وتقييضه إياهم لذلك لا يقصدون ذلك ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك، وتقييضه إياهم لذلك في لام التعليل، وقد قدمنا تقرير ذلك في قوله: ﴿ ليكون لهم عدواً وحزناً في .

أُوَلَهُ يَرَوْاْأَنَّا جَعَلْنَا حَرِمًا ءَامِنَا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمَّ أَفَالْهِ عِلْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِيْعَمَةِ اللّهِ يَكْفُرُونَ ﴿ وَمَنْ أَظْلُمُ مِمَّنِ الْهُتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْكَذَب بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَنْوَى لِلْكَنْفِرِينَ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَهُمْ سُلِنَا ۚ وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى ممتناً على قريش فيا أحلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن دخله كان آمناً، فهو أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿ لإيلاف قريش ﴾ إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ أي أفكأن شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد، ﴿ بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ فكفروا بنبي الله ورسوله فكذبوه، فقاتلوه، فأخرجوه من بين أظهرهم، ولهذا سلبهم الله تعالى ما كان أنعم

⁽١) في اللباب: أخرج جويبر: أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس، والأعراب أكثر منا، فنزل: ﴿ أُولُمْ يَرُوا أَنَا ...﴾ الآية .

به عليهم، وقتل من قتل منهم ببدر؛ ثم صارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله مكة وأرغم آنافهم وأذل رقابهم، ثم قال تعالى: ﴿ ومن أظلم عمن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه ﴾؟ أي لا أحد أشد عقوبة ممن كذب أشد عقوبة ممن كذب على الله، فقال إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفتر والثاني مكذب، ولهذا قال تعالى: ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾. ثم قال تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ يعني الرسول عَلَيْكُ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة ، وقوله : ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ .

روى ابن أبي حاتم بسنده عن الشعبي قال ، قال عيسى بن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة العنكبوت ، ولله الحمد والمنة]





الّه ﴿ عُلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فِي فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ فِي بِضِع سِنِينَ لِلَهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَلَا يَعْلَمُ وَالْعَرْ يُرَّالَّهِ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَقَوْ الْعَرْ يُرَّالَّهِ مِن فَيْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَقَدَ اللَّهِ مِن قَبْلُ وَمُ وَقَدَ اللَّهِ وَعَدَ اللَّهِ مَن قَبْلُ وَمَ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَلْهِرًا مِنَ الْخَيَوْةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ اللَّهِ وَهُمَ اللَّهُ وَعَدَ اللَّهِ وَالْمَن اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَلْهِرًا مِنَ الْخَيَوْةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ اللَّامِ وَهُمْ عَنِ اللَّهِ مِلْهُ وَاللَّهُ مِن اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ وَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَيْ وَالْمُ اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَعَلَيْ وَاللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللّهُ اللَّهُ وَعَلَيْ وَاللّهُ مُوالِكُنَ أَكُنُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ يَعْلُمُ وَا مُعْمَ اللّهُ اللّهُ وَعَلَيْ فَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ وَعَلَمُ وَاللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُعْلَى اللّهُ وَعَلَيْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّ

نزلت هذه الآيات حين غلب الفرس () على بلاد الشام، وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، فاضطر ملك الروم حتى لجأ إلى القسطنطينية وحوصر فيها مدة طويلة، ثم عادت اللولة لهرقل كما سيأتي. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله عليه الله معلى فقال رسول الله عليه المناسب فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله عليه فقال: « ألا جعلتها إلى دون العشر ؟ » ثم ظهرت الروم بعد، قال فذلك قوله: ﴿ آلم ه غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سبغلبون ﴾ ". (حديث آخو: عن مسروق قال، قال عبد الله: خمس الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سبغلبون ﴾ ". (حديث آخو: عن مسروق قال، قال عبد الله: كانت قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم ". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت قارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم

 ⁽١) آخر ملوك الفرس الذي قتل زمن عثمان بن عفان هو: يزدجر بن شهريار، وهو الذي كتب له النبي عليه يدعوه للإسلام،
 فزق الكتاب، فدعا عليهم النبي عليه أن يمزقوا كل ممزق .

⁽٧) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود موقوفاً .

على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: ﴿ آلم ه غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق، قالوا: هل لك أن نقامرك، فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين فحضت السبع، ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين فذكر ذلك للنبي عَيِّلِيٍّ فقال: « ما بضع سنين عندكم » ؟ قالوا: دون العشر، قال: « اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل » قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى: ﴿ آلم » غلبت الروم – إلى قوله تعالى – وعد الله لا يخلف الدوم عده ﴾ الله وعده كاله .

وقال عكومة: لتي المشركون أصحاب النبي عَلِيْقَة وقالوا: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ آلَم م غلبت الروم في أدنى الأرض – إلى قوله – ينصر من يشاء ﴾ فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا، فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الله الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا عَلِيْقَةٍ، فقام إليه (أبي بن خلف) فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا علو الله، فقال: أناجيك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي عَلِيْقَةٍ فأخبره فقال: «ما هكذا ذكرت إنما البضع طهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي عَلِيْقَةٍ فأخبره فقال: «ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى النسع فزايده في الخطر، ومادّه في الأجل »، فخرج أبو بكر، فلتي أبياً فقال: لعلك ندمت ؟ فقال: لا، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل، فاجعلها ماثة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون.

ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمات، فقوله تعالى: ﴿ آلَم ه غلبت الروم ﴾ قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة، وأما الروم فهم من سلالة العيس بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم بنو الأصفر، وكانوا على دين اليونان، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح بنحو من المثابات من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له (قيصر)، فكان أول من دخل في دين النصارى من الروم (قسطنطين)، وأمه مريم الهيلانية من أرض حرَّان كانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها، وكان قبل ذلك فيلسوفاً، فتابعها، واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس، واختلفوا اختلافاً كثيراً لا ينضبط، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلثاثة وثمانية عشر أسقفاً، فوضعوا لقسطنطين العقيدة، وهي التي يسمونها (الأمانة الكبيرة) وإنما هي الخيانة الحقيرة، ووضعوا له القوانين يعنون كتب الأحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون وعبدوا الصليب، وأحلوا الخنزير، واتخذوا أعياداً أحدثوها، كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من وعبدوا الصليب، وأحلوا الخزير، واتخذوا أعياداً أحدثوها، كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من وعبدوا الصليب، وأحلوا الخزير، واتخذوا أعياداً أحدثوها، كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من وعبدوا الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من

⁽١) أخرجه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم والترمذي قريبًا منه .

البواعيث والشعانين، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم، ثم البتاركة، ثم المطارنة، ثم الأساقفة والقساوسة، ثم الشهامسة؛ وابتدعوا الرهبانية، وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد، وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية، يقال: إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة، وبنى بيت لحم بثلاث محاريب، وبنت أمه القمامة، وهؤلاء هم الملكية، يعنون الذين هم على دين الملك؛ ثم حدثت اليعقوبية أتباع يعقوب الأسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطورا، وهم فرق وطوائف كثيرة، كما قال رسول الله عليه الله عليه المترقوا على اثنتين وسبعين فرقة ». والمغرض أنهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم (هرقل) وكان من عقلاء الرجال، ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غوراً وأقصاهم رأياً، فتملك عليهم في رياسة عظيمة وأبهة كثيرة، فناوأه كسرى ملك الفرس، وكانت عليكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوساً يعبدون النار، فتقدم عن عكرمة أنه قال: بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصائبًا، قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصائبًا، لان نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هنالك، ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع، فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى النسع.

وقوله تعالى: ﴿ نَهُ الأَمْرُ مَنَ قَبَلُ ومَنَ بَعْدُ ﴾ أي من قبل ذلك ومن بعده، ﴿ ويومُّلُدُ يَفْرِح المؤمنون بنصر الله ﴾ أي للروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس، وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثوري والسدي وغيرهم، وقد ورد في الحديث عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا به، وأنزل الله: ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾^(١) ، وقال الآخرون: بل كان نصر الروم على فارس عام الحديبية 🕅 ، والأمر في هذا سهل قريب، إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب في الجملة فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس، كما قال تعالى: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى – إلى قوله – ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾. وقال تعالى ههنا: ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾، عن العلاء بن الزبير الكلابي عن أبيه قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم كل ذلك في خس عشرة سنة⁶⁰. وقوله تعالى: ﴿ وهو العزيز ﴾ أي في انتصاره وانتقامه من أعدائه، ﴿ الرحيم ﴾ بعباده المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ أي هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق، وخبر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه، لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق ويجعل لها العاقبة، ﴿ وَلَكُنَّ أَكْثُرُ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل، وقوله تعالى: ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا

⁽١) أخرجه الترمذي وابن أبي حاتم والبزار .

⁽٢) يروى هذا القول عن عكرمة والزهري وقتادة وغيرهم . (٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قال الحسن البصري: والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كه يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال .

من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كه يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جُهال . أُوَلَمْ يَنَفَحَّكُواْ فِي أَنْفُسِمٍ مَّاخَلَقَ اللَّهُ السَّمَانَ تِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَاۤ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلِ مُسَمَّى وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۞ أُوكَرْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَكَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الْأَرْضَ وَعَمُرُوهَا أَكْثَرَهُمَّا عَمُرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَيْتِ فَاكَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ مُمَّكَانَ عَنْهَآ ٱلَّذِينَ أَسَتَعُواْ ٱلسُّوَأَىٰٓأَن كَلَّهُواْ بِعَايَتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهُزِ مُونَ ﴿ يقول تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده، وأنه لا إلّه غيره ولا رب سواه، ﴿ أُولَم يتفكروا في أنفسهم ﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء، من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَثَيْرًا مَنَ النَاسُ بِلقَاءَ رَبِّهِمُ لَكَافِرُونَ ﴾، ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات، من إهلاك من كفر بهم، ونجاة من صدقهم، فقال تعالى: ﴿ أُولَمْ يَسْيَرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أي بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين، ولهذا قال: ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ أي كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعماراً طوالاً فعمروها أكثر منكم. واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقى، ولا حالتَ أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال، ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث كذبوا بآيات الله واستهزأوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمْ كَانَ عَاقبَةَ الذِّينَ أَساءُوا السوأى

ٱللَّهُ يَبْدَوُا ٱلْحَالَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿ وَلَا يَكُن لَّمُ مِن شَرَكَا يَهِمْ شُفَعَنَوُا وَكَانُواْ بِشُرَكَا يَهِمْ كَنْفِرِينَ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَ لِذِي يَتَفَرَّقُونَ ﴿ فَأَمَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَكَنَّهُواْ وَكَذَبُواْ بِعَايَمَتِنَا وَلِقَاتِي ٱلْآخِرَةِ فَأُولَا لِكَ

أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾، كما قال تعالى: ﴿ ونقلب أفتدَّتُهُمْ وأبصارهُم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾، وقال تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ أي كانت السوأى عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا

فِي ٱلْعَلْدَابِ مُعْضَرُونَ ٢

يقول تعالى: ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، ثم قال: ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون، وقال مجاهد: يفتضح المجرمون، وفي رواية يكتئب المجرمون، ﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم، ثم قال تعالى: ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾ قال قتادة: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها، يعني أنه إذا رفع هذا إلى علين وخفض هذا إلى أسفل سافلين، فذلك آخر العهد بينهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾ قال مجاهد وقتادة: ينعمون .

* فَسُبَحُنُ اللهِ حِينَ ثُمُّسُونَ وَحِينَ تُصَيِحُونَ فَيْ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمُونَ وَالْأَرْضِ وَعَشِياً وَحِينَ تُظْهِرُونَ فَي يُحْرِجُ الْخَيقِ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعَدَ مَوْتِها وَكَذَلِكَ تُحْرَجُونَ فَي هَذَه الْوَقَاتِ المَتَعاقِبَه، الدالة على كمال قلاته وعظيم سلطانه، عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه، ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد، فقال تعالى: ﴿ وله الحمد في السموات والأرض ﴾ أي هو المحمود على ما خلق في السهاوات والأرض، ثم قال تعالى: ﴿ وعشياً وحين تظهرون ﴾ فالعشاء هو شدة الظلام والإظهار هو قوة الفياء، كما قال تعالى: ﴿ والنهار إذا جلاها و والليل إذا يغشاها ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ والنهار إذا بخلاها و والليل إذا يغشاها ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى و والنهار أو المحمد في الحديث: ﴿ وَالله أَخْبِرُكُم لَم الله إلى الله و الله أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفي ، لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أسبى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون من الحيا هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة ، فإنه يذكر خلقه الأشياء وأضدادها ليدل على من الحي هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة ، فإنه يذكر خلقه الأشياء وأضدادها ليدل على المين من الدجاج ، والدجاج من البيض من الدجاج ، والدجاج من البيض من الدجاج ، والدجاج من البيض المن ذلك إخراج النبات من الحب ، والحب من النبات ، والميض من الدجاج ، والدجاج من البيض عمل ذلك إخراج النبات من الحب ، والحب من النبات ، والميض من الدجاج ، والدجاج من البيض عمل من ذلك إخراج النبات من الحب ، والكون ها ، وقال تعالى: ﴿ ويوري المرض هامدة فإذا أزلنا عليا الماء اهترت وربت وأنبت من كل زوج بهيج ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ ويحدي الأرض المية أحديث من كل زوج بهيج ﴾ ، ولهذا قال : في وكذلك تخرجون كل من المدة وأنه من المدة والمدالك تخرجون كل من المدار من ا

ا عَلَيْهِ وَمِنْ وَايَتِهِ إِنَّ خَلَقَكُم مِن تُرَابِ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ مُنتَشِرُونَ ﴿ وَمِنْ وَايَتِهِ وَأَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ

أَزْوَا ﴾ لِيَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَنِ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ٢

يقول تعالى: ﴿ وَمِن آياتِه ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته، أنه خلق أباكم آدم من تراب، ﴿ ثم إذا أنتم

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

بشر تنتشرون في فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظاماً، شكله على شكل الإنسان ثم كسا الله تلك العظام لحماً، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته، حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويدور أقطار الأرض، ويكتسب، ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾. عن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول الله على إذ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ﴾. وقوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون وبين ذلك ها المنسكوا إليها ﴾، كما قال تعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها كه يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً، وجعل إليها كه يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً، وجعل تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غيرهم، إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن ﴿ ومودة ﴾ وهي الحيد ورحمة كه وهي الرأقة ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

وَمِنْ وَايَنْتِهِ ، خَلْقُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنْتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّا فِي ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿

وَمِنْ وَايَنتِهِ ۚ مَنَامُكُمُ بِآلَيْلِ وَآلَتُهَارِ وَآبَتِغَآؤُكُم مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَنتِ لِقَوْمِ يَسْمَعُونَ ﴿

يقول تعالى: ﴿ وَمِن آياته ﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ أي خلق الساوات في النفاضها ارتفاعها واتساعها، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها، ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في الخفاضها وكثافتها، وما فيها من جبال وأودية، وبحار وقفار وحيوان وأشجار، وقوله تعالى: ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء فرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك ثما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم، وهي حلاهم فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل. كل وجه منهم أسلوب بذاته ، وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿ إن في أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿ إن في النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة، وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أي يعون، روى الطبراني في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أي يعون، روى الطبراني

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وقال الترمذي: حسن صحيح .

يقول تعالى: ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿ يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، وصواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي به من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ وينزل من السهاء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ﴾ أي بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء ﴿ اهتزت وربت وأنبقت من كل زوج بهيج ﴾، وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة، ولهذا قال: ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ ومن آياته أن تقوم السهاء والأرض بأمره ﴾، كقوله تعالى: ﴿ ويمسك السهاء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾، وقوله: ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي تقوم السهاء والأرض بأمره، أي هي قائمة ثابته بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسهاوات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء، بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ أي من الأرض، كما قال تعالى: ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾، وقال تعالى: أي من الأرض، كما قال تعالى: ﴿ والمنه أي الساهرة ﴾ .

وَلَهُ مِن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلُّ لَهُ وَكُنِتُونَ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَوُا ٱلْخَالَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ

ٱلْأُعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَاوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿

يقول تعالى: ﴿ وله من في السموات والأرض ﴾ أي ملكه وعبيده ﴿ كل له قانتون ﴾ أي خاضعون خاشعون طوعاً وكرها، وقوله: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، قال ابن عباس: يعني أيسر عليه، وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه : « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد على السواء، وقال العوفي عن ابن عباس: كل عليه هين، وقوله: ﴿ وله المثل الأعلى في السموات

⁽١) أخرجه الطبراني عن زيد بن ثابت .

⁽٢) أخرجه البخاري وأحمد .

والأرض ﴾، قال ابن عباس: كقوله تعالى: ﴿ لِيس كمثله شي= ﴾ وقال قتادة: مثله أنه لا إلّه إلا هو ولا رب غيره، قوله : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقـــدرته وسلطانه ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله، وعن مالك في قوله تعالى ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ قال: لا إلّه إلا الله .

* ضَرَبَلَكُم مَثَلَامِنَ أَنفُسِكُمُ هَلَ لَكُم مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُم مِن شُرَكَا ۚ فِي مَارَزَقَنْكُم فَائَمُ فِيهِ سَوَآءُ تَخَافُونَهُمْ يَحْبَفَتِكُمْ أَنفُسُكُمْ كَذَاكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ بَلِ ٱتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ عَلَمُ فَيَادُونَ ۞ فَن يَبْدِى مَنْ أَضَلَ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِن نَّاصِرِينَ ۞

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين، العابدين معه غيره، وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له، كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾ اي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ﴿ هل لكم بما ملكت أيمانكم من شركاء فيا رزقناكم فأنتم فيه سواء ﴾ أي أيرضي أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله فهو وهو فيه على السواء ؟ ﴿ تحافرنه من أنفسكم ﴾ أي تحافون أن يقاسموكم الأموال، قال أبو مجلز: إن مملوكك لا تحاف أن يقاسمك مالك وليس كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي تحافون أن يقاسموكم الأموال، قال أبو مجلز: إن مملوكك لا تحاف أن يقاسمك مالك وليس كقوله تعالى: ﴿ ويجعلون لله ما لأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿ ويجعلون لله ما لا يرضونه لأنفسهم، فهذا أغلظ الكفر، وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبي يرتضونه لأنفسهم، فهذا أغلظ الكفر، وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبي غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة، من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأحرى، قال تعالى: ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾، ثم قال تعالى مبيناً أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهاً من قال تعالى: ﴿ كذلك الله كا الذين ظلموا ﴾ أي المشركين إنما عبدوا غيره سفهاً من أنفسهم وجهلاً: ﴿ بل اتبع الذين ظلموا ﴾ أي المشركون ﴿ أهواءهم ﴾ أي في عبادتهم الأنداد بغير علم، ﴿ فَن الله منفر ولا عبي من أضل الله ﴾ ؟ أي فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم، ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي ليس لهم من أقد ولا عبي

يقول تعالى: فسدُّدْ وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية، ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، ولازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إلّه غيره. وقوله تعالى: ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ وهو معنى حسن صحيح، وقال آخرون هو خبر على بابه، ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة، ولا تفاوت بين الناس في ذلك، ولهذا قال ابن عباس ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي لدين الله، وقال رسول الله على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول: ﴿ فطرة الله الله يَ فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ ألى وروى الإمام من جدعاء ، ثم يقول: ﴿ فطرة الله الله على الفرا وغزوت معه، فأصبت ظفراً. فقاتل الناس يومئذ حتى أحمد عن الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله على الفوا جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ، ؟ فقال رجل: يا رسول الله أما هم أبناء المشركين ؟ فقال: ﴿ لا إنما خياركم أبناء المشركين، ثم قال: لا تقتلوا ذرية، لا تقتلوا ذرية، لا تقتلوا ذرية، لا تقتلوا ذرية، لا تقتلوا أو ينصرانها ، أو ينصرانها ، وعن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما كفوراً وإما كفوراً وإما كفوراً ، ألى .

وروى الإمام أحمد عن عياض بن حمار: أن رسول الله على خطب ذات يوم فقال في خطبته: «إن ربي عزّ وجلّ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، ثم إن الله عزّ وجلّ نظر إلى أهل الأرض فقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: رب إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. قال: وأهل الجنة ثلاثة: فو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحم رقيق القلب لكل ذي قربي ومسلم، ورجل عفيف متعفف ذو عيال. قال: وأهل اللنار خمسة: الضعيف الذي لا زُبْر لله، الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع – وإن دق – إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» اوذكر البخيل والكذاب والشنظير ش الفحاش. وقوله تعالى: ﴿ ذلك الدين القيم كه أي النمسك بالشريعة والفطرة وذكر البخيل والكذاب والشنظير ش الفحاش. وقوله تعالى: ﴿ ذلك الدين القيم كه أي النمسك بالشريعة والفطرة كما قال تعالى: ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله كه الآية .

⁽١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ورواه أيضاً مسلم .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في كتاب السير .

⁽٣) أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله مرفوعاً .

⁽٤) لا زَبْر : بكسر الزاي وفتحها : أي لا عقل له . ﴿ ﴿ وَ أَخْرَجُهُ أَحْمَدُ وَمَعْنَى الشَّنْظِيرِ : السيء الخلق : البذيء اللسان .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنِينِ إلِيه ﴾ قال ابن جريج: أي راجعين إليه ﴿ واتقوه ﴾ أي خافوه وراقبوه ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ وهي الطاعة العظيمة ﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾ أي بل كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه، قال ابن جرير: مر عمر رضي الله عنه عماذ بن جبل، فقال عمر: ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص، وهي الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر صدقت. وقوله تعالى: ﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ كاليهود والنصارى والمجوس وعدة الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ﴾ الآية، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيا بينهم على آراء باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيا بينهم على آراء باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيا بينهم على نصل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة المتمكون بكتاب الله وسنة رسول الله على أن على الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه: سئل رسول الله على عن الفرقة الناجية منهم قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

وَإِذَا مَسَ النَّاسَ ضُرُّ دَعَوْا رَبَّهُم مُنيسِينَ إِلَيْهِ مُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِينَ مِنْهُم بِرَيْهِم يُشْرِكُونَ ﴿
لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَنَهُمْ فَنَمَتَعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ أَمْ أَنَوْلَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنَا فَهُو يَتَكَلَّمُ بِمَ كَانُواْ بِهِ عَيْمُ لُونَ ﴿ أَمْ أَنَوْلَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنَا فَهُو يَتَكَلَّمُ بِمَ كَانُواْ بِهِ عَيْمُ لُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ ﴿ يَشَرِكُونَ ﴿ وَإِذَا أَذَقَنَا لَنَاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهِم أَ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتُ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ فَشُركُونَ ﴿ يَا لَهُ مَا يَقَدُورُ يَقُومُ لَنَا اللّهُ لَا يَدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ أَوَلَا يَرُواْ أَنَّ اللّهُ يَبْسُطُ الزِزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَاكِ لَا يَئِتِ لِقَوْمِ يُقَوْمِ يُوْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم يشركون بالله ويعبدون معه غيره، وقوله تعالى: ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ هي لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين، ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك، ثم توعدهم بقوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ قال بعضهم: والله لو توعدني حارس لخفت منه، فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون؛ ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيا اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان: ﴿ أَم أَنزلنا عليهم سلطاناً ﴾ أي حجة، ﴿ فهو يتكلم ﴾ أي ينطق ﴿ بما كانوا به يشركون ﴾ ؟ وهذا استفهام إنكار، أي لم يكن لهم شيء من ذلك، ثم قال تعالى: ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾، هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر، وإذا أصابته شدة قنط وأيس، قال تعالى: ﴿ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴾ أي صبروا في الضراء وعملوا الصالحات أي الرخاء، كما ثبت في الصحيح: « عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته اسراء شكر فكان خيراً له، وأوله تعالى: ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »، وقوله تعالى: ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر ﴾ أي هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين، ﴿ إِن فِي ذَلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

فَعَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَآبَنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَيْكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَآ ءَا تَيْتُمُ مِّن زَكَوْ وَ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَنَهِكَ هُمُ وَمَآ ءَا تَيْتُمُ مِّن زَكَوْ وَ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَنَهِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ رَبَى اللهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم لَمُ اللهُ مَن يَفْعَلُ مِن ذَالِكُم مِن اللهُ عَلْ مِن شُرَكَآ يَامُ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَالِكُم مِن اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ مِن اللهُ مَن اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهُ ا

يقول تعالى آمراً بإعطاء ﴿ ذا القربــى حقه ﴾ أي من البر والصلة، ﴿ والمسكين ﴾ وهو الذي لا شيء له ينفق عليه أو له شيء لا يقوم بكفايته، ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى، ﴿ وأُولئك هم المفلحون﴾ أي في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ﴾ أي من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله، بهذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك، وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه، إلا أنه قد نهي عنه بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمَنَ تَسْتَكُثُرُ ﴾ أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه، قال تعالى: ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح: « وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب، إلا أخذها الرحمن بيمينهُ فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى تصير التمرة أعظم من أُحُدٍ»، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ﴾ أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك، والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب. وقوله تعالى: ﴿ ثُم يميتكم ﴾ أي بعد هذه الحياة، ﴿ ثم يحييكم ﴾ أي يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿ هل من شركائكم ﴾ أي الذين تعبدونهم من دون الله ﴿ من يفعل من ذلكم من شيء ﴾ ؟ أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإمانة، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة، ولهذا قال بعد هذا كله ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ أي تعالى وتقدس، وتنزّه وتعاظم عن أن يكون له شريك أو نظير، أو ولد آو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿
ثُلُّ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلْقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبَّلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مَشْرِكِينَ ﴿
ثُلُّ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلْقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبَّلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مَشْرِكِينَ ﴿

قال ابن عباس وعكرمة: المراد بالبر ههنا الفيافي، وبالبحر الأمصار والقرى، وفي رواية عنه: البحر الأمصار والقرى ما كان منها على جانب نهر، وقال آخرون: بل المراد بالبر هو البر المعروف، وبالبحر هو البحر المعروف، وعن مجاهد ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ قال: فساد البر قتل ابن آدم، وفساد البحر أخذ السفينة غصباً، وقال عطاء: المراد بالبر ما فيه من المدائن والقرى، وبالبحر جزائره، والقول الأول أظهر وعليه الأكثرون؛ ومعنى قوله تعالى: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بان النقص في الزروع والثهار بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسبب في هذا أن الحدود في الحديث: ٥ لَحَدُّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً هلا. والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس عن تعاطي المحرمات، وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السهاء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قيل للأرض: أخرجي بركتك، فيأكل من الرمانة الفتام من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة المرانة الفتام من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد عليه العدل كثرت البركات والخير، ولهذا ثبت في الصحيحين: أن الفاجر إذا مات يستريح معمد المنات والمنات العلم ومجازاة على صنيعهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي يتليم بنقص الأموال والأنفس والشعرات الحسنات والميئات لعلهم يرجعون ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض قانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل عاقبة الذين من قبل ﴾ أي من قبلكم، ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ أي فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّدِمِن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمُ لَامَرَدَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَ لِذِينَ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِمِمْ يَمْهَدُونَ ﴿ لِيَجْزِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِن فَضَالِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَنفرِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات ﴿ فَأَمّ وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له، ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ أي يتفرقون ففريق في الجنة، وفريق في السعير ، ولهذا قال تعالى: ﴿ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون • ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾ أي يجازيهم مجازاة الفضل، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿ إنه لا يحب الكافرين ﴾ ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجور .

وَمِنْ ءَايَنتِهِ تَ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيُذِيقَتُكُمْ مِّن دَّمْتِهِ - وَلِتَجْرِى ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ - وَلِيَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ - وَلَعَلَّكُمُ تَشْكُرُونَ رَبُّ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَلْلِكَ رُسُلًا إِلَى فَوْمِهِمْ بِخَآءُوهُم بِٱلْبَيْنَاتِ فَآنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَالَا حَقَّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَبِي ﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَبِي

⁽١) أخرجه أبو داود في سننه . (٢) الفِئَام : الجماعة الكثيرة . (٣) اللَّفْحة : الحلوب .

يذكر تعالى نعمه على خلقه، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته، بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وليذيقكم من رحمته ﴾ أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد، ﴿ ولتجري الفلك بأمره ﴾ أي في البحر وإنما سيرها بالريح ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ أي في التجارات والمعايش والسير من قطر إلى قطر، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي تشكرون ﴾ أي تشكرون ﴾ أي تشكرون الله على ما أنعم به عليكم، من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى، ثم قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد عليه ، بأنه وإن كذبه كثير من قومه، فقد كذبت الرسل المتقدمون، مع ما جاءوا أممهم من الدلائل الواضحات، ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم، ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أي هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً، كقوله تعالى: ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يَتَوْلِكُ يقول: «ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيب عن أبي الدرداء رضي الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية: ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أن الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية: ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أن

اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَعَابًا فَيَبِسُطُهُ, فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ, كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَفَا فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ وَفَا لَكُنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن خِلَالِهِ وَ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ وَ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَإِذَا هُمْ يَسْتَبْشُرُونَ ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلُ عَلَيْهِم مِن قَبْلِهِ وَلَمْ لِللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهُ مَنْ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ مَوْتِهَا إِنَّ ذَالِكَ لَمُحْوِالْمُولَّ فَى وَهُو عَلَى كُلِّ قَبْلِهِ وَلَيْنَ أَرْسَلْنَ رِيحًا فَرَأُوهُ مُصْفَرًا لَظُلُواْ مِنْ بَعْدِهِ وَ يَكْفُرُونَ ﴿ وَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلِي اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ مِنْ اللّهَ لَا أَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَهُو عَلَى كُلّ مَنْ عَلَيْهِ وَلَا اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللللللللللللللللّهُ اللللللللللللللللل

يبين تعانى كيف يخلق السحاب، الذي ينزل منه الماء، فقال تعالى: ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾ إما من البحر أو مما يشاء الله عزَّ وجلَّ، ﴿ فيبسطه في السهاء كيف يشاء ﴾ أي يمده فيكثره وينميه، ينشيء سحابة ترى في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملاً أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالاً مملوءة كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت إلى قوله - كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾، وكذلك قال ههنا: ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه في السهاء كيف يشاء ويجعله كسفاً ﴾، قال مجاهد: يعني قطعاً، وقال الضحاك: متراكماً، وقال غيره: أسود من كثرة الماء تراه مدلهماً ثقيلاً قريباً من الأرض، وقوله تعالى: ﴿ فترى الودق يخرج من بين ذلك السحاب ﴿ فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ أي المحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم، وقوله تعالى: ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ معنى الكلام: أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر، كانوا قانطين من نزول المطر إليهم، فلما جاءهم، طبه على فاقة فوقع منهم موقعاً عظياً، فبعدما كانت أرضهم مقشعرة هامدة، أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبت من كل زوج بهيج، ولهذا قال تعالى: ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ يعني المطر ﴿ كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ من كل زوج بهيج، ولهذا قال تعالى: ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ يعني المطر ﴿ كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء مرفوعاً .

ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، فقال تعالى: ﴿ إِن ذَلَكَ لَحْيِي المُوتَى ﴾ أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون ﴾ ، يقول تعالى: ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً ﴾ يابسة على الزرع الذي زرعوه ، ونبت وشب واستوى على سوقه ﴿ فرأوه مصفراً ﴾ أي قد اصفر وشرع في الفساد ﴿ لظلوا من بعده ﴾ أي بعد هذا الحال ﴿ يكفرون ﴾ أي يجحلون ما تقدم إليهم من النعم ، كقوله تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون – إلى قوله – بل نحن محرومون ﴾ ، قال ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن عمرو قال: الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة ، وأربعة منها عذاب ، فأما الرحمة : فالناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات ؛ وأما العذاب : فالعقيم ، والصرصر – وهما في البر – والعاصف والقاصف وهما في البحر ، فإذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة ، فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته والاقحا للسحاب تلقحه بحمله الماء كما يلقح الذكر بعركة الرحمة ، فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته والقحا للسحاب تلقحه بحمله الماء كما يلقح الذكر بعركة الرحمة ، فبعله عقياً وأودعه عذاباً ألياً وجعله نقمة على من يشاء من الأنثى بالحمل ، وإن شاء حركه بحركة العذاب ، فجعله عقياً وأودعه عذاباً ألياً وجعله نقمة على من يشاء من عباده ، فيجعله صرصراً وعاتياً ومفسداً لما يمر عليه ؛ والرياح مختلفة في مهابها ، صبا ودبور وجنوب وشمال ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف ، فريح لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان ، وأخرى تجففه ، وأخرى تهفه ، وأخرى تهفه ، وأخرى توهنه وتضعفه ()

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْنَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَادِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمُّ إِن تُسْمِعُ إِلَّامَن يُؤْمِنُ بِعَايَتَيْنَا فَهُم مُسْلِمُونَ ﴿ وَهِي اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَايَتَيْنَا فَهُم مُسْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله فإنه تعالى: فوإن يسمع الأموات إذا شاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وليس ذلك لأحدسواه، ولهذا قال تعالى: فوإن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون أي خاضعون مستجيبون مطيعون، فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه، وهذا حال المؤمنين، والأول مثل الكافرين، كما قال تعالى: فوإنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون في، وقد تواترت الآثار (١) بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر؛ فروى ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله عليه عنه قال: «إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه به ورد عليه حتى يقوم »، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام » وقد شرع السلام على الموتى، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي عليها أمل المستقدمين إذا رأوا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد، والله أعلى.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمرو موقوفاً .

⁽٢) أورد ابن كثير عن ابن أبي الدنيا آثاراً كثيرة عن السلف الصالح ندل على اجتماع أرواح الموتى واستبشارهم بزيارة إخوانهم=

* اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ عَلَيْ مَن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ فُوَةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ فُوَةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا لَيْسَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾

ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق، حالا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يضير عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى، ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً وهو – القوة بعد الضعف - ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم وهو – الضعف بعد القوة – فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿ وهو العليم القدير ﴾ .

* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَالَيِنُواْ غَيْرَسَاعَةً كَذَالِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِنْتُمْ أَفِ كَنَاسِ اللّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَاذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَلْكِنَّكُرُ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ فَيَوْمَ إِلَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَلْكِنَّكُرُ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ فَيَوْمَ إِلْهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، فني الدنيا فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضاً، فنه: إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم، قال الله تعالى: ﴿ كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴾ أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة ﴿ لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ أي في كتاب الأعمال ﴿ إلى يوم البعث ﴾ أي من يوم خلقتم إلى أن بعثم، ﴿ ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾، قال الله تعالى: ﴿ فيومئذ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ﴾ أي اعتذارهم عما فعلوا، ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي ولا هم يرجعون إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وإن يستعتبوا أها هم من المعتبين ﴾ .

يقول تعانى: ﴿ وَلَقَدَ ضَرَبُنَا لَلنَاسَ فِي هَذَا القَرَآنَ مَنْ كُلُّ مثل ﴾ أي قد بينا لهم الحق ووضحناه لهم، وضربنا

⁼ وأقربائهم لهم، وأنهم يحسون ويشعرون بذلك ويأنسون يزيارة الأحياء، وقد ضربنا صفحاً عنها خشية الإطالة .

لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق ويتبعوه، ﴿ ولئن جثتهم بآية ليقولن الذين كفروا إِن أنتم إلا مبطلون ﴾ أي لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها، ويعتقدون أنها سحر وباطل، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه، ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون و فاصبر إِن وعد الله حق ﴾ أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك، من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿ ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ أي بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، قال ابن أبي حاتم عن أبي يحيى: صلى على بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ فأجابه على رضي الله عنه وهو في الصلاة ﴿ فاصبر إِن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ (١٠).

[آخر تفسير سورة الروم ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير .



الَـــةَ ﴿ يَالُكَ ءَا يَكُ ٱلْكِتَـٰبِ الْحَكِيمِ ﴿ هُمَّ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أَوْلَنَهِكَ عَلَىٰ هُدًى مِن رَّبِهِلَمْ وَأَوْلَنَهِكَ هُـمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه الآية، وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بعدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكوراً، فن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿ أُولئك على هدى من ربهم ﴾ أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَمْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَخِذَهَا هُزُوَّا أَوْلَنَهِكَ لَمُمْ عَذَابٌ مُهِينُ ۞ وَإِذَا نُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَرْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أَذْنَيْهِ وَقَرَّا فَبَشِّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۞

لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسياعه، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسياع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والفناء، بالألحان وآلات الطرب^(۱). روى اين جرير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿ ومن الناس من يشتري لحو الحديث ليضل عن سبيل الله ﴾ فقال عبد الله بن مسعود: الفناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث

⁽١) قال السيوطي: أخرج ابن جويبر: نزلت في النضر بن الحارث، اشترى قينة، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد، وقيل: إن النضر هذا كان من بني عبد الدار، وكان قد تعلم أخبار فارس في الجاهلية.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿ إِنَّ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعُدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيرُ الْحَكِيمُ ۞

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السهاوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، فقال تعالى: ﴿ خلق السموات بغير عمد﴾ قال الحسن وقتادة: ليس لها عمد، وقال ابن عباس: لها عمد لا ترونها، وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة الرعد، ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ يعني الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء، ولهذا قال: ﴿ أن تميد بكم ﴾ أي لئلا تميد بكم ، وقوله تعالى: ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي وابن جرير .

أي وذراً فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها، ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرازق، بقوله: ﴿ وأنزلنا من السهاء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ أي من كل زوج من النبات ﴿ كريم ﴾ أي حسن المنظر، وقال الشعبي: من دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم، وقوله تعالى: ﴿ هذا خلق الله ﴾ أي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السهاوات والأرض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ أي مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد، ﴿ بل الظالمون ﴾ يعني المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿ في ضلال ﴾ أي جهل وعمى ﴿ مبين ﴾ أي واضح ظاهر لا خفاء به .

وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِآبِنهِ ء وَهُوَ يَعِظُهُ, يَكِبُنَى لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ عَلَيْهُ وَهَا عَلَى وَفَصَلُهُ فَي عَامَيْنِ أَنِ الشَّكُرُ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمُصِيرُ ﴿ وَإِن جَهَدَاكَ عَلَىَ أَن تُشْرِكَ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ ال

يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده، وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا

وقوله تعالى: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ أي إن حرصا عليك كل الحرص، على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك أن تصاحبهما في الدنيا ﴿ معروفاً ﴾ أي محسناً إليهما، ﴿ واتبع سبيل من أناب إلى ﴾ يعني المؤمنين، ﴿ ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾، روى الطبراني عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك ألا قال: أنزلت في هذه الآية: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ الآية، قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدث ؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء؛ فكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد فكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نَفْساً نَفْساً ما تركت ديني هذا لشيء؛ فإن شئت فكلى وإن شئت لا تأكل، فأكلت ,

يَكُبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلِ فَتَكُن فِي صَغْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿ مِنْ يَكُبُنَىَّ أَقِيمِ الصَّلَوْةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكُ ۖ إِنَّ ذَالِكَ مِنْ

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود .

⁽٢) أخرجه أبن أبي حاتم، وهذا القول من كلام معاذ بن جبل رضى الله عنه .

٣) سعد بن مالك هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه .

عَرِّمِ ٱلْأُمُودِ ﴿ وَلَا تُصَعِّرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالِ فَخُورِ ﴿ وَالْقِصَدُ فِي مَشْيِكَ وَآغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْخَمِيرِ ﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَآغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۗ إِنَّ أَنكَ رَالْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْخَمِيرِ ﴾

هذه وصايا نافعة حكاها الله سبحانه عن (لقمان الحكيم) ليمتثلها الناس ويقتلوا بها، فقال: ﴿ يَا بَيُّ إِنها اِن لَكُ مثقال حبة من خودل ﴾ أي إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خودل، وكانت مخفية في السهاوات أو في الأرض ﴿ يأت بها الله ﴾ أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ الآية، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو ذاهبة في أرجاء السهاوات والأرض، فإن الله يأتي بها لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السهاوات ولا في الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن الله لطيف خبير ﴾ أي لطيف العلم فلا تحفى عليه الأشياء، وإن دقّت ولطفت وتضاءلت، ﴿ خبير ﴾ بدبيب النمل البهيم، وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله ﴿ فتكن في صخرة ﴾ أبها صخرة تعت الأرضين السبع، والظاهر والله أعلم – أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه، كائناً ما كان عن أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه، كائناً ما كان عن أن هذا: ﴿ يا بني أقم الصلاة ﴾ أي بحلودها وفروضها وأوقاتها، ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن كائناً ما كان عن أن المراد بالصبر، وقوله: ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي إن الصبر على أذى الناس لمن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر، وقوله: ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي إن الصبر على أذى الناس لمن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر، وقوله: ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي إن الصبر على أذكر، لا بد

وقوله تعالى: ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم، ولكن أَلِنْ جانبك وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط »، قال ابن عباس يقول: لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، وقال زيد بن أسلم ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾: لا تتكلم وأنت معرض، وقال إبراهيم النخعي: يعني بذلك التشدق في الكلام، والصواب القول الأول، قال الشاعر !!!

وكنا إذا الجبار صعَّر خـــده أقمنا لـــه مــن ميله فتقومــا

وقوله تعالى: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي خيلاء متكبراً جباراً عنيداً، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال: ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي مختال معجب في نفسه ﴿ فخور ﴾ أي على غيره، وقال تعالى: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾. عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند رسول الله عليه فشدد فيه فقال: « إن الله لا يحب كل مختال فخور » فقال رجل

⁽١) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

⁽٢) هو عمرو بن حيي التغلبي .

من القوم: والله يا رسول الله إني لأغسل ثبابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي، فقال: « ليس ذلك الكبر، إنما الكبر أن تسفه الحق، وتغمط الناس » ، وقوله: ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي امش مقتصداً مشياً ليس بالبطيء المتبط، ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين، وقوله: ﴿ واغضض من صوتك ﴾ أي لا تبالغ في الكلام ولا ترضع صوتك في الا فائدة فيه، ولهذا قال: ﴿ إِن أَنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ قال مجاهد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم، لأن رسول الله على قال: « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يتيء ثم يعود في قيته »، وروى النسائي عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة عن النبي على قال: « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً » ". فهذه وصايا نافعة جداً، وهي من قصص القرآن العظيم، عن لقمان الحكيم، وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة .

أَكَّرُ تَرُوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَكُكُمْ مَّا فِي السَّمَنُوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَكَيْنُكُوْ نِعَمَهُ, ظَنهِرَةُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَندِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَّى وَلَا كِتَنْبِ مُنِيرٍ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ا تَبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُمَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَـاَ ةَنَا ۖ أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطُنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ ﴾

يقول تعالى منها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السهاوات، من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار، وما خلق لهم في الأرض من أنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله أي في توحيده وإرساله الرسل، ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند، من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح، ولهذا قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ أي مبين مضي ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ أي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ أي على رسوله من الشرائع المطهرة، ﴿ قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ أي لم يكن لم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، قال الله تعالى: ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ أي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيا كانوا فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ .

* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ ۚ إِلَى ٱللّهِ وَهُو تُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى وَإِلَى ٱللّهِ عَنْقِبَهُ ٱلْأُمُورِ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَعْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَى ٱللّهِ عَنْقِبَهُ ٱلْأَمُورِ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَعْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَى اللّهِ عَلِيمٌ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

نَضْطَرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿

⁽١) أخرجه الطبراني عن ثابت بن قيس وفيه قصة طويلة . (٧) أخرجه النسائي وبقية الجماعة سوى ابن ماجة .

يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل، وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿ وهو محسن ﴾ أي في عمله باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه، ﴿ وإلى الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ أي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به، فإن قدر الله نافذ فيهم، وإلى الله مرجعهم ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي فيجزيهم عليه، ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ فلا تخفى عليه خافية، ثم قال تعالى: ﴿ نمتمهم قليلاً ﴾ أي في الدنيا، ﴿ ثم فضطرهم ﴾ أي نلجئهم ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ أي فظيع صعب شاق على النفوس، كما قال تعالى: ﴿ متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ .

* وَلَهِن سَأَلْتُهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمَّدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي اللَّهِ مَا فِي اللَّهُ مُلْوَا اللَّهَ هُمُ وَ الْغَذِي اللَّهُ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلْوَا اللَّهُ مُلْوَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُلْوَا اللَّهُ اللَّهُ مُلْوَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولُولُولُولُ اللَّاللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللّه

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين، أنهم يعرفون أن الله خالق الساوات والأرض، وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله ﴾ أي إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ لله ما في السموات والأرض ﴾ أي هي خلقه وملكه، ﴿ إن الله هو الغني الحميد ﴾ أي الغنى عما سواه وكل شيء فقير إليه، ﴿ الحميد ﴾ في جميع ما خلق له الحمد في الساوات والأرض، وهو المحمود في الأمور كلها . وكل شيء فقير إليه، ﴿ الْحَمِيد ﴾ أنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَو أَنَّهَا فِي النَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَو أَنَّهَا فِي النَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ولم الله عَنْ الله وله الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ولو المُحدِد في الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ وله المُحدِد في الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ وله المُحدِد في الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ وله الله وله الله عَزِيزُ حَكِيمٌ وله المُحدِد في الله وله المُحدِد في الله عَزِيزُ حَكِيمٌ وله المُحدِد في الله وله المُحدِد في المُعرفية وله المُحدِد في المُحدِد في المُحدِد في المُحدِد في المُعرفية وله المُحدِد في المُحدِد المُحدِد في المُحدِد في المُحدِد في المُحدِد في المُحد

﴿ مَّاخَلْفُكُمْ وَلَا بَعْشُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَّةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه، وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »، فقال تعالى: ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً، وجعل البحر مداداً وأمده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله، لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مدداً، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر، فقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾، فليس المراد بقوله: ﴿ بمثله ﴾ آخر لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾، فليس المراد بقوله: ﴿ بمثله ﴾ آخر شجر الأرض أقلاماً وجعل البحر مداداً، وقال الله: إن من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحو وتكسرت شجر الأرض أقلاماً وجعل البحر مداداً، وقال الله: إن من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحور كلها، وقد أنزل الد ذلك : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ ما خلق جميع الناس، وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته، إلا كنسبة خلق نفس واحدة ، أي ما خلق جميع الناس، وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته، إلا كنسبة خلق نفس واحدة ،

الجميع هين عليه، ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾، ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ أي لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده، ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾، وقوله: ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم، كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة، كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة، ولهذا قال تعالى: ﴿ ما خلقكم ولا بمثكم إلا كنفس واحدة ﴾ الآية .

أَلَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّذِلِ وَسَعَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَر كُلُّ يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمَّى وَأَنَّ اللَّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ مِنْ ذَٰ لِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَتَّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَنْطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿

يخبر تعالى أنه ﴿ يولج الليل في النهار ﴾ يغني يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ﴾ قيل إلى غايه محدودة، وقيل إلى يوم القيامة، وكلا المعنين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله يهلله قال: « يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ؟ قال: « فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت » " وعن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية بمري بالنهار في الساء في فلكها، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر " وقوله: ﴿ وإن فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر أن الله هو الحق وأن ما سواه ما يدعون من دونه الباطل ﴾ أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل، فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه، الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة باطل، فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه، الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة العلى، فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه، الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة العلى الكبركي أي العلى الذي لا أعلى منه، الكبير الذي الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير كه أي العلى الذي لا أعلى منه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فالكل خاضع حقير بالنسبة إليه .

* أَلَّا تَرَأَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ ءَايَنتِهِ ۚ إِنَّ فِى ذَالِكَ لَآيَئِتِ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ ﴿
وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعُواْ ٱللّهَ تُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَتَ تَجَنَّهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فِينَهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِعَايَلتِنَاۤ إِلّا كُلُّ خَتَّارِكُفُورٍ ﴾ كُلُّ خَتَّارِكُفُورٍ ﴾

يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر، لتجري فيه الفلك بأمره، أي بلطفه وتسخيره، فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت، ولهذا قال: ﴿ ليريكم من آياته ﴾ أي من قدرته ﴿ إن في ذلك لآيات

 ⁽١) أخرجه الشيخان عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً .
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً .

لكل صبار شكور كه أي صبار في الضراء، شكور في الرخاء، ثم قال تعالى: ﴿ وإذا عشيهم موج كالظلل كه أي كالجبال والغمام ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين كه ، كما قال تعالى: ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه كه ، وقال تعالى: ﴿ فلما نجاهم إلى البر فنهم مقتصد كه قال بجاهد: أي كافر ، كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون كه ، وقال ابن زيد، هو المتوسط في العمل، وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى: ﴿ فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد كه الآية ، فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال ، والأمور العظام، والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعدما أنم الله عليه بالخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدوب في العبادة ، والمبادرة إلى الخيرات ، فن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور كه الختار : هو الفدّار ، قاله مجاهد والحسن وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والختر أتم الغدر وأبلغه. قال عمرو بن معد يكرب :

وإنك لمو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غمدر وختر

وقوله: ﴿ كَفُورَ ﴾ أي جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها .

* يَثَأَيُّهَا ٱلنَّاسُٱ نَّفُواْ رَبَّكُرْ وَٱخْشُواْ يَوْمَا لَا يَجْزِى وَالِدِهِ، وَلَا مَوْلُودُ هُوَجَازِ عَن وَالِدِهِ، شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَتَّى فَلَا تَغْرَّنَكُرُ ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغْرَّنَكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿

يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد، وآمراً لهم بتقواه والخوف منه، والخشية من يوم القيامة حيث ﴿ لا يجزي والد عن ولده ﴾ أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه، ما عاد بالموعظة عليهم بقوله: ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ أي لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة، ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ يعني الشيطان () ، فإنه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه، وليس من ذلك شيء ، بل كان كما قال تعالى: ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ ، قال وهب بن منه: قال عزير عليه السلام: لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي، فتضرعت إلى ربي وصليت وصمت، فأنا في ذلك التضرع أبكي إذ أتاني الملك، فقلت له: خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة، أو الآباء لأبنائهم ؟ قال: إن القيامة أبكي إذ أتاني الملك، فقلت له: خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة، أو الآباء لأبنائهم ؟ قال: إن القيامة فيها فصل القضاء، وملك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان، كل يهمه همه ويبكي ذنبه، ويحمل وزره ولا يحمل وزره ولا يحمل وزره عنه عنه ه ٥٠٠

* إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِنْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِى

⁽١) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه .

نَفْسُ بِأَي أَرْضٍ مُّوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ الآية، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب، روى الإمام أحمد عن أبي بريدة سمعت رسول الله على يقول: « خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله علم خبير ﴾ »، عن ابن عمر ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله علم خبير كه »، عن ابن عمر ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله علم خبير كه » ، عن ابن عمر ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله علم خبير كه » ، عن ابن عمر ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله علم خبير كه » «)

وعن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخيرتي ما تلد؟ ويلادنا مجدبة، فأخيرتي متى يتزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فأخبرتي متى أموت؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِن الله عنده علم الساعة الله وله و وعده مفاتح الغيب الا يعلمها الله على قوله علم ما في غد، فقد كذب، إلا هو ﴾ أ، وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد، فقد كذب، ثم قرأت ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تحوت ﴾ قال قتادة: أشياء استأثر الله بهن فلن يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ﴿ إِن الله عنده علم الساعة ﴾ فلا يدري أحد منى ينزل الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار، ﴿ ويتزل الغيث ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث المناب غداً من أني، أحمر أو أسود وما المعلك الميت غداً لعلك الميت غداً لعلك المحدب غداً ﴾ أخير أم شر، ولا تدري يا ابن آدم متى تحوت لعلك الميت غداً لعلك المصاب غداً ، ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تحوت ﴾ أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض، المصاب غداً ، ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تحوت ﴾ أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض، وروي مثله عن ابن مسعود ، ومعناه عن أسامة .

[آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل]

* * *

⁽١) أخرجه البخاري والإمام أحمد .



روى البخاري عن أبي هريرة قال: كان النبي عَلِيْكُ يقرأ في الفجر يوم الجمعة (ألم تنزيل) السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان﴾، وروى الإمام أحمد عن جابر قال: كان النبي عَلِيْكُ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك .

الَّــة ﴿ تَنزِيلُ الْكِنَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِ الْعَلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ اَفْتَرَنَّهُ بَلْ هُوَالْحَقُّ مِن رَّبِكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَنهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ يَهْتَدُونَ ۞

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله: ﴿ تَنزيل الكتاب لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿ من رب العالمين ﴾، ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ بل يقولون افتراه ﴾ بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه، ﴿ بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ أي يتبعون الحق .

اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّامِهُمَّ اَسْنَوَىٰ عَلَى الْعَرْشُ مَالَكُمْ مِن دُونِهِ عِمِن وَلِيّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا لَنَذَ كُونَ ﴿ يُدَيِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ وَأَلْفَ سَنَةٍ مِثَّا تَعُدُّونَ ﴿ يَ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَلَاةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ يَالَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ وَ أَلْفَ

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء، فخلق السهاوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وقد تقدم الكلام على ذلك، ﴿ مَا لَكُمْ مَن دُونَهُ مِن وَلِي وَلا شَفِيع ﴾ أي بل هو المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه، ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ يعني أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه، تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير، لا إلّه إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى: ﴿ يدبر الأمر من السهاء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ أي يتنزل أمره

من أعلى الساوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، كما قال تعالى: ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مسيرة مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ الآية، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسائة سنة، وسمك السماء خمسائة سنة، وقال مجاهد والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين، ولهذا قال تعالى: ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون و ذلك عالم الغيب والشهادة ﴾ أي المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها وكبيرها، هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿ الرحيم ﴾ بعباده المؤمنين.

ٱلَّذِيّ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ, وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَنِ مِن طِينٍ ﴿ ثَنِّ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ, مِن سُلَـٰلَةٍ مِن مَّآءِ مَهِينٍ ﴿ ثَمَّ أُمَّ سَوَّنهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُرُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْعِدَةً قَلِيلًا مَّاتَشْكُرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبراً أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها، قال زيد بن أسلم: ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ قال: أحسن خلق كل شيء، كأنه جعله من المقدم والمؤخر؛ ثم لما ذكر تعالى خلق السهاوات والأرض، شرع في ذكر خلق الإنسان، فقال تعالى: ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ يعني خلق أبا البشر آدم من طين، ﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ أي يتناسلون كذلك من نطفة، تخرج من بين صلب الرجل وتراثب المرأة، ﴿ ثم سوّاه ﴾ يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سوياً مستقياً، ﴿ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ يعني العقول، ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عزَّ وجلًّ، فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عزَّ وجلًّ .

وَقَالُوٓاْ أَوْذَا ضَلَّنَا فِي الْأَرْضِ أَوْنَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآ وَبَهِمْ كَنفِرُونَ ۞ * قُلْ يَتَوَقَّلَكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ

ٱلَّذِي وُكِلَ بِكُرْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا ﴿ أَثَذَا صَلَنَا في الأَرْضِ ﴾ أي تمزقت أجسامنا، وتفرقت في أجزاء الأَرض وذهبت، ﴿ أَثَنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيد ﴾ أي أثنا لنعود بعد تلك الحال ؟ يستبعلون ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾، الظاهر أن ملك الموت شخص معين، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور (())، وله أعوان؛ وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت، قال مجاهد: حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء، وقال كعب الأحبار: والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه (())، وقوله تعالى: ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم.

⁽١) قاله قتادة وغير واحد من علماء السلف .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَا كِسُواْرُءُ وَسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارَّجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ وَلَوْ شَنْكَ لَا تَقْنَا لَا تَقْلُ مِنْ الْمِغْنَا فَارَّجِعْنَا نَعْمَلُ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ وَلَوْ مِنْكَ الْمُؤْلُ مِنِي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَمَ مِنَ ٱلِخِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ مَنْ فَلُوقُواْ بِمَا لَمُنْكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخَلْدِ بِمَـٰ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فَلْوَتُواْ بِمَـٰ نَسِينَكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخَلْدِ بِمَـٰ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عزَّ وجلَّ، حقير بن ذليلين ناكسي رؤوسهم أي من الحياء والخجل، يقولون فر ربنا أبصرنا وسمعنا في أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولم: كما قال تعالى: ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولم: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير في، وهكذا هؤلاء يقولون فر ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا في إلى دار الدنيا ﴿ نعمل صالحاً إنا موقنون في أي قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدنيا لكانوا كفاراً يكذبون بآيات الله، ويخالفون رسله، كما قال تعالى: ﴿ ولو من الله تعالى الله ولو شئنا لآبينا كل نفس ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا في الآية، وقال ههنا: ﴿ ولو شئنا لآبينا كل نفس هداها في، كما قال تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً في، ﴿ ولكن حقَّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين في أي من الصنفين فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله فوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، ﴿ إنا نسينا كم في أي سنعاملكم معاملة الناسي، لأنه نوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، ﴿ إنا نسينا كم في أي سنعاملكم معاملة الناسي، لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ فالوم نساكم كما نسيتم لقاء تعملون ﴾ أي بسبب كفركم وتكذيبكم، كما قال تعالى: ﴿ فلوقوا فلز نزيدكم إلا عذاباً ﴾ .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَايَلَتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجِّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﷺ تَنَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِّمَارَزَقَنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلُمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِي لَمُمْ مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَآءٌ بِمَا كَانُواْ يَعْمُلُونَ ۞

يقول تعالى: ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ أي إنما يصدق بها ﴿ الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً ﴾ أي استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً ، ﴿ وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ أي عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ يعني بذلك قيام الليل وترك النوم، والاضطجاع على الفرش الوطيئة، قال مجاهد والحسن: يعني بذلك قيام الليل، وعن أنس وعكرمة: هو الصلاة بين العشاءين، وعن أنس أيضاً: هو انتظار صلاة العتمة، وقال الضحاك: هو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ أي خوفاً من وبال عقابه، وطمعاً في جزيل ثوابه ﴿ وعما رزقناهم ينفقون ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة

والمتعدية، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي على في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة، والصدقة تطنيء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل – ثم قرأ – ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ » فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: « رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله » ؟ فقلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه ثم قال: « كف عليك هذا » فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخلون بما نتكلم به، فقال: « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم » () .

وروى ابن أبي حاتم، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي عَلِيْكُ في غزوة تبوك فقال: « إن شئت نبأتك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية ، وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق « سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرّم » ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المُضاجع – الآية – فيقومون وهم قليل »، وقال بلال: لما نزلت هذه الآية ﴿ تُنجافي جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية، كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ " ، وقوله تعالى: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ أي فلا يعلم أحــــد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات ، من النعيم المقيم ، واللذات الــتي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم، كذلك أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر، قال البخاري: قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخني لهم من قرة أعين ﴾ الآية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليات قال: ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَعَدُدَتُ لَعَبَادِي الصالحينَ مَا لَا عَيْنَ رأْتَ، ولا أَذْنَ سَمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴾ قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخني لهم من قرة أعين ﴾ ¹⁰ . وفي الحديث: ومن يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر «^(نا)، وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: سأل موسى عليه السلام ربه عزَّ وجلَّ ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت

⁽١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

⁽٢) أخرجه البزار عن زيد بن أسلم عن أبيه .

⁽٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد .

⁽٤) أخرجه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً .

رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في المخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب يشر. قال: ومصداقه من كتاب الله عزَّ وجلَّ ﴿ فلا تعلم نفس ما أخني لهم من قرة أعين ﴾ الآية (١٠) .

أَفَنَ كَانَ مُوْمِنًا كُنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتُونَ ﴿ أَمَّا الَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَأْوَى تُزَلَّا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَأَوْنِهُمُ النَّالُّ كُلَّكَ أَرَادُواْ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا أَعِدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ اللَّذِي كُنتُم بِهِ عَ تُكَذِّبُونَ ﴿ وَلَنُذِيقَتَهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْمِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْمِ لَعَلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ وَمَنْ أَظُلُمُ مِمَّنَ ذُكْرَ بِعَايَئِتِ رَبِّهِ عَمُ أَعْرَضَ عَنْهَ ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿ الْمَالِمُ مِنْ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿ وَمَا لَكُولُوا الْعَلَامُ مِنْ ذُكُولَ الْمُعَلِيمُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ ذُكُولِ الْعَلَيْمِ لَا اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى الْعُمْونَ الْمُعَلِيلُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَيْمُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ مِنْ ذُكُولُ الْمُعْرِيلُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَامُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَمُ عَلَيْهُ مَلَّ الْمُؤْمِنَ الْعُلُمُ عَلَى الْمُعَلِيلُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَامُ عَلَى الْعَلَامُ عَلَى الْعَلَامُ عَلَى الْعَلَمُ عَلَى الْمُعْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿ إِلَيْ الْعَلَامُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَيْمُ عَلَى الْعَلَامُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُولُهُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَامُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ الْعُلِيلُولُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْلُولُ الْعَلَيْمُ عَلَيْكُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُولُولُ الْعَلَقُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُولُ الْعَلَيْكُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُولُولُ الْعَلَامُ عَلَيْكُولُوا الْعَلَامُ عَلَيْكُو

يخبر تعالى عن عدله وكرمه، أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة، من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله بمن كان فاسقاً، أي خارجاً عن طاعة ربه، مكذباً رسل الله، كما قال تعالى: ﴿ أَم حسب الذين اجترحوا السيئات أن بجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نجعلِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾؟ وقال تعالى: ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ الآية، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿ أَفَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَنَ كَانَ فَاسْقاً لا يستوون ﴾ أي عند الله يوم القيامة، وقد ذكر عطاء والسدي أنها نزلت في (علي بن أبي طالب) و (عقبة بن أبي معيط) ولهذا فصل حكمهم فقال: ﴿ أَمَا الذين آمنُوا وعملُوا الصالحات﴾ أي صدقت قلوبهم بآيات الله، وعملُوا بمقتضاها وهي الصالحات، ﴿ فَلَهُم جَنَاتَ المَّاوَى ﴾ أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿ نزلاً ﴾ أي ضيافة وكرامة، ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُ وَأَمَا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ أي خرجوا عن الطاعة، ﴿ فَأُواهِمُ النَّار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾، كقوله: ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ﴾ الآية، قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم، والملائكة تقمعهم، ﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَنذيقُنُّهُم مَنَ الْعَذَابِ الأدنى دون العذاب الأكبركه، قال ابن عباس: ٰ يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه، وقال مجاهد: يعني به عذاب القبر، وقال عبد الله بن مسعود: العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر، قال السدي: لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا، ومنهم من جمع له الأمران، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَطْلُمْ مَمْنَ ذَكُرُ بَآيَاتَ رَبَّهُ ثُم لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها، وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها ، قال قتادة: إياكم والإعراض عن ذكر الله ، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز ، ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك: ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾ أي سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتفام

⁽١) أخرجه مسلم عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح .

وَلَقَدْ ءَاتَبْنَا مُوسَى الْكِتَلَبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِن لِّقَابِهِ ۚ وَجَعَلْنَكُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَ َ وِبَكَ شَهُ مَّ الْقَبْسَمَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمُ اللَّهُ عَلَىٰكَ مُوسَى الْكِتَلَبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَابَانِيَا يُوفِئُونَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيسَمَةِ فِيمَا الْمِيسَاءُ وَلِمَا الْقِيسَمَةِ فِيمَا الْمُعَلِّدُونَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

ي**قول تعالى** مخبراً عن عبده ورسوله (موسى) عليه السلام، أنه آتاه الكتاب وهو التوراة، وقوله تعالى: ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ قال قتادة: يعني به ليلة الإسراء، وفي الحديث: ﴿ رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار ، والدجال ۽ في آيات أراهن الله إياها ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ أنه قد رأى موسى ولتي موسى ليلة أسري به. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ قال من لقاء موسى ربه عزُّ وجلُّ ، وقوله تعالى: ﴿ وجعلناه ﴾ أي الكتاب الذي آتيناه ﴿ هدى لبني إسرائيل ﴾ ، كما قال تعالى في الإسراء: ﴿ وَآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا﴾. وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ أي لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك زواجره، وتصديق رسله، واتباعهم فيا جاؤوهم به، كان منهم أعَّة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم لما بدُّلوا وحرَّفوا سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ آتَيْنَا بَنِي إِسرائيل الكتاب ﴾ قال قتادة: لما صبروا عن الدنيا، وقال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يقتدى به حتى يتحامي عن الدنيا، وسئل سفيان عن قول على رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع قوله: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ ؟ قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤساء، قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ آتَيْنَا بَنِي إِسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمينكه، كما قال ههنا: ﴿ إِنْ رَبُّكُ هُو يَفْصُلُ بَيْهُم يُوم القيامةُ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي من الاعتقادات والأعمال .

أُوكَرْ يَهَدِ لَحُكُمْ كُرْأُهُلَكُمَّا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَسَأَفَلَا يَسَمَعُونَ ﴿

أُوكَرْ يَرُواْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْحُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ عَزَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَلُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿

يقول تعالى أولم بهد لحؤلاء المكذبين بالرسل، ما أهلك الله قبلهم من الأنم الماضية، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيا جاؤوهم به، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾، ولهذا إياهم فيا جاؤوهم به، فلم يبق منهم أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغنوا فيها، كما قال: ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾، وقال: ﴿ وكأين

⁽١) أخرجه الطبراني .

من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيدكه، ولهذا قال ههنا: ﴿ إِن فِي ذلك لآيات ﴾ أي إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم، وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم، لآيات وعبراً ومواعظ ودلائل ﴿ أفلا يسمعون ﴾ أي أخبار من تقدم كيف كان من أمرهم. وقوله تعالى: ﴿ أُولَمْ يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجزر ﴾ يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم، في إرساله الماء من السهاء أو من السيح، وهو ما تحمله الأنهار ويتحدر من الجبال، إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولهذا قال تعالى: ﴿ إلى الأرض الجزركه وهي التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنا لَجَاعِلُونَ مَا عَلِيهَا صَعِيداً جَرزاً كها، وأرض مصر رخوة تحتاج من الماء مالو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى إليها النيل، بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً. روى قيس بن حجاج قال: لما فتحت مصر أتى أهلها (عمرو بن العاص) وكان أميراً بها، فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها، قال وما ذاك؟ قالوا ذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هَذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء، فكتب (عمرو) إلى (عمر بن الخطاب) بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذي فعلت، قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففنحها فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد: فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك، قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم®. ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولَمْ يَرُوا أَنَا نَسُوقَ المَاءَ إِلَى الأَرْضُ الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون كه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَيْنَظُرُ الْإِنْسَانَ إِلَى طَعَامِهُ أَنَا صببنا الماء صباً ﴾ الآية، ولهذا قال ههنا: ﴿ أَفلا يبصرونَ ﴾ ؟ وقال ابن عباس في قوله ﴿ إِلَى الأرض الجرزَ ﴾ قال: هي التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول، وقال عكرمة والضحاك: الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي مغبرة، قلت وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لِهُمِ الأَرْضُ الْمُيَّنَّةُ أُحْيِينَاهَا ﴾ الآيتين .

* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَنَذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفُعُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ إِيمَنْهُمْ وَلَا هُمْ

يُنظَرُونَ ٢ مَنْ فَأَعْرِضْ عَنَّهُمْ وَأَنتَظِرْ إِنَّهُم مَنتَظِرُونَ ٢

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ﴾ أي متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا، فتى يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين، قال الله تعالى: ﴿ قل يوم الفتح ﴾

⁽١) رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنّة .

أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى ﴿ لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ الآيتين. والمراد بالفتح القضاء والفصل اكقوله: ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق ﴾ الآية ، ثم قال تعالى: ﴿ فاعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ أي أعرض عن هؤلاء المشركين، وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله تعالى: ﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إلّه إلا هو ﴾ الآية ، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك ، وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد ، وقوله: ﴿ إنهم منتظرون ﴾ أي أنت منتظر وهم منتظرون اويتر بصون بكم الدؤائر ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ وسترى عاقبة صبرك عليهم ، وعلى أداء رسالة ويتر بصون بكم الدؤائر ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ وسترى عاقبة صبرك عليهم ، وحلول عذابه الله في نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك ، من وبيل عقاب الله لهم ، وحلول عذابه به ، وحسنا الله ونعم الوكيل .

[آخر تفسير سورة السجدة ، ولله الحمد والمنة]





يَنَأَيُّكَ النِّيُّ اَنَّتِى اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَفرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا حَكِيًّا ۞ وَا تَبِعْ مَايُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَنَى بِاللّهِ وَكِيلًا

قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله، وقوله تعالى: ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم ﴿ إن الله كان علياً حكياً ﴾ أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله، ولهذا قال تعالى: ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك ﴾ أي من قرآن وسنّة، ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ أي فلا تخفى عليه خافية، ﴿ وتوكل على الله ﴾ أي في جميع أمورك وأحوالك، ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ أي وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه .

* مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلِ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَهِ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَا جَكُرُ ٱلَّتَعِى تُظَلِهِ رُونَ مِنْهُنَ أُمَّهَ لِيَكُرُ وَمَا جَعَلَ أَذُوا جَكُرُ ٱلَّتَعِى تُظَلِهِ رُونَ مِنْهُنَ أُمَّهَ لِيَكُرُ وَمَا جَعَلَ أَذُوا جَكُرُ ٱلْمَا يَهُو اللَّهِ مَا أَذُعِيا اللَّهِ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ عَنُولُ اللَّهُ عَنُولُ اللَّهِ وَمَوْلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَا مُ فَي فَي اللَّهِ فَا اللَّهِ وَمَوْلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَا مُنْ اللَّهُ عَنُورًا رَحِيمًا فَي اللَّهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَنُورًا رَحِيمًا فِي اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَنُورًا وَحِيمًا فَي اللَّهُ عَنْهُ وَلَا اللَّهُ عَنُورًا وَحِيمًا فَي اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ اللَّهُ عَنُورًا وَحِيمًا فَي اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا اللَّهُ عَنْهُ وَكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعَلِّمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّ

يقول تعالى موطئاً قبل المقصود المعنوي، أمراً معروفاً حسياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت عليَّ كظهر أمي أماً له، كذلك لا يصير الدعيُّ ولداً للرجل

⁽١) دعا أهل مكة النبي ﷺ أن يرجع عن قوله، على أن يعطوه شطرًا من أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا النِّي ...﴾ الآية. أخرجه جويبر، وذكره في اللباب .

إذا تبناه فدعاه ابناً له، فقال: ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياء كم أبناء كم ﴾ هذا هو المقصود بالنني، فإنها نزلت في شأن (زيد بن حارثة) رضي الله عنه مولى النبي عليه المناه كان النبي عليه قلد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له (زيد بن محمد) فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياء كم أبناء كم ﴾ كما قال تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وقال ههنا: ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾ يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقياً فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، لها يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد حقيقياً فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، لها يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد أن الله قالم نه والله يقول الحق ﴾ أي العدل، ﴿ وهو يهدي السبيل ﴾ أي الصراط المستقم. وقد ذكر غير واحد أن فانول الله تعالى هذه الآية رداً عليه. وقال عبد الرزاق عن الزهري في قوله: ﴿ ما جمل الله لرجل من قلبين في فانول ليس ابن رجل آخر ابنك، وكذا فانو بالله علم النه أن ذلك كان في (زيد بن حارثة) ضرب له مثل، يقول ليس ابن رجل آخر ابنك، وكذا قال باهد وقتادة وابن زيد: أنها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ادعوهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، الإسلام، من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر .

روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال: إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله على ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ه الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي " وتزوج من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي " وتزوج رسول الله على بزيب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً هي، وقال تبارك وتعالى في آية التحريم: ﴿ وحلائل أبنائكم المذين من أصلابكم كي احترازاً عن زوجة الدعي فإنه ليس من الصلب، فأما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نبي عنه في هذه الآية، بدليل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمنا على رسول الله على عنه أغيله بني عبد المطلب – على جمرات لنا من جمع، فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول: ﴿ أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس ﴾ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال في رسول الله على الم الما أبائهم وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم كي أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم أي عوضاً عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله على الم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليكم كي أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم لم يعرفوا، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليكم في الدين ومواليكم كي أنت مني وأنا منك ، وقال لجعفر رضي الله عنه: ﴿ أشبهتَ خلّق وخلّق ، وقال لزيد رضي الله عنه: ﴿ أنت مني وأنا منك ﴾ وقال لجعفر رضي الله عنه: ﴿ أشبهتَ خلّق وخلّق ، وقال لزيد رضي الله عنه: ﴿ أنت أنت أنت مني وأنا منك ﴾ وقال المعفر رضي الله عنه: ﴿ أشبهتَ خلّق وخلّا الله وقال الله عنه الدين ومواليكم كي .

⁽١) هو جميل بن معمر الجمحي

⁽٧) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . (٣) أخرجه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي .

وقد جاء في الحديث: « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر »(١) ؛ وهذا تشديد وتهديد، ووعيد أكيد، في التبري من النسب المعلوم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم كه ، ثم قال تعالى: ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به كه أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع، فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ، ورفع إثمه كما أرشد إليه في قوله تبارك وتعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَوْاخَذُنَّا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، وفي الحديث: ﴿ إِذَا اجْتَهَدُ الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ٣٠ ، وفي الحديث الآخر: « إن الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه ٣، وقال تبارك وتعالى ههنا : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحياً ﴾ أي إنما الإثم على من تعمد الباطل، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم كه الآية، وروى الْإِمَام أحمد عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى بعث محمداً عَلِيْكُمْ بالمحق، وأنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، ثم قال: قد كنا نقرأ: [ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم] أن ، وفي الحديث الآخر : « ثلاث في الناس كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم » .

* آلنَّبَيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِمٍ مَ أَزُواجُهُ أَمَّهَ مُهُمَّ وَأُولُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَكِ ٱللَّهِ مِنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰٓ أَوْلِيآ بِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَالِكَ فِٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا ٢

علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدمٌ على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ثما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾، وفي الصحيح: ﴿ والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ٤. وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ: « الآن يا عمر »؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿ النَّبِي أُولَى بِالمُؤْمِنينِ مَن أَنفسهم ﴾، وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عَيْلِيُّهُ قال: « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، إقرأوا إن شئتم: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أَنفسهم ﴾. فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه »^(١). وقال تعالى: ﴿ وَأَزُواجِهُ أَمُهَاتُهُم ﴾ أي في الحرمة والاحترام، والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع.

وقوله تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ أي في حكم الله ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند . (٢) أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه البخاري ورواه أحمد وابن أبي حاتم .

أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم عكما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخي بينهما رسول الله على الذيل الله على الله عنه قال: أنزل الله على وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ ، وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا من المدينة قدمنا ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم ووارثناهم، فآخي أبو بكر رضي الله عنه (خارجة بن زيد)، وآخي عمر رضي الله عنه ولا أموال لنا، فوجدت الله عنه: وواخيت أنا (كعب بن مالك) فجئته فابتعلته، فوجدت السلاح قد ثقله الناس غيره، قال الزبير رضي الله عنه: وواخيت أنا (كعب بن مالك) فجئته فابتعلته، فوجدت السلاح قد ثقله فها يرى، فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش، والأنصار خاصة، فرجعنا إلى مواريثنا. وقوله تعالى: ﴿ إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ﴾ أي ذهب الميراث وبني النصر والبر والصلة والإحسان والوصية، وقوله تعالى: ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ أي ذهب الميراث وهي أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير، وإن أن أولي الأربي وقضائه القدري الشرعي والله أعلى مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير، وإن قدره الأزلي وقضائه القدري الشرعي والله أعلى .

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّتَنَ مِيثَنَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوجٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَنَقًا عَلِيظًا ﴿ لِيَسْعَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمٌ وَأَعَدَّ لِلْكَنْهِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ }

يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء، أنه أخذ عليهم العهد والميئاق، في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَحَدْ الله مِيثَاقِ النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه في الآية، فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم، وكذلك هذا، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم، وقد صرح بذكرهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصيّى به نوحاً والذي أوحينا إليك. وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها، كما قال تعالى: ﴿ وإز أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم في فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليه، ثم رتبهم بحسب صلب آدم عليه الصلاة والسلام، كما قال أبي بن كعب: ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني ذريته، وأن فيهم الغني صلب آدم عليه الصلاة والسلام، كما قال أبي بن كعب: ورفع أباهم آدم فقال: إني أحببت أن أشكر، ورأى فيهم والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك فقال: رب لو سويت بين عبادك فقال: إني أحببت أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم في وقال ابن عباس: الميثاق الغليظ العهد، وقوله تعالى: ﴿ وإسأل الصادقين عن صدقهم في قال مجاهد: المبلغين المؤدين عن الرسل، وقوله تعالى: ﴿ وأعد

للكافرين ﴾ أي من أممهم ﴿ عذابًا ألياً ﴾ أي موجعاً، فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأمم، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين، والمارقين والقاسطين .

* يَنَأَيُّكَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَ تُكُرْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكُانَ اللَّهُ عِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ اللَّهُ عِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ اللَّهُ عَلَى مِنكُرْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ اللَّهُ عِلَى مِن اللَّهِ الطَّنُونَ إِللَّهِ الظُّنُونَا ﴿ فَي اللَّهِ الطَّنُونَا ﴿ فَي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَا عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَالِهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا لَهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَالَهُ عَلَا عَلَاهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَا عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَالَا عَلَيْهُ عَلَاكُوا عَلَا عَلَا عَلَاللَهُ عَلَيْكُمْ عَلَالَعُلَاعِ عَلَا عَلَالَعُلِهُ عَلَا عَلَاللّهُ عَلَا عَ

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه، إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم، عام تألبوا عليهم وتحزبوا، وذلك عام الخندق، وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرأ من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر ، منهم (سلام بن أبي الحقيق) و (سلام بن مشكم) و (كنانة ابن الربيع) خرجوا إلى مكة، فاجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب النبي عليه ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً، وخرجت قريشٌ في أحابيشهاً ومن تابعها وقائدهم (أبو سفيان) صخر بن حرب، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفر ، وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مَنْ فَوَقَكُم وَمَنْ أَسْفُلُ مَنْكُم ﴾، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثـة آلاف، فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم، يحجب الخيالة والرجالة أن تصلُّ إليهم وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل، فذهب إليهم (حيي بن أخطب) فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالأوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، ثم أرسل الله عزَّ وجلَّ على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار ، حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نَعْمَةُ اللَّهَ عليكم إذْ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً ﴾ قال مجاهد: وهي الصَّبا، ويؤيده الحديث الشريف: « نصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدبور ».

 وأخرج الحاكم والبيهتي في الدلائل عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال: ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله ﷺ، فقال جلساؤه: أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ربحاً في أصوات ربحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثًائـة أو نحو ذلك إذا استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً، حتى أتى علي وما عليَّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي، قال فأتاني ﷺ، وأنا جاث على ركبتي فقال: « من هذا ؟ » فقلت: حذيفة، قال: « حذيفة ؟ » فتقاصرت الأرض فقلت: بلي يا رسول الله كراهية أن أقوم فقمت، فقال: « إنه كاثن في القوم خبر فأتني بخبر القوم » قال: وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قراً قال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ: « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته »، قال: فوالله ما خلق الله تعالى فزعاً ولا قرأً في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئاً، قال: فلما وليت قال ﷺ: « يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني » قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد، فإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سُفيان قبل ذلك، فانتزعت سُهماً من كنانتي أبيض الريش، فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ: « لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني ٥، قال: فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت المعسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم، وإذا الربيح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها، ثم خرجت نحو النبي ﷺ، فلما انتصفت في الطريق أو نحواً من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالواً: أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقرقف، فأومأ إلى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي، فدنوت منه، فأسبل على شملة، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، فأخبرته خبر القوم وأخبرته أني تركتهم يرتحلون، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا اذكروا نعمة الله

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه .

عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً \$ الله ولا ي داود : وكان رسول الله على إذا حزبه أمر صلى الله على الله عنه أنهم بنو قريظة ، فو وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فه أي من شدة الخوف والفزع ، فو ونظنون بالله الظنونا في ظن بعض من كان مع رسول الله على الدائرة على المؤمنين، وقال محمد بن السحاق : ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق ، حتى قال (معتب بن قشير) : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط ، وقال الحسن في قوله عزَّ وجلَّ : فو وتظنون بالله الظنونا في ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمداً على وأصحابه يستأصلون ، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حتى وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال ، قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال على الله عنه ، قولوا : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » هل من شيء نقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال على الله عنه ، قولوا : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » قال : فضرب وجوه أعدائه بالربح ، فهزمهم بالربح "

هُنَ الِكَ آبْشَلِيَ ٱلْمُؤْمِنُ وَنَ وَلْإِلُواْ زِلْزَالَا شَدِيدًا ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَت طَّمَا إِنْ يُرَبِّهُمْ يَنَاهُ لَى يَثْرِبَ لَامُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَقْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّيِّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةً إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞

يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله يَعْلَيْهُ بين أظهرهم، أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً، فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم، ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾، أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة تنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال، قال الله تعالى: ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ﴾ يعني المدينة كما جاء في الصحيح: ه أرب بين حرتين فذهب وَهْلِ (أ) أنها هجر فإذا هي يثرب » وفي لفظ المدينة، وقوله: ﴿ لا مقام لكم ﴾ أي ههنا يعنون عند النبي عَلِيْكُ في مقام المرابطة، ﴿ فارجعوا ﴾ أي إلى بيوتكم ومنازلكم ﴿ ويستأذن فريق منهم النبي ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا نخاف عليها السراق، يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلم بأنها عورة، أي ليس دونها ما يحجبها من العدو، فهم يخشون عليها منهم، عني اعتذروا في الرجوع إلى منازلم بأنها عورة، أي ليس دونها ما يحجبها من العدو، فهم يخشون عليها منهم، قال الله تعالى: ﴿ وما هي بعورة ﴾ أي ليست كما يزعمون ﴿ إن يريدون إلا فراراً ﴾ أي هرباً من الزحف .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُهِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَـٰ إِلَّا يَسِيرًا ﴿ إِنَّ وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ ٱللَّهَ

⁽١) أخرجه الحاكم والبيهتي في دلائل النبوة .

⁽٢) أخرجه أبو داود في سننه .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الإمام أحمد بمثله .

⁽٤) وَهْلِي : أَي ظني .

مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَثَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْعُولًا ﴿ قُلُ لَن يَنفَعَكُمُ الْفِرَادُ إِن فَرَرَّتُمُ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِالْفَتْلِ وَإِذَا لَا ثَمَتَعُونَ إِلَّا قَلِيدُكُ ﴿ مَنْ قَالَمَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُرْ سُوَمًا أَوْ أَرَادَ بِكُرْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيثًا وَلَا نَصِيرًا ﴿

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ﴿ يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً، وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ()، وهذا ذم لهم في غاية الذم، ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف : ﴿ وكان عهد الله مسئولاً ﴾ أي وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد لا بد من ذلك، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً ﴾ أي بعد هر بكم وفراركم، ثم قال تعالى: ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله ﴾ أي يمنعكم، ﴿ إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ أي ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله عجير ولا مغيث .

* قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُرْ وَٱلْقَآبِلِينَ لِإِخْوَنْهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ۚ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ أَنْ أَنِّهُمْ عَلَيْكُمْ ۗ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخُوْفُ رَأَيْتُهُمْ يَسْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْنِهُمْ كَالَّذِى يُغْثَنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَة حِدَادِ أَشِحَةً عَلَى آلْحَيْرِ أُولَيْكَ لَرْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطُ اللّهُ أَعْمَلُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا لَهُ يَخْبِر تَعَلَى عَن إَحَاطة علمه بالمعوقين لغيرهم من شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم ﴿ هلم إلينا ﴾ أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثار وهم مع ذلك ﴿ لا يأتون البأس إلا قليلاً وأشحة عليكم ﴾ أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم، وقال السدي ﴿ أشحة عليكم ﴾ أي في الغنائم، ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ أي من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك، قال ابن عباس: ﴿ سلقوكم ﴾ أي استقبلوكم، وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا، قد شهدنا ممكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وهم مع ذلك ﴿ أشحة على الخبر ﴾ أي ليس فيهم خبر قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخبر، فهم كما قال في أمثالم الشاعر

أفي السلم أعبار^(١) جفـــاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك ؟

⁽١) هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير . (١) الأعيار: جمع عير وهو الحمار .

أي في حال المسالمة كأنهم الحمر، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولئكُ لَمْ يَوْمَنُوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي سهلاً هيناً عنده .

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَهُ يَذْهَبُوا ۚ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُواْ لَوْ أَنَهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْتَكُونَ عَنْ أَنْبَآ بِكُمْ وَلَوْكَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَنْتَلُوٓ ا إِلَّا قَلِيلًا ﴿

وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف، ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم، ﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ﴾ أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع علوكم، ﴿ ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلاً ، لكثرة جنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .

لَّقَدْ كَانَ لَكُرْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآنِيرَ وَذَكَّرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ١٤٥٠ وَلَمَّا رَءَا

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَخْرَابَ قَالُواْ هَلَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانَا وَتَسْلِيمًا ١٠٠٠

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله عليه الله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي عليه في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله عليه أي ولهذا قال تعالى: ﴿ لقد كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين، المصدق بن بموعود الله لهم، وجعله العاقبة لهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ك قال ابن عباس: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب ﴾ أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاحتبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسلياً ﴾ أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله على أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله على أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله الله السه الله المسلم القريب أنه بالله، ﴿ وما زادهم ك أي ذلك الحال والضيق والشدة ﴿ إلا إيماناً ك بالله، ﴿ وتسلياً ك أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله على أي ذلك الحال والضيق والشدة ﴿ إلا إيماناً ك بالله، ﴿ وتسلياً ك أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله على المها المها الله المسلم القربوله عليه الناس وأحواله أي المها المها وطاعة لموله المهاه ا

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَاعَلَهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْتُ فَيْهُم مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ, وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿
إِيَّ اللَّهُ الصَّدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنْفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿
إِيَّ اللّهُ الصَّدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنْفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ ٱللّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق، و ﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ﴾ قال بعضهم: أجله، وقال البخاري: عهده، وهو يرجع إلى الأول ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً في وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه. روى البخاري عن أنس بن ما عاهدوا الله عنه قال: نرى هذه الآيات نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه هم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الآية، وروى الإمام أحمد عن ثابت قال: قال أنس عمي (أنس بن النضر) رضي الله عنه، لم يشهد مع رسول الله عليه على بدر فشق عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله على غبت عنه، لأن أراني الله تعالى مشهداً فيا بعد مع رسول الله على ليرين الله عز وجل ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله على يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقال له أنس رضي الله عنه: يا أبا عمرو أين، واها لربح الجنة إني أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه، قال: فوجد في جسده فنزلت هذه الآية في من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا ببدلاً في قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنه، وعزى المسلمين بما أصابهم، وأخبرهم بما فهيه من الأجر والذخر، ثم قرأ هذه الآية: في من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه فيهم من قضى نحبه كي رسول الله من الأجر والذخر، ثم قرأ هذه الآية: في من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه كي أسائل هذا اله رجل من المسلمين فقال: يا رسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وعلى ثوبان أخضران حضرميان فقال: «أيها السائل هذا منهم هه أله ألله السائل هذا منهم هه أله ألله السائل هذا منهم هه أله أله السائل هذا منهم هم أله أله السائل هذا منه أله أله السائل هذا منهم هم أله أله السائل هم أله أله السائل هذا منهم هم أله أله السائل السائل السائل هم أله أله السائل ال

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ فَهُم مِن قَضَى نَحِه ﴾ يعني عهده ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ يوماً فيه القتال فيصدق في اللقاء، وقال الحسن: ﴿ فنهم من قضى نحبه ﴾ يعني موته على الصدق والوفاء، ومنهم من لم يبدل تبديلاً ، وقال بعضهم: نحبه نذره، وقوله تعالى: ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغلر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين ﴿ عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ أي إنما يخبر عباده بالخوف والزلزال، ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه منهم، كما قال تعالى: ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾، فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلاً به قبل وجوده، وكذا قال الله تعالى: ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾، ولهذا قال تعلى ههنا: ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾ أي بصبرهم على ما عاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿ إن الله فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿ إن الله فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿ إن الله كان غفوراً رحماً ﴾.

⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه ينحوه .

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن موسى بن طلحة .

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَرْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَنَى اللّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِنَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّا عَزِيزًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التي أرسلها على عاد، ولكن قال تعالى: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ فسلط عليهم هواء قرق شملهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم ﴿ لم ينالوا خيراً ﴾ لا في المدنيا من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول على العداوة وهمهم بقتله، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أي لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم؛ بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده » أن وفي الله الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده » أن وفي الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه قال: دعا رسول الله على الأحزاب فقال: « اللهم متزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم ». وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وكفى الله المؤمنين الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم ». وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وكفى الله المؤمنين المتال ﴾، إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال رسول الله على المنازة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم »، فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان رسول الله على المحد والمنة . بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة، وقوله تعالى: ﴿ وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ أي بحوله وقوته ردّهم خائبين لم ينالوا خيراً، وأعز الله الإسلام وأهله، فله الحمد والمنة .

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتْنِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيْرَهُمْ وَأَمْوَلُهُمْ وَأَرْضًا لَمْ ۖ تَطَعُوهَا ۖ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞

قد تقدم أن (بني قريظة) لما قدمت الأحزاب، ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله على من العهد، وكان ذلك بسفارة (حيى بن أخطب) لعنه الله دخل حصنهم، ولم يزل بسيدهم (كعب بن أسد) حتى نقض العهد، وقال له فيما قال: ويحك قد جتتك بعز الدهر، أتيتك بقريش وأحابيشها، وغطفان وأتباعها، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه، فقال له كعب: بل والله أتيني بذل الدهر، فلم يزل يفتل في المندوة والغارب، حتى أجابه، فلما نقضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله على الله من عليه وعلى المسلمين جداً، فلما أيده الله تعالى ونصره، وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة، ورجع رسول الله على المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح، فبينما رسول الله على يغتسل من وعثاء تلك المرابطة، في بيت أم سلمة رضي الله عنها، إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام متعجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج، وفقال: أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال على الله يأم لك أن تنهض إلى بني قريظة، فنهض رسول الله على أمرك أن تنهض إلى بني قريظة، فنهض رسول الله على المرجوعي من طلب القوم، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة، فنهض رسول الله على المنتها المنتها، وهذا الآن

⁽١) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة .

من فوره، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر، وقال عَلَيْكَة : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة »، فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق، فصلى بعضهم في الطريق، وقالوا: لم يرد منا رسول الله عَيْلِكُ إلا تعجيل المسير، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة، فلم يعنف واحداً من الفريقين، وتبعهم رسول الله عَلَيْكُ ،

وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأعطى الرابة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم (سعد بن معاذ) سيدُ الأوس رضي الله عنه، لأُنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، فعند ذلك استدعاه رسول الله عَلِيْكُ من المدينة ليحكم فيهم، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطنوا له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون: يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم، ويرققونه عليهم ويعطفونه، وهو ساكت لا يرد عليهم، فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لاثم، فعرفوا أنه غير مستبقيهم، فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله عَيْطَاتُه قال رسول الله عَلِيْكُمْ : « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه المسلمون، فأنزلوه إعظاماً وإكراماً واحتراماً له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم، فلما جلس قال له رسول الله ﷺ: « إن هؤلاء – وأشار إليهم – قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت » فقال رضي الله عنه: وحكمي نافذ عليهم ؟ قال عَلِيُّهُ: ٩ نعم ٥، قال: وعلى من في هذه الخيمة ؟ قال: « نعم »، قال: وعلى من ههنا، وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله عليه ، فقال له رسول الله عليه : « نعم »، فقال رضيّ الله عنه: إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم وأموالهم، فقال له رسول الله ﷺ: « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة »، ثم أمر رسولَ الله عَلَيْكُ بالأخاديد، فحدت في الأرض وجيء بهم مكتفين، فضرب أعناقهم، وكانوا ما بين السبعمائة إلى الناكمائة، وسبي من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الذِّينَ ظَاهِرُوهُمْ ﴾ أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسولَ الله عَيْقَةُ ﴿ مُن أهل الكتاب﴾ يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديمًا طمعًا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿ فَلَمَا جَاءُهُمْ مَا عَرَفُوا كَفُرُوا به ﴾ فعليهم لعنة الله، وقوله تعالى: ﴿ من صياصيهم ﴾ يعني حصونهم ٥٠ ، ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ وهو الخوف لأنهم كانوا مالأوا المشركين على حرب النبي عَيَالِتُهُ، وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم فانعكس عليهم الحال، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَرَيَّقَا تَقْتُلُونَ وَتَأْسُرُونَ فَرَيَّقاً ﴾ فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الصغار والنساء، ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ﴾ أي جعلها لكم من قتلكم لهم ﴿ وأرضاً لم تطاوها ﴾ قيل: خيبر ، وقيل: مكة، وقيل: فارس والروم، قال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مراداً ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شِيءَ قَدْيَراً ﴾ .

يَنَأَيُّهَا النَّىٰ قُل لِآذْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَ وَزِينَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُنَّ وَأُسَرِّحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿

⁽١) وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغير واحد من السلف .

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسول الله على نان يغير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره، ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي على أن رسول الله عليك أن لا تستعجل الله تعالى أن يُغيِّر أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول الله على فقال: « إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجل حتى تستأمري أبويك – وقد علم أن أبويً لم يكونا يأمراني بفراقه – قالت: ثم قال: « إن الله تعالى قال: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ » إلى تمام الآيتين، فقلت له: فني أي هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (ووى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قالت عائشة رضي الله عنها: أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فقال على فراق قالت ثم قال: ﴿ إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال: « إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ الآيتين، قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أني هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير الناء كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها شهدا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن () .

وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله على الناس ببابه جلوس، والنبي على جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه، فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي على جالس وحوله نساؤه، وهو على ساكت، فقال عمر رضي الله عنه: لأكلمن النبي على له لعله يضمحك، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد – امرأة عمر سألني النفقة الله النفية آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي على حتى بدت نواجذه، وقال: « هن حولي يسألنني النفقة »، فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها، وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي على النبي على النبي على الله عنه الله النبي على أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي ضعه حتى تستأمري أبويك » قالت وما هو ؟ قال فتلا عليها: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ الآية. قالت عائشة فيه حتى تستأمري أبويك ، قالت وما هو ؟ قال فتلا عليها: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ الآية. قالت عائشة فقال عنها أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال عكرمة: فقال على أنته عنها أفيك أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً ﴾ أي أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن، قال عكرمة: قوله تعالى: ﴿ وانات تحته على صفية بنت حي النضيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وحويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين .

⁽١) أخرجه البخاري وفي بعض رواياته عن عائشة قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت .

 ⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه البخاري ومسلم عن الزهري عن عائشة بمثله ...

⁽٣) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

يَننِسَآءَ النِّي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِثَةٍ مُبَيِّنةٍ يُضَاعَفْ لَمَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴿

* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَمَا رِزْقًا كَرِيمُ ١

يقول تعالى واعظاً نساء النبي عَلِيْكِي ، اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، بأن من يأت منهن ﴿ بفاحشة مبينة ﴾ قال ابن عباس : هي النشوز وسوء الخلق ، وهذا شرط والشرط لا يقتضي الوقوع ، كقوله تعالى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ لَيْحِبَطْنَ عَمَلْكُ ﴾ ، وكقوله ﴿ قُلُ إِنْ كَانَ للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ ، فلما كانت منزلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظاً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ يعني في الدنيا والآخرة (١) ، ﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي سهلاً هيناً ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله : ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾ أي تطع الله ورسوله وتستجب ﴿ نؤتها أجرها مرتين وأعندنا لها رزقاً كريماً ﴾ أي في الجنة ، فإنهن في منازل رسول الله علين أعلى عليين ، فوق منازل جميع الخلائق ، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجرش .

يَنفِسَاءَ النِّي لَسْتُنَّ كَأَحَدِ مِنَ النِّسَاءَ إِنِ اتَّقَيْتُنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقُولِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ عَمَ مَّشُ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا شَيُّ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرَّجَ الْجَنهِلِيَّةِ الْأُولَٰ وَأَفِنَ الصَّلَوَةَ وَ الِبِنَ الزَّكُوةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ ۚ إِنِّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّحْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِرَكُمْ تَطْهِيرًا شِي وَاذْكُونَ مَا يُسْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ عَايَنتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا شَيْ

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي عليه "، بأنهن إذا اتقين الله عزَّ وجلَّ كما أمرهن، فإنه لا يشبهن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال تعالى: ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ قال السدي: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال تعالى: ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ أي دغل، ﴿ وقلن قولاً معروفاً ﴾ قال ابن زيد: قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها، وقوله تعالى: ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ أي إلزمن بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحواثيج الشرعية، الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله على إلا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تَفِلات ٣٠٠، وفي رواية: « وبيوتهن خير لهن » وروى الحافظ البزار عن أنس رضي الله عنه قال: جئن النساء إلى رسول الله علي قلن: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى ، فا لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ؟ فقال رسول الله على النبي على قال: « إن المرأة عورة نحوها – منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى »، وعن النبي على قال: « إن المرأة عورة نحوها – منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى »، وعن النبي على قال: « إن المرأة عورة نحوها – منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى »، وعن النبي على قال: « إن المرأة عورة نحوها – منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى »، وعن النبي عبيها قال: « إن المرأة عورة ناه على المجاهدية في سبيل الله تعالى »، وعن النبي عبيها في المناه على المجاهدين في سبيل الله تعالى »، وعن النبي عبيها في النبي المولة عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » وعن النبي عليه المولة عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » وعن النبي عليه الله المولة عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » وعن النبي عبيه على المولة المولة

⁽١) قاله زيد بن أسلم ومجاهد .

⁽٢) ونساء الأمة تبع لهن في ذلك .

⁽٣) تَفِلات : أي غير متطيبات .

فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها ""، وفي الحديث: « صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وقوله تعالى: ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية، وقال قتادة: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك، وقال مقاتل: التبرج أنها تلتي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.

وقوله تعالى: ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾ نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين، ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ ، وهذا من باب عطف العام على الخاص، وقوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ نص في دخول أزواج النبي عليه الله البيت ههنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، روى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ نزلت في نساء النبي عليه خاصة، وليس المراد أنهن المراد فقط دون غيرهن، فقد روى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب رضي الله عنه عن ابن عم له قال: دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن علي رضي الله عنه، فقالت رضي الله عنها: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله عليه وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله عليه علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنها والقى عليهم ثوباً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت: فدنوت منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك ؟ فقال علياً على خير ه الله .

وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حبان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة إلى (زيد ابن أرقم) رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله علي الله وسععت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله علي قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله علي أله من حدثتكم فاقبلوا وما لا، فلا تكلفوا فيه، ثم قال: قام فينا رسول الله علي يوماً خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والتور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ه فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته وآل عقيل وآل جعفر وآل

⁽١) أخرجه الحافظ البزار والترمذي .

⁽٢) أخرجه الحافظ البزار عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً وإسناده جيد .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

عباس رضي الله عنهم، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال: نعم (١٠). والذي لا يشك فيه من تدبر القرآن نساء النبي على داخلات في قوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله على التي ييوتكن من الكتاب والسنة، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي عنهما أولاهن بهذه النعمة، فإنه لم ينزل على رسول الله على الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صحبات الله وسلامه عليه، فناسب أن تخصص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث: ﴿ وأهل بيتي أحق »، وهذا يشبه ما ثبت في صحبح مسلم أن رسول الله على المسلم على التقوى من أول يوم فقال: ﴿ هو مسجدي هذا »، مسلم أن رسول الله على خال الآية إنما نزلت في مسجد قباء، كما ورد في الأحاديث الأخر، ولكن إذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم فقال: ﴿ إن الله كان لطيفاً على المقوى من أول يوم فقال: ﴿ إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة، وبخبرته أعطاكن ذلك وخصكن بذلك، قال ابن جرير: واذكروا نعمة الله عليكن بأن جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي (السنة) نخيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً .

* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِنِينَ وَالْقَائِنَةِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَنْشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّنِيمِينَ وَالصَّنِيمَاتِ وَالْخَافِظِ مِنَ فُرُوجَهُمُ مَوَالْخَافِظُالِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَذَ اللَّهُ لَكُمُ مَعْفِرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ وَاللَّا كِرَاتِ أَعَذَ اللَّهُ لَكُمُ مَعْفِرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ وَاللَّا كِرَاتِ أَعَذَ اللَّهُ لَكُمُ مَعْفِرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ وَاللَّا لِكَاتِ أَعَذَ اللَّهُ لَكُمُ مَا لَعَلَا لَهُ اللَّهُ الْ

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي عَلَيْكُ يا نبي الله: ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ أ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال النساء للنبي عَلِيْكُ : ﴿ إِن المسلمين والمسلمات ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه لقوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ وفي الصحيحين: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه. وقوله تعالى: ﴿ أَمن هو قانت آناء

⁽١) رواه مسلم في صحيحه .

⁽٢) رواه النسائي في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها .

⁽٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الليل ساجداً وقاعاً في، وقال تعالى: ﴿ كُلُ لَهُ قانتون في فالإسلام بعده مرتبة يرتني إليها وهو ﴿ الإيمان في ثم القنوت ناشيء عنهما ﴿ والصادقين والصادقات في هذا في الأقوال فإن الصدق خصلة محمودة، وهو علامة على الإيمان كما أن الكذب أمارة على النفاق؛ ومن صدق نجا، ﴿ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ﴾ الحديث. ﴿ والصابرين والصابرات في هذه سجية الأثبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدر كائن لا محالة، وتلتي ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، أي أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها ﴿ والخاشعين والخاشعين في الخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف وثباتها ﴿ والخاشعين والخاشعين في الحديث: ﴿ اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ ﴿ والمتصدقين والمتصدقات في الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم، وقد ثبت في الصحيحين: « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – فذكر منهم – ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ». وفي الحديث الآخر: ﴿ والصدقة تطنيء الخطيئة كما يطنيء الماء النار ؛ والأحاديث في الحث عليها ما تنفق يمينه ». وفي الحديث الآخر: ﴿ والصدقة تطنيء الخطيئة كما يطنيء الماء النار ؛ والأحاديث في الحث عليها ما تنفق بمينه ». وفي الحديث الآخر: ﴿ والصدقة تطنيء الخطيئة كما يطنيء الماء النار ؛ والأحاديث في الحث عليها كثيرة جداً .

﴿ والصائمين والصائمات ﴾ والصوم زكاة البدن، يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديثة، كما قال سعيد ابن جبير : من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى: ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة، كما قال رسول الله عليه الله عليه الله عليه السلم على السلماع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، ناسب أن يذكر بعده ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ أي عن المحارم والمآثم إلا عن المباح، كما قال عزٌّ وجلٌّ: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومينكه، وقوله تعالى: ﴿ والذَّاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾، روى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ع⁰⁰. وفي الحديث: ٥ ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غداً فتضربوا أعناقهم ويضرُّبوا أعناقكم ؟ » قالواً: بلي يا رسوُّل الله، قال ﷺ: « ذكر الله عزَّ وجلُّ » ﴾ ، وروي ان رجلاً سأل النبي عَلِيْكُ فقال : أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال عَلِيْكُم : « أكثرهم لله تعالى ذكراً »، قال: فأي الصائمين أكثر أجراً ؟ قال ﷺ: « أكثرهم لله عزَّ وجلَّ ذكراً » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله ﷺ: ﴿ أَكْثُرُهُمُ للهُ ذَكْرًا ﴾ فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الَّذَاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: « أجل 🎢 . وقوله تعالى: ﴿ أَعِدَ اللَّهَ لَهُم مغفرةً وأجراً عظياً ﴾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم، أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم ﴿ مغفرة ﴾ منه لَذنوبهم و ﴿ أَجِراً عظماً ﴾ وهو الجنة .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بمثله .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل مرفوعاً .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ ۖ أَمَّا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِفَيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمَ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَنَلًا مَٰبِينَ ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله عَلِيكُ (زينب بنت جحش) لزيد بن حارثة رضي الله عنه، فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً، وكانت امرأة فيها حدة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ الآية كلها^(١) ، وقال عبد الرحمن بن أسلم: نزلت في (أم كلثوم) بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي ﷺ فقال: قد قبلت، فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني – والله أعلم – بعد فراقه زينب، فسخطت هي وأخوهـــا ، وقالا : إنمــا أردنا رسول الله عَلِيْكُهُ ، فزوجنا عبده ، قال ، فنزل القرآن : ﴿ وَمَا كَانَ لَمُؤْمَنَ وَلَا مُؤْمَنَةً إِذَا قضي الله ورسوله أمراً ﴾ إلى آخر الآية، وروى الإمام أحمد عن أنَس رضي الله عنه قال : خطب النبي ﷺ على (جليبيب) امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال : حتى أستأمر أمها، فقال عَلِيُّكُم : « نعم إذاً » قال، فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر لها، فقالت: لاها الله إذن ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيباً ، وقد منعناها من فلان وفلان، قال: والجارية في سترها تسمع، قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره، إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه، قال: فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال ﷺ: ﴿ فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُه ﴾، قال: فزوجها، ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس رضي الله عنه: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة٣. وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في (الاستيعاب) أن الجارية لما قالت في خدرها: أتردون على رسول الله عَلِيْكُ أمره ؟ نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ لَمُؤْمَنَ وَلَا مُؤْمَنَة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، وقال ابن جريج عن طاووس قال: إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر، فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم كه فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبُّكَ لَا يَؤْمَنُونَ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾، وفي الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ≈، ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾. وَ إِذْ تَفُولُ لِلَّذِيَّ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَآتَي آللَّهَ وَنُحْنِي فِي نَفْسِكَ مَاٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَحْشَى ٱلنَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَحْشَلُهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَـرُا زَوَّجَنَكَهَا لِكَي لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَّجٌ

⁽١) وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل أنها نزلت في (زينب بنت جحش) حين خطبها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه .

فِي أَزْوَجِ أَدْعِيآ بِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًّا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿

وروى ابن جريو عن عائشة رضي الله عنها أنها قالمت: لو كتم محمد على شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم ﴿ ونحفي في نفسك ما الله مبديه ونحشى الناس والله أحق أن نخشاه ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ الوطر: هو الحاجة والأرب، أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها، وكان الذي ولي تزويجها منه الله عزّ وجلّ، بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر، عن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله علي لزيد بن حارثة: « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأولول: إن رسول الله علي في أبشري أرسلني رسول الله علي والمن الله علي أبشري أرسلني رسول الله علي أبي والمنه المنازي والمنازي ووعظ القوم بما وعظوا أخبر، فانطاق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا أخبر كان المنازي والمنازي والمنازي والمنازي والمنازي والمنازي ووعل الله عنه قال والله والمنازي والمنازي والمنازي والمنازي ووعل المنازي ووجئي الله تعالى من فوق سبع سماوات » وقوله تعالى: ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج النبي على أذواج النبي على أذواج النبي وروجني الله تعالى من فوق سبع سماوات » ووله المنازي المنازي المنازي ولوله المنازي وروجني الله أولوله والمنازي المنازي وروجني الله المنازي وروجني الله والمنازي المنازي والمنازي المنازي المنازي

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها .

 ⁽٢) أخرجه الإمام أحمد ورواه مسلم والنسائي بنحوه .
 (٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك .

أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراكه أي إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله يمالي كان قبل النبوة قد تبنّى (زيد بن حارثة) رضي الله عنه، فكان يقال له (زيد بن محمد) فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياء كم أبناء كم كه زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله علي بزينب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة، ولهذا قال تعالى في آية التحريم ﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم كه ليحترز من الابن الدعي، فإن ذلك كان كثيراً فيهم، وقوله تعالى: ﴿ وكان أمر الله مفعولاً كه أي وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي عليه .

مَّاكَانَ عَلَى ٱلنَّبِي مِنْ حَرِجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ مُ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلُواْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَقَّدُوراً ﴿ مَا كَانَ عَلَى النبي من حرج فيا فرض الله له ﴾ أي فيا أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنه، وقوله تعالى: ﴿ سُنّة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد من توهم من المنافقين نقصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه، ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ أي وكان أمره الذي يقدره كانناً لا محالة، وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل، فا شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَلَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ, وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَـٰدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَنَى بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَآ أَحَـدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتُمَ النَّبِيِّتُ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

يمدح تبارك وتعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿ ويخشونه ﴾ أي يخافونه ولا يخافونه أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ أي وكفى الله ناصراً ومعيناً، وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام (محمد) رسول الله يَهَا أَنَّهُ ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسعره وسعره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، قال رسول الله على الله يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول منه، فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن يخشى ه الله وإن كان قد تبناه، كان محمد أبا أحد من رجالكم كه نمى أن يقال بعد هذا (زيد بن محمد) أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه عنها فاتوا صغاراً، وولد له يها من خديجة رضي الله عنه أنات والله واقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين، فات في حياته عنه ثلاث وناخرت فاطمة بنات ورينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين، فات في حياته عنه ثلاث، وتأخرت فاطمة بنات في حياته علي ثلاث وسلامة والطمة رضي الله عنهم أجمعين، فات في حياته على ثلاث، وتأخرت فاطمة بنات في حياته على شائلة عنهم أجمعين، فات في حياته على ثلاث و تأخرت فاطمة بنات في حياته على ثلاث في حياته على ثلاث في حياته عليه وتأخرت فاطمة بنات في حياته على ثلاث في خوات في خواته عنه فات في من خديمة أوبات في طرفه وتأخرت في الله عنه من مارية القبطية عنه أجمعين، فات في حياته على ثلث وتأخرت فاطمة والمنه و في الله عنه من عديمة أجمعين، فات في حياته على في الله على المناس المناس المناس الله المناس والمناس الله المناس الله المناس الله المناس الله المناس الله المناس الله المناس المناس الله المناس الكرف المناس الله الله المناس الله المناس الله المناس الله المناس الله

⁽١) أخرجه أحمد ورواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري .

رضي الله عنها حتى أصيبت به ﷺ ثم ماتت بعده لسنة أشهر، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُنَ رَسُولَ اللهُ وَخَاتُمَ النَّبِينَ وكانَ الله بكل شيء علياً ﴾ فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة .

وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ. روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ٣٠٠. حديث آخر: روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ٩ إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال: » ولكن المبشرات » قالوا: يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة »^٣، حديث آخر: روى أبو داود الطيالسي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلِيكَةِ: ﴿ مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٣٠٠٪ جديث آخر : قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك قال رسول الله عليت فكنت أنا اللبنة ». حديث آخر: قال الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال، قال لي النبي ﷺ: « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ». حديث آخر : عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحُو الله تعالى به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي "⁽²⁾ . فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر تبارك وتعالى في كتابه العزيز أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال، ضال مضل.

* يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكُا كَثِيرًا ﴿ وَسَيِّحُوهُ بُكُرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰكِكُنّهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ يَحْيَنَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُـمُ أَجْرًا كريتُ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة الذكر لربهم تبارك وتعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن، لما

⁽١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي .

⁽٣) أخرجه الطيالسي ورواه البخاري ومسلم والترمذي بنحوه . (٤) أخرجاه في الصحيحين عن طريق الزهري .

وقوله تعالى: ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ أي عند الصباح والمساء، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فسبحان الله حين تصبحون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ هذا تهييج إلى الذكر ، أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ ، وقال النبي عليه : ويقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والصلاة من الله تعالى : ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخاري عن أبي العالمية ، وقال غيره : الصلاة من الله عزَّ وجلَّ : الرحمة ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم ، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ، ﴿ وكان بالمؤمنين رحياً ﴾ أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق وبصّرهم الطريق ، الذي ضل عنه الدعاة إلى الكفر أو البدعة ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم . روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي القابلة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لمحبته لم ورأفته بهم . روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي القه بالمنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لحبته لهم ورأفته بهم . روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الق

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد وروى الترمذي وابن ماجه الفصل الأخير منه .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً .

⁽٥) صنف العلماء في الأذكار كتباً كثيرة ومن أحسنها كتاب (الأذكار) للإمام النووي .

يَنَايُّكَ النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَنْهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ـ وَسِرَاجًا مَّنِيرًا ﴿ وَبَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿ فَي وَلَا تُطِعِ الْكَنْفِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَنهُم وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَنَى بِاللّهِ وَكِيلًا ﴾

عن عطاء بن يسار قال: لقبت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله على التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن فو يا أبها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً كه، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس يفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً والهرائيل، فإني منطق لسانك بوحي، أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له (شعباء) أن قم في قومك بني إسرائيل، فإني منطق لسانك بوحي، وأبعث أمياً من الأمين، أبعثه ليس بفظ ولا عليظ ولا سخاب في الأسواق، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشراً ونذيراً، لا يقول الخنا، أفتح به أعيناً والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلال، وأعلم به بعد الفرقة، وأولف به بعد الفرقة، وأغرف به بعد الفرقة، وأولف به بعد الفرقة، وأعرف به بعد الفرقة، وأعرف به بعد الفرقة، وأخرف به بعد الفرقة، وأخلى منفرقة وقلوب مختلفة، وأهروف وينهون عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين، مصدقين لما جاءت به رسلي، أم متفرقة وقلوب مختلفة، والتكبير والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلهم ومؤهم، يصلون أهمهم التسبح والتحميد، والثناء والتكبير والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلهم ومنواهم، يصلون أهمهم التسبح والتحميد، والثناء والتكبير والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلهم ومنواهم، يصلون

⁽١) سخَّاب ; أي كثير الصخب وهو الذي يرفع صوِّته في الأسواق .

⁽٢) أخرجه البخاري والإمام أحمد عن عطاء بن يسار .

لي قياماً وقعوداً، ويقاتلون في سبيل الله صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً، يطهرون الوجوه والأطراف، ويشدون الثياب في الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين، والشهداء الصالحين، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون، وأعز من نصرهم وأؤيد من دعا لهم، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئاً عما في أيديهم، أجعلهم ورثة لنبيهم، والداعية إلى ربهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم لهما.

وقال ابن عباس: لما نزلت ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وقد كان أمر علياً ومعاذاً رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن، فقال: « انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، إنه قد أنزل علي : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ ﴿ ». فقوله تعالى: ﴿ شاهداً ﴾ أي لله بالوحدانية، وأنه لا آله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾، كقوله: ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾، وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ ومبشراً ونذيراً ﴾ أي بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب، وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ ومبشراً ونذيراً ﴾ أي بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب، وقوله جلت عظمته ﴿ ووسراجاً منيراً ﴾ أي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم، ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ أي وأمرك ظاهر فيا جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند. وقوله جلَّ وعلا: ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم ﴾ أي لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه، ﴿ ودع أذاهم ﴾ أي اصفح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى، ولهذا قال جلَّ جلاله: ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ .

* يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَكَحْنُهُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِأَن تَمَشُوهُنَّ فَكَ لَكُرْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدْمِ تَعْتَدُونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَمَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ مِن قبل أن تمسوهن ﴾ وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، وقوله تعالى: ﴿ المؤمنات ﴾ خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق، وقد استدل ابن عباس وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لأن الله تعالى قال: ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فعقب النكاح بالطلاق، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل، وذهب مالك وأبو حنيفة إلى صحة الطلاق قبل النكاح، فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، فعندهما متى تزوجها طلقت منه، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية، قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال : إذا قال (كل امرأة أتزوجها فهي طالق) ليس بشيء، من أجل أن الله تعالى يقول: ﴿ يا أيها الذين

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه رحمه الله .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم والطبراني .

آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن في ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح ؟ وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو ابن شعبب عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله يَعْلَيْهُ: « لا طلاق لابن آدم فيها لا يملك ه أو وواية: « لا طلاق قبل النكاح » ، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فا لكم عليهن من عدة تعتلونها في هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثني من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً. وقوله تعالى: ﴿ فتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً في الممتعة المناصة إن لم يكن قد سمى لها، سراحاً جميلاً في المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها، قال الله تعالى: ﴿ وإن طلقتم النساء ما لم تحسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تحسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسين في وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد أن رسول الله يَعْلَيْ تروج (أميمة ثوبين أبي طلحة: إن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا النصف، وإن لم يكن سمى لها صداقاً فرين رازقين. قال على بن أبي طلحة: إن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا النصف، وإن لم يكن سمى لها صداقاً أمين قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل .

يَنَائِبُ النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَ لَكَ أَزْوَجَـكَ الَّنتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ بَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ خَلَاتِكَ الَّنتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنَكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِيُّنَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزُواجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِيُّنَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزُواجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْكِهُمْ لِكُنْهُمْ لِكُيلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَبُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا (ثَنَّى

يقول تعالى مخاطباً نبيه يَرَافِيَّة، بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد، وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونصف، فالجميع خمسائة درهم إلا (أم حبيبة بنت أبي سفيان) فيانه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعمائة دينار، وإلا (صفية بنت حيى) فإنه اصطفاها من سبي خيبر، ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها، وكذلك (جويرية بنت الحارث) المصطلقية أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها – رضي الله عنهن أجمعين – وقوله تعالى: ﴿ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما، وملك ريحانة بنت شمعون النضرية، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام، وكانتا من السراري رضي الله عنهما. وقوله تعالى: ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ﴾ الآية، كان النصارى لا يتوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، وجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وحرم فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وحرم

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حديث حسن وهو أحسن شيء في هذا الباب .

⁽٢) أخرجه ابن ماجه عن المسور بن مخرمة .

ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع، روى ابن أبي حاتم عن أم هانيء قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَا أَحَلَمْنَا لَكَ أَرُواجِكَ اللَّذِي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عمائك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك كه قالت: فلم أكن أحل له، ولم أكن ممن هاجر معه، كنت من الطلقاء، وقال قتادة: المراد من هاجر معه إلى المدينة، وفي رواية عنه ﴿ اللاتي هاجرن معك ﴾ أي أسلمن، وقوله تعالى: ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك﴾ أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة، إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله عليه جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك، فقامتُ قياماً طويلاً، فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: « هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ » فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله ﷺ: « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئًا ، فقال: لا أجد شيئًا، فقال: « التمس ولو خاتماً من حديد ۽ فالتمس فلم يجد شيئاً ، فقال له النبي ﷺ: ﴿ هل معك من القرآن شيء ؟ ﴾ قال: نعم سورة كذا وسورة كذا – السور يسميها – فقال له النبي ﷺ: ﴿ زُوجِتُكُهَا بِمَا مَعْكُ مِنَ الْقَرَآنَ ﴿ لَا ۖ .

وعن ثابت قال: كنت مع أنس جالساً وعنده ابنة له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبى الله هل لك فيَّ حاجة ؟ فقالت ابنته: ما كان أقل حياءها فقال: « هي خير منك، رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها »⁶⁰. وقال ابن أبي حاتم عن عائشة قالت: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت الحكيم، وعن عروة كنا نتحدث أن خولة بنت الحكيم كانت وهبت نفسها لرسول الله عَلِيْكُ ، وكانت امرأة صالحة ، والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير ، كما روى البخاري عن عائشة قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. وقد قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله عليه امرأة وهبت نفسها له، أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان ذلك مباحاً له ومخصوصاً به لأنه مردود إلى مشيئته، كما قال الله تعالى: ﴿ إِن أَراد النبي أَن يستنكحها ﴾ أي إن اختار ذلك". وقوله تعالى: ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ قال عكرمة: أي لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئاً، أي أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بهـا وجب عليه لها مهر مثلها، ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ يقول: ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلَمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزُواجِهم وما ملكت

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد .(٣) أخرجه البخاري والإمام أحمد .

⁽٣) أخرج ابن سعد: أن أم شريك غزية بنت جابر الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك فسهاها الله: مؤمنة، فقال ﴿ وامرأة مؤمنة ... ﴾ الآية، فلما نزلت قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك .

أيمانهم كه أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر ، وما شاعوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئاً منه^(١) ﴿ لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحياً ﴾ .

* تُرْجِى مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوِى إِلَيْكَ مَن تَشَاءً ۗ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنَ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاجَ عَلَيْكَ ذَالِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْبُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَمْ بِنَ بِمَلَ ءَاتَيْتُهِنَّ كُلُهُنَّ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَافِي قُلُو بِكُرُّ وَكَانَ ٱللّهُ عَلِيهًا حَلِيمًا ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَافِي قُلُو بِكُرُّ وَكَانَ ٱللّهُ عَلِيهًا حَلِيمًا ﴿ إِنْ

﴿ ترجى ﴾ أي نؤخر ﴿ من تشاء منهن ﴾ أي من الواهبات، ﴿ ونؤوي البك من تشاء ﴾ أي من شئت رددتها، ومن رددتها فأنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها، ولهذا قال: ﴿ وَمَن ابْتَغِيتَ ممن عزلت فلا جناح عليك كه، قال الشعبي: كن نساءاً وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده، منهن أم شريك، وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ الآية، أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت؛ ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لهن، ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ، واحتجوا بهذه الآية الكريمة، وروى البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين ؟ فقالت: كنت أقول: إن كان ذلك إليَّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً\ ، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أن تقسم لهن اختياراً منك، لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن واعترفن بمنتك عليهن، في قسمتك وإنصافك لهن وعدلك فيهن، وقوله تعالى: ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ أي من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه، كما روي عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: « اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »(٣) ، زاد أبو داود: يعني القلب. ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَماً ﴾ أي بضمائر السرائر ، ﴿ حَلَّماً ﴾ أي يحلم ويغفر 🖰

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَجِ وَلَوْ أَعْبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكٌّ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

كُلِّ مَنْ وَرَفِيكُ ﴿

⁽١) قاله مجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلَمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهُم في أزواجهم ﴾ .

⁽٢) اختار ابن جرير أن الآيـــة عامة في الواهبات وفي النـــاء اللاتي عنده أنه مخير فيهن جميعاً وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي.

⁽٣) أخرجه أصحاب السنن الأربعة وإسناده صحيح ورجاله ثقات .

 ⁽٤) أخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: هم رسول الله عليه أن يطلق نساءه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن، يؤثر من يشاء، فأنزل الله: ﴿ إِنَا أَحَلَمُنَا لَكَ أَزُواجَكَ - إِلَى قُولُه - ترجي من تشاء كه ذكره السيوطي .

هذه الآية نؤلت مجازاة لأزواج النبي على حسن صنيعهن، في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله على الله تعلى على الله تعلى قصره عليهن، وحرّم عليه أن يتروج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك وأباح له التروج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون المنة لرسول الله على على الله على عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما مات رسول الله على الله عنى أحل الله له النساء في وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله على أخل له أن يتروج من النساء ما شاء إلا ذات محرم، وذلك قول الله تعالى: ﴿ ترجي من تشاء منهن ﴾ الله في المناه المناه أنه التلاوة كآيتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة للتي بعدها والله أعلم. وقال أخرون: بل معنى الآية ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ أي من بعدما ذكرنا لك من صفة النساء، اللاتي أحللنا لك من نائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبة، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك .

قال ابن جرير عن زياد عن رجل من الأنصار قال، قلت لأبي بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبي عليه توفين أما كان له أن يتزوج ؟ فقال: وما يمنعه من ذلك ؟ قال، قلت: قول الله تعالى: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ فقال: إنما أحل الله فقال: إنما أحل الله فقال: إنما أحل الله فقال: إنما أحل الله فقال النبي إنا أحللنا لك أزواجك – إلى قوله تعالى – إن وهبت نفسها للنبي ﴾ ثم قبل له: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾، وروى الترمذي عن ابن عباس قال نبي رسول الله يتلق عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾، فأحل الله فتياتكم المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، وحرم كل ذات دين غير الإسلام، ثم قال: ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حيط عمله ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آنيت أجورهن – إلى قوله تعالى حالصة لك من دون المؤمنين ﴾ وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء عن بعد كافرة، وقال محرمة ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ أي من بعد ما سمى لك، لا مسلمة ولا يهودية، ولا نصرانية، ولا كافرة، وقال محرمة ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ : أي التي سمى الك، لا مسلمة ولا يهودية، ولا نصرانية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء من بعد ﴾ : أي التي سمى الله، وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير من حكينا عنه من السلف فإن كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم .

يَنَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُرْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـْظِرِينَ إِنَنهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَانَدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانَتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَعْنِسِينَ لِحَـدِيثٌ إِنَّ ذَالِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِء مِنكُمْ

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وَاللّهُ لَا يَسْنَحْي مِنَ الْحَيِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَنْعَا فَسْتَكُوهُنَّ مِن وَرَآء جِابٍ ذَلِكُرْ أَطْهَرُ لِقُلُو بِكُرْ وَقُلُو بِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُرْ أَنْ تُنْكِحُواْ أَزْوَجُهُ مِنْ بَعْدِهِ مَ أَبَدُّ أَيْ ذَلِكُرْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيمًا ﴿ وَمَا كَانَ لَكُرْ أَنْ تُنْكِحُواْ أَزْوَجُهُ مِنْ بَعْدِهِ مَ أَبَدُّ أَيْ ذَلِكُرْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيمًا ﴿ وَمَا كَانَ لِكُلْ شَيْء عَلِيمًا ﴿ وَمَا كَانَ لِكُلْ شَيْء عَلِيمًا ﴿ إِنَّ اللهِ عَظِيمًا ﴿ إِنْ تُبْدُواْ شَبْعًا أَوْ تُحْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِ شَيْء عَلِيمًا ﴿ إِنَّ اللهِ عَلِيمًا ﴿ إِنَّ اللهِ عَلَيمًا اللهِ عَلَيمًا ﴿ إِنَّ اللهِ عَلَيمًا اللهِ عَلَيمًا إِنْ اللهِ عَلَيمًا اللهِ عَلَيمًا اللهِ عَلَيمًا اللهُ عَلَيْهُ إِلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ

هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: وافقت ربي عزَّ وجلَّ في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو انخذت من مقام إبراهيم مصلي في، وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب، وقلت الأزواج النبي عَلَيْكَةً، لمَّا تمالان عليه في الغيرة في عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن في فترلت كذلك، وفي رواية لمسلم: ذكر أسارى بدر وهي قضيه رابعة. وفي البخاري عن أنس بن مالك قال، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر المو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله عليك البر ينب بنت جحش، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما، قال البخاري عن أنس بن مالك: لما تزوج رسول الله علي تأتي بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما وأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي عَلِيْلُةً ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت، فأخبرت النبي عَلَيْلَةً أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: في يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: في يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: في يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم أدخل فالقي بي والما فير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانشروا كالآية الله .

وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله عليه ببعض نسائه، فصنعت أم سليم حيساً ثم جعلته في تُور أن فقالت: اذهب بهذا إلى رسول الله عليه وأقرئه مني السلام وأخبره أن هذا منا له قليل، وقال أنس: والناس يومئذ في جَهد – فجئت به ، فقلت: يا رسول الله بَعث بهذا أم سليم إليك، وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل، فنظر إليه ثم قال: «ضعه » فوضعه في ناحية البيت ثم قال: « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » فسمى رجالاً كثيراً، وقال: « ومن لقيت من المسلمين »، فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس، فقلت: يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال: كانوا زهاء ثلاثمائة ، قال أنس: فقال لي رسول الله عليه : « جيّ به » فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا، وقال: « ما شاء الله » ثم قال: « ليتحلق عشرة وليسموا، وليأكل كل إنسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم، فقال لي رسول الله عليه : « ارفعه » قال: فجئت فأخذت التور، فنظرت فيه فا أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت، قال: وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله عليه وزوج رسول الله عليه التي دخل

⁽١) رواه البخاري عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم والنسائي بنحوه .

⁽٢) الحيس: طعام خليط من تمر وسمن وأقط. التور: وعاء صغير للشرب.

بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله على وكان أشد الناس حياء، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً، فقام رسول الله على حجره وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب، فخرجوا، وجاء رسول الله على حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فحث رسول الله على المنافق في بيته يسيراً وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي كه الآيات، قال أنس: فقرأهن على قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهداً (١٠).

فقوله تعالى: ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة، ثم أستثنى من ذلك فقال تعالى: ﴿ إِلا أَن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه كه أي غير متحينين نضجه واستواءه، أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هـــذا نمَا يكرهه الله ويذمــه؛ وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن™، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَكُنَ إِذَا دَعِيْمُ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعْمَتُمْ فَانْتَشْرُوا ﴾ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله عليه : « إذا دُعا أحدكم أُخاه فليجب عرساً كَان أو غيره ٣٠٠ ، وفي الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ: « لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ٰولو أهدي إليّ كراع لقبلت، فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض α، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا مُستَأْنُسِينَ لَحَدَيْثُ ﴾ أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ﴿ إِن ذَلَكُم كَانَ يُؤْدِي النِّي فيستحيي منكم ﴾ وقيل: المراد أنَّ دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك، من شدة حياته عليه السلام، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله لا يستحيي من الحق ﴾ أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَ مِنْ وَرَاءَ حَجَابٍ ﴾ أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولوكان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب. ﴿ ذَلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظماً ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رجل همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي عَلِيْكَ بعده، قال رجل لسفيانُ: أهي عائشة ؟ قال: قد ذكروا ذلك، وقال السدي: إنَّ الذي عزم على ذلك (طلحة بن عبيد الله) رضي الله عنه، حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم، وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: ﴿ إِن ذَلَكُم كَانَ عَنْدَ اللَّهُ عَظِّماً ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ إِن تَبْدُوا شَيَّا أَو تَخْفُوه فإن الله كان بكل شيء علماً ﴾

⁽١) رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي بنحوه .

⁽٢) صنَّف الخطيب البغدادي كتاباً في ذم الطفيلين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها .

⁽٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر

أي مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه فإنه لا تخنى عليه خافية ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخنى الصدور ﴾(١)

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآيِهِنَّ وَلَا أَبْنَآيِهِنَّ وَلَا إِخْوَ نِهِنَّ وَلَا أَبْنَآءِ إِخْوَ نِهِنَّ وَلَا أَبْنَآءِ إِخُو نِهِنَّ وَلَا أَبْنَآءِ إِخُو نِهِنَّ وَلَا أَبْنَآءِ إِخُو نِهِنَّ وَلَا أَبْنَآءِ إِنَّا لَلَهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ شَهِيدًا ﴿ وَهِي اللَّهِ عَلَى اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ شَهِيدًا ﴿ وَهِي

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بيّن أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ﴾ الآية، وفيها زيادات على هذه، وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى: ﴿ ولا نسائهن ﴾ يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات، وقوله تعالى: ﴿ وما ملكت أيمانهن ﴾ يعني به أرقاءهن من الإناث كما تقدم التنبيه عليه، قال سعيد بن المسيب: إنما يعني به الإماء فقط، وقوله تعالى: ﴿ واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ أي واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فراقبن الرقيب .

وَ اللَّهَ وَمَلَنَهِكَتُهُ, يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَنَأَيُّكَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿ إِنَّ اللَّهِ مَا لَئُهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الذَّهِ

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون يبرّكون، وقال سفيان الثوري: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، والمقصود من هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملا الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين (العلوي) و (السفلي) جميعاً، قال ابن عباس: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه عزَّ وجلَّ: يا موسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم، أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيه عليات : ﴿ إن الله وملائكته وسلموا تسليما ﴾ أن فقل تعالى: ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته في الآية، وفي الحديث: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على ميامن وقال تعالى: ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ﴾ الآية، وفي الحديث: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف »، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله عليات بالأمر بالصلاة عليه، ونحن نذكر منها إن شاء الصفوف »، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله عليك بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك

⁽١) نزلت الآية في طلحة بن عبيد الله، قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا، لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه بعده، فأنزل الله هذه الآية. أخرجه ابن أبي حاتم وأخرج جويبر عن ابن عباس: أن رجلاً أتى بعض أزواج الرسول فكلمها، وهو ابن عم لها، فكره الرسول ذلك، فقال الرجل: يمنعني من كلام ابنة عمي الأتزوجنها من بعده فتزلت الآية، قال ابن عباس: فأعتق ذلك الرجل رقبة، وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحج ماشياً، توبة من كلمته.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال: « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ٥. وروى ابن أبي حاتم عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت ﴿ إِن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليا ﴾ قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال: « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »، ومعنى قولهم: أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي كي التشهد وفيه: السلام عليك أبها النبي ورحمة الله وبركاته. حديث آخر: وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال، قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال: ﴿ قُولُوا اللَّهُم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم ». حديث آخو : قال مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال: فسكت رسول الله عَلَيْكُ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله عَلَيْكُ : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم »^{◊١}. ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير ، فإن تركه لم تصح صلاته، على أن الجمهور على خلافه وحكوا الإجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث، فلا إجماع في هذه المسألة لا قديمًا ولا حديثًا، والله أعلم .

(فضائل الصلاة على النبي علية)

روى أبو عيسى الترمذي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله عليه الله الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاةً "". حديث آخو: وروى الترمذي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله عليه إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله الله أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال: « ما شئت » بما فيه » قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال: « ما شئت » قلت الربع ، قال: « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » قلت فالنصف قال: « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » قلت أجعل لك صلاتي كلها، قال: « إذن تُكفى قلت: فائلئين ، قال: « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » قلت أجعل لك صلاتي كلها، قال: « إذن تُكفى هلك و يغفر لك ذنبك » . طريق أخوى: روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف قال: قام رسول الله على فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال: « من هذا » قلت: عبد الرحمن ، قال: « ما شأنك ؟ » قلت: يا رسول الله سجدت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال: « من هذا » قلت: عبد الرحمن ، قال: « ما شأنك ؟ » قلت: يا رسول الله سجدت منه ثم جلست أن يكون الله قبض روحك فيها، فقال: « إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك من سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها، فقال: « إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك من

⁽١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

⁽٢) تفرد بروايته الترمذي وقال: حديث حسن غريب .

صلى عليك صليتِ عليه ومن سلم عليك سلمت فسجدت لله عزَّ وجلَّ شكراً ». حديث آخو: قال الإمام أحمد عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه، فقالوا يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك، فقال: « إنه أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عزَّ وجلَّ يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قلت: بلي 🕬. حديث آخو : روى مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً ». حديث آخر: قال الإمام أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة، فليقلُّ عبد من ذلك أو ليكثر، وسمعت عبد الله بن عمرو يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ يومَّا كالمودع، فقال: « أنا محمد النبي الأمي – قاله ثلاث مرات – ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش، وتجوز بي عوفيت وعوفيت أمتي، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه ». حديث آخو : قال الإمام أحمد عن أنس قالً: قال رسول الله عَلِيْتُهِ: « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ». حديث آخر: قال الإمام أحمد عن على بن الحسين عن أبيه أن رسول الله عَلَيْكُم قال: « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل عليَّ ». حديث آخر: قال إسماعيل القاضي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله عليَّه قال: « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي «، وروي عن الحسن البصري أن رسول الله عَلَيْظُ قال: « بحسب امرىء من البخل أن أذكر عنده فلا يصليّ عليّ » .

حديث آخو: قال الترمذي عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عَلِيْتَةِ: « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة " . وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي عَلِيْتَةٍ كلما ذكر ، وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليمي ؛ وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس ، بل تستحب ، ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي عَلِيْتِهِ قال : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرة أس يوم القيامة ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » ، وحكي عن بعضهم : أنه إنما تجب الصلاة عليه – عليه الصلاة والسلام – في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية ، ثم هي مستحبة في كل حال ، وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه عَلِيْتِهِ في الجملة .

فصب

وأما الصلاة على غير الأنبياء ، فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث : اللهم صل على

⁽١) أخرجه أحمد ورواه النسائي بنحوه .

 ⁽۲) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب ورواه البخاري بنحوه .

محمد وآله وأزواجه وذريته، فهذا جائز بالإجماع، وإنما وقع النزاع فيا إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم، فقال قائلون: يجوز ذلك، واحتجوا بقول الله بعالى: ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾، وبقوله: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ﴾ الآية. وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله يَظِيلُهُ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صلً عليهم » فأناه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى » أن وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة، لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: قال أبو بكر صلى الله عليه، أو قال على صلى الله عليه، وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يقال: قال محمد عزَّ وجلَّ، وإن كان عزيزاً جليلاً، لأن هذا من شعار ذكر الله عزَّ وجلَّ، وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنّة على الدعاء لهم، عزيزاً جليلاً، لأن هذا من شعار ذكر الله عزَّ وجلَّ، وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنّة على الدعاء لهم، هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: على عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم، وهذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم، وهذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم، وهذا الأحياء والأموات، انهى ما ذكره .

(قلت): وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد على رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه؛ وهذا وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عيان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين، قال عكرمة عن ابن عباس: لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبي عيالية، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة، وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أما بعد فإن ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عَدْلَ الصلاة على النبي عيالية، فإذا جاءك كتابي هذا، فرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ما سوى ذلك?

فرع: قال النووي: إذا صلى على النبي عَلِيْكُ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: صلى الله عليه فقط، ولا عليه السلام فقط. وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿ يَا أَيْهَا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلما ﴾ فالأولى أن يقال عَلِيْكُ تسلماً .

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَا لَآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ وَالَّذِينَ يُؤُذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَنْتِ بِغَيْرٍ مَا اَكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهَتْنَا وَ إِثْمَكَا مُّبِينًا ۞

يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره، وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص – عياداً بالله من ذلك – قال عكرمة ﴿ إِن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ نزلت في المصورين، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عليه الله عرف الله عزَّ وجلَّ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره»

⁽١) أُخرجاه في الصحيحين . (٢) قال ابن كثير : أثر حسن .

ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا، فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله عزَّ وجلَّ فنهي عن ذلك، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الذين يؤذون الله ورسوله كه نزلت في الذين طعنوا على النبي عَلِيُّكُم في تزويجه صفية بنت حيى بن أخطب، والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله، كما قال رسول الله ﷺ: « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقدُ آذى الله، ومن آذى اللهُ يوشُك أن يأُخذه »^(١). وقوله تعالى: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبواكه أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿ فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه ، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يلخل في هذا الوعيد الرافضة الذين يتنقصون الصحابة، ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم. فإن الله عزَّ وجلَّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسو القلوب، يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « أي الربا أربى عند الله ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم » ثم قرأ : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإنماً مبيناً ﴾ ٣٠. * يَنَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَيِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيُّنَّ وَكَانَ آللَهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ١١٥ ﴿ يَانِ لَّرْ يَلْتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي

ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِينَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿ مَلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُواۤ أَخِذُواْ وَقُتِلُواْ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللّهِ فِي اللَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلٌ وَلَن تَجِيدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلًا ۞

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات – خاصة أزواجه وبناته لشرفهن – بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية؛ والجلباب هو الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم، قال الجوهري: الجلباب الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها :

تمشي النسور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

قال ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة، وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يدنين عليها، عليهن من جلابيبهن ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى ، وقال عكرمة: تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها،

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي .

⁽٢) أخرجه اين أبي حاتم .

عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها (١٠). وسئل الزهري هل على الوليدة خمار، متزوجة أو غير متزوجة ؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب، لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيَّهَا النِّي قَلَ لأَزُواجِكُ وبناتكُ ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ .

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وإنما نبي عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن، واستدل بقوله تعالى: ﴿ ونساء المؤمنين ﴾، وقوله: ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ أي إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر، لسن بإماء ولا عواهر، قال السدي: كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حرب النساء حبن يختلط الظلام إلى طرق المدينة، فيعرضون للنساء وكان مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة فكفوا عنها، وإذا رأو المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها، وقال مجاهد: يتجببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ربية، وقوله تعالى: ﴿ وكان الله غفوراً رحياً ﴾ أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك، ثم قال تعالى متوعداً للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ قال عكرمة وغيره: هم الزناة ههنا، ﴿ والمرجفون في المدينة ﴾ يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿ لنخرينك بهم ﴾ قال ابن عباس: أي لنسلطنك عليهم، وقال قتادة: لنحرشنك بهم، وقال السدي: لنعلمنك بهم، ﴿ ثم لا يجاورونك فيها أي و المدينة ها المن أي المدينة و الذين معدين ﴿ أينا ثقفوا ﴾ أي وسنة الله في الذين علما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم و يقهرونهم، ﴿ ولن تجد لسنة الله ته يا لمنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، ﴿ ولن تجد لسنة الله ته يسته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، ﴿ ولن تجد لسنة الله تعدل المؤلفة على وسنة الله ي وسنة الله في ولك لا تبدل ولا تغير .

يَسْعَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَنْفِرِينَ وَأَعَدَّ لَمُهُمْ سَعِيرًا ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدُّا لَا يَجِدُونَ وَلِيْ وَلَا نَصِيرًا ﴿ يَ فِ النَّارِ يَقُولُونَ يَنْلَيْنَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿ يَ وَقَالُواْ رَبِّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَ نَا فَأَضَلُونَا السَّبِيلا ﴿

١ رَبُّكَ وَالْعِنْهُمْ لِمُعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَلَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ١

يقول تعالى مخبراً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة، وأرشده أن يرد علمها إلى الله عزَّ وجلَّ، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾، كما قال تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، وقال: ﴿ أتى أمر الله فلا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أم سلمة .

تستعجلوه في شم قال: ﴿ إِن الله لعن الكافرين في أي أبعدهم من رحمته ﴿ وأعد لهم سعيراً في أي في الدار الآخرة ﴿ خالدين فيها أبداً في أي ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها، ﴿ لا يجدون ولياً ولا نصيراً في ليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه، ثم قال: ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في أي يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يتمنون أن لو كانوا في الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول ، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا في وقال تعالى: ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين في وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا، ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل في قال طاووس: ﴿ سادتنا فيعني الأشراف و ﴿ كبراءنا في يعني العلماء، أي اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب في بكفرهم وإغوائهم إيانا ﴿ والعنهم لعنا كبيراً في قرىء (كبيراً) وقرىء (كثيراً) وهراء متقاربان في المعنى .

يَنَأَيُّ الَّذِينَ وَامُّنُواْ لَاتَكُونُواْ كَالَّذِينَ وَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِنَّ قَالُواً وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيبُ اللَّهِ

أخرج الإمام البخاري عند تفسير هذه الآبة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ إِنِّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلمه شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله عزَّ وجلَّ أرَّاد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه الــــلام، فخلا يوماً وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول: ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملاً من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عزَّ وجلَّ، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه، فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لَندَباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً – قال – فذلك قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ (١). وعن ابن عباس في قوله: ﴿ لا تكونوا كالذين آذوا موسى ﴾ قال، قال قومه له: إنك آدر، فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيـابه ، وخرج يتبعهـا عرياناً ، حتى انتهت بــه إلى مجالس بني إسرائيل . قال : فرأوه ليس بآدر فذلك قوله : ﴿ فَبِرَأُهُ اللَّهُ مِمَا قَالُوا ﴾ ، وروى الإمام أحمد، عن عبدالله بن مسعود قــال : قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسما فقال رجل من الأنصار : إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قال. فقلت: يا علمو الله أما لأخبرن رسول الله عَلِيُّكُ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي عَلِيُّكُمْ فاحمر وجهه ثم قال: « رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ٣٠٠. وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَنْدَ اللَّهُ وَجِيبًا ﴾ أي له وجاهة وجاه عند ربه عزُّ وجلُّ، قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعوة عند الله، وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، ولكن منع الرؤية لما يشاء عزَّ وجلُّ، وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في

⁽١) أخرجه البخاري مطولاً في أحاديث الأنبياء ورواه في باب التفسير مختصراً .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين واللفظ لأحمد .

أخيه هارون أن يرسله(١ الله معه فأجاب الله سؤاله فقال: ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ .

يَنَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ يَصْلِحْ لَكُرْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُرْ ذُنُو بَكُرٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ يَ

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿ قولاً سديداً ﴾ أي مستقياً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه، بأن يصلح لهم أعمالهم أن يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لم الذنوب الماضية، ثم قال تعالى: ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظها ﴾ وذلك أنه يجار من نار الجحيم، ويصير إلى النعيم المقيم، عن أبي موسى الأشعري قال: صلى بنا رسول الله عليات صلاة الظهر فلما انصرف أوما إلينا بيده فجلسنا فقال: «إن الله تعلى أمرني أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً » ثم أتى النساء فقال: «إن الله أمرني أن تتقين الله وتقلن قولاً سديداً ». وعن ابن عباس موقوفاً: « من سره أن يكون أكرم الناس فليتتى الله، قال عكرمة: القول السديد لا إلّه إلا الله، وقال غيره: السديد الصدق، وقال بجاهد: هو السداد، وقال غيره: هو الصواب، والكل حق .

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلْحَبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَعْلِنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُـولًا ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ ٱلمُنَافِقِينَ وَالْمُنْافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُودًا رَّحِيما فَي

قال ابن عباس: يعني بالأمانة (الطاعة) عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السياوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ وعنه الأمانة (الفرائض) عرضها الله على السياوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية، ولكن تعظياً لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ يعني غراً بأمر الله. وهكذا قال مجاهد والضحاك والحسن البصري: إن الأمانة هي الفرائض، وقال آخرون: هي الطاعة، وقال أبي بن كعب من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها، وقال قتادة: الأمانة الدين والفرائض والحدود، وقال زيد بن أسلم: الأمانة ثلاثة: الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة؛ وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله وبالله المستعان. عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ قال: عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم، وحملة الأمانة على السبع الطباق المهائق التي زينت بالنجوم، وحملة الأمانة على السبع الطباق المهائق التي زينت بالنجوم، وحملة الأمانة على السبع الطباق الموائق التي زينت بالنجوم، وحملة على السبع الطباق الموائق التي زينت بالنجوم، وحملة المناف المهائق المهائق المهائق المهائق المهائق المهائق المهائق المهائم وحملة على السبع الطباق المهائق المهائم المهائم وحملة على السبع الطباق المهائم المهائم المهائم وحملة على السبع الطبائم المهائم وحملة على السبع الطبائق النهائم المهائم المهائم المهائم المهائم وحملة على السبع الطبائم المهائم المهائ

⁽١) أي يجعله رسولاً معه .

العرش العظم، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت: وما فيها ؟ قال: قيل لها إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شدت بالأوتاد، وذللت بالمهاد، قال، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت: وما فيها ؟ قال، قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، قالت: لا، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب، قال، قيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت: وما فيهن ؟ قال لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، قالت: لا ألى وقال مقاتل بن حيان: إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسهاوات والأرض والجبال، فبدأ بالسهاوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة، فقال لهن أتحملن هذه الأمانة، وَلكنَ علي الفَضْلُ والكرامة والثواب في الجنة ؟ فقلن: يا رب إن لا نستطيع هذا الأمر، وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعون، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لهن: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق هذه الأمانة وتقبلها مني وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا ؟ فقال: لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق ولكنا لك سامعون مطبعون لا نصيك في شيء أمرتنا به، ثم قرب آدم فقال له: أتحمل هذه الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار، والفضل وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار، وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك: قد حملتكها فذلك قوله تعالى: ﴿ وحملها الإنسان ﴾ "ما قال: رضيت يا رب، وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك: قد حملتكها فذلك قوله تعالى: ﴿ وحملها الإنسان ﴾ "ما

وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي على أنه قال: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها – أو قال – يكفر كل شيء إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب، وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب، وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب، وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقول: اذهبوا به إلى أمه الهاوية، فيذهب به إلى الهاوية، فيهوى فيها حتى ينتمي إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين » قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في المووء، والأمانة في الصوم، والأمانة في المحوء، والأمانة أن الأمانة ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله يَهلِكُ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة فقال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة فقال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل رجله كجمر دحرجته على رجلك، تراه مُنتَبراً (الله)، وليس فيه شيء – قال: ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله – قال: فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال: للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خودل من إيمان، ولقد أتى علي زمان، وما أبالي أيكم يقال: للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خودل من إيمان، ولقد أتى علي زمان، وما أبالي أيكم

⁽١) ذكره ابن أبي حاتم من كلام الحسن البصري رضي الله عنه .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان موقوفاً .

⁽٣) أخرجه ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

⁽٤) المُجْل: انتفاخ في اليد من العمل الشاق أو النار، منتبراً: متورماً .

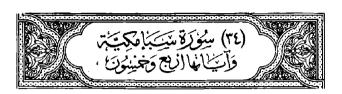
بايعت إن كان مسلماً ليردنه على دينه، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً . وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله عليه قال: « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة » . وقوله تعالى: ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ أي إنما حمّل بني آدم الأمانة وهي التكاليف ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات ﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله ﴿ والمشركين والمشركات ﴾ وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله، ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته، ﴿ وكان الله غفوراً رحياً ﴾.

[آخر تفسير سورة الأحزاب ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه أحمد والطبراني. و (الطِعمة): الجهة التي يُرتزق منها .



الْحَمْدُ لِلَهِ الَّذِي لَهُ, مَا فِي السَّمَـٰوَ'تِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَـَمَدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَـكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْمُ لِلَّهِ اللَّهِ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿ لَيْ السَّمَاءَ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُو الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿ لَيْ السَّمَاءَ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿ لَيْ اللَّهُ مَا يَعْرُبُ فِي اللَّهُ مِنْ السَّمَاءَ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا لَمْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللللَّا الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللللللّهُ اللللللللللللّهُ اللللللل

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنع المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ وله الحمد في الآخرة ﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى، وقوله تعالى: ﴿ وهو الحكيم ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ﴿ الخبير ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء، وقال الزهري: خبير بخلقه حكيم بأمره، ولهذا قال عز وجل : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ﴾ أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته ﴿ وما ينزل من السهاء ﴾ أي من قطر ورزق، ﴿ وما يعرج فيها ﴾ أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾ أي الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة ﴿ الغفور ﴾ عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُواْ لَا تَأْتِينَ السَّاعَةُ قُلَ بَلَى وَرَتِي لَتَأْتِيَنَكُمْ عَلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْقَالُ ذَرَةٍ فِي السَّمَنُوْتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِن ذَالِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَنْبِ مُبِينٍ ﴿ يَ لَيَجْزِى الذِّينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ السَّمَنُوْتِ وَلَا فِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّ

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، بما أمر الله تعالى رسوله عَلِيْكُ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس، وهي قوله تعالى: ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم معجزين﴾، وا**لثانية هذه**: ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾، **والثالثة ف**ي سورة التغابن وهي قوله تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾، فقال تعالى: ﴿ قُل بلى وربي لتأتينكم ﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال: ﴿ عَالَمُ النَّبِ لَا يَعْرَبُ عَنْهُ مَثْقَالَ ذَرَةً فِي السَّمُواتُ وَلَا فِي الأَرْضُ وَلَا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ قال مجاهد وقتادة: ﴿ لا يعزب عنه ﴾ لا يغيب عنه، أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم. ثم بيَّن حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى: ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۽ والذين سعوا في آياتنا معاجزين ﴾ أي سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله ﴿ أُولئك لِم عذاب من رجز أليم ﴾ أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾. وقال تعالى: ﴿ أَمْ نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ؟ وقوله تعالى: ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار رأوه حينئذ عين اليقين، ويقولون يومئذ ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾، ﴿ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ العزيز هو المنيع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء وغلبه، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرَعه وقدره، وهو المحمود في ذلك كله جلَّ وعلا .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ هَلَ نَدُلُكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَيِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿ الْمَالَةِ عَلَى اللّهِ كَذَبًا أَمْ بِهِ عِجِنَّةٌ عَلَى اللّهِ عِيدِ ﴿ الْمَالَةِ مِنَ اللّهَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَنَى السَّمَاءَ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِنَ السَّمَاءَ وَالأَرْضُ إِن أَسَلَا تَحْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَالِكَ وَمَا خَلْفَهُم مِنَ السَّمَاءَ وَالأَرْضُ إِن أَسَلَا تَحْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَعْمِدُ مِنْ السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَعْمَ مِنْ السَّمَاءَ وَالْأَرْضُ أَنْ مُسْفِعْ عَلَيْهِمْ كَسَفًا مِنَ السَّمَاءَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَعْمُ عَبْدِهُ مُنْفِعِ فَيْ

هذا إخبار من الله عزَّ وجلَّ عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة، واستهزائهم بالرسول عَلَيْكُ في إخباره بذلك، ﴿ وَقَالَ الذَينَ كَفُرُوا هَلَ نَدَلَكُمَ عَلَى رَجَلَ يَنبُنكُم إِذَا مَرْقَتُم كُلِ مُرْقَ ﴾ أي تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق، ﴿ إِنكُم ﴾ أي بعد هذا الحال ﴿ لَني خلق جديد ﴾ أي تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك ؟ ﴿ وَقَرَرَى عَلَى الله كذباً أم به جنة ﴾ ؟ قال الله عزَّ وجلَّ راداً عليهم: ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، بل محمد عليه هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء، ﴿ في العذاب ﴾ أي الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى، ﴿ والضلال

البعيد ﴾ من الحق في الدنيا، ثم قال تعالى منهاً لهم على قدرته في خلق السهاوات والأرض، ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السهاء والأرض ﴾، أي حيثها توجهوا وذهبوا، فالسهاء مطلة عليهم والأرض تحتهم، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ والسهاء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ، والأرض فرشناها فنع الماهدون ﴾ قال قتادة: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السهاء والأرض، وقوله تعالى: ﴿ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السهاء ﴾ أي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لمحلمنا وعفونا، ثم قال: ﴿ إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾، قال قتادة: ﴿ منيب ﴾ تائب، وعنه: المنيب المقبل إلى الله تعالى، أي إن في النظر إلى خلق السهاوات والأرض، لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجًاع إلى الله، على قدرة الله تعالى، أي إن في النظر إلى خلق السهاوات والأرض، لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجًاع إلى وهذه الأرضين في انخفاضها، وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿ أُولِيس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، وقال من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

يخبر تعالى عما أنع به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام بما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، وفي الصحيح أن رسول الله عنها الله عنه عموت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال على الله أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود ». ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلِن لَه سبحي ﴿) والتأويب في اللغة الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها، وقوله تعالى: ﴿ وَالنا له الحديد ﴾ قال الحسن البصري وقتادة: كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الحديد ﴾ قال العسن البصري وقتادة: كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، ولهذا قال تعالى: ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ وهي الدروع، قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح، وقال ابن شوذب: كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها بستة وإشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع، قال مجاهد ﴿ وقدر في السرد ﴾ لا تدق المسهار في الحلقة، ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر، وقال الحكم بن عيبنة: لا تغلظه فيقصم ولا تدق فيقلق، وقال ابن عباس: السرد حلق الحديد. وقال بعضهم: يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد بقول الشاعر

⁽١) قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن شوذب .

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر عن وهب بن منبه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام. قال وهب: حتى بعث الله تعالى ملكاً في صورة رجل فلقيه داود عليه الصلاة والسلام، فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً، قال: ما هي ؟ قال: يأكل ويطعم عباله من مال المسلمين يعني بيت المال، فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عزَّ وجلَّ في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغني به ويغني به عياله فألان الله عزَّ وجلَّ له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وهو أول من عملها، فقال الله تعالى: ﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد ﴾ يعني مسامير الحلق، قال: وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها، وقال: إن الله تعالى أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت، إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته السلام، وكان شديد الاجتهاد، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزماراً في حلقه، وقوله تعالى: ﴿ واعملوا صالحاً ﴾ أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم ﴿ إني بما تعملون بصير ﴾ أي مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى علي من ذلك شيء.

وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرِّيَحَ عُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَ لَهُ, عَبْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ آلِخْنِ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ عَ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقَهُ مِنْ عَذَاكِ ٱلسَّعِيرِ ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ, مَايَشَآءُ مِن تَحَرِيبَ وَتَمَكْثِيلَ وَجِفَانٍ كَابْخُوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِينَتٍ آعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَدَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي ٱلشَّكُورُ ﴿

لما ذكر تعالى ما أنع به على (داود) عطف بذكر ما أعطى ابنه (سليان) عليهما الصلاة والسلام، من تسخير الربح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر ، قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدى بها، ويذهب رائحاً من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وقوله تعالى: ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وبجاهد وغير واحد: القطر النحاس، قال قتادة: وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليان عليه السلام، قال السدي: وإنما أسيلت له ثلاثة أيام، وقوله تعالى: ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ﴾ أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته، ما يشاء من البنايات وغير أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه ﴿ إذن ربه ﴾ أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته، ما يشاء من البنايات وغير ذلك ﴿ ومن يزغ منهم عن أمرنا ﴾ أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ وهو الحريق، وقوله تعالى: ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾ أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في وقوله تعالى: ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾ أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره، وقال عاهد: المحاريب بنيان دون القصور، وقال الضحاك والسدي: التماثيل الصور، قال مجاهد: المحاريد، وقال النه حاك والسدي: التماثيل الصور، قال مجاهد: المحاريد، وقال ابن زيد: هي المساكن، وأما التماثيل، فقال الضحاك والسدي: التماثيل الصور، قال مجاهد:

وكانت من نحاس، وقال قتادة: من طين وزجاج. وقوله تعالى: ﴿ وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجيى فيه الماء، قال الأعشى:

تروح عـلى آل المحلـق جفنـة كجابية الشيخ العراقي تفهـق

وقال ابن عباس ﴿ كالجواب ﴾ كالحياض () ، والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها، وقال عكرمة: أثافيها منها، وقوله تعالى: ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ أي وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، قال السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله عزّ وجلَّ شكر، وأفضل الشكر الحمد () وقال القرظي: الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً، قال ابن أبي حاتم عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمر تهم هذه الآية ﴿ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور ﴾. وفي الصحيحين عن رسول الله عليهم أنه قال: « إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة دلود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويفطر يوماً ويفر إذا لاقي ». وقد روي عن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الرجل فقيراً يوم القيامة ه وقالي من عادي عليهم السلام لسليان: يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة ه وقال فضيل في قوله تعالى: ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ إخبار عن الواقع . « قال: داود يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال: فضيل في قوله تعالى: ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ إخبار عن الواقع . « الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني »، وقوله تعالى: ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ إخبار عن الواقع .

* فَلَتَ قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَهَّمُ عَلَى مَوْقِهِ ۚ إِلَّا دَآبَهُ ٱلْأَرْضِ ثَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَنَّا خَرَّ تَبَيَّفَتِ ٱلِحِنْ أَن لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿

يذكر تعالى كيفية موت سليان عليه السلام، وكيف عمّى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكناً على عصاه وهي منسأته مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهي (الأرضة) ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك⁶⁾. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال سليان عليه السلام لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني، فأتاه فقال: يا سلمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير، وليس له باب، فقام يصلي فاتكاً على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض

⁽١) وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم .

⁽٢) رواه ابن جرير عن أبي عبد الرحمن السلمي .

⁽٣) أخرجه ابن ماجه في سننه .

⁽٤) ذكر عند تفسير هذه الآية أخبار غريبة من الإسرائيليات ضربنا صفحاً عنها .

روحه وهو متكيء على عصاه، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله عزَّ وجلَّ دابة الأرض، قال: والدابة تأكل العيدان يقال لها: القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتاً، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ مَا دَلُم عَلَى مُوتُهُ إِلَا دَابَةَ الأَرْضُ تأكل منسأته ﴾ قال أصبغ: بلغني أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر، وذكر غير واحد من السلف نحواً من هذا، والله أعلم .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَ انِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُرْ وَاشْكُرُواْ لَهُرْ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَبْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْمِ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أَكُلٍ بَمْطٍ وَأَثْلِ وَشَىْءَ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَازِئَ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۞

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم، واتساع أرزاقهم وزروعهم وتمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذر، كما سيأتي قريباً، روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن وعلة قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلاً سأل رسول الله على سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال عليه : « بل هو رجل ولد له عشرة، فسكن اليمن منهم سنة، والشام منهم أربعة، فأما اليانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان » ، قال علماء النسب: اسم سبأ (عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان) وإنما سمي سبأ، لأنه أول من سبأ في العرب، ومعنى قوله عليه . « كان رجلاً من العرب » يعني من سلالة الخليل عليه السلام، وفي صحيح البخاري أن رسول الله عليه أله عليه وخررجها من غسان من عرب اليمن من سبأ، نزلوا بيثرب لما تفرقت فأسلم قبيلة من (الأنصار) والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ، نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم، ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنما قبل لهم غسان بماء نزلوا عليه قريب من المشلل، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

إما سألت فإنها معشر نجب الأزد نسبتنا والمهاء غسان

ومعنى قوله ﷺ: « ولد له عشرة » أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب، ومعنى قوله ﷺ: « فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة » أي بعد ما أرسل

⁽١) رواه الإمام أحمد وابن جرير والترمذي وقال: حسن غريب، قال ابن كثير: ورواه ابن عبد البر عن تميم الداري مرفوعاً فذكر مثله فقوي هذا الحديث وحسن .

⁽٢) أخرجه البخاري .

الله تعالى عليهم سيل العرم، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح عنها إلى غيرها، وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقادم، فبنوا بينهما سداً عظياً محكماً، حتى ارتفع الماء، وحكم على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار، واستغلوا الثهار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، كما ذكر غير واحد من السلف، أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل – وهو الذي تخترف فيه الثهار – فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه، من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف، لكثرته ونضجه واستوائه، وكان هذا السد بمأرب^(۱). ويذكر أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج، وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ لقد كان لسباً في مسكنهم آية ﴾ ثم فسرها بقوله عزَّ وجلَّ ﴿ جنتان عن يمين وشمال ﴾ أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك، ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طببة ورب غفور ﴾ أي غفور كم إن استمررتم على التوحيد، وقوله تعالى: ﴿ فأعرضوا ﴾ أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنع به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليان عليه الصلاة والسلام: ﴿ وجئتك من سبأ يقين » إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظم ه وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله عرف الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ قال السدي: أرسل الله عزَّ وجلَّ إليهم من دون الله أي عشر ألف نبي والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ المراد بالعرم المياه، وقيل: الوادي، وقيل: الماء الغزير، وذكر غير واحد مهم ابن عباس وقتادة والضحاك: أن الله عزّ وجلَّ لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها الجرذ، نقبته، وانساب الماء في أسفل الوادي، وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال، فيبست وتحطمت، وتبدلت تلك الأشجار المشمرة الأنيقة النضرة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل خمط ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الأراك وأكلة البربر (وأثل) هو الطرفاء، وقال غيره: هو شجر يشبه الطرفاء، وقيل: هو السمر والله أعلم، وقوله: ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر، قال ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر، قال ﴿ وشيء من المحبقة والأنهار المبيئة والأنهار المعبقة والأنهار بالمبيئة والظلال العميئة والأنهار المبيئة والأبهار يم عنه المناطر الحمية والشهر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم أي عاقبناهم بكفرهم، قال مجاهد: ولا يعاقب إلا الكفور. وقال الحسن البصري: صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور، وقال ابن أبي حاتم عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال: عزاء المعصبة فعله إلا الكفور، وقال ابن أبي حاتم عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال: لا يصادف لذة حلال الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة، قيل: وما التعسر في اللذة ؟ قال: لا يصادف لذة حلال الإ جاءه من ينغصه إياها؟

⁽١) مأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ويعرف هذا السد بسد مأرب .

⁽٢) ذكره ابن أبي حاتم .

وَجَعَلْنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَرَكَا فِيهَا قُرَى ظَنهِرَةُ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيِّرُسِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا عَامِنِينَ ۞ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَحَمَلْنَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَنَّ قَنْنَهُمْ كُلَّ مُمَّزَقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمراً، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء، وقال مجاهد والحسن: هي قرى الشام، يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة، وقال ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس، وعنه: هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أي بينة واضحة يعرفها المسافرون، يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى، ولهذا قال تعالى: ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أي جعلنا بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿ سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً، ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة، وأحبوا مفاوز ومهامه، يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في المخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض ﴿ من بقلها وقثاتها وفومها وعلسها ويصلها ﴾ مع أنهم كانوا في عيش رغيد، في مَنَّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة، قال تعالى: ﴿ وَضِرِبِ الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعونكه، وقال تعالى في حق هؤلاء ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ أي بكفرهم، ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾ أي جعلناهم حديثاً للناس، وسمراً يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد ههنا وههنا، ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ، وتفرقوا شذر مذر، قال|الشعبي :أما غسان فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق().

وقوله تعالى: ﴿ إِن فِي ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوة من الكفر والآثام، لعبرة لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم، روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه و عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى امرأته ٣٠٠، وهذا الحديث له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة

⁽١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن الشعبي .

⁽٣) أُخرجه الإمام أحمد ورواه النسائي وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما .

رضي الله عنه: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »، قال قتادة ﴿ إِن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر .

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَنِ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآنِوَةِ مِّنْ هُوَمِنْهَا فِي شَكِّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ مَنَ وَخِيظٌ ﴿

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال: ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه ﴾، قال ابن عباس: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبليس ﴿ أَرأيتك هذا الذي كرمت علي لنن أخرتن إلى يوم القيامة لأحننكن ذريته إلا قليلاً ﴾، وقال ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ والآيات في هذا كثيرة، وقال الحسن البصري: لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء، هبط إبليس فرحاً بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف، وكان ذلك ظناً من إبليس، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾، فقال عند ذلك إبليس: لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح، أعده وأمنيه وأخدعه، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفرني الا غفرت له أ. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ قال ابن عباس: أي من حجة، وقال الحسن البصري: والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غروراً وأماني، دعاهم إليها فأجابوه، وقوله عزَّ وجلً في الدنيا عن هو منها في شك، وقوله تعالى: ﴿ وربك من هو منها في شك أي إنما سلطناه عليهم ليهم ليهم من المؤمنين على من حدة المؤمن من المؤمنين عدة والحساب والجزاء، فيحسن عبادة ربه عزَّ وجلَّ في الدنيا عن هو منها في شك، وقوله تعالى: ﴿ وربك على على على على على على شيء حفيظ ﴾ أي ومع حفظه ضل من ضل من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل .

قُلِ اَدْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمُ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِ مَا مِن شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿ إِنَّ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ ۖ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُرٌ ۚ قَالُواْ الْحَتَّ وَهُوَ الْعَلِيُ الْكَبِيرُ ﴿ ﴿

بيّن تبارك وتعالى أنه الإلّه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك، بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ﴾ أي من الآلهة التي عبدت من دونه، ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾، كما قال تعالى: ﴿ والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وما لهم فيهما من شرك ﴾ أي لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري .

الشركة ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ أي وليس لله من هذه الأنداد من معين يستظهر به في الأمور ، بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه ، قال قتادة في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ من عون يعينه بشيء ، ثم قال تعالى ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ أي لعظمته وجلاله وكبريائه ، لا يجترىء أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء ، إلا بعد إذنه له في الشفاعة ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ؟ وقال جلَّ وعلا : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء وبرضى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشبته مشفقون ﴾ ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله عَلَيْ الله وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند الله تعالى ، أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم ، قال : « فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ويفتح عليَّ بمحامد لا أحصيها الآن : ثم يقال يا محمد ادفع رأسك ، وقال تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتمامه . وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم قالوا الوغ رأسك ، وقال المحق ﴾ ، وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة ، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السهاوات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي ، قال ابن مسعود ﴿ فَرَع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ﴾ يقول : خلى عن قلوبهم ، فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ﴾ أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان ﴿ وهو العلى الكبير إلى أهل السهاء الدنيا ، ولهذا قال بغذا عملة العرش للذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم ، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السهاء الدنيا ، ولهذا قال تعلى : ﴿ قالوا الحق ﴾ أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان ﴿ وهو العلى الكبير ﴾ .

وقال آخرون: بل معنى قوله تعالى: ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم ﴾ يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة ، إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، قالوا: ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم: الحق، وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا، قال مجاهد ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم ﴾ كشف عنها الغطاء يوم القيامة، وقال الحسن ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم ﴾ يعني من فيها من الشك والتكذيب، وقال ابن أسلم ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم ﴾ يعني ما فيها من الشك والتكذيب، وقال ابن أسلم ﴿ حتى إذا فرع عن قلوبهم ﴾ يعني ما فيها من الشك قال فرع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم ﴿ قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ قال فرع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم ﴿ قالوا ماذا قال ربكم قالوا ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على (الملائكة) وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار، قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه عن سفيان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله على صفوان، قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر في السهاء ضربت الملائكة بأجنحها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فر بما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ور بما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سعت من السهاء ٥٠٠. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال، قال رسول وكذا، فيكذب

⁽١) أخرجه البخاري ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

الله على الله على الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السهاوات منه رجفة – أو قال رعدة – شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السهاوات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه (جبريل) عليه الصلاة والسلام، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة، كلما مر بسهاء سماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل، فيقول عليه السلام: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السهاء والأرض »()

* قُلْ مَن يَرْزُقُكُمُ مِّنَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّا كُمْ لَعَلَى هُدَّى أَوْ فِي ضَلَالٍ مَّبِينِ ﴿ قُلْ لَا مُعْمَعُ بَيْنَنَا رَبُنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَاحُ الْعَلِيمُ لَيْ عَلَى عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

يقول تعالى مقرراً تفرده بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضاً، فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السهاء والأرض إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إلّه غيره، وقوله تعالى: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ أي واحد من الفريقين مبطل، والآخر محتى، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى، ولهذا قال: ﴿ وَإِنَا أَوْ إِيَاكُمْ لَعَلَى هَدَى أَوْ فِي صَلَالَ مَبِينَ ﴾ قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين، والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إنَّ أحد الفريقين لمهتد. وقال عكرمة: معناها إنا نحن لعلى هدى وإنكم لني ضلال مبين، وقوله تعالى: ﴿ قُلُ لا تُستُلُونَ عَمَا أَجَرِمْنَا وَلا نَسأَلُ عَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ معناه التبري منهم أي لستُّم مناً ولا نحن منكم، بل تدعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا وتحن منكم، وإن كذبتم فنحن بْرآء منكم وأنتُمْ برآء منا كما قال تعالى: ﴿ فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريُّتون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون،، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَا رَبَّنَا ﴾ أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ﴿ ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أي يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وستعلمون يومتذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وهو الفتاح العليم﴾ أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُل أروني الذين ألحقتم به شركاءكه أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً، (كلا) أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل، ولهذا قال تعالى: ﴿ بل هو الله ﴾ أي الواحد الأحد الذي لا شريك له، ﴿ العزيز الحكيم ﴾ أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء، وغلبت كل شيء، (الحكيم) في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن خزيمة عن النواس بن سمعان مرفوعاً .

وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا كَآفَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ر اللَّهِ وَيَقُولُونَ مَتَى هَلْذَا ٱلْوَعْدُ

إِن كُنتُمْ صَايَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ اللَّهُ مِيعَادُ يَوْمِ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد عَيَالِكُ تسليمًا ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ أي إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهَ إِلَيْكُم جميعاً ﴾، ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ أي تبشر من أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار، ﴿ وَلَكُنْ أَكُثُرُ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، كقوله عزُّ وجلَّ: ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلُو حَرَصَتَ بَمُؤْمَنِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِنْ تَطْعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضَ يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهَ ﴾ ، قال محمد ابن كعب: يعني إلى الناس عامة، وقال قتادة: أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عزُّ وجلَّ، وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السهاء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء ؟ قال رضي الله عنه إن الله تعالى قال: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ وقال للنبي عَلَيْكُ : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس، وهذا كما ثبت في الصحيحين، قال رسول الله ﷺ: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »(١) ، وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: « بعثت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد: يعني الجن والإنس، وقال غيره يعني العرب والعجم، والكل صحيح، ثم قال عزَّ وجلَّ مخبراً عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين ﴾ وهذه الآية، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يستعجل بها الذينُ لا يؤمنون بها ﴾ الآية، ثم قال تعالى: ﴿ قَلَ لَكُمْ مُبِعَلَدٌ يُومُ لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ أي لكم ميعاد مؤجل، لا يزاد ولا ينقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿ إِن أَجِل الله إذا جاء لَا يؤخر ﴾، وقال عزَّ وجلُّ: ﴿ وَمَا نَوْخَرُهُ إِلَّا لَأَجِل مَعْدُود ؞ يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شتى وسعيد\$.

⁽١) أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله مرفوعاً .

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم، وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم، وبما أخبرِ به من أمر المعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا لَنْ نَوْمَنْ بَهِذَا الْقَرَآنَ وَلا بالذي بين يذيه ﴾ قال الله عزَّ وجلَّ متهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم، ﴿ يرجع بعضهم إلى بعض القولُ يقول الذين استضعفوا ﴾ وهم الأتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ منهم وهم قادتهم وسَادتهم: ﴿ لُولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ أي لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل، وآمنا بما جاءونا به، فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا ﴿ أَنحن صددناكم عَن الهدي بعد إذ جاءكم ﴾، أي نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿ بِل كُنتُم مجرمين • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ﴾ أي بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً، وتغرّونا وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطلٍ وكذب ومين، قال قتادة وابن زيد ﴿ بَلَ مَكُرَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ﴾ يقول: بل مكركم بالليل والنَّهار، ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَكْفُر بِاللَّهُ وَنَجْعُل له أنداداً ﴾ أي نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبهاً وأشياء تضلونا بها، ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ أي الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه، ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقِهم، ﴿ هَلَ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي إنما نجازيكم بأعمالكم ۗ كلُّ بحسبه للقادةً عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم، ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ قال ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقاهم لهبها، ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب »(١)

* وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ عَلَيْرُون ﴿ وَقَالُوا تَحْنُ أَكْثَرُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا أَمْوَلًا وَأَوْلَدُا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿ قُلُوا نَحْنُ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا يَمْ الرِّزْقَ لِمَن بَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثُرُ النَّاسِ لَا أَمْوَلًا وَمَا غُنُ لِكُمْ وَلَا أَوْلَلُهُمُ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَحَ إِلَّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ صَنالِحًا فَأُولَئِكَ يَعْمَلُونَ ﴿ وَهَا أَمُوا لَكُمْ وَلَا أَوْلَلُهُمُ بِاللَّهِ تُعَرِّبُكُمْ عِندَانَا زُلْفَحَ إِلّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ صَنالِحًا فَأُولَئِكَ مَا يَعْمَلُونَ وَهُمْ فِي الْفُرُفَنْتِ عَامِنُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِى عَايمَنَا مُعَلِجِزِينَ أَوْلَئِكَ فَلَا إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ, وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْء فَا لَعَن اللَّهُ مَا أَنْ مَتِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ, وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْء فَا لَعْرُفُونَ وَهُمْ وَقُلُولًا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ وَمُ الْمَعْمُ مِن شَيْء فَاللَّهُ اللَّهُ الْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّوْقِيلَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللّهُ الل

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ، وآمراً له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبراً له بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿ أَنَوْمَن لَكُ وَاتَّبِعَكُ الْأَرْدُلُونَ ﴾، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿ لَلَذِينَ استضعفوا لَمْن آمَنْ منهم أَتعلمون أَن صالحاً مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ﴿ قال

⁽١) أخرجه ابن أبي حائم .

الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلْكَ جَعَلْنَا فِي كُلُّ قُرِيَةً أَكَابِر مجرميها ليمكروا فيها ﴾، وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَإِذا أردنا أن نَّهلك قرية أمرنا مترفِّيها ففسقوا فيها فحق علَّيها القول فدمرناها تدميراً ﴾، وقال جلَّ وعلا ههنا: ﴿ وَمَا أُرْسَلْنَا فِي قَرْيَةً مَنْ نَذَيْرٍ ﴾ أي نبي أو رسول ﴿ إِلَّا قَالَ مَتْرَفُوها ﴾ وهم أولو النَّعْمة والحشمة والثروة والرياسة، قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشَر ﴿ إِنَا بِمَا أَرْسَلْتُم به كَافرون﴾ أي لا نؤمن به ولا نتبعه، عن أبي رزين قال: ٰ كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبتي الآخر، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل، فكتب إليه إنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم، قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه، فقال: دلني عليه، وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب، قال: فأتى النبي ﷺ فقال: إلامَ تدعو ؟ قال: « أدعو إلى كذا وكذاً » قال: أشهد أنك رسول الله، قال عَلِيْكُم: « وما علمك بذلك ؟ » قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم، قال: فترلت هذه الآية؛ ﴿ وَمَا أُرْسَلْنَا فِي قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ (١) ، وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها: وسألتك أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم، فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل[®]. وقال تبارك وتعالى إخباراً عن المترفين المكلمين: ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن ٰ بمعلِّمين ﴾ أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ أُيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادُهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا ونزهق أنفسهم وهُم كافرون ﴾، ولهذا قال عزُّ وجلُّ ها هنا: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يُبْسَطُ الرَّزقَ لَمْنَ يَشَاء ويقدر ﴾ أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، فيفقر من يشاء ويغني من يشاء، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة القاطعة الدامغة ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي ﴾ أي ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمَلُ صَالِحاً ﴾ أي إنما يقربكم عندنا زلفي الإيمانُ والعملُ الصالح ﴿ فأولتُك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾ أي تضاعف لهم الدسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾ أي في منازل الجنة العالية ﴿ آمنون ﴾ من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يحذر منه .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الشيخان .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

كثيراً، ويضيّق على هذا ويقتر عليه رزقه جداً، وله في ذلك من الحكة ما لا يدركها غيره، كما قال تعالى:

إنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً في أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه، فكذلك هم في الآخرة، هذا في الغرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغيرات في أسفل الدركات، وأطيب الناس في الدنيا، كما قال على الغيران وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آناه على وقوله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه في مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: ويقول الله تعالى أنفق أنفق عليك ه، وقال رسول الله على الأخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: ويقول الله تعالى أنفق أنفق قال، قال رسول الله على إلى بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق ع، ثم تلا هذه الآية ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ "، وفي الحديث: «شرار الناس يبايعون كل مضطر، ألا إن بيع المضطرين حرام، ألا إن بيع المضطرين حرام، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، كن عندك معروف فعد به على أخيك، وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه على أعقصد فيه، فإن الرزق مقسوم . إن كان عندك معروف فعد به على أخيك، وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه على أشبحنك أنت ولينا من دويم هذه الآية ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، فإن الرزق مقسوم . ويوم يَخشرهم جميعًا همَّ يقُولُ لِلْمَاتِكِمُ أَهمَونُ مَن عَنْ مُعرفُونَ فَي قَلُولُ سُبْحَنْكَ أَنتَ وَلِينَا مِن دُوتِهمُ بَلَ مَنْهُ وَلَم أَنْهُ عَلْه أَنْه أَنْهُ أَنْه أَنْهُ أَنْه أَنْه

يخبر تعلى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون انهم يعبلون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة ﴿ أهولاء إياكم كانوا يعبلون ﴾ أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ أأنتم أضلام عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾، وكما يقول لميسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ أأنت قلت للناس اتخلوفي وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ﴾، وهكذا تقول الملائكة: ﴿ سبحانك ﴾ أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ أي نحن عبيلك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿ بل كانوا يعبلون الجن ﴾ يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم ﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله ﴾ " قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ﴾ أي لا يقع لكم نفع عمن كنتم ترجون نفعه اليوم، من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها للمائل التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي يقال لم ذلك تقريعاً وتوبيخاً .

⁽١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهماً .

 ⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .
 (٣) أخرجه الحافظ الموصلي وفي إسناده ضعف .

وَإِذَا أُشَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَا يَنْتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَاذَاۤ إِلَّا رَجُلُّ بُرِيدُ أَن يَصُدُدُ كُرْ عَنَّاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَآ وُكُرْ وَقَالُواْ مَا هَاذَاۤ إِلَّا الْحَدِّ مَا هَاذَاۤ إِلَّا الْحِرْمُونِينَ ﴿ وَمَا ءَا تَدْنَاهُم مِن مَا هَاذَاۤ إِلَّا الْحِرْمُونِينَ ﴿ وَمَا ءَا تَدْنَاهُم مِن كُنُو يَدُرُونُ وَلَا اللّهُ وَمَا بَالْغُواْ مِعْسَارَ مَا كُنُو يَدُرُونُ وَكُذَّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْسَارَ مَا عَالَيْنَاهُمْ فَكَذَّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْسَارَ مَا اللّهُ مَا يَلْهُ وَلَا يَعْمَلُوا مَعْسَارَ مَا اللّهُ عَلَيْهُمْ فَكَذَاهُ وَاللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ وَلَا يَعْمَلُوا مَعْسَارَ مَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا بَلَغُواْ مِعْسَارَ مَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا لَا لَهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْكُ مِن نَذِيرٍ ﴿ إِلّهُ اللّهُ مُ اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَالَالِهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَالَى اللّهُ مَا لَا اللّهُ ال

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون العقوبة والأليم من العذاب، لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات، يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله على في قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم في يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل، ﴿ وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى في يعنون القرآن، ووقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا سحر مبين في، قال الله تعالى: ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير في أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد عليه أن من نذير في أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد عليه أن وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير، أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غبرنا، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه، ثم قال تعالى: ﴿ وكذب الذين من قبلهم في أي من الأم وما بلغوا معشار ما آتيناهم في، قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ أقلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أكثر منهم وأشد قوة في أي وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله، ولهذا قال: ﴿ فكذبوا رسلي فكيف كان نكير كه أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي .

* قُلْ إِنَّكَ أَعِظُكُم بِوَحِدَةً أَن تَقُومُواْ بِلَهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ لَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةً إِنْ هُوَ إِلَّا لَا لَهُ مَا إِلَّا اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ إِلَّا اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّ

يقول تبارك وتعانى: قل يا محمد له ولاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿ إِنَّمَا أَعظُكُم بُواخَدَةً ﴾ أي إنما آمركم بواحدة، وهي ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ أي تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجلً من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضاً، ﴿ ثم تتفكروا ﴾ أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد عليه ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ "، وقوله تعالى: ﴿ إِن هُو إِلا نَذِير لَكُم بِين يدي عذاب شديد ﴾ ، قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: صعد النبي عليها ذات يوم فقال: « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك ؟ فقال: « أرأيتم لو أخبرتكم

 ⁽۱) هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدي وقتادة وغيرهم، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد كما ذكر ابن كثير .

أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني » قالوا: بلى ؟ قال عَلَيْنَ : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » ، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله عز وجلً : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ ، وقد تقدم عند قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : خرج الينا رسول الله يَهِلِينَّ يوماً فنادى ثلاث مرات فقال : « أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم ؟ » قالوا : الله تعالى ورسوله أعلم ، قال على ومثلكم ؟ » قالوا : الله تعالى ورسوله أعلم ، قال على ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتيهم ، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم ، فبينا هو كذلك أبصر العدو ، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه : أيها الناس أوتيتم ، ثلاث مرات .

قُلْ مَاسَأَلْنَكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمَّ إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوعَلَىٰ كُلِّ شَيْءِ شَهِيدٌ ﴿ قَالَ إِنْ مَلْتُ وَلَى يَقْدُونُ بِالْحَقِّ عَلَّهُ ٱلْغُيُوبِ ﴿ فَهِ قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ فَى قُلْ إِن ضَلَاتُ فَإِنَّمَ أَضِلُ وَعَالَمُ مَا يُعِيدُ ﴿ فَا اللَّهُ عَلَى إِن ضَلَاتُ فَإِنَّمَ أَضِلُ وَعَالَمُ مَا يُعِيدُ ﴾ وَان الْعَنْدُونِ فَا يُوحِى إِلَى دَبِيَ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿ فَيْ

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿ مَا سَالتِكُم من أَجْرَ فَهُو لَكُم ﴾، أي لا أريد منكم جعلاً ولا عطاء على أداء رسالة الله عزَّ وجلَّ إليكم، ونصحي إياكم وأمركم بعبادة الله ﴿ إِنْ أَجري إلا على الله ﴾، أي إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله ﴿ وهو على كل شيء شهيد ﴾ أي عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم وما أنتم عليه، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقَذْفَ بِالْحَقَّ عَلَام الغيوب ﴾، كقوله تعالى: ﴿ يَلْقِي الروح مَنْ أَمْرُهُ عَلَى مَنْ يَشَاء مَنْ عَبَادُهُ ﴾ أي يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السهاوات ولا في الأرض، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلُ جَاءَ الْحَقُّ وما يبديء الباطل وما يعيدكه أي جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل واضمحل، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَفْذُف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم منها ويقرأ : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾، ﴿ قُل جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد﴾ (). وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أي لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة، وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ها هنا إبليس أي أنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك، وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ إِنْ صَالَت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فيا يوحي إلي ربيكه أي الخير كله من عند الله وفيا أنزل الله عزَّ وجلَّ، من الوحي والحق المبين، فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، وقوله تعالى: ﴿ إنه سميع قريب﴾ أي سميع لأقوال عباده ﴿ قريب﴾ يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد روي في الصحيحين: ١ إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً مجيباً » .

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

* وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُواْ مِن مَكَانِ قَرِيبِ ﴿ وَفَالُوَاْ ءَامَنَا بِهِ ـ وَأَنَىٰ لَمُسُمُ الْتَنَاوُشُ مِن مَكَانِ بَعِيدٍ ﴿ ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ ـ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِآلُغَيْبِ مِن مَكَانِ بَعِيدٍ ﴿ وَوَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعِلَ بِأَشْبَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكِّ مُّرِيبٍ ﴿ ﴿

يقول تبارك وتعالى: ولو ترى يا محمد إذا فرع هؤلاء المكذبون يوم القيامة ﴿ فلا فوت ﴾ أي فلا مفر لهم ولا ملجأ ﴿ وأخلوا من مكان قريب ﴾ أي لم يمكنوا أن يمعنوا في الهرب، بل أخلوا من أول وهلة، قال الحسن البصري: حين خرجوا من قبورهم، وقال مجاهد وقتادة: من تحت أقدامهم، وعن ابن عباس والضحاك: يعني علما بهم في الدنيا، وقال عبد الرحمن بن زيد: يعني قتلهم يوم بدر، والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلاً بذلك، ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله ورسله كما قال تعالى: ﴿ وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ أي وكيف لهم تعاطي الإيمان، وقد بعلوا عن محل قبوله منهم، وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي من مكان بعيد هميرهم إلى الدار الآخرة، وهي لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، قال مجاهد: ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ قال: التناول لذلك، وقال الزهري: التناوش لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، قال مجاهد: ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ قال: التناول لذلك، وقال الزهري: التناوش لا ينال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد، وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة .

وقوله تعالى: ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أي كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل، ﴿ ويقذفون بالغيب ﴾ فتارة يقولون شاعر، وتارة يقولون عنون، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون شاعر، وتارة يقولون المنعث والنشور والمعاد، ﴿ ويقولون إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ قال قتادة ومجاهد: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار، وقوله تعالى: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما: يعني الإيمان، وقال السدي ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾: وهي التوبة، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله، وقال بجاهد: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾: وهي الآخرة وأهل أأ والصحيح أنه لا منافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فنعوا منه. وقوله تعالى: ﴿ كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾ أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله، تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾ أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب، قال قتادة: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث معاينة العذاب، قال قتادة: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه .

⁽١) وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع بن أنس وهو قول البخاري وجماعة من العلماء .



الْحَمَّدُ لِلَهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَيِّكَةِ رُسُلًا أُوْلِىَ أَجْنِعَةٍ مَّنْنَى وَثُلَثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْحَلْقِ مَا يَشَآهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أدري ما فاطر السهاوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصهان في بثر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها أي بدأتها، وقال ابن عباس: ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾: أي بديع السهاوات والأرض، وقال الضحاك: كل شيء في القرآن فاطر السهاوات والأرض: فهو خالق السهاوات والأرض، وقوله تعالى: ﴿ جاعل الملائكة رسلاً ﴾ أي بينه وبين أنبيائه، ﴿ أولي أجنحة ﴾ أي يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعاً ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث أن رسول الله يَعلَيُ رأى جبريل عليه السلام (ليلة الإسراء) وله سمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب، ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ قال السدي: يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء، وقال الزهري: ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ يعني حسن الصوت (١)

مَّا يَفْتَجِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۽ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٠٠٠

يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، روي أن رسول الله عَلَيْكِ، كان يقول إذا انصرف من الصلاة « لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله عَلَيْكُ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: « سمع الله لمن

⁽١) رواه البخاري في الأدب، وقرىء في الشاذ (يزيد في الحلق) بالحاء المهملة .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة .

حمده، اللهم ربنا لك الحمد مل السماء والأرض، ومل ما شئت من شيء بعد، اللهم أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ». وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ ولها نظائه كثيرة .

يَنَأَيُّكَ النَّاسُ آذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءَ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق، فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى: ﴿ لا إِلَّه إِلا هو فأنَّى تؤفكون﴾ أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟ والله أعلم .

وَ إِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْكُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿ يَثَأَيُّهَا النَّسُ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَتَّى فَلَا تُغَرَّنَكُمُ الْحَيَوْةُ الدُّنْيَ الْمُورُ وَ إِلَى اللّهِ عِلْمَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

لِيكُونُواْ مِنْ أَصْعَلِ السَّعِيرِ ٢

يقول تبارك وتعالى: وإن يكذبوك يا محمد – هؤلاء المشركون بالله – ويخالفوك فيما جنتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات، وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، فو إلى الله ترجع الأمور ﴾ أي وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق ﴾ أي المعاد كائن لا محالة، ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ أي العيشة الدنيئة، بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم، فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفائية، ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وهو الشيطان، أي لا يفتننكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته، فإنه غرار كذاب أفاك، وهذه كالآية التي في آخر لقمان: ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾، وقال زيد بن أسلم: هو الشيطان، كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة ﴿ وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ ثم بيَّن تعالى عداوة إبليس لابن آدم، فقال: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا ﴾ أي هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه، وكذبوه فيا يغركم به، ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين، وهذه كقوله تعالى: ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا ﴾ .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيَّدُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِـلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ

سُومُ عَمَـلِهِ عَلَمَهُ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهُمْ حَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱلللَّهُ عَلَيْهُمْ عَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ

لا ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن ، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿ وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ أي لما كان منهم من ذنب ﴿ وأجر كبير ﴾ على ما عملوه من خير ، ثم قال تعالى : ﴿ أَفْن زِين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ يغني كالكفار والفجار ، يعملون أعمالاً سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، أي فمن كان هكذا قد أضله الله ، ألك فيه حيلة ؟ ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ أي بقدره كان ذلك ، ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ أي لا تأسف على ذلك ، فإن الله حكيم في قدره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الله عليم بما يصنعون ﴾ (أ) روى ابن أبي حاتم عند هذه الآية عن عبد الله بن الديلمي قال : أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط بالطائف يقال له الوهط ، قال : سمعت رسول الله عنها من نوره ، فن أصابه من نوره يومثذ فقد اهتدى ، ومن أخطأه منه ضل ، فلذلك أقول : ﴿ فِن الله عَلَّ وجلَّ » .

وَاللّهُ الّذِي أَرْسَلَ الرِّينَ فَتَثِيرُ سَمَا اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللللهُ اللهُ الللهُ اللهُ ا

كثيراً ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد مونها، ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، هو اهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج هه، كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض جميعاً، ونبتت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض، ولهذا جاء في الصحيح: «كل ابن آدم يبلي إلا عَجْبُ الذنب، منه خلق ومنه يركب »، ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك النشور ﴾. وتقدم في الحج حديث أبي رزين، قلت: يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال عَلَيْنَ : «يا أبا رزين أما مررت بوادي

⁽١) في اللباب: أخرج جويبر: نزلت ﴿ أَفَن زين ﴾ حين قال النبي ﷺ اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فهدى الله عمر وأضل أبا جهل .

قومك ممحلاً ثم مررت به يهتر خضراً « قلت: بلى، قال على الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى كان يريد العزة قلله العزة جميعاً ﴾ أي من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَبِلَ العَنِة وَلِرسُولَه وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ قال مجاهد: ﴿ من كان يريد العزة فإن العزة الله جميعاً ﴾ ، وقال قتادة: ﴿ من كان يريد العزة فإن العزة الله جميعاً ﴾ ، وقال قتادة: ﴿ من كان يريد العزة فإن العزة الله جميعاً ﴾ ، وقال العزة فإن العزة والتلاوة والدعاء ؛ روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك لقائلهن ، حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ، ثم صعد بهن إلى السهاء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ، ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ . وقال كعب الأحبار: إن لسبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لدوياً حول العرش كدوي النحل، يذكرن لصاحبهن ، والعمل الصالح في الخزائن .

وقوله تعالى: ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ قال ابن عباس: الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عزَّ وجل، والعمل الصالح أداء الفريضة، فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عزَّ وجلَّ، ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به، وكذا قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، وقال إياس بن معاوية: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام، وقال الحسن وقتادة: لا يقبل قُول إلا بعمل، وقوله تعالى: ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ قال مجاهد: هم المراؤون بأعمالهم ا يعني يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله عزَّ وجلَّ يراؤون بأعمالهم ﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾، وقال ابن أسلم: هم المشركون، والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَمْمُ عِذَابِ شَدِيدُ وَمَكُرُ أُولَئْكُ هُو يَبُورُ ﴾ أي يفسد ويبطل، ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنُّهَى، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ﴾ أي ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مُهين، ﴿ ثُمْ جُعلَكُمْ أَزُواجاً ﴾ أي ذكراً وأنثى لطفاً منه ورحمة أن جَعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا تَحْمَلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضْعَ إِلَّا بَعْمَلُهُ ﴾ أي هو عالم بذلك لا يخفي عليه من ذلك شيء بل ﴿ مَا تَسْقَطُ مَنْ وَرَقَةً إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةً فِي ظُلْمَاتَ الأَرْضُ وَلَا رَطْبِ وَلَا يَابِسَ إِلَّا فِي كَتَابِ مِبْيَنَ ﴾، وقد تقدم الكِلام على قوله تعالى: ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمُقدار ﴾ وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا يَعْمَرُ مَنْ مَعْمَرُ وَلَا يَنْقُصُ مَنْ عَمْرَهُ إِلَّا فِي كَتَابٍ ﴾ أي ما يعطى بعض النطف من العمر

⁽١) رواه ابن جرير، وإسناده صحيح إلى كعب الأحبار .

الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الأول ﴿ وما ينقص من عمره ﴾ الضمير عائد على الجنس، لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس. قال ابن جرير: وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه، أي ونصف ثوب آخر .

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره ﴾ الآية، يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر، والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى: ﴿ ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول: كل ذلك في كتاب عنده، وقال زيد بن أسلم ﴿ ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ قال: ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام. وقال عبد الرحمن في تفسيرها: ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا. وقال قتادة: والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة. وقال مجاهد ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد، بل لهذا عمر ، ولهذا عمر ، فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ ، وقال بعضهم: بل معناه ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ أي ما يكتب من الأجل ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ وهو ذهابه قليلاً قليلاً الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه، نقله ابن جرير عن أبي مالك، واختار ابن جرير الأول، ويؤيده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه 🖤 ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله عَلِيُّكُم فقال: « إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر »، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِن ذلك على الله يسير ﴾ أي سهل عليه يسير لديه، فإن علمه شامل للجميع لا يخفي عليه شيء منها .

* وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَلْذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآبِنَ شَرَابُهُ, وَهَلَذَا مِلْحُ أُجَابٌ وَمِن كُلِّ مَأْكُونَ لَحْمُا طَرِيًّا وَمَا يَسْتُخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبُسُونَمًا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَائِرَ لِنَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ مَنْ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهِ مَوَائِرَ لِنَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلَّ

يقول تعالى منهاً على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة، خلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زُعاقاً مرة، ولهذا قال: ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ أي مر، ثم قال تعالى: ﴿ ومن كل تأكلون لحماً طرياً ﴾ يعني السمك ﴿ وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ وترى الفلك فيه مواخر ﴾ أي تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره، وقال

⁽١) رواه البخاري ومسلم والنسائي واللفظ له .

مجاهد: تمخر الربح السفن ولا يمخر الربح من السفن إلا العظام، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ أي بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئم وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، الجميع من فضله ورحمته

س الصله ورحمه ورحمه في النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهْ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُكُو لَهُ الْمُلْكُ وَاللَّهُ مَا يَعْلِمُ وَالْمَالِكُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ مَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْسَمِعُواْ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا يُسْمَعُواْ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّالَمُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللّه

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفاً وشتاء فوسخر الشمس والقمر فه أي والنجوم السيارات، الجميع يسيرون بمقدار مبين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديراً من عزيز عليم، فوكل يجري لأجل مسمى في أي إلى يوم القيامة، فوذلكم الله ربكم في أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا إلّه غيره، فو والذين تدعون من دونه في أي من الأصنام والأنداد التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، فو ما يملكون من قطمير في قال ابن عباس: القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي لا يملكون من السهاوات والأرض شيئاً ولا بمقدار هذا القطمير، ثم قال تعالى: فو إن تدعوهم لا يسمعوا دعاء كم في يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تسمع دعاء كم لأنها جماد لا أرواح فيها، فو ولو سمعوا ما استجابوا لكم في أي لا يقدرون على شيء مما تطلبون منها، فو ويوم القيامة يكفرون بشرككم في أي يتبرأون منكم، كما قال تعالى: فو وانخذوا من دون الله آلمة تعالى: فو وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين في، وقال تعالى: فو وانخذوا من دون الله آلمة ليكونوا لهم عزاً م كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً في، وقوله تعالى: فو ولا ينبثك مثل خير فه أي بلكونوا لهم عزاً م كلا سيكفرون ومآلها وما تصير إليه، مثل خبير بها، قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى فإنه أخبر بلا بمحالة .

* يَكَأَيُّ النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَصِيدُ ﴿ إِن يَشَأَ يُذْهِبُكُرٌ وَيَأْتِ بِحَلْقِ جَدِيدِ ﴿ وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ ﴿ وَلا تَزِرُ وَاذِرَةٌ وِذْرَ أُنْرَى اللّهُ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِلْهَا لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَنَ ۚ إِنَّا اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ يَعْرِيزٍ ﴾ وَلا تَزِرُ وَاذِرَةٌ وِذْرَ أُنْرَى اللّهُ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِلْهَا لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَنَ اللّهِ الْمُصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْمُصِيرُ ﴾ وَإِلَى اللّهِ الْمُصِيرُ ﴾

يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسَ أنتم الفقراء إلى الله ﴾ أي هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات، ولهذا

قال عزَّ وجلُّ : ﴿ والله هو الغني الحميد ۽ أي هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه، وقوله تعالى: ﴿ إِن يِشاً يذهبكم وبأت بخلق جديد﴾ أي لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا ذَلْكَ عَلَى اللَّهُ بَعْزِيز ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزَرَ وَازَرَةَ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ أي يوم القيامة، ﴿ وَإِنْ تَدَعَ مَثْقَلَةً إِلَى حملها ﴾ أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه ﴿ لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربـي ﴾ أي وإن كان قريباً إليها حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله، قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾ الآية، قال: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا، وقد احتجت إليك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه، حتى يرده إلى منزل دون منزله، وهو في النار ، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بني أي والد كنت لك فيثني خيراً ، فيقول له يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها نما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أنخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا هذه، أي روج كنت لك فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبين لي لعلي أنجو بها ثما ترين، قال، فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً إني أنخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَدَعَ مَثْقَلَة إلى حملها ﴾ الآية. ويقول تبارك وتعالى: ﴿ لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾، ويقول تعالى: ﴿ يَوْمُ يَفُرُ الْمُرَّءُ مِنْ أَخِيهِ وَأَمْهُ وَأَبِيهُ، وصاحبته وبنيه، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾، تم قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا تَنْذُرِ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبِّهُم بِالغيبِ وأقاموا الصلاة ﴾ أي إنما يتعظ بما جثت به أولو البصائر والنهى، الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به، ﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ أي ومن عمل صالحاً فإنما يعود على نفسه، ﴿ وَإِلَى اللهِ المصير ﴾ أي وإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شرأ فشر .

وَمَا يَسْنَوِى ٱلْأَعْنَى وَٱلْبَصِيرُ ﴿ وَلَا ٱلظُّلُسَتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿ وَلَا ٱلظِّلُ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ وَمَا يَسْنَوِى الْأَحْبَ الْمُورُ ﴾ وَلَا ٱلظَّهُودِ ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعِ مَّن فِي ٱلْقُبُودِ ﴿ وَالْمَا أَنْتَ إِلَا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وَإِنْ أَنْ اللّهَ يُسْمِع مَن يَشَاءً وَإِن مِّنَ أُمَّةً إِلّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وَإِن يُكَذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ لَذِيرٌ ﴾ وَإِنّا أَرْسَلْنَكَ بِالْحَقِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنَ أُمَّةً إِلّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وَإِن يُكَذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ اللّهِ مَن مَن قَبْلِهِمْ جَآءَتُهُمْ وَسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنْتِيرِ ﴾ مُمَّ أَخَذْتُ الذِينَ كَفَرُواً فَكَبُولَ فَكَبُولَ فَكَدُبُ كَانَ نَكِيرٍ ﴾ فَكَبْف كَانَ نَكِيرٍ ﴾

يقول ثعانى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير، لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوى الأحياء ولا الأموات، وهذا

مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿ أَو مَن كَانَ مَيْتًا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي بة في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً ﴾ ؟ فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم ﴿ وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِن الله يسمع من يشاء ﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيعً هدايتهم ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذَيْرٍ ﴾، أي إنما عليك البلاغ والإنذار والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ﴿ إِنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ أي بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هادك، وكما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وإن يكذبوكَ فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات، ﴿ وَبَالْزَبْرَ ﴾ وهي الكتب، ﴿ وَبَالْكَتَابِ المَّنْيْرَ ﴾ أي الواضح البين ، ﴿ ثُمّ أخذت الذين كفروا ﴾، أي ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاموهم به فأخذتهم أي بالعقاب والنكال، ﴿ فَكُيفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾ أي فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيًّا شديداً بليغاً ؟ والله أعلم .

أَلَمْ تَرَأَنَ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا مَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ عَلَمَ رَاتِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَ أَوَمِنَ الِخْبَالِ جُدَدُ بِيضٌ وَمُمْرٌ مُخْتَلِفً أَلْوَانُهَ وَغَرَا بِيبُ سُودٌ ﴿ فَي وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَالدَّوَآبِ وَٱلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ أَلُوانُهُ وَكَذَالِكُ إِلَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاتُوُّ أَإِنَّ اللّهَ عَزِيزُ غَفُورً ﴿ فَيْ

يقول تعالى منهاً على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السهاء، يخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثهار، كما هو الشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ يستى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون في، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها في وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضاً، قال ابن عباس: الجدد الطرائق، ومنها غرابيب سود، قال عكرمة: الغرابيب الجبال الطوال السود، وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غربيب، ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿ وعرابيب سود في سود غرابيب، وفيا قاله نظر. وقوله تعالى: ﴿ ومن الناس واللواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ أي كذلك

الحيوانات من الأناسي (والدواب) وهو كل ما دب على القوائم (والأنعام) من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضاً، فالناس منهم بربر وحبوش في غاية السواد، وصقالة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك، وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد، بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون، وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقد روى الحافظ البزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي عليه فقال: أيصبغ ربك ؟ قال عليه البزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي عليه فقال: أيصبغ ربك ؟ قال عليه البناء المناء كانت المرفة للعظم القدير أتم والعلم به أكمل، كانت المحشية له أعظم وأكثر.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير ، وعنه قال: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله، وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجلّ، وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيا رغب الله فيه، وزهد فيا سخط الله قيه، ثم تلا الحسن: ﴿ إنما يخشى من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية، وقال مالك: إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في القلب، وقال سفيان الثوري: كان يقال: العلماء ثلاثة، عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله البس بعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الله الله بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله عزّ وجلّ .

* إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْلُونَ كِتَنْبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوَةَ وَأَنفَقُواْ مِثَ رَزَقْنَنْهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَـةً يَرْجُونَ نِجَنَرَةً لَنَ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين، الذين يتلون كتابه ويؤمنون به، ويعملون بما فيه من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله تعالى سراً وعلانية بأنهم ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ أي يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ أي ليوفيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿ إنه غفور ﴾ أي لذنوبهم، ﴿ شكور ﴾ للقليل من أعمالهم، قال قتادة: كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القرآء .

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيُّهُ إِنَّ اللّهَ بِعِبَادِهِ عَلَيْسِ أَبْصِيرٌ ١

⁽١) قال ابن كثير: روي مرسلاً وموقوفاً والله أعلم .

يقول تعالى: ﴿ والذي أوحينا إليك ﴾ يا محمد من الكتاب وهو القرآن ﴿ هو الحق مصدقاً لما بين يديه ﴾ أي من الكتب المتقدمة يصدقها ، كما شهدت هي له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين ﴿ إن الله بعباده لخبير بصير ﴾ أي هو خبير بهم بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر ، وفضل النبين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات ، وجعل منزلة محمد على فق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

مُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَّا فَيَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقُ إِلَّحَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَالِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب فو الذين اصطفينا من عبادنا في وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: فو فنهم ظالم لنفسه في وهو المفرط في فعل بعض المستحبات المرتكب لبعض المحرمات، فو ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله في وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات ويفعل بعض المكروهات، فو ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله في وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات، فو ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله في وقوله تعالى: فو ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا في قال: هم أمة محمد علي ورئهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب، روى الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله علي أنه قال ذات يوم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمني » قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد علي وكذا روي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين الوارثين للكتاب. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في فنهم ظالم لنفسه في قال: هو الكافر، وقال مجاهد في قوله تعالى: فو فنهم ظالم لنفسه في قال: هو الكافر، وقال مجاهد في قوله تعالى: في فنهم ظالم لنفسه في قال: هو الكافر، وقال مجاهد في قوله تعالى: وفنهم ظالم لنفسه في قال: هو الكافر، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: وهذه الأمة ما الناظم محمد عن ابن خير بر، كما هو ظاهر الوسرة الواقعة وآخرها. والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهذا الختيار ابن جرير، كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله علي من طرق يشد بعضها بعضاً، ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسم

الحديث الأول: قال الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي عَلِيْكُ أنه قال: في هذه الآية ﴿ ثُم أُورِثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله عقال: « هؤلاء كلهم بمتزلة واحدة وكلهم في الجنة "0"، ومعنى قوله بمتزلة واحدة: أي في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة. الحديث الثاني: قال الإمام أحمد عن أبي

⁽١) الحديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق أخرى يتقوى بها هذا الحديث.

الدرداء رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله عليه يقول: «قال الله تعالى: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فخنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ه الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ . الحديث الثالث: قال الحافظ الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ﴿ فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ الآية، قال، قال رسول الله عليها : « كلهم من هذه الأمة » مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ الآية، قال، قال رسول الله عليها أنه قال: « أمتي ثلاثة أثلاث، فئلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده، يقول الله تعالى: صدقوا، لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة، بقولم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار، وهي التي قال الله تعالى: ﴿ وليحملن أثقالُم هِ أثقالُم مُ أثقالُم مُ أثقالُم ما أثقالُم

(أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه)

قال ابن جرير عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة المنت يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عزّ وجلّ ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئاً، فيقول الرب عزّ وجلّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبدالله رضي الله عنه هذه الآية: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ الآية . أثر آخو : قال أبو داود الطيالسي، عن عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ﴾ الآية، فقالت لي: « يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله على الله رسول الله على الله الحياة والرزق، وأما المقالم بنفسه فمثلي ومثلكم ، قال: فجعلت نفسها والرزق، وأما المقتصد فن اتبع أثراً من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم ، قال: فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا »، وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع ، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وقال عوف الأعرابي، عن كعب الأحبار رحمه الله قال: إن الظالم لنفسه من هدنه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال : إن الظالم لنفسه من الكبير » جنات عدن يدخلونها – إلى قوله عزّ وجلّ – والذين كفروا لهم نار جهنم ﴾ قال : فهؤلاء أهل النار مي محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ، قال : فهؤلاء أهل النار "، وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وهو غريب جداً كما قال ابن كثير .

⁽٢) رواه ابن جرير من طرق عن عوف عن كعب الأحبار .

والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله . فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام، وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة، والعلماء أغبط الناس بهذه الرحمة، فإنهم كما روى الإمام أحمد رحمه الله عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك أي أخي ؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله يَهِيني ، قال: أما قدمت لتجارة ؟ قال: لا، قال: أما قدمت لحاجة ؟ قال: لا. قال: أما قدمت الا في طلب هذا الحديث ؟ قال: نعم، قال رضي الله عنه، فإني سمعت رسول الله عَيْني يقول: « من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السياوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فن أخبذ به أخذ بحظ وافر على . وقد تقدم في أول (سورة طه) حديث ثعلبة بن الحكم عن رسول الله على قال: « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا آبلي » .

جَنَّنَتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُوَّا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيّ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَّ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ ٱلَّذِيّ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ـ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبُّ وَلَا يَمَشُنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۞

يخبر تعلى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة، مأواهم جنات عدن، أي جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله عزّ وجلّ في يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً في كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله يَهِلِينَ أنه قال: « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » فو ولباسهم فيها حرير في ، ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى له في الآخرة » وقال: « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » . وقال: « هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » . وقال ابن أبي حاتم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه حدَّت أن رسول الله على المنافقة ، مكللة بالدر ، وعليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب جرد مرد مكحولون » . فو وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن في متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب جرد مرد مكحولون » . فو وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن في الله عنهما قال ، قال رسول الله يَهْ الهل لا إله الا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم ، وكأني بأهل الله عنهما قال ، قال رسول الله يَهْ الهل لا إله الا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم ، وكأني بأهل (لا إله إلا الله) ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » . « والموت وحشة في قبورهم ولا نشورهم ، وكأني بأهل ولا إله إلا الله) ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » . « والموت ولا إله الله وحشة في الموت ولا في الموت ولا في الموت ولا أله الا إله الا الله وحشة في الموت ولا في الموت ولا في الموت ولا في الموت ولا أله الله الله وحشة في الموت ولا في الموت ولا في الموت ولا في الموت ولا الله عنه الموت ولا أله الله وحشة في الموت ولا أله الموت ولا الله وحشة في الموت ولا أله الموت ولا أله الله وحشة في الموت ولا أله الموت وله الموت ولا أله الموت الله الموت ولا أله الموت ولا أله الموت ولا أله الموت اله الموت اله

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه . ﴿ (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر مرفوعاً .

القبور ولا في النشور، وكأني أنظر إليهم عند الصبحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور »، قال ابن عباس: غفر لهم الكثير من السيئات، وشكر لهم البسير من الحسنات والذي أحلنا دار المقامة من فضله في يقولون: الذي أعطانا هذه المتزلة، وهذا المقام من فضله ومنّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله على الله تعالى: « لن يدخل أحداً منكم عملُه الجنة » قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمة منه وفضل » ﴿ لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها عناء ولا إعياء، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم، فن ذلك أنهم كانوا يدثبون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيناً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُجَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَ ۚ كَذَالِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أُخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرُ كُمَّ مَا يَشَذَكُّ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَآءَ كُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَكَ لِلظَّالِدِينَ مِن نَصِيرٍ ﴿

لما فكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان ما للأشقياء، فقال: ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾، وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله يمالته الله عليهم فيموتوا ﴾، كما قال النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون »، وقال عزّ وجلّ: ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ فهم في حالم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ه لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾، وقال جلّ وعلا : ﴿ كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾، ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾، وقال جلّ وعلا : ﴿ كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ ، ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ كذلك نجزي كل كفور ﴾ أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق، وقوله جلت عظمته : ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ أي ينادون فيها يجأرون إلى الله عزّ وجلّ بأصواتهم : ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقسد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدنيا ﴿ لها لها له الدنيا أعماراً ، لو كنتم ممن ينتفع أنه لو منتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ ؟ أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً ، لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم بـه في مـدة عمركم ؟ وقسد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا، فروي أنه مقسدار بالمحق لانتفعتم بـه في مـدة عمركم ؟ وقسد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا، فروي أنه مقسدار العمر أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هو إن فيهم لابن ثماني عشرة سنة ، وقال وهب بن منبه ﴿ أو لم المراد همة أو الم المعر عشرة سنة ، وقال وهب بن منبه ﴿ أو الم الآلَة في أو أو الم المهم عشرة سنة ، وقال وهب بن منبه ﴿ أو أَلَّهُ اللهم عشرة سنة ، وقال وهب بن منبه ﴿ أو أَلَهُ اللهم عشرة سنة ، وقال وهب بن منبه ﴿ أو أَلْهُ اللهم المورا المهم المؤلفة المؤل

⁽١) هذا قول علي بن النحسين زين العابدين رضى الله عنهما .

نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ قال: عشرين سنة، وقال الحسن: أربعين سنة، وقال مسروق: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل () وروى ابن جرير عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ أربعون سنة، وهذا هو اختيار ابن جرير، ثم روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ ستون سنة، فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً، لما ثبت في ذلك من الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليا أنه قال: « لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله تعالى إليه، لقد أعذر الله عز وجل الله المرى أخر عمره حتى بلغ ستين سنة »، وفي رواية: « من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر » () وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم، كما قال الشاعر :

إذا بلغ الفتى ستين عامـــاً فقــد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على المعار أمتي ما بين السيعين وأقلهم من يجوز ذلك " وقوله تعالى: ﴿ وجاء كم النذير ﴾ روي عن ابن عباس وعكرمة وقتادة أنهم قالوا: يعني الشيب، وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد: يعني به رسول الله على أن أبن زيد: وهذا نذير من النذر الأولى ﴾ وهذا هو الصحيح عن قتادة أنه قال: احتج عليهم بالعمر والرسل، وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر، لقوله تعالى ﴿ لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾ أي لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ه قالوا بلى قد جاءنا نذير ه فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم ألا في ضلال كبير ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فلوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ أي فذوقوا عذاب النار، جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعمالكم ، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم عما أنتم فيه ، من العذاب والنكال مخالفتكم الأنبياء في مدة أعمالكم ، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم عما أنتم فيه ، من العذاب والنكال هوالأغلال » .

* إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّـدُورِ ۞ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيْهِفَ فِي

⁽١) وهذه رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد وفي لفظ للنسائي « من عمّره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر » .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم والإمام أحمد .

⁽٤) أخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

ٱلأَرْضَ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ ٱلْكَنفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتُ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَنفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتُ ۚ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَنفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا خَسَارًا ۞

يخبر تعالى بعلمه غيب السهاوات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر ، وما تنطوي عليه الضهائر ، وسيجازي كل عامل بعمله ، ثم قال عزّ وجلّ ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ أي يخلف قوم لآخرين وجيل لجيل قبلهم ، ﴿ فَن كَفَر فعليه كفره ﴾ أي فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ﴾ أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره ، وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين .

قُلْ أَرَةَ يْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ أَمْ ءَ ٱتَذِنَـٰهُمْ كِتَنَبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتِ مِنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۞ ۞ ﴿ إِنَّ ٱللّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّـمَـنَوْتِ وَٱلأَرْضَ أَن تَزُولًا وَلَيْن زَالَـٰنَآ إِنْ أَمْسَـكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۞

يقول تعالى لرسوله على المشركين: ﴿ أَرْأَيْمَ شَرَكَاءَ كَمَّ الذَينَ تَدَعُونَ مِن دُونَ الله ﴾ أي من الأصنام والأنداد، ﴿ أُرونِي ماذا خلقوا من الأرض أم لم شرك في السموات ﴾ أي ليس للم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير ، وقوله: ﴿ أُم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر ، ليس الأمر كذلك ﴿ في لم إِن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾ أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قلدته العظيمة، التي بها تقوم السهاء والأرض عن أمره ، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿ إِن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ أي أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عزّ وجلّ ﴿ ويمسك السهاء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ ومن آياته أن تقوم السهاء والأرض بأمره ﴾ أي لا يقدر على دوامهما وإبقائهما ولا يعجل ، ويمر بأمره ﴾ أي لا يقدر على دوامهما وإبقائهما ولا يعجل ، ويستر آخرين ويغفر ، وله خال تعالى: ﴿ إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ؛ يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات ويرفعه ، يرفع إليه بصره من خلقه » .

وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـنِهِمْ لَهِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْـدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأَمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّازَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۞ اسْتِكِارًافِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّ ۖ وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّ إِلَّا بِأَهْلِهِۦفَهَلْ يَسْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَلِينَ

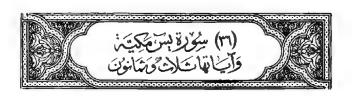
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ آللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله ﴿ جهد أيمانهم ﴾ قبل إرسال الرسول إليهم ﴿ لنن جاهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ﴾ أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل، كقوله تعالى: ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاء كم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ " وكقوله تعالى: ﴿ وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين . فكفروا به فسوف يعلمون ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ ولما جاءهم نذير ﴾ وهو محمد عليه على أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ﴿ ما زادهم إلا نفوراً ﴾ أي ما أزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ﴿ ما زادهم إلا نفوراً ﴾ أي ما أزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ﴿ ما البياع آيات آيات أني ما ازدادوا إلا كفراً إلى كفرها إلى النياس في صدهم إياهم عن سبيل الله ، ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ أي ومكر السيء إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم ، قال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم ، قال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى يزل به ، من مكر ، أو بغي ، أو نكث ، وتصديقها في كتاب الله تعالى : ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ ، ﴿ وان نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الله تبيكم على أنفسكم ﴾ ، ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الله تبيكم على أنفسكم ﴾ ، ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الله تبيكم على أنفسه في عقوبة الله لم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ، ﴿ فلن تجد لسنة الله تبوم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له كول يكشف ذلك عنهم ولا يتولهم عنهم أحد ، والله أعلى .

* أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَنفِبَهُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةٌ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيعْجِزَهُ مِن شَىّ ۚ فِي ٱلسَّمَوْتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضُ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿ ثَنَى ۖ وَلَوْ يُوَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَآبَةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسَمَّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ عَ بَصِيرًا ﴿ ثَنْ

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين، بما جئتهم به من الرسالة، سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم فخلت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم، بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئاً ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء ، لأنه تعالى لا يعجزه شيء في السهاوات والأرض، ﴿إنه كان علياً قديراً ﴾ أي عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها، ثم قال تعالى: ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي لو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السهاوات والأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق، قال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى: ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي لما سقاهم المطر فمانت جميع النواب ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ أي ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، مسمى ﴾ أي ولكن ينظرهم إلى تومالى: ﴿ والعقاب أهل المعصية، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ والعقاب أهل الله كان بعباده بصيراً ﴾ .

[آخر تفسير سورة فاطر ، ولله الحمد والمنة]



روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر موات » "، وروى الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الله على الله أصبح مغفوراً له، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له » ". وقال ابن حيان في صحيحه عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الله عنه قال، قال رسول الله على قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له ». وروى الإمام أحمد: عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال، قال رسول الله على موتاكم » يعني يس " . ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقوأ عنه أمر عسير إلا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم، قال الإمام أحمد رحمه الله: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت – يعني يس – عند الميت خفف الله عنه بها، وروى البزار عن ابن عباس قال، قال النبي على الهذا في قلب كل إنسان من أمني هن يس .

يَسَ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيدِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ۞عَلَىٰ مِرَ ﴿ مُسْتَقِيدٍ ۞ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيدِ ۞ لِتُسْذِرَ قَدْمًا مَّا أَنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَنْفِلُونَ ۞ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞

⁽١) أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب .

⁽٢) أخرجه الحافظ الموصلي وإسناده جيد كذا قال ابن كثير .

⁽٣) أخرجه أحمد ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

⁽٤) أخرجه الحافظ البزار .

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة، وروي عن ابن عباس أن في يس كه بمعنى يا إنسان، وقال سعيد بن جبير: هو كذلك في لغة الحبشة، وقال زيد بن أسلم: هو اسم من أسماء الله تعالى، في والقرآن الحكيم كه أي المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في إنك كه أي يا محمد في لمن المرسلين = على صراط مستقيم كه أي على منهج ودين قويم وشرع مستقيم، في تنزيل العزيز الرحيم كه أي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به، تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: في وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ه صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض كه، وقوله تعالى: في لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون كه يعني بهم العرب، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله، وقوله تعالى في لقد حتى القول على أكثرهم كه، قال ابن جرير: لقد وجب العذاب على أكثرهم، بأن الله تعالى قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون، في فهم لا يؤمنون كه بالله ولا يصدقون رسله.

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء، كمن جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقته ، فارتفع رأسه فصار مقمحاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ فهم مقمحون ﴾ والمقمح هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرع في كلامها: وأشرب فأتقمح ، أي أشرب فأروى وأرفع رأسي تهنيئاً وتروياً، واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر البدين وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

فا أدري إذا يمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني

فاكتفى بذكر الحير عن ذكر الشر ، لما دل الكلام والسياق عليه ، وهكذا هذا ، لما كان الغل إنما يعرف فيا جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين ، قال ابن عباس : هو كقوله عزّ وجلّ : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير ، وقال مجاهد : ﴿ وَهُم مقمحون ﴾ قال : رافعي رؤوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم ، فهم مغلولون عن كل خير ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِعْلَمُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَن الحق فهم يترددون ، وقال ﴿ وَجَعْلنا مِن بِينَ أَيْدِيهِم سَداً ﴾ ، قال مجاهد عن الحق : ﴿ وَمِن خَلَفُهُم سَداً ﴾ عن الحق فهم لا يبصرون ﴾ أي أغشينا أبصارهم عن الحق ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ أي لا يتفعون بخير ولا يهتلون إليه ، قال عبد الرحمن بن زيد : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان ، فهم لا يخلصون إليه ، وقرأ : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب

⁽١) وهو قول عكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة كذلك .

الأليم ﴾ " ثم قال: من منعه الله تعالى لا يستطيع، وقال عكرمة، قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فأنزلت: ﴿ إِنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِم أَعْلَالًا – إِلَى قوله – فهم لا يبصرون ﴾ قال: وكانوا يقولون هذا محمد، فيقول: أين هو أين هو ؟ لا يبصره (١٠) .

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب قال، قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكاً فإذا متم بعثم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها، وخرج عليهم رسول الله على عند ذلك وفي يده حفنة من تراب، وقد أخد الله تعالى على أعينهم دونه، فجعل يذروها على رؤوسهم ويقرأ: ﴿ يس يا والقرآن العكيم – حتى انتهى إلى قوله تعالى – وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون في، وانطلق رسول الله يحلق لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم ؟ قالوا: ننتظر محمداً، قال: قد خرج عليكم، فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه تراباً، ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب، قال: وقد بلغ النبي على قول أي جهل فقال: ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أن بتذرهم لا يؤمنون في أي قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به، ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر في أي إنما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون ﴿ الذّكر في وهو القرآن العظيم، ﴿ وخشي الرحمن من اتبع الذكر في أي إنما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون ﴿ الذّكر في وهو القرآن العظيم، ﴿ وخشي الرحمن بالغيب ﴾ أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى، يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل، ﴿ فبشره بعفرة ﴾ أي لذنوبه ﴿ وأجر كريم ﴾ أي كثير واسع حسن جميل كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لم مغفرة وأجر كبير ﴾ (أ).

ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ إِنَا نَحَنُ نَحِييَ المُوتِي ﴾ أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَنَكْتُ مَا قَدُمُوا ﴾ أي من الأعمال، وفي قوله تعالى: ﴿ وآثارهم ﴾ قولان: أحدهما : نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كقوله على المن الله المن سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ، وهكذا الحديث الآخر : ﴿ إِذَا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده » . وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ قال: ما أورثوا من الضلالة، وقال سعيد بن جبير : ﴿ وآثارهم ﴾ يعني ما أثروا، يقول: ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد

⁽١) أخرجه ابن جرير .

⁽٢) أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي وهو طويل وفيه قصة مجتابي النار المضريين .

⁽٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

موتهم، وهذا القول هو اختيار البغوي. والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية، قال مجاهد: ﴿ ما قدموا ﴾ أعمالهم ﴿ وآثارهم ﴾ قال: خطاهم بأرجلهم (١) وقال قتادة: لو كان الله عزّ وجلّ مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيا هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل، وقد وردت في هذا المعنى أحاديث .

الحديث الأول : عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : خلت البقــاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله عَلِيْكُ فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد »، قالوا: نعم يا رسول الله قـــد أردنا ذلك، فقال عَلِيْكُم: « يا بني سلمة: ديار كم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم »(ألا الحديث الثاني : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوًا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت: ﴿ إِنَا نَحْنَ نَحْيِي المُوتَى وَنَكْتُبِ مَا قَدْمُوا وآثارهم ﴾ فقـــال لهم النبي ﷺ: « إن آثاركم تكتب » فلم ينقلوا^{(»}. وروى الحافظ البزار ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن بني سلمةً شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فنزلت: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدْمُوا وَآثَارُهُم ﴾ فأقاموا في مكانهــم . الحديث الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فثبتوا في منازلهم ^(١) . ا**لحديث الرابع** : عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي ﷺ، وقال: « يا لينه مات َّ في غير مولده » فقال رجل من الناس: ولم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: « إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة »⁽⁶⁾. وروى ابن جرير عن ثابت قال: مشيت مع أنّس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينًا رويداً، فلما قضينا الصلاة قال أنَس: مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المثني، فقال: يا أنَس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟ وهــذا القول لا تنافي بينه وبين الأوَّل، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريــق الأَّوْلى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قلـوة بهم من خير أو شر بطريـــق الأولى، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيَّءَ أَحْصِينَاهَ فِي إمام مبينَ ﴾ أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، ﴿ والإمام المبين ﴾ ههنا هو أم الكتاب، قاله مجاهد وقتادة وكذا في قوله تعالى: ﴿ يُومُ نَدَعُو كُلُّ أَنَاسَ بِإِمَامُهُم ﴾ أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بمـا عملوه من خير أو شركما قال عزّ وجلّ : ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾، وقال ٰتعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممــا فيه ، وُيقولونَ يا ويلتنا ما لهَذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجلوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

⁽١) وهو قول الحسن وقتادة .

⁽٢) أخرجه أحمد والإمام مسلم .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم والترمذي وقال الترمذي: حسن غريب.

⁽٤) أخرجه الطبراني وهو حديث موقوف . (٥) أخرجه الإمام أحمد والنساني .

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّنَالًا أَصَّلَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاۤ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثِ فَقَالُوٓاْ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿ قَالُواْ مَاۤ أَنَّمُ إِلَّا بَشَرٌّ مِّنْلُكَ وَمَاۤ أَنْزَلَ الرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَسْكَذِبُونَ ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّاۤ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿ قَنَ عَلَيْنَاۤ إِلَّا الْبَلِئُعُ الْمُبِينُ ﴿ قَالَ الْمَاعِنُ

يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك ﴿ مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾. قــــال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار : إنهــا مدينة اتطاكية، وكان بها ملك يقال له (انطيقس) كان يعبد الأصنام، فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم (صادق) و (صدوق) و (شلوم) فكذبهم .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلنَا إِلَيْهِمَ اثْنِينَ فَكَذِبُوهُمَا ﴾ أي بادروهما بالتكذيب، ﴿ فَعْزَنَا بِثَالَتُ ﴾ أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث () ، ﴿ فقالوا ﴾ أي لأهل تلك القرية ﴿ إِنَا إِلَيْكُم مُرسلونَ ﴾ أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له ، ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ أي فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر ! فلم لا أوحي إلينا مثلكم ؟ ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة ، وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ﴾ ! أي استعجبوا من ذلك وأنكروه ، كما قال تعالى : ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴾ أي أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى : ﴿ قَلْ كَفّى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ ، ﴿ وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾ يقولون : إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، ﴿ قَاذَا أَطْعَمْ كانت السعادة في الدنيا والأخرى ، وإن لم تجيبوا فستعلمون غيب ذلك ، والله أعلم .

قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُرُّ لَيِن لَّهُ تَلَتَّهُواْ لَنَرْجُمَنَكُمْ وَلَيَمَسَّنَكُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ قَالُواْ طَلَيْرُكُمْ مَعَكُمُ أَيِن ذُرِّرُتُمْ بَلْ أَنْهُ فَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ وَلَيْمَسَنَكُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ قَالُواْ طَلَيْرُكُمْ مَعَكُمُ أَيِن ذُرِّرُتُمْ بَلْ

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿ إِنَا تَطِيرِنَا بَكُم ﴾ أي لم نر على وجوهكم خيراً في عيشنا، وقال قتادة : يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، وقال مجاهد : يقولون : لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها ﴿ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ﴾، قال قتادة: بالحجارة، وقال مجاهد: بالشتم ﴿ وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ أي عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: ﴿ طائركم معكم ﴾ أي مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: ﴿ وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ﴾، وقال قوم صالح: ﴿ اطيرِنَا بك و بمن معك قال طائركم عند الله ﴾، وقوله تعالى : ﴿ أَنْ ذَكَرْتُم بِل أَنْتُم قوم مسرفون ﴾ عند الله ﴾، وقوله تعالى : ﴿ أَنْ ذَكَرْتُم بِل أَنْتُم قوم مسرفون ﴾

 ⁽۱) قال ابن جریج: کان اسم الرسولین (شمعون) و (یوحنا) واسم الثالث (بولمس) والقریة انطاکیة، وقال ابن کثیر:
 وزعم قتادة أنهم کانوا رسل المسیح علیه السلام إلى أهل أنطاکیة .

أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ، قابلتمونا بهذا الكلام وتوعـــدتمونا وتبددتمونا ، ﴿ بِل أَنتُم قوم مسرفون ﴾ ، وقـــال قتادة : أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم منـــا بـــل أنتم قوم مسرفون .

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلُ يَسْعَىٰ قَالَ يَنقُومِ آتَبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ ﴿ آتَبِعُواْ مَنْ لَا يَسْعَلُكُمْ أَجُرًا وَهُمَ مُهْتَكُونَ ﴿ وَأَعْمَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّلَّا اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

قال وهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم مــن قومه، قالوا: وهو (حبيب) وكان يعمل الحرير وهو الحباك، وكان رجلاً سقيماً قــد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة(" ■ وقال ابن عباس: اسم صاحب يس (حبيب النجار) فقتله قومه ■ وقال السدي: كان قصاراً، وقال قتادة: كان يتعبد في غار هناك، ﴿ قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً ﴾ أي على إبلاغ الرسالة ﴿ وهم مهتلون ﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني ﴾ أي وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلفي وجده لا شريك له، ﴿ وَإِلَيْهُ تُرْجِعُونَ ﴾ أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شرأ فشر ، ﴿ أَأْتَخَذَ مَن دُونَهُ آلْهَةً ﴾ ؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿ إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفـاعتهــم شيئاً ولا ينقذون﴾ أي هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه، لا يملكون من الأمر شيئاً، فإن الله تعالى لو أرادني بسوء، ﴿ فلا كاشف له إلا هو ﴾، وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه ﴿ إِنِّي إِذَا لَفي ضلال مبين﴾ أي إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي آمنت بربكم فاسمعون﴾ قال ابن إسحاق : يقول لقومه ﴿ إِنِّي آمنت بربكم ﴾ الذي كفرتم به ﴿ فاسمعون ﴾ أي فاسمعوا قولي . ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله ﴿ إِنِّي آمنت بربكم ﴾ أي الذي أرسلكم ﴿ فاسمعون﴾ أى فاشهدوا لي بذلك عنده، وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل وقــال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بمــا أقول لكم عند ربي ، إني آمنت بربكم واتبعتكم، وهذا القول أظهر في المعنى والله أعلم، قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس : فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحــد فقتلوه، ولم يكن له أحــٰد يمنع عنه، وقــال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول : اللهم اهــــــــ قومي فإنهم لا يعلمون ، فلم يزالوا بـــه حتى أقعصوه ، وهو يقول كذلـــك ، فقتـــلوه رحمه الله .

قِيلَ أَدْخُلِ ٱلْحَنَّةُ قَالَ يَللَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿ إِيمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿ • وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى

⁽١) ذكره ابن إسحاق عن كعب الأحبار ووهب بن منبه .

قَوْمِهِ مَنْ بَعْدِهِ مِن جُندِ مِن السَّماءِ وَمَا كُمَّا مُنزِلِينَ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَلِمُدُونَ ﴾ قال ابن مسعود: إنهم وطثوه بأرجلهم حتى خرج قصه من دبره وقال الله له: ﴿ ادخل الجنة ﴾ فلدخلها ، فهو يرزق فيها قلد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، وقال مجاهد : قبل لحبيب النجار : ادخل الجنة ، وذلك أنه قتل فوجبت له ، فلما رأى الثواب ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون ﴾ قال قتادة : لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً ، لما عاين من كرامة الله تعالى ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون • بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه ، وقال ابن عباس : نصح قومه في حياته بقوله : ﴿ يا ليت قومي يعلمون • بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ أوقال سفيان الثوري عن أبي مجلز : ﴿ يما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ بإيماني بربي وتصديقي المرسلين ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسلين ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسلين ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسلين ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسلين ، ومقله له ذرحمه الله ورضي عنه ، فلقد كان حريصاً على هداية قومه . وقال محمد بن إسحاق ، عن كعب الأحباد فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيم يقول : أتشهد أني رسول الله ، فيقول : لا أسم ، فيعل له اسمه حبيب : وكان والله صاحب يس اسمه حبيب . وقوله على ذلك حتى مات في يديه ، فقال كعب حين قبل له اسمه حبيب : وكان والله صاحب يس اسمه حبيب . وقوله تراك وتوله وما أنزلن كي قومه من بعده من جعد من جند من السهاء وما كنا منزلين كي يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد تبارك وتعالى :

قتلهم إياه، غضباً منه تبارك وتعالى عليهم، لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه، ويذكر عزّ وجلّ أنه ما أنزل عليهسم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمركان أيسر من ذلك⁶⁰، ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خاملون ﴾ فأهلك الله تعالى ذلك الملك، وأهلك أهل انطاكية فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية، وقيل: ﴿ وما كنا منزلين ﴾ أي وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم، وقيل: المعنى في قوله تعالى ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السهاء ﴾ أي من رسالة أخرى إليهم أله قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خاملون ﴾ قال

قال المفسرون: بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام، فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خاملون عن آخرهم لم تبق بهم روح تتردد في جسد، وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي (أنطاكية) وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره، وفي ذلك نظر من وجوه: أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عزّ وجل لا من جهسة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ إِذْ أُرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا

ابن جرير: والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جنداً .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

⁽٣) قاله ابن مسعود والمعنى ما كاثرناهم بالجموع، الأمر كان أيسر علينا من ذلك .

⁽٣) قاله مجاهد وقتادة وقول ابن مسعود أظهر والله أعلم .

إنا إليكم مرسلون ﴾، ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ﴿ إِن أَنتم إلا بشر مثلنا ﴾ . الثاني : أن أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربع اللاتي فيهن بتاركة، وهن (القدس) لأنها بلد المسيح و (انطاكية) لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، و (الاسكندرية) لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة ، ثم (رومية) لانها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأوطده، فإذا تقرر أن انطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم، والله أعلم . الثالث : أن قصة انطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر غير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ ، فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير (انطاكية) بعد ما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً ، أو تكون انطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ، والله سبحانه غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

يَحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْ تِيهِم مِن رَّسُولٍ إِلَا كَانُواْ بِهِ ع يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ أَلَا يَرَوْا كُمْ أَهْلَكُمَا فَبْلَهُم مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَا يَا يُسْتَهْزِءُونَ ﴿ أَلَا يَرَوْا كُمْ أَهْلَكُمَا فَبْلَهُم مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَا يَعْضَرُونَ ﴾ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ وَ إِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَ مُحْضَرُونَ ﴾

قال ابن عباس ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ أي يا ويل العباد، وقال قتادة: ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ أي يا حسرة العباد على أنفسهم، على ما ضبعت من أمر الله وفرطت في جنب الله، والمعنى: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله ؟ فإنهم كانوا ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ أي يكذبونه ويستهزئون به ويجحلون ما أرسل به من الحق، ثم قال تغالى ﴿ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴾ أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل، كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون ﴾ أي وإن جميع الأم الماضية والآتية، ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جلّ وعلا، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذا كقوله جلّ وعلا ﴿ وإنّ كلاً لم أله وعلا ﴿ وإنّ كلاً لم أله وعلى أله وعلى ﴿ وان كلاً لم أله وعلى ﴿ وان كلاً لم أله وعلى ﴿ وان كلاً لم أله والله والله والله والله والله كله المنافق والله على الله على الله على الله على وان كلاً لم أله والله على وان كل لما المنافق والآتية والم كلها خيرها والله الله والم أله الله والله والله

وَءَايَةٌ لَمَّهُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْنَةُ أَحْيَبَنَهَا وَأَنْوَجْنَا مِنْهَا حَبَّا فَيْنَهُ يَأْ كُلُونَ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِن تَخْيِلِ وَأَعْنَابٍ وَفَا عَلَيْهُ أَنْكُونَ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْفِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿ إِيلِياً كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ - وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿ مُسَاحَدَنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِنَّ تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِمِمْ وَمِنَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقِول تبارك وتعالى : ﴿ وَآيَة لَمْمَ ﴾ أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿ الأرض

الميتة كه إي إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج، ولهذا قال تعالى: ﴿ أحبيناها وأخرجنا منها حباً فنه يأكلون كه أي جعلنا رزقاً لهم ولأنعامهم ه ﴿ وَجعلنا فيها جنات من نحيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون كه أي جعلنا فيها أنهاراً سارحة في أمكنة يحتاجون إليها ، ﴿ ليأكلوا من ثمره كه لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم " عطف بذكر الثار وتنوعها وأصنافها ، وقوله جل وعلا : ﴿ وما عملته أيديهم كه أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم ، لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم " ، وله ذا قال تعالى : ﴿ أفلا يشكرون كه أي فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، واختار ابن جرير " أن (ما) في قوله تعالى : ﴿ وما عملته أيديهم كه بمعنى (الذي) تقديره : ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم ، أي غرسوه ونصبوه ، قال : وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : ﴿ ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون كه ، ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها من ثمره ومما كما قال جلت عظمته : ﴿ ومن أنفسهم كه فجعلهم ذكراً وأنثى ﴿ ومما كما قال جلت عظمته : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون كه .

* وَءَايَةٌ لَمُمُ الَّيْـلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَـارَ فَإِذَا هُـم مُظْلِدُونَ ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرِّ لَمَّ ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ وَالْقَمَرَقَدَّرْنَهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَكَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَمَـآ أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْـلُ سَائِقُ النَّهَارِ ۖ وَكُلَّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة، خلق الليل والنهار ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال تعالى: ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ ، وله ذا قال عزّ وجلّ ههنا: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا هُم مظلمون ﴾ كما جاء في الحديث: ﴿ إِذَا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقهد أفطر الصائم » هذا هو الظاهر من الآية ؛ وقوله جل جالاه : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها خولان: أحدهما : أن المراد مستقرها المكاني ، وهو لما ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ في معنى قوله : ﴿ لمستقر لها ﴾ قولان: أحدهما : أن المراد مستقرها المكاني ، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب ، وهي أينها كانت فهي تحت العرش ، هي وجميع المخلوقات لأنه سقفها ، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث ، روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي عَيِّلِيَّهُ في المسجد عند غروب الشمس ، فقال عَيِّلِيَّهُ : ﴿ يَا أَبا ذَر أَتَدِرِي أَين تغرب الشمس ، ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال عَلَيْ نه المناوي أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : الشمس ، عري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ » ، وروى البخاري أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله عَيِّلَة عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها كه قال عَلَيْ الله عَيْلِيَة عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها كه قال عَلِيَة عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها كه قال عَلِيَة عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها كه قال عَلِيْ الله والشمس عنه عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر ها كه قال عَلْهُ والمُنْ الله عَلْهُ الله عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر ها كه قال عَلْهُ عن أبي در رضي الله عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمن عن قوله عنه ويوله تبارك وتعالى : ﴿ والشمن عن قوله عنه ويوله تبارك ويقال عن النبي عن قوله تبارك ويوله الله عن قوله تبارك ويوله المناوي الشمول الله المناوي المناو

⁽١) قاله ابن عباس وقتادة فتكون (ما) في قوله: ﴿ وما عملته أيديهم ﴾ للنفي .

⁽٢) قوله (واختار ابن جرير) بل جزم بأن (ما) اسم موصول بمعنى (الذي) ولم يحك غيره إلا احتمالاً .

العرش »، وعنه قال: كنت مع رسول الله على المسجد حين غربت الشمس، فقال على البا ذر أتدري أن تذهب الشمس » ؟ قلت: الله ورسوله أعلم ، قال على المسجد حين غربت الشمس على مطلعها وذلك مستقرها – ثم فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها – ثم قرأ – والشمس تجري لمستقر لها » «. والقول الثاني : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة ، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوّر وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني ، قال فتادة : ولمستقر لها في أي لوقتها ولأجل لا تعدوه ، وقيل: المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها » ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم (والشمس تجري لا مستقر لها) اي لا قرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلاً ونهاراً لا تفتر ولا تقف، كما قال تبارك وتعالى: لا يخالف ولا يمانع والقمر دائبين في أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة ، وذلك تقدير العزيز في أي الذي لا يخالف ولا يمان جل وعلى : من الله على منوال ، لا اختلاف فيسه لا يخالف ولا يمان جل وعلا : والقمر قدرناه منازل في أي جعلناه بسير سيراً آخر ، يستدل به على مضي الشهور ، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار ، كما قال عزّ وجلّ : و يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج كلى .

وقال تعالى: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ الآية ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ ، فجعل الشمس لها ضوء يخصها ، والقمر له نور يخصه ، وفاوت بين سير هذه وهذا ، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتاء ، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ، ثم يطول الليل ويقصر النهار ، وجعل سلطانها بالنهار فهمي كوكب نهاري ، وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضتيلاً قليل النور ، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبساً من الشمس ، حتى يتكامل نوره في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبساً من الشمس ، على عباس : وهو أصل العذق ، وقال مجاهد ﴿ العرجون القديم ﴾ : أي العذق اليابس ، يعني ابن عباس أصل المنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى ، ثم بعد هذا يبديه الله تعالى جديداً في أول الشهر الآخر . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ يغني أن لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه ، إذا جاء سلطان هذا ؛ وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي علما أن تدرك القمر ﴾ يغني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس عنبغي عكرمة في قوله عزّ وجل : ﴿ لا الشمس ينبغي ها أن تدرك القمر ﴾ يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس عنبغي عكرمة في قوله عزّ وجل : ﴿ لا الشمس ينبغي ها أن تدرك القمر ﴾ يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه .

⁽۲) هذه رواية عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

أن تطلع بالليل، وقوله تعالى: ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ يقول: لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار ، فسلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل، وقال الضحّاك: لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا وأوماً بيده إلى المشرق، وقال مجاهد: ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ المعنى أنه لا فترة بين الليال والنهار ، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران داثبين يتطالبان طلباً حثيثاً، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ أي يدورون في فلك وتعالى: ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ أي يدورون في فلك السماء () ، قال ابن عباس: في فلكة كفلكة المغزل، وقال مجاهد: الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل، لا يدور الا به .

وَءَايَةً لَمَّمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّ يَتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِثْلِهِ ع مَا يَرْ كَبُونَ ﴿ وَ إِن أَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَكَ صَرِيحٌ لَمُهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿ وَإِن أَشَأْ نُغْرِقْهُمْ اللَّهِ عِينٍ ﴿ وَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَي

يقول تبارك وتعالى : ودلالة لهم أيضاً على قدرته تبارك وتعالى، تسخيره البحر ليحمل السفن، فن دلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام، التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين، ولهذا قال عز وجل ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ﴾ أي آباءهم ﴿ في الفلك المشحون ﴾ أي في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، قبال ابن عباس ﴿ المشحون ﴾ المؤقر ، وقبال الضحاك وقتادة : هي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام، وقوله جل وعلا : ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ قال ابن عباس : يعني بذلك الإيل، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها؛ وقال السدي في رواية : هي الأنعام، وقال ابن جرير : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتدرون ما قوله تعالى : ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ ؟ قلنا : لا ، قال : هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها ، وكذا قال الضحاك وقتادة : المراد بقوله على المناكل : ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ أي السفن ، ويقوي هسذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا : ﴿ إنا لمن عباس المني الذين في السفن ، ﴿ ولا هم ينقذون ﴾ أي غلا مغي ملم هما هم فيه ، ﴿ ولا هم ينقذون ﴾ أي مما أم يما هم فيه ، ﴿ ولا هم ينقذون ﴾ أي مما أمل مسمى ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ومناعاً إلى حين ﴾ أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَقُواْ مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَاخَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ اَلَةٍ مِنْ اَلَةٍ مِنْ اَلَةٍ مِنْ اَلَةٍ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهُ اللّهُ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ أَنْفِقُواْ مِثّ وَزَفَتُكُو اللّهُ قَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِلّذِينَ اَمَنُواْ أَنْطُعِمُ مَن لَوْ يَشَاءُ اللّهُ أَطْعَمُهُ وَإِنْ أَنتُمْ إِلّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ مَن لَوْ يَشَاءُ اللّهُ أَطْعَمُهُ وَإِنْ أَنتُمْ إِلّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

 ⁽١) قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ في فلك يسبحون ﴾ في خلك بين السهاء والأرض .

يقول تعالى مخبراً عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها ، وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾ قال مجاهد: من الذنوب، ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه، وتقدير الكلام أنهم لا يجيبون إلى ذلك بل يعرضون عنه، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ : أي على التوحيد وصدق الرسل، ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ أي لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها، وقوله عز وجل : ﴿ وإذا قبل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ﴾ أي وإذا أمروا بالإنفاق عما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق، محاجين لهم فيما أمروهم به: ﴿ أنطعم من لو يشاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ﴿ إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ أي في أمركم لنا بذلك .

وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَلَذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴿ مَايَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿ وَيَعْمُونَ ﴿ وَاللَّهِ مَا يَغِصِّمُونَ ﴿

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: ﴿ متى هذا الوعد ﴾ كما قال تعالى: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾ أي ما ينظرون إلا صيحة واحدة الفزع » وهذه والله أعلم » نفخة الفزع » ينفخ في الصور نفخة الفزع » والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم ، فبينا هم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدّها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ، وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السهاء ، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانهم ، وهذا قال تعالى: ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أي على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك ، ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ ، وقد وردت ههنا أثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ، ثم يكون بعد هذا « نفخة الصعق » لتي تحوت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ، ثم بعد ذلك « نفخة البعث » وائه أعلم .

وَنُفِخَ فِي الصَّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿ قَالُواْ يَنُو يَلْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا فَا الصَّورَ فَإِذَا هُمْ مَعِيمٌ لَذَيْنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَا هُمُ مَعِيمٌ لَذَيْنَا مَنْ مَعْمَرُونَ ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿ مَا كُنتُمْ قَالُونَ ﴿ مَا كُنتُمْ قَامُونَ ﴿ مَا كُنتُمْ قَامُونَ ﴿ مَا لَكُناكُمُ مَا لَكُناكُمُ مَا لَا مَا كُنتُمْ قَامُ مَلُونَ ﴾ فَالْبَوْمَ لَا تُظْلَمُ نُفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴿ مَا اللَّهُ مَا لُونَ اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَا مَا كُنتُمْ قَامُ مَا لُونَ اللَّهُ مَا لَا مَا كُنتُمْ اللَّهُ مَا لَا مَا كُنتُمْ اللَّهُ مَا مَا مَا لَا مَا كُنتُمْ اللَّهُ مَا لَهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ الللللللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ الللللل

هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة (البعث والنشور) للقيام من الأجداث والقبور ، ولهذا قيال تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ من الأَجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ والنسلان هو المشي السريع ، كما قال تعالى: ﴿ يوم يخرجرن من الأجداث سراعاً ﴾ الآية ، ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ ؟ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهيم لا يبعثون منها ، فلما عياينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ ؟ وهـذا لا ينفي

عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن : ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة : وذلك بين النفختين، فلذلك يقولون : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ وقال الحسن : إنما يجيبهم بذلك الملائكة (١) وقال عبد الرحمن ابن زيد : الجميع من قول الكفار ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ نقله ابن جرير ، واختار الأول وهو أصح ، وذلك كقوله تبارك وتعالى في الصافات : ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ، هذا يوم المصل الذي كنتم بعه تكذبون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إن كانت إلا صبحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ ، كقوله عز وجل : ﴿ فانما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ ، وقال جلت عظمته : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ ، وقال جل جلاله ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبتتم إلا ملكتم تعملون ﴾ .

إِنَّ أَصَّحَابَ الْجَنَّـةِ ٱلْبَـوْمَ فِي شُخُلٍ فَلَكِهُونَ ﴿ هُـمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى ٱلأَرَآبِكِ مُتَّكِفُونَ ﴿ لَيْ الْمُعْرِفِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مَا يَدَّعُونَ ﴾ مُثَّكِفُونَ ﴿ مُثَّالِمُ مُؤْلًا مِن رَّبٍ رَّحِيدٍ ﴿ اللَّهِ عَلَيْهِ مُثَالِمُ مُعَالِمُ مُؤَلًا مِن رَّبٍ رَّحِيدٍ ﴿ اللَّهِ عَلَيْهِ مُلَّامً عَوْلًا مِن رَّبٍ رَّحِيدٍ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَا لَهِ مَا يَدَّعُونَ ﴾ مُثَّلًا مُعَالِمُ عَوْلًا مِن رَّبٍ رَّحِيدٍ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَوْلًا مِن رَّبٍ رَّحِيدٍ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُولُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُولِ عَلَيْكُولُولُولُ اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهِ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولِ اللَّهِ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولِ اللَّهِ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ ال

يخبر تعالى عن أهل الجنة : أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم، قال الحسن البصري: في شغل عما فيه أهل النار من العذاب، وقال مجاهد: ﴿ في شغل فاكهون ﴾ أي في نعيم معجبون به، وقال ابن عباس: ﴿ فاكهون ﴾ أي فرحون، قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ﴾ قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار، وقال ابن عباس في رواية عنه: ﴿ في شغل فاكهون ﴾ أي بسياع الأوتار ٣، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ هم وأزواجهم ﴾ قال مجاهد: وحلائلهم ﴿ في ظلال ﴾ أي في ظلال الأشجار ﴿ على الأرائك ﴾ هي السرر تحت الحجال، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ لهم فيها المن عباس ومجاهد وعكرمة ﴿ الأرائك ﴾ هي السرر تحت الحجال، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ لهم فيها ابن عباس قال، قال رسول الله عليه أي مهما طلبوا وجلوا من جميع أصناف الملاذ، عن أسامة الكعبة نور كلها يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل الكعبة نور كلها يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر ونعمة في محلة عالية بهية »، قالوا: نعم يا رسول الله تشيرة، ومقام في أبد في دار سلامة، وفاكهة خضرة، وخير ونعمة في محلة عالية بهية »، قالوا: نعم يا رسول الله نص در رحيم كال ابن عباس: فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ سلام قولاً من رب رحيم كال ابن عباس: فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه من رب رحيم كال ابن عباس: فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه من رب رحيم كال ابن عباس: فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وسلام قولاً من رب رحيم كالله المناد الله تعالى المناد الله المناد الله على المناد المناد الله المناد الله المناد الله المناد الله عباله المناد الله المناد الله المناد المناد المناد المناد المناد المناد المناد المناد المناد الله المناد المناد

⁽١) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين إذ الجمع ممكن والقول الأول قاله غير واحد من السلف والله أعلم.

⁽٢) قال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع وإنما هو افتضاض الأبكار .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سنته .

سلام ﴾، وقد روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال، قال رسول الله عَلَيْكِم: « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهدل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم ، أه .

* وَامْتَنزُواْ الْيَوْمَ أَيْبَ الْمُجْرِمُونَ ۞ * أَلَّرْ أَعْهَـدْ إِلَيْـكُمْ يَنبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُواْ الشَّيطَنَّ إِنَّهُ لِكُمْ يَنبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُواْ الشَّيطَنَّ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوَّ مُبِينٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِيلًا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقَلُونَ ۞
تَكُونُواْ تَعْقَلُونَ ۞

يقول تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة، من أمره لهم (أن يمتازوا) بمعنى يتميزوا عن المؤمنين في موقفهم، كقوله تعالى: ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم ﴾، وقال عز وجل : ﴿ ويوم نقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾، وقال ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ أي يصيرون صدعين فرقتين، وقوله تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مين ﴾ هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم، ولهذا قال تعالى ﴿ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيا أمركم به ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ ولقد أصل منكم جبلاً كثيراً ﴾ يقال: هبلا بكسر الجيم وتشديد اللام، والمراد بذلك الخلق الكثير، وقوله تعالى: ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ أي أفا كان جملاً بكم عقل في مخالفة ربكم فيا أمركم به وعدولكم إلى اتباع الشيطان ؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عقل قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول: ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم مجزون ما كنتم تعملون ﴾ » أل

* هَلَدِهِ عَجَهَمُ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ ﴿ اصَّلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكَفُرُونَ ﴿ الْيَوْمَ عَلَى الْمَدِهِمَ عَلَى الْيَوْمَ عَلَى الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكَفُرُونَ ﴿ الْيَهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ وَلَوْ فَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىّ أَعْيُنِهِمْ فَالسَّطَاعُواْ مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ ﴾ فَاسَتَطَعُواْ الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿ وَلَوْ لَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَالسَّطَاعُواْ مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ ﴾ فَاسْتَطَاعُواْ مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ ﴾ يقال للكفوة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعاً وتوبيخاً ﴿ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم، ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ يوم يدّعون أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم، ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ يوم يدّعون

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم، قال ابن كثير : وفي إسناده نظر ، ورواه ابن ماجه في كتاب السنَّة من سننه .

⁽٢) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً .

إلى نار جهنم دعًا هـذه النار التي كنتم بها تكذبون في، وقوله تعالى: ﴿ اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون في، هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي على فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال على الله المترون ثم أضحك ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم، قال على النبي على فيقول: به يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز على إلا شاهداً من نفسي، فيقول: كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يحلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » في وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله على في حديث القيامة الطويل قال فيه: « ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت ؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني يلقى الثالث فيقول: انفقي – قال – فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ – قال: فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه، فيختم على فيه، ويقال: لفخذه انطقي – قال – فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليغذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه » في فيه، ويقال: لفخذه الذي يسخط الله تعالى عليه » في فيه، ويقال الذي يسخط الله تعالى عليه » في فيه، ويقال الذي يسخط الله تعالى عليه » في فيه ويقال وذلك المنافق، وذلك المنافق أله عليه » في فيه ويقال المن وذلك المنافق عليه » في فيه ويقال المنافق أله ولمناه عليه » في فيه ويقال المنافق أله ولكنافق أله ولكنافي أله ولكنافق أله ولكنافي أله ولكنافي أله ولكنافي أله ولكنافي أله ولكنافي أله

وروى ابن جرير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيا بينه وبينه فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها، قال: فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته فود الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول: أي رب وعزتك، لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول: لا وعزتك أي رب ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى، ثم تلا: ﴿ اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ولو نشاء لطمس في تفسيرها يقول: عنه المحسن البصري: لو شاء الله لطمس على أعينهم، فجعلهم عمياً يترددون، وقال السدي: ولو نشاء أعمينا أبصارهم، وقال الحسن البصري: لو شاء الله لطمس في أعينهم، فالمنبقوا الصراط ههنا الحق فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم؟ وقال ابن عباس ﴿ فاني يبصرون وقد طمسنا على أعينهم؟ وقال ابن عباس ﴿ فاني يبصرون وقد طمسنا على أعينهم؟ وقال ابن عباس ﴿ فاني يبصرون وقد طمسنا على أعينهم؟ وقال ابن عباس ﴿ فاني يبصرون وقد عزّ وجل: ﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾ قال ابن عباس ﴿ فاني يبصرون وقال السدي: يعني لغيرنا خلقهم، وقال أبو صالح: لجعلناهم حجارة، وقال الحسن البصري وقتادة: لأقعدهم على أرجلهم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ فا استطاعوا مضياً ﴾ أي إلى الأمام ﴿ ولا يرجعون ﴾ إلى وقتادة: لأقعدهم على أرجلهم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ فا استطاعوا مضياً ﴾ أي إلى الأمام ﴿ ولا يرجعون ﴾ إلى

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه .

⁽٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي هُريرة بطوله .

⁽٣) أخرجه ابن جرير وهو حديث موقوف على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وَمَن نَّعَيِّرُهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلَقِّ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ الشِّعْرَوَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۗ إِنَّا هُوَ إِلَّا ذِكْرُ وَقُرْءَانُ مُّ إِنَّهُ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴿ الشِّعْرَوَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۗ إِنَّا هُوَ إِلَّا ذِكْرُ وَقُرْءَانُ مُّ إِنَّا الْعَوْلُ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴿ وَاللَّهِ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴿ وَاللَّهِ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى الْمُؤْلِّ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴿ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى الْمُؤْلِّ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلْمُ عَل

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره، ردّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى والله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد علم شيئاً هي، والمراد من هذا – والله القدير في، وقال عزّ وجلّ : ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً هي، والمراد من هذا – والله أعلم – الإخبار عن هذه الدار، بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار، وله فنا قدال عزّ وجلّ : ﴿ أفلا يعقلون في ؟ أي يتفكرون بعقولم في ابتداء خلقهم، ثم صيرور تهم إلى سن الشيبة، ثم إلى الشيخوخة ، ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى ، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له في، يقول عز وجل مخبراً عن نبيّه محمد عليه : أنه ما علمه الشعر وما علمناه الشعر وما ينبغي له في طبعه فلا يحسنه ولا يتجه ولا تقتضيه جبلته، وله ذا ورد أنه عليه كان لا يحفظ بيناً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه، قال الشعبي: ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى إلا يقول الشعر، بيناً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه، قال الشعبي: ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى إلا يقول الشعر، والشيب للمرء ناهيا قال أبو بكر والشيب للمرء ناهيا أن شهد أنك رسول الله ، يقول تعالى: ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له هه ٥٠٠ . ودوى الأموي أو عمناه الشعر وما ينبغي له هه ٥٠٠ . ودوى الأموي أو عمناه الشعر وما ينبغي له هه ١٠٠ . ودوى الأموي ألله عنه متمماً للبيت :

من رجــــال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة : • ويأتيك بالأخبار من لم تزود •(٣)

وهو في شعر (طرفة بن العبد) في معلقته المشهورة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»

وثبت في الصحيح أنه عَلِيَّاتِهِ تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، ولكن تبعاً لقول أصحابه رضي الله عنهم ، فإنهم كأنوا يرتجزون وهم يحفرون فيثولون :

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

⁽١) ذكره ابن عساكر عن الشعبي .

⁽٢) دكره ابن أبي حاتم عن الحسن البصري .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد والنـــأي والترمذي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

إن أولاء قــد بغوا علينــا إذا أرادوا فتنة أبينــا

ويرفع عَيْشَةً صوته بقوله: أبينا، ويمدها، وقد روى هذا بزحافٍ في الصحيحين أيضاً، وكذا ثبت أنه عَيْشَةٍ قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بهــا في نحور العدو :

أنا النبي لا كــذب أنا ابن عبد المطلب

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وكل هذا لا ينافي كونه على ما علم شعراً وما ينبغي له، فإن الله تعالى إنحا علمه القرآن العظيم ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾، وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار ويش، ولا كهانة ولا سحر يؤثر ، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال، وقد كانت سجيته على تأبي صناعة الشعر طبعاً وشرعاً. قال على الله يمتلئ جوف أحد كم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً هه أن الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين ، الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم (أمية بن أبي الصلت) الذي قال فيه رسول الله على المناه وكفر قلبه »، وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي على مائة بيت يقول على عقب كل بيت: «هيه »، يعني يستطعمه فيزيده من ذلك، وفي الحديث: «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكاً ه أن ولهذا قال تعالى: ﴿ وما علمه الله الشعر ، ﴿ وما ينبغي له ﴾ أي وما يصلح له ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره، ولهذا قال تعالى وقرآن مبين ﴾ أي ما هذا الذي علمناه ﴿ إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره، ولهذا قال تعالى ﴿ المناه ﴿ الله عنه من ذلك من هو حي القلب مستنير البصيرة ، كما قال قتادة : حي القلب، حي البصر، بلغ ﴾ ، وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة ، كما قال قتادة : حي القلب، حي البصر، وقال الضحاك : يعني عاقلاً ، ﴿ ويحق القول على الكافرين ﴾ أي وهو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين .

أُوَلَرُ بَرَوْاْ أَنَا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَاماً فَهُمْ لَمَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَلْنَاهَا لَهُمْ فَيِنْهَا رَكُو بُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنْافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۞

يذكر تعالى ما أنعم بــه على خلقه من هــذه الأنعام التي سخرها لهم ﴿ فهم لهــا مالكون﴾ قــال قتادة: مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليــلة لهم، لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقــه

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً، قال ابن كثير : وإسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

⁽٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما .

وذاك ذليل منقاد معه ، وكذا لو كان القطار ماثة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير ، وقوله تعالى : ﴿ فَنَهَا رَكُوبَهِمَ وَمَنَهَا يَا كُلُونَ ﴾ أي منها ما يركبون في الأسفار ، ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار ، ﴿ ومنها يأكلون ﴾ إذا شاموا نحروا واجتزروا ، ﴿ ولهم فيها منافع ﴾ أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴿ ومشارب ﴾ أي من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك ، ﴿ أفلا يشكرون ﴾ ؟ أي أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره ؟

وَٱلْحَمْدُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَالْحِدَةُ لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندُ عُصْرُونَ ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندُ عُصْرُونَ ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندُ عُصْرُونَ ﴿ فَالْمَاعُونَ ﴾ فَلَا يَحْذُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْمَمُ مَا يُسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلمة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلمة، وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى، قال الله تعالى: ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل، وأحقر وأدحر، بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها ولا الانتقام بمن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾، قال مجاهد: يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم، وقال قتادة: ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ يعني الآلهة، ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ والمشركون يغضبون للآلمة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً إنما هي أصنام ()، وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير، وقوله تعالى: ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ أي تكذيبهم للك وكفرهم بالله، ﴿ إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزيهم وصفهم، يوم وحديثاً . لا يفقلون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا صغيراً ولا كبيراً ، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً .

أُولَدْ يَرَ ٱلْإِنسَنُ أَنَّا خَلَقْنَكُ مِن نَظْفَةٍ فَإِذَا هُو خَصِيمٌ مَّبِينٌ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلَقَهُم قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَنَمَ وَهِيَ رَمِيتٌ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ اللَّذِي اللَّهِ عَلَمُ اللَّذِي اللَّهِ عَلَمُ إِن اللَّهِ عَلَيمٌ ﴿ اللَّهِ عَلَيمٌ اللَّذِي اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَي اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَي اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللّ

قال مجاهد وعكرمة: جاء (أبي بن خلف) لعنه الله، إلى رسول الله عليه على رميم، وهو يفته ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال على الله على الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار »، ونزلت هذه الآيات من آخر يس: هو أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة كه إلى آخرهن، وقال ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن واثل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله على الله على الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله على الله عم، يميتك الله ثم

⁽١) وهكذا قال الحسن البصري وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

يحييك ثم يدخلك جهتم »، قال: ونزلت الآيات من آخر يس، وعلى كل تقدير سواء كانت هـنه الآيات قد نزلت في رأي بن خلف) أو (العاص بن وائل) أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: ﴿ أو لم ير الإنسان ﴾ للجنس يعم كل منكر للبعث، ﴿ أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ أي أو لم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ وقال تعالى: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من سلفة ألمس بقادر على إعادته من نطفة أمساج ﴾ أي من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته ؟ كما قال الإمام أحمد في مسنده عن بشر بن جحاش قال: إن رسول الله يَوَالِث بعني يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه، ثم قال رسول الله يَوَالِث قال الله تعالى ولارض منك وثيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟ » ، وهذا قال تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ ؟ والله الله تعالى ذي القدرة العظيمة، للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم أي استبعد إعادة الله تعالى ذي العظيمة، للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من نفه ما هو أعظم عما العظيمة وانكره وجحده، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ قل بحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم هم أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت.

قال الإمام أحمد، قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله يَهِا وَقال: سمعته يَهِا يَقول: ه إن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً، ثم أوقلوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي، فامتحشت ش فخلوها فدقوها فلاقوها فلروها في البم، ففعلوا، فجمعه الله تعالى إليه، ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله عزّ وجل له »، وفي الصحيحين بأنه أمر بنيه أن يحرقوه، ثم يسحقوه، ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائع، أي كثير الهواء، ففعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو رجل قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له. وقوله تعالى: ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقلون ﴾ أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء، حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقل به النار، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، قال قتادة: يقول: هذا الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، قال قتادة: يقول: هذا الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار بينهما كالزناد سواء، وفي المثل: لكل شجر نار واستمجد عودين أخضرين، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب.

أُوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَلْدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَى وَهُوَ ٱلْخَلَّاتُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ إِنَّا إِنَّكَ ا

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه ابن ماجه في سننه .

⁽٢) فامتحشت أي : فاحترقت .

أَمْرُهُ ۚ إِذَآ أَرَادَ شَيْعًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ فَسُبْحَنْنَ ٱلَّذِى بِيَـدِهِ ۗ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مُن فَيكُونُ ﴿ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً منهاً على قدرته العظيمة، في خلق السهاوات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك، ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هـنه الأشياء العظيمة كقوله تعالى: ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ وقال عزّ وجلّ ههنا أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ ﴾ أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم، وهذه الآية الكريمـة كقوله عزّ وجلّ : ﴿ أو لم يروا أن الله الـذي خلق السهاوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾، وقال تبارك وتعالى ههنا : ﴿ بلى وهو الخلاق العليم ه إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ أي إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد كما قيل :

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له ﴿ كُن ﴾ قولةً ﴿ فيكون ﴾

عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله على الله عنها يقول يا عبادي كلكم مذب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جوّاد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون " ، وقوله تعالى: ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ أي تنزيه وتقديس للحي القيوم، الذي بيده مقاليد الساوات والأرض، وإليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنع المتفضل، ومعنى قوله سبحانه : ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت، ورهبة ورهبوت، ومن النساس من زعم أن ﴿ الملك ﴾ هو عالم الأجساد، و (الملكوت) هو عالم الأرواح، والصحيح الأول، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم. روى الإمام أحمد، عن حذيفة ابن اليان رضي الله عنه قال : « سمع الله لمن حمده ، ثم قال : الحمد لله ، ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، وكان ركوع قال : « سمع الله لمن حمده ، ثم قال : الحمد لله ، فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قمت مع رسول الله يتالي ليماة فقام، فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قمت مع رسول الله يتالي ليماة فقام، فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة الله وسخوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي » " . عن عوف ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قمت مع رسول الله يتالي لهم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: «سبحان أبه عران، ثم قرأ سوده مثل ذلك ، ثم الم عمران، ثم قرأ سوده مثل ذلك ، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سوده مثل ذلك ، ثم هام قام فقرأ بال عمران، ثم قرأ سودة " .

[آخر تفسير سورة (يس) ولله الحمد والمنة]

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي ذر مرفوعاً . (٢) أخرجه أحمد ورواه أبو داود والترمذي والنسائي بنحوه .

⁽٣) أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي في الشهائل والنسائي عن عوف بن مالك الأشجعي .



روى النسائي، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنــا بالصافات .

وَالصَّنَفَاتِ مَنَّا ۞ فَالزَّامِرَٰتِ زَجْرًا۞ فَالتَّلْلِبَتِ ذِكْرًا ۞ إِنَّ إِلَنْهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۞ رَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَرِقِ۞

⁽١) وهو قول ابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة وغيرهم .

⁽٢) وفي صحيح مسلم أيضاً « فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة » الحديث .

إِنَّا زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَـة الْكُواكِبِ ﴿ وَحِفْظًا مِن كُلِّ شَيْطُنِ مَّادِدٍ ﴿ لَا يَسَّمَعُونَ إِلَى الْمَلَمِ الْأُعْلَىٰ وَيُعْدَالُ وَاصِبُ ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱخْطَفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿ وَكُمْ عَذَابٌ وَاصِبُ ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱخْطَفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب، فالكواكب السيارة والثوابت تضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿ ولقد زينا السهاء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾، وقسال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدَ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بروجاً وزيناها للناظرين ؞ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾، فقوله جلّ وعلا ههنا ﴿ وحفظاً ﴾ تقديره: وحفظناها حفظاً ﴿ من كل شيطان مارد﴾ يعني المتمرد العاتي، إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه، ولهذا قال جلّ جلاله: ﴿ لا يسّمعون إلى الملأ الأعلى﴾ أي لئلا يصلوا إلى ﴿ الملأ الأعلى ﴾ وهي السهاوات ومن فيها من الملائكة، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويقذفون ﴾ أي يرمون ﴿ من كل جانب﴾ أي من كل جهة يقصدون السهاء منها، ﴿ دحوراً ﴾ أي رجماً يدحرون به ويزجرون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك ويرجمون، ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أي في الدار الآخرة، لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال جلَّت عظمته: ﴿ وَأَعتدنا لِهُم عذاب السعير ﴾، وقوله تبارك وتعالى ﴿ إِلاَّ مَن خطف الخطفة ﴾ أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السهاء، فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث، ولهذا قال : ﴿ إِلَّا مَـن خطف الخطفـة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ أي مستنير ، قال ابن عباس: كان للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي، وكانت النجوم لاتجري، وكانت الشياطين لا ترمى، فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً، فلما بعث رسول الله ﷺ، جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه، فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله، فقال: ما هو إلا من أمرِ حدَث، فبعث جنوده فإذا رسول الله يَهْلِيْكُمْ قائم يصلي بين جبلي تخلة، قال وكيع: يعني بطن تخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس، فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث (١).

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنَ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طِينِ لَازِبِ ۞ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۞ وَإِذَا ذُكِرُواْ لَايَذَكُونَ ۞ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَاذَاۤ إِلَّا شِحْرُمْدِينُ ۞ أَوَا تَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۞ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَاذَآ إِلَّا شِحْرُمْدِينُ ۞ أَوَا عَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۞ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَاذَآ إِلَّا شِحْرُمُونَ ۞ أَوَا اَبَا وَكُنَا الْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ ذَا يَحُرُونَ ۞ فَإِنَّا كَمْ فَي زَجْرَةً وَالْحَدُمُ وَالْحَمْ مَنْ فَرُونَ ۞ فَإِنَّا كَالْأَوْلُونَ ۞ وَإِذَا اللَّهُ وَلَوْنَ ۞ فَلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ ذَا يَكُونَ ۞ فَإِنَّا لَمُ مَا يَظُرُونَ ۞ وَإِنَا اللَّاوَلُونَ ۞ فَلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ ذَا يَحُولُونَ ۞ فَإِنَّا لَا أَوْمَا اللَّهُ وَلُونَ ۞ وَإِنْ اللَّهُ وَلَوْنَ ۞ وَإِنْ اللَّهُ مِنْ فَالْمَا لَا لَا لَكُوْلُونَ ۞ وَاللَّهُ مِنْ لَا اللَّهُ وَلَا لَكُوْلُونَ ۞ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا يَعْمُ وَأَنْهُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا يَاللَّهُ وَلَا لَهُ مُ يَشَالُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُو

يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقاً هم أم السماوات والأرض، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ فإنهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم

⁽١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ لَخْلَقُ السَهْواتُ والأَرْضُ أَكْبُر من خَلِقُ النَاسُ ولكنَّ أَكْبُر النَاسُ لا يعلمون ﴾ ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال: ﴿ إِنَا خلقناهم من طين لازب ﴾ قال مجاهد والضحّاك: هو الجيد الذي يلترق بعضه ببعض، وقال ابن عباس وعكرمة: هو اللزج الجيد، وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾ أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها، وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك، قال قتادة: عجب محمد على وقالوا إن بني آدم، ﴿ وإذا رأوا آية ﴾ أي دلالة واضحة على ذلك ﴿ يستسخرون ﴾ ، قال مجاهد: يستهزئون، ﴿ وقالوا إِن هذا إلا سحر مبين ﴾ أي ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين، ﴿ أَقَذَا مَنَا وَكَا تَرَاباً وعظاماً أَثَنا لمبعوثون ه أو القيامة ، بعدما تصيرون تراباً وعظاماً ، ﴿ وأنتم داخرون ﴾ أي قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة، بعدما تصيرون تراباً وعظاماً ، ﴿ وأنتم داخرون ﴾ أي حقيرون تحت القدرة العظيمة ، كما قال تعالى : ﴿ واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ أن فرحوا من الأرض، فإذا هم قيام بين واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ أي فإنما هو أمر واحد من الله عزّ وجلّ ، يدعوهم أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يلفرون إلى أهوال يوم القيامة .

وَقَالُواْ يَنَوَيْلَنَا هَنَذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿ هَنَذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿ * آخَشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ ٱلْحَجِيمِ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْعُولُونَ ﴾ وَأَزُواَ جَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُ مَسْتَسْلُمُونَ ﴾ مَالْكُوْ لَا تَنَاصَرُونَ وَ اللَّهُ مَا ٱلْمَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قبل الكفار يوم القيامة، أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم، فإذا عاينوا أهوال القيامة، ندموا كل الندامة حيث لا ينفعهم الندم، ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ على وجه التقريع والتوبيخ، ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين، في الموقف في محشرهم ومنشرهم المفدا قال تعالى: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾، قال النعمان بن بشير: يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالم (١٠) وعن عمر بن الخطاب: ﴿ وأزواجهم ﴾ قال: إخوانهم، وقال النعمان: سمعت عمر يقول: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ قال: أخوانهم، وقال النعمان: سمعت عمر يقول: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ قال: أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الذه أي من الأصنام أصحاب الخمر، وقال ابن عباس: ﴿ أزواجهم ﴾ قرناءهم، ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ أي أرشدوهم إلى طريق جهم، والأنداد تحشر معهم في أماكنهم، وقوله تعالى: ﴿ وأوله تعالى: ﴿ وقوله و

⁽١) وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو العالبة وغيرهم. وروي عن ابن عباس أنه قال ﴿ أزواجهم ﴾ نساؤهم، وهو غريب والمعروف عنه الأول .

حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم، التي صدرت عنهم في الدار الدنيا، قال ابن عباس: يعني احبسوهم إنهم محاسبون، وقد قال رسول الله يُلِيِّكُ : « أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه إلى يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً » ثم قرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ أ ، وقال ابن المبارك: « إن أول ما يسأل عنه الرجل جلساؤه » ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿ ما لكم لا تناصرون ؟ ﴾ أي كما زعمتم أنكم جميع منتصر ؟ ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ أي منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، والله أعلم .

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَتَسَاتَالُونَ ﴿ قَالُواْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْبَعِينِ ﴿ قَالُواْ بَلَ لَمُنتُمْ قَوْمًا طَغِينَ ﴿ فَتَقَ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَ ۚ إِنَّا لَمُنتَ لَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿ فَا كَانَ لَكَ عَلَيْهُمْ مِن سُلطَانِ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَغِينَ ﴿ فَحَقَ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَ ۚ إِنَّا كُنا عَوِينَ ﴿ فَا عَلَيْهُمْ يَوْمَهِذِ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿ إِنَّا كُنَا عَوِينَ ﴿ فَا إِنَّهُمْ يَوْمَهِذِ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿ إِنَّا كُذَالِكَ نَفْعَلُ اللَّهُ مِنْ الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿ وَاللَّهُ إِنَّا كَذَالِكَ نَفْعَلُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللهُ اللهُ يَشْتَكُمُ وَنَ ﴿ وَيَقُولُونَ أَيِّنَا لَتَاكِرُكُواْ اللَّهُ اللهُ اللهُ يَشْتَكُيرُونَ ﴿ وَيَقُولُونَ أَيِنَا لَيْنَاكِمُ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ يَشْتَكُيرُونَ ﴿ وَيَقُولُونَ أَيِّنَا لَيْنَاكِمُ لَا إِلَيْهَ إِلَا اللهُ يَشْتَكُمُ وَنَ اللَّهِ وَمَعَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ

يذكر تعالى: أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار، ﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ﴾ ؟ كما قال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ وهكذا قالوا لهم ههنا: ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾، قال ابن عباس، يقولون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا، لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء، وقال مجاهد: يعني عن الحق، تقوله الكفار للشياطين، وقال قتادة: قالت الإنس للجسن: ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾، قال: من قبل الخير فتنهونا عنه وتبطئونا عنه، وقال السدي: تأتوننا من قبل الحير فتنهونا عنه وتبطئونا عنه، وقال السدي: تأتوننا من قبل الحير فتابونا عند كل خير يريده فيصده عنه، وقال ابن زيد: معناه تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمرنا به.

وقوله تعالى : ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ تقول القادة من الجن والإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قسابلة للكفر والعصيان، ﴿ وما كان لنسا عليكم من سلطان ﴾ أي من حجة على صحة ما دعوناكم إليه، ﴿ بل كنتم قوماً طاغين ﴾ أي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنسا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء، ﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون » فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴾، يقول الكبراء للمستضعفين: حقت علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة، ﴿ فأغويناكم ﴾ أي دعوناكم إلى الضلالة ﴿ إنا كنا غاوين ﴾، أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنسا، قال تعالى: ﴿ فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون ﴾ أي الجميع في الناركل بحسبه، ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ، إنهم كانوا ﴾ أي في الدار في العذاب مشتركون ﴾ أي الجميع في الناركل بحسبه، ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ، إنهم كانوا ﴾ أي في الدار الدنيا ﴿ إذا قبل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون.

⁽١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والترمذي عن أنَس بن مالك مرفوعاً .

وفي الحديث: وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل الله . وروى ابن أبي حاتم عن أبي العلاء قال: يؤتى بالبهود يوم القيامة فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون: نعبد الله وعزيراً ، فيقال لهم: خلوا ذات الشيال ؛ ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم: علوا أله إلا الله ، فيستكبرون ، ثم يقال لهم الإ إله إلا الله ، فيستكبرون ، ثم يقال لهم لا إله إلا الله ، فيستكبرون ، ثم يقال لهم: لا إله إلا الله ، فيستكبرون ، ثم يقال لهم : عنوا ذات الشيال ، قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء : ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم : حذوا ذات الشيال ، قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء : ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعلم أنه لا عدل له ، قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعلم أنه لا عدل له ، قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله الله المؤمنين " . فه ويقولون أثنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون في أن أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هسذا الشاعر المجنون ؟ يعنون رسول الله يؤلي الله الله تعلى تكذيباً لهم ورداً عليهم : فو بل جاء بالحق كه يعني رسول الله يؤلي شرعه وأمره ، كما أخبروا هم ايقال لك إلا ما قد قيل للرسسل من السديدة ، وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره ، كما أخبروا هم ايقال لك إلا ما قد قيل للرسسل من قبلك كه الآية .

إِنَّكُمْ لَذَا بِقُواْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ أُولَا بِكُمْ لَكُونَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ وَاللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّلْمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللللللَّهُ الللَّهُ الللللَّذِي الللَّهُ الللَّهُ اللللللَّهُ الللَّهُ اللللللَّا الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللللَّا اللللَّهُ اللّلْمُ الللَّهُ الللللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللّل

يقول تعالى مخاطباً للناس: ﴿ إِنكُم لذا ثقوا العذاب الأليم ، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين ، كما قال تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ ، ولهذا قال جلّ وعلا ههنا ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل يتجاوز عن سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة ، وقول معلى وعلا ﴿ أُولئك لم رزق معلوم ﴾ قال السدي: يعني الجنة ، ثم فسره بقوله تعالى: ﴿ فواكه ﴾ أي متنوعة ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي يخدمون ويرفهون وينعّمون ﴿ في جنات النعيم ، على سرر متقابلين ﴾ ، قال مجاهد: لا ينظر بعضهم الى قفا بعض ، وقوله تعالى: ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي العلاء موقوفاً .

ينزفون ها كما قال تعالى: ﴿ لا يصدّعون عنها ولا ينزفون ها نزّه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا، من صداع الرأس، ووجع البطن، وهو (الغول) وذهابها بالعقل جملة، فقال تعالى ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ها أي بخمر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها، قال زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي لونها مشرق حسن بهي، لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ لذة للشاربين ﴾ أي طعمها طبب كلونها، وطبب الطمم دليل على طبب الربح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك، وقوله تعالى: ﴿ لا فيها غول ﴾ يعني وجع البطن ()، كما تفسله خمر الدنيا، وقيل : المراد بالغول ههنا صداع الرأس، وروي عن ابن عباس، وقال قتادة: هو صداع الرأس ووجع البطن؛ وقال السدي: لا تغتال عقولهم، كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير: لا مكروه فيها ولا أذى، والصحيح قول مجاهد: أنه وجع البطن، وقوله تعالى ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ قال مجاهد: لا تذهب عقولم ١٩ ، وقال ابن عباس: في الخمر أربع خصال: (السكر، والصداع، والقيء، والبول)، فذكر الله تعالى خمر الجنة، فنزهها عن هذه الخصال، وقوله تعالى: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن، كذا قال ابن عباس ومجاهد، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ عين ﴾ أي حسان الأعين، وقيل: ضخام الأعين، وهي النجلاء العيناء، فوصف عيونهن بالحسن والعفة، كقول زليخا في يوسف عليه السلام ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي، وهكذا الحور العين ﴿ خيرات حسان ﴾ ولهذا قال عز وجل: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ وقوله جل جلاله: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ وهذا قال عز وجل: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ وقوله جل جلاله: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يقول: اللؤلؤ المكنون ه وأنشد قول الشاعر

وهي زهراء مثــل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن: ﴿ كَأَنَهِن بِيضِ مَكُنُونَ ﴾ يعني مصون لم تمسه الأيدي، وقال سعيد بن جبير: ﴿ كَأَنَهُن بِيضَ مَكُنُونَ ﴾ يقول: بياض البيض حين ينزع قشره، واختاره مكنون ﴾ يعني بطن البيض، وقال السدي ﴿ كَأْنَهُن بيض مكنون ﴾ يقول: بياض البيض حين ينزع قشره، واختاره ابن جرير لقوله ﴿ مكنون ﴾ قال: والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش، وتنالها الأيدي بخلاف داخلها، وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله يَهِلِيّهِ: ﴿ أَنَا أُولَ النَّاسِ خَرُوجًا إِذَا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا حزنوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا، لواء الحمد يومثذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجلّ ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون – أو اللؤلؤ المكنون – ""

⁽١) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد .

 ⁽۲) وكذا قال ابن عباس والحسن وعطاء والسدي .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاثم وروى بعضه الترمذي .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَلَسَآءَلُونَ ﴿ قَالَ قَآيِلٌ مِنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ يَقُولُ أَءِنَكَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿ قَالُهُ مَلَّا أَنتُم مُطَّلِعُونَ ﴿ فَا فَالْمَا أَءَ اللّهُ مَلَ أَنتُم مُطَّلِعُونَ ﴿ فَا فَالْمَا فَرَءَاهُ لِللّهِ مَن اللّهُ مَضَرِينَ ﴿ فَا اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه ﴿ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها، وذلك من حديثهم على شرابهم، واجتماعهم في تنادمهم، ومعاشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم، يسعون ويحيئون بكل خير عظيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرً على قلب بشر ، ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ قال مجاهد: يعني شيطاناً ، وقال ابن عباس: هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا^{لا)} ، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان، وكلاهما يتعاونان، قال الله تعالى: ﴿ يُوحِي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ وكل منهما يوسوس، كما قال الله عزَّ وجلِّ: ﴿ من شر الوسواس الخناس ـ الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾، ولهذا : ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ـ يقول أثنك لمن المصدَّقين﴾ أي أأنت تصدَّق بالبعث والنشور، والحساب والجزاء؟ يعني يقول ذلك على وجــه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد ﴿ أَنْذَا مَنَا وَكَنَا تَرَابًا وَعَظَامًا أَثْنَا لَمُدينونَ ﴾ ؟ قال مجاهد والسدي: نحاسبون، وقال ابن عباس: لمجزيون بأعمالنا، قال تعالى: ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ أي مشرفون، يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ قال ابن عباس والسدي: يعني في وسط الجحيم، وقال الحسن البصري: في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقدم، وقال قتادة: ذكر أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي، وقال كعب الأحبار : في الجنة كوى، إذا أراد أحــد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار ، اطَّلع فيها فازداد شكراً لله، ﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾ يقول المؤمن مخاطباً للكافر : والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك، ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ أي ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلك في سواء الجحيم، محضر معك في العذاب، ولكنه رحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ . وقوله بعالى: ﴿ أَفَا نحن بميتين ـ إلا موتتنا الأولى وما نـحن بمعذبين ﴾ ؟ هذا من كلام المؤمن، مغتبطاً نفسه بمــا أعطاه الله تعالى، من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، بلا موت فيها ولا عذاب، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿ إِن هَذَا لَهُو الْفُوز العظيم ﴾. قال الحسن البصري: علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه، فقالوا: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بَمِيتِينَ ءَ إِلَّا مُوتَنَا الأولى وما نَحْنَ

 ⁽١) القائل: هو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما: ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ والقرين: الرجل الذي دخل جنته وهو ظالم
 لنفسه ، وقد وردت قصتهما في سورة الكهف .

بمعذبين ﴾ ؟ قيل: لا، ﴿ قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾. وقوله جل جلاله: ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة، وقال ابن جرير: هو من كلام الله تعالى، ومعناه: لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا إليه في الآخرة.

قال السدي: كان شريكان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، ثم افترقاً فكتا ما شاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك ؟ أضربت بــه شيئًا، اتجرت به في شيء ؟ قال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت ؟ فقال اشتريت به أرضاً وتخلاً وثماراً وأنهاراً بألف دينار – قال – فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم، قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي، فلما انصرف أخــذ ألف دينار فوضعها ٰ بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – اشترى أرضاً ونحلاً وثماراً وأمهاراً بألف دينار ثم يموت غداً ويتركها. اللهم إني اشتريت منك بَهذه الألف دينار أرضاً ونخلاً وثماراً وأنهاراً في الجنة، قال: ثم أصبح فقسمها في المساكين، قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك أضربت به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال: لا، قال: فما صنعت أنت ؟ قال: كانت ضيعتي قد اشتد عليٌّ مؤنتها، فاشتريت رقيقاً بألف دينار ۚ يقومون لي فيها ويعملون لي فيها، فقال له المؤمن: أو فعلت ؟ قال: نعم، قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي، فلما انصرف أخــذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثُم قال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – اشترى رقيقاً من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار رقيقاً في الجنة، قال: ثم أصبح، فقسمها في المساكين قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكنا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك أضربت بــه في شيء، أتجرت بــه في شيء ؟ قال: لا، فما صنعت أنت ؟ قال: كان أمري كله قــد تم إلا شيئًا واحدًا، فلانة قــد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار ، فجاءتني بهــا ومثلها معها، فقال له المؤمن: أو فعلت ؟ قال: نعم، قال، فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى، فلمما انصرف أحذ الألف دينار الباقية فوضعها بـين يديه، وقال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار، فيموت غداً فيتركها أو تموت غداً فتتركه، اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف دينار حوراء عبناء في الجنة – قال – ثم أصبح فقسمهـــا بـــين المساكين – قال – فبقى المؤمن ليس عنده شيء، فخرج شريكه الكافر وهو راكب، فلما رآه عرفه، فوقف عليه وسلم عليه وصافحه، ثم قــال له: ألم تأخذ من المال مثل مــا أخذت ؟ قال: بلي، قال: وهذه حـــالي وهذه حالك ؟ قال : أخبرني ما صنعت في مالك ؟ قال : أقرضته، قال : من ؟ قال : المليء الوفي، قال: من ؟ قال: الله ربي، قال، فانتزع يده من يده، ثم قــال: ﴿ أَنْنَكَ لَمْنَ المُصدقينَ * أَنْذَا مَتَنَا وَكُنَا تَرَاباً وعظاماً أثنا لمدينون ﴾ ؟ قال السدي: محاسبون، قال: فانطلق الكافر وتركه، فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه وجعل يعيش المؤمن في شدة من الزمان، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان، قال: فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة، يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول: لمن هــذا ؟ فيقال: هذا لك، فيقول: يا سبحان الله، أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ قال، ثم يمر ، فإذا هو برقيق لا تحصي عدتهم، فيقول: لمن

هذا ؟ فيقال: هؤلاء لك، فيقول: يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ قال: ثم يمر ، فإذا هو بقبة من باقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه ؟ فيقال: هذه لك، فيقول: يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر، فيقول: ﴿ إِنّي كان لي قرين » يقول أثنك لمن المصدقين ، أثلا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمدينون كه، قال، فالجنة عالية، والنار هاوية، قال: فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار، فإذا رآه المؤمن عرفه، فيقول: ﴿ تالله إِن كلت لتردين » ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ، أها نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين » إن هذا لهو الفوز العظيم ، لمثل هذا فليعمل العاملون كه بمثل ما قد مُنَّ عليه، قال: فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت .

أَذَاكَ خَيْرٌ أَرُّلاً أَمْ شَجَرَهُ الزَّقُومِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿ إِنَّا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَوْدِيمِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّ عَلَمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكر من نعيم الجنة، وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح، وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء في أم شجرة الزقوم في أي التي في جهنم ؟ وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَا جعلناها فتنة للظالمين في، قال قتادة: ذكرت شجرة الزقوم، فافتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَا شجرة تحرج في أصل الجحيم في غذيت من النار ومنها خلقت، وقال مجاهد: ﴿ إِنَا جعلناها فتنة للظالمين في. قال أبو جهل لعنه الله: إنما الزقوم التمر والزبد أنزقمه ؟ قلت: ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم، اختباراً تخير ب الناس، من يصدق منهم ممن يكذب، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا حَسِنا الرقيا التي أَريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونحوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً في وقوله تعالى: ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم في أي أصل منتها في قرار النار: ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين في قرار النار: ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين في أن النوس أن الشياطين قبيحة المنظر، وقوله تعالى: ﴿ فإنهم لا كلون منها فالثون منها البطون في، ذكر تعالى أنهم في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، وقوله تعالى: ﴿ فإنهم لا كلون منها هالثون منها البطون في، ذكر تعالى أنهم يأكلون من هدف الشجرة، التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء العلم والربح والطبع، في النفوس أن الشيطين ولا يغني من جوع في، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليات لا هذف في معاها، لا يسمن ولا يغني من جوع في، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليات تقانه، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم الآية وقال: « اتقوا الله حق تقانه، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم الكيف غيون طعامه ؟ «٣٥

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

وقوله تعالى: ﴿ ثُم إِن هُم عليها لشوباً من حميم ﴾، قال ابن عباس: يعني شرب الحميم على الزقوم، وعنه: ﴿ شوباً من حميم ﴾ مزجاً من من يعني إلى أهل النار وعيونهم، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله علياً أنه كان يقول: ﴿ يقرب - يعني إلى أهل النار ماه فيتكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه فيه، فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى تخرج من دبره ﴾ ، وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: ﴿ إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم، فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم، التي سقطت عنها الجلود ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم، وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور ﴾ ، وقوله عز وجلّ : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ أي ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجع، وجحيم تتوقد، وسعير تتوهيع، كما قال تعالى: ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ مكذا تلا قتادة هدذه الآية عند هدذه الآية، وهو تفسير حسن قوي، وكان عبدالله أن رضي الله عنه يقول : والذي نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار . ثم قرأ : ﴿ أصحاب نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل أهل أباءهم ضالين ﴾ أي إنما جاذبناهم على آثارهم وجدوا آباءهم على الضلالة، فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان؛ ولهذا قال : ﴿ فهم على آثارهم يهرعون هو قال بعاهد : شبّهة بالهرولة، وقال سعيد بن جبير : يسفهون .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثُرُ ٱلْأُولِينَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مَّنذِرِينَ ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَفِيهُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مَّنذِرِينَ ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَفِيهُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم المساضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى . وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرونهم بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم، فأهلك الله المكذبين ودمرهم، ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين ﴾ .

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيُونَ ﴿ وَتَجَبْنَنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّ يَتَهُرُهُمُ الْمُجْسِنِينَ ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰ اللَّهُ عَلَى نُوجٍ فِي الْعَدْلِمِينَ ﴿ إِنَّا كَذَالِكَ تَجْزِى الْمُحْسِنِينَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَي أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالْعَدْلِمِينَ ﴿ وَالْعَدْلِمِينَ ﴿ وَالْعَدُونَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَي أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) هذا حديث موقوف أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) المراد به ابن مسعود رضي الله عنه وهي رواية السدي عنه .

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلاً، فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نُفْرة ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنع المجيبون ﴾ له ، ﴿ وبجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ وهو التكذيب والأذى، ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال ابن عباس: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام، وقال ابن عباس: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام، وقال الترمذي عن سمرة رضي الله عنه عن النبي عليه في قوله تعالى: ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال: سام وحام ويافث، وروى الإمام أحمد، عن سمرة رضي الله عنه أن نبي الله عليه في الآخرين ﴾ قال ابن عباس: يذكر بخير، وقال مجاهد: يعني لسان صدق للأنبياء كلهم، وقال غاهد: يعني لسان صدق للأنبياء كلهم، وقال قتادة والسدي: أبقي الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، قال الضحاك: السلام والثناء الحسن، وقوله تعالى: ﴿ وسلام على نوح في العالمين ﴾ مفسر لما أبقي عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن، أنه يسلم عليه في جميسع وقال قتادة والام، ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى، نجعل له الطوائف والأم، ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي المصدق يذكر به بعده، ثم قال تعالى: ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ أي المصدقين الموحدين الموقنين، ﴿ ثم أعرفنا الآخرين ﴾ أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف، ولا ذكر ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.

* وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ ـ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ, بِقَلْبِ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ـ مَاذَا تَعَبُّدُونَ ۞ أَيِفَكًا ءَالِمَـةُ دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَى ظَنْتُمُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

قال ابن عباس: ﴿ وَإِن مَن شَيْعَتَهُ لَإِبِرَاهِيمٍ ﴾ يقول: مَن أَهَل دينه، وقال مجاهد: على منهاجه وسنته ﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾، قال ابن عباس: يعني شهادة أن لا إله إلا الله، روى ابن أبي حاتم، عن عوف قال: قلت لحمد بن سيرين « ما القلب السليم ؟ قال: يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور » أن وقال الحسن؛ سليم من الشرك، ثمَّ قال تعالى: ﴿ إِذْ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ ؟ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿ أَتَفَكَأُ آلْهَةً دُونَ الله تريدون • فما ظنكم برب العالمين ﴾ ؟ قال قتادة: يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره ؟

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النَّجُومِ ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى المُتِبِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَـكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا إِلْلَيْمِينِ ۞ فَأَقْبَلُواْ إِلَيْهِ بَزِفُونَ ۞ قَالَ أَتَعْبُدُونَ

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي في السنن .

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم من كلام ابن سيرين .

مَا تَغْتُونَ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ مُنْيَنَا فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِ عَلَيْكَا مَا تَغْتُونُ ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ مُنْيَنَا فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِ عَلَيْكَا اللَّهُ عَلَيْنَا مُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ وَاللَّهُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّا

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قسد أزف خروجهم إلى عيدهم، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنـــه سقيم على مقتضى مُـا يعتقدونه، ﴿ فَتُولُوا عَنْهُ مَدْبُرِينَ ﴾. قال قُتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكراً فيا يلهيهم بـ ، فقال: ﴿ إِنِّي سَقِيم ﴾ أي ضعيف، فأما قوله عليه السلام : ه لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: [﴿ إِنِّي سقيم ﴾، وقوله: ﴿ بِل فعله ٰكبيرهم هذا ﴾، وقوله في سارة : (هي أختي)] فهو حديث مخرج في الصحاح والسُّن ، ولكن ليس من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا؛ وإنمــا هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث: « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » . قال ابن المسيب: رأى نجماً طلع فقال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٍ ﴾ كابد نبي الله عن دينه ﴿ فقال إني سقيم ﴾، وقيل: أراد ﴿ إنِّي سقيم ﴾ أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى، وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج، فاضطجعُ على ظهره وقال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٍ ﴾ وجعل ينظر في السهاء، فلما خرجوا أقبل إلى آلهُمْهم فكسرها(١) ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فتولوا عنه مديرين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فراغ إلى آلهتهم ﴾ أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء ، ﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟ وذلك أنهم كانوا ُقــد وضعوا بين أيديها طعاماً قرباناً لتبرَّك لهم فيه، قال السدي: دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة، فإذا هم في بهو عظيم، وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه، بعضها إلى جنب بعض، كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قـــد جعلوا طعاماً ووضعوه بــين أيدي الآلهة، وقالوا: إذا كان حين نرجع وقـد برّكت الآلهة في طعامنا أكلناه، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ﴿ أَلاَّ تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمُ لا تَنطقُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ قال الفراء : معنَّاه مال عليهم ضربًا باليمين، وقال قتادة والجوهري: فأقبل عليهم ضَرباً باليمين؛ وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولهــذا تركهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. وقوله تعالى ههنا: ﴿ فأقبلوا إليه يزفُّون ﴾ قال مجاهد: أي يسرعون، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال: ﴿ أَتَعبدُونَ مَا تَنْحَتُونَ ﴾ ؟ أي أتعبدُون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونهــا وتجعلونها بأيديكم ؟ ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون الكلام: خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم، والأول أظهر • لما رواه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال: « إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته » فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا ﴿ ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾، وكان من أمرهم ما تقدم بيانه

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري .

في سورة الأنبياء، ونجّاه الله من النار، وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾ .

وَقَالَ إِنِي ذَاهِبُ إِلَىٰ رَبِي سَيَهْدِينِ ﴿ وَبِ هَبْ لِي مِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ فَلَمَّ مِنْكُ بِغُلَامِ حَلِيهِ ﴿ فَلَمَّ مَلَهُ اللَّهُ مَعُهُ اللَّهِ فَالْمَدِينَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَيْ قَالَ يَتَأْبُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِ بَلَغَ مَعُهُ اللَّهِ مَنَ الصَّيْرِينَ ﴿ وَالْمَنَامِ أَيِّ أَذْبَحُ كَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَيْقَالَ يَتَأْبُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِ إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّيْرِينَ ﴿ فَا لَمَنَامُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

بِإِسْمَانَ نَبِيًّا مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ١ وَبَكَرَكُمَّا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْمَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُعْسِنٌ وَظَالِرٌ لِّنَفْسِهِ، مُبِينٌ ١

ي**قول تعالى** مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أنه بعدما نصره الله تعالى على قومه، وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم وقال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبَ إِلَى رَبِّي سِيهدين ه رب هب لي من الصالحين﴾ يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم، قال الله تعالى: ﴿ فَبَشْرَناه بغلام حليم﴾ هذا الغلام هو (إسماعيل) عليه السلام، فإنه أول ولد بشر بــه إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى: بكره، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً (إسحاق) ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنمــا أقحموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو (إسحاق) وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مُسَلَّماً من غيرً حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم﴾، وقال تعالى: ﴿ فَبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي يولد في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً ؟ وإسماعيل وصف ههــــا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام، وقوله تعالى: ﴿ فلما بلغ معه السعي﴾ أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه، قال ابن عباس ومجاهد: ﴿ فَلَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّمِي ﴾ بمعنى شب وارتحل، وأطاق ما يفعله أبوه من السمي والعمـــل ﴿ قال يا بني إني أرى في المنـــام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ قال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا هذه الآية: ﴿ قَــالَ يَا بَنِي إِنِي أَرَى ۚ فِي الْمُنَامُ أَنِي أَذَبِحَكُ فَانْظُرُ مَاذَا تَرَى ﴾ ؟ ، وإنمــا أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه ﴿ قال يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ أي امض لما أمرك الله من ذبحي، ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عزّ وجلّ، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيا وعد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾، قال تعالى: ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ أي فلما تشهدا وذكرا الله تعالى (إبراهيم) على الذبح و (الولد) شهادة الموت، وقيل: ﴿ أسلما ﴾ يعني استسلما وانقادا، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإسماعيل طاعة لله ولأبيه (، ومعنى ﴿ تله للجبين ﴾ : أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه، قال ابن عباس: ﴿ وتله للجبين ﴾ أكبه على وجهه (.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أمر إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه، فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم ذهب بسه جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، وثم تلّه للجبين، فرماه بسبع حصيات، وثم تلّه للجبين، وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض: فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ فالتفت إبراهيم، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين عن عن عليه المنا المناه الم

وقوله تعالى: ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح ، وذكر السدي وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً ، بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ، ونودي إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك ﴿ قد صدقت الرؤيا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، قال تعالى: ﴿ إن هدا له و البلاء المبين ﴾ أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك ، مستسلماً لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى: ﴿ وإبراهيم الذي وفي ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ عن علي رضي الله عنه قال: بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً ، وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: كان الكبش يرتع في الجنة ، حتى شقق عنه ثبير ، وكان عليه عهن أحمر الله قال بجاهد: ذبحه بمنى عند النحر ، وقال الثوري ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال: وعل ، وقال الحسن: ما فدي إصاعيل عليه السلام إلا بنيس من الأروى، أهبط عليه من ثبير .

(ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به)

تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام، وروى مجاهد وعطاء وغير

⁽١) قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وهو الأظهر .

⁽٢) وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير والضحّاك وقتادة . (٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن ابن عباس موقوفاً .

⁽٤) ذكر أن الكبش هو الذي قربه ابن آدم وكان في الجنة حتى فدي به إسماعيل وهو منقول عن بعض السلف .

واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه (إسماعيل) عليه الصلاة والسلام، وروى ابن جرير عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل عليه السلام، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ١ وروى مجاهد، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: الذبيح إسماعيل، وقال مجاهد: هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وقــد رأيت قرني الكبش في الكعبة، وقــال محمد بن إسحاق، عن الحسن البصري: أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم (إسماعيل) عليه السلام، قــال ابن إسحاق: وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيه (إسماعيل) وإنا لنجـــد ذلك في كتاب الله تعالى، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصــة المذبوح من ابنِّيَّ إبراهيم قــال تعالى: ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيــــــــّا مــن العمالحين ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ يقول: بابن، وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بمــا وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل، قــال ابن إسحاق : سمعته يقول ذلك كثيراً. وقال ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي: أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً، فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه عن ذلك، قــال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أيُّ ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك " ولكنهــم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر بــه فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، والله أعلم أيهما كان، وكل قــد كان طاهراً طيباً مطيعاً لله عزَّ وجلَّ () ، وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبي عن الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال: إسماعيل^٣.

وقال ابن أبي حاتم، وسمعت أبي يقول: الصحيح أن النبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام، قال: وروي عن عليه وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير الوالحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وابي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل، وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى: ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله تعالى: ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم، بل هو بعيد جداً، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه (إسماعيل) أثبت وأصح وأقوى، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر، وقوله تعالى: ﴿ نبياً ﴾ أي سيصير منه نبي صالح، قال

⁽١) ذهب ابن جرير الطبري إلى أن الذبيح هو (إسحاق) وهو قول لبعض علماء السلف وإحدى الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواية عن كعب الأحبار ، والصحيح كما قال ابن كثير أن الذبيح هو (إسماعيل) للآثار الكثيرة الواردة وظاهر القرآن الكريم كما في رواية ابن إسحاق، والله أعلم .

⁽٢) ذكره ابن حنبل في كتاب الزهد .

ابن عباس: بشر بنبوته، حين ولد، وحين نبئ، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ قال: بعد ما كان من أمره لما جاد لله تعالى بنفسه، وقوله تعالى: ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ كقوله تعالى: ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ .

وَلَقَدْ مَنَنَا عَلَى مُومَى وَهَرُونَ ﴿ وَتَجَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الْفَلِيمِ ﴿ وَهَا تَلْمُسْتَقِيمَ ﴿ وَهَا لَكُنْ اللَّهُمَا الْقِيرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ وَتَوَكَّمَا الْفِيرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ وَتَرَكَّمَا الْفِيرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وَتَرَكَّمَا عَلَيْهِمَا فِي اللَّهُ عَلَى مُومَى وَهَلُونَ ﴾ إنَّا كَذَالِكَ تَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّا كَذَالِكَ تَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ إنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكو تعالى ما أنع به على (موسى) و (هارون) من النبوة، والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء، ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم، وما كانوا جمعوه طول حياتهم، ثم أنزل الله عزّ وجلّ على موسى الكتاب العظيم، الواضح الجلي المستبين وهو (التوراة) كما قال تعالى: ﴿ وَالله المَّنِينَ وهو والتوراة) كما قال تعالى: ﴿ وَالله الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ أتينا موسى وهارون الفرقان وضياء ﴾. وقال عزّ وجلّ ههنا: ﴿ وَاليناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ أي يا الأقوال والأفعال، ﴿ وتركنا عليهما في الآخرين ﴾ أي أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جميلاً، وثناء حسناً: ثم فسره بقوله تعالى: ﴿ سلام على موسى وهارون و إنا كذلك بجزي المحسنين و إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾ وإنّ إلّيكاس لَمِنَ المُحْرَسُينِ ﴿ وَرَبَّ وَالَّهُ اللّهُ اللّهُ مِنْ عَبَادُ الله الله والأحَيْر في الأخرين ﴿ وَرَبَّ وَالّه الله المُحْرَبُونَ ﴾ ألا يُحرين كن الله والأحين ﴿ وَرَبَّ وَالّه الله والأحين ﴾ وقريبًا عليه وهارون و إنا كذلك بجزي المحسنين والهما من عبادنا المؤمنين ﴿ وَإِنَّ إِلْيَكُ اللّه وَلَا الله والله والل

قال قتادة: يقال إلياس هو إدريس، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إلياس هو إدريس، وكذا قال الضحّاك، وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن نسي بن فنحاص، بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد (حزقيل) عليهما السلام، وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له بعل، فدعاهم إلى الله تعالى، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قدد آمن به ملكهم، ثم ارتد، واستمروا على ضلالتهم، ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه بالإيمان به إن هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم، فجاءهم الغيث، فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله أن يقبضه إليه، وكان قد نشأ على يديه (اليسع بن أخطوب) عليهما السلام.

﴿ إِذْ قَالَ لَقُومُهُ أَلَا تَتَقُونُ ﴾ أي ألا تخافون الله عزّ وجلّ في عبادتكم غيره ، ﴿ أَتَدَعُونُ بِعَلاً وتَلْرُونَ أَحْسَنَ الْحَالَقَيْنُ ﴾ ؟ قال ابن عباس ومجاهد: ﴿ بِعلاً ﴾ يعني رباً، قال عكرمة وقتادة: وهي لغة أهل البمن ، وقال ابن إسحاق: أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبلون امرأة اسمها بعل، وقال عبد الرحمن بن زيد: هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها بعلبك غربي دمشق، وقال الضحاك: هو صنم كانوا يعبدونه ، وقوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونُ بِعَلَمُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

وَ إِنَّ لُوطًا لِّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ نَجَيْنَكُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَلِيرِينَ ﴿ فَمَ دَمَّرَنَا ٱلْاَخْرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِعِينَ ۞ وَبِٱلَّيْــلِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞

يخبر تعانى عن عبده ورسوله (لوط) عليه السلام أنه بعث إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله تعالى من بسين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته، فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح (()) وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون ﴾ ؟ أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها .. ؟

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿ فَسَاهُمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُو مُلِيدٌ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ ۗ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُو سَقِيمٌ ﴿ فَالْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ ﴿ وَأَرْسَلْنَكُ إِلَى مِأْتَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فَالمَنُواْ أَمَةً عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ ﴿ وَأَرْسَلْنَكُ إِلَى مِأْتَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فَعَامَنُواْ أَمَةً عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الأنبياء، وفي الصحيحين عن رسول الله عَيْلِكُ أنه قال: « ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه، وفي رواية إلى أبيه، وقوله تعالى: ﴿ إِذَ أَبق إلى الفلك المشحون ﴾ قسال ابن عباس: هو الموقر أي المملوء بالأمتعة، ﴿ فساهم ﴾ أي قارع ﴿ فكان مـن المدحضين ﴾ أي المغلوبين، وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فساهموا

⁽١) اشتهرت بتسميتها (بحيرة لوط) وهي قريبة من شرق الأردن .

على أنَّ من تقع عليه القرعة يلقى في البحر ، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله (يونس) عليه الصلاة والسلام ثلاث مراتٍ، وهم يضنّون بــه أن يلقى من بينهم، فتجرد من ثيــابه ليلقي نفسه، وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتاً أن يلتتم يونس عليه السلام، فلا يهشم له لحماً، ولا يكسر له عظماً، فحساء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام، فالتقمه الحوت وذهب بــه فطاف بــه البحار كلها، ولمــا استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قــد مات، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه، فإذا هو حي، فقــام فصلى في بطن الحوت، وكان من جملة دعائه: « يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحــد من الناس »، واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت، فقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة، وقيل: أربعين يوماً، وقال مجاهد: التقمه ضحى ولفظه عشية، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك . وقوله تعالى: ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ـ اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء، قاله الضحّاك واختاره ابن جرير. وفي الحديث: ٥ تعرّف إلى الله في الرخـــاء يعرفك في الشدة »(٩) . وقال ابن عباس والحسن وقتادة: ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ يعني المصلين، وقال بعضهم كان من المسبحين في جوف أبويه، وقبل: المراد ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ هو قوله عزّ وجلّ: ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾. روى ابن أبي حاتم عن أنَس بن مالك رضي الله عنه – يرفعه – : « إن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت، فقال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش، قالت الملائكة: يَا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة، فقال الله تعالى: أما تعرفون ذلك ؟ قالوا: يا رب ومن هو ؟ قال عزّ وجلّ: عبدي يونس، قــالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة، قالوا: يا رب أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء ؟ قال: بلي، فأمر الحوت فطرحه بالعراء ٣٠٠.

ولهذا قال تعالى: ﴿ فَنبذناه ﴾ أي ألقيناه ﴿ بالعراء ﴾ ، قال ابن عباس: وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء ، قيل: على جانب دجلة ، وقيل: بأرض اليمن ، فاقد أعلم ، ﴿ وهو سقيم ﴾ أي ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدي : كهيئة الصبي حين يولد ، وهو المنفوس ، ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس : (اليقطين) هو القرع أ ، وقال سعيد بن جبير : كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين ، وفي رواية عنه : كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليقطين ، وذكر بعضهم في القرع فوائد: منها سرعة نباته ، وتظليل ورقه لكبره ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً ، وقد ثبت أن رسول الله علياً كان يحب الدباء ، ويتبعه من حواشي الصفحة ، وقوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ ، روي عن ابن عباس أنه قال : إنما كانت رسالة يونس عليه وقوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ ، روي عن ابن عباس أنه قال : إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذه الحوت () وقال مجاهد: أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت . قلت : ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعودة إليهم بعد خروجه من الحوت ، فصدقوه كلهم وآمنوا به ، وحكى البغوي :

⁽١) أخرجه الترمذي في سننه . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن ابن وهب .

⁽٣) وهو قول جمهور السلف.

^(\$) رواه ابن جرير عن ابن عباس .

أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون، وقوله تعالى: ﴿ أو يزيدون ﴾ قال ابن عباس: بل يزيدون، وكانوا مائة وثلاثين ألفاً، وقال سعيد بن جبير: يزيدون سبعين ألفاً؛ وقال مكحول: كانوا مائة ألف وعشرة آلاف، وقال ابن جرير، عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله عليه عليه عنه أنه ما الله عليه الله عنه أنه ما الله عليه ألفاً ألف أو يزيدون ﴾ قال: يزيدون عشرين ألفاً (الله وقد سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾، المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد، وقوله تعالى ﴿ فآمنوا ﴾ أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم، ﴿ فتعناهم إلى حين ﴾ أي إلى وقت آجالم ه كقوله جلت عظمته ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ .

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِكَ الْبَنَاتُ وَهُمُ الْبَنُونَ ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَبِكَةَ إِنَكَا وَهُمْ شَهِدُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ وَلَدَ اللّهُ وَإِنَّهُمْ لَكُلْدِبُونَ ﴿ أَصْطَنَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ أَفَلَا تَذَكُّرُونَ ﴿ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُونَ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ مَالِكُمْ لَا لَيَنِينَ ﴾ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُئَةِ لَسَبًا تَذَكَّرُونَ ﴿ فَي أَمْ لَكُمْ سُلْطَنْ مُبِينٌ ﴿ فَي فَأْتُواْ بِكِتَنْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَلْدِقِينَ ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِئَةِ لَسَبًا وَلَقَدْ عَلِيتِ آلِخَنَةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿ شَالَكُونَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يقول تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات فو سبحانه ولهم ما يشتهون في أي من الذكور، أي يودون لأنفسهم الجيد، فو وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم في أي يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم، ولهذا قال تعالى في فاستفتهم في أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم في ألربك البنات ولم البنون في ؟ كقوله عز وجل : في ألكم الذكر وله الأنثى ء تلك إذاً قسمة ضيرى في، وقوله تبارك وتعالى: في أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون في أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا في وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون في أي يسألون عن ذلك يوم القيامة، وقوله جلت عظمته في ألا إنهم من أشكهم في أي من كذبهم في لعبار والكذب: فأولاً جعلوهم (بنات الله) فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس، ثم جعلوا الملائكة أقوال في غياية الكفر والكذب: فأولاً جعلوهم (بنات الله) فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس، ثم جعلوا ذلك الولد (أنثى) ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم، ثم قال تعالى منكراً عليهم: في أصطفى البنات على البنين في أي: أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين؟ كقوله عز وجل : في أن عنار البنات دون البنين واتخذ من الملائكة إناثاً ؟ إنكم لتقولون في أفلا تذكرون ، أم لكم سلطان مبين فه أي حجة كيف تحكون في ؟ أي ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون في أفلا تذكرون ، أم لكم سلطان مبين فه أي حجة على ما تقولونه، في فأتوا بكم سلطان مبين فه أي حكاب من من من الملائكة إناثاً ؟ إنكم القولون في أفلا يكون مستنداً إلى كتاب منزل من

⁽١) الحديث رواه ابن جرير وأخرجه الترمذي وقال: غريب .

السهاء، عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يجوزه العقل بالكلية . وقوله تعالى: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فن أمهاتهن ؟ قالوا: بنات سروات الجن، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولقد علمت الجنة ﴾ أي الذين نسبوا إليهم ذلك ﴿ إنهم لمحضرون ﴾ أي إن الذين قالوا ذلك ﴿ لمحضرون ﴾ في العذاب يوم الحساب، لكذبهم في ذلك وافتراثهم وقوفم الباطل بلا علم، وقال ابن عباس: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقوله جلت عظمته: ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحلون علواً كبيراً، وقوله تعالى: ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي مرسل، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى: ﴿ إنهم لحضرون إلا عباد الله المخلصين ﴾ وفي هذا الذي قاله نظر، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فَإِنَّكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَنتِنِينَ ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿ وَمَامِنَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿ لَوَ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكُا مِنَ الْأُوَّلِينَ ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ اللَّهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ اللَّهُ وَإِنَّا لَنَحْنُ اللَّهُ مَنَا عَبَادَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهِ عَلَيْهُ وَاللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ الللّه

⁽١) أخرجه الضحاك في تفسيره ورواه ابن عساكر بنحوه وأصله في الصحاح . ﴿ ٧) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على إلى النساس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجداً، وتربتها طهوراً » الحديث، فو وإنا لنحن المسبحون أي نصطف فنسبح الرب و بمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه، وقال ابن عباس ومجاهد: فو وما منا إلا له مقام معلوم في الملائكة، فو وإنا لنحن الصافون في الملائكة، فو وإنا لنحن المسبحون في المعلون يثبتون بمكاتهم من المسبحون في الملائكة تسبح الله عز وجل، وقال قتادة: فو وإنا لنحن المسبحون في يعني المصلون يثبتون بمكاتهم من العبادة ألى وقوله جل وعلا: فو وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين في، أي العبادة أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله: فو أقسموا بالله جهد أيمانهم لثن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً في، وقال تعالى: في أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين في ولهذا قال تعالى ههنا: فو فكفروا به فسوف يعلمون في وعيد أكبد و تهديد شديد، على كفرهم عز وجل وتكذيبهم رسوله علي .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَمُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَلِبُونَ ﴿ فَنَوَلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَلِبُونَ ﴿ فَا اَلْعَالِهُونَ ﴿ وَالْمَا مَسَاءَ عَلَهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿ وَأَنْهِمُ فَسَاءَ مَسَاءً مَسَاءً مَسَاءً مَسَاءً مَسَاءً مَا أَمُندَدِينَ ﴿ وَالْمَا مَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿ وَالْمِالَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّ صَبَاحُ ٱلْمُنذَذِينَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

يقول تبارك وتعالى: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ كتب الله لأغلب أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾، وقال عزّ وجلّ ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾، ولهذا قال جل جلاله: ﴿ إنهم لهم المنصورون ﴾ أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم، ممن كذبهم وخالفهم، كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين، ﴿ وإن جندنا لهم الفالبون ﴾ أي تكون لهم الساقية، وقوله جل وعلا: ﴿ فتول عنهم حتى حين ﴾ أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر » وقوله جلت عظمته: وأبصرهم فسوف يبصرون ﴾ أي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك، ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد: ﴿ فسوف يبصرون ﴾، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ أفيعذابنا يستعجلون ﴾ أي هم إنما يستعجلون العذاب للعقوبة، قال الله تعالى: ﴿ فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم » بإهلاكهم ودمارهم » بساحتهم فساء صباح المنذرين ﴾ أي فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم » بإهلاكهم ودمارهم » وهذا أبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: صبح رسول الله مي عبهم النبي عني : « الله وساحهم، ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: صبح رسول الله تعلى خير، فقال النبي عنه الله بغؤوسهم ومساحهم، ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: صبح رسول الله تعلي خير، فقال النبي عنه الله عنه وساحهم، ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: صبح رسول الله عنه قال النبي عنه اله عنه والخيس، فقال النبي عنه الله عنه والذه محمد والخميس، فقال النبي عنه الله عنه والده محمد والخميس، فقال النبي عنه الله عنه والله عنه والله الله عنه الله عنه والده المحمود والخميس، فقال النبي عنه الله عنه والله المؤورة المحمود والخميس، فقال النبي عنه الله عنه الله عنه الله المخورة والخميس في الله الله عنه والله المحمود والخميس في الله الله الله الله المحمود والخميس في الله المحمود والخميد والمحمود والمحمود والمحمود والمحمود واله المحمود والله المحمود والمحمود والم

⁽١) الصحيح أن المراد به الملائكة وهو قول ابن عباس ومجاهد .

أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »(١) ، وقوله تعالى: ﴿ وَتُولَ عَنْهُم حَتَى حَيْنَ ، وأَبْصَرَ فسوف يبصرون ﴾ تأكيد لمسا تقدم من الأمر بذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ وَسَلَامُ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ اللَّهِ عَلَّى اللَّهُ عَلَى ٱلمُرْسَلِينَ ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدسها، ويبرثها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون، تعالى وتنزه وتقدس عن قولم علواً كبيراً، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ أي ذي العزة التي لا ترام ﴿ عما يصفون ﴾ أي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين، ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة، ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال، عن قتادة قال، قال رسول الله على المرسلين الله على المرسلين و فإنما أنا رسول من المرسلين و عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله على المرسلين عن السلم على المرسلين عن رسول الله على المرسلين عن رسول الله على المرسلين والحمد لله رب العالمين و ثم يسلم (١٠) ، وروى ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: قال رسول الله على المرسلين يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون و وسلام على المرسلين و والحمد الله رب العالمين ﴾ وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس: سبحانك يصفون و وسلام على المرسلين و والحمد الله رب العالمين و قد وردت أحاديث في كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، قال ابن كثير : وقد أفردت لها جزءاً على حدة ، وقد الحد والمنة .

[آخر تفسير سورة الصافات ، والله أعلم]

* * *

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم عن أنس، ومعنى قولم (محمد والخميس) أي محمد والجيش.

⁽٢) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم مرسلاً ورواه ابن أبي حاتم مسنداً عن أبي طلحة رضي الله عنه .

⁽٣) أخرجه الحافظ أبو يعلى، قال ابن كثير : إسناده ضعيف ، أقول : وله ما يؤيده من الشواهد الصحيحة .

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم مرسلاً ، وروي موقوفاً عن علي رضي الله عنه .



صَّ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِفَاقِ ۞ كَمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۞

أما الكلام على الحروف المقطعة فقــد تقدم في أول سورة البقرة بمــا أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعبــاد، ونفع لهم في المعاش والمعاد، قــال الضحّاك ﴿ ذي الذكر ﴾ كقوله تعالى: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي تذكيركم (١)

وقال ابن عباس ﴿ ذِي الذَكر ﴾ ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة ، ولا منافأة بين القولين فإنه كتاب شريف ، مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، واختلفوا في جواب هذا القسم : فقال قتادة : جوابه ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ واختاره ابن جرير ، وقيل : جوابه ما تضمنه سياق السورة بكالها ، والله أعلم ، وقوله تعالى : ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ أي إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ في عزة ﴾ أي استكبار عنه وحمية ، ﴿ وشقاق ﴾ أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم فقال تعالى : ﴿ كُم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي من أمة مكذبة ، ﴿ فنادوا ﴾ أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى ، وليس ذلك بمُجّدٍ عنهم شيئاً ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ أي يهربون ، قال التميمي : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ! قال : ليس بحين نداء ولا نزع ولا فرار ، وعن ابن عباس : ليس بحين مغاث ، نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد : ه تذكّر كيلى لات حين تذكر ه

وقال محمد بن كعب: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم، وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء، وقال مجاهد: ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ليس بحين فرار ولا إجابة، وعن زيد بن أسلم: ﴿ ولات حين مناص ﴾ ولا نداء في غير حين النداء، وهذه الكلمة، وهي (لات) هي (لا) التي للنفي زيدت معها التاء، كما تزاد في ثم، فيقولون: ثمت، ورب، فيقولون: ربت.

⁽١) وبه قال قتادة واختاره ابن جرير رحمه الله .

وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص: التقدم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلاَتَ حَيْنَ مَنَاصَ ﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

وَعَبُواْ أَن جَاءَهُم مَّنذِرِّ مِنْهُمُ وَقَالَ الْكَنفِرُونَ هَلْنَا سَدِحِ كُذَّابُ ﴿ أَجْعَلَ الْآهِمَ إِلَهُا وَحِدًّا اللهِ وَكَذَا لَشَىءٌ عُجَابٌ ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَى الْهَبِيَكُمُ إِنَّ هَلْذَا لَشَىءٌ يُرادُ ﴿ مَا مَعْنَا بِهَلَا فَيْ عُجَابٌ ﴿ وَ وَانطَلَقَ الْمَلَا مُنْهُمُ أَنِ الْمَشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَى الْهَبِيَكُمُ إِنَّ هَلْدَا لَهُمْ فِي شَكِّ مِن ذِكْرِي مَا سَمِعْنَا بِهَلَا فِي الْمِلْةِ الْآنِوَ اللهُ مِنْ اللهُ عَلَيْهِ الذِكُومِنُ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكِ مِن ذِكْرِي مَا سَمِعْنَا بِهَا لَهُ اللهُ مَا اللهُ الْمُؤْمِنُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ الْعَزِيزِ الْوَهَابِ ﴾ أَمْ فَمُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما مَلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله عليه المسيراً ونديراً، كما قدال عز وجل : فراكان للنداس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر النداس في الآية، وقال جل وعلا ههنا: ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي بشر مثلهم، وقدال الكافرون ﴿ هذا ساحر كذاب م أجعل الآلمة إلما واحداً ﴾ أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟ أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم رسول الله على الله على خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الآلم بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا، وقالوا: ﴿ أجعل الآلمة إلما واحداً إن هذا لشيء عجاب و وانطلق الملا منهم في وهم سادتهم وروساؤهم وكبراؤهم قدائلين ﴿ امشوا في أي استمروا على دينكم، ﴿ واصبروا على المتكم في، ولا تستجبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، وقوله تعالى ﴿ إن هذا لشيء يراد ﴾ قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه محمد على التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه .

(ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات)

روى ابن جرير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم (أبو جهل) فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه، فجاء النبي عليه الله المبيدة وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجُل، قال: فخشي أبو جهل، لعنه الله، إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله عليه على عملها قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله عليه فقال: «يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية »، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة نعم وأبيك عشراً "، فقالوا: وما هي ؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال

⁽١) أي نعطيك بدل الكلمة الواحدة عشر كلمات .

مَهِلَيْكُم : « لا إَلَه إلا الله » ، فقـــاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿ أَجعل الآلهة إِلَمَــاً واحداً ! إن هذا لشيء عجاب ﴾ ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: ﴿ بل لما ينوقوا عذاب ﴾ " .

وقولهم: ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في المسلة الآخرة، قال مجاهد وقتادة: يعنون دين قريش، وقال السدي: يعنون النصرانية، وقال ابن عباس: ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ يعني دين النصرانية، قالوا: لو كان هـ ذا القرآن حقاً لأخبرتنا بـ ه النصارى ﴿ إِن هـ ذا إلا اختلاق ﴾ قال مجاهد: كذب، وقال ابن عباس: تخرص، وقولم: ﴿ أَأْنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ يعني أنهـ مستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿ لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم، في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: ﴿ بِل لما ينوقوا عذاب الله تعالى ونقمته ، وسيعلمون غِبُّ ما قالوا وما كذبوا به .

ثم قال تعالى مبيناً أنه المتصرف في ملكه، الفعال لما يشاء، الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده، وأنَّ العباد لا يملكون شيئاً من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة، ولهذا قال تعالى منكراً عليهم: ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ أي العزيز الذي لا يرام جنابه، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً ه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ الآية، كما أخبر عز وجلً عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا: ﴿ أألقي الذكر عليه من بيننا، بل هو كذاب أشره سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أم لم ملك السهاوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ أي إن كان لهم ذلك فليصعلوا في الأسباب، قال ابن عباس: يعني طرق السهاء، وقال الضحاك: فليصعلوا إلى السهاء السابعة، ثم فلك عز وجلّ : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ أي هؤلاء الجند المكذبون سيهزمون ويغلبون، ومكنون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين، وهذه الآية كقوله جلّت عظمته: ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصره سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ كان ذلك يوم بدر ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهي وأم ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأُوْتَادِ ﴿ وَمَّهُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَعَبْكَةً ۚ أَوْلَكَهِكَ الْأَخْزَابُ ﴿ وَهَا لَمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّه

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العــذاب والنكال والنقمات في مخالفــة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقــد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعــددة، وقوله تعالى: ﴿ أُولئك

⁽١) أخرجه ابن جرير ورواه أحمد والنسائي والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الأحزاب في أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ، وله ذا قال عزّ وجلّ: ﴿ إِن كُل إِلا كذب الرسل فحق عقاب في فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر، وقوله تعالى: ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما له ما من فواق في قال زيد بن أسلم: أي ليس له مثنوية، أي ما ينظرون ﴿ إِلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها في فقد اقتربت ودنت وأزفت، وهدف الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السهاوات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عزّ وجلّ، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب في هذا إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القبط هو الكتاب، وقيل: هو الحظ والنصيب، قال ابن عباس ومجاهد والضحّاك: سألوا تعجيل العذاب كما قالوا: ﴿ اللهم إِن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السهاء أو اثتنا بعذاب أليم في وقيل: سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا، وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب، قال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا، وهذا الذي قاله جيد. ولما كان هذا الكلام منهم على أذاهم، ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر. وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله علي قبلة أله بالصبر على أذاهم، ومبشراً له على صبره بالعاقبة وانصر والظفر.

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا دَاوُردَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ ۖ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلِحَبَّالَ مَعَـهُ يُسَيِّحَنَّ بِٱلْعَشِيِّ

وَالْإِشْرَاقِ ١ ﴿ وَالطَّيْرَ عَشُورَةً كُلُّ لَهُ وَأُوَّابُ ١ وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَوَاتَيْنَهُ ٱلْحِكَمَةَ وَفَصْلَ الْحُطَابِ ١

يذكر تعالى عن عبده ورسوله (داود) عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد، و (الأيد) القوة في العلم والعمل، قال ابن عباس: الأيد القوة، وقرأ ابن زيد: ﴿ والسياء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ وقال مجاهد: الأيد: ه القوة في الطاعة. وقال قادة: أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل، ويصوم نصف الدهر، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله عَيَّاتِهُم أنه قال: ه أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله عزّ وجل صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقي »() وإنه كان (أوّاباً) وهو الرّجاع إلى الله عزّ وجل في جميع أموره وشؤونه، وقوله تعالى: ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق ﴾ أي أنه تعالى سخر الجبال تسبّح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾ وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجّع بترجيعه، إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء، فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء، ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجّع معه وتسبح تبعاً له .

ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿ والطير محشورة ﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿ كل له أواب ﴾ أي مطيع يسبح تبعاً له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ﴿ كل له أواب ﴾ أي مطبع ، وقوله تعالى: ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك، قال مجاهد: كان أشد أهل الدنيا سلطاناً، وقال السدي: كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف، وقوله جل وعلا: ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ قال مجاهد: يعني الفهم والعقل والفطنة، وعنه: ﴿ الحكمة ﴾

⁽١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة .

العدل، وقال قتادة: كتاب الله واتباع ما فيه، وقال السدي: ﴿ الحكمة ﴾ النبوة، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وفصل الخطاب ﴾ . قال شريع القاضي والشعبي: فصل الخطاب : الشهود والأيمان، وقال قتادة: شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه، وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهم ذلك، وقال مجاهد أيضاً: هو الفصل في الكلام وفي الحكم، وهذا يشمل كل ذلك، وهو المراد واختاره ابن جرير، وعن أبي موسى رضي الله عنه، أول من قال: (أما بعد) داود عليه السلام، وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي: فصل الخطاب: أما بعد.

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً، لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ؛ فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُرَدَّ علمها إلى الله عز وجلّ، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً أ، وقوله تعالى: ﴿ ففزع منهم ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب، أي احتاطا به، يسألانه عن شأنهما، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وعزّ في الخطاب ﴾ أي غلبي، يقال: عز يعز إذا قهر وغلب، وقوله: تعالى: ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ قال ابن عباس: أي اختبرناه، وقوله تعالى ﴿ وخر راكعاً ﴾ أي ساجداً، ﴿ وأناب ﴾ أي رجع وتاب ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد أي اختبرناه، وقوله تعالى ﴿ وخر راكعاً ﴾ أي ساجداً، ﴿ وأناب ﴾ أي رجع وتاب ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك، ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ أي ما كان منه نما يقال فيه وحسنات الأبرار سيئات المقربين » .

 ⁽١) زعموا أن المراد بالخصم جبريل وميكائيل ، وضمير الجمع في : تسوروا ، يرجع إليهما ، حملاً على لفظ الخصم . والنعجة :
 كناية عن المرأة ، والمراد : أم سليمان ، وكانت امرأة أوريا قبل داود ، إلى آخر ما هنالك من أقوال غير صحيحة .

⁽٢) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد، وقال الترمذي: حسن صحيح .

وروى البخاري عند تفسيرها عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة (ص) فقال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت ؟ فقال: أو ما تقرأ هو ومن ذريته داود وسليان هي، هو أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده هي؟ فكان داود عليه الصلاة والسلام عمن أمر نبيكم علي أن يقتدي به، فسجدها داود عليه الصلاة والسلام، فسجدها رسول الله على الله يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها، وحسن مرجع، وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه، كما جاء في الصحيح: والمقسطون على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا ». وعن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله عليه عذاباً إمام جائر ها أله يوم القيامة، وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وأن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وأن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وأن أبغض

يَندَاوُردُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَآحَكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَيِّ وَلَا لَتَّبِعِ ٱلْمَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَمُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْجِسَابِ ﴿

هذه وصية من الله عزّ وجل لولاة الأمور، أن يحكوا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد، روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي زرعة – وكان قد قرأ الكتاب – أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال: قل في أمان الله، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ؟ إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله كه الآية "، وقال عكرمة: ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب كهذا من المقدم والمؤخر : لهم عذاب شديد يما تركوا أنهر ، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

وَمَا خَلَقْنَ السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلاً ۚ ذَالِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواً فَوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ ﴿ أَمْ نَجْعَلُ اللَّهَ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللْمُواللَّهُ اللَّهُ اللَّذِا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّذِا اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِا ا

يخبر تعالى أنه مـا خلق الخلق عبثاً، وإنمـا خلقهم ليعبدوه ويوحّدوه، ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكليم ويعذب الكافر، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وما خلقنا السهاء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾، أي الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً، وإنمـا يعتقدون هذه الدار فقط ، ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ أي ويل لهم

⁽١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة .

يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم، ثم بيَّن تعالى أنه عزّ وجلّ من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: ﴿ أَم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ه أم نجعل المنتين كالفجار ﴾ أي لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر، وتدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى ، لهذا الجزاء والمواساة، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ أي ذوو العقول، وهي (الألباب) جمع لب وهو العقل، قال الحسن البصري: والله ما تدبره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ().

وَوَهَبْنَا لِدَاوُردَ سُلَيْمَنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ وَأُوَّابُ ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّنفِنَتُ أَلِحْيَادُ ﴿ فَقَالَ إِنِّيَ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِآلِجْمَابِ ﴿ رُدُوهَا عَلَى فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود (سلبان) أي نبيـــاً ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وورث سلبان داود﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قــد كان عنده مائة امرأة حرائر ، وقوله تعالى: ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ ثناء على سلمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ عَرْضَ عَلَيْهُ بَالعشيّ الصافنات الجيادكه أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات، قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، والجياد السراع[®]، وعن إبراهيم التيمي قال: كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله عَيْلِهُمْ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضى الله عنها لعب، فقال عَلِيُّكُم: ﴿ مَا هَذَا يَا عَاتِشَةً ؟ ﴾ قالت رضي الله عنها: بناني، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال ﷺ : « ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ » قالت رضي الله عنها : فرس، قال رسول الله ﷺ : « ما هذا الذي عليه ؟ » قالت رضي الله عنها: جناحان، قال رسول الله ﷺ: « فرس له جناحان » قالت رضي الله عنها: ! أما سمعت أن سلمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لهـا أجنحة ؟ قالت رضي الله عنها : فضحك عليه حتى رأيت نواجذه (الله وتوله تبارك وتعالى: ﴿ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين: أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع بـــه أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر ، حتى صلاها بعد الغروب؛ وذلك ثابت

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري .

⁽٢) وكذلك قال غير واحد من السلف.

⁽٣) أخرجه أبو داود في السنن من حديث عائشة رضي الله عنها .

وَلَقَدْ فَتَنَا سُلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِهِ عَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ مِّنَ بَعْدِيَّ ۚ إِنَّكَ أَنَتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿ فَى فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ عَرُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿ وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءِ وَغَوَّاصٍ ﴿ وَالنَّوِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿ هَا هَلْمَا أَوْنَا فَآمَنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابِ ﴿ وَإِنَّ لَهُمُ عِسْدَنَا لَزُلْنَى وَحُسْنَ مَعَابِ ﴾

يقول تعالى: ﴿ ولقد ُ فتنا سليان ﴾ أي اختبرناه بأن سلبناه الملك، ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ ألى ابن عباس والحسن وقتادة: يعني شيطاناً، ﴿ ثم أناب ﴾ أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته، قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخراً، وقيل: آصف، ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ قال بعضهم: معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي، والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله عليه من البخاري عند تفسير هذه الآية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن السحيحة من طرق عن رسول الله عليه البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليان عليه الصلاة والسلام: ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ قال روح: فرده خاسناً. سليان عليه الصلاة والسلام: ﴿ رب اغفر لي وهب في ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ قال روح: فرده خاسناً. وروى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله عليه الهي شعناه يقول: وأعسوذ بالله منك، ثم قال، ألعنك بلعنة الله و ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله مناك، ثم قال، ألعنك بلعنة الله و ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله مناك، ثم قال، ألعنك بلعنة الله و ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله عليه المناك المناك المناك المناك المناك المناك المناك المناك الله عليه المناك المناك المناك المناك المناك المناك المناك المناك الله عنه المناك المناك المناك المناك المناك المناك المناك الله عنه الله الله عليه كالكم المناك المناك المناك المناك عن الصلاة قلنا: يا رسول الله عليه المناك المنا

⁽١) وروي عن ابن غباس أنه قال: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها بيده حبًّا لها، والأظهر قول الحسن والسدي .

⁽٢) رويت عدة روايات مطولة عن موضوع (فتنة سلمان) وكلهما إسرائيليات، ومن أغربها وأنكرها ما رواه ابن أبي حاتم أن سلمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت أحب نسائه إليه، فجاءها الشيطان بصورة سلمان فقال لها : هاتي خاتمي، فظنته سلمان فأعطته إياه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين .. وكل هذه القصص لا تصح لأنها من الإسرائيليات وقد ذكرها ابن كثير وبيّن غرابتها ونكارتها ، ولذلك ضربنا صفحاً عنها .

سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال عَلَيْكَ : « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخينا سليان لأصبح موثقاً يلعب بــه صبيان أهل المدينة »() .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله عليه قسام يصلي صلاة الصبح، وأنا خلفه فقرأ، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بسين اصبعي هاتين – الإبهام والتي تليها – ولولا دعوة أخي سليان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل ه⁶⁰.

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فسخرنا له الربح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾ قال الحسن البصري: لما عقر سليان عليه الصلاة والسلام الخيل غضباً لله عز وجلّ ، عرضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الربح التي غلوها شهر ورواحها شهر ، وقوله جل وعلا: ﴿ حيث أصاب ﴾ أي حيث أراد من البلاد ، وقوله جل جلاله : ﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾ أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل إلى غير ذلك من الأعسال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما بها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ، ﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ أي موثوقون في الأغلال والأكبال ممن تمرد وعصى ، وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت ، واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، أي مهما فعلت فهو جائز لك ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله علي للمنا أرخ قدراً عند الله عز وجلّ (عبداً رسولاً) ، وبين أن يكون (نبياً ملكاً) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل عليه السلام ، فقال له : تواضع فاختار المنزلة الأولى ، لأنها أرفع قدراً عند الله يوم القيامة أيضاً ، وأن له عندنا لزلفي وحسن مآب كها أي في الدنيا نبه تعالى أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً ، فقال تعالى : هو إن له عندنا لزلفي وحسن مآب كها أي في الدار الآخرة .

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله (أيوب) عليه الصلاة والسلام ، وما كان ابتلاه تعالى بــه من الضر في

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء مرفوعاً . ﴿ (٢) أخرجه الإمام أحمد وروى بعضه أبو داود في سننه .

جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين بـــه على مرضه وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله، فكانت تخدم النــاس بالأجرة وتطعمه وتخدمه، نحواً من ثماني عشرة سنة، وقــد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا، فسلب جميع ذلك حتى رفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحاً ومساء إلا بسبب خدمة النــاس ثم تعود إليه قريباً، فلما طال المطال، واشتد الحال، وانتهى القدر، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإلَّه المرسلين فقال: ﴿ إِنِّي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ ، وفي هذه الآية الكريمة قال: ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب كه قيل ﴿ بنُصْب ﴾ في بدني و ﴿ عذاب ﴾ في مــالي وولدي، فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجَّله، ففعل، فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى؛ ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ . روى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن أنَس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله عَلِيُّكِم قال: ﴿ إِنْ نَبَى اللهُ أَيُوب عليه الصلاة والسلام لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحـــد في العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ تماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى، فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام: لا أدري ما تقول غير أن الله عزّ وجلّ يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله تعالى، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاهـــا أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطــأ عليها، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن: ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ فاستبطأته، فالتفتت تنظر، فأقبل عليها، قــد أذهب الله ما بــه من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالَت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله القدير على ذلك، ما رأيت رجلاً أشبه بــه منك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو »^(۱).

وفي الحديث قال رسول الله على اليوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه، فناداه ربه عزَّ وجلَّ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن يركتك ه أن ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴾ قال الحسن وقتادة : أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وحمة منا ﴾ أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته، ﴿ وذكرى لأولي الألباب ﴾ أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج، وقوله جلّت عظمته: ﴿ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ﴾ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد في أمر فعلته، وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربها عائة

⁽١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم بنحوه وهذا لفظ ابن جرير . ﴿ (٢) أخرجه البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً .

جلدة، فلما شفاه الله عزّ وجلّ وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأفتاه الله عزّ وجلّ أن يأخذ ﴿ ضغتًا ﴾ وهو الشمراخ فيه مائة قضيب، فيضربها بــه ضربــة واحدة، وقد برت يمينه، وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿ نعم العبد إنــه أواب ﴾ أي رجّاع منيب ؛ ولهــذا قال جلّ جلاله: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ه ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الآية واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الأيمان والله أعلم .

وَاذْ كُرْ عِبَدَنَا إِبْرَهِمَ وَإِسْمَنَقُو يَعْفُوبَ أُولِي الأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْلَيْسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْبَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ هَنذَا ذِحْرٌ أَنْ

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين: ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة، قال ابن عباس ﴿ أولي الأيدي ﴾ يعني المور في الحق، وقال مجاهد: ﴿ أولي الأيدي ﴾ يعني القوة في طاعة الله تعالى، ﴿ والأبصار ﴾ يعني البصر في الحق، وقال قتادة والسدي: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ قال مجاهد: أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لم هم غيرها، وقال مالك بن دينار: نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها، وقال سعيد بن جبير: يعني بالدار (الجنة) يقول: أخلصناها لم بذكرهم لها، وقال ابن زيد: جعل لم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة ، وقوله تعالى: ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ أي المختارين المجتبين خاصة أفضل شيء في الدار الأخيار ﴾ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾. قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنا أغنى عن إعادته ههنا، وقوله عزّ وجل الكلام على قصصهم وأخبارهم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنا أغنى عن إعادته ههنا، وقوله عزّ وجل هذا ذكر ﴾ أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر، وقال السدي: يعني القرآن العظيم .

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة ﴿ لحسن مآب﴾ وهو المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله تعالى: ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ والألف واللام ههنا بمعنى الإضافة، كأنه يقول مفتحة لهم أبوابهها، أي إذا جاعوها فتحت لهم أبوابها، وقهد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ متكثين فيها ﴾ قيل: متربعين على سرير تحت الحجال، ﴿ يدعون فيها بفاكهة كثيرة ﴾ أي مهما طلبوا وجلوا وأحضر كما أرادوا، ﴿ وشراب ﴾ أي من أي أنواعه شاعوا أنتهم به الخدام ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ ، ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن ﴿ أثراب ﴾ أي متساويات في السن والعمر ، ﴿ هذا ما توعلون ليوم الحساب ﴾ أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها لعباده المتقين، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ، ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أن لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى : ﴿ إِن هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ ، كقوله عزّ وجلّ : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ لم أم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع ، وكقوله : ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

هَنذًا وَإِنَّ لِلطَّنفِينَ لَشَرَّ مَعَابِ فَقَ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيِنْسَ الْمِهَادُ ﴿ هَنَا فَلْيَلُوفُوهُ جَسِمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿ وَءَانَوُ مِن شَكُلُهِ الْرُوبُ فَي هَنذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُرٌ لَا مَرْحَبًا بِيسَمٌ إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ ﴿ وَفَسَّاقُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُولُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ ال

لا ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء، ثنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم، فقال عز وجل: ﴿ هذا وإن للطاغين ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عزّ وجلّ، المخالفون لرسل الله صلى الله عليهم وسلم ﴿ لشر مآب ﴾ أي لسوء منقلب ومرجع، ثم فسره بقوله جل وعلا: ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿ فبئس المهاد عذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾، أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عزّ وجلّ ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أي وأشياء من هذا القبيل، الشيء وضده يعاقبون بها، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله يَوَالِنَ أنه قال: « لو أن دلواً من غسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ء ١٠٠٠ وقال كعب الأحبار ﴿ غساق ﴾ عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية، وعقرب وغير ذلك فيستنقع، فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج على ذات حمة من حية، وعقرب وغير ذلك فيستنقع، فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج عود سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه، ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه ١٠٠٠ وقال الحميم، وأكل الزقوم، والصعود والهويّ، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، والجميع مما يعذبون به، الحميم، وأكل الزقوم، والصعود والهويّ، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، والجميع مما يعذبون به،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي وابن جرير .

⁽٣) رواه ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار .

ويهانون بسببه، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ هــذا فوج مقتحم معكم لا مرحبــاً بهم إنهم صالوا النار ﴾، هذا إخبــار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿ كلمــا دخلت أَمة لعنت أختُها ﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ، ويكفر بعضهم ببعض ، فتقول الطائفة التي تدخــل قبــل الأخرى ، إذا أقبلت مــع الخزنة من الزبانية ﴿ هــذا فوج مقتحم ﴾ أي داخــل ﴿ معكم لا مرحبـــاً بهم إنهم صالوا النـــار ﴾ أي لأنهـــم من أهل جهنم، ﴿ قَالُوا بِلَ أَنتُمَ لا مرحبًا بكم ﴾ أي فيقُول لهم الداخلون ﴿ بِلَ أَنتُم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي أنتم دعوتمونا إلى مــا أفضى بنــا إلى هذا المصير ، ﴿ فبئس القرار ﴾ أي فبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿ قالوا ربنا من قدَّم لنــا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النارك، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنــا هُولاء أَضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار . قــال لكل ضعفٌ ولكن لا تعلمون ﴾ أي لكل منكم عٰذاب بحسبه، ﴿ وقالوا ما لنــا لا نرى رجــالاً كنّا نعدهم من الأشرار ۗ ، اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ ؟ هذا إحبار عُن الكفار في النار ، أنهم يفتقدون رجــالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة، وهم المؤمنون في زعمهم قــالوا : ما لنا لا نراهم معنــا في النار ؟ قــال مجاهد : هذا قول أبي جهل يقول: ما لي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً ؟ وهذا ضرب مثل، وإلا فكل الكفار هـــذا حالم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار ، افتقلوهم فلم يجلوهم، فقــالوا: ﴿ مَا لَنَا لَا نُرَى رَجَالًا كَنَا نَعَدُهُمْ مَنَ الْأَشْرَارِ مَ أَتَحَذَنَاهُمْ سَخْرِياً ﴾ أي في الدار الدنيا ﴿ أَمْ زَاعْتُ عَنْهُمُ الأَبْصَارَ ﴾ ؟ يسلون أنفسهم بالمحال، يقولون: أو لعلهم معنا في أجهم، ولكن لم يقع بصرنا عليهم، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العـاليات وهو قوله عزَّ وجلِّ : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابِ الْجَنَة أُصحاب النار أن قــد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا: نعم، فأدَّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظــالمين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِن ذلك لحق تخــاصم أَهَل النــار ﴾، أي إن هــــذا الذي أخبرناك بــه يا محمد، من تخاصم أهــل النــار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض، لحقَّ لا مرية فيه ولا شك .

عُلْ إِنِّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَا اللهُ الْوَحِدُ الْقَهَارُ ﴿ وَبَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقَدُرُ ﴿ قُلْ هُو نَبَوُّ اَعَظِيمُ ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ مَا كَانَ لِى مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ إِذْ بَخْنَصِمُونَ ﴿ اللَّهُ عَلْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ مَا كَانَ لِى مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ إِذْ بَخْنَصِمُونَ ﴿ اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَىٰ إِلَّا أَمَا الْأَعْلَىٰ إِذْ بَخْنَصِمُونَ ﴿ اللَّهُ اللّ إِن يُوحَىٰ إِلَى إِلَّا أَنَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

يقول تعالى آمراً رسوله عَلَيْهِ أَن يقول للكفار بالله المشركين بــه المكذبين لرسوله ﴿ إنحــا أنا منذر ﴾ لست كما تزعمون ، ﴿ وما من إلّه إلا الله الواحد القهار ﴾ أي هو وحده قــد قهر كل شيء وغلبه، ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه، ﴿ العزيز الغفار ﴾ أي غفار مع عظمته وعزته، ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ أي خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم، ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ أي غافلون، قال مجاهد ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ : يعني القرآن، وقوله تعالى : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام، وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه ، وغير ذلك .

إِذْ قَالَ رَبُكَ الْمَكَتَهِكَةَ إِنِّى خَالِقُ بَشَرًا مِن طِينِ ﴿ فَإِذَا سَوْيَتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فَسَجَدَ الْمَكَتَهِكَة كُلُهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَنفِرِينَ ﴿ قَالَ يَتَإِبْلِيسَ مَا مَنعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِبَدَيَّ أَسْنَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِن الْعَالِينَ ﴿ قَالَ أَنَا خَرُ مِنْهُ خَلَقْتُنِي مِن نَادِ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿ فَي قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِمٌ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِينِ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِ وَكُن مِن الْمَعْومِ ﴿ وَاللَّهُ مِن الْمُعْلَمِينَ ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِينِ ﴿ قَالَ وَالْمَعْلَمِينَ فَي وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِينِ ﴿ فَالْمَرْبِ اللَّهِ فَالْمَوْمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ الْمُعْلَمِينَ ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِينِ ﴿ قَالَ وَاللَّهُ مِنْ الْمُنظِينِ مِن قَالَ فَاعْرُقِي اللَّهُ عَلَى مَنْ الْمُعْلَمِينَ ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي اللَّهُ الْمُعْلَمِ مِن قَالَ فَاعِنْ مِن قَالَ فَلِي يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلَمِ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُعْلَمِ مِن اللَّهُ مَلَانًا جَعَيْمُ اللَّهُ عَلَى مِنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة، وفي أول الأعراف، وفي سورة الحجر، وسبحان، والكهف، وههنا، وهي أن الله سبحانه وتعالى، أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حماً مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته، فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ، فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً، كان من الجن⁽¹⁾، فخانه طبعه وجبلته، فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عزّ وجل فيه، وادعى أنه خير من آدم، فإنه مخلوق من نار، وآدم خلق من طبن، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى، وكفر بذلك فأبعده الله عزّ وجل و وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه (إبليس) إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من الساء منموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى، وقال: لأ فيونهم أجمعين ه إلا عبادك منهم المخلصين ه، كما قال عزّ وجل: ﴿ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً هو وقولاء هم المستنون في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ه، وقوله تعالى: ﴿ وقال فالحق والحق أقول ، لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ه، وكقوله عزّ وجل: ﴿ وقال أملان جهنم من الجنة أجمعين ه، وكلوله عزّ وجل: ﴿ وقال أدهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً ه. والناس أجمعين ه، وكقوله عزّ وجل : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً ه.

قُلْ مَا أَسْتُلُكُرْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿ إِنَّا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَلَنَعْلَمُنَ نَبَأُهُ, بَعْدَ حِينِ ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿ إِنَّا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَكَنَعْلَمُنَ نَبَأُهُ, بَعْدَ حِينِ ﴿

 ⁽١) هذا الرأي وهو أن إبليس من الجن وليس من الملائكة هو الذي تطمئن إليه النفس وترتاح، وتدل عليه النصوص الشرعية
 كقوله تعالى: ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)، وانظر الأدلة في كتابنا (النبوة والأنبياء) صفحة (١٢٨) =

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ، وهذا النصح أجراً تعطوني إياه من عرض الحياة الدنيا ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به، ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أديته، لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، قال مسروق: أتينا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيكم عيائية: ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ و قوله تعالى: ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن، قال ابن عباس ﴿ للعالمين ﴾ قال: الجن والإنس (١)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾، وقوله تعالى ﴿ ولتعلمن نبأه ﴾ أي خبره وصدقه ﴿ بعد حين ﴾ أي عن قريب، قال قتادة: بعد الموت، قال عكرمة: يعني يوم القيامة، ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

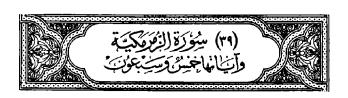
[آخر تفسير سورة (ص) ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁼ تحت عنوان : هل كان ابليس من الملائكة ؟

⁽١) أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش.

⁽۲) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .



روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله عَيْوَالِيَّهُ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان عَيْلِيَّهُ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر (۱)

تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مَا عَبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ الله

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو (القرآن العظم) من عنده تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عزّ وجل: ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾، وقال تعالى: ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾، وقال هاهنا ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز ﴾ أي المنيع الجناب ﴿ الحكيم ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ أي لا يقبل من العمل الإما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له، وقال قتادة ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله الا مأخبر عزّ وجلّ عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ أي إنحا يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام، اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لم عند الله تعالى، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، قال قتادة والسدي: ﴿ إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم قتادة والسدي: ﴿ إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم قتادة والسدي: ﴿ إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم

⁽١) أخرجه النسائي من حديث عائشة رضي الله عنها .

إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هـذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه، ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾، وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾، وأخبر أن الملائكة التي في السهاوات، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم ﴿ فلا تضربوا لله الأمال ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الله يحكم بينهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فيا هم فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، وبجزي كل عامل بعمله، ﴿ إِنَّ الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ أي لا يرشد إلى الهداية، من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى، وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ؛ ثم بيَّن تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة ، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى، فقال تبارك وتعالى: ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ أي لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيا ادعوه وزعموه كما قال عزّ وجلّ : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾، فهذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم، وقوله تعالى : ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ أي تعالى وتنزّه وتقدس، عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي قهر الأشياء، فدانت له وذلت وخضعت، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بُكُوِرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِرُ النَّهَارَ عَلَى النَّسِلِ وَسُخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَّرُ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَقَارُ فَيْ خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَحِدَةٍ مُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَالْقَمَّرُ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَقَارُ فَي خَلَقَكُم مِن الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةً أَزُواجٍ يَخْلُقُكُم فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًامِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُكُتِ ثَلَيْتُ ذَالِكُمُ الْمَلُكُ لَا إِلَنَه إِلَّا هُو فَأَنِّى تُصْرَفُونَ فَي

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السهاوات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب لبله ونهاره ﴿ يكور اللبل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ أي سخرهما يجريان متعاقبين، لا يفترقان، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، كقوله تعالى: ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وسخر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمى ﴾ أي إلى مدة معلومة عند الله تعالى، ثم ينقضي يوم القيامة ﴿ ألا هو العزيز الغفار ﴾ أي مع عزته وعظمته وكبريائه ، هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه ، وقوله جلت عظمته : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ وهو آدم عليه الصلاة واحدة ﴾ أي خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم ﴿ من نفس واحدة ﴾ وهو آدم عليه الصلاة

والسلام ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ أي وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج ، وهي المذكورة في سورة الأنعام من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن المعز اثنين، وقوله عز وجل: ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ أي قدركم في بطون أمهاتكم ﴾ وخلقاً من بعد خلق ﴾ يكون أحدكم أولاً نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحساً وعظماً وعصباً وعروقاً ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ، وقوله جل وعلا: ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ يعني ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، وظلمة البطن ، كذا قال ابن عباس ومجاهد " . وقوله جل جلاله : ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي همذا الذي خلقكم وخلق آباءكم ، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ﴿ لا إله ولا هو ﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿ فانّى تصرفون ﴾ ؟ أي فكيف تعبدون معه غيره ؟ وأين يذهب بعقولكم ؟

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِيًّ عَنَكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفُّرُ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضُهُ لَكُمُّ وَلا تَزِرُ وَازَرَةٌ وِذْرَ أُخْرَى فَمُ إِلَىٰ وَمُعَلَّمُ فَيُنَبِّئُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴿ ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرَّدُ وَعَارَبَهُم مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ بِعْمَةً مِنْهُ نَسِى مَا كَانَ يَدْعُواْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَهِ أَندَادًا لَهُ مُنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ أَندَادًا لِي اللَّهُ عَن سَبِيلَةٍ وَقُلْ مَنَ عَلَيْ اللَّهُ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَلِ النَّارِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى مخبراً عن نفسه جل وعلا أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى عليه السلام القومه: ﴿ إِن تَكفروا أَنتَم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ ، وفي الصحيح: ﴿ يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ أي لا يحبه ولا يأمر به ، ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ أي يحبه لكم ، ويزدكم من فضله ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً ، بل كلَّ مطالب بأمر نفسه ، ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿ إنه عليم بذات الصلور ﴾ أي فلا تخفى عليه خافية ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ﴾ أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضم وكان الإنسان كفوراً ﴾ ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وأذا عس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قاعداً وقاعداً وقاعداً وينسى ذلك الدعاء والتضرع ، كما قال جل جلاله : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قاعداً في في علما كنتم عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴾ أي في في طما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴾ أي في فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴾ أي في

⁽١) وهو قول عكرمة والضحَّاك والسدي وقتادة وابن زيد وغيرهم .

⁽٢) أخرجه مسلم في صحيحه وهو جزء من حديث قدسي طويل .

حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً، ﴿ قُل تُمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ أي قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه ﴿ تُمتع بكفرك قليلاً ﴾ وهو تهديد شديد، ووعيد أكيد، كقوله تعالى: ﴿ قُل تُمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ .

أُمَّنْ هُوَ قَانِتُ ءَانَاءَ ٱلَيْلِ سَاجِدًا وَقَايِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيُرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَمُونَ وَاللَّذِينَ الْآخِرَةَ وَيُرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَمُونَ وَاللَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَاللَّذِينَ لَا اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللْ

يقول تعالى: أمن هذه صفته، كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟ لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: في ليسوا سواء في، وقال تعالى ههنا: في أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما في الصلاة ، ليس هو القيام وحده، وفي حال قيامه، ولهذا استدل بهذه الآية، من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ، ليس هو القيام وحده، قال ابن مسعود: القانت المطبع لله عز وجل ، ولرسوله والله المناه ، وقال ابن عباس: في آناء الليل في أوله وأوسطه وآخره، وقوله تعالى: الثوري: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء، وقال الحسن وقتادة: في آناء الليل في أوله وأوسطه وآخره، وقوله تعالى: في يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في فإذا كان عند الاحتضار، المخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال تعالى: في يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في فإذا كان عند الاحتضار، فليكن الرجاء هو الغالب عليه، كما قال أنس رضي الله عنه : دخل رسول الله والله على على رجل وهو في الموت فقال له : « كيف تجدك » ؟ فقال: أرجو وأخاف، فقال رسول الله والله عنه المكاء أنه سمم ابن عمر رضي الموطن، إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو، وأمّنه الذي يخافه ه . وعن يحيى المكاء أنه سمم ابن عمر رضي الله عنهما فلك، لكثرة صلاة عثمان رضي الله عنه عنه نا كثرة صلاة عثمان رضي الله عنه عنها ذلك، لكثرة صلاة عثمان رضي الله عنه عنه الليل وقراء ته، كيان رضي الله عنه الشاعر : « كيان رخوي الله عنه و ركمة ، قال الساعر : الليل وقراء ته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، قال الشاعر :

﴿ يَفَطُّعُ اللَّهِ لَ تُسْبَيْحًا وَقُرْآنًا ﴾

وقوله تعالى: ﴿ قَلَ هَلَ يَسْتُويَ الذِّينَ يَعْلَمُونَ وَالذِّينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟ أي هل يَسْتُوي هذا، والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ؟ ﴿ إنَّمَا يَتَذَكَّرَ أُولُو الألباب﴾ أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا، من له لب، وهو العقل، والله أعلم .

قُلْ يَعِبَادِ ٱلَّذِينَ َّامَنُواْ ٱ تَقُواْ رَبَّكُم ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَانِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۖ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً ۗ إِنَّمَا يُوفَى

⁽١) أخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة .

 ⁽۲) وهو قول الحسن والسدي وابن زيد .

⁽٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة .

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم .

ٱلصَّنِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ فَي قُلْ إِنِّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُغْلِصًا لَهُ الدِينَ ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أُولَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين، بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿ قل با عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا ، حسنة في دنياهم وأخراهم، ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال مجاهد: فهاجروا فيها وجاهدوا ، واعتزلوا الأوثان، وقال: إذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا، ثم قرأ: ﴿ أَمْ تَكُنَ أَرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ ؟ وقوله تعالى: ﴿ إنحا يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال، إنحا يغرف لهم غرفاً، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك، وقال السدي: يعني في الجنة ، وقوله: ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي إنحا أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿ وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ قال السدي: يعني من أمته عليها .

قُلْ إِنِيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ ﴿ قُلِ اللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ وِينِي ﴿ فَآعَبُدُواْ مَا شِنْتُمْ مِّن دُونِهِ عَلْ إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ وَأُهْلِبِمْ يَوْمَ الْقَيْسَمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ هَا لَمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله في إني أخاف إن عصيت ربي عداب يوم عظيم كه وهو يوم القيامة، وهذا ومعناه التعريض بغيره، بطريق الأولى والأحرى، فو قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئم من دونه كه، وهذا أيضاً تهديد، وتبرّ منهم، فو قل إن الخاسرين كه أي إنحا الخاسرون كل الخسران فو الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة كه أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة، وذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور فو ألا ذلك هو الخسران المبين في هذا هو الخسران المبين، الظاهر الواضح، ثم وصف حالم في النار فقال: فو لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل كه، كما قال عزّ وجل: الواضح، ثم وصف حالم في النار فقال: فو لهم من فوقهم فواس وكذلك نجزي الظالمين كه، وقال تعالى: فو يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون كه وقوله جل جلاله: فو ذلك يخوف الله به عباده كه أى إنما يقص خبر هذا ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمآثم، وقوله تعالى: فو يا عباد فاتقون كه أي اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي .

* وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّنغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى اللهِ لَمُمُ الْبُشْرَى ۖ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿ اللَّهِ مَا لَذَينَ يَسْتَمِعُونَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَالْوَالْلِكَ اللَّهُ وَأَوْلُوْا الْأَلْبَبِ ﴿ وَاللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ وَأَوْلَ إِلَى اللَّهُ وَأَوْلُوْا الْأَلْبَبِ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَأَوْلُوْا الْأَلْبَبِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْوَلَ إِلَّهُ مَا اللَّهُ وَأَوْلُوا الْأَلْبَبِ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَالْوَلْمَ إِلَّهُ وَالْوَلَ إِلَى اللَّهُ وَالْوَالْمُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

قال زيد بن أسلم: نزلت الآية في (زيد بن عمرو) و (أبي ذر) و (سلمان الفارسي) رضي الله تعالى عنهم ،

والصحيح أنها شاملة لمم ولغيرهم، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلى عبادة الرحمن، فهؤلاء لمم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ فبشر عبادٍ م الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخلوا بأحسنها ﴾ ﴿ أولتك الذين هداهم الله ﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، ﴿ وأولئك هم أولو الألباب ﴾ أي ذوو العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة .

أَهَنْ حَتَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَتَ تُنقِذُ مَن فِي التَّارِينَ لَكِينِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْذِيَّةٌ تَجَرِّى مِن تَحْتِهَ ٱلْأَنْهَدُ وَعَدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿

يقول تعالى : أفن كتب الله أنه شقي هل تقدر أن تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله ، ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة ، وهي القصور الشاهقة ، هو من فوقها غرف مبنية كه طباق فوق طباق ، مبنيات محكمات ، مزخرفات عاليات ، وفي الصحيح : وإن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها ، وطهورها من بطونها ، فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ قال علي الله الله والناس نيام ه ، وروى الإمام أحمد ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله على قال : وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السهاء ه . وروى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله ! إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك عنه أعجبتنا الدنيا ، وشمنا النساء والأولاد ، قال علي الله أن أنكم تكونون على كل حال ، على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر له م المناذ يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال علي الية ذهب ولبنة فضة ، وبلاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها المؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينع ولا يأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبل ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب أن المهاوات ، ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزني لأنصرك ولو بعد حين " . وقوله تعالى : هو تجري من تحتها الأنهار كه المهاوات ، ويقول الذبي ذكرناه وعد وعده الله عاده المه عباده المهنا المهاد الله كلف المهاد الله علف المهاد الله علما المهاد الله علف المهاد الله علما المهاد الله علما المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد الله علما المهاد الله علم المهاد المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد المهاد المهاد الله علم المهاد الله علم المهاد ا

أَلَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءٌ فَسَلَكُمُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ ع زَرَّعَا ثَخْتَلِفًا أَلَوْنَهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَنَهُ مُصَّفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُحَطَنَاً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ اللَّهُ أَفْنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُو عَلَى نُورٍ مُصَفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُحُطَنَا إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّالَّالَةُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّال

⁽١) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب . (٣) أخرجه الإمام أحمد، وروى الترمذي وابن ماجة بعضه .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه الشيخان بلفظ: ٥ كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الشرقي أو الغربي ٥ . .

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السهاء، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنزلنا من السهاء ماء طهوراً ﴾ فإذا أنزل الماء من السهاء كمّن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، وينبعه عبوناً ما بين صغار وكبار، بحسب الحساجة إليها، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ فسلكه ينابيع في الأرض ﴾، عن ابن عباس قال: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السهاء، ولكن عروق في الأرض تغيره، فذلك قوله تعالى: ﴿ فسلكه ينابيع في الأرض ﴾ فن سره أن يعود الملح عذباً فليصعده العيون من أسافلها، وقوله تعالى: ﴿ ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ ، أي ثم يخرج بالماء النازل من السهاء، والنابع من الأرض ﴿ زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ أي أشكاله وطعومه، وروائحه ومنافعه ، بلماء النازل من السهاء، والناب يكتهل، فنراه مصفراً قد خالطه اليس، ﴿ ثم يجعله حطاماً ﴾ أي ثم يعود عضرة ناضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، والشاب يعود شيخاً هرماً ، كبيراً ضعيفاً ، وبعد ذلك كله الموت؛ عالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أَفْن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ أي هل يستوي هذا، ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ؟ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ أو من كان مبناً فأحييناه وجعلنا أي ها للقاسية أي ها يشي به في الناس كمن مشله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ؟ ولهذا قال تعالى ؛ ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ أي فلا تلين عند ذكره ، ولا تخشع ولا تفي ولا تفهم ﴿ أولئك في ضلال مبن ﴾ .

* اللهُ نزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَدَّبًا مُتَشَنِهًا مَّنَانِيَ تَقْشَعِرْ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهُ فَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿

هذا مدح من الله عزّ وجلّ لكتابه (القرآن العظيم) المنزل على رسوله الكريم، قال الله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني، وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف، وقال الضحاك ﴿ مثاني ﴾ ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى، وقال عبد الرحمن ابن زيد: ﴿ مثاني ﴾ مردَّد، ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة، وقال ابن عباس ﴿ مثاني ﴾ أي القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويُردُّ بعضه على بعض. وقوله تعالى: ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار المهيمين العزيز الغفار . لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية المهيم إلى ذكر الله ﴾، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم والمخوف، ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه : (أحدها) أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات . (الثاني) أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن ﴿ خروا سجداً وبكياً ﴾ بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، القينات . (الثاني) أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن ﴿ خروا سجداً وبكياً ﴾ بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ﴾ أي لم يكونوا عند

⁽١) رواه ابن أبي حاتم، وهكذا قال الشعبي وسعيد بن جبير ان كل ماء في الأرض فأصله من السهاء

سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لمغيرهم .
والثالث في أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية، ما لا يلحقهم أحد في ذلك، تلا قتادة رحمه الله: فو تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله في قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله عزّ وجلّ بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم ، إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان، وقال السدي فو إلى ذكر الله في أي وعد الله، وقوله فو ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده في أي هذه صفة من هداه الله أو ومن كان على خلاف ذلك، فهو ممن أضله الله فو ومن يضلل الله فا له من هاد في .

أَفَنَ يَتَّقِى بِوَجْهِهِ عَسُومَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيدَمَّةِ وَقِيلَ لِلظَّنلِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿ كُذَّبَ اللَّيْنَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُزْى فِي الْخَيَوْةِ الدُّنْيَّ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ قَبْلِهِمْ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُزْى فِي الْخَيَوْةِ الدُّنْيَّ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ وَالمُّنْيَّ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ وَالمُّنْيَّ وَكَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَالْمَالِمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الل

يقول تعالى: ﴿ أَفَن يَتَقَى بُوجِهِهُ سُوء العذابِ يُوم القيامة ﴾ ويقرع فيقال له ولأمثاله من الظالمين، ﴿ فَوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ كمن يأتي آمناً يوم القيامة ؟ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ أَفْن يَمْشِي مَكِباً عَلَى وجهه أهدى أَمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ ؟ وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَفْن يلقى في النار خير أَم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾، واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر ، وقوله جلت عظمته: ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، وقوله جلّ وعلا ﴿ فَأَذَاقِهُم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال، وتشفي المؤمنين منهم، فليحذر المخاطبون من ذلك فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء عَلِيليًّا ، والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد ، أعظم مما أصابهم في الدنيا ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ .

* وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَنَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ قُرْءَانَا عَرَبِيكَ غَيْرَ ذِي عَلَى اللَّهُ مَنَكَ اللَّهُ مَثَلَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلَا اللَّهُ مَثَلًا اللَّهُ مَثَلَا اللَّهُ الللللَّهُ الللللللَّةُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللللَّةُ الللللللِّلُ

يقول تعالى: ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿ لعلهم يتذكّرون﴾ فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها

إلا العالمون كه ، وقوله جل وعلا: ﴿ قرآناً عربيــا غير ذي عوج ﴾ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيــان ووضوح وبرهان، وإنمــا جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك ﴿ لَعَلْهِــم يتقونكه أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد ، ثم قال: ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴾ أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿ ورجلاً سلماً ﴾ أي سالماً ﴿ لرجل﴾ أي خالصماً لا يملكه أحــد غيره ، ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ ؟ أي لا يستوي هذا وهذا، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحــده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس ومجاهد : هَذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهراً بيناً جلياً قال: ﴿ الحمد لله ﴾ أي على إقامة الحجة عليهم ﴿ بَلَ أَكْثَرُهُمُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي فلهذا يشركون بالله، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنكِ ميت وإنهم ميتون ﴾ في الدنيًا من التوحيد والشرك بين يدي الله عزّ وجلٌّ، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين، ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكــافرين : وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة . روي أنه لمــا نزلت ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قــال الزبير رضي الله عنه : يا رسول الله ! أتكرر علينا الخصومة ؟ قال عَلَيْنَة : « نعم »، قال رضي الله عنه: إن الأمر إذاً لشديد^{٧)} ، وعن الزبير ابن العوام رضي الله عنه قال: لمــا نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ ﴿ إِنْكُ ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾، قال الزبير رضي الله عنه: أي رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال عَيْنِكُمْ : « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه » قال الزبير رضي الله عنه : والله إن الأمر لشديد^M.

وفي الحديث: «أول الخصمين يوم القيامة جاران » أو المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله يَتَلِيَّهُ شاتين ينتطحان، فقال: «أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر »، قلت: لا، قال عَلِيَّةُ: «لكن الله يدري وسيحكم بينهما » أو وقال الحافظ أبو بكر البزار، عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلَيْتُهُ: « يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية، فيفلحون عليه، فيقال له: سدّ ركناً من أركان جهنم ه أه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون في يقول: يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجدد، فتقول الروح للجدد: أنت فعلت، ويقول الجسد للروح: أنت أمرت، وأنت سولت،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي والإمام أحمِد وابن ماجة بزيادة فيه .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد أيضاً .

^{. (}٥) رواه الحافظ البزار .

فيعث الله تعالى ملكاً يفصل بينهما، فيقول لهما: إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير، والآخر ضرير، دخلا بستاناً، فقال المقعد للضرير: إني أرى ههنا ثماراً، ولكن لا أصل إليها، فقال له الضرير: اركبني فتناولها، فركبه فتناولها، فأيهما المعتدي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكا قد حكتما على أنفسكا، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهو راكبه ما وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال، قلنا: من تخاصم؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فن نخاصم؟ حتى وقعت الفتنة، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا الذي وعدنا ربنا عمر وحل نختصم فيه ما وقال أبو العالمية: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ يعني أهل القبلة، عقر وجل نختصم فيه أهل الإسلام وأهل الكفر، وقد قدمنا أن الصحيح العموم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِنَ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْكَنفِرِينَ ﴿ وَالَّذِي جَآءَ أَوْ اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْكَخِيزِينَ ﴿ وَالَّذِي عَلَمُ المُتَقُونَ ﴿ مَا مَا اللَّهِ عَلَمُ مَا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَالِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَاللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَلْدَى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ وَيَعَزِيَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ اللَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

يقول عزّ وجلّ مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلحة أخرى، وادعوا إن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولداً – تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً – ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على الله وكذب بالصدق طلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ فَن أَظلَم بمن كذب على الله وكذب رسول الله يَها إذ جاءه ﴾ أي لا أحد أظلم من هذا، لأنه جمع بدين طرقي الباطل: كذب على الله، وكذب رسول الله يَها قال الباطل، ورد الحق، ولهذا قبال جلت عظمته متوعداً لهم ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ ؟ وهم الجاحلون المكذبون، ثم قبال جل وعلا ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : ﴿ الذي جاء بالصدق من حاء بلا إله إلا الله ﴿ وصدّق به ﴾ يعني محمداً عَها أن ابن عباس : من جاء بلا إله إلا الله ﴿ وصدّق به ﴾ يعني رسول الله عَها الله الله عن معمداً عَها أن المؤمنون يجيئون يوم القيامة ، فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بمنا أمر تمونا ، وهذا القول " يشمل كل المؤمنون بجيئون يوم القيامة ، الحق و يعملون به ، والرسول عَها أولى النباس بالدخول في هذه الآية، فإنه جناء بالصدق وصدّق المرسلين، وآمن المحون ويعملون به ، والرسول عَها أولى النباس بالدخول في هذه الآية، فإنه جناء بالصدق وصدّق المرسلين، وآمن المحون به ما المتقون ﴾ قال ابن عباس : اتقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاؤون عند ربهم ﴾ يعني في الجنة ، مهما طلبوا وجدوا ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ الآية الأخرى : ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة قال عن الآية الأخرى : ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وحد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

⁽١) رواه ابن منده في كتاب الروح ولم يشر له ابن كثير بضعف . ﴿ (٣) وَهُو رَوَايَة لَيْتُ عَنْ مُجَاهِد وهُو اختيار ابن كثير .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه النسائي عن ابن عمر .

أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُحَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَ لَهُ مِنْ هَادِ ﴿ وَمَن يَهْدِ اللهُ فَلَ لَهُ مِن مُّطِيلًا اللهُ فِكَا لَهُ مِن مُّطِيلًا اللهُ عِنْ مَنْ خَلَق السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَ اللهُ فَلَ اللهُ مِن مُّضِيلًا أَلْمَا اللهُ بِعَزِيزِ ذِى انتِقَادِ ﴿ وَلَا اللهَ مِنْ طَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَ اللهُ فَلَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ إِنْ أَرَادَنِي اللهُ بِعِضْ مِن اللهُ عَلَيْهِ إِنْ أَرَادَنِي اللهُ بِعَضْرٍ هَلَ هُنَّ كَيْشِفَتُ ضُرِّهِ وَأَوْلَا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَى عَلِمُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَى عَلِمِ اللهُ عَلَيْهِ عَدَابٌ مُقِيمً وَيَعِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمً وَيَعَلَى اللهُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمً وَيَعَلَى اللهُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمً وَيَعِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقَامِلًا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَيْ عَلِيلًا عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيلًا عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقَامِلًا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَيْ عَلِيلًا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَيْ عَلِيلًا عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقَالِعُ مَا عَمْ اللهُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقَامِلًا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَيْ عَلِيلًا عَلَيْهِ عَلَى اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

يقول الله تعالى : ﴿ أَلْيَسَ الله بَكَافَ عَبْدُهُ ﴾ يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكّل عليه، وفي الحديث : ه أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به ®®. ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ يعني المشركين يحوَّفون الرسول ﷺ؛ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم، التي يدعونها من دون الله جهلاً منهم وضلالاً " ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ يَصْلُلُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَنْ هَادَ مَ وَمَنْ يَهِدُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَنْ مَصْلُ أَليس الله بعزيز ذي انتقام ؟ ﴾ أي منيع الجناب لا يضام من استند إلى جنــابه، ولجـــاً إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاماً منه، ممن كفر به وأشرك، وعــاند رسوله ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئَنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّهَاوَاتُ وَالأَرْضُ ليقولنَ اللَّهُ ﴾ يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عزّ وجلّ هو الخالق للأشياء كلها، ومع هــذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولهذا قــال تعالى: ﴿ قُل أَفْرأَيتُم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضَره ؟ أوأرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾ ؟ أي لا تستطيع شيئاً من الأمر ، وفي الحديث: « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ٣٥٥ الحديث. ﴿ قُلْ حَسَى اللَّهُ ﴾ أي الله كافي، ﴿ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾، كما قال (هود) عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنِّي توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخــذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ٩ من أحب أن يكون أقوى النــاس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى النــاس فليكن بما في يد الله عزَّ وجلَّ أوثق منه بمــا في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم النــاس فلينق الله عزَّ وجلَّ ، ® ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا قُومُ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتُكُم ﴾ أي على طريقتكم ، وهـــذا تهديد ووعيد ، ﴿ إنِّي عامل﴾ أي على الدنيا ، ﴿ ويحل عليـه عذاب مقيم ﴾ أي دائم مستمر ، لا محيد له عنـه ، وذلك يوم القيــامة ، أعـــاذنا الله منها .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن فضالة بن عبيد الأنصاري مرفوعاً ورواه الترمذي والنسائي بنحوه .

 ⁽۲) عن معمر قال : قالوا للنبي على : لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ ،
 أخرجه عبد الرزاق كما في اللباب .

 ⁽٣) الحديث رواه ابن أبي حاتم والترمذي .
 (٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعاً .

إِنَّا أَنَرُنْنَا عَلَيْكَ الْكِتَنْبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ آهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۚ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِلٍ ۞ اللَّهُ يَتَوَفَى اللَّهُ يَتَوَفَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْرَىٰ إِلَىٰ أَخِلِ مُسَمِّى اللَّهُ يَتَوَفَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلِ مُسَمَّى إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَنتِ لِقَوْمِ بَنَفَكُرُونَ ۞

يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً عليه : ﴿ إِنَا أَنْرِلْنَا عليك الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ للنَّاس بالحق ﴾ أي لجميع الخلق من الإنس والجن، لتنذرهم به، ﴿ فَن اهتدى فلنفسه ﴾ أي فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي بموكل أن يهتدوا، ﴿ إنما أنت نذير ﴾ ، ﴿ إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ ، ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ الآية، وقال: ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ ، فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، وفي هذه الآية لذكر الكبرى ثم الصغرى، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تحت في منامها فيمسك ذكر الكبرى ثم الصغرى، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تحت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ، فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى ، كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على أنها بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين * () ، وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا أموات أذا الله قال ابن عباس: يملك أنفس الأموات، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، قال السدي: إلى بقية أجلها، وقال ابن عباس: يملك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء، ولا يغلط ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

أَمِ الشَّخُذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءً ۚ قُلَ أَوَلُوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْءًا وَلَا يَعْفِلُونَ ﴿ قُلُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ الللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ الللللُ

يقول تعالى ذاماً للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان، وهي لا تملك شيئاً من الأمر، وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوانات بكثير، ثم قال ﴿ قَلْ ﴾ أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين

⁽١) أخرجه البخاري ومــلم عن أبي هريرة مرفوعاً .

أن ما اتخذوه شفعاء لم عند الله تعالى، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه فو من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فه، فو له ملك السهاوات والأرض فه أي هو المتصرف في جميع ذلك، فو ثم إليه ترجعون فه أي يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله ، ثم قال تعالى ذاماً للمشركين أيضاً: فو إذا ذكر الله وحده فه أي إذا قيل لا إله إلا الله وحده، فو اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فه قال مجاهد: اشمأزت انقبضت، وقال السدي: نفرت، وقال قتادة: كفرت واستكبرت، كما قال تعالى: فو إنها كانوا إذا قيل لم لا إله إلا الله يستكبرون فه أي عن المتابعة والانقياد لها ، فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر، ولذلك قال تبارك وتعالى: فو وإذا ذكر الذين من دونه فه أي من الأصنام والأنداد فو إذا هم يستبشرون فه أي يفرحون ويسرون .

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ عَلِمَ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ أَنتَ تَحْكُرُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ وَلَوْ أَنَّ اللَّهُ مَا لَكُونُ اللَّهُ مَعَهُ لِا فَتَكَوْا بِهِ عِن سُوَّ وَالْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقَيَدَمَةُ وَبَدَا لَهُم

مِّنَ ٱللَّهِ مَالَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّعَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ ۽ يَسْنَهْ زِءُونَ ﴿

يقول تبارك وتعالى، بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر، من المذمة لم في حبهم الشرك، ونفرتهم عن التوحيد في اللهم فاطر السهاوات والأرض عالم الغيب والشهادة في أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السهاوات والأرض وفطرها، أي جعلها على غير مثال سبق، في عالم الغيب والشهادة في أي السر والعلانية، في أنت تحكم بين عبادك فيا كانوا فيه يمتلفون في في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم، روى مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله عليه في مصلاته إذا قام من الليل افتتح صلاته: « اللهسم صلاته إذا قام من الليل افتتح صلاته: « اللهسم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السهاوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيا كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ؟ أ. وقال رسول الله يوسله أن لا إله إلا أنت وحلك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشهد أن لا إله إلا أنت وحلك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من السعاد، إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة: إن عبدي قسد عهد إلي عهداً فأوقوه إياه، فيدخله الله الجنة ؟ ألم سعت من رسول الله عنهما فقلت له: حدثنا ما الميعت من رسول الله عنهما فقلت له: حدثنا ما فيم من رسول الله عنهما فقلت له: حدثنا ما فيها، فإذا وروى الله منهمة وفقال؛ هذا ما كتب لي رسول الله عنهما فقلت له: حدثنا ما فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وفقال له رسول فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وقفال له رسول

⁽١) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الله عَلَيْكَ : «يا أبا بكر ، قل: اللهم فاطر السهاوات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إلّه إلا أنت رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، أن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم ه^(۱) ، وقوله عز وجل: ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ وهم المشركون ﴿ ما في الأرض جميعاً ومثله معه ﴾ أي ولو أن جميع ما في الأرض وضعفه معه ﴿ لافتدوا به من سوء العذاب ﴾ أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم، ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم، ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحذاب والنكال ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا بستهزئون به في الدار الدنيا .

* فَإِذَا مَسَ الْإِنسَانَ ضُرَّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَنَاهُ نِعْمَةُ مِنَّا قَالَ إِثَمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمِهِ بَلَّ هِى فِتْنَةٌ وَلَكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ فَيَ قَلْمَ اللَّهِمْ فَا آَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ فَا قَاضَا بَهُمْ سَيِّعَاتُ مَا كَشَبُواْ وَمَا هُم يِمُعْجِزِينَ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ لَكَنَاهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَاكَ لَا يَتِ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الل

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل، وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوّله نعمة منه بغى وطغى، وقال: ﴿ إنما أوتيته على علم ﴾ أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا، قال قتادة ﴿ على علم عندي ﴾ على خبر عندي، قال الله عز وجلّ: ﴿ بل هي فتنة ﴾ أي ليس الأمر كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيا أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك فهي ﴿ فتنة ﴾ أي اختبار ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ، فلهذا يقولون ويدعون ما يدعون، ﴿ قد قالحا الذين قبلهم ﴾ أي قد قال هذه المقالة وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم، ﴿ فا أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي فما صح قولم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون ، ﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ أي من المخاطبين ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾، أي كما أصاب أولئك ﴿ وما هم بمعجزين ﴾ ، كما قال تبارك وتعالى مخبراً عن قارون ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أي لعبراً وحججاً .

* قُلْ يَنْعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُم هُو

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي وقال : حسن غريب .

الْغَفُورُ الرِّحِيمُ ﴿ وَأُنِيبُواْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأُسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيكُو الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ وَأَنْ اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَدَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَدَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَا الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ ع

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر المنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً على فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزل: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحت ولا يزنون ﴾ وزن : ﴿ قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ . وعن ثوبان مولى رسول الله يهذه الآية ﴿ قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ . إلى آخر الآية . وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قبال : جاء رجل إلى النبي عيك شيخ أن لا إلا الله ؟ فقال على أنفسهم ﴾ . ألى آخر الآية إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي ؟ فقال على أنست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى، وأشهد أنك رسول الله ، فقال على الذي عفر لك غدراتك وفجراتك . أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى، وأشهد أنك رسول الله ، فقال على إلى الذي يقول : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً وصعته على يقول : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الففور الرحيم ﴾ (أ) .

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة، ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَ الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾، وقال عزّ وجلّ : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحياً ﴾، وقال جلّ وعلا في حق المنافقين: ﴿ إِنَ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً م إلا الذين تابوا وأصلحوا ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى

⁽١) أخرجه البخاري ورواه مسلم وأبو داود والنسائي .

 ⁽٢) أخرجه الإمام أحمد عن ثوٰبان رضي الله عنه .

⁽٣) تفرد به أحمد من حديث عمرو بن عنبسة .

⁽٤) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، والآيات في هذا كثيرة جداً، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً، ثم ندم وسأل عابداً من عبـــاد بني إسرائيل هل له من توبة ؟ فقال: لا ، فقتله وأكمل بــه مائة، ثم سأل عالمــاً من علمائهم هل له من توبة ؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها، فأتاه الموت في أثنساء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمر الله عزّ وجلّ أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها، فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة، هذا معنى الحديث، وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه، وقال ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ قُلْ يَا عَبَادَي الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أنفسهم ﴾ الآية، قال: قد دعاً الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيرًا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾. ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء، من قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلِي ﴾ وقال: ﴿ مَا عَلَمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَّهُ غَيْرِي ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: من من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه، وروى الطبراني عن ابن مسعود قال: إن أعظم آية في كتاب الله ﴿ الله لا إِلَّه إِلا هو الحي القيوم ﴾ وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر ﴿ إن الله يأمر بالعدل والْإحسان﴾، وإن أكثُر آية في القرآن فرحاً ﴿ قل يا عبادي الذينَ أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾، وإن أشد آية في كتاب الله تفويضاً ﴿ ومن يُتَق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾^{١0}. ومرَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على قاصٍ وهو يذكر الناس، فقال: يا مذكر لِمَ تقنطِ الناسَ من رحمة الله؟ ثم قرأ ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (^(۱)

(ذكر أحاديث فيها نفي القنوط)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله يَطْلِيْهِ يقول: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السهاء والأرض، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عزّ وجلَّ بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم » من أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله عليات يقول: « لولا أنكم تذنبون لخلق الله عزّ وجلَّ قوماً يذنبون فيغفر لهم » (۵) ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال، قال رسول الله عليات : « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » (۵). ثم استحث تبارك الذنب الندامة » (۵) ، وقال رسول الله عليات : « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » (۵). ثم استحث تبارك

⁽١) رواه الطبراني عن ابن مسعود موقوفاً .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أيضاً .

⁽٣) تفرد به الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك .

⁽٤) أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي .

⁽٥) أخرجه أحمد عن ابن عباس مرفوعاً .

⁽٦) تفرد به الإمام أحمد .

وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: ﴿ وَأَنْبِبُوا إِلَى رَبُّكُمْ وأَسْلَمُوا لَهُ ﴾ الخ، أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة، ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ وهو القرآن العظيم ﴿ من قبل أن يأتيكم العذابُ بغتةً وأنتم لا تشعرون﴾ أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون، ثم قال تعالى : ﴿ أَن تقول نفس يا حسرتا على مــا فرطت في جنب الله ﴾ أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويــود لو كــان من المحــنين المخلصــين المطيعــين لله عزٌّ وجــلُّ ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُ لَمْنَ السَّاخِرِينَ ﴾ أي إنمــا كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غــير موقـــن مصدق، ﴿ أَو تَقُولُ لُو أَن الله هداني لكنت من المتقين ۥ أَو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل، قال ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قاثلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، وقال تعالى: ﴿ وَلا يَنبَئْكُ مثل خبير ﴾، ﴿ أَن تَقُول نَفُس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ـ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ـ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ فأخبر الله عزُّ وجلُّ أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال: ﴿ وَلُو رَدُوا لَعَادُوا لَمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُم لَكَاذُبُونَ﴾، وفي الحديث: ۩ كل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة، قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني قال: فيكون له الشكر »^(١)، ولما تمنى أهل الجراثم العود إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ بلي قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ أي قد جاءتك أيها العبد النادم آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها .

وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مَّشُودَةً أَلَيْسَ فِجَهَمَ مَثْوَى لِلْمُنَكَيِّرِينَ ﴿ وَيُخِبِّى اللهُ الَّذِينَ اللهُ الَّذِينَ اللهُ الَّذِينَ اللهُ الَّذِينَ اللهُ اللهِ عَفَازَتِهِمْ لَا يَمَشْهُمُ السُّوَ عُولَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴿

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، قال تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ أي يدعواهم له شريكاً وولداً ، ﴿ وجوههم مسودة ﴾ أي بكذبهم وافترائهم . وقوله تعالى : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ ؟ أي أليست جهنم كافية سجناً وموثلاً ، لم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم عن الانقياد للحق ؟ وفي الحديث : إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجناً من النار في واد يقال له (بولس) من نار الأنيار ، ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال ٣٠٥ ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ﴾ أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ، ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، بل هم آمنون من كل فزع ، مزحزحون عن كل شر ، نائلون كل خبر .

⁽١) أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً .

اللهُ خَلِقُكُلِ شَيْءٌ وَهُو عَلَى كُلِ شَيْء وَكِلُ ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ اللهِ أَوْلَاَ إِنَّ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ اللهِ أَوْلَاَ إِنَّ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ اللهِ أَوْلَاَ إِنَّ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ اللهِ أَوْلَا إِنَّ اللهِ مَا الْحَيْفِلُونَ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّا اللَّهُ اللَّلْمُ

مِن قَبْلِكَ لَهِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَنَكُونَ مِنَ ٱلْخَلِيرِينَ ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَأَعْبُدْ وَكُن مِنَ ٱلشَّلِكِينَ ﴿

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكلُّ تحت تدبيره وقهره وكلاءته، قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية، وقال السدي: ﴿ له مقاليد السهاوات والأرض ﴾ أي خزائن السهاوات والأرض، والمعنى على كلا القولين أن أزمَّة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ه ولهذا قال جل وعلا: ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي حججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ قُل أَفْنِير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ و ذكروا في سبب نزولها أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله على الله إلى عبادة آلهم ويعبدوا معه إله فنزلت: ﴿ قُل أَفْنِير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ؟ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (المهند كقوله تعالى: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك .

* وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهُ حَتَّى قَدْرِهِ = وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَنُهُ, يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وَٱلسَّمَلُوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ = سُبْحَلْنَهُ, وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞

يقول تبارك وتعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم القدادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قدره وقدرته، قال مجاهد: نزلت في قريش، وقال السدي: ما عظموه حق تعظيمه، وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوا، وقال ابن عباس: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآبة الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف، قال البخاري: قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ " عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله على المباوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والشرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله على المباوات على إصبع، والأرض جميعاً قبضته يوم على إصبع، وروى الإمام أحمد، عن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي عيالية من أهل الكتاب القيامة كه الآية أن الذي على المباوات على النبي على النبي عبدالله من أهل الكتاب عن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي عبدالله من أهل الكتاب القيامة كه الآية أن الم النبي عبدالله من أهل الكتاب القيامة كه الآية أن الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي عبدالله من أهل الكتاب

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

⁽۲) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على إصبع، والساوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والمسجر على إصبع، قال فضحك رسول الله على إصبع، قال: وأنزل الله عرّ وجلّ: ﴿ وَمَا قَلُمُوا الله حَقّ قلره ﴾ إلى آخر الآية (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عقول: أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ ٣٠ . وعن أبن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله على الله على المنبر: ﴿ وَمَا قلروا الله حق قلره الله عنهما قال: إن رسول الله على الله على المنبر: ﴿ وَمَا قلروا الله حق قلره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والساوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾، ورسول الله عنها يقول هكذا بيله يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم »، ورجف برسول الله على المنبر حتى قلنا: ليخرن به ()

وَنُفِخَ فِي الصَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَّتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِأْىَ ۚ بِالنَّبِيِّيْنَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِى بَيْنَهُم بِالْحَتِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ وَوُقِيَتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالى: فونفخ في الصور فصعق من في السهاوات ومن في الأرض إلا من شاء الله هذه النفخة هي الثانية وهي (نفخة الصعق) وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السهاوات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿ لَمْ الملك اليوم ﴾ ؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿ لَمْ الملك اليوم ﴾ ؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿ لَمْ الله عَلَى كُلُ شيء، وحكمت بالفناء على كُل شيء، ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة (نفخة البعث) قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ أي أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ ثم إنا هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

روى الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله على الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لله أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، أو أربعين ليلة الله الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه (عروة بن مسعود الثقفي)، فيظهر فيهلكه الله تعالى، ثم يلبث الناس بعده سنين سبعاً ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله تعالى ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري ـ

⁽٤) الشك من الراوي وليس من لفظ النبوة فتنبه .

⁽١) أخرجه أحمد ورواه البخاري ومسلم والنسائي .

⁽٣) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجة .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ﴿ ووضع الكتاب ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال، ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿ والشهداء ﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بالعدل، ﴿ وهم لا يظلمون ﴾، كما قال تعالى: ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ، ولهذا قال: ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي من خير أو شر ، ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ .

* وَسِينَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبُوٰبُهَا وَقَالَ لَمُمْ خَزَنَتُهَاۤ اَلَمْ يَا أَتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَنِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِفَآءَ يَوْمِكُمْ هَنذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَهُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ ۞ قِيلَ ٱدْخُلُواْ أَبْوَبَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيها فَيْشَ مَثْوَى ٱلْمُنْكَبِرِينَ ۞

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار ، كيف يساقون إلى النار سوقاً عنيفاً، بزجر وتهديد ووعيد، كما قسال عزّ وجلّ: ﴿ يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دعاً ﴾ أي يدفعون إليها دفعاً وهم عطاش ظماء ، كما قسال جلّ وعلا في الآية الأخرى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً • ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾، وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي ، كما قسال تعالى: ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية ، الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى، على وجه التقريع

⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم في صحيحه واللفظ له .

⁽٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة , وعجب الذنب : العصعص .

والتوبيخ والتنكيل: ﴿ أَمْ يَأْتَكُم رَسُلُ مِنكُم ﴾ ؟ أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ، ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم ﴾ أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ، ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لم : ﴿ بلى ﴾ أي قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، ﴿ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم ندير ه قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه ، بما حكم العدل الخبير عليهم به ، ولهذا قال جلّ وعلا : ﴿ قبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ أي ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها ، ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عنها عليه الحق ، فبئس الحال وبئس المال .

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَقَوْا رَبُّمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَّرًا حَتَىٰ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ نَعَزَنَهُا سَلَامٌ عَلَيْكُرْ طِبْتُمْ فَاذْخُلُوهَا خَلِدِينَ ﴿ وَقَالُواْ الْحَمَّدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ, وَأَوْرَثَنَا ٱلأرضَ نَلَبَواْ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآةً فَيَعْمَ أَجُرُ الْعَنْمِلِينَ ﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين، حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة، ﴿ زَمراً ﴾ أي جماعة بعد جماعة : المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، وكل زمرة تناسب بعضها بعضاً . ﴿ حتى إذا جاءوها ﴾ أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط، حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال وسول الله على أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله على أول من يقرع باب الجنة يوم الجنة » و و في لفظ : « وأنا أول من يقرع باب الجنة يوم الجنة » و و في الفظ : « وأنا أول من يقرع باب الجنة يوم المنتفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد – قال – فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحسد قبلك » " وقال رسول الله على المناهم الذهب والفضة وبجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد ولا يمتخطون فيها ولا يتفلون فيها ولا يتفلون فيها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبّحون الله تعالى بكرة وعشياً » " . وروى المحافظ أبو يعلى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله عنه قال، قال رسول الله المحد الله من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبّحون الله تعالى بكرة وعشياً » " . وروى الحافظ أبو يعلى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله يسبّحون الله تعالى بكرة وعشياً » " . وروى الحافظ أبو يعلى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله

⁽١) أخرجه مسلم عن أنَس مرفوعًا .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه .

⁽٣) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

عَلَيْكُ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليسلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السهاء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغرطون ولا يتخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة (١) ، وأزواجهم المحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعـاً في السهاء » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل: « فيقول الله تعالى : يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة أو هجر – وهجر مكة – وفي رواية – مكة وبصرى "، وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام "، وقوله تبارك وتعالى : هو وقال لم خزنتها سلام عليكم طبتم فه أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وجزاؤكم، وقوله: فو فادخلوها خالدين في أي ماكثين فيها أبداً لا يبغون عنها حولاً، فو وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فه أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظم ، والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك : فو الحمد لله الذي صدقنا وعده فه أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا فو ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف المبعاد في ، فوقالوا الحمد لله الذي أخدن عن الحزن إن ربنا لغفور رسلك ولا تحزنا يوم القيامة إنك لا تخلف المبعاد في أصب ولا يمسنا فيها لغوب في ، وقوله: فو وأورثنا الأرض شكور ه الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب في ، وقوله : فو وأورثنا الأرض

⁽١) الألوة : العود الذي يتبخر به . ﴿ ٤) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه . (٥) أخرجه مسلم في صحيحه .

⁽٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن معاذ رضي الله عنه .

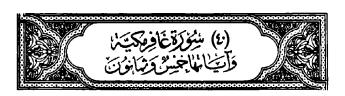
نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾. قال أبو العالية وقتادة والسدي : أي أرض الجنة، فهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدَ كَتَبَنَا فِي الزَبُورِ مِن بَعَدَ الذّكرِ أَن الأَرْضِ يَرْتُهَا عَبَادِي الصالحون ﴾ ، ولهذا قالوا : ﴿ نتبوأ مِن الجنة حيث نشاء ﴾ أي أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا. وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه في قصــة المعراج قال النبي عَلِيْكُ : ﴿ أَدَخَلَتَ الجنة فإذا فيها جنابذ (اللّؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » ، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : إن ابن صائد سأل رسول الله عَلَيْكُ عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » ()

وروى ابن أبي حاتم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ قال: سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة، فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلم تغير أبشارهم بعدها أبداً، ولم تشعث أشعارهم بعدها أبداً ، فإنحا دهنوا بالدهان ثم عمدوا إلى الأخرى، كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهب ما كان في بطونهم من أذى أو قذى، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة: ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ ، وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الخبية، أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قال: وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان باسعه في الدنيا، فيقلن: أنت رأيته، فيقول: نعم، فيستخفهن الفرح حتى تخرج إلى أسكفة الباب، قال: فيجيء باسعه في الدنيا، فيقلن: أنت رأيته، فيقول: نعم، فيستخفهن الفرح حتى تخرج إلى أسكفة الباب، قال: فيجيء جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض، ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فلولا أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب ببصره إنه لمثل البرق، ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين، ثم يتكيّ إلى أريكة من أرائكه ثم يقول: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ .

* وَتَرَى الْمُلَكَهِكَةُ حَاقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمٌ ۖ وَقُضِى بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴿ اللَّهِ اللّ

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزّل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول العرش المجيد، يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه، ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿ وقضي بينهم ﴾ أي بين الخلائق ﴿ بالحق ﴾، ثم قال ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ أي نطق الكون أجمعه، ناطقه وبهيمه، لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ ، واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

⁽١) الجنابذ : ما ارتفع من الأرض وغيرها والمراد عقود اللؤلؤ . - (٢) أخرجه مسلم وعبد بن حميد . الدومك: التراب الناعم .



أما الكلام على الحروف المقطعة فقــد تقدم في أول سورة البقرة بمــا أغنى عن إعادته ههنا،

وقوله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ ، أي تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذي العزة والعلم فلا يرام جنابه ، ولا يخفى عليه الذّر وإن تكاثف حجابه ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ أي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه ، وخضع لديه ، وقوله جل وعلا ﴿ شديد المقاب ﴾ أي لمن تمرد وطغى ، وآثر الحياة الدنيا ، وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى ، وهذه كقوله : ﴿ نبى عبادي أني أنا الغفور الرحيم • وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بعن الرجاء والخوف، وقوله تعالى : ﴿ ذي الطول ﴾ قال ابن عباس : يعني السعة والغني (، وقال يزيد بن الأصم ﴿ ذي الطول ﴾ يعني الخير الكثير ، وقال عكرمة : ذي المن ، وقال قتادة : ذي النعم والفواضل ، وأن المنتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة والمعنى أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ الآية ، وقوله جلت عظمته : ﴿ لا إلّه إلا هو ﴾ أي لا نظير له في جميع صفاته فلا إلّه غيره ولا رب سواه ، ﴿ إليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ، وقال أبو بكر عباس : عباس ، وكان يفد إلى عمر رضي الله عنه : ﴿ حم ه تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ ، وقال : اعمل ولا تيأس (، وكان يفد إلى عمر وقال : اعمل ولا تيأس () ، وعن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد إلى عمر وقال : اعمل ولا تيأس () ، وعن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد إلى عمر

⁽١) وهو قول مجاهد وقتادة .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

ابن الخطاب رضي الله عنه، ففقده عمر فقال: ما فعل فلان ابن فلان ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب، قال، فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب « من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير »، ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه »، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرأه ويردده ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذر في عقوبته ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسدده ووثقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه "

مَا يُجَدُّدُ فِي َ اَيْتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلَّبُهُمْ فِي الْلِيَدِ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجِ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَهَنَّتَ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُواْ بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَالِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْهُمْ أَصْحَبُ النَّارِ ۞

يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿ إِلاَ الذين كفروا ﴾ أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، ﴿ فلا يغرك تقلبهم في البلاد ﴾ أي في أمواهم جهنم وبنس المهاد ﴾، وقال عزّ وجلّ : ﴿ نمتهم ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد • متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبنس المهاد ﴾، وقال عزّ وجلّ : ﴿ نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾، ثم قال تعالى مسلياً لنيه محمد عليلاً في تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنه قد كذبهم أمهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان ﴿ والأحزاب من بعدهم ﴾ أي من كل أمة ، ﴿ وهمّت كل أمة برسولم ليأخلوه ﴾ أي حرصوا على قتله بكل ممكن، ومنهم من قتل رسوله الله عنه، عن النبي على قال : ﴿ من أعان باطلاً ليدحض به حقاً فقد برئت منه ذمة الله تعالى، وذمة رسوله على الله عنه، عن النبي على فأخذتهم ﴾ أي أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذب العظام ، ﴿ فكيف كان شديداً والله . ووكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ أي كما حقت كلمة وقوله جل جزله : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ أي كما حقت كلمة المعذاب على الذين كذبوك وخالفوك يا محمد، على الموريق المرية والم أن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك ، والله أعلى .

الَّذِينَ يَحْمِلُوذَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ء وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ عَامَنُواْر بَّنَا وَسِعْتَ

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم والحافظ أبو نعيم . (٢) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْتُ فَاغْفِرْ الَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿ وَبَنَ وَالْدِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿ وَأَذْوَاجِهِمْ وَذُرِّ يَّنَتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ جَنَّاتٍ عَدْنِ اللَّهِ وَعَدَّبُهُمْ وَمَن تَقِ السَّيِعَاتِ يَوْمَهُمْ فَقَدْ رَحْمَتُهُمْ وَذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله الملائكة من الكروبيين، بأنهسم ﴿ يسبَّحُونَ بَحْمَدُ رَبِّهِم ﴾ أي يقرنون بـين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المُدح، ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم ﴿ يستغفرون للذين آمنوا ﴾ أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولمــا كان هذا من سجــايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمِّنون على دعــاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، كما ثبت في الصحيح: ﴿ إذا دعا المسلم لأُخيه بظهر الغيب قـــال الملك آمين ولك بمثله «^{١١}). قال شهر بن حوشب رضي الله عنه: حملة العرش ثمانية، أرْبعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولهــذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿ رَبَّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً كه أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾، أي فاصفح عن المسيثين إذا تابوا وأنابواً، وأقلعواً عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم بــه من فعل الخير وترك المنكرات، ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الأليم، ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخَلُهُمْ جَنَّـاتُ عَلَىٰ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَن صلح من آبائهُم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قــال تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبِعْتُهُمْ وَرَيُّهُمْ بِإِيمَانُ ٱلحقنا بَهُمْ ذَريتُهُمْ وَمَا ألتناهُم من عملهم من شيء ﴾ أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل، تفضلاً منا ومنة . وقال سعيد بن جبير : إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم ؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل، فيقول: إني إنمــا عملت لي ولهم فيلحقون بــه في الدرجة، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية : ﴿ رَبُّنَا وَأَدْخَلُهُمْ جَنَاتَ عَدَنَ الَّـتِي وَعَدَّتُهُمْ وَمَنْ صَلَّحَ مَنْ آبَاتُهُمْ وَأَزْوَاجِهُمْ وَذَرِياتُهُمْ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزَ الحكيم ﴾، وقوله تبارك وتعالى ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي الذي لا يمانع ولا يغالب، ﴿ وقهم السيئات ﴾ أي فعلها، أو وبالها ممن وقعت منه، ﴿ ومن تق السيئات يومئذُ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فقد رحمته ﴾ أي لطفت به ونجيته من العقوبة ﴿ وَذَلَكَ هُوَ الْفُوزُ الْعَظْيِمِ ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُمِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَـٰنِ فَتَكُفُرُونَ ﴿ قَالُواْ لَا اللَّهِ مَلْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ ال

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه .

وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكُ بِهِ مَ تُوْمِنُوا فَالْحُكُرُ لِلهِ الْعَلِي الْكَبِيرِ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ اَلَنْهِ مَ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآء رِزْقًا وَمَا يَسَدَ كُو اللهَ عَنْ اللهِ اللهُ اللهِ مِنْ وَلَوْ كُوهَ الْكَنْفِرُونَ ﴿ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلْمِ مِنْ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كُوهَ الْكَنْفِرُونَ ﴿ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلْمِ مِنْ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كُوهَ الْكَنْفِرُونَ ﴾ السَّمَآء رِزْقًا وَمَا يَسَدَ كُوا اللهُ عَنْ اللَّهُ عَلْمِ اللَّهُ عَلْمِ اللَّهُ الدِّينَ وَلَوْ كُوهَ الْكَنْفِرُونَ ﴾

ي**قول تعالى مخ**براً عن الكفار : أنهم ينادون يوم القيــامة وهم في غمرات النيران يتلظون، وذلك عندمــا باشروا من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد بــه، فمقتوا عند ذلك أنفسهم، وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلى النسار ، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا، حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون، أشد من مقتكم أيهــا المعذبون أنفسكم في هذه الحــالة، قــال قتادة : المعنى لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه ، أكبر ممــا مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة (١ ، وقوله : ﴿ قالوا ربنـــا أمتنـــا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه : هذه الآية ، كقوله تعالى: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجمونكه وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية، والمقصود أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ في عرصات القيامة، كما قال عزَّ وجلُّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكُسُوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ فلا يجابون ، ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد ممــا سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ فإذا دخلوا النار وذاقوا مسهـــا وحسيسها ومقامعها وأغلالهــا ، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿ وهم يصطرخُون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ كقوله ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ ، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بـين يدي كلامهم مقدمة، وهي قولهم: ﴿ رَبُّنا أَمَّنَا اثْنَيْنَ وَأُحِيبَنَا اثْنَيْنَ ﴾ أي قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتاً ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قــادر على ما تشاء، وقــد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنــا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، ﴿ فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيــــا ؟ فإنك قــادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه، ﴿ ذَلَكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دَعِي اللَّهِ وَحَدَّهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يَشْرِكُ بِـهُ تَوْمَنُوا ﴾ أي أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عزَّ وجلَّ ﴿ وَلُو رَدُوا لَعَادُوا لَمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُم لَكَاذَبُونَ ﴾ .

وقوله جل وعلا: ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ أي هو الحاكم في خلقه العــادل الذي لا يجور ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء . وقوله جل جلاله: ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ أي يظهر قلرته لخلقه بمــا يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة، الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها،

⁽١) وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي .

⁽٢) وكذا قال ابن عباس والضحّاك وقتادة .

و وينزّل لكم من السياء رزقاً كه وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والنهار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، ووما يتذكر كه أي يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها و إلا من ينيب كه أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعالى. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كه أي فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم، قال الإمام أحمد: كان عبدالله بن الزبير يقول في دُبُر كل صلاة حين يسلم « لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلّه إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. قال: وكان رسول الله عن الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الثناء الحسن ، لا إلّه إلا الله مخلصين رسول الله عن الله يقل كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلّه إلا الله . ولا نعبد إلا إياه » الحديث، وقال النبي على الله والله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لا هو " . "

* رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُوالْعَرْشِ يُلْقِ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ رَيْ يَوْمَ الْمَلْكُ الْمَوْمَ عَلَى مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ لِينُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ رَيْ يَوْمَ الْمَلْكُ الْمَوْمَ الْمَلْكُ الْمَوْمَ الْمَلْكُ الْمَوْمَ الْمَلْكُ الْمَوْمِ لِيَالْمُ الْمُلْكُ الْمَوْمِ لِيَا اللَّهُ مَا الْمُلْكُ الْمَوْمِ الْمُلْكُ الْمَوْمِ اللَّهُ اللَّهُ مَا الْمُلْكُ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ مَرِيعُ الْحِسَابِ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَرِيعُ الْحِسَابِ مِنْ اللَّهُ مَا الْمُلْمُ الْمُومَ الْمُومَ الْمُلْمُ الْمُومَ الْمُلْمُ الْمُومَ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا الْمُلْكُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُولُولُولُولُ اللْمُولُولُ اللْمُلْمُ اللْمُولُولُ اللَّهُ

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه، وارتفاع عرشه العظيم العالمي على جميع مخلوقاته، كالسقف لها كما قال تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ . وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة ، وقوله تعالى: ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ ، كقوله جلت عظمته: ﴿ ينزل بله الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أن لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿ نزل بله الروح الأمين وعلى قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ ، قال ابن عباس: ﴿ يوم التلاق ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، وقال ابن زيد: يلتقي فيه العباد . وقال قتادة والسدي : يلتقي فيه أهل السهاء وأهل الأرض والخالق والخلق ، وقال ميمون بن مهران : يلتقي الظالم والمظلوم ، وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقي ما عمله من خير وشركما قاله آخرون . وقوله جلّ جلاله : ﴿ يوم هم بارزون لا يخفي على الله منهم شيء ﴾ أي ظاهرون بادون كلهم، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ، ﴿ لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ﴾ قد تقدم في حديث ابن عمر لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ، ﴿ لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ﴾ قد تقدم في حديث ابن عمر

⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً .

رضي الله عنهما أنه تعالى يطوي السهاوات والأرض بيده، ثم يقول: أنا الملك ، أنا الجبار ، أنا المتكبر . أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ وفي حديث الصور أنه عزّ وجلّ إذا قبض أرواح جميع خلقه، فلم يبق سواه وحده لا شريك له ، حينذ يقول: ﴿ لله الملك اليوم ﴾ ؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قاثلاً : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أي الذي قهر كل شيء وغلبه، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعمة فيسمعها الأحياء والأموات، قال، وينزل الله عزّ وجلّ إلى السهاء الدنيا ويقول : ﴿ لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ﴾ ، وقوله جلّت عظمته : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ ، يغبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ، بل يجزي بالمحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ، ولهذا قبال تبارك وتعالى : ﴿ لا ظلم اليوم ﴾ ، كما ثبت في صحيح مسلم : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا – إلى أن قال – يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، عليكم ثم أوفيكم إياها، فن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، علي وعلا: ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة ، كما قال جلا وعلا: ﴿ وعلا: ﴿ وان الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة ، كما قال جلا وعلا: ﴿ وعلا: ﴿ وان الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة ، كما قال جلاً وعلا: ﴿ وان الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة ، كما قال جلاً وعلا: ﴿ وان الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كله وعلان والله من وحدة علي المساب أي الكنفس واحدة ﴾ .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآذِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَابِحِرِ كَنظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِدِينَ مِنْ جَمِيمِ وَلَا شَفِيحٍ يُطَاعُ ۞ يَعْلَمُ خَآيِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُحْنِي ٱلصَّدُورُ ۞ وَاللهُ يَقْضِى بِٱلْحَيِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ عَلَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا لَهُ مُوَاللهِ مَا يَعْفُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا لَهُ مُوَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَ

يوم الآزفة: اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى: ﴿ أَزَفَت الآزفة م ليس لما من دون الله كاشفة ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ الآية ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذَ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ . قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف ، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، ومعنى ﴿ كاظمين ﴾ أي ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ ، وقال ابن جريج ﴿ كاظمين ﴾ أي باكين ، وقوله سبحانه ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ ، أي ليس للذين ظلموا من قريب ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير ، وقوله تعالى: ﴿ يعلم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ يخبر عز وجل عن علمه النام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس ربهم ، فيتقوه حتى تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة ، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضهائر والسرائر ، قال ابن عباس ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ : هو الرجل يدخل خبايا الصدور من الضهائر والسرائر ، قال ابن عباس ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ك : هو الرجل يدخل غلى أهل البيت بيهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تحر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً .

⁽٢) وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد .

غض بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود لو اطلع على فرجها . وقال الضحّاك ﴿ خائنة الأعين ﴾ : هو الغمز ، وقول الرجل رأيت و لم ير ، وقال ابن عباس : يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ يعلم إذا أنت قدرت عليها هل ترني بها أم لا ؟ وقال السدي : ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ أي من الوسوسة ، وقوله عزّ وجلّ ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي يحكم بالعدل . قال ابن عباس : قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة ﴿ إن الله هو السميع البصير ﴾ وهذا الذي فسرب ابن عباس رضي الله عنهما هده الآية ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ ، وقوله جلّ وعلا : ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي من الأصنام والأوثان والأنداد ، ﴿ لا يقضون بثيء ﴾ أي لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء ، ﴿ إن الله هو السميع البصير ﴾ أي سميع لأقوال خلق بصير بهم ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

* أُوَلَرْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَكَانَ عَنقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ َاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ يِذُنُوبِهِمْ وَمَاكَانَ لَهُم مِّنَ ٱللّهِ مِن وَاقٍ ﴿ وَاللَّهُ مِأَنتَ مَأْتُهُمْ اللّهُمُ بِالْبَيْنَاتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ وَقِي شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهَ

يقول تعالى: ﴿ أَو لَمْ يَسِيرُوا ﴾ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿ فِي الأرض فينظرُوا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ أي من الأمم المكذبة بالأنبياء ، ما حل بهم من العذاب والنكال ، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿ وآثاراً فِي الأرض ﴾ أي أثرُوا في الأرض من البنايات والمعالم ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عزّ وجلّ ، ﴿ وأثارُوا الأرض وعمرُوها أكثر مما عمرُوها ﴾ مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ وهي كفرهم برسلهم ، ﴿ وما كان لهم من الله من واق ﴾ أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق ، ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترمُوها ، فقال تعالى ﴿ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ، ﴿ فكفروا ﴾ أي مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا ، ﴿ فأخذهم الله ﴾ أي أهلكهم ودمر عليهم ، ﴿ إنه قوي شديد العقاب ﴾ أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد ، وهو ﴿ شديد العقاب ﴾ أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَا يَلْتِنَا وَسُلْطَانِ مَّبِينٍ ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلْمَانَ وَقَارُونَ فَقَالُواْ سَاجِوْ كَذَّابُ ﴿ فَالَمَانَ مَا اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ فَاللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ فَاللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ فَاللَّهِ فَا اللَّهِ فَا اللَّهِ فَا اللَّهِ فَا اللَّهِ فَا اللَّهُ اللَّهُ فَا اللَّهُ اللَّهُ فَا اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّذِي الللَّهُ الللللَّذِي الللللَّا الللللَّهُ اللللللّلْمُ اللَّهُ الللللَّا الللللَّلْمُ اللللللللَّا الللَّهُ اللَّلْ

يقول تعالى مسلياً لنبيَّه محمد عَيْكُ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا

والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات، والدلاثل الواضحات، ولهذا قال تعالى: ﴿ بَآيَاتُنا وسلطان مبين ﴾ والسلطان هو الحجة والبرهان، ﴿ إِلَّى فرعون ﴾ وهو ملك القبط بالديار المصرية، ﴿ وهامان ﴾ وهو وزيره في مملكته ﴿ وقارون ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مــالاً وتجارة، ﴿ فقالوا : ساحر كذاب﴾ أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً ، مموّهاً كذاباً في أن الله جل وعلا أرسله وهسـذه كقوله تعالى : ﴿ كَذَلْكَ مَا أَتِي الذِّينَ مِن قبلهم مِن رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ ، ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا ﴾ أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عزَّ وجلَّ أرسله إليهم، ﴿ قالوا اقتلوا أبناء الَّذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾، وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين، وأمــا الأمر الشــاني فلإهانة هـــذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام، ولهــذا قالوا : ﴿ أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾، قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال كه أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ﴾ ، وهذا عزم من فرعون – لعنه الله تعالى – على قتل موسى عليه الصلاة والسلام؛ أي قــال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هـــذا ﴿ وليدع ربه ﴾ أي لا أبالي منه، وهذا في غــاية الجحد والعنــاد ﴿ إنِّي أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر ۚ في الأرض الفسادكُ يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم، وهـــذا كمما يقال في المثل: صار فرعون مذكراً، يعني واعظاً، يشفق على الناس من موسى عليه السلام، ﴿ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ أي لمــا بلغه قول فرعون ﴿ ذَرُونِي أَقتل موسى ﴾ قال موسى عليه السلام : استجرت بالله، وعذت به من شره وشر أمثاله، ولهذا قال: ﴿ إِنِّي عَدْتَ بربي وربكم ﴾ أيها المخاطبون ﴿ من كل متكبر ﴾ أي عن الحق مجرم ﴿ لا يؤمن بيوم الحساب، ولهذا جاء في الحديث ان رسول الله عليه كان إذ خاف قوماً قال: « اللهم إنا نعوذ بك مــن شرورهم، وندرأ بك في نحورهم » .

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ وَالِ فِرْعَوْنَ يَكُنُمُ إِيمَانَهُ وَأَنَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِنَاتِ مِن رَبِّكُمُّ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مِنْ هُو مُسْرِفٌ كَذَابٌ شَيْ يَنفُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا سَلِيلَ الرَّشِ فَى الْأَرْضِ فَى يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا سَلِيلَ الرَّشَادِ شَيْ

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان (قبطياً) من آل فرعون، قال السدي: كان ابن عم فرعون، واختـــاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجله بالعقوبة لأنه منهم، قال ابن عباس: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال: ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ (أ)، وقد كان هذا الرجل يكتم

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير .

إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلُ مُوسَى ﴾ فأخذت الرجل غضبة لله عزَّ وجلَّ، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سُلطان جائر ، كما ثبتُ بذلك الحديث، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون، وهي قوله: ﴿ أَتَقْتَلُونَ رَجَلًا أَنْ يَقُولُ رَبِّي اللَّهَ ﴾ أَ اللهم إلا ما رواه البخاري في صُحيحه عن عروة ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال، قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله عَلِيَّةً ؟ قال: بينا رسول الله عَلِيَّةً يصلي بفِناء الكعبة إذ أقبل (عقبة بن أبي معيط) فأخـــذ بمنكِب رسول الله عَلِيْتُهُ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿ أَتَقَتَلُونَ رَجَلًا أَنْ يَقُولَ رَبِي الله وَقَــَدَ جَاءَكُمُ بِالْبَيْنَاتُ من رَبَكُم ﴾ ٩ وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن العاص رَضي الله عنه أنه سئل: ما أشــد ما رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ قال: مَرَّ ﷺ ذات يوم، فقالوا له: أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال: يا أنا ذاك ؛ فقاموا إليه، فأخذوا بمجامع ثيابه، فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من وراثه، وهو يصيح بأعلى صوته، وإن عينيه ليسيلان وهو يقول: يا قوم ﴿ أَتَقْتَلُونَ رَجَلًا أَنْ يَقُولُ رَبِّي اللَّهُ وقَسَدَ جَاءَكُمُ بِالبِّينَاتُ مَنَّ رَبُّكُم ﴾ ؟ حتى فرغ من الآية كلها^ ، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبِينَاتُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي كيف تَقْتَلُونَه وقد أقام لكم الْبرْهان على صَدَّق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: ﴿ وَإِن يَكَ كَاذَبًا فَعَلَيْهِ كَذَبَّهِ وَإِن يُكَ صَادَقًا يَصِبُكُم بعض الذِّي يعدكم ﴾ ، يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم بــه، فمن العقل والرأي والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذباً فإنَّ الله سَبحانه سيجازيه على كذبه، وإن يك صادقاً وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة ، فينبغي أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وشأنه .

وقوله جل وعلا: ﴿ إِن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ أي لو كان هذا كاذباً كما تزعمون، لكان أمره بيناً يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقياً، ولو كان من المسرفين الكذابين، لما هذاه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله، ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم : ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ أي قسد أنعم الله عليكم بهذا الملك، والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هسده النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله وهذه العساكر ولا ترد عنا إن كذبتم رسوله ﴿ فَن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾ أي لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء . ﴿ قال فرعون ﴾ لقومه راداً على ما أشار به هدا الرجل الصالح البار الراشد ﴿ ما أريكم إلا ما أريكم إلا ما أراه لنفسي، وقسد كذب فرعون فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيا جاء به من الرسالة، ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السهاوات والأرض بصائر ﴾، وقال الله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستينتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾، فقوله: ﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾ كذب فيه وافترى، وخان رعيته فغشهم وما نصحهم، وكذا قوله: ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أي وما أدعوكم الإ بل طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب أيضاً في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تبارك إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب أيضاً في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تبارك

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم والنسائي .

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

وتعالى: ﴿ فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾ ، وقال جلَّت عظمته: ﴿ وأَصْل فرعون قومه وما هدى ﴾ . و في الحديث: « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسيائة عام » .

* وَقَالَ الَّذِى ءَامَنَ يَنَقُومِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوجِ وَعَادِ وَكُمُودَ وَالَّذِينَ مَا مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْتُ لِلْعِبَادِ ﴿ وَيَنْقُومِ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿ يَوْمُ التَّنَادِ ﴿ يَوْمُ التَّنَادِ ﴿ يَوْمُ التَّنَادِ ﴿ يَهُ مُولُونَ مُدَّيِرِ بِنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عَاصِدٍ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَ اللّهُ مَنْ هَا دِ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِنَاتِ فَا زِلْنُمْ لَكُم مِنْ اللّهُ مِنْ عَاصِدٍ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَ اللّهُ مَنْ هَا وَهِ وَلَقَدْ جَآءَكُم يُومُ اللّهُ مَنْ عَاصِدٍ فَوَعَنَ مِن عَبْلُ اللّهُ مَنْ عَلَيْ اللّهُ مَنْ عَلَيْ اللّهُ مَنْ عَلَيْ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ اللّهُ عَلَى مَن اللّهُ عَلَى مُن اللّهُ عَلَى عَلَ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللللّهُ اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ ال

هذا إخبار من الله عو وجل عن هذا الرجل الصالح (مؤمن آل فرعون) أنه حفر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة، فقال في يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب في أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد فو وما الله يريد ظلماً للعباد في، أي إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، فأنفذ فيهم قدره، ثم قال: فو يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد في يعني يوم القيامة، وسمي بذلك لما جاء في حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر، وماجت وارتجت، فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضاً، وقال الضحاك: بل ذلك إذا جيء بجهنم ذهب الناس هراباً منهم، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقال موته، ألا قد سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف عمله نادى ألا قد فرجح نادى بأعلى صوته، ألا قد سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف عمله نادى ألا قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم في، ومناداة أهل النار فو أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين في، ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة، وأهل النار كما هو مورة الأعراف، واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك، وهو قول حسن جيد، مذكور في سورة الأعراف، واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك، وهو قول حسن جيد، مذكور في سورة الأعراف، واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك، وهو قول حسن جيد، والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ يوم ثولون مدبرين ﴾ أي ذاهبين هاربين، ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ أي من أضله الله فلا هادي له غيره، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ﴾ يعني أهل مصر قــد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه الصـــلاة والسلام وهو (يوسف) عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر، وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط، فا أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَمَا رَلّمَ فِي شَكَ مَمَا جَاءَكُم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ أي يُستم فقلتم طامعين ﴿ لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم، ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ أي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه، ثم قال عز وجل : ﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى، فإن الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت، ولهذا قال تعالى ﴿ كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ أي والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر ﴾ أي على اتباع الحق ﴿ جبار ﴾ قال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق، والله تعالى أعلم .

* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَلَهَدَمُنُ آبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّى أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَبَ ﴿ أَسْبَبَ السَّمَلُوَتِ فَأَطَّلِعَ إِلَّنَ إِلَىٰهِ مُوسَىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنْهُ ۚ كَنذِبَا ۚ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوَّءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَبْـدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۞

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعنوه، وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام، أنه أمر وزيره هامان كي أن يبني له في صرحاً كي وهو القصر العسالي المنيف الشاهق، وكان انخساذه من الآجر المضروب من الطين المشوي " كما قال تعالى: في فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً كي، وقوله: في لعلي أبلغ الأسباب أسباب السياوات في قال سعيد بن جبير: أبواب السياوات " وقيل: طرق السياوات في فأطلع إلى آله موسى وإني لأظنه كاذباً كي، وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله عز وجل أرسله إليه، قال الله تعالى في وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل كي أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية، أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال تعالى: في وما كيد فرعون إلا في تباب كي قال ابن عباس ومجاهد: يعني إلا في خسار.

وَقَالَ ٱلَّذِي َ ءَامَنَ يَنْقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿ يَنَقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ ٱلحُسَوَةُ ٱلدُّنْيَا مَتَكُمٌّ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِى دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿ مَنْ عَمِلَ سَبِئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَلِحاً مِّن ذَكْرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَا إِنَّ يَدْخُلُونَ ٱلْحَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا مِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ نَهِ ﴾

يقول المؤمن لقومه بمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿ يَا قَوْمُ اتَبَعُونِ أَهْدَكُمُ سَبِيلِ الرَّشَادِ﴾ ثم زهدهم في الدنيا التي قسد سبيل الرشاد﴾ ثم زهدهم في الدنيا التي قسد آثروها على الأخرى، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿ يَا قَوْمُ إِنَمَا هَذُهُ الْحَيَاةُ اللَّهِ مَنَاعٍ ﴾ أي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل، ﴿ وَإِنْ الآخرة هي دار القرار ﴾ أي الدار السّي

لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل إما نعيم وإما جحيم، ولهذا قال جلت عظمته ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ أي واحدة مثلها، ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أي لا يتقدر بجزاء، بل يثيبه الله عزّ وجلّ ثواباً كثيراً، لا انقضاء له ولا نفاد.

يقول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وتصديق رسوله بهل الذي بعثه فو وتدعونني إلى الناره تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم في أي على جهل بلا دليل فو وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار في أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه فو لا جرم أنَّ ما تدعونني إليه في يقول: حقاً، قال ابن جرير: معنى قوله فو لا جرم في: حقاً، وقال الضحاك فو لا جرم فه: لا كذب، المعنى إنّ الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد فو ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة في قال مجاهد: الوثن ليس له شيء، وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر. وقال السدي: لا يجبب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا كقوله تبارك وتعالى: فو ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون في وقوله: فو إن تدعوهم لا يسمعوا دعاء كم ولو سمعوا ما استجابوا لكم كي، وقوله فو وأن مردنا إلى الله كي أي في الدار الآخرة فيجازي كلاً بعمله، ولهذا قال فو وأن المسرفين هم أصحاب الناركي أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل فو فستذكرون ما أقول لكم في أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم فو أفوض أمري إلى الله كي أي وأتوكل على الله وأستعينه، وأقاطعكم وأباعدكم، فو إن الله بصير بالعباد كي أي هو بصير بهم تعالى وتقدس، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الهداية، والقدر النافذ .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ أي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام، وأما في الآخرة فبالجنة، ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي أشده ألماً وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى:

والنار يعرضون عليها غدواً وعشياً هي. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله عليها وعندها امرأة من البهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله علي وقال: « إنما يفتن بهود »، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله عليها: « ألا إنكم تفتنون في القبور » ، قالت عائشة رضي الله عنها : فكان رسول الله عليها بعد، يستعيذ من عذاب القبر () . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله عليها عن عذاب القبر ، فقال عليه عنها و نعوذ من عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : أنا رأيت رسول الله عنها بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر () . وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً .

وقال قتادة ﴿ غلواً وعشياً ﴾ : صباحاً ومساء ما بقيت الدنيا ، يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم " توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم ، وقال ابن زيد : هم فيها يُغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة ، وقال ابن أبي حاتم ، عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاعوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاعت ، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها ألى وفي حديث الإسراء ، عن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها ألى خلق كثير من خلق الله ، رجال أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله تهيئي قال فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدواً ولا يعقلون " ، وروى ابن أبي حاتم ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي عيني قال : وما أحسن محسن من ولا يعقلون " ، وروى ابن أبي حاتم ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي عيني قال : وما أحسن محسن من أو كافر إلا أثابه الله تعالى قال ، قلنا الغذاب » ، وقرأ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (قال عنه ابن عمر رضي الله عنه ، قال رسول الله ين عمر وضي الله عنه ، قال العذاب الكله ؛ وعن ابن عمر رضي الله عنه ، قال المغذاة والعشي إن كان من أهل الخرة ، في أهل الخرة ، في أهل الخرة ، في أهل النار فن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عزّ وجل إليه يسوم القيامة ، (إن كان من أهل النار فن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عزّ وجل إليه يسوم القيامة ، (إن

وَإِذْ يَخْآجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَنَوُّا لِلَّذِينَ اسْتَكْبُرُوٓا ۚ إِنَّا كُنَّا لَكُرْ تَبَعَا فَهَلَ أَنَّمُ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلَى النَّارِ لَهِ النَّالِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ الْدُعُواْ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ الْدُعُواْ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ الْدُعُواْ

⁽١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود موقوفاً .

 ⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم والبزار .
 (٥) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

رَبَّكُرْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴿ قَالُواْ أُولَرْ تَكُ تَأْتِيكُوْ رُسُلُكُمُ بِالْبَيِنَتِ قَالُواْ بَلَيْ قَالُواْ فَأَدْعُواْ وَمَا دُعَتُواْ الْكَنفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالِ ﴿ قَالُواْ فَأَدْعُواْ وَمَا الْكَنفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم ﴿ فيقول الضعفاء ﴾ وهم الأتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ وهم القادة والسادة والكبراء ﴿ إنا كنا لكم تبعاً ﴾ أي أطعناكم فيا دعو تمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، ﴿ فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ﴾ أي قسطاً تتحملونه عنا ﴿ قال الذين استكبروا إنا كل فيها ﴾ أي لا نتحمل عنكم شيئاً كفي بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ أي فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى: ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾، ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم، ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: ﴿ احسنوا فيها ولا تكلمون ﴾ سألوا الخزنة وهم كالسجّانين لأهل النار أن يدعوا لم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ ؟ أي أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟ ﴿ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ أي أتم لا يقبل ولا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم، ولهذا قالوا أي أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم، ثم نخبركم أنه لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم، ولهذا قالوا أي أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نقبل ولا يستجاب .

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ اَمَنُواْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْكُمُ الظَّنْهُ وَلَكَ اللَّهِ عَلَى الْمُعَنَّةُ وَلَمُ مُ سُوّهُ الدَّانِ فَي وَلَقَدْ اللَّهِ عَلَّى الْمُعَنَّةُ وَلَمْ الْمَا الْمُعَنَّةُ وَلَمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى وَالْوَرُشَا بَنِي إِسْرَ وَيلَ الْمُعَنِي وَالْإِبْكُ مِن وَوْ كُرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ فَي فَاصْبِرْ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَتَّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِكَ بِالْمَشِي وَالْإِبْكُ مِن وَوْ كُرَى لِأُولِي الْأَلْبَالِ فَي فَاصْبِرْ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَتَّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِكَ بِالْمَشِي وَالْإِبْكُ مِن وَقَ اللّهِ عَلَى اللّهُ مِن اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْدِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْدِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُوا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

قد عُلمَ أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه كيحيى وزكريا وشعيا، ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجراً إلى الله كابراهيم، وإما إلى السهاء كعيسى ، فأين النصرة في الدنيا؟ أجاب ابن جرير على ذلك بجوابين : (أحلهما) أن يكون الخبر خرج عاماً ، والمراد به البعض ، وهذا سائغ في اللغة . (الثاني) أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم ، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم . وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود ، فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم ، وهذه نصرة عظيمة ، وسنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر ، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ، ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد و ثمود وأصحاب الرس ، وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق ، وأنجى الله تعالى من بينهم الرس ، وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق ، وأنجى الله تعالى من بينهم

المؤمنين فلم يهلك منهم أحداً، وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً، قال السدي: « لم يبعث الله عزّ وجل رسولاً قط إلى قوم فيقتلونه أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون ، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها »، وهكذا نصر الله نبيه محمداً على فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، وأمره بالهجرة إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخلم وقتل صناديدهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة، فقرت عينه ببلده المشرف المعظم، وفتح له اللهمن، ودانت له جزيرة العرب بكالها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ثم قبضه الله تعالى إليه فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله عزّ وجلّ، حتى انتشرت الدعوة المحمديه في مشارق الأرض تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله عزّ وجلّ، حتى انتشرت الدعوة المحمديه في مشارق الأرض ومغاربها؛ ثم لا يزال هذا الدين قاعاً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة، ولهذا قال تعالى في إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنبا ويوم يقوم الأشهاد كه أي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل، قال مجاهد: الأشهاد الملائكة في الحياة الدنبا ويوم يقوم المشركون في معذرتهم كه أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية في ولم اللعنة كه أي الإبعاد والهاقبة .

وقوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ وهو ما بعثه الله عزّ وجل به من الهدى والنور ، ﴿ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ﴾ أي جعلنا لهم العماقية ، وأورثناهم ملك فرعون ، وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة ﴿ هدى وذكرى لأولى الألباب ﴾ وهي العقول الصحيحة السليمة ، وقوله عزّ وجل ﴿ فاصبر ﴾ أي يا محمد ﴿ إن وعد الله حق أي وعدناك أنا سنعلي كلمتك ، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك ، والله لا يخلف الميعاد ، وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ هذا تهييج للأمة على الاستغفار ، ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي ﴾ أي في أواخر النهار وأوائل الليل ﴿ والإبكار ﴾ وهي أوائل النهار وأواخر الليل . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي يدفعون الحق بالباطل ، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ا ﴿ إن في صدورهم إلا كبر على الباطل – بحاصل لهم ، بل الحق الحق ، واحتقار لمن جاءهم به ، وليس ما يرومونه – من إخماد الحق وإعلاء الباطل – بحاصل لهم ، بل الحق هو المرضوع ، وقولهم وقصده هو الموضوع ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي من حال مثل هؤلاء ﴿ إنه هو الموضوع ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي من حال مثل هؤلاء ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ القوم نشر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان ، هذا تفسير ابن جرير .

* خَلَقُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُمِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَنَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ وَلَا ٱلْمُسِىَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَنَذَكَّرُونَ ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيةٌ لَّارَيْبَ فِيهَا وَلَاكِنَ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُوْمِنُونَ ﴿ وَلَا الْمُسِى الْمَاكِنَ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُوْمِنُونَ ﴿ وَلَا الْمُسِى الْمُعْلَى اللَّهُ اللَّهِ الْمُرَالِقُ

يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل عليه يسير لديه ، بأنه خلق السياوات والأرض ،

وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السهاوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾، وقال ههنا: ﴿ لخلق السهاوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها ، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السهاوات والأرض وينكرون المعاد استبعاداً وكفراً وعناداً ، وقد اعترفوا بما هو أولى بما أنكروا ، ثم قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره ، بل بينهما فرق عظم ، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار ، والكفرة الفجار ﴿ قليلاً ما تتذكرون ﴾ أي ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ، ثم قال تعالى : ﴿ إن الساعة لآنية ﴾ أي لكائنة وواقعة ، ﴿ لا ربب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ أي لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها .

* وَقَالَ رَبُّكُرُ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَنِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه ، أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي : كان إذا أرسل الله نبياً قال له : أنت شاهد على أمتك ، وجعلكم شهداء على الناس ، وكان يقال له : ليس عليك في الدين من حرج ، وقال له الأمة : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وكان يقال له : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ﴿ ان الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخوين ﴾ ، وقال رسول الله عليه الله عن أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخوين ﴾ ، وقال رسول الله عليه الله عن ممل به الأنصاري ، وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت رسول الله عليه يقول : ﴿ إن لربكم في المؤتف وجل نفحات فتعرضوا له ، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً » ، وقوله عز وجل : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي عن دعائي وتوحيدي ، ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي عن دعائي وتوحيدي ، ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين حقيرين ، كما قال النبي عليه الله (بولس) تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال أي صاغرين حقيرين ، كما قال النبي عجهنم يقال له (بولس) تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار » " . وقال وهي يقول : يا رب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحداً غيرك ، يا رب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحداً غيرك ، يا رب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك ، قال : ثم عاد الثانية فقال : يا رب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك ، قال : ثم عاد الثانية فقال : يا رب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء

⁽١) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد ، قال ابن كثير ; إسناده لا بأس به .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً .

من سخطك يرضي غيرك، قال، فناديته: أجني أنت أم إنسي؟ قال: بل إنسي، اشغل نفسك ممــا يعنيك عما لا يعنيك^(۱) وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه ₃[™].

يقول تعالى ممتناً على خلقه بمــا جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه، ويستريحون فيه من حركات ترددهم في المعايش بالنهار وجعل النهار مبصراً، أي مُضيئاً ليتصرفوا فيه بالأسفار ، وقطع الأقطار ، والتمكن من الصناعات ﴿ إِنَ اللَّهَ لَذُو فَصْلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكُنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُشْكَرُونَ ﴾ أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم، ثم قال عزَّ وجلَّ : ﴿ ذَلَكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالَقَ كُلُّ شِيءً لَا إِلَّهَ إِلَّا هُو ﴾ أي الذي فعل هذه الأشياء هو الواحد الأحد، خالق الأشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه، ﴿ فَأَنَّى تَوْفَكُونَ ﴾ أي فكيف تعبدون غيره من الأصنام التي لا تحلق شيئاً بل هي مخلوقة منحونة ! وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ أي كما ضل هؤلاء بعبادَّة حجج الله وآياته، وقوله تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي جعلها لكم مستقراً، تعيشون عليهـــا وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، ﴿ والسياء بناء ﴾ أي سقفاً للعالم محفوظاً، ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ أي فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكُم أكمل الصور في أحسن تقويم، ﴿ ورزقكم مَن الطيبات ﴾ أي من المآكل والمشارب في الدنيا، فذكر أنه خلق الدار والسكان والأرزاق، فهو الخالق الرّزّاق، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسهاء بناء ، وأنزل من السهاء ماء فأخرج بــه من الثمرات رزقــاً لكم فلا تجعلوا أي فتعالى وتقدس وتنزُّه رب العــالمين، ثم قـــال تعالى: ﴿ هُوَ الَّحِي لَا إِلَّهَ إِلَّا هُو ﴾ أي هو الحي أولا وأبــداً ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، ﴿ لا إِنَّه إِلا هو ﴾ أي لا نظير له ولا عديل له ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي موحدين له مقرين بأنه لا إلّه إلا هو الحمد لله رب العالمين، عن ابن عباس قـــال: من قال: لا إلّه إلا الله فليقل على أثرهــا الحمد لله رب العــالمين ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فادعو الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين 🖗 🗥

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه أحمد والبزار .

* قُلْ إِنِّى نَهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَمَّا جَآءَنِى الْبَيِّنَنَتُ مِن رَقِي وَأُمِرَتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِ اللّهِ لَمَّا جَآءَنِى الْبَيِّنَنَتُ مِن رَقِي وَأُمِرَتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِ اللّهَ لَمُ مَن عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْ لَا ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْ لَا ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَى مُن يَتُوفُ مِن قَبْلُ وَلِيَبْلُغُواْ أَجَلًا مُسَمَّى وَلَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ هُو الّذِي يُحْيِء وَيُمِيتُ لَيَكُونُواْ شُهُوخًا وَمِنكُم مَن يُتَوفَى مِن قَبْلُ وَلِيَبْلُغُواْ أَجَلًا مُسَمَّى وَلَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ هُو اللّذِي يُحْيِء وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَى آمُرًا فَإِنَّكُ وَمِن لَهُ وَكُن فَيكُونُ ﴿

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله عزّ وجلّ ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان، وقد بيّن تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله جلت عظمته: ﴿ هو الذي خلقكم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم يخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ أي هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله، ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي من قبل أن يوجد ويخرج إلى هدذا العالم، بل تسقطه أمه سقطاً، ومنهم من يتوفى صغيراً وشاباً وكهلاً قبل الشيخوخة، كقوله تعالى: ﴿ لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾، وقال عزّ وجلّ ههنا: ﴿ ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾. قال ابن جريج: تتذكرون البعث، ثم قال تعالى: ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه، ﴿ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة.

* أَلَّمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَدِدُونَ فِي عَايَتِ اللهِ أَنَى يُصْرَفُونَ ﴿ اللَّهِ عَالَمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

يقول تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال ؟ ﴿ الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا ﴾ أي من الهدى والبيان ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب جل جلاله لهؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ ويل يومئسنا للمكذبين ﴾ ، وقوله عزّ وجل ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ﴾ أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم ، وتارة إلى الجحيم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يسحبون في الحميم ، ثم في النار يسجرون ﴾ ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ﴾ ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب

الحميم، ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتهكم والاستهزاء بهم، وقوله تعالى: ﴿ ثم قبل لهم أينا كنتم تشركون من دون الله ﴾ أي قبل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينفعونا، ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً ﴾ أي جحدوا عبادتهم، كقوله جلّت عظمته: ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿ كذلك يضل الله الكافرين ﴾ ، وقوله : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ أي تقول لهم الملائكة : هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ، ومرحكم وأشركم وبطركم، ﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ، أي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله ، واتباع دلائله وحججه ، والله أعلم .

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَتَّى فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مِّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكُ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِي بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ تَعْنِي بِآلَحْقِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُنْظِلُونَ ﴿ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله على تكذيب من كذبه من قومه: ﴿ فَإِمَا نَرِينَكُ بِعَضِ الذِي نَعَدُهُمْ ﴾ أي في الدنيا وكذلك وقع ، فإن الله تعالى أقر عينه يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته عليه الوقوله عزّ وجلً : ﴿ أو نتوفينك فإلينا يرجعون ﴾ أي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسلباً له : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ﴾ أي منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ، ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة ، ﴿ ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف ، كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء ولله الحمد والمنة ، وقوله تعالى : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك فيدل بآية إلا بإذن الله ﴾ أي ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدقه فيا جاءهم به ، ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ وهو عذابه ونكاله المجيط بالمكذبين ، ﴿ قضي بالحق ﴾ فينجي المؤمنين وبهلك الكافرين ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ .

ٱللهُ ٱلَّذِى جَعَـلَ لَكُرُ ٱلْأَنْعَامَ لِتَرْكُبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ وَلَكُرْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُودِكُرْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿ قَيْ مِكُوْ ءَايَئتِهِ ۦ فَأَىّ ءَايَئتِ ٱللَّهِ تُسْكِرُونَ ﴿ فَهَا

يقول تعالى ممتناً على عباده كما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، فنها ركوبهم ومنها يأكلون، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال، إلى البلاد النائية والأقطار الشاسعة، والبقر تؤكل ويشرب لبنها ، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأبرها فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة ولذا قال عزّ وجلّ : ﴿ لتركبوا منها ومنها تأكلون • ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ، وقوله جلّ وعلا: ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي حججه

وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم ﴿ فأي آيات الله تنكرون﴾ ؟ أي لا تقدرون على إنكار شيء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا .

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَكَانَ عَفِيَهُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ وَوَا أَنَاوُا فِي الأَرْضِ فَا الْأَرْضِ فَا الْأَرْضِ فَا الْمَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ فَلَمَا جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِنَ الْعِلْمِ الْأَرْضِ فَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكِسِبُونَ ﴿ فَلَمَا جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُواْ بِمَا عَندَهُم مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ عَندَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُمَا اللهِ عَلَيْهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَا رَأُواْ بَأَسَنَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ مُشْرِكِينَ ﴿ فَي عَلَيْهُ مُ إِيمَانُهُمْ لَمَا رَأُواْ بَأَسَنَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

يخبر تعالى عن الأم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم، وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً ولا رد عنهم ذرة من بأس الله، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل، قال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب، وقال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بحالتهم، فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به، فو وحاق بهم في أحاط بهم، فو ما كانوا به يستهزئون فه أي يكذبون ويستبعدون وقوعه، فو فلما رأوا بأسنا فه أي عاينوا وقوع العذاب بهم، فو قالوا آمنا بالله وحسده وكفرنا بما كتا به مشركين فه أي وحدوا الله عزّ وجلّ وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة، وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق فو آمنت أنه لا إلّه إلا الذي ولكن حيث به إسرائيل وأنا من المسلمين في فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيّه موسى عليه السلام. وهكذا قال من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل، ولهذا جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »، من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل، ولهذا جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »، ولهذا قال تعالى: فو وحسر هنالك الكافرون في .

[آخر تفسير سورة غافر ، ولله الحمد والمنة]



حسد ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ كِنَابٌ فُصِلَتْ وَايَنتُهُ فُرْوَانًا عَرَبِيَّا لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِّكَ تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِّكَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَةٍ مِّكَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَا وَبَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جِمَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَلِيلُونَ ﴿

يقول تعالى: ﴿ حَمَّ تَنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم، كقوله: ﴿ قــل نزله روح القدس من ربك بالحق، وقوله: ﴿ كَتَابُ فَصَلَتَ آيَاتُهُ ﴾ أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه، ﴿ قَرَآنًا عربياً ﴾ أي في حـــال كونه قرآناً عربياً بيناً واضحاً، فعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة، كقوله تعالى: ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كه أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه، وقوله تعالى: ﴿ لقوم يعُلُّمُونَ ﴾ أي إنمــا يعرف هذا العلماء الراسخون ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ أي تارة يبشر المؤمنين، وتارة ينذر الكافرين، ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحه، ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة ﴾ أي في غلف مغطاة، ﴿ ممــا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ﴾ أي صمم عما جثتنا به ﴿ ومن بيننا وبينك حجـــاب ﴾ فلا يصل إلينا شيء ممــا تقول، ﴿ فاعمل إننا عاملونَ ﴾ أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك، روى البغوي في تفسيره عن جــابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هــذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحــداً غير (عتبة بن ربيعة) ، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله عَلَيْكُم، فقال: أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله عَلِيْكُم، فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقــد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى يسمع قولك، إنا والله ما رأينا سِخَلَةً قط أشأم على قومك منك، فرّقت جماعتنا وشتّت أمرنا، وعبت دبننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلي أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، حتى نتفاني، أيها الرجل إن كان إنمــا بك الحاجة، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقسال رسول الله يَهِا : و فرغت ؟ » قال: نعم، فقال رسول الله عَها : ﴿ بسم الله الرحمن الرحم، حم تنزيل من الرحمن الرحم – حتى بلغ – فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله و فم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك له إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فقال أبو جهل: يا عتبة ما الله الله أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

وروى محمد بن إسحاق في كتاب السيرة عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة ا وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً، لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلي يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قــد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت بــه جماعتهم، وسفهت بــه أحلامهم، وعبت به آلهتهــم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: « قل يا أبا الوليد أسمع ً »، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بمــا جثت به من هــــذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد بــه ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئِياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرثك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: « أفرغت يا أبا الوليد؟ » قال: نعم، قال: « فاستمع مني »، قال: أفعل، قال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآنًا عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعونكه ، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤهـــا عليه، فلما سمع عتبة أنصت لهــا وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله يَهْلِينَهُ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك»، فقــام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قــالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم

أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم. وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله اعلم .

قُلْ إِنِّكَ أَنَا بَشَرٌ مِنْلُكُو يُوحَى إِلَى أَنِّكَ إِلَاهُكُو إِلَهٌ وَرِحِدٌ فَاسْنَقِيمُواْ إِلَيْهِ وَاسْنَفِرُوهُ وَوَيْلُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنفِرُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَمُمْ أَجَرُّ غَيْرُ مَعْمُونِ ﴾ مَمْنُونِ ﴿ عَمْدُونَ ﴾ مَمْنُونِ ﴿ عَمْدُونَ ﴾ مَمْنُونِ ﴿

يقول تعالى: ﴿ قَلَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إله كم إله واحد ﴾ لا ما تعبىدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ أي أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ، ﴿ واستغفروه ﴾ أي لسالف الذنوب، ﴿ وويل للمشركين ﴾ أي دمار لهم وهلاك عليهم ﴿ الذين لا يقتون الزكاة ﴾ قال ابن عباس: يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أم ذلك طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سميت زكاة ، لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه، واستعماله في الطاعات. وقال السدي: ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ : أي لا يؤدون الزكاة ، وقال قتادة: يمنعون زكاة أموالم، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، ثم قال جل جلاله بعد ذلك: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير بمنون ﴾ قال بجاهد وغيره : غير مقطوع ولا مجبوب، كقوله تعالى: ﴿ إن الذين فيها أبداً ﴾، وكقوله عزّ وجلّ : ﴿ عطاء غير مجلوذ ﴾ وقال السدي : غير ممنون عليهم، وقال أهل الجنة : ﴿ إن المنة علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ ، وقال رسول الله يولي الأمة ، والا أن هداكم للإيمان ﴾ ، وقال أهل الجنة : ﴿ إن الذه علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ ، وقال رسول الله يولية ؛ والا أن هداكم للإيمان ﴾ ، وقال أهل الجنة : ﴿ إن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ ، وقال رسول الله يولية ؛ والا أن هداكم للإيمان كه ، وقال أهل الجنة : ﴿ إن الله علينا ووقانا عذاب السموم كه ، وقال رسول الله يولية ؛ والإناناء الله يولية برحمة منه وفضل ه .

* قُلْ أَيْنَكُرْ لَنَكُفُرُونَ بِاللَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَأَندَاداً ذَالِكَ رَبُّ الْعَلَمِينَ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي مِن فَوْقِهَا وَبَدَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُوانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآ كَ لِلسَّابِلِينَ ﴿ مُمَّ السَّوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِي مُخَانَّ فَقَالَ لَمَ وَلِلأَرْضِ الثِيمَا طُوعًا أَوْ كُوهَ فَالنَّا أَنْيَنَا طَآبِعِينَ ﴿ فَقَضَلْهُنَّ سَبْعَ سَمَنُواتٍ فِي وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَ وَلِلأَرْضِ آثِيهَا طَوْعًا أَوْ كُوهَ فَالنَا أَنْيَنَا طَآبِعِينَ ﴿ فَا فَعَضَلْهُنَ سَبْعَ سَمَنُواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَنْدِيحَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ ﴾ يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَنْدِيحَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، المقتدر على كل شيء ﴿ قل أثنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ﴾ أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه، ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم، وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿ خلق السهاوات والأرض في ستة أيام ﴾ ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسهاء، فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنهـــــا كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ هُو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السهاء فسواهن سبع سماوات كه الآية، فأما قوله تعالى: ﴿ أَأْنَتُم أَشَدَ خَلَقاً أم السهاء بناهـ الله إلى قوله: ﴿ وَالْأَرْضُ بِعِدْ ذَلْكُ دَحَاهَا * أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمُرْعَاهَا ﴾، ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السهاء ، فالمدحو مفسر بقوله: ﴿ أَخْرَجُ مَنَّهَا مَاءَهَا وَمُرْعَاهَا ﴾ وكان هذا بعد خلق السهاء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السهاء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عن سعيد بن جبير قال، قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليٌّ، قال: ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلونك، ﴿ وَلَا يَكْتَمُونَ اللَّهَ حَدَيثًا ﴾، ﴿ وَاللَّهَ رَبَّنَا مَا كَنَا مَشْركينَ ﴾ فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى: ﴿ أَأْنَتُم أَشْدَ خَلَقًا أَمْ النَّمَاءُ بِنَاهَا – إِلَى قُولُه – والأرضُ بعد ذلك دحاها ﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْنَكُمْ لَتَكَفُّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضِ فِي يَوْمِينَ – إِلَى قُولُه – طائعينَ ﴾ فَذَكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السهاء، قال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رحيماً ﴾ ؛ ﴿ عزيزاً حكيماً ﴾، ﴿ سميعاً بصيراً ﴾ فكأنه كان ثم مضى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ فلا أنساب بينهم يومنذ ولا يتساءلون ﴾ في النفخة الأولى، كما قال تعالى ﴿ فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾، وفي النفخة الأخرى ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ . وأما قوله: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾، ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾، فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لا يكتم حديثاً، وعنده ﴿ يود الذين كفروا ﴾ الآية، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السهاء، ثم استوى إلى السهاء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى: ﴿ دحاها ﴾، وقوله: ﴿ خلق الأرض في يومينكه فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السهاوات في يومين، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غفوراً رحياً ﴾ سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله اي لم يزل كذلك ، فإن الله تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلا من عند الله عزَّ وجلَّ .

وقوله تعالى: ﴿ خلق الأرض ، في يومين ﴾ يعني يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ﴾ أي جعلها مباركة قبابلة للخير والبذر والغراس، وقدر فيها أقواتها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال : ﴿ فِي أَربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي لمن أراد السؤال ، عن ذلك ليعلمه . وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ جعل في كل أرض مالا يصلح في غيرها، ومنه العصب باليمن، والسابوري بسابور ، والطيالسة بالري . وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى: ﴿ سواء للسائلين ﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك، وقال ابن زيد: ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ أي على وفق مراده، من له حباجة إلى رزق أو حاجة، فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه، وهذا القول يشبه قوله تعالى: ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ثم الموسوى إلى السهاء وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، ﴿ فقال لهما وللأرض اثنيا طوعاً

أو كرهاً ﴾ أي استجيباً لأمري طاثعتين أو مكرهتين، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فقال لها وللأرض اثنيا طوعاً أو كرهاً ﴾ قال الله تبارك وتعالى للسهاوات أطلعي شمسي وقمري ونجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك ، ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ واختاره ابن جرير . وقيل تنزيلاً لهن معاملة من يعقل بكلامهما، وقال الحسن البصري: لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذاباً يجدان ألمه ﴿ فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ أي ففرغ في تسويتهن سبع سماوات ﴿ فِي يومين﴾ أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة، ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ أي ورتب مقرراً في كل سماء مــا تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ، ﴿ وزينا السهاء الدنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، ﴿ وحفظاً ﴾ أي حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى، ﴿ ذلك تَصْـدير العزيز العليم ﴾ أي العزيز الذي قــد عز كل شيء فغلبه وقهره ، ﴿ العليم ﴾ بجميع حركات المخلوقات وُسكناتهم . روي أن اليهودُ أتت النبي ﷺ ، فسألته عن خلقُ السهاوات والأرضُ، فقالَ ﷺ : ﴿ خلقَ اللَّهُ تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع : وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة ﴿ قُلْ أَنْنَكُمْ لَتَكَفُّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضُ في يومين وتجعلون له أنـــداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ لمسن سأله، قال: وخلق يوم الخميس السهاء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية القي الآفة على كل شيء ممــا ينتفع بــه النــاس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة ۽ ، ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال: ٩ ثم استوى على العرش ه، قالوا: قــد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي عَلَيْتُ غضباً شديداً فنزل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتَ والأرض وما بينهما في سنة أيام وما مسنا من لغوب ۽ فاصبر على ما يقولون ﴾" .

فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلُ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّشُلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَمُحُودَ ﴿ إِذْ جَآءَ ثُهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلْتَهِكُمُ فَإِنَّا بِمَا أَرْسِلُتُم بِهِ عَكَافِرُونَ ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبُرُواْ فِي الْأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَنِيِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُ مِنَا قُولًا أَوْ لَا يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ اللَّذِي خَلَقَهُمْ هُو أَشَدُ مِنْهُ فَوَقَالُواْ مَنْ أَشَدُ مِنَا قُولًا فَي اللَّوْنِ فَي فَلَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلِمُ اللَّهُ الللَّهُ الل

⁽١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، قال ابن كثير : وهذا الحديث فيه غرابة .

مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أي ومن شاكلهما بمن فعل كفعلهما، ﴿ إِذْ جَاءَتُهُمُ الرَّسُلُ مِنْ بَيْنُ أَيْدِيهُم ومن خلفهم ﴾ ا كقوله تعالى ﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ أي ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدواً وقالوا: ﴿ لَو شَاءَ رَبَّنَا لَأَنزَلَ مَلاَئِكَة ﴾ أي لو أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده ﴿ فإنا بمــا أرسلتم به ﴾ أي أيها البشر ﴿ كافرون ﴾ أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَا عَادَ فَاسْتَكْبُرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي بغوا وعتوا وعصوا ﴿ وَقَالُوا مِنْ أشد منا قوة ﴾ ؟ أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله، ﴿ أَو لَمْ يِرُوا أَنْ الله الذي خلقهم هو أشـــد منهم قوة ﴾ أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة ، فإنه العظيم الذي خلتى الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها ، وأن بطشه شديد فلهذا قال: ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ قال بعضهم: وهي شديدة الهبوب، وقيل: البـــاردة، وقيل: هي التي لهــا صوت . والحق أنها منصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية ، وكانت باردة شديدة البرد جداً، وكانِت ذات صوت مزعج . وقوله تعالى: ﴿ فِي أَيَام نحسات ﴾ أي مثنابعات كقوله: ﴿ فِي يوم نحس مستمرٍ ﴾ أي ابتُدِثوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هــذا النحس ﴿ سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ﴾ حتى أبادهم عِن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة، ولهـــذا قال ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى). أشد خزياً لهم، ﴿ وهم لا ينصرون﴾ أي في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا « وقوله عزّ وجلِّ : ﴿ وأما تُمُودُ فَهديناهمِ ﴾ قالُ ابنُ عباسُ : يُبّنَا لهمْ ۞ ، وقال الثوري: دعوناهم ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أي بصرناهم وبيَّنا لهم ووضَّحنا لهم الحق على لسان نبيّهم صالح عليه الصلاة والسلام، فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آيةً وعلامة على صدق نبيّهم، ﴿ فَأَخَذَتُهُمْ صَاعَقَةُ العَذَابِ الهون ﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة، وذلاً وهواناً ، وعذاباً ونكالاً ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أي من التكذيب والجحود، ﴿ ونجينا الذين آمنوا ﴾ أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله عزّ وجلّ .

يقول تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون

⁽١) وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد .

إلى النار ﴿ يُوزَعُونَ ﴾ أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال تعالى ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ أي عطاشاً، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَى إذا ما جَاءُوها ﴾ أي وقفوا عليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف، ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء ﴿ قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلُّ شيء وهو خلقكم أول مرة كها أي فهو لا يخالفُ ولا يمانع وإليه ترجعون ، عن أنَّس بن مالك رضي الله عنه قال: صحك رسول الله عليه الله عليه وتبسم، فقال عليه : « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟ ، قالوا: يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ : « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي ربي أليس وعدتني أن لا تظلُّمني، قال: بلى، فيقول: فإنني لا أقبل عليَّ شاهداً إلا من نفسي، فيقول الله تبارك وتعالى: أو ليس كفى بي شهيداً واللائكة الكرام الكاتبين – قال – فيردد هذا الكلام مراراً – قال – فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بعداً لَكُنَّ وسحقاً، عنكن كنت أجادل ٧٤، وقال أبو موسى: لا يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عزّ وجلّ عمله، فيجحد، ويقول: أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول: لا وعزتك، أي رب ما عملته، قال: فإذا فعل ذلك ختم على فيه، قال الأشعري فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمني 🕫 ، وروى الحافظ أبو يعلى، عن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ إِذَا كَانَ يُومَ الْقِيـَامَةُ عَرْفُ الْكَافَرِ بعمله فجحــد وخاصم، فيقول: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول : احلفوا، فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى، وتشهد عليهم السنتهم ويدخلهم النار ع⁽⁶⁾ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون، حتى يؤذن لهم، فيختصمون، فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى، فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم، جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم، ثم يفتح لهم الأفواه، فتخاصم الجوارح، فتقول: ﴿ أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ فتقر الأسنة بعد الجحود⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقلون أنه يعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً عما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون، هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ أي في مواقف

⁽١) أخرجه الحافظ البرار ، ورواه مسلم والنسائي بنحوه .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري .

⁽٣) أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي .

⁽¹⁾ رواه ابن أبي حاتم .

القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم . روى الإمام أحمد، عن عبدالله رضي الله عنه قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان – أو ثقفي وختناه قرشيان – كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نوفعه لم يسمعه ، فقال الآخر : إن سمع منه شيئاً سمعه كله ، قال : فذكرت ذلك للنبي عليه فأنزل الله عزّ وجلّ : ووا كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم – إلى قوله – من الخاسرين في ألى . وروى الإمام أحمد ، عن جابر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله عليه : « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن ، الإمام أحمد ، عن جابر رضي الله عنه قال الله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم مسن الخاسرين في ألى ووله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين في أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا ، هم في النسار لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا وبسلوا أعلم أعذار ، ولا تقسال لهم عثرات ، قبال ابن جرير ومعنى قوله تعالى : ﴿ وان يستعتبوا كها الله عنها ولا تكلمون كها وان الحسور المنار أفما لهم أعداراً فها فم أعدار ، ولا تقسال لهم عثرات ، قبال ابن جرير ومعنى قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا أيوا الرجعة إلى المدنيا فلا جواب لهم ، قال : وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شهوتنا وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال الحسورا فيها ولا تكلمون كه .

يذكو تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لم من القرناء من شياطين الإنس والجن، ﴿ فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي حسنوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلا محسنين، كما قال تعالى: ﴿ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهندون ﴾، وقوله: ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس، ﴿ إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي استووا هم وإياهم في الخسار والدمار، وقوله تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا له القرآن ﴾ أي تواصوا فيا بينهم أن لا يطيعوا القرآن ولا ينقادوا لأوامره، ﴿ والغوا فيه ﴾ أي إذا تلي لا تسمعوا له، كما قال مجاهد ﴿ والغوا فيه ﴾ أي إذا قرأ القرآن وكانت قريش كما قال مجاهد ﴿ والغوا فيه ﴾ يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله عليها إذا قرأ القرآن وكانت قريش تفعله، وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿ والغوا فيه ﴾ عيبوه، وقال قتادة: اجحدوا به وأنكروه وعادوه،

⁽١) أخرجه أحمد ورواهِ مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود بنحوه . ﴿ ﴿ ﴾ أخرجه الإمام أحمد في المسند .

ولعلكم تغلبون كه هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك، فقال تعالى: ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون كه، ثم قال عزّ وجل ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً كه أي في مقابلة ما اعتقدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون كه أي بشر أعمالهم وسيء أفعالهم، ﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحلون و وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس تجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين كه . عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ اللذين أضلانا كه قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه، فإبليس الداعي إلى كل شرّ من شرك فها دونه، وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث: «ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » ، وقولم : ﴿ تجعلهما تحت أقدامنا كه أي أسفل من النار ، كما تقدم الي العذاب ليكونا أشد عذاباً منا، ولهذا قالوا ﴿ ليكونا من الأسفلين كه أي في الدرك الأسفل من النار ، كما تقدم في الأعراف في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم » ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون كم أنه تعالى قد أعطى كلاً منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده، كما قال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب عا كانوا يفسدون كه .

* إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَنْمُواْ لَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمُلَنَّيِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَاتَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَهِ خَفُنُ أُولِيَآ أَوُكُمْ فِي الْحَيَاوِةِ الدُّنْيَ وَفِي الآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ ۞ تُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيسِمِ

يقول تعالى: ﴿ إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ أي أخلصوا العمل لله ، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، قبال الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قرأ علينا رسول الله على ما شرع الآية ﴿ إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها » . وعن سعيد بن عمران قال: «قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية ﴿ إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً » . وقال عكرمة: سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال، قوله تعالى: ﴿ إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على شهادة أن لا إلّه إلا الله . وقال الزهري: تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ، ثم قال: استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه، وكان الحسن ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه، وكان الحسن يقول : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة، وقال أبو العالية: ﴿ ثم استقاموا ﴾ اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة، وقال أبو العالية: ﴿ ثم استقاموا ﴾ اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة، وقال أبو العالية: ﴿ ثم استقاموا ﴾ الحلصوا له الدين والعمل، وعن سفيان ابن عبدالله الثة في قال: « هذا » الله عنها؛ وأخذ رسول الله عنها؛ وأخل لمان نفسه، ثم قال: « هذا » . و في الله : يا رسول الله ما أكثر ما تخاف على ؟ فأخذ رسول الله عنها الله عنه المان نفسه، ثم قال: « هذا » . و في

أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي .
 (٣) أخرجه ابن جرير عن سعيد بن عمران .

⁽٢) أخرجه النسائي والبزار وابن جرير . ﴿ ﴿ وَا أَخرجه أَحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

رواية : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحــداً بعدك ، قال عَلَيْظَةِ : « قل آمنت بالله ثم استقم »(١) .

وقوله تعالى : ﴿ تَنْزُلُ عَلَيْهُمُ الْمُلاثَكَةُ ﴾ قال مجاهد والسدي: يعني عند الموت قـائلين : ﴿ أَلَا نَخافُوا ﴾ أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين ، فإنا نخلفكم فيه، ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير ، وهذا كما جاء في حديثُ البراء رضي الله عنه قال: « إن الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجي أينها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان »، وقيل: إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم^m ، وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته و في قبره وحين يبعث، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ أُولِياؤُكُمْ فِي الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم، أي قرناءكم في الحيّاة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ﴿ وَلَكُمْ فَيها مَا تَشْتُهِي أنفسكم ﴾ أي في الجنة من جميع ما تحتارون ممــا تشتهيه النفوس وتقر به العيون ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ أي مهما طلبتم وأجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ أي ضيافة وعطاء ﴿ من غفور ﴾ لذنوبكم ﴿ رحيم ﴾ بكم حيث غفر وستر ، ورحم ولطف، وفي الحديث: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كرهُ لقاء الله كره الله لقاءه »، قلنا: يا رسول الله : كلنا نكره الموت، قال عليه : « ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حُضِرَ جاءه البشير من الله تعالى بمــا هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قــد لقي الله تعالى، فأحب الله لقاءه، قال: وإن الفاجر، أو الكافر ، إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر ، فكره لقاء الله فكره الله لقاءه »(٣) .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنَ دَعَآ إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا اللّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَلَيْ حَمِيمٌ إِنَّ وَمَا يُلَقَّلُهَاۤ إِلَّا اللّهِ يَ اللّهَ عَلَيْهِ مَا يُلَقَّلُهَاۤ إِلّهُ اللّهِ يَ اللّهَ عَلَيْهِ وَمَا يُلَقَّلُهَاۤ إِلّهُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴿ وَهَا يَلَوَّا لَلْهَ مِنَ الشَّيْطُانِ نَرْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وَإِمَّا يَنزَعَنَكُ مِنَ الشَّيْطُانِ نَرْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

يقول عزّ وجلّ : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ أي وهو في نفسه مهتد فنفعه لنفسه ولغيره، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، بل يأتمر

⁽١) أخرجه مسلم والنسائي .

⁽٢) حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد عن أنَس رضي الله عنه .

بالخير ويترك الشر، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، وقيل: المراد بها المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم: « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة »، وقال عمر رضي الله عنه: لو كنت مؤذناً لكمل أمري، وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار، سمعت رسول الله على يقول: اللهم اغفر للمؤذنين » ثلاثاً، قال: فقلت: يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف، قال على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم، وتلك لحوم حرمها الله عزّ وجل على النار لحوم المؤذنين » أوقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً المؤذنين » أن السلمين ﴾ قالت: فهو المؤذن إذا قال: حي على الصلاة فقد دعا إلى الله، وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة: إنها نزلت في المؤذنين، والصّحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، وقوله تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ أي فرق عظم بين هذه وهذه، ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطبع الله فيه .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ وهو الصديق إي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير ﴿ كأنه ولي حميم ﴾ أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ وما يلقاها إلا الذبن صبروا ﴾ أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضيع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، وقوله تعالى: ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ أي أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس، إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده، وقد كان رسول الله عليه إذا قام إلى الصلاة يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هزه ونفخه ونفته ه (١٠٠٠).

وَمِنْ اَيَنتِهِ النِّيلُ وَالنَّمَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاشْجُدُواْ لِلْمَارُ وَالشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاشْجُدُواْ لِللَّهَارِ وَهُمْ لَا إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ لَهُمْ بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ لَهُمْ بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعُمُونَ فِي وَمِنْ اَيَنتِهِ النَّهَ تَرَى الْأَرْضَ خَلْشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَ عَلَيْهَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمُواتَى اللَّهُ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي الشَّعْ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ

يقول تعالى منبهاً خلقه على قدرته العظيمة، وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قــادر : ﴿ وَمَن آيَاتُهُ اللَّيْلِ

 ⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .
 (٢) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن .

والنهار والشمس والقمر ﴾ أي أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يفتران، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول أوقات العبادات والمعاملات، ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العمالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره فقال: ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِن سُركوا معه غيره، ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ . وروى الحافظ أبو يعلى، عن جابر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله على الله تسبوا الليل ولا النهار ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم » وقوله : ﴿ وَمِن آياته ﴾ أي على قدرته على إعادة الموتى ولا القمر ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم » وقوله : ﴿ وَمِن آياته ﴾ أي على قدرته على إعادة الموتى أورات الذي أحرجت من جميع ألوان الزروع والثهار، ﴿ إن الذي أحياها لهي مينة، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أن

إِنَّ النَّيِنَ يُلْحِدُونَ فِي عَايَنتِنَا لَا يَحْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرً أَمْ مَّن يَأْتِي عَامِنُ يَوْمَ الْقِبَدَهَ ۚ اعْمَلُواْ مَا اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ قال ابن عباس: الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه، وقال قتادة: هو الكفر والعناد، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ لا يخفون علينا ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد أي أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجز به على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفْن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ ؟ أي أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان، ثم قال عزّ وجلّ تهديداً للكفرة: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ وعيد أي من خير أو شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ، ولهذا قال: ﴿ إِنه بما تعملون بصير ﴾، ثم قال جل جلاله: ﴿ إِن الذين كفروا بالذكر كما جاءهم ﴾ قال الضحاك هو القرآن، ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ أي منبع الجناب لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين، ولهذا قال: ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ ما يقال لك الأ ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾، قال قتادة والسدي : ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قبل للرسل من قبلك كه، قال قتادة والسدي : ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قبل للرسل من قبلك أي مؤله مغرة ﴾ أي لمن تاب إليه، ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أي لمن استمر على كفره ابن جرير ، وقوله تعالى: ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ أي لمن تاب إليه، ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أي لمن استمر على كفره ابن جرير ، وقوله تعالى: ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ أي لمن تاب إليه، ﴿ وذو عقاب أليم كه أي لمن استمر على كفره

وطغيانه، وعناده وشقاقه ومخالفته . قال سعيد بن المسيب: لمّا نزلت هـذه الآية : ﴿ إِن رَبْكُ لَلُو مَغْمُرَةً ﴾ قال رسول الله عَلَيْتُ : ه لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد ، (() وَلَوْ جَعَلْنَـٰكُ قُرْءَانًا أَعْجَدِيًّا لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِلَتْ ءَايَنُتُهُ وَ ءَايْكُو وَهُو عَلَيْهُمْ عَمَّى أَوْلَائِكُ يُنَادُونَ مِنِ مَّكَانِ بَعِيدٍ ﴿ وَلَا يَعْدُونَ وَهُو عَلَيْهُمْ عَمَّى أَوْلَائِكُ يُنَادُونَ مِنِ مَّكَانِ بَعِيدٍ ﴿ وَلَقَدْءَا تَدْنَا مُوسَى

ٱلْكِتَلَبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِى بَيْنَهُ مَّ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَلِكٌ مِّنْهُ مُريبٍ ٢ **لما ذكر ثعالى** القرآن وفصاحته وبلاغته ومع هذا لم يؤمن بــه المشركون ، نبـه على أن كفرهم بــه كفر عناد وتعنت، كما قال عزُّ وجلُّ: ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم، ما كانوا به مؤمنين﴾الآيات، وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغــة العجم لقـــالوا على وجه التعنت والعنــاد ﴿ لُولَا فصلت آياتــه أأعجمي وعربي ﴾ أي لقالوا هلَّا أنزل مفصلاً بالهة العربُ ولأنكروا ذلك، فقالوا ﴿ أأعجميَ وعربي ﴾ أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟™ وقيل: المراد بقولهم ﴿ لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ أي هل أنزل بعضهــــا بالأعجمي وبعضها بالعربي ؟ هــذا قول الحسن البصري وكان يقرؤهـــا كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي ، وهو في التعنت والعناد أبلغ، ثم قال عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ هُو لَلْذَينَ آمَنُوا هَدَى وَشَفَاءَ ﴾ أي قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه، وشفاء، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ثم قال تعالى: ﴿ والَّذِينَ لَا يؤمنون في آذا بهم وقر ﴾ أي لا يفهمون مــا فيه ، ﴿وهو عليهم عـمى ﴾ أي لا يهتلـون إلى مــا فيه من البيان كما قــال سبحانه وتعالى ﴿ وننزل من القرآن مــا هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيــد الظــالمين إلا خـــاراً ﴾ ، ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيدكه قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم، قال ابن جرير: معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول، قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَثْلُ الَّذِينَ كَفُرُوا كَمَثْلُ الَّذِي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾، وقــال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمامهم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدَ آتَيْنَا مُوسَى الكتاب فاختلف فيه ﴾ أي كذب وأوذي، ﴿ وَلَوْ لَا كَلَّمَةُ سَبَّقَت من ربك إلى أجل مسمى ﴾ بتأخير الحساب إلى يوم المعاد﴿ لقضي بينهم ﴾ أي لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً ، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكَ مَنْهُ مَرْيَبٍ ﴾ أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا ، بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم .

مَّنْ عَمِلَ صَلِيحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَ ۖ وَمَا رَبَّكَ بِظَلَّهِ لِلْعَبِيدِ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ السَّاعَةُ وَمَا كَخُرُجُ مِنْ ثَمَ رَبِّ مِّنْ أَكْامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْنَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلّا بِعِلْبِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَا وَعَالُواْ ءَاذَنَكَ مَامِنًا مِن شَهِيدٍ ﴿ فَي وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَذْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَالَهُم مِّن عَيبِ ﴿

⁽١) أخرجه أبن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب مرفوعاً . (٧) روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي وغيرهم .

يقول تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه، ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أي إنما يرجع وبال ذلك عليه ، ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ أي لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ أي لا يعلم ذلك أحد سواه ، كما قال سيد البشر لجبريل عليه السلام حين سأله عن الساعة ، فقال : ﴿ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ﴾ ، وكما قال عزّ وجلّ : ﴿ إلى ربك منهاها ﴾ ، وقال جلّ جلاله : ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السياء ، كقوله : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ ، وقوله جل وعلا : ﴿ ويوم يناديهم أين شركائي ﴾ أي يوم القيامة في ما منا من شهيد ﴾ أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكاً ، ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ أي ذهبوا فلم ينفعوهم ، ﴿ وظنوا ما لم من محيص ﴾ أي وأيقن المشركون يوم القيامة ﴿ ما لم من محيص ﴾ أي لا محيد لهم من عذاب الله ، كقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفاً ﴾ .

لَا يَسْفَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءَ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَهُ الشَّرُّ فَيَعُوسٌ قَنُوطٌ ﴿ وَلَيْ أَذَقَنَهُ رَحْمَةُ مِنَا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّةُ لَبَقُولَنَّ هَاذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَاتِهَةً وَلَيْن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِندَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنْئِنَّ وَمَا أَظُنْ السَّاعَةَ فَآيِهَ وَلَيْن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِندَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنْئِنَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّالِي الللَّهُ اللَّلَا اللَّلْمُ الللَّالِمُ اللللْمُ الللِي اللللْم

يقول تعالى: لا يمل الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك، ﴿ وإن مسه الشر ﴾ وهو البلاء أو الفقر ﴿ فيئوس قنوط ﴾ أي يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير ، ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي إذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة نيقولن هذا لي إني كنت أستحقه عند ربي ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي يكفر بقيام الساعة ، أي لأجل أنه خوّل نعمة يبطر ويفخر ويكفر ، كما قال تعالى: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغي ه أن رآه استغني ﴾ ، ﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسني ﴾ أي ولئن كان ثم معاد فليحسن إلي ّربي كما أحسن إلي في هذه الدار ، يتمنى على الله عزّ وجل مع إساءته العمل وعدم البقين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فلنبش الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ يتهدد تعالى من كان عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عزّ وجلّ ، كقوله جلّ جلاله: ﴿ فتولى بركنه ﴾ ، ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة ﴿ فنو دعاء عريض ﴾ أي يطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه ، والوجيز عكسه وهو ما قل ودل ، وقد قال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مركأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ الآية .

قُلْ أَرَةً يُمُ إِن كَانَ مِنْ عِندِ آللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ عَنْ أَضَلُّ مِّنْ هُو فِي شِفَاقِ بَعِيدِ ﴿ مَنْ عَندِ آللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ عَنْ أَضَلُّ مِّنْ هُو فِي شِفَاقِ بَعِيدِ ﴿ مَن عَندِ آللهِ مَنْ عَندِ آللهِ مَنْ عَندِ آللهِ مَنْ عَندِ آللهِ مَنْ عَنْ مُكُونِ مِرَيِّهِ مَن يَفَى عَلَى كُلِّ شَيْءِ مُعِيطُ ﴿ مَن اللهِ مَن عَن مِرْيَةٍ مِن لِقَاء رَبِّحٌ أَلَا إِنّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُعِيطُ ﴿ إِنَّ اللّهِ مِن لِقَاء رَبِّحٌ أَلَا إِنّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُعِيطُ ﴿ إِنَّ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

يقول تعالى: ﴿ قَلَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ﴿ أَرأَيتُم إِنْ كَانَ ﴾ هذا القرآن ﴿ من عند الله ثم كفرتم به ﴾ أي كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ ؟ أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ، ثم قال جلّ جلاله : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ، على رسول الله يَقِيلِ بدلائل خارجية ﴿ في الآفاق ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان . قال بمعاهد والحسن والسدي : ﴿ وفي أنفسهم ﴾ قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك ، من الوقائع التي نصر الله فيها محمداً عَلَيْ وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحزبه ، ويحتمل أن يكون المراد ما الإنسان مركب منه ، من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح ، الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ ؟ أي كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمداً على صادق فيا أخبر بسه عنه، كما قال: ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه، ثم قال تعالى مقرواً أنه على كل شيء قدير ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وهو المتصرف فيها كلها بحكه فما شاء كان وما لم يشا لم يكن

[آخر تفسير سورة حم السجدة . ولله الحمد والمنة]



بِنْ لِسُوالِحَمْنِ ٱلرَّحِ لِسَالِ الْمَانِ الرَّحِ الْمَالِينِ

حد ﴿ عَسَقَ ۞ كَذَالِكَ يُوحِى إِنَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۞ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمُلَنَبِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُو الْعَلِيُ الْعَلِيمُ اللَّهَ هُوَ الْفَفُودُ الرَّحِيمُ ۞ وَالَّذِينَ النِّحَذُواْ مِن دُونِهِ مَ أُولِيآ اللَّهُ حَفِيظُ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوكِيلٍ ۞

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل على الأنبياء قبلك، وقوله تعالى : ﴿ الله العزيز ﴾ أي في انتقامه، ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن (الحارث بن هشام) سأل رسول الله عنها قالت: إن (الحارث بن هشام) سأل وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يأتيني الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول ٥ . قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه على لينفصد عرقاً ١٠٠٠ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله عنها، فإن جبينه على الله الله عنها الوحي ؟ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ أي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه ﴿ وهو العلي الكبير ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ تكاد السماوات ينفطرن من فوقهن ﴾ قال ابن عباس والسدي: أي فَرَقاً من العظمة ، ﴿ والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم

⁽١) أخرجاه في الصحيحين واللفظ للبخاري . ومعنى يتفصد : أي يتصبب عرقاً . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾، وقوله جلّ جلاله: ﴿ أَلَا إِنَ الله هو الغفور الرحيم ﴾ إعلام بذلك وتنويه به، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ يعني المشركين ﴿ الله حفيظ عليهم ﴾ أي شهيد على أغمالهم يحصيها ويعدها عداً، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء، ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل .

وَكَذَالِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيَّ لِنُنذِرَ أَمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَكَ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْحَمْعِ لَارَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لِمَعَلَّهُمْ أَمَّةٌ وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَنِهِمَ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّنِ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ ﴾

يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿ أوحينا إليك قرآناً عربياً ﴾ أي وإضحاً جلياً بيناً ﴿ لتنسلر أم القرى ﴾ وهي مكة، ﴿ ومن حولها ﴾ أي من سائر البلاد شرقاً وغرباً ؛ وسميت مكة (أم القرى) لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة منها قول رسول الله يهائية: « والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » . وقوله عز وجل : ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وقوله تعالى: ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة، ﴿ ويق في الجنة وفريق في السعير ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ أي يغبن أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل : ﴿ ويم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ أي يغبن أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل : ﴿ يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فنهم شقي وسعيد ﴾ . روى الإمام أحمد، عن عبدالله النار عمرو رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله علي الذي في يمينه: « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال يؤيله للذي في يساره : « هذا كتاب أهل النار بأسمامهم وأسماء آبائهم وقبائلهم » ، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال يؤيله للذي في منه أبداً ، فقال أصحاب رسول الله يؤيله : فعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه ؟ قال رسول الله يؤيله : « سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل أي عمل الم الجنة وإن عمل أي عمل أي عمل أي عمل أي الجنة ، وبذ باليسرى فنبذ بها فقال : « فرغ ربكم عز وجل من العباد ، ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال : وفرق في الجنة ، وبذ باليسرى وقال : « فرغ ربكم عز وجل من العباد ، ثم قال واليم المؤيلة و السمير » السمير » السمير » السمير » الم العباد ، ثم قال العباد ، ثم قال العباد ، ثم قال وقباد في المهناء أله والسمي المؤيلة و السمير » الم العباد ، ثم قال العباد ، ثم قال العباد ، ثم قال عمل أي العباد ، ثم قال العباد ، ثم قال عمل أي السميد و المنا العباد ، ثم قال عمل أي العباد ، ثم قال عمل أي العباد ، ثم قال عمل أي العباد ، ثم قال عبد المياد و المياء أله المنا العباد ، قال عبد المياد و العباد أي المياء أله المياء أله المياء أله المي

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ أي إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من يشاء إلى الحق، وأضل من يشاء عنه، وله الحكة والحجة البالغة، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَكُن يَدْخُلُ مَن يَشَاء فِي رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ وقال ابن جرير : إن موسى عليه الصلاة

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

⁽٢) أخرجه أخمد والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

والسلام قال: يا رب خلقك الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في النار، لو ما أدخلتهم كلهسم الجنة ؟ فقال: يا موسى ارفع درعك، فرفع، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئاً، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت، إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه.

أَمِ الْخَذُواْ مِن دُونِهِ مَّ أَوْلِيكَ أَ فَاللَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُو يَعْيِ الْمَوْتَى وَهُ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَكُمُّهُ وَإِلَى اللَّهِ ذَلِيكُ اللَّهُ وَلِي عَلَيْهِ مَن عَنْ وَ فَكُمُّهُ وَإِلَى اللَّهِ ذَلِيكُ اللَّهُ وَلِي عَلَيْهِ مَن عَن عَن عَلَى اللَّهِ الْمِيكُ اللَّهُ وَلَي عَلَيْهِ مَن الْمُونِ وَالْمُونِ وَاللَّهِ عَلَي اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيمُ الْمُؤْتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيمُ الْمَا لَمُ اللَّهُ اللِيمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّ

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، ومخبراً أنــه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحــده، فإنه هو القــادر على إحياء الموتَى، وهو على كل شيء قــدير ، ثم قال عزَّ وجل: ﴿ وَمَا اختلفتُم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ أي مهما اختلفتم فيه من الأمور ، وهذا عــام في جميع الأشياء ﴿ فحكمه إلى الله ﴾ أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيّه ﷺ، كقوله جلّ وعلا : ﴿ فَإِنْ تَنازَعْتُم فِي شَيْء فردوه إلى الله والرسول ﴾، ﴿ ذَلَكُمُ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أي الحاكم في كل شيء، ﴿ عليه توكلت واليه أنيب﴾ أي أرجع في جميع الأمور . وقولــه جل جلاله: ﴿ فَاطْرُ السَّاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي خالقهما وما بينهما ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي من جنسكم وشكلكم، منَّةً عليكم وتفضلًا، جعل من جنسكم ذكراً وأنثى، ﴿ وَمن الأنعام أزواجاً ﴾ أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج، وقوله تبارك وتعالى ﴿ يَدَرُوكُم فِيه ﴾ أي يخلقكم فيه على هذه الصفة، لا يزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً خلقاً من بعد خلق، وجيلاً بعد جيل، وقـــال البغوي ﴿ يذرؤكم ﴾ أي في الرحم، وقيل: في هذا الوجه من الخلقة، قال مجاهد: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام: وقيل: «في» بمعنى الباء، أي يذرؤكم به، ﴿ ليس كمثله شيء﴾ أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء، لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿ وهو السميع البُّصير ﴾، وقوله تعالى: ﴿ له مقاليد السهاوات والأرض ﴾ تقدّم تفسيره في سورة الزمر ، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما ، ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيّق على من يشاء ، وله الحكمة والعدل النام. ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾. * شَرَعَ لَـكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَاوَصِّيٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيّ أَوْحَيْنَا ۚ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّبْنَا بِهِ ٓ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا نَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَعَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيّ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيّ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيٌ اَبَذَهُمٌ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلِ

⁽١) أخرجه ابن جرير من حديث عمرو بن أبي سويد .

مُسَمَّى لَقُضِى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِ شَكِّ مِنْهُ مُريبِ (١)

يقول تعالى لهذه الأمة : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى بــه نوحاً والذي أوحينا إليك ﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو (نوح) عليه السلام، وآخرهم وهو (محمد) ﷺ، ثم ذكر من بـين ذلك من أو لي العزم، وهو : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مَنَ النَّبِينَ مَيْثَاقَهُمْ وَمَنْكُ وَمَنْ نُوحِ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعَيْسَى بَنْ مَرْيَمَ ﴾ الآية ، والدين الذي جاءت بــه الرسل كلهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلّه إلا أنا فاعبدونكه، وفي الحديث: « نحن معشر الأنبياء أولاد عَلَات ، ديننا واحد » أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحـــده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله جلّ جلاله: ﴿ لَكُلُّ جَعَلْنَا مَنْكُم شَرَعَة ومنهاجاً ﴾، ولهــذا قال تعالى ههنا : ﴿ أَن أَقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. وقوله عزّ وجلّ : ﴿ كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكَيْنَ مَا تَدْعُوهُم إليه ﴾ أي شق عليهم، وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد، ثم قــال جلّ جلاله: ﴿ الله بجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي هو الذي يقدر الهـــداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرهــا على طريق الرشد، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي إنمــا كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم، وقيــام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ثم قال عزَ وجلَ : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى ﴾ أي لولا الكلمة السالفة من الله تعالى بإنظار العباد إلى يوم المعاد، لعجّل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً، وقوله جلت عظمته: ﴿ وَإِن الَّذِين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيَّمانهم، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب وشقاق بعيد .

* فَلِذَاكِ فَادَّعُ وَاسْنَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا لَنَّبِعْ أَهْوَا عَهُمْ وَقُلْ عَامَنتُ بِمَا أُرْلَ اللهُ مِن كِتَنْبِ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُرُ اللهُ رَبْنَا وَرَبْكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا خَجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمُصِيرُ ١

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسها ، قالوا : ولا نظير لها سوى آية الكرسي ، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه ، وقوله ﴿ فلذلك فادع ﴾ أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا بــه جميع المرسلين قبلك ، أصحاب الشرائع المتبعة ، فادع الناس إليه . وقولــه عزّ وجلّ : ﴿ واستقم كما أمرت ﴾ أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى ، كما أمركم الله عزّ وجل . وقولــه وقولــه تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ يعني المشركين فيما اختلقوه فيه وكذبوه وافتروا من عبــادة الأوثان . وقولــه

جلّ وعلا : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السهاء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم . وقوله : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ أي في الحكم كما أمرني الله . وقوله جلّت عظمته ﴿ الله ربنا وربكم ﴾ أي هو المعبود لا إلّه غيره فنحن نقر بذلك اختياراً ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعاً وإجباراً . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي نحن برآء منكم . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا حجة بيننا وبينكم ﴾ قال مجاهد : أي لا خصومة . قال السدي : وذلك قبل نزول آية السيف ، وهذا متجه ، لأن هذه الآية مكبة وآية السيف بعد الهجرة ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ أي يوم القيامة كقوله : ﴿ قل يجمع بيننا بنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ . وقوله جلّ وعلا : ﴿ وإليه المصير ﴾ أي المرجع والماب .

وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ رُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ صَلَيْهِ مَا اللَّذِينَ اللَّهُ الَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ اللَّذِينَ عَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقَّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالِ

بعِيدٍ ١

يقول تعالى متوعداً الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به ﴿ والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له ﴾ أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ أي باطلة عند الله ﴿ وعليهم غضب ﴾ أي منه ﴿ ولم عـذاب شديد ﴾ أي يوم القيامة ، قال ابن عباس ومجاهد: عادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ، ليصدوهم عن الهدى ، وطمعوا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة : هم اليهود والنصارى قالوا لهم: ديننا خير من دينكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونبعن خير منكم وأولى بالله منكم ، وقد كذبوا في ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق ﴾ يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه ، ﴿ والميزان ﴾ وهو العدل والإنصاف ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النساس بالقسط ﴾ ، وقوله : ﴿ ألا تطغوا في الميزان ه وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ فيه ترهيب منها . وتزهيد في الدنيا ، وقوله عز وجل : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي يقولون قريب ﴾ فيه ترهيب منها . وتزهيد في الدنيا ، وقوله عز وجل : هو الذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي خائفون وجلون من وقوعها ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها ، وقد دوي وجلون من وقوعها ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها ، وقد دوي أن رجلاً سأل رسول الله علي الله ويسوك إنها كائنة في العديث : « المرء مع أعددت من أحببت » " ، فقال ي وسوك إنها كائنة في أعددت لها ؟ » فقال : حب الله ورسوله ، فقال له : متى الساعة ؟ فقال رسول الله عيستا في الحديث : « المرء مع أعددت لها ؟ » فقال : حب الله ورسوله ، فقال عيستا الله عنه أنه المرء مع أعددت ها ؟ » فقال : حب الله ورسوله ، فقال عند من أحببت » من أحببت » فقال في الحديث : « المرء مع أعددت ها ؟ » فقال : حب الله ورسوله ، فقال علي الله عنه النساء القسط الله عاملون من أحبت » فقوله في الحديث : « المرء مع أعددت ها ؟ » فقال : حب الله ورسوله ، فقال علي الله عنه الله علي المحديث : « المرء مع من أحبب الله وي المحديث ، فقال علي الله علي المحديث ؛ والمحديث الساء المها أي المحديث المولى الله علي المحديث ؛ والمحديث إله أي المحديث المحديث

⁽١) أخرجه أصحاب السنن والمسانيد وله طرق تبلغ درجة التواتر كما قال ابن كثير .

من أحب ، هذا متواتر ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها، وقوله تعالى: ﴿ أَلا إِن الذين يمارون في الساعة ﴾ أي يجادلون في وجودها، ويدفعون وقوعها ﴿ لَفي ضلال بعيد ﴾ أي في جهل بيّن، لأن الذي خلق السهاوات والأرض، قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

اللهُ لَطِيثُ بِعِبَادِهِ عَيْرَزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُ وَالْقَوِيُّ الْعَزِيرُ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ الْهُ فِي اللهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ عَيْرُدُ وَ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ عَمْنَكَ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ﴿ مَنْ أَمْ لَمُمْ مُرَكَنَوُا شَرَعُواْ لَهُم مَن الدِّينِ مَالَدٌ يَا اللهُ وَلَا كَلِمَ اللهُ الْفَصْلِ لَقُضِي بَيْنَهُم فَو إِنَّ الظَّلِينَ لَهُمْ عَذَابً أَلِيمٌ ﴿ مَنْ مَن اللَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلْحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَاتِ لَمُمُ مَا يَشَاءُونَ مَنْ وَيَعْلَمُ اللَّهِ مَن اللَّهِ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَا اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَا اللَّهُ مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُواللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَهُ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَا لَهُ اللَّهُ مَا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَا اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَا لَهُ اللَّهُ مَا لَهُ مُن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَهُ مُن اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُن اللّ

ي**قول تعالى** مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم سواء منهم البر والفاجر ، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ الآية، وقوله جل وعلا: ﴿ يرزق من يشاء ﴾ أي يوسع على من يشاء ﴿ وهو القوي العزيز ﴾ أي لا يعجزه شيء، ثم قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُريــد حرث الآخرة ﴾ أي عمل الآخرة ﴿ نزد له في حرثه﴾ أي نقويه ونعينه على ما هو بصدده، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ أي ومن كان سعيه ليحصل له شيء من الدنيا . وليس له إلى الآخرة هم بالكلية، حرمه الله الآخرة وفاز بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرِيدَ الصَّاجَلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فَيَهَا مَا نشاء لَمَن نَرِيدَ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهِنم يصلاهــا مَذْمُوماً مُلْحُوراً ﴾، وفي يكن له في الآخرة من نصيب ٧٠١ وقوله جل وعلا: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات البـاطلة، وقــد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ٥ رأيت عمروبن لحي يجر قصبه٣ في النار »، لأنه أول من سيّب السوائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه، ولهــذا قال تعالى: ﴿ ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ﴾ أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقــدم من الإنظار إلى يوم المعاد، ﴿ وان الظــالمين لهم عذاب أليم ﴾ أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير ، ثم قال تعالى: ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا ﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ وهو واقع بهم ﴾

⁽١) رواه الثوري عن أبي العالية عن أبي بن كعب مرفوعاً .

⁽٢) قصبه: أي أمعاءه.

أي الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة ، هذا حالهم يوم معادهم هو والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنان، الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم كه فأين هذا من هذا ؟ أين من هو في الذل والهوان، ممن هو في روضات الجنان، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملاذ، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ؟ ولهذا قال تعالى: هو ذلك هو الفضل الكبير كه أي الفوز العظيم والنعمة التامة، الشاملة العامة .

ذَالِكَ الَّذِي يُبِشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِّ قُل لَآ أَسْتَلُكُرْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةَ فَي الْقُرْبَيِّ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ آَمَ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهَ عَلُورٌ شَكُورٌ آَمَ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهَ عَلَى اللّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ آَمَ يَعُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذَبًا فَإِن يَشَإِ اللّهُ يَخْتَمْ عَلَى قَلْسِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلُ وَيُحِتَّ الْحَقَّ بِكَلِمَ نَيْدٍ إِلَّهُ عَلَيْمُ إِذَاتِ اللّهَ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْمٌ إِذَاتِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْمٌ إِذَاتِ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي هــذا حاصل لهم كائن لا محــاله، ببشارة الله تُعالى لهم به، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلَ لَا أَسَالَكُمُ عَلَيْهِ أَجِرًا إِلَّا المُودَةُ فِي القربي ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش، لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح مالاً، وإنمــا أطلب أن تذروني أبلغ رسالات ربي، فلا تؤذوني بمــا بيني وبينكم من القرابة، روى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ إِلَّا المُودَةُ فِي القربَى ﴾ فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عَجِلْتَ إن النبي عَلِيُّكَ : لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة »⁽⁾ . وروى الحافظ الطبراني ، عن ابن عباس قال ، قال لهم رسول الله ﷺ : « لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم، وتحفظوا القرابة بيني وبينكم » 🕅 . وروى الإمـــام أحمد، عن مجاهد، عن ابن عباس : و لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً إلا أن توادوا الله تعالى، وأن تقربوا إليه بطاعته » ، وهذا كأنه تفسير بقول ثان، كأنه يقول: إلا المودة في القربى، أي إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى، وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرابتي، أي تحسنوا إليهم وتبروهم، قــال السدي: لمــا جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرًا، فأقيم على درج دمشق، قــام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم، واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة ، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه : أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربـى ﴾ ؟ قال: وإنكم لأنتم هم ؟ قال: نعم 🗝 . والحق تفسير هـــذه الآية بمــا فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن، عبدالله بن عباس رضي

⁽١) أخرجه البخاري ، وبقول ابن عباس قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي .

⁽٢) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس .

⁽٣) ذكره ابن جرير وعلى هذا القول المراد بالقربى قرابة النبي ﷺ .

الله عنهما، كما رواه عنه البخاري، ولا ننكر الوصية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله عَلِيْتُهِ قال في خطبته بغدير خم: « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي = وإنهما لم يفترقا حتى يرداً عليَّ الحوض »، وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه : والله لقرابة رسول الله عَلِيَّةٍ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله عَلَيْكُمْ من إسلام الخطّاب . وروى الإمام أحمد، عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا والحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قــال حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً : رأيت رسول الله عَيْمُكُ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلَّيت معه . لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله عَلَيْكُم فقال: يا ابن أخي لقد كبر سني، وقــدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله عَلِيْنَةٌ . فما حدثتكم فاقبلوه، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قسال رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بمــاء يدعى خماً بــين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وذكِّر ووعظ، ثم قال ﷺ: ﴿ أَمَا بَعَدَ أَيُّهَا النَّاسَ إنحا أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغبُ فيه . وقال ﷺ : «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي »، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه منَّ أهل بيتُه ؟ قال: إن نساءه لسن منْ أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس رضي الله عنهم، قال: كل هؤلاء حرم الله عليه الصدقة ؟ قال : نُعم »® . وروى الترمذي، عن زيد ابن أبي أرقم رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلِيُّكُم : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي . أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السهاء إلى الأرض، والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ٣٥٠ . وروى الترمذي أيضاً. عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسِ إِنِّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »^(٣)

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَن يَقْتَرَفَ حَسَنَة نَزْدَ لَهُ فَيْهَا حَسَناً ﴾ أي وَمَن يَعْمَلُ حَسَنَة ﴿ نَزْدَ لَهُ فَيْهَا حَسَناً ﴾ أي أجراً وثواباً ، كقوله تعالى : ﴿ إِن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حَسَنَة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظياً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الله غَفُور شَكُور ﴾ ، أي يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر ، وقوله جل وعلا : ﴿ أَم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ يختم على قلبك ﴾ أي لو افتريت

⁽١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي .

⁽٢) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .

⁽٣) أخرجه الترمذي أيضاً وقال : حسن غريب .

عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ يختم على قلبك ﴾ ويسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله جلّ جلاله: ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا عنه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ ، أي لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قلر أحد من الناس أن يحجز عنه . وقوله جلّت عظمته: ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ مرفوع على الابتداء وحذفت من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حذفت في قوله : ﴿ سندع الزبانية ﴾ ، موقوله على الابتداء وحذف بكلماته ﴾ أي يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه ﴿ بكلماته ﴾ أي بحججه وبراهينه، ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي بما تكنه الضائر ، وتنطوي عليه السرائر .

* وَهُوَ الَّذِى يَقَبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيْعَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ عَامَدُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضَلَّهِ وَالْكَنْفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿ فَ عَلَوْ بَسَطَ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

يقول تعالى ممتناً على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا ورجعوا إليه، أنه من كرمه وحلمه يعفو ويصفح، ويستر ويغفر، كقوله عزّ وجلاً: ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحياً ﴾، وقسد ثبت في صحيح مسلم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله عظائها : «كلّة تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينها هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح »، وقوله عزّ وجلاً: ﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات أي الماضي، ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ أي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه، وقوله تعالى: ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال السدي : يعني يستجيب فم، أي الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم، ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا بقية، حدثنا إسماعيل بن عبدالله الكندي، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله رضي الله عنه قال، قال رسول الله علي اليه عالى: ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال: يشفعون في إخوانهم، ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال: يشفعون في إخوانهم، ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال: يشفعون في إخوانهم، وقوله عزّ وجل: ﴿ والكافرون لم عذاب شديد ﴾ لما ذكر المؤمنين وما لهم من النواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم .

وقوله تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ أي لو أعطاهم فوق حــاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان، من بعضهم على بعض أشراً وبطراً، وقــال قتادة : وكان يقال خـير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ، وذكر قتادة حديث: « إنمــا أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » « وقوله عزّ وجل: ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره، مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغني، ويفقر من يستحق الفقر ، كما جاء في الحديث المروي ٥٠ : و إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولا أخنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أخنيته لأفسدت عليه دينه ». وقوله تعالى: ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾، أي من بعد يأس الناس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، كقوله عز وجل : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية، قال قنادة : فكر لنا أن رجلاً قبال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين قحط المطر ، وقنط الناس ، فقال عمر رضي الله عنه : مطرتم ، ثم قرأ : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ أي هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله .

وَمِنْ ءَايَننِهِ عَنْقُ السَّمَنَوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِ مَا مِن دَآبَةً ۚ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِ مَ إِذَا يَشَآءُ قَـدِيرٌ ﴿ وَمَا اللَّهُ عَلَى عَلَمَ اللَّهُ مِنْ مُصِيبَةٍ فَهِمَا كَسَبَتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَشِيرٍ ﴿ فَى وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضُ وَمَا لَـكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فَهِمَا كَسَبَتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَشِيرٍ ﴿ فَى اللَّهُ مِنْ وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ فَي اللَّهُ مِن وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ فَي اللَّهُ مِن وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ فَي اللَّهُ مِنْ وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ فَي

يقول تعالى: ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر ﴿ خلق السهاوات والأرض وما بث فيهما ﴾ أي ذرأ فيهما ، أي في السهاوات والأرض ﴿ من دابة ﴾ وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات " على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم ، وقد فرقهم في أرجاء أقطار السهاوات والأرض ، ﴿ وهو ﴾ مع هذا كله ﴿ على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيها كسبت أيديكم ﴾ أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب ، فإنما الله النس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ . وفي الحديث الصحيح : « والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلاكفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها » . وعن أبي جحيفة قال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه ؟ الله تعالى به في الدنيا ، فالله أكم من أن يعيه ؟ الله تعالى به في الدنيا ، فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أحم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أرسول الله عرائية : « إذا المنه عنه المقوبة وم عافه عنها قالت ، قال رسول الله عرائية : « إذا يعود في عفوه يوم القيامة » " . وووى الإمام أحمد ، عن عائشة رضي الله عنها قالت ، قال رسول الله عرائية : « إذا الله عنه والمنه أله الله من أن المنه عنه عائشة رضي الله عنه قال أله المناق الله عرائية المعالى المنه الله عرائية المناق الله عنه المعالى المناق عنه عنه المناق الله عنه قال الدنيا ، قال الدنيا ، قالة الله عنه أله المناق الله عرائية المناق الله عنه المناق الله عنه قال الدنيا ، قالم الله عرائية المناق الله عنه المناق عنه على المناق الله عنه قالت ، قال الله عرائية المناق الله عنه المناق الله عنه المناق الله عرائية المناق الله عنه المناق الله عرائية المناق الله عنه المناق الله المناق الله الله عرائية المناق الله عنه المناق الله الله عرائية المناق الله الله عناق الله الله

⁽١) المراد بالحديث المروي أي المحكى عن الله عزّ وجلّ وهو المشهور بالحديث القدسي .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً ، ورواه مرفوعاً من وجه آخر .

كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها «". وقال الحسن البصري في قوله تعالى: هو وما أصابكم من مصيبة فيا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير كه قال: لما نزلت قال: رسول الله عليه الله عنه أكثر » " .

نفس محمد بيده ما من خدش عود، ولا اختلاج عرق، ولا عثرة قدم، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر » " .

وعن الضحاك قال: ما نعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ: هو وما أصابكم من مصيبة فيا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير كه ، ثم قال الضحاك: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ؟

* وَمِنْ ءَايَننِهِ ٱلْحَوَارِ فِ ٱلْبَحْرِكَا لْأَعْلَىٰمِ ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّبِحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَتِ لِكُونَ وَيَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ذَالِكَ لَا يَتِ لِكُونَ مَنْ عَبِيرٍ ﴿ وَيَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي وَايَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي وَايَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي وَايَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي وَايَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي وَاللَّهُ مَنْ عَبِيمٍ ﴾ ﴿ وَيَعْمُ اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ وَالْكَالِمُ مَا اللَّهِ مِن عَبِيمٍ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ عَبِيمٍ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللِّهُ اللللِهُ الللَّهُ الللللِهُ الللِهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللِهُ اللللْمُ الللللِهُ الللللِهُ اللللللِّهُ الللللِهُ الللللِهُ اللللَّذِي الللللِّهُ الللللللِّهُ الللللِهُ الللللِهُ اللللللِهُ اللللللِّهُ اللللللللللللللللللللللللللللللللِهُ الللللللللللللللللِهُ الللللللللللللللللِمُ اللللللللللللللللللللِمُ اللللللِمُ الل

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره في كالأعلام أي كالجبال، أي هذه في البحر كالجبال في البره في إن يشأ يسكن الربح في أي التي تسير في البحر بالسفن، لو شاء لسكتها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة في على ظهره في أي على وجه المساء، في إن فذلك الآيات لكل صبار في أي في الشدائد في شكور في أي في الرخاء. وقوله عز وجل في أو يوبقهن بما كسبوا في أي ولو شاء الأهلك السفن وغرقها، بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها، في ويعف عن كثير في أي من ذنوبهم، ولو آخذهم بجميع ذنوبهم الأهلك كل من ركب البحر، وقال بعض علماء التفسير في أو يوبقهن بما كسبوا في أي لو شاء الأرسل الربح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشهال، آبقة الا تسير على طريق والا إلى جهة مقصد؛ وهذا القول يتضمن هلاكها وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الربح فوقفت، أو لقوّاه فشردت وأبقت وهلكت، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحساجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيراً جداً لهدم البنيان، أو قليلاً لما أنبت الزرع بحسب الحساجة كما يرسل إلى مثل (بلاد مصر) سبحاً من أرض أخرى غيرها، الأنهم الا يحتاجون إلى مطر، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم، وقوله تعالى: ﴿ وبعلم الذين بجادلون في آياتنا ما لهم من محيص في أي الا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا، فإنهم مقهورون بقدرتنا

فَى الْوَبِيتُمُ مِن شَيْءٍ فَمَنَاعُ الْحَيَوْةِ الدُّنَيَا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ وَاللّهِ مَ يَغْفِرُونَ ﴿ وَاللّهِ مَ يَغْفِرُونَ ﴿ وَاللّهِ مَ اللّهِ مَ اللّهُ مَ اللّهُ مَ اللّهُ مَ اللهُ مَ اللّهُ مَ اللهُ مَا عَلَيْهِ مَ اللّهُ مِنْ اللهُ مِن الزهرة والنعيم الفانى بقوله تعالى: ﴿ فَمَا أُونِيتُم مِن الزهرة والنعيم الفانى بقوله تعالى: ﴿ فَمَا أُونِيتُم مِن الرّهرة والنعيم الفانى بقوله تعالى: ﴿ فَمَا أُونِيتُم مِن

⁽١) أخرجه الإمام أحمد في المسند . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري مرسلاً .

شيء فمتاع الحياة الدنياكه أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا بــه، فإنمــا هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيثة فانية زائلة لا محــالة، ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي، ولهــذا قال تعالى ﴿ للذين آمنوا ﴾ أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات . ثم قال تعالى: ﴿ والَّذِينَ يَجْتَنُبُونَ كَبَائر الإثم والفواحش ﴾ وقد قدمنا الكلام على الاثم والفواحش في سورة الأعراف، ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ أي سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، وقد ثبت في الصحيح: « أن رسول الله عليه ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله » . وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « ما له تربت يمينه »، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ أي اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره، ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ وهي أعظم العبادات لله عزّ وجلُ ا ﴿ وأمر هم شورى بينهم ﴾ أي لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قالَ تبارك وتعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ الآية ، ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم، ﴿ وَمَمَا رَزْقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ ﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين، بل يقدرون على الانتقام ممن بغي عليهم " وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا، كما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثانين الذين قصدوه عــام الحديبية، وكذلك عفوه ﷺ عن (غورث بن الحارث) الذي أراد الفتك بــه حين اخترط سيفه وهو نائم، وكذلك عفا عَلِيلًا عن (لبيد بن الأعصم) الذي سحره عليه السلام ه ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه ؛ والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً والله سبحانه وتعالى أعلم .

* وَجَزَآوُاْ سَيِئَةٍ سَيِئَةٌ مِثْلُهَ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّلِينَ ﴿ وَكَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ طُلْبِهِ وَ الظَّلِينَ ﴿ وَكَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ طُلْبِهِ وَ الظَّلِيونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ طُلْبِهِ وَ فَأَوْلَنَهِ كَ مَا عَلَيْهِ مَ مِن سَبِيلٍ ﴿ وَ إِنَّمَ السَّبِيلُ عَلَى اللَّهِ مِن اللَّهُ وَ اللَّهُ وَعَلَمُ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأَمُودِ ﴿ وَ اللَّهُ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمُودِ ﴿ وَ اللَّهُ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمُودِ ﴿ وَالْمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللَّهُ مُودِ ﴿ وَ اللَّهُ اللَّهُ لَهُ اللَّهُ لَمِنْ عَزْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّاللَّالَةُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّه

قوله تبارك وتعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وكقوله ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ الآية فشرع العدل وهو (القصاص) وندب إلى الفضل وهو ﴿ العفو ﴾ كقوله جلّ وعلا: ﴿ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿ فَمَن عَفَا وأصلح فأجره على الله ﴾ أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث: «وما زاد الله تعالى عبداً بعفو إلا عزاً » وقوله تعالى: ﴿ إنه لا يحب الظالمين ﴾ أي المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم » روى النسائي، عن عروة قال ، قالت عائشة رضي الله عنها: ما علمت حتى دخلت عليّ زينب بغير إذن وهي غضبي، ثم قالت لرسول الله عليه : حسبك إذا قلبت لك ابنة أبي بكر درعها، ثم أقبلت عليّ، فأعرضت عنها حتى قال النبي عليه يتملل لرسول الله عليه انتصري » ، فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس في فها ما ترد على شيئاً فرأيت النبي عليه يتملل «دونك فانتصري» ، فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس في فها ما ترد على شيئاً فرأيت النبي عليه يتملل

وجهه »^(١) وروى البزار عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: « من دعا على من ظلمه فقـــد انتصر ٣٠ . وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّمَا السبيلَ ﴾ أي إنما الحرج والعنت ﴿ على الذين يظلمُون النَّــاس ويبغون في الأرض بغير الحق ﴾ أي يبدأون الناس بالظلم، كما جاء في الحديث الصحيح: « المستبّان ما قالا، فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم » ﴿ أُولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي شديد موجع ، ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادباً إلى العفو والصفح: ﴿ ولمن صبر وغفر ﴾ أي صبر على الأذى وستر السيئة ﴿ إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة، التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل . وقال الفضيل بن عياض: « إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن انتصركما أمرني الله عزَّ وجلَّ، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر ، وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب واسع، فإنه ﴿ من عفا وأصلح فأجره على الله ﴾، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور »^{(m}. وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي عليالية يعجب ويبتسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي عليالة، وقــام فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليــه بعض قولــه غضبت، وقمت، قال: « إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان ، ! ثم قال: « يا أبا بكر ، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله إلا أعزه الله تعالى بهــا ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بهــا صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عزّ وجلّ بها قلة ٣٠٠ ، وهذا الحديث في غـاية الحسن في المعنى وهو منــاسب للصديق رضي الله عنه .

وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَكَ لَهُ مِن وَلِي مِّن بَعْدِهِ وَ وَرَى الظَّلِمِينَ لَمَّا رَأُواْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلَ إِلَى مَرَدٍ مِن سَبِيلِ ﴿ وَوَرَنُهُ مَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَنْشِعِينَ مِنَ النَّلِي يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِي وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ النَّالِ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِي وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ الظَّلِمِينَ فِي عَذَابٍ مَقِيمٍ ﴿ وَمَا كَانَ لَمُهُم وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقَيْمَةِ أَلا إِنَّ الظَّلِمِينَ فِي عَذَابٍ مَقِيمٍ ﴿ وَمَا كَانَ لَمُهُم مِن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضَلِل اللهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلِ ﴿ اللهَ اللهُ مَن سَبِيلٍ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ مَن سَبِيلٍ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَن سَبِيلٍ ﴿ اللهِ اللهُ الل

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة ، أنه من هداه فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له ، كما قــال عزّ وجلّ : ﴿ ومن يضلل فلن تجــد له وليــاً مرشداً ﴾ ، ثم قال عزّ وجلّ مخبراً عن الظالمين وهم المشركون بالله ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي يوم القيامة تمنوا الرجعــة إلى الدنيا ، ﴿ يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ ، كما قال جلّ

⁽١) أخرجه النسائي وابن ماجة واللفظ للنسائي .

⁽٢) أخرجه البزار والترمذي .

 ⁽٣) رواه ابن أبي حاتم من كلام الفضيل رضي الله عنه .
 (٤) أخرجه أحمد وأبو داود .

وعلا: ﴿ ولو ترى إِذَ وَقَفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي على النار ، ﴿ خاشعين من الذل ﴾ أي الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى ﴿ ينظرون إليها مسارقة خوفاً منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، ﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي يقولون يوم القيامة ﴿ إِن الخاسرين ﴾ أي الخسار الأكبر ، ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وفرق بينهم وبين أحسابهم وأصحابهم فخسروهم ، ﴿ أَلا إِن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي دائم سرمدي أبدي ، لا خروج لهم منها ولا محيد لم عنها . وقوله تعالى : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي ينقذونهم عن العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أي ليس له خلاص .

ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِى يَوْمٌ لَامَرَةً لَهُ مِنَ اللَّهِ مَالَكُمْ مِن مَلْجَعٍ يَوْمَهِذٍ وَمَالَكُمْ مِن نَّكِيرٍ ﴿ فَإِنَّ أَمْرَضُواْ لِلَّا الْبَلَئُ ۚ وَإِنَّا إِذَاۤ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَنَ مِنَّ رَحْمَةٌ فَرِحَ بِهَاۚ أَعْرَضُهُمْ صَيِّفَةٌ مِي عَلَىٰ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ۞ وَإِن تُصِبْهُمْ صَيِّفَةٌ مِكَ قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ ۞

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له ، فقال: ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ أي ليس لكم حصين تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى ، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر و كلا لا وزر و إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فإن أعرضوا ﴾ يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي لست عليهم بمصيطر ، وقال تعالى: ﴿ فإن أعرضوا ﴾ يعني المساب ﴾ . وقال جلّ وعلا ههنا: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم ، ثم قال تعالى: ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ﴾ أي إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ يعني الناس ﴿ سيئة ﴾ أي جدب ونقمة وبلاء وشدة ، ﴿ فإن الإنسان كفور ﴾ أي يجحد من النعم ، ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته محنة يئس وقنط ، فلمؤمن كما قال عليك إلا للمؤمن » .

لِّهِ مُلْكُ السَّمَوَٰتِوَالْأَرْضِ ۚ يَخْـلُقُ مَا يَشَـآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَـآءُ إِنَّنَا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَضَاءُ الذُّكُورَ ﴿ اللَّهِ عَلِيمٌ فَدِيرٌ ﴿ فَيْ اللَّهُ عَلَيْمٌ فَدِيرٌ ﴿ فَيْ

يخبر تعالى أنه خالق السهاوات والأرض، ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمـــا منع، وأنه يخلق ما يشاء ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ﴾ أي يرزقه البنات فقط ﴿ ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ أي يرزقه البنين فقط ، ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ أي ويعطي لمن يشاء الزوجين (الذكر والأنثى) أي من هذا وهذا، ﴿ ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ أي لا يولد له، فجعل الناس أربعة أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له، ﴿ إنه عليم ﴾ أي بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿ قدير ﴾ أي على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك، فسبحان العليم القدير.

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الرب جل وعلا، فتارة يقذف في روع النبي على وحياً لا يتارى فيه أنه من الله عزّوجل ، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله على أنه قال: « إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، وقوله تعالى: ﴿ أو مسن وراء حجاب ﴾ أي كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها . وفي الصحيح أن رسول الله على قال لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما : « ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أبك كفاحاً » كذا جاء في الحديث ، وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ ، والآية إنما هي أبك كفاحاً » كذا جاء في الحديث ، وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ ، والآية إنما هي والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيره ما يشاء كه كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إنه على حكيم كه فهو على عليم ، خبير حكيم . وقوله عزّ وجل : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا كه يعني القرآن ، ﴿ ما كنت تنري ما الكتاب ولا الايمان كه أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ، ﴿ ولكن جعلنا كه أي القرآن ، و ولكن جعلها عمى كه الآية » وقوله تعالى : ﴿ وإنك كه أي يا محمد ﴿ لتهدي إلى صراط مستقيم كه وهو الخلق القويم ، ثم فسره يقوله تعالى : ﴿ والك كه أي يا محمد ﴿ لتهدي إلى الله تصير الأمور كه أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكه ، ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور كه أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكه ، ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور كه أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحلون علواً كبيراً .

[آخر تفسير سورة الشورى ، ولله الحمد والمنة]



حمة ﴿ وَالْكِنَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَ انَّا عَرَبِيَّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيًّ حَكِيمٌ ﴿ إِنَّا أَفَنَظْرِبُ عَنكُ الذِّكُ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿ وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِي فِي الْأُولِينَ ﴾ وَمَا يَأْتِيمِ مِن نَبِي إِلَّا كَانُواْ بِهِ عِيسَتُمْزِ وُونَ ﴿ فَالْمُلْكُنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأُولِينَ ﴿ قَ

يقول تعالى: ﴿ حَمِ وَالْكَتَابِ المِينِ ﴾ أي البين الواضح الجلي ، المتزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات ، ولهذا قال تعالى ﴿ إِنَا جَعَلَناه ﴾ أي أنزلناه ﴿ وَآنَا عَربياً ﴾ أي بلغة العرب ، فصيحاً واضحاً ، ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي تفهمونه وتتذبرونه ، كما قال عزّ وجل: ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وإنه في أم الكتّاب لدينا لعلي حكيم ﴾ بين شرفه في الملأ الأعلى ، ليشرقه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض ، فقال تعالى ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿ لدينا ﴾ أي عندنا ﴿ لعلي ﴾ أي ذو مكانة عظيمة ، وشرف وفضل ﴿ حكيم ﴾ أي محكم بريء من اللبس والزيغ ، وهمذا كله تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال تبارك وتعالى : ﴾ إنه لقرآن كريم « في كتاب مكنون « لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة ﴾ ، ولهمذا استنبط العلماء من هاتين الآيتين ، أن المحدث لا يمس المصحف ، لأن الملائكة يعظمون المصاحف ، المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى ، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم " وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ ؟ اختلف المفسرون في معناها وقال قتادة : والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم " ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك ، وقول قتادة لطيف المعنى جداً ، وحاصله أنه يقول فكره عليهم " ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك ، وقول قتادة لطيف المعنى جداً ، وحاصله أنه يقول فكره عليهم " ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك ، وقول قتادة لطيف على عدد بعائدته وحاصله أنه يقول

⁽١) وهو قول مجاهد والسدي .

في معناه : انه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير ، وإلى الذكر الحكيم وهو (القرآن) وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، بل أمر به ليهتدي به من قدّر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته، ثم قال جلّ وعلا مسلياً لنبيّه على الله أمر به ليهتدي به من قومه هو وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾ أي في شبّع الأولين هو وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون ﴾ أي يكذبونه ويسخرون به، هو فأهلكنا أشد منهم بطشاً ﴾ أي فأهلكنا المكذبين بالرسل، وقد كانوا أشد بطشاً من هؤلاء المكذبين لك يا محمد، كقوله عزّ وجلّ : هو أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة ﴾، والآيات في ذلك كثيرة جداً . وقوله جلّ جلاله هو ومضى مثل الأولين ﴾ قال مجاهد: سنتهم، وقال قتادة : عقوبتهم، وقال غيرهما : عبرتهم : أي جعلناهم عظمته : هو سنة الله التي قد خلت في عباده ﴾، وقوله : هو ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ .

وَلَهِنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَّتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ الْأَرْضَ مَهُدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّمُ مَّ مَّنَدُونَ ﴿ وَالَّذِى تَزَلُ مِنَ السَّمَآء مَآهَ بِقَدَرِ فَأَنْشَرْنَا بِهِ عِبَلْدَةً مَّيْنَ أَكُو لِيكَا لَكُمْ مِنَ السَّمَآء مَآهَ بِقَدَرِ فَأَنْشَرْنَا بِهِ عِبَلْدَةً مَّيْنَ أَكُو لِيكَا لَكُمْ مِنَ السَّمَآء مَآهُ فِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ مِنَ السَّمَا وَاللَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللَّهُ اللهُ اللهُ

يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد ، هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿ من خلق السياوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده ، وهم مع هذا يعبدون معه غيره ، من الأصنام والأنداد . ثم قال تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ أي فراشاً قراراً ثابتة ، تسيرون عليها وتقومون وتنامون ، مع أنها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد ، ﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ أي طرقاً سين الجبال والأودية ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أي في سيركم من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، ﴿ والذي نزّل من السهاء مساء بقدر ﴾ أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم ، وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم ، ﴿ فأنشرنا به بلدة ميتا ﴾ أي أرضاً ميتة ، فلما جاءها الماء اهترت وربت وأنبت من كل زوج بهيج ، ثم نبّه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال : ﴿ كذلك تخرجون ﴾ . ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي النبت الأرض من سائر الأصناف ، من نبات وزروع وثمار وغير ذلك ، ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها ، المعومة وجعل لكم من الفلك ﴾ أي السفن ﴿ والأنعام ما تركبون ﴾ أي ذللها لكم وسخّرها ويسترها ، لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ، ولهذا قال جلّ وعلا ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أي على ظهورها ، ولهذا قال جلّ وعلا ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أي على ظهوره هذا الجنس ، ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم ﴾ أي فيا سخر لكم ﴿ إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ أي مقاومين ، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه .

قال ابن عباس: ﴿ مقرنين ﴾ أي مطيقين، ﴿ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ أي لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى: ﴿ وريشاً ولباس التقوى خلى الأخروى في قوله تعالى: ﴿ وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ .

(ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة)

(حديث على بن أبي طالب): عن على بن ربيعة قال: رأيت علياً رضي الله عنه أتي بدابة ، فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله . فلما استوى عليها قال: الحمد لله هر سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين و وإنا إلى ربنا لمنقلبون كه ، ثم حمد الله تعالى ثلاثاً وكبّر ثلاثاً ، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي، فاغفر لي ، ثم ضحك، فقلت له: مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضي الله عنه: رأيت رسول الله على أمثل ما فعلت ، ثم ضحك يا رسول الله ؟ فقال على الله عنه الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال: رب اغفر لي = ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري ٥٠١ .

(حديث عبدالله بن عمر): روى الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن النبي عَلَيْهُ كَانَ إذا ركب راحلته كبر ثلاتاً ثم قال: و سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وإنا إلى ربنا لمنقلبون • • ثم يقول: « اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا السفر، واطو لنا البعد، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم أصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » . وكان عَلَيْهُ إذا رجع إلى أهله قال: « آيبون تاثبون إن شاء الله ، عابدون لر بنا حامدون » أله .

وَجَعَـ لُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ - بُرِّءً ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ شِيئُ ۚ أَمِ الْمُحَذَّ مِنَّ يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُم بِالْبَنِينَ ﴿ وَإِذَا يُشِرُ أَحَدُهُ مِنْ عَبَادِهِ عَلَى مُنْ لِللَّمْ اللَّهِ عَلَى مَنْ لَكُ ظُلَّ وَجْهُهُ وَمُسُودًا وَهُوَ كَظِمَّ مِنَ يَخْلُقُ أَوْ مَن يُلَشَّوُا فِي الْحِلْبَةِ وَهُو كَظِمَّ مَنْ أَحَدُهُ مَا اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ إِلَا يَخْرُصُونَ اللَّهُ مَنْ عَلَيْهُ إِلَا يَخْرُصُونَ اللَّهُ مَنْ عَلَيْهُ إِلَّا مَنْ عَلَيْهُ إِلَى اللَّهُ مُنْ عَلَيْهِ اللَّهُ مَنْ عَلَيْهُ إِلَى اللَّهُ مُنْ عَلَيْهُ إِلَا يَعْمُونُونَ اللَّهُ مَا عَبَدُ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ إِلَا عَلَيْهُ اللَّهُ مَنْ عَلَيْهُ إِلَا يَعْمُونُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ مِنْ عَلَيْهُ إِلَا يَعْمُونُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا عَلَدُهُمْ مَا عَلَقُهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ مِنْ عَلَيْمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ مُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مَا عَبْدُهُ مُنْ اللَّهُ مُونَا عَلَيْمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُ اللَّهُ مِنْ عَلَيْهُ مَا إِلَا يَعْمُونُونَ اللَّهُ مُنْ اللّهُ مَا إِلَا عَلَى اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ عَلَيْكُ مَنْ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ عَلَيْكُ مَا مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ عَلَيْهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ عَلَيْكُولُونُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُ

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه ، في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم، وبعضها لله تعالى، وكذلك جعلوا له من الأولاد أخسهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَكُم الذَّكُر وَلَه الأنثى ه تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾، وقال جلّ وعلا ههنا : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ﴾، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ أَم اتخذ ثما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ ؟ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار » ثم ذكر تمام الإنكار

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

⁽٢) أخرجه مسلم وأبو داود والنمائي والإمام أحمد .

فقال جلّت عظمته: ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات، يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بُشَرَ به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك، يقول تبارك وتعالى: فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله عزّ وجلّ ؟ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي، منذ تكون طفلة ، وإذا خاصمت فهي عاجزة عَيِّة ، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ؟ فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى، فيكمل نقص مظاهرها وصورتها بلبس الحلي، ليجبر ما فيها من نقص ، كما قال بعض شعراء العرب :

وما الحلي إلا زينة من نقيصة يتمّم من حسن إذا الحسن قَصَّرا وأما إذا كان الجمال مُوَقَّــراً كحسنك لم يحتج إلى أن يُزَورا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار ، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : ه ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبرها سرقة ه . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ أي اعتقلوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولم ذلك فقال : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ ؟ أي شاهدوه وقد خلقهم الله إناثاً ؟ ﴿ سكتب شهادتهم ﴾ أي بذلك ﴿ ويسألون ﴾ عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هـــذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة بنات الله، فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه . فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ : (أحدها) : جعلهم لله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً، (الثاني) : دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، (الثالث) : عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء، والخبط في الجاهلية الجهلاء، (الوابع) : احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيراً، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيراً، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه، قال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من وحال واحدوا به ﴿ إن الله يخرصون ﴾ ؟ وقال جال وعلا في هدفه الآية : ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ أي بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿ إن

أَمْ ءَاتَيْنَنَهُمْ كِتَلِّامِن فَبْلِهِ عَهُم بِهِ عِمُسْتَمْسِكُونَ ﴿ بَلْ قَالُواۤ إِنَّا وَجَدْنَاۤ ءَابَآءَنَا عَلَىٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٓ ءَاتَنرِهِم مُهْنَدُونَ ﴿ وَكَذَالِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُثْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَىٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓءَ ءَاثَنْرِهِم مُفْتَدُونَ ﴿ * قَلَ أُولُوجِتْنَكُم بِأَهْدَىٰ مِنَّا وَجَدَثُمْ عَلَيْهِ ءَابَآء كُمُّ قَالُوٓاۤ إِنَّا مِنَ أَرْسِلْتُمُ بِهِ ءَكِنْفِرُونَ ﴿ فَى فَانتَقَمْنَا مِنْهُم فَانظُرْ كَبْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿ ق

يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله ، بلا برهان ولا دليل ولا حجة : ﴿ أَم آتيناهم كتاباً من

قبله ﴾ أي من قبل شركهم، ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ أي ليس الأمر كذلك، كقوله عزّ وجل ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ أي لم يكن ذلك، ثم قال تعالى: ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ أي ليس لهم مستند فيا هم فيه من الشرك، سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة ﴾ والمراد بها الدين ههنا، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ إن هذه أمتكم أمّة واحدة ﴾، وقولم ﴿ وإنا على آثارهم ﴾ أي وراءهم ﴿ مهتدون ﴾ دعوى منهم بلا دليل. ثم بين جلّ وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ وهكذا قال ههنا: ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريبة من ندير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتلون ﴾ . ثم قال عزّ وجلّ ﴿ قل ﴾ أي با محمد لهؤلاء المشركين مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتلون ﴾ . ثم قال الله تعالى ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي من الأم المكذبة به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله. قال الله تعالى ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي من الأم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ أي كيف بادوا وهلكوا، وكيف بُعي الله المؤمنين .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ تَإِنَّنِي بَرَآءٌ مِّنَا تَعْبُدُونَ ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَفِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ الْخَيْقُ وَرَسُولُ مُبِينٌ ﴿ وَلَمَّا اللَّهِ عَلَيْهِ الْحَيْقُ وَرَسُولُ مُبِينٌ ﴿ وَلَمَّا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللْمُ وَاللَّهُ وَالل

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها، أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿ إِنْنِي برآء مما تعبدون ﴿ إِلا الذي فطر في فإنه سيهدين ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أي هذه الكلمة وهي ﴿ لا إلّه إلا الله ﴾ أي جعلها دائمة في ذريته، يقتدي به فيها من هداه الله تعالى، من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي إليها، قال عكرمة ومجاهد ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ يعني لا إلّه إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها، وقال ابن زيد: كلمة الإسلام، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ يعني المشركين ﴿ وآباءهم ﴾ فتطاول عليهم العمر في ضلالهم ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ أي بَينُ الرسالة والنذارة . ﴿ ولما جاءهم الحق قالوا هذا

سحر وإنا به كافرون في أي كابروه وعاندوه كفراً وحسداً وبغياً ، ﴿ وقالوا في أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس ، ﴿ لُولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم في أي هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم ؟ ﴿ من القريتين في يعنون مكّة والطائف (وقد ذكر غير واحد من السلف أنهم أرادوا بذلك (الوليد ابن المغيرة) و (عروة بن مسعود الثقفي) ، وعن مجاهد: يعنون (عتبة بن ربيعة) بمكّة و (ابن عبد ياليل) بالطائف كل وقال السدي: عنوا بذلك (الوليد بن المغيرة) و (كنانة بن عمرو الثقفي) ، والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان ، قال تعالى رداً عليهم في هذا الاعتراض : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك في ؟ أي ليس الأمر مردوداً إليهم ، بل إلى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً ، وأشرفهم بيتاً ، وأطهرهم أصلاً . ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه ، فيا أعطاهم من الأموال والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا في الآية .

وقوله جلَّت عظمته : ﴿ لِيتخذ بَعضهم بعضاً سخرياً ﴾ أي ليسخَّر بعضُهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ أي رحمة الله بخلقه، خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا، ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ولولا أن يكون الناس أُمَّة واحدة ﴾ أي لولاً أن يعتقد كثير من الناس الجهلة ، أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج ﴾ أي سلالم ودرجاً من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ أي يُصعدون ﴿ ولبيوتِهم أبواباً ﴾ أي أغلاقاً على أبوابهم ﴿ وسرِراً عليها يتكثون ﴾ أي جميع ذلك يكون فضـــة ﴿ وَزَخَرُفاً ﴾ أي وذهباً ، قاله ابن عباس والسدي ، ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلْكَ لَمَا مَنَاعَ الحياة الدنيا ﴾ أي إنما ذلك من الدنيا الفانية، الزائلة الحقيرة عند الله تعالى، أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها . ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ والآخرة عند ربك للمتفين ﴾ أي هي لهم خاصةً لا يشاركهم فيها أحد غيرهم، ولهذا لمنا قال عمر بن الخطّاب لرسول الله ﷺ حين رآه على رمال حصير ، قــد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله ! هذا كسرى وقيصر فيما هم فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ وكان رسول الله عَلِيلِهُم متكنًّا فجلس وقال: ﴿ أُو فِي شَكَ أَنْتَ يَا ابْنِ الْخطابِ؟ ﴾ ثم قال ﷺ : « أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا »، وفي رواية: « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولَّنا الآخرة » ، وفي الصحيحين أن رسُول اللهُ عَلِيْكُم قال: « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » وإنما خوَّلهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها، قال رسول الله ﷺ: « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً $^{\text{M}}$

وَمَن يَعْشُ عَن ذِ كُرِ ٱلرَّحْمَٰنِ 'نُقَيِّضْ لَهُ, شَيْطَنْنَا فَهُولَهُ, قَرِينٌ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّيِيلِ وَيَحْسَبُونَ

⁽١) قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي ومحمد القرظي وابن زيد .

⁽٢) أخرجه الترمذي وابن ماجة عن سهل بن سعد ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

أَنَّهُم مُهْنَدُونَ ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِنِّسَ الْفَرِينُ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْمُشْرِقَيْنِ فَبِنْسَ الْفَرِينُ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْمُشْرِقَيْنِ فَبِنْسَ الْفَرَى وَمَن كَانَ فِي صَلَئُلِ الْمُنْ أَنْ عَلَيْهِم مَّفْتَدِرُونَ ﴿ وَهَا الْعَمْ الْعَمْ أَوْ تَهْدِي الْعُمْ وَمَن كَانَ فِي صَلَئُلِ مَبْدِنِ ﴿ وَهَ فَإِمَّا نَذْهَبَنَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مَّنتَقِمُونَ ﴿ وَالْمَا اللَّهِ عَلَيْهُمْ مَقْتَدُرُونَ ﴾ وَعَدْنَدُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مَّقْتَدِرُونَ ﴾ مَنتقيم فَا يَنفَع مُونَ ﴿ وَهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ مَقْتَدِرُونَ ﴾ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهُ عَلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَإِنَّهُ لِلَّهُ لَذَ كُولًا لَكُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَإِنَّا وَلِهُ وَلِهُ وَلِمَا لَهُ وَلِقُومِكُ وَسَوْفَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مَا اللَّهُ عَلَى عَلَيْ مَا اللَّهُ عَلَيْكُ مِنْ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى مِن وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَن وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّه

ي**قول تعالى**: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ ﴾ أي يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿ عن ذكر الرحمن﴾، والعشا في العين ضعف بصرها، والمراد ههنا عشا البصيرة، ﴿ نقيُّضُ له شيطاناً فهو له قرين ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا: ﴿ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ ، ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ أي هذا الذي تغافل عن الهدى، إذا وافي اللهَ عزَّ وجلَّ يوم القيامة، يتبرم بالشيطان الذي وُكُلِّ به ﴿ قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ والمراد بالمشرقين ههنا هو ما بين المشرق والمغرب، وإنما استعمل ههنا تغليباً كما يقال : القمران والعُمَران والأبوان، قاله ابن جرير وغيره، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَنْفِعُكُمُ الَّهِوْمُ إِذْ ظُلْمُتُم أَنَّكُمْ فِي العِذَابِ مشتركون ﴾ أي لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم. وقوله جلت عظمته: ﴿ أَفَأَنْت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ ؟ أي ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ثم قال تعالى ﴿ فَإِمَّا نَذَهَبَنَ بَكَ فَإِنَّا مَنْهُم مَنتَقَمُونَ ﴾ أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت، ﴿ أَو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ﴾ أي نحن قادرون على هذا ولم يقبض الله تعالى رسول الله يَرْكُ حتى أقرّ عينه من أعدائه، وحكّمه في نواصيهم، واختاره ابن جرير، وقال قتادة : ذهب النبي ﷺ وبقيت النقمة، ولن يُرِيَ اللهُ تبارك وتعالى نبيَّه ﷺ في أمته شيئاً يكرهه، حتى مضى ولم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ، قال: وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أري ما يصيب أمته من بعده، فما رئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عزّ وجلّ (١) ، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق ومـا يهدي إليه هو الحق، المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم .

ثم قال جلّ جلاله: ﴿ وَإِنهُ لَذَكُرُ لَكُ وَلَقُومِكُ ﴾ ، قيل معناه لشرف لك ولقومك ، وفي الحديث: « إِن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبَّه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » أن ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم ، فهم أفهم الناس له ، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به ، وأعملهم بمقتضاه » وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلّص، من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم ، وقيل معناه ﴿ وإنه

⁽١) رواه ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه .

⁽٣) أخرجه البخاري عن معاوية رضي الله عنه .

لذكر لك ولقومك في أيتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم ، كقوله تعالى: ﴿ لقد أَنزلنا البكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون في ، وكقوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين في ، ﴿ وسوف تسألون في ، أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون في ؟ أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد ، كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت في .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَنتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَوَمَلَإِنِهِ عَلَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِعَايَنتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِى أَكْبُرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضَعُكُونَ ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِى أَكْبُرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخَذَنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
وَهَالُواْ يَنَأَيُّهُ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿ وَ فَالُواْ يَنَأَيُهُ مَا لَعَذَابَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله ﴿ موسى ﴾ عليه الصلاة والسلام ، أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه ، من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع من القبط وبني إسرائيل ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه بعث معه آيات عظاماً كيده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وضحكوا بمن جاءهم بها ، ﴿ وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾ ، ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم ، وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه السلام ، ويتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿ يا أيها الساحر ﴾ أي العالم (العالم عليه السلام) وتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿ يا أيها الساحر ﴾ أي العالم النفولة وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر في زمانهم مذموماً عندهم ، ففي كل مرة يعكونَ موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا بـه ويرسلوا معه بني إسرائيل ، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه ، وهذا كقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك تبارك وتعالى : ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾ .

أَجْمَعِينَ ﴿ جُعَلَنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِللَّاحِرِينَ ٢

⁽١) قاله ابن جرير . فليس قولهم ذلك على سبيل الانتقاص، وإنما هو تعظيم في زعمهم كما قال ابن كثير .

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرده وعنوه، إنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها: ﴿ أَلْيسَ لِي ملك مصر وهذه الأنهـار تجري من تحتي ﴾ ؟ قال قتادة: قد كانت لهم جنات وأنهار مــاء ﴿ أَفَلَا تَبْصَرُونَ ﴾ ؟ أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ؟ يعني وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء، وقوله: ﴿ أَمْ أَنَا خير من هذا الذي هو مهينكه قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين، وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن (أم) ههنا بمعنى (بل) يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، وقسد كذب في قوله هذا كذباً بيناً واضحاً ، ويعني بقوله ﴿ مهين ﴾ حقير ، وقال قتادة : يعني ضعيف، وقال ابن جرير : يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال، ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيميّ حصر ، قــال السدي: أي لا يكاد يُفْهم، وقال قتادة: يعني عينيّ اللسان، وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فمه وهو صغير ، وهذا الذي قــاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق، وإنمــا حمله على هذا الكفر والعناد، فهو ينظر إلى موسى بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء، في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب، وقوله: ﴿ مهين ﴾ كذب بل هو المهين الحقير ، وموسى هو الشريف الصادق البار الراشد، وقوله : ﴿ وَلَا يَكُادُ بِبَيْنَ ﴾ افتراء أيضاً ، فإنه وإن كان قــد أصاب لسانه في حــال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله عزَّ وجلَّ أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿ قَدْ أُوتَيْتَ سُؤَلُكُ يَا مُوسَى ﴾ ويتقدير أن يكون قــد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته فإنهم كانوا جهلة أغبياء ، وهكذا قوله : ﴿ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب﴾ وهي ما يجعل في الأيدي من الْحُلِّي ﴿ أَو جَاءَ مَعُهُ الْمُلاثَكَةُ مَقْتَرَنِّينَ ﴾ أي يكتنفونه خدمة له، ويشهدون بتصديقه، نظر إلى الشكل الظاهر ، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر ممــا نظر إليه لوكان يفهم ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له ﴿ إنَّهُم كانوا قوماً فاسقين ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ، قال ابن عباس : ﴿ آسفونا ﴾ أسخطونا ، وعنه : أغضبونا أ ، روى ابن أبي حاتم ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله على قال : ﴿ إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يشاء وهو مقبم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه له ، ثم تلا على الله عنه أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ أ . وقال طارق بن شهاب : كنت عند عبد الله رضي الله عنه فذكر عنده موت الفجأة ، فقال : تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ، ثم قرأ رضي الله عنه : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ قال أبو مجلز : ﴿ سلفاً ﴾ لمثل من عمل بعملهم ، ﴿ ومثلا ﴾ أي عبرة لمن بعدهم .

⁽١) وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر مرفوعاً .

* وَلَمَّا ضُرِبَ آبُنُ مَرْ يَمَ مَشَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنَهُ يَصِدُّونَ ﴿ وَقَالُواْ عَآلِهُ مَثَلًا لِبَنِيَ إِسْرَ وَيلَ ﴿ وَلَوْ نَسْلَهُ جَدَلًا بَلَ هُمْ قَوْمُ خَصِمُونَ ﴿ إِنْ هُو إِلَّا عَبْدُ أَنْعَمْنَا عَلَبْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَ وَيلَ ﴿ وَلَوْ نَسْلَهُ جَدَلًا بَلُ هُمْ قَوْمُ خَصِمُونَ ﴿ وَإِنَّهُ لَعِمْ أَلِقَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَبِعُونَ هَا لَا رَضِ يَخْلُفُونَ ﴿ وَإِنَّهُ لِعِمْ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَبِعُونَ هَا لَا أَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿ وَإِنَّهُ لِعِمْ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَبِعُونَ هَا وَرَبُّكُمْ السَّنَقِيمُ وَلَا يَصُدَّنَكُمُ الشَّعَلِينَ إِنَّهُ لِكُمْ عَدُو مُسِينٌ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِسَينَ بِالْبَيْنِيتِ قَالَ قَدْ جِثْتُكُم الْحَرْكُمُ الشَّيْطِينَ وَلَا يَصُدَ اللَّهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهُ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَلَمَا اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: ﴿ وَلِمَا ضَرَبَ ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ . قال ابن عباس أي (يضحكون) أعجبوا بذلك ، وقال قتادة: يجزعون ويضحكون، وقال النخعي : يعرضون ، وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله عَلِيُّكُم ، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله عَلِيُّكُم حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبِدُونَ مَنْ دُونَ الله حَصْبِ جَهُمْ أَنْتُمْ لَهَا وَارْدُونَ ﴾ الآيات؛ ثم قام رسول الله عَلِيلَةٍ وأقبل عبدالله بن الزبعري حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب « وما قعد، وقــد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبدالله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمته، سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم؛ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعري، ورأوا أنه قــد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع مِن عبده، فإنهم إنمــا يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأنزِل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِن الَّذِينَ سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كه أي عيـــى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعب د من دون الله ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ أي يصدون عِن أمرك بذلك من قوله، ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ه ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرضِ يخلفون » وإنه لعلم للساعة ﴾ أي ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسْقام فكفى به دليلاً على علم الساعة يقول : ﴿ فلا تَمْتَرن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ ١٠٠ . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله عَيْظِيًّا: « يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » فقالوا له:

⁽١) ذكره ابن أبي إسحاق في السيرة ، ورواه ابن جرير بنحوه .

ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلمَا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ ، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلمَا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ ، قالت قريش: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى (عيسى) عليه السلام، وقوله: ﴿ وقالوا أَآلَمَتنا خير أم هو ﴾ ؟ قال قتادة: يقولون آلهتنا خير منه، وقال قتادة : قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ وقالوا أَآلَمَتنا خير أم هذا ﴾ ؟ يعنون محمداً عَلَيْكُ .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا لا يعقل وهي قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها، وقد قال رسول الله يَعْلَيْك: ﴿ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل » ثم تلا رسول الله يَعْلَيْك خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل، ثم قال يَعْلَيْك خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل، ثم قال عَلَيْك : ﴿ لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل » ، ثم تلا صلى الله عليه ولم الله و إلا عبد أنعمنا على عبى عبى عليه الصلاة والسلام ما هو إلا عبد من عباد الله عزَّ وجلَّ أنهم الله عليه بالنبوة والرسالة ﴿ وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ مثلاً لبني إسرائيل ﴾ أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ مثلاً لبني إسرائيل ﴾ أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ مثلاً كما يخلف بعضكم بعضاً ، وهذا القول يستلزم الأول ، وقال مجاهد: يعمدون الأرض بدلكم .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفيه نظر . والصحيح أنه عائد على عبسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿ ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿ وإنه لعَلَمٌ للساعة ﴾ أي أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة أن وقدله تواترت الأحاديث عن رسول الله علي أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، وقوله تعالى: ﴿ واتبعونِ ﴾ أي فيا أخبركم به ﴿ هذا عسى بالبينات قال صراط مستقيم ه ولا يصدنكم الشيطان ﴾ أي عن اتباع الحق، ﴿ إنه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما . (٢) مراده أن «ما» في اللغة العربية لما لا يعقل، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّكُم وما تعبدون﴾ ولم يقل: ومن تعبدون . (٣) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح .

⁽٤) وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والضحَّاك وغيرهم ـ

قد جثتكم بالحكمة ﴾ أي بالنبوة، ﴿ ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ قال ابن جرير : يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية، وهذا الذي قاله حسن جيد، وقوله عزّ وجلّ ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي فيا أمركم به ﴿ وأطيعونِ ﴾ فيا جئتكم به ﴿ إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ أي وأنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له، ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أي هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جلّ وعلا وحده، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ أي اختلف الفرق وصاروا شيعاً فيه، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحتى، ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول إنه الله، تعالى الله عن قولم علواً كبيراً ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ .

يقول تعالى : هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل ﴿ إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ أي فإنها كاثنة لا محالة وواقعة ، وهؤلاء غافلون عنها ، فإذا جاءت إنما نجيء وهم لا يشعرون بها ، فحينئذ ينلمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم ، وقوله تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ أي كل صداقة وصحابة لغير الله ، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل ، فإنه دائم بدوامه ، وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه : ﴿ إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النسار ومالكم من ناصرين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : صارت كل بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النسار ومالكم من ناصرين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : صارت كل يخلق عداوة يوم القيامة إلا المنفين . وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله عليها أخببته في " وقوله تبارك وتعالى : ﴿ يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ ثم بشرهم فقال : ﴿ يا عبادي المنسم المنان عن أبيه : إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فزع فينادي مناد ﴿ يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ ثم تحزنون ﴾ فيرجوها الناس كلهم ، قال ، فيتبعها : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ فيرجوها الناس كلهم ، قال ، فيتبعها : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ قال : فييأس الناس منها غير المؤمنين ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنة ﴿ أنتم وأزواجكم ﴾ أي نظراؤكم ونيها ما تشبه في رادي آنية الطعام ﴿ وأكواب ﴾ وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لهما ولا عرى ﴿ وفيها ما تشبه أي زبادي آنية الطعام ﴿ وأكواب ﴾ وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لهما ولا عرى ﴿ وفيها ما تشبه أي زبادي آنية الطعام ﴿ وأكواب ﴾ وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لهما ولا عرى ﴿ وفيها ما تشبه أي

الأنفس ﴾ ، وقرأ بعضهم تشتهي الأنفس : ﴿ وتلذ الأعين ﴾ أي طيب الطعم والريح وحسن المنظر ، روى عبدالرزاق عن ابن عباس أن رسول الله على قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد، يفسح له في بصره مسيرة مائة عام ، في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ، ليس فيها موضع شبر إلا معمور ، يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله ، شهوته في آخرها كشهوته في أولى أولى أولى الله عليهم مما أعطى ، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئاً ها () .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُم فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ خالدون ﴾ أي لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولاً ، ثم قبل لهم على وجه التفضل والامتنان: ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أي أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم ، فإنه لا يدخل أحداً عملُه الجنة ولكن برحمة الله وفضله ، وإنما المرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات . روى ابن أبي حاتم " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله على الله على أهل الخاة أهل النار يرى منزله من الجنة فيكون له حسرة ، فيقول : ﴿ لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴾ ، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول : ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ فيكون له شكراً " ، قال : وما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون ﴾ " ، وقوله تعالى : ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة ﴾ أي من جميع الأنواع ﴿ منها تأكلون ﴾ أي مهما اخترتم وأردتم ، ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتمم النعمة والغبطة ، والله تعالى أعلى .

* إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنَّهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُلِسُونَ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ وَلَكِنَ كَانُواْ هُمُ الظَّلِدِينَ ﴿ وَنَادَوْاْ يَنَمَاكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنْكِنُونَ ﴿ لَقَلْ جِئْنَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كُلْرِهُونَ ﴿ أَمْ أَبْرُمُواْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَتَجْوَلُهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكُنْبُونَ ﴿ ثَنَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنَّى بذكر الأشقياء، فقال: ﴿إِن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ه لا يفتر عنهم ﴾ أي ساعة واحدة ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أي آيسون من كل خير ، ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم " وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد، ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ وهو خازن النار ، ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ ، وقال عزّ وجل: ﴿ ثم لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ ، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿ قال إنكم ماكثون ﴾ قال ابن عباس: مكث ألف

⁽١) أخرجه عبد الرزاق عن ابن عباس مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً .

سنة، ثم قال ﴿ إِنكُم مَا كَثُونَ ﴾ أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: ﴿ لقد جثناكم بالحق ﴾ أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه، ﴿ ولكنَّ أكثركم للحق كارهون ﴾ أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون ﴾، قال مجاهد: أرادوا كيد شر فكدناهم، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم، ولهذا قال: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم و نجواهم ﴾، أي سرهم وعلانيتهم ﴿ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ أي نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها.

* قُلْ إِن كَانَ لِلرِّحْمَدِنِ وَلَدُّ فَأَنَا أُوّلُ الْعَنبِدِينَ ﴿ مُنْ مَنْ حَلَق وَبُوالَة وَالْأَرْضِ وَبِ الْعَرْضِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ وَهُو اللَّه مَوْنَ وَهُو اللَّه مَوْنَ وَهُو اللَّه مَوْنَ وَهُو اللَّه مَوْنَ وَفَى السَّمَاء إِلَكُ وَفِي اللَّه مَوْنَ ﴿ وَهُو اللَّه مَوْنَ وَهُو اللَّه مَا اللَّه مَا اللَّه عَلَيْ وَعَلَى اللَّه مَا اللَّه عَلَيْ وَعَلَى اللَّه عَلَيْ وَفِي اللَّه مَا اللَّه عَلَيْ وَاللَّه اللَّه عَلَيْ اللَّه عَلَيْ وَعَلَى اللَّه عَلَيْ اللَّه عَلَيْ وَاللَّه اللَّه وَاللَّه اللَّه عَلَيْ وَاللَّه اللَّه عَلَيْ وَاللَّه اللَّه وَاللَّه اللَّه اللّه اللَّه الللَّه اللَّه اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

⁽١) قال البيضاوي : لا يلزم منه صحة وجود الولد وعبادته له ¤ بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه ، وإنكاره للولد ليس لعناد ومراء. ·بل لو كان أولى الناس بالاعتراف به، فإن النبي يكون أعلم بالله و بما يصح له وما لا يصح . انتهى وهو قول جيد .

أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء ، عن أن يكون له ولد ، فإنه فرد صمد ، لا نظير له ، ولا كفء له ، فلا ولد له ، وقوله تعالى : ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ أي في جهلهم وضلالهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ وهو يوم القيامة ، أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم في ذلك اليوم .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وهو الذي في السهاء إلّه وفي الأرض إلّه ﴾ أي هو إلّه من في السهاء، وإلّه من في الأرض يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه، ﴿ وهو الحكيم العليم ﴾ وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وهو الله في السهاوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ أي هو الملحو الله في السهاوات والأرض ﴿ وتبارك الذي له ملك السهاوات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد ﴿ وتبارك ﴾ أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص، لأنه الرب العلي العظيم الملك للأشياء، الذي بيده أزمة الأمور نقضاً وإبراماً، ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ أي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي فيجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ثم قال تعالى: ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه ﴾ أي من الأصنام والأوثان ﴿ الشفاعة ﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة لم ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ هذا استثناء منقطع ، أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، ثم قال عزَّ وجلًّ : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأتى يؤفكون ﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معسه غيره ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأتى يؤفكون ﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معسه غيره ولم من خلقهم ليقولن الله فأي يؤفكون أنه الخالق للأشياء جميعها وحده لا شريك له في ذلك، ومع هسذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل، يهذا الله نا قائل : ﴿ فأنّى يؤفكون ﴾ ؟

وقوله جلّ وعلا: ﴿ وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ أي وقال محمد عَلِيْكُ ﴿ قيله ﴾ أي شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾، وقال مجاهد في قوله: ﴿ وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ قال: يؤثر الله عزّ وجلّ قول محمد عَلِيْكُ ، وقال قتادة: هو قول نبيكم عَلِيْكُ يشكو قومه إلى ربه عزّ وجلّ ، وقوله تعالى ﴿ فاصفح عنهم ﴾ ، أي عن المشركين، ﴿ وقل سلام ﴾ أي لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيء، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً ، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد من الله تعالى لهم ، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد ، وأعلى دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وانتشر الاسلام في المشارق والمغارب ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة الزخرف، ولله الحمد والمنة]



حد ﴿ وَالْكِتَنْ ِ الْمُبِينِ ﴾ إِنَّا أَرْلَنَهُ فِي لَبْلَةٍ مُّبَرَكَةً إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُ أَمْمٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَّا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِن رَّبِكُ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبِّ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَّ ۚ إِن كُنتُم مُوقِنِينَ ۞ لَا إِلَنهَ إِلَّا هُو يُعْيِ و يُمِيثُ لَرَبْكُمْ وَرَبْ عَابَا بِكُو ٱلْأَوْلِينَ ۞

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم، أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَا أَنزلناه في ليلة القدر ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَا كنا منفرين ﴾ أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده، وقوله: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، وقوله جلّ وعلا: ﴿ حكيم ﴾ أي محكم لا يبدل ولا يغير، ولهذا قال جلّ جلاله ﴿ أمراً من عندنا ﴾ أي جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه ﴿ إنا كنا مرسلين ﴾ أي إلى النساس رسولاً يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ رحمة من ربك إنه هو السميع العليم ه رب السهاوات والأرض وما بينهما ﴾ أي الذي أنزل القرآن هو رب السهاوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ أي إن كنتم متحققين، ثم قال تعالى: ﴿ لا إلّه إلا هو يحيي ويميت ﴾ الآية .

بَلْ هُمُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ ﴿ فَآرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانِ مَّبِينٍ ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَلَا عَذَابُ أَلِيمٌ ۞ رَّبَنَا ٱكْثِيفْ عَنَا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ أَنَّى لَكُمُ ٱلذِّكَرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مَّبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ

عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ تَجْنُونُ ١ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُرْ عَآبِدُونَ ١ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُونَ ١ مُنتَقِمُونَ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُونَ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَلِقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَعْمَلِهُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَقِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتِعُمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مِنْ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعُمُ ١ مُنْ المُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعَلَعُمُ ١ مُنْ المُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعِمُ ١ مُنتَعَلِمُ ١ مُنتَعَلَعُمُ ١ مُنتَعَلَعُمُ ١ مُنتَعَلِمُ ١ مُنتَعَلِمُ ١ مُنتَعَلَعُ ١ مُنتَعَلَعُمُ ١ مُنتَعَلَعُمُ ١ مُنتَعَلِمُ ١ مُنتَعَلِمُ ١ مُنتَعَلِعُمُ ١ مُنتَعَلِعُمُ ١ مُنتَعَلِعُمُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعُمُ ١ مُنتَعَلِعُمُ ١ مُنتَعُمُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعَلِعُ ١ مُنتَعِمُ ١ مِنتَعَلِعُ ١ مُنتَعِعُ ١

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبونِ أي قــد جاءهم الحق اليقين، وهم يشكون فيـــه ويمترون ولا يصدقون به، ثم قال عزّ وجلّ متوعداً لهم ومهدداً : ﴿ فارتقب يوام تأتِّي السهاء بدخانُ مبين﴾ قال مسروق : دخلنا المسجد، يعني مسجد الكوفة، فإذا رجل يقص على أصحابه ﴿ يُوم تأتي السهاء بدخان مبين ﴾ تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنــافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، قال : فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا دلك له ، وكان مضطجعاً ففزع فقعد ، وقال: إن الله عزّ وجلّ قال لنبيكم عَلِيْتُهِ: ﴿ قُلَ مَا أَسَالُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجِرَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأُحدثكم عن ذلك: إن قريشاً لمـا أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله عَلِيْظُةٍ ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، 'فأصابهم من الجهد والجوع، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السهاء، فلا يرون إلا الدخان، وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السهاء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، قال الله تعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ۽ يغشى الناس هـــذا عذاب أليم، ، فَأَتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ، استسق الله لمضر ، فإنها قــد هلكت، فاستسقى يَوْلِيُّهُ لهم، فسقواً ، فنزلت: ﴿ إِنَا كَاشُفُو العــذاب قليلًا إنكم عائدون﴾، قال ابن مسعود رضي الله عنه : أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة ؟ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله عزَّ وجلِّ: ﴿ يُومَّ نبطش البطشة الكبرى إنَّا منتقمون ﴾ قال: يعني يوم بدر. قال ابن مسعود رضي الله عنه، فقد مضى خمسة: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام\! . وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة، كما تقدم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله عَلِيْكُ من عرفة، ونحن نتذاكر السَّاعة، فقال عَلِيُّكَة : ﴿ لا تقوم السَّاعة حتى تُروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس – أو تحشر الناس – تبيت معهم حيث باتوا ، وتفيل معهم حيث قالوا »⁶⁰ . وفي الصحيحين أن رسول الله عَلِيْظُ قال لابن صياد: « إني خبأت لك خبأ »، قال: هو الدُّخ^(٣)، فقال مُؤلِّقَةٍ له: « إخسأ فلن تعدو قدرك » قال: وخبأ له رسول الله عَلِيْقَةٍ: ﴿ فارتقب يوم تأتي السهاء بدخان مبين﴾ . وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه ع « أِن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر، فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال »⁽²⁾

⁽١) الحديث مخرج في الصحيحين ، ورواه أحمد والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري .

⁽٣) الدُّخ والدَّخ : الدخان .

⁽٤) أخرجه ابن جرير ورواء الطبراني ، وإسناده جيد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله عَلِيْكُم قال: « يهيج الدخان بالناس، فأما المؤمن فيأخسذه كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه ١، وقال ابن أبي حاتم، عن علي رضي الله عنه قال: لم تمض آية الدخان بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ، وروى ابن جرير، عن عبدالله ابن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لِمَ ؟ قال ، قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت، وهذا إسناد صحيح إلى ابنّ عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابـــة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين من الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرِة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السهاء بدخان مبين ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنَّما هو خيال رأوه في أعينهِم من شدّة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿ يغشى الناس ﴾ أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لمــا قيل فيه ﴿ يغشى النــاس ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً كقوله عزّ وجلّ : ﴿ يُومُ يدعُّونَ إلى نارٌ جهنم دعّـاً هذه النّار الَّتِي كنتم بها تُكذبون ﴾ ، أوْ يقول بعضهم لبعض ذلك . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا أَكْشَفَ عَنَا العَدَابِ إِنَا مَؤْمَنُونَ ﴾ أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذابُ الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقُوله جلت عظمته: ﴿ ولو ترى إذ وْقَفُوا عَلَى النَّارَ فَقَالُوا يَا لَبَتَنَا نَرْد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾، وكذا قوله جل وعلا: ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾، وهكذا قال جلّ وعلا ههنا ﴿ أَنَّى لَهُمُ الَّذِّكرى وقد جاءهم رسول مبين ٥ ثم تولوا عنه وقالوا معَلَم مجنون كم . يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بيّن الرسالة والنذارة، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه، بل كذبوه وقالوا معلم مجنون، وهذا كقوله جلَّت عظمته: ﴿ يُوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ ؟

وقوله تعالى: ﴿ إِنَا كَاشَفُوا العذاب قليلاً إِنكُم عائدون ﴾ يحتمل معنين: (أحدهما): أنه يقول تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله تعالى: ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ . (والثاني): أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيا أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم ، كقوله تعالى: ﴿ إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قلد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قلد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿ للنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين ﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾ ، وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم . وقال قتادة: إنكم عائلون إلى عذاب الله . وقوله عز وجل : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ : فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر " وروي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو محتمل، والظاهر أن

يقول تعانى : ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر ، ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ يعني موسى الكليم عليه الصلاة والسلام ﴿ أَن أَدُوا إِلِّي عبــاد الله ﴾ ، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَن أَرْسُل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ﴾ الآية ، وقوله جلّ وعلا : ﴿ إِنِّي لَكُم رَسُولَ أَمِينَ ﴾ أي مأمون على ما أبلغُكُموه، وقوله تعالى: ﴿ وأن لا تعلوا على الله كه أي لا تستكبروا عن اتبـــاع آياته والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾، ﴿ إِنِّي آتيكم بسلطان مبين ﴾ أي بحجة ظاهرة واضحة وهي ما أرسله الله تعالى بــه من الآيات البينات والأدلة القاطعات، ﴿ وَإِنِّي عِذْتِ بَرَبِّي وَرَبَّكُم أَن ترجمونُ ﴾ قال ابن عباس: هو الرجم باللسان وهو الشتم، وقال قتادة: الرجم بالحجارة أي أعوذ بالله الذي خلفني وخلفكم من أن تصلوا إلي بسوء من قولٍ أو فعل، ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعترَلونِ ﴾ أي فلا تتعرضوا لي ودعوا الأمر مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم، وأقــام حجج الله تعالى عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفراً وعناداً، دعــا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وقــال موسى ربنــا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحيــاة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ء قال قــد أجيبت دعوتكما فاستقيا ﴾، وهكذا قال ههنا ﴿ فَدَعَا رَبُّه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم.. من غير أمر فرعون ومشاورتــه واستثذانه، ولهذا قال جلّ جلاله : ﴿ فأسر بعبادي ليلاّ إنكم متبعون ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ﴾، وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لمــا جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن

يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكناً، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى، قال ابن عباس: ﴿ واترك البحر رهواً ﴾ كهيئته وامضه، وقال مجاهد ﴿ رهواً ﴾ طريقاً يبساً كهيئته، يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم؛ ثم قال تعالى: ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ وهي البساتين ﴿ وعيون وزروع ﴾ والمراد بها الأنهار والآبار ﴿ ومقام كريم ﴾ وهي المساكن الحسنة ، ﴿ ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ أي عيشة كانوا يتفكهون فيها، فيأكلون ما شاعوا ويلبسون ما أحبوا، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير واستولى على البلاد المصرية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ كذلك وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾، وقال عزّ وجلّ ههنا: ﴿ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ وهم بنو إسرائيل كما تقدم .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَا بَكُتْ عَلِيهِم السَّاءُ وَالْأَرْضِ ﴾ أي لم تكن لم أعمال صالحة تصعد في أبواب السهاء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم، روى الحافظ الموصلي، عن أنَس بن مالك رضي الله عنه عن النبي عَلَيْكُمْ قال: « ما من عبد إلا وله في السهاء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه » ، وتلا هذه الآية: ﴿ فما بكت عليهم السهاء والأرض ﴾ ۞ وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السهاء من كلامهم، ولا من عملهم كلامٍ طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم، وروى ابن أبي حأتم، عن عباد بن عبدالله قال: سأل رجل عليًّا رضي الله عنه هل تبكي السهاء والأرض على أحد ؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك؛ إنه ليس مّن عبد إلا له مصلّ في الأرض ومصعد عمله من السهاء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ولا عمل يصعد في السهاء، ثم قرأ علي رضي الله عنه: ﴿ فَمَا بَكَتَ عَلَيْهِم السَّمَاءُ والأرضُ وَمَا كَانُوا مَنْظُرِينَ ﴾ . وقال ابن جرير ، عن سعيد ابن جبير قال: أتى ابنَ عباس رضي الله عنهما رجلٌ فقال: يا أبا العباس، أرأيت قول الله تعالى: ﴿ فَمَا بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال رضي الله عنه: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السهاء منه ينزل رزَّقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السهاء الذي كان يضعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عزَّ وجلَّ فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عزّ وجلّ منهم خير ، فلم تبك غليهم السهاء والأرض ٣٠ . وقال سفيان الثوري: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً، وقال مجاهد: ما ماتٌ مؤمن إلا بكت عليه السهاء والأرض أربعين صباحاً، فقلَّت له: أتبكي الأرض ؟ فقال: أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسهاء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل، وقال قتادة: كانوا أهون على الله عزّ وجلّ من أن تبكي عليهم السهاء والأرض.

⁽١) أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده ، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً بنحوه .

⁽۲) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ، من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ يمتن عليهم تعالى بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة، وقوله تعالى: ﴿ من فرعون إنه كان عالياً ﴾ أي مستكبراً جباراً عنيداً كقوله عز وجلّ : ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ ، وقوله جلّت عظمته: ﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً عالين ﴾ ، ﴿ من المسرفين ﴾ أي مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه، وقوله جلّ جلاله: ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ قال مجاهد: على من هم بين ظهريه، وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك ، وكان يقال: إن لكل زمان عالماً ، وهذا كقوله عز وجلّ لمريم عليها السلام ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ أي في زمنها، فإن خديجة رضي الله عنها أفضل منها، أو مساوية لها في الفضل، وكذا آسية امرأة فرعون، وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ الحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿ ما فيه بلاء مبين ﴾ أي اختيار ظاهر جلي لمن اهتدى به.

يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثُمَّ إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور، ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقاً ﴿ فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة، لا في الدار الدنيا، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً، ثم قال تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ومنافراً لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث، كقوم تُبعً وهم (سبأ) حيث أهلكهم الله عزّ وجلّ وخرب بلادهم، وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر، كما تقدم ذلك في سورة سبأ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّـمَـنَوْتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِيِينَ ﴿ مَاخَلَقْنَدُهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَدَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّا يَوْمَ اللَّهُ الْعَلِيمُ وَلَى مَاخَلَقْنَدُهُمَا إِلَّا اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُل

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل ﴿ وما خلقنا السهاوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ كقوله جلّ وعلا: ﴿ وما خلقنا السهاء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ . وقال تعالى: ﴿ أن خلقنا كم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ؟ ثم قال تعالى: ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين، وقوله عزّ وجلّ ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ﴾ أي لا ينفع قريب قريباً كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ واذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾، وكقوله جلّت عظمته: ﴿ ولا يسأل حميم حمياً • ببصرونهم ﴾ . أي لا يسأل أخ أخاً له عن حاله وهو يراه عياناً. وقوله جلّ وعلا:

﴿ ولا هم ينصرون ﴾ ، أي لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصر من خارج ، ثم قال : ﴿ إِلا من رحم الله ﴾ أي لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عزّ وجلّ بخلقه ﴿ إنه هو العزيز الرحيم ﴾ أي عزيز ذو رحمة واسعة .

* إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿ طَعَامُ الأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِى الْبُطُونِ ۞ كَغَلِّي الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَآءِ الْجُمِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ عَمِنَّ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِ عَمْ تَرُونَ ۞ الْكَرِيمُ ۞ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِ عَمْ تَرُونَ ۞

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه ﴿ إِنْ شَجَرَةَ الرَّقُومُ طَعَامُ الأَثْيَمِ ﴾ و ﴿ الأثيمِ ﴾ أي في قوله وفعله، وهو الكافر، وذكر غير واحد أنه (أبو جهل)، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به، قال همام بن الحارث: إن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً: ﴿ إِن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ فقال: طعام اليتيم، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قل: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر ، أي ليس له طعام من غيرها^(١) ، قال مجاهد: ولو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم™، وقوله ﴿ كالمهل﴾ كعكر الزيت ﴿ يَغْلِي فِي البِطُونَ كَغْلِي الحميمِ ﴾ أي من حرارتها ورداءتها، وقوله تعالى ﴿خَذُوهُ﴾ أي الكافر، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية ﴿ خَذُوه ﴾ ابتدره سبعون ألفاً منهم، وقوله ﴿ فاعتلوه ﴾ أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره، قال مجاهد ﴿ خَلُوهُ فِاعْتَلُوهُ ﴾ أي خَلُوهُ فادفعوه ، ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾ أي وسطها ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَصِبُ مِن فَوَقَ رَوْوسَهُمُ الْحَمْيِمِ ۚ يَصَهْرُ بِهُ مَا فِي بَطُونَهُمْ والجلود ﴾ . وقد تقدم أن الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه، ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه، فيسلت ما في بطنه من أمعاثه حتى تمرق من كعبيه، أعادنا الله تعالى من ذلك، وقوله تعالى: ﴿ ذَقَ إِنْكَ أَنْتَ العزيز الكريم ﴾ أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ، وقال الضحاك عن ابن عباس: أي لست بعزيز ولا كريم، وقد قال الأموي في مغازيه، حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، لعنه الله فقال: « إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: « أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى »، قال، فنزع ثوبه من يده وقـــال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم. قال: فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله، وعيَّره بكلمته، وأنزل: ﴿ ذَقَ إِنكَ أَنتَ العزيزَ الكريم ﴾. وقوله عزَّ وجلّ : ﴿ إِن هذا ما كنتم به تمترون ﴾ كقوله تعالى: ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ه أفسحر ُ هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ ؟

* إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقِ مُتَقَابِلِينَ ﴿ إِنَّ ٱلْمُوْتَ صَالَا لَهُ وَوَ وَجَنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿ يَدَّعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكِهَةٍ وَامِنِينَ ﴿ لَا يَذُوتُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ صَالَا لَمَوْتَ

⁽١) أخرجه ابن جرير .

⁽٢)تقدم نحو هذا مرفوعاً .

إِلَّا الْمَوْتَةَ ٱلْأُولَى ۚ وَوَقَالُهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿ فَضَالًا مِن رَبِكَ ۚ ذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَرْنَكُ اللَّهِ اللَّهُ مَا لَقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَرْنَكُ اللَّهِ اللَّهُ مَا يَقَدُونَ ﴾ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكُّ وُنَ ﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُم مُرْتَقِبُونَ ﴾

لا ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء، ولهذا سمي القرآن مثاني، فقال: ﴿ إِن المتقين ﴾ أي ته الدنيا ﴿ في مقام أمين ﴾ أي في الآخرة، وهو الجنة وقد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب ﴿ في جنات وعيون ﴾ وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم، وقوله تعالى: ﴿ يلبسون من سندس ﴾ وهو رفيع الحرير ، كالقمصان ونحوها، ﴿ وإستبرق ﴾ وهو ما فيه بريق ولمعان، وذلك كالريش وما يلبس على أعالي القماش ﴿ متقابلين ﴾ أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره، وقوله تعالى: ﴿ كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾ أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتي ﴿ لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان وي ابن ابي حاتم، عن أنس رضي الله عنه رفعه قال: لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة من انقطاعه وامتناعه بل يحون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثهار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثهار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحون فيها بلوت أبداً، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله يَوْلِي ها، هذا استثناء بلوت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل المان خلود فلا موت، وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله يَوْلِيْ : " يقال لأهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل المن أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً ، وإن لكم أن تضوا فلا تهروا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً ، وأن كما شبت وأن المرا المناسوا أبداً ، وأن المرا المناسوا المناسوا ال

وقوله تعالى: ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ أي مع هسذا النعيم العظيم المقيم ، قد وقاهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم ، في دركات الجحيم ، ولهذا قال عزّ وجل: ﴿ فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي إنما كان هذا بفضله عليهم ، وإحسانه إليهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله عليهم أنه قال: « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة » ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال عليه الله أن يتغمدني واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة » ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال عليه إنما إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنمَا يَسْرِناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ، ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي يتفهمون ويعملون ، ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان ، من الناس من كفر وخالف وعاند ، قال الله تعالى لرسوله عليه أنه وواعداً له بالنصر ، ومتوعداً لمن كذبه بالعطف والهلاك ﴿ فارتقب ﴾ أي انتظر ﴿ إنهم مرتقبون ﴾ أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر ، وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد ولإخوانك مرتقبون ﴾ أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر ، وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد ولإخوانك

⁽١) أخرجاه في الصحيحين ، وقد تقدم في سورة مربم .

⁽٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

من النبيين والمرسلين ، ومن اتبعكم من المؤمنين ، كما قال تعالى: ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ الآية ، وقال تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .

[آخر تفسير سورة الدخان ، وله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]





حدَ ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِنَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّ فِي ٱلسَّمَاوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْكَابِتِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَآبَةٍ ءَايَنتُ لِقَوْمِ يُوقِئُونَ ۞ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّبَـٰلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءَ مِن رِّزْقِ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ ءَايَئتُ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞

يوشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السهاوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع، من الملائكة والجن والإنس والدواب، والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب، من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق فو فأحيا به الأرض بعد موتها أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، وقوله عز وجل : فو وتصريف الرياح في أي جنوباً وشمالاً برية وبحرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم لا ينتج، وقال سبحانه أولاً فو لآيات للمؤمنين في ثم فو يوقنون في ثم فو يعقلون في وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى: فو إن في خلق السهاوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السهاء من الماء ما فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السهاء والأرض لآيات لقوم بعقلون في .

تِلْكَ وَايْنَتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَتِّ فَيِأْيِ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَوَايْنَتِهِ عَ يُؤْمِنُونَ ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَاكِ أَثِيدٍ ﴿ يَسْمَعُ وَايَنْتِ اللَّهِ لُتَنَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَرْ يَسْمَعْهَا ۚ فَبَيْرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيدٍ ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ وَرَآ بِهِمْ جَهَيْمٌ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْعًا وَلَا مَا أَتَحَـٰذُواْ مِن دُونِ اللهِ أُولِيَا ۚ وَلَمُ مُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ هَا هَالَهُ مُ كَالَّةِ وَالْمِالَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ هَا هَا لَا هُدُى وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَاتِ رَبِّهِمْ لَكُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٌ ﴿ إِلَيْ مُ اللَّهِ مُلْكُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ﴿ تلك آيات الله ﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجيج والبينات ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ أي متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ ؟ ثم قال تعالى ﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ أفاك في قوله أي كذاب ﴿ أثيم ﴾ في ضعله وقلبه كافر بآيات الله، ولهذا قال ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ﴾ أي تقرأ عليه ﴿ أي على كفره وجحوده ، استكباراً وعناداً ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ كأنه ما سمعها ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ أي فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً ، ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئاً انحذها هزواً ﴾ أي إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به، وانحذه سخرياً وهزواً ﴿ أولئك لم عذاب مهين ﴾ أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به، ولهذا و نهى رسول الله يتهيئ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ﴾ ، ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال ﴿ من وراثهم جهنم ﴾ أي كل من اتصف مخافة أن يناله العدو ﴾ أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ ولم عذاب عظيم ﴾ ، ثم قال بذلك سيصيرون إلى جهنم يو ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئا ﴿ ولم عذاب عظيم ﴾ ، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ هذا هدى ﴾ يعني القرآن ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لم عذاب من رجز أليم ﴾ وهو المؤلم الموجع ، والقه سيحانه وتعالى أعلم .

الله الذي سَخْرَ لَكُرُ الْبَحْرَ لِتَجْرِى الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْ لِهِ وَلَعَلَّكُرْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَسَخَرَ لَكُمُ مَا فِي السَّمَوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِعًا مِنْ أَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَتِ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ وَامَنُواْ يَكُمْ مَا فِي اللَّهِ لِيَجْزِى قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ - وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْبَ اللَّهِ لِيَجْزِى قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ - وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْبَ اللَّهِ لِيَجْوِنَ قَوْمًا إِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ - وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْبَ اللَّهِ لِيَجْوَلُ وَلَيْ إِلَى مَا اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لَيْنَا إِلَى اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لَيْعَالِمُ اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لَيْنَا اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهُ لَيْنَا لَهُ اللَّهِ لَيْنَا لَهُ مَا إِلَى اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لَهُ اللَّهِ لَلْ مَا اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهُ لَكُوالْ إِلَى اللَّهِ لَيْنَالَهُ اللَّهُ اللَّهِ لَيْنَا لَهُ لَيْنَا لَهُ لِي اللَّهِ لِيَعْفِي اللَّهِ لِي اللَّهِ لِي اللَّهِ لِي اللَّهِ لِينَا لَهُ اللَّهِ لِللَّهُ لَيْنَا اللَّهِ لِينَا لَهُ اللَّهُ لِلْلَهُ لَا لَا لَهُ لِلللّهِ لِيَعْفِي الللَّهِ لِي اللَّهُ لَلْ اللَّهُ لِلللَّهُ لِيلَا لَهُ الللَّهُ لَلْكُوالِي اللَّهِ لِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لِلْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ لِللْلَهُ لَا لَا لَهُ لِللْهِ لَهُ لَهُ اللَّهُ لِيَعْلِمُ اللَّهُ لَلْمَا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لِلْمِنْ اللَّهُ اللّهِ لِي اللَّهِ لَلْهُ اللَّهُ لِلْهُ اللَّهُ اللْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيا سخر لم من البحر ﴿ لتجري الفلك ﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى فإنه هو الذي أمر البحر بحملها ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ أي في المتاجر والمكاسب، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي على حصول المنافع المجلوبة إليكم، من الأقاليم النائية والآفاق القاصية، ثم قال عزّ وجلّ ﴿ وسخر لكم ما في السياوات وما في الأرض ﴾ أي من الكواكب والجبال والبحار والأنهار، الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه، ولهذا قال ﴿ جميعاً منه ﴾ أي من عنده وحده لا شريك له، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وما بكم من نعمة فن الله ﴾ ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ ، أي ليصفحوا عنهم، ويتحملوا الأذى منهم، وكان هذا في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك

⁽١) رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

كالتأليف لهم، ثم لما أصروا على العناد، شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد (١)، وقوله تعالى: ﴿ لِيجزي قوماً بمــا كانوا يكسبون ﴾ أي إذا صفحوا عنهم في الدنيا، فإن الله عزّ وجلّ مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي تعودون إليه يوم القيامة، فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها، والله سبحانه وتعالى أعلم .

المتعالم عبه بجربهم المتعالم حرما والله المجان والله المعالم عبر الطّيبات وفَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَلَقَدْ مَا تَيْنَا بَنِيَ إِسْرَ وَبِلَ الْكِتَابَ وَالْحُكَمَ وَالنَّابُوَةَ وَرَزَقَنَاهُم مِنَ الطّيباتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمَا تَيْنَاتُ مِنَ الْأَمْرِ فَا تَيْنَاتُ مِنَ الْأَمْرِ فَا تَيْنَاتُ مِنَ الْأَمْرِ فَا تَيْنَا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى الْقَيْمَةِ فِيهَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ مُعَلَّنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَا تَيْعَهَا وَلَا نَتَيِعْ أَهُواَ اللَّهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ الطَّيلِينَ بَعْضُهُم أَوْلِيَا أَبْعَضٍ وَاللهُ وَلَى المُتَقِينَ ﴿ لاَ يَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ الطَّالِمِينَ بَعْضُهُم أَوْلِيَا أَبْعَضٍ وَاللهُ وَلَى الْمُتَقِينَ ﴾ هَذَا المَتَقِينَ ﴿ اللهِ اللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل، من إنزال الكتب عليهم، وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي من المآكل والمشارب، ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي في زمانهم ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر ﴾ أي حججاً وبراهين وأدلة قاطعات، ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغياً منهم ﴿ إن ربك ﴾ يا محمد ﴿ يقضي بينهم يوم القيامة فيا كانوا فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل بينهم بحكه العدل، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة، أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾ أي اتبع ما أوحي إليك من ربك وأعرض عن المشركين، وقال جل جلاله ههنا: ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً ؟ فإنهم لا يزيدونهم من الظلمات إلى النور ، ثم قال لا يزيدونهم من الظلمات إلى النور ، ثم قال عز وجل : ﴿ هذا بصائر للناس ﴾ يعني القرآن ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ .

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيْعَاتِ أَن تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ سَوَآءَ تَحْبَلُهُمْ وَهَمَاتُهُمْ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَهَمَ لَا يُظْلَمُونَ سَآءَ مَا يَحْكُونَ رَبُّ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ مِنَا أَفَرَ بَتَ مَنِ الْحَدُ إِلَيْهَ وُ هَوَنهُ وَأَضَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ وَعَشُوهُ فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَى عَلْمِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَ وَعَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَمَا لَكُونَ مَن الْعَدَالِكُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلْمِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَ وَعَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِ وَلَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِ وَعَلْمِ وَعَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهِ أَعْلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَالْعَلَا عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْعَالَ الْعَلَالَةُ اللَّهُ الْعَلْمُ الْ

⁽۱) هكذا روي عن ابن عباس وقتادة. وقال مجاهد: ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ أي لا ينالون نعم الله تعالى، يريد لأنهم لا يؤمنـون بالآخرة ولا بلقاء الله .

يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال في آية أُخرى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة مم الفائزون ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴾ ؟ أي نساويهم بها في الدنيا والآخرة إساء ما يحكون ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار، فكما لا يجتني من الشوك العنب، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار، ذكر محمد بن إسحاق انهم وجدوا حجراً بمكة من أس الكعبة، مكتوب عليه و تعملون السيئات وترجون الحسنات، أجل كما يجني من الشوك العنب ». وعن مسروق أن تمياً الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ " ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أو ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ أفرأيت من اتحذ إلمه هواه ﴾ أي إنما يعتمل قولين: (أحدهما) : وأضله الله علمه أنه يستحق ذلك، (والآخو) : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، والذي يستوى على معمون ﴾ و كقوله تعالى: ﴿ فن يهديه من بعد الله أفلا ما ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها، ولهذا قال تعالى: ﴿ فن يهديه من بعد الله أفلا ما ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا هادي له ويذرهم في طنيانهم يعمهون ﴾ .

وَقَالُواْ مَاهِى إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَتَعْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهَٰ وَمَا لَهُم بِذَالِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ اَيَتُنَا بَيِّنَتِ مَا كَانَ جُمَّتُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ النُّواْ بِعَا بَآيِنَا إِن كُنتُمْ صَلَاقِينَ ﴿ مَا لَقَدُ عُلِيكُمْ اللَّهُ يُعْيِيكُمْ ثُمَّ بُمِينُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقَيْكَمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لاَيَعَلَمُونَ ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقَيْكَمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لاَيَعَلَمُونَ ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقَيْكَمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لاَيَعَلَمُونَ وَهِ

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا المدنيا نموت ونحيا ﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد ، وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع « المعتقدون أن في كل سنة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قدد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا العقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وما يم بلاك المنون ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون ، قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون ، فأما الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله يَقْلِي : « يقول تعالى يؤذيني ابن آدم » فأما الحديث الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره » ، وفي رواية : « لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر » فقد قال الشافعي وأبو عبيدة في تفسير الحديث : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى ، فكأنهم إنمها سبوا الله عبية الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى ، فكأنهم إنمها سبوا الله عبية الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى ، فكأنهم إنمها سبوا الله عبية الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى ، فكأنهم إنمها سبوا الله

⁽١) أخرجه الطبراني عن أبي الضحى عن مسروق .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين ، ورواه أبو داود والنسائي .

عزّ وجلّ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ أي إذا بيّن لهم الحق، وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنابها وتفرقها ﴿ ما كان حجتهم إلا أن قالوا اثتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾، أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً، قال الله تعالى: ﴿ قل الله يعتبكم ﴾ أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود ، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ﴾ أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود ، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يعيبكم ﴾ أي الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى، ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ، ﴿ ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ أي يرون وقوعه بعيداً ، والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً .

* وَلِلّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَنُواْتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَ إِلَهِ يَغْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ مَائِيةً كُلُّ أُمَّةٍ مَائِينَةً كُلُّ أُمَّةً تَدَّعَىٰ إِلَىٰ كِتَنْبِهَا ٱلْبَوْمَ مُجْزُوْنَ مَا كُنتُمْ تَعَمَلُونَ ﴿ هَا كَنتُمْ الْكَنْكُ بَنْ اللّهَ عَلَيْكُم إِلَىٰ كَتَابِهَا ٱلْبَوْمَ مُجْزُوْنَ مَا كُنتُمْ تَعَمَلُونَ ﴿ هَا كُنتُمُ مَا كُنتُمْ اللّهِ عَلَيْكُم اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّ

يخبر تعانى أنه مالك الساوات والأرض، والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ ويوم القوم الساعة ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يحسر المبطلون ﴾ وهم الكافرون بالله والجاحدون بما أنزله على رسله، من الآيسات والدلائل الواضحات، ثم قال تعالى: ﴿ وترى كل أمة جائية ﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم، فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويقول نفسي نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول: لا أسألك اليوم الا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني، قال مجاهد: ﴿ كل أمة جائية ﴾ أي على الركب، وقال عكرمة: ﴿ جائية ﴾ متميزة على ناحيها، وليس على الركب، والأول أولى لما روي عن عبدالله بن باباه أن رسول الله يقيلة قال: ه كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم »(١)، وقال محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً في حديث الصور: فيتميز الناس، وتجنو الأمم، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿ وترى كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يعني كتاب الصور: فيتميز الناس، وتجنو الأمم، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله: ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبين والشهداء ﴾، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ اليوم تجزون علما عظمة: عظمته: ﴿ هذا كتابنا ينعلق عليكم بالحق ﴾ أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، ما كنتم تعملون ﴾ أي تجازون بأعمالكم خبرها وشرها، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ينأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾، كقوله جلّ جلاله: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إنا نستنسخ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إنا نستنسخ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إنا نستنسخ

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

ما كنتم تعملون ﴾ أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم، قال ابن عباس وغيره: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السهاء، فيقابل الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة، مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ثم قرأ: ﴿ إِنَا كِنَا نَسْتَنْسُخُ مَا كَنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾ .

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفُرُواْ الْحَالَةِ وَعَلَى اللّهِ حَقَّ وَالسَّاعَةُ لاَرَبْبَ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَنِي نُتَلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا عَجْرِمِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَقَّ وَالسَّاعَةُ لاَرَبْبَ فِيهَا قُلْمَ مُنْ السَّاعَةُ إِن نَظُنُ إِلّا ظَنَّ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَبَقْنِينَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّعَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَا كُلُواْ بِهِ عَ بَسْتَمْ زِنُونَ ۞ وَقِيلَ الْمَيْوَمُ نَلْسَلْكُمْ كُمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ بَوْمِكُمْ هَاذَا وَمَأُولُوكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِن مَا كَانُواْ بِهِ عَلَى اللّهُ وَلَا لَهُ مُنُوا وَعَلَى بَهِم عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ هُمُوا وَعَوْتُ مُوكُمْ الْحَيْوَةُ الدُّنِيَّ فَالْيَوْمَ لاَيُحُرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ فَاللّهُ مُنْ وَاللّهُ مِن السَّاعَةُ فَى السَّمَاوَتِ وَرَبِ اللّهُ هُرُوا وَعَرَّنْكُمُ الْحَيْوَةُ الدُّنِيَّ فَالْمَوْمَ لَا يُحْرَبُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ فَاللّهُ مِن اللّهُ مَا السَّمَاوَتِ وَرَبِ اللّهُ مُنْ وَاللّهُ لِمَالُولُ وَالْعَرْمِ لَى اللّهُ مَا لَكُمْ اللّهُ الْمَالِقُولُ الْعَلَالُهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا لَكُمْ وَلَا لَكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمَوْمِ وَالْمَالِقُولُ وَعَلَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا لَكُمْ وَلَا لَكُمْ وَلَا لَا لَكُنْ وَالْعُولُ وَالْمُولِقُولُ وَالْمُولِ وَالْمُولِقُولُ وَالْمَا لَا لَكُمْ وَلَا لَكُمْ وَالْمُولِ وَاللّهُ وَلَا لَا مُؤْمِلُولُ وَلَا لَا لَهُ وَاللّهُ وَلَا لَا فَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة، وهي الخالصة الموافقة للشرع ﴿ فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ وهي الجنة، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء (ال ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ أي البين الواضح، ثم قال تعالى ﴿ وأمّا الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ﴾ ؟ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، أما قرئت عليكم آيات الله تعالى، فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن سماعها، وكنتم قوماً مجرمين في أفسالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ ﴿ وإذا قبل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ﴾ أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك ﴿ قلتم ما ندري ما الساعة ﴾ أي لا نعرفها ﴿ إن نظن إلا ظناً ﴾ أي إن نتوهم وقوعها إلا توهماً أي مرجوحاً، ولهذا قال: ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ أي بمتحققين، قال الله تعالى: ﴿ وبدا لهم سيئات ما عملوا ﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي من العذاب والذكال ، ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم، ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به ﴿ ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ ، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة : « ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ يقول لبعض العبيد يوم القيامة : « ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟

 ⁽١) هذا جزء من حديث أخرجه الشيخان وأوله: « تحاجّت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين ، وقالت الجنة: مالي
 لا يدخلني إلا سقط الناس وضعفاؤهم ؟ فأوحى الله للجنة أنت رحمتي » ... الخ .

فيقول: بلى يا رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: « فاليوم أنساك كما نسيتني »، قال الله تعالى: ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً ﴾ أي إنحا جازيناكم هذا الجزاء، لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخرياً تسخرون وتستهزئون بها، ﴿ وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ أي خدعتكم فاطمأننتم إليها فأصبحتم من الخاسرين، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾ أي من النار، ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي لا يطلب منهم العتبى، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب. ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال ﴿ فلله الحمد رب السهاوات ورب الأرض ﴾ أي المالك لهما وما فيهما، ولهذا قال: ﴿ وب العالمين ﴾ ، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ وله الكبرياء في السهاوات والأرض ﴾ ، قال مجاهد: في السلطان، أي هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: « يقول الله تعالى: العظم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: « يقول الله تعالى: العظم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: « يقول الله تعالى: العظم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: العزيز ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ، ﴿ الحكم ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، تعالى وتقدس لا إلّه إلا هو .

[آخر تفسير سورة الجاثية ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة]

* * *

⁽١) وفي رواية : فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي ، والحديث في صحيح مسلم .



حدَ إِن تَنزِيلُ الْكِتَكِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَ آلًا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمَّى وَالَّذِينُ كَفَرُواْ مَعْرِضُونَ ﴿ قُلْ أَرَةَ يْتُمُ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكَ فِي السَّمَوَتِ اللهِ يَكْتَبِ مِن قَبْلِ هَنذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُم صَلِيقِينَ ﴿ وَمَنْ اللهِ اللهِ مِن اللهِ مِن قَبْلِ هَنذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُم صَلِيقِينَ ﴿ وَمَنْ اللهِ اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهُ مَا أَوْا اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مُن اللهُ مَا أَوْا الْمُن اللهُ مَن اللهُ مَا أَمْ اللهُ مَاللهُ مَا أَنْ الْمُن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهُ مَا أَنْ الْمُن اللهِ مِن اللهُ مَا مُن اللهُ مَن اللهُ مَا أَنْ الْمُن اللهِ مِن اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ مِن اللهِ اللهُ اللهُ مَن اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال، ثم قال تعالى: ﴿ ما خلقنا السهاوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ أي لا على وجه العبث والباطل، ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص . وقوله تعالى ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ أي لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً، وأرسل إليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله ، أي وسيعلمون غب ذلك ، ثم قال تعالى ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء وأرسل إليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله ، أي وسيعلمون غب ذلك ، ثم قال تعالى ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ أي أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿ أم لم شرك في السهاوات ﴾ ؟ أي ولا شرك لهم في السهاوات ولا في الأرض وما علكون من قطمير ، إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل ، فكيف تعبلون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشد كم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال ﴿ اثنوني بكتاب من قبل هذا ﴾ أي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يأمركم بعبادة هذه بكتاب من قبل هذا ﴾ أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي لا دليل لكم لا نقلياً ولا عقلياً على ذلك ، قال مجاهد ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أو أحد يأثر علماً ، وقال ابن عباس : أو بينة من الأمر ، لا نقلياً ولا عقلياً على ذلك ، قال مجاهد ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أو أحد يأثر علماً ، وقال ابن عباس : أو بينة من الأمر ،

وقال أبو بكر بن عياش: أو بقية من علم، وقال ابن عباس ومجاهد ﴿ أَوَ أَثَارَةَ مَنَ عَلَمُ ﴾ يعني الخط، وقال قتادة ﴿ أَوَ اثَارَةَ مَنَ عَلَمُ ﴾ خاصة من علم، وكل هذه الأقوال متقاربة، وهي راجعة إلى ما قلناه، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ومن أَصَل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ ؟ أي لا أضل ممن يدعو من دون الله أصناماً، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامه، وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ، لأنها جماد وحجارة صم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وإذا حشر الناس كانوا فَم أَعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ كقوله عزّ وجلّ : ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ أي سيخونونهم أحوج ما يكونون عليهم، وقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ .

يقول عزّ وجلّ مخبراً عن المشركين في كفرهم وعنادهم، إنهم إذا تتلى عليهم آيات الله ﴿ بينات ﴾ أي في حال بينها ووضوحها وجلائها، يقولون: ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أي سحر واضح وقسد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا، ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنون محمداً عَيَالَتُهُ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ﴾ أي لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني، وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة، ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أنتم ولا غيركم أن يجير في منه، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ قل إنى لن بجير في من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا: ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون في من الله شهيداً بيني وبينكم ﴾ هذا تهديد لهم ووعيد أفتر به ورحم، وهذه الآية كقوله عزّ وجلّ: ﴿ قل أنزله الذي المناز الله عليه أول رسول طرق العالم، بل قسد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير لسه حتى يستنكروني وتستبعدون بعثتي إليكم، فإنه قسد أوسل رسول طرق العالم، بل قسد جاءت الرسل من قبلي ، فما أنا بالأمر الذي لا نظير لسه حتى تستنكروني وتستبعدون بعثتي إليكم، فإنه قسد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم ، قال ابن عباس ومجاهد ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ ما أنا بأول رسول بُعث إلى الناس .

وقوله تعالى: ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ قال ابن عباس: نزل بعدها ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من

ذنبك وما تأخر ﴾" وقال الضحاك: ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ أي ما أدري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا؟وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ أما في الآخرة فعاذ الله وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء؟أم أقْتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ ولا أدري أيخسف بكم أو ترمون بالحجارة ؟ ولا شك أن هذا هو اللائق به عَلِيُّكُم ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه؛ وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش، إلى ماذا أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون، فيستأصلون بكفرهم ؟ فأما الحديث الذي رواه ابن شهاب عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أم العلاء – وكانت بايعت رسول الله ﷺ – قالت: طار لهم في السكني حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين (عثمان بن مظعون) رضي الله عنه، فاشتكى عثمان فرَّضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك، لقد أكرمك الله عزّ وجلّ، فقال رسول الله ﷺ: « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: « أمّا هو فقد جاءه البقين من ربه وإني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت، فقلت: والله لا أزكى أحداً بعده أبداً، وأحزنني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان رضى الله عنه عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال رسول الله عَلِيلَةٍ : « ذاك عمله » وفي لفظ : « ما أدري وأنا رسول الله عَلِيلَةٍ مــا يفعل به » – وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، بدليل قولها؛ فأحزنني ذلك – فني هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعيّن بالجنة، إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة المبشرين بالجنة، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وما أشبههم وقوله: ﴿ إِن أَتَبِعِ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيْ ﴾ أي إنما أتبع ما ينزله الله عليَّ من الوحي، ﴿ وما أنا إلا نذير مبين﴾ أي بيّن النذارة أمري ظاهر ، لكل ذي لب وعقل، والله أعلم .

قُلُ أَرَءً يُتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَهُهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِيَ إِسْرَ عِبلَ عَلَى مِثْدِهِ وَفَعَامَنَ وَاسْتَكُبَرُثُمُ إِنَّا اللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّلِينَ فَيْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلّذِينَ عَامَنُواْ لَوْكَانَ خَيْرًا مَّاسَبَقُونَا إِلَيْهُ وَإِذْ لَرْ يَهْ تَدُواْ بِهِ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا لَلْهُ لَا يَهْدُواْ إِلَيْ فَيْ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلا فَي اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ اللّهُ عُمْ السّهَ فَالْواْ وَبُشْرَى لِلمُحْسِنِينَ شَي إِنَّ اللّه مِن اللّهُ مُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ لِينَ اللّهُ مُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْدَا وَلَا يَعْمَلُونَ فَيْ أَوْلَا مَا اللّهُ مُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْرَبُونَ فَي أَوْلًا مَا اللّهُ مُمَّ السّتَقَامُواْ فَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْدَا وَيُشْرَى اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

يقول تعالى : ﴿ قَلَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن ﴿ أَرأيتُم إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿ من عند

 ⁽۱) هكذا قال عكرمة والحسن وقتادة : إنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ، ولما نزلت هذه الآية قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ .
 (۲) انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم .

الله وكفرتم بــه ﴾ ؟ أي مــا ظنكم أن الله صانع بكم، إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم بــه قد أنزلــه عليّ لأبلغكموه ، وقد كفرتم بــه وكذبتموه ؟ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾ أي وقد شُهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي، بشرت بـــه وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به ، وقوله عزّ وجل: ﴿ فَآمَن ﴾ أي هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته ، ﴿ واستكبرتم ﴾ أنتم عن اتباعه، وقال مسروق: فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم، ﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يهدي القوم الظالمين﴾ وهذا يعم (عبدالله بن سلام) وغيره، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا يَتَلَى عَلَيْهُمْ قَالُوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ وقال: ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ﴾ الآية، وروى مالك، عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد بمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام رضي الله عنه، قال: وفيه نزلت ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾ 🗥 ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة: إنه عبدالله بن سلام، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا للذين آمنوا لوكان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لوكان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، يعنون (بلالًا) و (عمَّاراً) و (صهيباً) و (خباباً) رضى الله عنهم وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء، غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً وأخطأوا خطأً بيّناً كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلْكَ فَتَنَا بَعْضُهُم بَبَعْض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: ﴿ لُو كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونا إليه ﴾، وأما أهل السُّنَّة والْجماعة فيقُولون في كــل فعل وقول لم يثبت عن الصحــابة رضي الله عنهم : هو بدعة، لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقــد بادروا إليها، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتُدُوا بِهُ ﴾ أي بالقرآن ﴿ فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ أي كذب قديم مأثور عن الناس الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله عَلِيْكُم : « بطر الحق وغمط الناس » ٣٠. ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن قَسِلُه كَتَابُ موسى ﴾ وهو التوراة ﴿ إماماً ورحمة وهذا كتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدق ﴾ أي لما قبله من الكتب ﴿ لساناً عربياً ﴾ أي فصيحاً بيناً واضحاً ﴿ لِينذَر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ أي مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبِّنَا اللهُ ثُمَّ استقامُوا ﴾ تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة، وقوله تعالى: ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي فيما يستقبلون ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما خلفوا ﴿ أُولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جَرَاء بما كانوا يعملون ﴾ أي الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم، والله أعلم .

وَوَصَّيْنَ ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَلَتْهُ أُمَّهُ كُرْهَا وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا وَحَمَّلُهُ, وَفِصَّلُهُ, ثَلَانُونَ شَهْراً حَتَى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ, وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيَ أَتَعَمْتَ عَلَى وَعَلَى وَالِدَى وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَلُهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيَ ۚ إِنِي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَالَدِيلَ الدِّينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيْعَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ آجَنَّةً وَعَدْ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي . (٧) (بطر الحق) أي دفعه وعدم قبوله . و (غمط الناس) أي احتقارهم وازدراءهم .

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾، وقوله جلّ جلاله: ﴿ أَن اشكر ليولوالديك إليّ المصير ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وقال عزّ وجلّ ههنا: ﴿ ووصينا الإنسان بُوالديه إحساناً ﴾ أي أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما، روى أبو داود الطيالسي، عن سعد رضي الله عنه قال، قالت أم سعد لسعد: أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين ؟ فلا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بالله تعالى، فامتنعتُ من الطعام والشراب، حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا، ونزلت هذه الآيــة: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ الآية " ، ﴿ حملته أُمَّه كرهاً ﴾ أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً ، مَن وَحَم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك، مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، ﴿ ووضعته كرهاً ﴾ أي بمشقة أيضاً من الطلق وشدته، ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقــد استدل بهذه الآية مع التي في لقمان ﴿ وفصاله في عامين ﴾، على أن أقل مدة الحمل سنة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح، روى محمد بن إسحاق ، عن معمر ابن عبدالله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة، فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه، فذكر ذلك له، فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يبكيك، فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط، فيقضي الله سبحانه وتعالى فيَّ ما شاء، فلما أتى بهما عثمان رضي الله عنه أمر برجمها ، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فأتاه فقال له: ما تصنع ؟ قال: ولدت تماماً لستة أشهر وهل يكون ذلك ؟ فقال له علي رضي الله عنه : أما تقرأ القرآن؟ قال: بلي، قال: أما سمعت الله عزّ وجلّ بقول: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال: ﴿ حولين كاملين ﴾ فلم نجده بقي إلّا ستة أشهر، قال، فقال عثمان رضي الله عنه: والله ما فطنت بهذا ، عليَّ بالمرأة ، فوجدوها قــد فرغ منها، قال، فقال معمر : فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه، قال، وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهــه الآكلة، فما زالت تأكله حتى مات™، وقال ابن عباس: إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه مــن الرضـــاع أحد وعشرون شهراً، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ ﴿ حتى إذا بلغ أشده ﴾ أي قوي وشب وارتجل، ﴿ وَبَلَغُ أَرْبَعِينَ سَنَّةً ﴾ أي تناهي عقله، وكمل فهمه وحلمه، ويقال إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين، وروى الحافظ الموصلي، عن عنمان رضي الله عنه عن النبي يُؤلِّكُم قال: « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السهاء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبَّت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته، وكتب في السماء أسير الله في أرضه ٣٠٠٠

﴿ قَالَ رَبُّ أُوزِعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾

⁽١) أخرجه الطيالسي ، ورواه مسلم وأصحاب السنن إلا ابن ماجة بإسناد نحوه وأطول منه .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : وقد أوردناه من وجه آخر .

⁽٣) أخرجه الحافظ الموصلي ، وروي من غير هذا الوجه في مسند الإمام أحمد .

أي في المستقبل، ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ أي نسلي وعقبي، ﴿ إنِّي تبت إليك وإنِّي من المسلمين ﴾ وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدّد التوبة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ ويعزم عليها، وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله عَلِيْكُم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد : « اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بهـــا عليك قابليها، وأتممها علينا «^{١٥}. قال الله عزّ وجل: ﴿ أُولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجـــاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ﴾ أي هؤلاء المتصفون بمـا ذكرنا، التائبون إلى الله المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار : هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ونتقبل منهم اليسير من العمل ﴿ فِي أصحاب الجنة ﴾ أي هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عزَّ وجلَّ من تاب إليه وأناب، ولهذا قــال تعالى: ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ 🛚 روى ابن أبي حاتمه عن محمد بن حاطب قال: لقد شهدت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه، وعنده (عمار) و (صعصة) و (الأشتر) و (محمد بن أبي بكر) رضي الله عنهم، فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه، فكان علي على السرير ومعه عود في يده، فقال قائل منهم: إن عندكم من يفصل بينكم، فسألوه، فقال علي رضي الله عنه: كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى : ﴿ أُولئكَ الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ قال : والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم، قالهـــا ثلاثاً . قال يوسف: فقلت لمحمد بن حاطب: آلله لَسمعتَ هذا من علي رضي الله عنه ؟ قال: آلله لَسمعتُ هذا من علی رضی الله عنه^(۱)

وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَحَكُمَا أَتَعِدَانِنِيَ أَنْ أَنْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللّهَ وَيْلَكَ عَالِمَ فَالَّ لِوَالِدَيْهِ أَنْ يَعْدَى اللّهَ وَيْلَكَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْدِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الْجُنِّ وَالْإِنْسُ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَلْسِرِينَ ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتُ مِّ عَمْلُوا لَا وَلِيُوفَيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ خَلَتُهُمْ مَنْ عَبْلِهِم مِنَ الْجُنِّ وَالْإِنْسُ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَلْسِرِينَ ﴿ وَلِيكُلِّ دَرَجَتُ مِّ عَمْلُوا أَولِيكُوفَيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَلَيْكُو وَكُلِّ دَرَجَتُ مِّ عَمْلُوا أَولِيكُوفَيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْهُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفُرُواْ عَلَى النّارِ أَذْهَبُهُمْ طَيْبَانِكُمْ فِي حَبَاتِكُمُ الدُّنِيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا وَهُمْ لَا يُطْهُرُونَ عَذَابَ الْهُونِ عِمَا كُنتُمْ لَسَتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَتِي وَبِمَا كُنتُمْ لَفُهُ وَنَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ مَنْ اللَّهُ وَالْمَالِقُونَ فَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَالْمَالِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ مُن اللَّهُ وَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُونَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمْ عَلَيْكُمْ وَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ مَا لَكُولُونَ عَذَابَ الْهُونِ عِمَا كُنتُمْ لَيْسُولُونَ فِي اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُمْ اللَّالِي اللْهُونِ عَلَيْهُمْ اللَّهُ الْعَلَيْرِينَا فَاللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ ال

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما، وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما ﴾ وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في (عبدالرحمن بن أبي بكر) رضي الله عنهما فقوله ضعيف، لأن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه، وإنما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه :

⁽١) أخرجه أبو داود في السنن . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

أف لكما . روى ابن أبي حاتم، عن عبدالله بن المديني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه، فقد استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أهرقلية ؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحد من أهل ببته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده، فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه: أفي لكما ؟ فقال عبدالرحمن رضي الله عنه: ألست ابن اللهين الذي لعن رسولُ الله عنها أباك، قال: وسمعتهما عائشة رضي الله عنها فقالت: يا مروان! أنت القائل لعبدالرحمن رضي الله عنه كذا وكذا ؟ كذبت، ما فيسه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان، ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر، حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف⁽⁰⁾. وروى النسائي، عن محمد بن زياد قال: قال لما بابع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله تعلى فيه: ﴿ والذي قال لوالديه أفي لكما ﴾، فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ينظم لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فروان فَضَض من لعنة الله أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله فيسة أبي أبعث، ﴿ وقد خلت القرون من وليه أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر، ﴿ وهما يستغيثان الله هم أي يسألان الله فيسه أن يهديه ويقولان قبلي هم أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر، ﴿ وهما يستغيثان الله هم أي يسألان الله فيسه أن يهديه ويقولان لولاه أله أساطير الأولين ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ أُولئك الذين حق عليهم القول في أم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهلبهم يوم القيامة، وقوله: ﴿ أُولئك ﴾ بعد قوله ﴿ والذي قال ﴾ دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك، وقال الحسن وقتادة: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ولكل درجات عما عملوا ﴾ أي لكل عذاب بحسب عمله، ﴿ وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها، قال عبدالرحمن بن زيد: درجات النار تذهب سَفَالاً، ودرجات الجنة تذهب علواً، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ ، أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها وقال : إني أخاف أن أكون من الذين قال الله لهم: ﴿ أَذُهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : إني أخاف أن أكون من الذين قال الله لهم: ﴿ أَذُهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : في فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ جُوزوا من جنس غملهم، فكما متعوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق، وتعاطوا الفسق والمعاصي، جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة، والحسرات المتتابعة، والمنازل في الدركات المفظعة، أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله .

⁽١) أخرجه ابن ابي حاتم ، ورواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر .

⁽٢) أخرجه النسائي في سننه . ومعنى (فضض) : قطعة .

* وَآذَ كُوْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النَّذُو مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ آلَا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ قَالُواْ أَجِنْتَنَا لِنَا فِيكَا عَنْ الْمُنْ الْمَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ ﴿ قَالَ إِنْمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ وَأَبَلِفُهُم مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ وَلَلْكِنِي أَرَنكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿ فَلَا اللّهِ عَلَيْكُ مَلَ اللّهِ وَأَبَلِفُهُم مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ وَلَلْكِنِي أَرَنكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿ فَلَا اللّهِ عَلَيْكُ مَا أَرْسِلْتُ بِهِ وَلَلْكِنِي أَرَنكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ فَلَتُ رَأَوْهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ هُومَا السَّعْجَلْتُم بِهِ وَيَحْ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ تُدَمِّمُ كُلَّ اللّهُ هُومَا السَّعْجَلْتُم بِهِ وَيْحَ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ تُدَمِّمُ كُلَّ اللّهُ مَوْمَا السَّعْجَلْتُم بِهِ وَيَحْ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ تُدَمِّمُ كُلَّ اللّهُ عَلَيْ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا السَّنَعُجُلْتُم بِهِ وَلِي مِنْ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْكُونَ الْمُعْولِي الْمُعْلَمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ي**قول تعالى** مسلياً لنبيّه ﷺ، في تكذيب من كذبه من قومه ﴿ واذكر أَخا عاد﴾ وهو ﴿ هود﴾ عليه الصلاة والسلام، بعثه الله عزَّ وجلَّ إلى عاد الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف ، جمع حِقْف ، وهو الجبل من الرمل ، وقال عُكرمة: الأحقاف: الجبل والغار، وقال قتادة: ذكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لهــا الشُّحْر ، وقوله تعالى: ﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ ، يعني وقد أرسل الله تعالى إلى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلُ أَنْدُرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخــاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أي قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفَكُنَا عَنَ آلْهَتَنَا ﴾ ؟ أي لتصدنا عن آلهتنا، ﴿ فأتنا بما تعدناً إن كنت من الصادقين﴾ استعجلوا عذاب الله وعقوبته، استبعاداً منهم وقوعه، كقوله جلَّت عُظمته : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾، ﴿ قال إنمـا العلم عند الله ﴾ أي الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم، وأما أنا فمن شأني أن أبلغكم ما أرسلت به ﴿ ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ أي لا تعقلون ولا تفهمون ، قال الله تعالى: ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم ﴾ أي لما رأوا العذاب مستقبلهم، اعتقدوا أنه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به، وقــد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، قال الله تعالى: ﴿ بل هو ما استعجلتم به ربح فيها عذاب أليم ﴾ أي هو العذاب الذي قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، ﴿ تدمر ﴾ آي تخرب ﴿ كُلُّ شَيَّ ﴾ من بلادهم ممنا من شأنه الخراب، ﴿ بأمر ربها ﴾ أي بإذن الله لهنا في ذلك، كقوله سبحانــه وتعالى: ﴿ مَا تَذَرَ مَن شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ أي كالشيء البالي، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ أي قد بادوا كلهم عن آخرهم و لم تبق لهم باقية ، ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ أي هذا حَكَمَنَا فَيَمَنَ كُذَّبِ رَسَلْنَا وَخَالُفَ أَمَرِنَا .

يروى أن عاداً قحطوا فبعثوا وفداً يقال له (قيل) فحر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر ، وتغنيه جاريتان، يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه، فحرت به سحابات سود، فنودي منها اختر، فأوماً إلى سحابة سوداء، فنودي منها خذها رماداً رمْدَداً " لا تبقي من عاد أحداً، فما أرسل عليهم من الربح إلا قدر

⁽١) يِقَالَ : رَمَّدِدُ وَرَمَّدَدَ وَرَمَّدَيدَ : أَي كُثيرَ دَقَيقَ جِداً .

ما يجري في الخاتم حتى هلكوا، قال أبو وائل: وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم، قالوا: لا تكن كوافد عاد ()، وروى الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول الله على مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم. وقالت: كان رسول الله على إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية ؟ فقال رسول الله على : «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » أو عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله على إذا عصفت الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به وأقبل وأدبر، وإذا أمطرت سري عنه، فعرفت ما أرسلت به . قالت: وإذا تحبّلت السهاء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، وإذا أمطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها، فسألنه، فقال رسول الله على عائشة كما قال قوم عاد: ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ " وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهود بما أغنى عن إعادته ههنا، ولله الحمد والمنة .

وَلَقَدْ مَكَّنَهُمْ فِيمَا إِن مَّكَنَكُرْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَنُوا وَأَفْعِدَةً كُمَّ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَنُوهُمْ وَلَا أَفْعِدَةُ كُمَّ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَنُوهُمْ وَلَا أَفْعِدَةُ كُمْ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَعْلَمُكُمْ مَا حَوْلَكُمْ مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْعَدُونَ مِعَايَتِ اللّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ عَيْسَهْ إِنْهُ وَلَا تَصَرَهُمُ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْعَدُونَ مِعُونَ فَي فَلُولًا نَصَرَهُمُ اللّهِ مِن أَنْحُدُواْ مِن دُونِ اللّهِ قُرْبَانًا عَالِمَ فَي اللّهُ مَا عَوْلَكُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ فَي فَلُولًا نَصَرَهُمُ اللّهِ مِنْ أَنْحُواْ مِن دُونِ اللّهِ قُرْبَانًا عَالِمَ فَي اللّهُ مِنْ فَا لَا لَكُواْ مِن دُونِ اللّهِ فَرْبَانًا عَالْمَ اللّهُ مِنْ مَنْ مُنْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ فَي اللّهُ عَلَوْلًا نَصَرَهُمُ اللّهِ مِنْ اللّهُ مِنْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ فَي اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا مَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ فَي اللّهُ مَا لَكُواْ مِن دُونِ اللّهُ مِنْ مُنْ اللّهُ مِنْ مَن مَا اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ وَلَا لَا لَهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

يقول تعالى: ولقد مكنا الأم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مشله ولا قريباً منه، ﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ يعني أهل مكة، وقد أهلك الله الأم المكذبة بالرسل مما حوله كعاد وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضاً " وقوله عز وجل : ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ أي بيناها وأوضحناها ﴿ لعلهم يرجعون ه فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴾ أي فهل نصروهم عند احتياجهم إليهم، ﴿ بل ضلوا عنهم ﴾ أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن الحارث البكري . وهو حديث غريب كما قال ابن كثير من غراثب الحديث وأفراده .

⁽٢) أخرجه أحمد ، ورواه الشيخان من حديث ابن وهب عن عائشة رضي الله عنها .

⁽٣) أخرجه مسلم في صحيحه .

﴿ وذلك إفكهم ﴾ أي كذبهم، ﴿ وما كانوا يفترون ﴾ أي وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتادهم عليها، والله أعلم .

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ آجِلْنِ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَتَ حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا تُضِي وَلَّواْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿ وَكُواْ يَنقُومُنَا ۚ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَنْبًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ يَنْ مَنْ أَجِيبُواْ دَاعِي آللَّهِ وَ المِنُواْ بِهِ عَفْقِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُرْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليمِ ٢ وَمَنَ لَا يُجِبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ ۚ أَوْلِيكَ ۚ أُولَيْكَ فِي ضَلَالِ مَّبِينٍ ﴿ رُوي عن الزبير ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ قال: بنخلة، ورسول الله عَلَيْكُ يصلي العشاء الآخرة، ﴿ كادوا يكونون عليه لبداً﴾ ﷺ وكانوا سبعة من جن نصيبين №. وروى الحافظ البيهتي في كتابه « دلاثل النبوة » عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله عَلِيْكَةٍ على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ . وقــد حيل بين الشياطين وبين خبر السهاء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السهاء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حــال بينكم وبين خبر السهاء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبــين خبر السهاء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ، وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خــبر السهاء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾، وأنزل الله على نبيَّه ﷺ ﴿ قُل أُوحِي إِلَى أنه استمع نفر من الجن ﴾ وإنمــا أوحي إليه قول الجن^{١٠٠}، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: هبطوا على النبي عليه الله وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه، قالوا: أنصتوا، قال: صه، وكانوا تسعة، أحدهم زوبعة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصنوا فلمـــا قُضيَ ولوا إلى قومهم منذرين – إلى – ضلال مبين ﴾ فهذا مع رواية ابن عباس ذلك وفدوا إليه أرسالاً، قومـاً بعد قوم، وفوجاً بعد فوج، قال الحافظ البيهقي: وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنمــا هو أول ما سمعتِ الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم و لم يرهم، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ .

روى الإمام مسلم، عن عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله عليه الله

⁽١) تفرد به الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه البيهقي ورواه البخاري ومسلم بنحوه .

ليلة الجن ؟ قال، فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله عَلَيْكُمْ ليلة الحن ؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله عَلِيْكُ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقيــل: استطير ؟ اغتيل ؟ قال، فبتنا بشر ليَّلة بات بها قومٌ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حِرَاء، قال، فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: « أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن ، ، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم »، قال رسول الله عَلَيْكُم : « فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم »(١). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله عَلِيْظَةٍ يقول: « بت الليلة أقرأ على الجن واقفاً بالحجون ٣٠٠ . (طويق أُخْوى) : قال ابن جرير ، عن ابن شهاب، عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي – وكان من أهل الشام – قال: إن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلِيْظَةٍ لأصحابه وهو بمكة: « من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل » ، فلم يحضر منهم أحد غيري، قال، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط برجله خطاً، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم أنطلق حتى قــام، فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته . ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر ، فأنطلق فتبرز ، ثم أتاني فقال : «ما فعل الرهط ؟ » قلت: هم أولئك يا رسول الله، فأعطاهم عظماً وروَّناً زاداً، ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم ٣٠ وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفَنَا إِلَيْكَ نَفُراً مِنَ الْجَنْ يَسْتَمَعُونَ الْقَرَآنَ ﴾ قال: ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من (نينوى) وأن نبي الله عَلَيْكُ قال: ﴿ إِنِّي أَمْرَتَ أَنْ أَقَرْأُ عَلَى الْجِنْ، فأيكم يَتَبَعْنِي ؟ ﴾ فأطرقوا، ثم استتبعهم ، فأطرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة ، فقال رجل : يا رسول الله إن ذاك لذو ندبة ، فأتبعه ابن مسعود رضي الله عنه أخو هذيل، قال: فدخل ﷺ شعبًا يقال له (شعب الحجون) وخط عليه، وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطاً ليثبته بذلك، قــال: فجعلت أُهالُ وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله عَلَيْكُم، ثم تلا القرآن، فلما رجع رسول الله عَلِيْكُ ، قلت: يا رسول الله ما اللغط الذي سمعت ؟ قال عَلِيْكُ : ١ اختصموا في قتيل فقضي بينهم بالحق ⁽⁰⁾

فهذه الطريق تدل على أنه عَلِيْكُ ذَهَبَ إلى الجن قصداً ، فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين، وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله عَلِيْكُ بإداوة لوضوئه وحاجته، فأدركه يوماً فقال: « من هذا؟ » ، قال: أنا أبو هريرة، قال عَلِيْكُ : « اثنني بأحجار أستنج بها ولا تأتني بعظم ولا روثة »، فأتبته بأحجار في ثوبي « فوضعتها إلى جنبه، حتى إذا فرغ وقدام اتبعته، فقلت: يا رسول الله ما بال العظم والروثة؟ قال عَلِيْكُ : « أتاني وفد جن

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه . (٢) أخرجه ابن جرير .

⁽٣) أخرجه ابن جرير ، ورواه البيهقي وأبو نعيم بنحوه .

⁽٤) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وهو حديث مرسل .

نصيبين فسألوني الزاد، فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم " إلا وجدوه طعاماً " . وقال سفيان الثوري، عن ابن مسعود رضي الله عنه: كانوا تسعة أحدهم زوبعة ، أتوه من أصل نخلة، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة ، وقيل كانوا ثلثماثة ، فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه على الله على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا " إلا كان كما يظن ، بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ مر به رجل جميل، فقال : لقد أخطأ ظني ، أو أن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، علي "بالرجل ، فدعي له ، فقال له ذلك ، فقال: ما رأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم ، قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني ، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال في الموق جاءتني أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر رضي الله عنه: صدق، بينها أنا نائم عند آفتهم إذ جاء رجل بعجل، فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه، يقول: يا جليح، أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، قال: فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فقمت فا نشبنا أن قيل: هذا نبى » أم

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ أي طائفة من الجن ، ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾ أي استمعوا وهذا أدب منهم ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، قال : ﴿ ما لِي أَراكم سكوتاً ؟ للَّجِنُّ كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ه ٥٠٠ . وقوله عز وجل : ﴿ فلما قضي ﴾ أي فرغ كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ ، ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ ، ﴿ ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ أي رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله عليه كقوله جل وعلا : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ، وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نُذُرُ وليس فيهم رسل ، فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ؟ فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس ، كقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ أي أحدهما ، ثم إنه تعالى فسر الجن لقومهم ، فقال مخبراً عنهم : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ ولم يذكروا عيسى ، إنذار الجن لقومهم ، فقال مخبراً عنهم : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ ولم يذكروا عيسى الخديد التوراة ، فالهدا قالوا ﴿ أنزل من بعد موسى ﴾ ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ أي من الكتب لشربعة التوراة ، فالعمدة هو التوراة ، فالهذا قالوا ﴿ أنزل من بعد موسى ﴾ ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ أي من الكتب

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٢) هذا لفظ البخاري وقد رواه البيهقي بنحوه .

⁽٣) أخرجه الحافظ البيهقي ، ورواه الترمذي وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير .

المنزلة على الأنبياء قبله، ﴿ يهدي إلى الحق ﴾ أي في الاعتقاد والإخبار، ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ في الأعمال فإن القرآن مشتمل على: خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل كما قال تعالى: ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾، وهكذا قالت الجن ﴿ يهدي إلى الحق ﴾ في الاعتقادات، ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ أي في العمليات ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً عليات الله الثقلين، الجن والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي « سورة الرحمن »، ولهذا قال: ﴿ أَجبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ قيل إن ﴿ من ﴾ ههنا زائدة ، وفيه نظر ، وقيل إنها للتبعيض ، ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ أي ويقيكم من عذابه الأليم ، ومؤمنو الجن يدخلون الجنة كمؤمني الإنس، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، ولم يرد نص صريح ولا ظاهر عن الشارع ، أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ، ولو صح لقلنا به . وقد حكي فيهم أقوال غريبة ، فن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يروا بني آدم ، بعكس ما كانوا عليه في الدار النيا، ومن الناس من قال : لا يأكلون في الجنة ولا يشربون ، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضاً عن الطعام والشراب ، كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ، ولا دليل عليها ، ثم قال مخبراً عنهم : ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾ أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به ﴿ وليس له من حنهم : ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾ أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به ﴿ وليس له من والترهيب ، ولهذا نقام تهديد وترهيب ، فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم ، وجاءوا إلى رسول الله عليها وفوداً وفوداً كما تقدم بيانه ، والله أعلم .

أُولَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَندِدٍ عَلَىّ أَن يُحْبِى َ الْمَوْتَى بَلَىٓ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَىٰ وَ قَدِيرٌ ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَفُ الَّذِينَ كَفُولُواْ عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَنذَا بِالْحَتِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَ ۚ قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذْمِ مِنَ الْسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمَّمُ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْنَ الْعُذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ فَاصْبِرْكُمَا صَبَرَ أُولُواْ الْعَزْمِ مِنَ الْسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمَّهُمُ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْنَ مَا الْعَدْمِ مِنَ الْسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْنَ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ الْقَوْمُ الْفُولِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْنَ مَا اللّهُ الْفَوْمُ الْفُولِ وَلَا يَسْتَعْجِل لَمَامُ مِنْ الْمُؤْمِ الْفُولُ وَالْعَرْمُ مِنَ الْمُسْلِولَ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمَامُ مَا مَا مَن اللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَا لَمُ اللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْمُ الْفَالِمُ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمْ مُ كَا أَنْهُمْ اللّهُ اللّهُ وَا لَمُ مَا لَكُولُوا اللّهُ وَلَا لَمُعْمَى اللّهُ اللّهُ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمْ مُ كَاللّهُ مُلْ يُعْلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا لَلْمُولُوا إِلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَمْ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّ

يقول تعالى: أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿ أَن الله الذي خلت السهاوات والأرض و لم يعي بخلقهن ﴾ أي ولم يكرثه خلقهن بل قال لها: كوني فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ كما قال عز وجل في الآية الأخرى: ﴿ لَحْلَق السهاوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ ثم قال جلّ جلاله متهدداً ومتوعداً لمن كفر به: ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ﴾ ؟ أي يقال لهم: أما هذا حق ؟ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ أي اليسعهم إلا الاعتراف، ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾، ثم قال تبارك وتعالى آمراً رسوله عليه الصبر على تكذيب من كذبه من قومه ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم، بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم،

﴿ وَلا تَسْتَعْجُلُ لَمْ ﴾ أي لا تستَعْجُلُ لَمْ حَلُولُ الْعَقُوبَة بَهُم كَقُولُهُ تِبَارُكُ وَتَعَالَى ﴿ وَمَهُلَهُم قَلِيلاً ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿ فَهُلُ الْكَافِرِينَ أَمْهُلُهُم رويداً ﴾ ، ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون بينهم ﴾ الآية ، وقوله جل وعلا: ﴿ بلاغ ﴾ تقديره هذا القرآن بلاغ ، وقوله تعالى: ﴿ فَهُلُ يَهُلُكُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ مِن يَسْتَحَى العَذَابُ وَاللهُ أَيْ لا يَهُلُكُ إلا هَاللُكُ ، وهَـذا من عدله عزّ وجلّ ، أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم .

[آخر تفسير سورة الأحقاف ، ولله الحمد والمنة]





الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَدِيلِ اللَّهِ أَضَلَ أَعْمَلَهُمْ ﴿ وَالَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَدِتِ وَعَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ اللَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَبَعُواْ الْبَكِطِلَ وَأَنَّ مُحَدِّوَهُوَ الْخَدَّىٰ مِن دَّيْهِمْ كَفَرُواْ الْبَكِطِلَ وَأَنَّ اللَّذِينَ عَامَنُواْ الْمَبَعُواْ الْمَبَعُواْ الْبَكِطِلَ وَأَنَّ اللَّذِينَ عَامَنُواْ الْمَبَعُواْ الْمَبَعُواْ الْبَكِطِلَ وَأَنَّ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلُهُمْ ﴿ }

يقول تعالى : ﴿ الذين كفروا ﴾ أي بآيات الله ﴿ وصدوا ﴾ غيرهم ﴿ عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ أي أبطلها وأدهبها ، ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاء ، كقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ ، ثم قال جلّ وعلا ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم وسرائرهم ، وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم ، ﴿ وآمنوا بما نزّل على محمد ﴾ عطف خاص على عام ، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته عَيَّاتُه ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ جملة معترضة حسنة ، ولهذا قال جلّ جلاله : ﴿ كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالحم ﴾ قال ابن عباس : أي أمرهم ، وقال مجاهد : أنهم ، وقال قتادة : حالهم ، والكل متقارب ، وفي حديث تشميت العاطس « يهديكم الله ويصلح بالكم » ، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ أي إنما أبطلنا أعمال الكفّار ، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شؤونهم ؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، أي اختاروا الباطل على الحق ، ﴿ وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله كنوا أمثالهم ﴾ أي يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفُرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْحَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَا الْحَقَى فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفُرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَافِ فَا مَنْكُونَ لِيَبْلُواْ بَعْضَكُم بِبَعْضُ وَالَّذِينَ قُتِبلُواْ فِي سَبِيلِ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَا نَتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُواْ بَعْضَكُم بِبَعْضُ وَالَّذِينَ قُتِبلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ أَوْلَا اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ أَعْمَالُهُمْ أَوْلَا اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَي مَا لَهُ مَن اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ مَن سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالْهُمْ فَي وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَّفَهَا لَهُمْ فَي يَتَأْيُكَ اللَّذِينَ

٤ اَمُنُوٓا إِن تَنصُرُواْ اللهُ يَنصُرْكُمْ وَيُثَيِّت أَقَدَامَكُمْ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسَا لَمُمْ وَأَضَلَ أَعْمَنَكُمْ ﴿ وَاللَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسَا لَمُمْ وَأَضَلَ أَعْمَنَكُمْ مِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسَا لَمُمْ وَأَضَلَ أَعْمَنَكُمُمْ ﴿ وَاللَّهِ مِنْ اللَّهُ مُا لَهُ مُنكُمُمُ مَ اللَّهِ مُنافِعُهُمْ ﴿ وَاللَّهِ مِنْ اللَّهُ مُنافَعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمُ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمْ اللَّهُ مُنافِعُهُمُ اللَّهُ اللَّهُ مُنافِعُهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ مُنافِعُهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ ال

يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿ فَإِذَا لَقَيْتُمَ الذِّينَ كَفُرُوا فَضُرب الرقاب ﴾ أي إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف، ﴿ حتى إذا أثْخَنتموهم ﴾ أي أهلكتموهم قتــلاً، ﴿ فَشَدُوا الوثاق ﴾ الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم منتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجاناً ، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، فإن الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء فقال: ﴿ مَا كَانَ لَنِّي أَنْ يَكُونَ لِهُ أَسْرَى حَتَّى يَتْخَنَّ فِي الأَرْضَ ﴾، ثم قــد ادعى بعض العلماء أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسلخ الأَشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ الآية، روي عن ابن عباس والضحاك والسدي. وقال الأكثرون: ليست بمنسوخة، والإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته، وله أن يقتله إن شــاء لحديث قتل النبي عَلِيلًا (النضر بن الحارث) و (عقبة بن أبي معيط) من أسارى بدر ، وقال الشافعي رحمه الله : الإمام مخيَّر بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ قال مجاهد: حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وكأنه أخذه من قوله عَلِيْكُم: ﴿ لَا تَزَالَ طَائْفَة مَنْ أَمْتِي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال ٥ . وهذا يقوي القول بعدم النسخ، كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلى أن لا يبقى حرب، وقال قتادة ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَقَاتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فَتَنَهُ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهُ ﴾ ثِم قال بعضهم: حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار المحاربين وَهُم المشركُون بأن بتوبوا إلى الله عزّ وجلَّ، وقيل: أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ أي هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ﴿ ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾ أي ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء، ليختبركم ويبلو أخباركم، كما ذكر حكمته في شرعية الجنهاد في قوله تعالى ﴿ أَم حسبتُم أَن تَدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ ، ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال: ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ أي لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها، ومنهم من يجري عليه عمله طول برزخه ، كما ورد بذلك الحديث عن المقدام بن معديكرب الكِنْدي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله عليه : « إن للشهيد عند الله ست خصال: أن يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الخرر العين ، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالمدر والياقوت ، الياقوتة منه خير من المدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من اقاربه »(١) . وفي صحيح مسلم عن عبدالله

⁽١) أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه .

ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله عَلِيْتُهُم قال: « يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين »(١) ، وفي الصحيح: « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »(١) ، والأحاديث في فضل الشهيد كثيرة جداً .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ سيهديهم ﴾ أي إلى الجنة ﴿ ويصِلح بالهم ﴾ أي أمرهم وحالهم، ﴿ ويدخلهم الجنــة عرفها لهم ﴾ أي عرفهم بها وهداهم إليها، قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، وقال محمد بن كعب: يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة، وقال مقاتل: بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة، ويتبعُه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى في الجنة، فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة دخل إلى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه، وقــد ورد الحديث الصحيح بذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله عَلِيُّكُ قال: ﴿ إِذَا خَلْصَ المؤمنونَ مِنَ النَّارِ حَبْسُوا بَقْنَطْرَة بين الجنة والنَّــار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحـــدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا ٣٠، ، ثم قال تُعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إن تنصروا الله ينصركمُ ويثبت أقدامكم كه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويثبت أقدامُكُم ﴾ ، كما جاء في الحديث: « من بلّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ثبّت الله تعالى قدميه على الصراطُ يوم القيامة ، ، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُوا فَتَعَسَّأً لَمْ ﴾ عكس تثبيت الأقــدام للمؤمنين . وقد ثبت في الحديث عن رسول الله عليه أنه قال: « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش » أي فلا شفاه الله عزّ وجلّ ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وأَصْل ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ أَفَلَم يَسْيَرُوا ﴾ يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿ فِي الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ أي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم أي ونجَّى المؤمنين من بين أظهرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وللكافرين أَمثالها ﴾ ثم قال: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾، ولهذا لما قال

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه .

 ⁽۲) أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً .
 (۲) أخرجه البخاري في صحيحه .

أبو سفيان رئيس المشركين يوم أُحُد: اعلَ هُبَل، اعلَ هُبَل، فقال رسول الله عَلَيْظَيْ: « ألا تجيبوه ؟ » فقالوا: يا رسول الله وما نقول ؟ قالوا: وما نقول يا رسول ريله ؟ قال: « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم »، ثم قال سبحانه على الله تجيبوه ؟ »، قالوا: وما نقول يا رسول ريله ؟ قال: « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم »، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أى يوم القيامة ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون منها كأكل الأنعام ، خضماً كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام » في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام ، خضماً أمعاء » ، ثم قال تعالى: ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي يوم جزائهم ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة أهعاء » ، ثم قال تعالى: ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي يوم جزائهم ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة في تكذيبهم لرسول الله يَهِي مكة ﴿ أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة ، قبله ، في تكذيبهم لرسول الله يَهِي وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء ، فإذا كان الله عزّ وجلّ قسد أهلك الذين كذبوا الرسل قبد من هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى ؟ وقوله تعالى : ﴿ من قريتك التي أخرجتك ﴾ أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم ، روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عَلَيْكُ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه ، فالتفت أخرجوك من بين أظهرهم ، روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عَلِيْ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه ، فانتفت منك » (أ . فأحل الم بنية عَلِيْكَ : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ .

أَهُن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِهِ عَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَلِهِ عَ وَاتَبَعُواْ أَهْوَا عَهُم ﴿ مَثَلُ الْحَنَةِ الَّتِي وُعِدَ الْمَتَقُونَ فِيهَا أَنْهَ رُمِّن مَّا عَغَيْرِ عَاسِنِ وَأَنْهَ رُمِّن لَيْنِ لَمْ يَسَعَيْر طَعْمُهُ وَأَنْهَ رُمِّن بَعْرِ لَدَّةً لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَ رَبِي مَا عَلَمُ مَن وَكُمْ فِيها مِن كُلِّ الشَّمَراتِ وَمَعْفَرَةً مِّن رَبِهِ مَ كُن هُو خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَا يَّ حَمِماً فَقَطَع أَمْعاَعهُم ﴿ فَي عَلَى بِيعَهِ عَلَى الْفَلَوة المستقيمة ، ﴿ كَمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ ؟ أي من الهدى والعلم ، و بما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة ، ﴿ كَمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ ؟ أي ليس هذا كهذا ، كقوله تعالى : ﴿ أَفْن يعلم أَنما أَنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ ؟ ثم قال عز وجل : ﴿ مِنْ الْجَنة التِي وعد المتقون ﴾ قال عكرمة ﴿ مثل الجنة ﴾ أي نعتها ، ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ يعني غير منغير ، والعرب تقول : أُسِنَ الماء إذا تغير ربحه ، وفي حديث مرفوع ﴿ غير آسن ﴾ يعني الصافي الذي لا كدر فيه ، وقال عبدالله رضي الله عنه : أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك ﴿ وأنهار من لهن لم يتغير طعمه ﴾ بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة ، وفي حديث مرفوع : « لم يخرج من ضروع الماشية » ، ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ أي ليست كريهة الطم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة ، ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها يتزفون ﴾ ليست كريهة الطم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة ، ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها يتزفون ﴾ أي وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والربح ، وفي حديث مرفوع : « لم يخرج من بطون النحل » . روى الإمام أي وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والربح ، وفي حديث مرفوع : « لم يخرج من بطون النحل » . روى الإمام أي وهو في غاية الصفاء وحسن المون والطعم والربح ، وفي حديث مرفوع : « لم يخرج من بطون النحل » . روى الإمام

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله على يقول: « في الجنة بحر اللبن وبحر الماء، وبحر العسل وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد »⁽¹⁾. وفي الصحيح: « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن »، وقال الحافظ الطبراني عن عاصم أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله على أنهار الله على من الجنة ؟ قال على الله على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون ، وخير من مثله، وأزواج مطهرة »، قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ لعمر إلهك ما تعلمون ، وخير من مثله، وأزواج مطهرة »، قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: « الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد ». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض حافاتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر (1)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ فَيَهَا مَنَ كُلُ الشَّمْرَاتِ ﴾ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَدَعُونَ فَيَهَا بَكُلُ فَاكُهَةً آمَنِينَ ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَنَ هُو خَالَدَ فِي النَّارِ ؟ ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَنَ هُو خَالَدَ فِي النَّارِ ؟ لِيسَ هُوَلَاءً كَهُولَاءً ، وليسَ مَن هُو فِي أَي أَهُولًاءُ اللَّذِينَ ذَكُرَنَا مَنْزَلَتُهُم مِنَ الجُنَةَ ، كَمَن هُو خَالَدَ فِي النَّارِ ؟ ليسَ هُولًاء كَهُولًاء ، وليسَ مَن هُو فِي الدَّرِكَات ، ﴿ وسقوا ماء حميماً ﴾ أي حاراً شديد الحر لا يستطاع ، ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ أي قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ، عياذاً بالله تعالى من ذلك .

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُواْمِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ اَنفًا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهُ مَاذَا قَالَ اَنفًا مَّوَا أَهُواَ اللَّهِ عَلَى عَلَيْ عَلَوْ اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى وَا اَتَنْهُمْ تَقُونُهُمْ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ إِلَا اللَّهُ عَلَيْهُ مِن وَاللَّهُ مِن وَاللَّهُ مِن وَاللَّهُ مِن وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُوالِمُوا

يقول تعالى: مخبراً عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله عليه ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئاً، فإذا خرجوا من عنده ﴿ قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ من الصحابة رضي الله عنهم ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ ؟ أي الساعة لا يعقلون ما قال، ولا يكترثون له، قال الله تعالى: ﴿ أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح، ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ أي والذين قصدوا الهداية، وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها، ﴿ وآتاهم تقواهم ﴾ أي أمارات اقترابها ، كقوله تعالى: ﴿ أَوْفَتَ الآزَفَةَ ﴾، وكقوله جلت عظمته: ﴿ اقتربت الساعة أشراطها ﴾ أي أمارات اقترابها ، كقوله تعالى: ﴿ أَوْفَتَ الآزَفَةَ ﴾، وكقوله جلت عظمته: ﴿ اقتربت الساعة

⁽١) أخرجه أحمد ، ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

⁽٢) أخرحه ابن أبي الدنيا موقوفاً ، ورواه ابن مردويه مرفوعاً .

وانشق القمركه، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجُلُوهُ ﴾. فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل، الذي أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر رسول الله ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها وهو عليه السلام الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي ، روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه – هكذا بالوسطى والتي تليها – « بعثت أنا والساعة كهاتين ». ثم قال تعالى: ﴿ فأنَّى لَهُم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ ؟ أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة، حيث لاينفعهم ذلك ؟ كقوله تعالى: ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَاعَلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ هذا إخبار بأنه لا إلَّه إلَّا الله، ولهذا عطف عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كه وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي،، وفي الصحيح أنه كان يقول في آخر الصلاة: ﴿ اللَّهُم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت إلّهي لا إلّه إلا أنت »، وفي الصحيح أنه قال: « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني استغفر الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »، وعنه ﷺ أنه قال: « وعليكم بلا إلَّه إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما » فإن إيليس قال: إنما أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون »(١)، وفي الأثر المروي: «قال إبليس: وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني »، والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جداً، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ أي يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم في ليلكم، كقوله تعالى: ﴿ وهو الذي يتوفَّاكم باللِّيل ويعلمُ مَا جَرَحْتُم بالنهار ﴾، وقولهُ سبحانه وتُعالى: ﴿ وَمَا مَن دَابَةً فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ وهذا القول هو اختيار ابن جرير ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ متقلبكم ﴾ في الدنيا و ﴿ مثواكم ﴾ في الآخرة ، وقال السدي: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم. والأول أولى وأظهر ، والله أعلم .

وَيَقُولُ الَّذِينَ عَامَنُواْ لَوْلَا ثُرِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أَرْلِتَ سُورَةٌ عُلَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُّ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولِى لَهُمْ ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ اللّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَمَّمْ شِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلِى لَمُهُمْ أَن تُفْسِدُ وا فِي الْأَرْضِ وَتُقطِعُواْ أَرْحَامَكُمْ ﴿ فَالْمَالِمُ مُ اللّهُ مَا لَكُ مَا اللّهُ مَا لَا لَهُ فَاصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ ﴿ فَاللّهُ اللّهُ مَا لَكُ مَا لَكُ مُلْ اللّهُ مَا لَذَا عَلَى اللّهُ مَا اللّهُ فَاصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ ﴿ فَيَ

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين، أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله عزَّ وجلَّ وأمر به، نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى: ﴿ فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية

⁽١) أخرجه الحافظ أبو يعلى .

وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريبكه ؟ وقال عزَّ وجلَّ ههنا: ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ أي مشتملة على القتال ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء، ثم قال مشجعاً لهم: ﴿ فَأُولَى لِهُمْ طَاعَةً وقول معروف﴾ أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا، أي في الحالة الراهنة ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ أي جد الحال، وحضر القتال ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ أي أخلصوا له النية ﴿ لكان خيراً لِهم ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلَ عَسِيتُمْ إِنْ تُولِيتُمْ ﴾ أي عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿ أَنْ تَفْسَدُوا فِي الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ ؟ أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهليَّة الجهلاء، تسفكون الدَّماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولَئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ خلق الله تعالى الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقوي الرحمن عزَّ وجلَّ، فقال: مه، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال تعالى: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلي. قال: فذاك لك » قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرأوا إن شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾. وروى الإمام أحمد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلِيُّ : « ما من ذنب أحرى أن يعجلُ الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يِدِخر لَصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ⁰⁰. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي ذوي أرحام: أصل ويقطعون، وأعفو ويظلمون، وأحسن ويسيئون، أفأكافئهم ؟ قال ﷺ : « لا، إذن تتركون جميعاً، ولكنْ جُدٌ بالفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك ظهير من الله عزَّ وجلَّ ما كنت على ذلك ٣٥٪. وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، قال رسول الله عَيْظَةُ: ﴿ إِنَّ الرَّحْمُ مُعْلَقَةُ بالعرش، وليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي َإذا قطعت رحمه وصلها ه الله الله العديث القدسي: « قال الله عزَّ وجلَّ أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن يصلها أصله، ومن يقطعها أقطعه فأبتُه »®، وقال رسول الله ﷺ: « الأرواح جُنود مجندة فما تعارف منها اثتلف وما تناكر منها اختلف » وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: « إذا ظهر القول وخزّن العمل واثتلفت الألسنة وتباغضت القلوب، وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم 🗝، والأحاديث في هذا كثيرة، والله أعلم .

أَفَلَا يَتَدَبُّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُكَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُواْ عَلَىٰ أَدْبَرِهِم مِّنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ٱلْهُدَى

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد .

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه البخاري والإمام أحمد .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد وأيو داود والترمذي .

الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتُهُمُ الْمَلَابِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَلَوُمْ ۞ ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسْحَطَ اللهَ وَكِهُواْ رِضْوَانَهُمْ فَأَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ ۞

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه، وناهياً عن الإعراض عنه فقال: ﴿ أَفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ أي بل على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه، ثم قال تعالى: ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم ﴾ أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر ﴿ من بعد ما تبين لم الهدى الشيطان سول لهم ﴾ أي زين لهم ذلك وحسّنه ﴿ وأملى لهم ﴾ أي غرهم وخدعهم، ﴿ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي مالأوهم وناصحوهم على الباطل، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله عزّ والله يعلم إسرارهم ﴾ أي ما يسرون وما يخفون، الله مطلع عليه، عالم به، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ أي كيف حالم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وتعاصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ الآية، وقال كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ الظلمون في غمرات الموت وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ ذلك بنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ .

* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِ قُلُوبِهِم مَّرَضً أَن لَن يُحْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَبْنَكَهُمْ فَلَعَرَفْتُهُمْ فِي خَوْ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلُمُ أَعْمَلُكُمْ ﴿ وَلَنَابُهُونَكُمْ حَتَىٰ نَعْلَمُ الْمُجَهِدِينَ مِنكُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْمُجَهِدِينَ مِنكُمْ وَاللَّهُ عَلَمُ الْمُجَهِدِينَ مِنكُمْ وَاللَّهُ عَلَمُ الْمُجَهِدِينَ مِنكُمْ وَاللَّهُ عَلَمُ الْمُجَهِدِينَ

يقول تعالى: ﴿ أَم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ ؟ أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمه ذوو البصائر ، وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم ، ولهذا كانت تسمى الفاضحة ، والأضغان جمع ضغن وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره ، وقوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسياهم ﴾ ، يقول عزَّ وجلَّ : ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عياناً ، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين ، ستراً منه على خلقه ، وحملاً للأمور على ظاهر السلامة ، ورداً للسرائر إلى عالمها ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ أي فيا يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول ، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات

وجهه، وفلتات لسانه، وفي الحديث: « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر »، وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين، قال عقبة بن عمرو رضي الله عنه: خطبنا رسول الله عنها خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: « إن منكم منافقين فن سميت فليقم – ثم قال – قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، تم يا فلان، قم يا فلان، متى ستة وثلاثين رجلاً. ثم قال: – إن فيكم أو منكم – منافقين فاتقوا الله »، قال فرّ عمر رضي الله عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه، فقال: ما لك ؟ فحدثه بما قال رسول الله عنه ، فقال: بعداً لك سائر اليوم ألى وقوله عزَّ وجلّ: ﴿ ولنبلونكم ﴾ أي لنختبرنكم بالأوامر والنواهي ﴿ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾، وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن شك ولا ريب، فالمراد حتى نعلم وقوعه، ولهذا يقول ابن عباس في مثل هذا: إلا لنعلم، أي لنرى .

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَآقُواْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيِّنَ لَمُمُ الْمُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْعًا وَسَيُحِبِطُ أَعْمَالُهُمْ وَلَا تُبَطِلُواْ أَعْمَالُكُمْ ﴿ وَسَيُحِبِطُ أَعْمَالُهُمْ وَلَا تُبَطِلُواْ أَعْمَالُكُمْ ﴿ وَسَيْحِبِطُ أَعْمَالُكُمْ ﴿ وَسَيْحِبِطُ أَعْمَالُكُمْ اللهُ مَعْمَلُواْ وَمُدَّمَ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمُ مَا لَكُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُ مُلَمَّ فَلَا تَبِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلْمِ وَأَنْهُم اللهُ فَي مَا لَهُ إِلَى السَّلْمِ وَأَنْهُمُ الْأَعْلَونَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴿ فَي اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ الللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الل

يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضر الله شبئاً، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله، فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله مثقال بعوضة من خبر، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات، وقد قال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله يَهِلِيُهُ يرون أنه لايضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل أن وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا معشر أصحاب رسول الله يَهِلِيهُ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول، حتى نزلت: ﴿ أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا: الكبائر حتى نزلت كففنا عن القول في ذلك، فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش، ونرجو لمن لم يصبها، ثم أمام تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، التي هي صعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، التي هي صعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد أمر تبارك وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لم ك، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إن الذين أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه أن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه الآية، ثم قال جلَّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿ فلا تهنوا كه أن يشاء كه المؤمنين الله كه أن يشاء كه المؤمنين المؤمنين الهؤمنين المؤمنين المؤمنين المؤمنين الله كه كل المؤمنين المؤمني المؤمنين المؤمنين المؤمنين المؤمنين المؤمنين المؤمنية المؤمنين

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة .

عن الأعداء، ﴿ وتدعوا إلى السلم ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم، ولهذا قال: ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ أي في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله عَلَيْتُ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم عَلَيْتُ إلى ذلك، وقوله جلت عظمته: ﴿ والله معكم ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ أي لن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئًا، والله أعلم .

* إِنِّمَ الْحَيَوَةُ الدُّنْ لَمِبُّ وَلَمَوَّ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَنَتَقُواْ يُؤْتِكُمُ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْفَلْكُمْ أَمُوالَكُمْ ﴿ إِن تَؤْمِنُواْ وَنَتَقُواْ يُؤْتِكُمُ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْفَلْكُمْ أَمُوالَكُمْ ﴿ إِن يَسْفَلْكُمْ اللَّهِ فَلِن كُمُوهَا فَيُخْوِفُ لِيُسْفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَينكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلُ عَن تَفْسِهِ ۚ وَاللّهُ الْغَنِي وَأَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن نَتَوَلَّواْ يَسْتَبَّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ مَن يَبْخُلُ فَإِنْ يَتَوَلَّواْ يَسْتَبَّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْنُ لَكُمْ وَاللّهُ اللّهُ الْفُقُرَآءُ ۚ وَإِن نَتَوَلَّواْ يَسْتَبَّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْنُ لَكُونُواْ أَمْنُ لَكُونُواْ أَمْنُ لَكُونُواْ أَمْنُ لَكُونُوا أَمْنُ لَا فَاقَالَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَيْ وَأَنْتُمُ الْفُقُرَآءُ ۚ وَإِن نَتُولُواْ يَسْتَبَّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمُ

يقول تعالى تحقيراً لأمر الدنيا وتهويناً لشأنها ﴿ إنما الحياة الدنيا لعبُّ ولهو ﴾ أي حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ﴾ أي هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئاً، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال، مواساة لإخوانكم الفقراء، ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه إليكم، ثم قال جلَّ جلاله: ﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ أي يحرجكم تبخلوا ﴿ ويخرج أضغانكم ﴾ قال قتادة: قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان، وصدق قتادة، فإن المال محبوب ولا يصرف إلا فيا هو أحب إلى الشخص منه، وقوله تعالى: ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل أي لا يجيب إلى ذلك، ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ أي إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه، ﴿ والله الغني ﴾ أي عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائماً، ﴿ وأنتم الفقراء ﴾ أي بالذات إليه، فوصف لازم له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لم لا ينفكون عنه، وقوله تعالى: ﴿ وإن تتولوا ﴾ أي عن طاعته واتباع شرعه، ﴿ يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ أي ولكن يكونون سامعين مطبعين فوصف بالغني وان الماكم ﴾ قالوا: با رسول الله عن الأبين ان تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ قالوا: با رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ قالوا: با دسول الله عنه، ثم قال: « هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم قال: « هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم قال: « هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله وحالم من الفرس » أن

[آخر تفسير سورة محمد . ولله الحمد والمنة]

^{* * *}

⁽١) أخرجه مسلم وابن أبي حاتم وابن جرير .



روى الإمام أحمد عن معاوية بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: قرأ رسول الله عَلَيْكُ عام الفتح في مسيره (سورة الفتح) على راحلته، فرجّع فيها، قال معاوية: لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته⁽⁰⁾

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتُحَا مُّبِينًا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ آللَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَنَـهُ, عَلَيْكَ وَيَهَدِيكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿ وَيَنْصُرُكَ آللَهُ نَصَّرًا عَنِ يزًا ﴿ وَيَ الْمُ نَصْرًا عَنِ يزًا ﴿ وَيَا اللَّهُ عَلَيْكَ مِرَاطًا اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَنِ يزًا ﴿ وَيَعْمَلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ وَيَعْلَى اللَّهُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ وَمَا تَأْمَلُوا اللَّهُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَا عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَمِنْ فَنَا اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَمَا تَعْلَقُوا اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَّمُ اللَّهُ لَيْكُ وَلَكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَيُعَمِّلُوا اللَّهُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ لَكُوا لَكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ عَالْكُوا عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ وَالْمُعُلِكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَ

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله على من الحديبية، في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، وحالوا بينه وبين العمرة، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على كره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع، أنزل الله عزَّ وجلَّ هذه السورة، وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: إنكم تعلون الفتح (فتح مكة) ونحن نعد الفتح صلح الحديبية، وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله على أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك رسول الله على أعلى أصدرتنا ما شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما في سفر قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد عليّ، قال: فقلت في نفسي ثكاتك أمك يا ابن الخطاب، في سفر قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد عليّ، قال: فقلت في نفسي ثكاتك أمك يا ابن الخطاب، في سفر قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد عليّ، قال: فقلت في نفسي ثكاتك أمك يا ابن الخطاب،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه البخاري .

ألححت، كررت على رسول الله على ثلاث مرات فلم يرد عليك ! قال: فركبت راحلتي فحركت بعيري، فقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء، قال: فإذا أنا بمناد: يا عمر، قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء، قال، فقال النبي على الله نقط الله فتحا مبيناً هلا فقال النبي على الله فتحا الله فتحا مبيناً هلي في الله فقد من ذنبك وما تأخر له ه أله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: نزلت على النبي على الله في الأرض » ثم قرأها عليهم النبي على فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله عزّ وجلّ ما يفعل بك، فاذا يفعل بنا ؟ فتزلت عليه عليه في الله عن فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله عزّ وجلّ الأمار – حتى بلغ – فوزاً عظياً هي الله في في الله عن تورمت قدماه، بلغ – فوزاً عظياً هي الله في الله عنه الله الله الله الله من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الله عنه عنه الله عنه الله عنه الله أكون عبداً شكوراً ؟ هي الله عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الله الله الله من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الله عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ هي الله عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ هي الله الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الله عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ هي .

فقوله تعالى: ﴿ إِنَا فَتَحَنَا لَكُ فَتَحَا مِبِناً ﴾ أي بيناً ظاهراً، والمراد به (صلح الحديبية) فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان، وقوله تعالى: ﴿ لِيغفر لَكُ الله مَا تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ هذا من خصائصه على التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله على المواعدة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو على أحمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيم لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة، حبسها حابس الفيل، ثم قال على المنافق والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له : ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظم والدين القويم، ﴿ وينصرك أي في الدنيا والآخرة، ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظم والدين القويم، ﴿ وينصرك أي في الدنيا والآخرة، ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظم والدين القويم، ﴿ وينصرك أي في الدنيا والآخرة، ﴿ وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عزً وجل الا رفعه الله تعالى »، وعن عمر بن الخطاب الصحيح: « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عزاً وجل ألا وقعه الله تبارك وتعالى فيه .

⁽١) أخرجه أحمد ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق .

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد .

⁽٣) أحرجه البخاري ومسلم وبقية الجماعة إلا أبا داود .

 ⁽٤) أخرجه مسلم والإمام أحمد . (٥) أخرجه البخاري وهو جزء من حديث طويل .

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَة فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوَا إِيَمْنَامَّعَ إِيمَنْهِمَّ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ وكَانَ اللهُ عَلِيًا حَكِيمًا ﴿ لَيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ويُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّفَانِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ وَيُعَلِّينَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكُلْتِ الظَّانِينَ بِاللهِ ظُنَّ السَّوَّ عَلَيْهِمْ دَآيِرَةُ السَّوَّ وَعَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَ لَمُمْ جَهَيْمً وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ وَكَانَ اللهُ عَنِيرًا حَكِيمًا ﴿ إِلَيْ اللهُ عَلَيْهِمْ وَاعَدَّ لَمُمْ جَهَيْمً وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ وَكَانَ اللّهُ عَنِيزًا حَكِيمًا ﴿

يقول تعالى: ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ أي جعل الطمأنينة، قاله ابن عباس، وعنه: الرحمة، وقال قتادة: الوقار في قلوب المؤمنين، الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت، زادهم إيماناً مع إيمانهم، ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين، فقال سبحانه: ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ أي ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة القاطعة، ولهذا قال جلت عظمته: ﴿ وكان الله علماً حكماً ﴾، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتم الأنهار خالدين فيها أي أي ماكثين فيها أبداً، ﴿ وكان عنه الله فوزاً عظماً ﴾، كقوله جلّ وعلا: ﴿ في زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقين والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ﴾ أي يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول عليها أي أبعدهم من رحمته، ﴿ وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾، ثم قال عزَّ وجلً مؤكداً لقدرته على الانتقام من الأعداء؛ أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين ﴿ ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً على المنقام من الأعداء؛ أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين ﴿ ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً هي .

إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَنهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ لَيْ اللَّهِ وَلَهُ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكُرَّةٌ وَأَصِيلًا ﴿ إِنَّا الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُسَعِّرُ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَهَنَ نَكَثَ فَإِنَّكَ يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَوَنَ أَوْفَى بِمَا عَلَهُ اللَّهِ عَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَهَنَ نَكَثُ فَإِنَّكُ يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَوَنَ أَوْفَى بِمَا عَلَهُ مَا يَعْدِيمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ فَا يَعْمَلُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَامًا عَلَامُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَالَاللَّهُ عَلَالَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَاللَّهُ عَلَا عَلَاللَّهُ عَلَا عَلَالَالَا عَلَا عَلَالَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا

يقول تعالى لنبيه محمد عَلِيْكَ : ﴿ إِنَا أَرْسَلْنَاكُ شَاهِداً ﴾ أي على الخلق، ﴿ ومبشراً ﴾ أي للمؤمنين، ﴿ ونذيراً ﴾ أي للكافرين، ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: تعظموه، ﴿ وتوقروه ﴾ من التوقير الله وهو الاحترام والإجلال والإعظام، ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبحون الله، ﴿ بكرة وأصيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره، ثم قال عزَّ وجلً لرسوله تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً: ﴿ إِنْ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾، كقوله جلَّ وعلا:

« ذكر سبب هذه البيعة العظيمة »

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي جرير مرفوعاً .

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

بيرمة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله عَلَيْكُمْ: ﴿ اللَّهُمْ إِنْ عَبَّانَ فِي حَاجَةَ اللَّهُ تَعَالَى وَحَاجَةً رَسُولُهُ ﴾ فضرب باحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله عَلِيْكُ لعثمان رضي الله عنه خيراً من أيديهم لأنفسهم لا). قال البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس كانوا مع رسول الله عَلِيْكُ قد تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي عَلِيْكُم، فقال: يعني عمر رضي الله عنه، يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله عَلَيْكُم، فوجدهم يبايعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر رضي الله عنه فخرج فبايع ٣٠ ، وروى البخاري عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال يزيد: قلت يا أبا مسلمة على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال: على الموت. وثبت في الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال: «كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال: فانطلقنا من قابل حاجين، فخني علينا مكانها» هم ، وروى الحميدي عن جابر رضي الله عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعماثة، فقال لنا رسول الله عَيْمِاللَّهُ: « أنتم خبر أهل الأرض اليوم » قال جابر رضي الله عنه: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة(*). وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله عليه أنه قال: ﴿ لَا يَدْخُلُ النَّارُ أَحْدُ مُنْ بَايِعِ تَحْتَ الشَّجْرَةُ ﴾. ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿ إِنَّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرأ عظيمًا ﴾ . سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلِّقُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَعَلَتْنَ أَمَوْلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغَفِّرْ لَنَّا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَنَ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُرْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٠٠٠ عَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَالِكَ فِي قُلُوبِكُرٌ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَن لَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَ إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلْكَنْفِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَنَوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿

يَقُول تعالى مخبراً رَسوله عَيْنِكُ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب، الذين اختاروا المقام في أهليهم، وتركوا المسير مع رسول الله على وجه التقية والمصانعة، المسير مع رسول الله عَلَيْكُ ، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول عَلَيْكُ لا على سبيل الاعتقاد، بل على وجه التقية والمصانعة، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَقُولُون بِأَلْسَنْتُهُم ما ليس في قلوبهم قل فن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً ﴾ أي لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيكم، وهو العليم بسرائركم وضهائركم ، وإن صانعتمونا ونافقتمونا والمؤمنون ولهذا قال تعالى: ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون

⁽١) أخرجه الحافظ البيهقي عن أنَس بن مالك .

⁽٢) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٣) أخرجه الشيخان عن سعيد بن المسيب .

⁽٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سفيان .

إلى أهليهم أبداً ﴾ أي اعتقدتم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم، وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر، ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بورا ﴾ أي هلكى، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فاسدين، ثم قال تعالى: ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله ﴾ أي من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله، فإن الله تعالى سيعذبه في السعير، ثم بين تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السهاوات والأرض: ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحاً ﴾ أي لمن تاب إليه وأناب وخضع لمديه.

* سَيَقُولُ ٱلْمُخَلِّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّدُواْ كَلَامَ ٱللَّهِ قُل لَن لَتَهُ مِنَا كَذَالِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عن الأعراب، الذين تخلفوا عن رسول الله على المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة وأصحابه رضي الله عنهم إلى خيبر يفتحونها، أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم الله عنهم الله تعالى رسوله على أنه الله الأعداء ومجالدتهم الأعراب المتخلفين، ولهذا قال تعالى: تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم، لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، ولهذا قال تعالى: في يريدون أن يبدلوا كلام الله في قال مجاهد وقتادة: وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية، واختاره ابن جرير الوقال ابن زيد: هو قوله تعالى: في فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن نقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين في وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر، ولن هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك، وهي متأخرة عن عمرة الحديبية، وقال ابن جريج: في يريدون أن يبدلوا كلام الله في يعني بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد، فوقل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل في أي وعد أن يبدلوا كلام الله في يعني بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد، فوقل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل في أي وعد كانوا لا يفقهون إلا قليلاً في أي ليس الأمر كما زعموا، ولكن لا فهم لهم .

* قُل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدِ تُقَاتِلُونَهُمْ أَو يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنا وَإِن لِنَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْهُم مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُرْعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ اللهُ اللهُ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْمَى الْمَا اللهُ عَلَى الْأَعْمَى مِن تَعْمِيا اللهُ الْمَا لَهُ عَلَى اللهُ عَرَجَ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَبٌ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَعْمِيا الْأَنْهَارُ وَمَن يَطِعِ اللهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَعْمِيا الْأَنْهَارُ وَمَن يَطِعِ اللهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَعْمِيا الْأَنْهَارُ وَمَن يَطِعِ اللهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَعْمِيا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَعْمِيا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال، (أحدها): أنهم هوازن، قاله سعيد ابن جبير وعكرمة، ، (الثاني): ثقيف، قاله الضحاك، (الثالث): بنو حنيفة، قاله جويبر، وروي مثله عن سعيد وعكرمة، (الرابع): هم أهل فارس، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال كعب الأحبار: هم الروم، وعن عطاء والحسن: هم فارس والروم، وعن مجاهد: هم أهل الأوثان، وقال ابن أبي حاتم عن الزهري في قوله تعالى:

وستدعون إلى قوم أولي بأس شديد فه قال: لم يأت أولئك بعد، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه قال:
« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة » قال سفيان: هم الترك. وقوله تعالى: ﴿ قاتاتونهم أو يسلمون فه يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ولكم النصرة عليهم، ﴿ أو يسلمون فه فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار، ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿ فإن تطيعوا فه أي تستجيبوا وتنفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه ﴿ يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل في يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فنخلفتم، ﴿ يعذبكم عذاباً ألياً في . ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فنها الأعذار اللازمة حتى يبرأ، ثم قال تبارك وتعالى مرغباً في الجهاد وطاعة الله ورسوله: ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ فه أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش ﴿ يعذبه عذاباً ألياً في الدنيا بالمذلة، وفي الآخرة بالنار، والله تعالى أعلم .

* لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِمِ مَ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمَ وَأَثَنَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهُمْ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين، الذين بايعوا رسول الله على تحت الشجرة، وقد تقدم أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية، روى البخاري عن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون، فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله على بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله على تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد على لم يعلموها وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ أي من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة ﴿ فأنزل السكينة ﴾ وهي الطمأنينة ﴿ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ وهو ما أجرى الله عزّ وجلَّ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكماً ﴾، روى ابن أبي حاتم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بينها نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله على أيها الناس: البيعة البيعة، نزل روح القدس، قال: فسرنا إلى رسول الله على أيل وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فذلك قول الله تعالى: ﴿ لهد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ قال: فبايع رسول الله على أن رضي الله عنه بإحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئاً لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا، فقال رسول الله على المؤمنية أطوف »

وَعَدَكُرُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُرْ هَلْذِهِ وَكَفَّ أَيِّدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُرْ وَلِتَكُونَ عَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ

وَيَهْدِيكُرُ صِرَاطًا مُسْتَفِيمًا ﴿ وَأَخْرَىٰ لَرْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ مَنَى وَ فَدِيرًا ﴿ وَلَوْ فَاسْلَكُمُ اللَّهِ مَا اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمْ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ عَلَمْ عَلَمْ عَلَمْ عَلَمُ عَلَ

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ هي جميع المغانم إلى اليوم ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ يعني فتح خيبر ، وروى العوفي عن ابن عباس ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ يعني صلح الحديبية ﴿ وكف أيدي الناس عنكم ﴾ أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، وكذلك كف أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم ﴿ ولتُكون آية للمؤمنين ﴾ أي يعتبرون بذلك، فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم، وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العالم بعواقب الأمور، وأن الخيرة فيا يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر ، كما قال عزَّ وجلُّ: ﴿ وَعَـَى أَن تَكْرَهُوا شيئاً وهو خير لكم ﴾، ﴿ ويهديكم صراطاً مستقماً ﴾ أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله ﷺ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَحْرَى لَمْ تَقْدَرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطُ اللَّهُ بَهَا وْكَانَ اللَّهُ عَلَى كُل شيء قديراً ﴾ أي وغنيمة أخرى وفتحاً آخر معيناً لم تكُونوا تقدرون عليها، قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم، فإنه تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسبون، وقد احتلف المفسرون في هذه الغنيمة ما المراد بها ؟ فقال ابن عباس: هي خيبر، وقال الضحاك وقتادة: هي مكة، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري: هي فارس والروم، وقال مجاهد: هي كل فتح وغِنيمة إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولُّوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾ يقول عزُّ وجلُّ مبشراً لعباده المؤمنين، بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفر فاراً مدبراً ﴿ لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلْتُ مِنْ قَبِلُ وَلَنْ تَجِدْ لَسَنَةَ اللَّهَ تَبْدِيلًا ﴾ أي هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مَكَّة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ هُذَا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين، حين كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكفِ أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان كلاً من الفريقين وأوجد بينهم صلحاً، فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسُول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله ﷺ، فدعا عليهم، فأخذوا، قال عفان: فعفا عنهم، ونزلت هذه الآية: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم 🎾. وقال أحمد أيضاً عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في أصَّل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: ١ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ٥ فأخذ سهيل بيده، وقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: « اكتب باسمك اللهم – وكتب – هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة ۽ فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله! اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ؛ فبينا نحن كذلك، إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح؛ فثارُوا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله بأسماعهم فقمنا اليهم فأخذناهم، فقال رسول الله عَلَيْكُمْ : " هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أماناً ؟ ، فقالوا: لا، فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وهو الذي كفُّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مُكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ الآية. وروى ابن إسحاق عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال: إن قريشاً بعنوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحدًا، فأخذوا أخذًا، فأتي بهم رسولُ الله عَلَيْكُ ، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله عَلِيْكُ بالحجارة والنبل، قال ابن إسحاق: وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ﴾ الآية .

* هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْمَـدَّى مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ عَمِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَإِسَاءٌ مُوْمِنَاتٌ لَرْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَعُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَعْرَةُ لِبَغَيْرِ عِلْمٍ لِيكَ لِيكُوخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ، مَن يَسَلَّهُ لُوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَيَّةَ ٱلْجَنْهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَنَهُ, عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلنَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ

مَّىٰ و عَلِيمًا ١

يقول تعالى مخبراً عن الكفار من مشركي العرب؛ من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ: ﴿ هم الذين كفروا ﴾ أي هم الكفار دون غيرهم ﴿ وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ أي وأنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الأمر ﴿ والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ﴾ أي وصدوا الهدي أن يصل إلى محله، وهذا من بغيهم وعنادهم، وكان الهدي سبعين بدنة، وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم، خيفة على أنفسهم من قومهم، لكنا سلطانكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَمْ تُعلموهم أَنْ تطأوهم فتصيبكم

⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه أحمد والنسائي .`

مِنهم معرة﴾ أي إثم وغرامة ﴿ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ لَو تَزيلُوا ﴾ أي لو تميز الكفار من المؤمنينُ الذين بين أظهرهم ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليًّا ﴾ أي لسلطانكم عليهم فلقتلتموهم قتلاً ذريعاً . عن جنيد بن سبيع قال: « قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه أخر النهار مسلماً، وفينا نزلت: ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ ، قال: كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ٥٠٠. وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ لُو تَرْيَلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفُرُوا مَنْهُم عَذَابًا أَلْيَأَ ﴾ يقول: لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذاباً أليًّا بقتلهم إياهم، وقوله عزٌّ وجلٌّ: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وأبوا أن يكتبوا: هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ﴾ وهي قول: لا إلَّه إلا الله، كما قال ابن جرير عن رسول الله ﷺ يقول: ﴿ وَأَلْزِمُهُمْ كُلُّمَةُ التَّقُوى﴾ قال: ﴿ لَا إِلَّهُ اللَّا اللهُ ۗ ٥ ، وقال ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب إن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن رسول الله عليه قال: ٥ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلّه إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عزَّ وجلَّ a، وأنزل الله عزّ وجلَّ في كتابه وذكر قوماً فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَيْلُ لَهُمْ لَا إِنَّهُ إِلَّا اللهِ يَستكبرون ﴾، وقال الله جلُّ ثناؤه: ﴿ وَأَنزَمُهُمْ كُلُّمَةُ التَّقُوى وَكَانُوا أَحْقَ بَهَا وأَهْلُهَا ﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية، فكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة"، وقال مجاهد: كلمة التقوى الاخلاص، وقال عطاء: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وقال علي رضي الله عنه: ﴿ وَأَلزَمُهُمْ كُلُّمَةُ التَّقُوى ﴾ قال: لا إله إلا الله والله أكبر ؛ وقال ابن عباس ﴿ وَأَلزَمُهُم كلمة التَّقُوى ﴾ يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تقوى، وقال سعيد بن جبير: ﴿ وَأَلْزَمُهُم كُلُّمَةُ التَّقُوى ﴾ لا إله إلا الله والجهاد في سبيله، ﴿ وَكَانُوا أَحَقَ بَهَا وأَهْلُهَا ﴾ كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها ﴿ وكان الله بكل شيء علياً ﴾ أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر .

(ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح)

روى الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا: خرج رسول الله ﷺ يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعسفان، لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل، قد لبست جلود النمور، يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها

⁽١) أخرجه الحافظ الطبراني ، قال ابن كثير : الصواب عن حبيب بن سباع .

⁽٢) أخرجه ابن جرير ورواه الترمذي ، وقال : حديث غريب .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : ورواه بهذه الزيادات ابن جرير ، والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري .

عليهم عنوة أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قلموه إلى كراع الغميم، فقال رسول الله على أدادوا، وإن قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فاذا تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عزّ وجلّ أو تنفرد هذه السالفة » ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك بالجيش تلك الطريق، فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش، فخرج رسول الله على أذا سلك ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلات، فقال رسول الله على أذا سلك ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلات، فقال رسول الله على الله على أولي فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال على للناس: « انزلوا » قالوا: يا رسول الله ما بالوادي من ماء يتزل عليه الناس، فأخرج رسول الله على الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول الله على قلب من تلك القلب، فغرزه فيه افعال لهم كقوله لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش، فقالوا: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد على ان محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً فلذا البيت معظماً لحقه فاتهموهم (١٠).

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله عليه من الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قلم الهدي وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال على فقال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال على أثرون أن نميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريلون أن يصلونا عن البيت، أم ترون أن نوم البيت فن صدنا عنه قاتلناه ١٩ وفقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً، فتوجه له، فن صدنا عنه قاتلناه، فقال النبي على الله عنها سم الله تعالى ١٩ محتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي على الله عنها الله عنها منها بركت به راحلته، فقالت الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلات القصواء، فقال النبي عبيط عليهم منها بركت به راحلته، فقالت الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلات القصواء، خلات القصواء، فعال النبي عليها عليها عليها المنبي على خلات القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ١٤ خلات القصواء، فعال عليها . ووالذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها، فوثبت، فعدل عنهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس عنى مدروا عنه، فوائلة ما نزحوه، وشكي إلى رسول الله عليها العش، فانتزع على ثمد كنانه سهماً، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوائلة ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فينها هم كذلك إذ جاء (بديل بن ورقاه) الخزاعي في نفر من قومه من زال يعيش ما مواو عنه، فوائلة ما خذلك إذ جاء (بديل بن ورقاه) الخزاعي في نفر من قومه من زال

⁽١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد وعبد الرزاق ، وقد اقتصرنا على هذا القدر لنذكر رواية البخاري رحمه الله .

خزاعة وكانوا عبية نصح رسول الله عَيْلِيُّهُ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا عدا مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي عَلِيْكُم: ﴿ إِنَا لَم نجيء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم، فإن شاعوا ماددتهم ملة ويحلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد حموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتيّ أو لينفذن الله أمره » قال بديل: سأبلغهم ما تلُّول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جثنا من عند هذا الرَّجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرُضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول: كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله عَيْجَاتُهُ، فقام عروة بن مسعود فقال أي قوم : أُلستم بالوالـــد ؟ قــــالوا : بلى، قال: وألست بالولد ؟ قالوا بلى،قال فهل تتهمونني ؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوًا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته، قالوا: أثنته، فأتاه فجعل يكلم النَّبي ﷺ، فقال النبي ﷺ له نحواً من قوله لبديل بن ورقاء، فقال عرِوة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأُخْرى فإني والله لأرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات، أنحن نفر وندعه ؟ قال: من ذا ؟ قالوا : أبا بكر ، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك . قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والمغيّرة بن شعبة رضي الله عنه قائم على رأس النبي عَلِيْكُ ومعه السيف وعليه المغفر ، وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي عَلِيْكُ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله عَلِيلتُه . فرفع عروة رأسه، وقال: من هـــــذا ؟ قال: المغيرة ابن شعبة، قال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك ؟ – وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم – فقال النبي عَلِيُّكَةٍ : « أما الإسلام فأقبل، وأمَّا المال فلست منه في شيء »، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي عَلِيْكُ بعينيه، قال: فوالله ما تنخّم رسول الله عَلِيْكُم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظياً له عَلِيُّتُهِ ؛ فرجع عروة إلى أصحابه . فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتُلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل منهم من بني كنانة: دعوني آنه، فقالوا: ائته ، فلما أُشرف على النبي عَلِيْنَةً وأصحابه رضي الله عنهم، قال النبي عَلِينَةً : « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له »، فبعثت له، واستقبله النــاس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه ، قال : رأيت البدن قــد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز ابن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: اثنه، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: « هذا مكرز وهو رجل فاجر »

فجعل يكلم النبي على ، فبينها هو يكلم إذ جاء سهيل بن عمرو ، وقال معمر : أخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي على : قد سهل لكم من أمركم ». قال معمر ، قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل ابن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتاباً ، فدعا النبي على رضي الله عنه ، وقال : « اكتب بسم الله الرحمن الرحم ، فقال سهيل بن عمرو : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحم ، فقال النبي على أنك رسول الله ما صددناك عن ثم قال : « هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ه ، فقال سهيل : والله لوكنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبدالله ، فقال النبي على الله إلى لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب : محمد بن عبدالله » .

قال الزهري: وذلك لقوله: « والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها »، فقال له النبي ﷺ: « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به »، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ فبينها هم كذلك إذ جاء (أبو جندل) بن سهيل ابن عمرو يرسف في قيوده، قــد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أُظهر المسلمين، فقال سهيل: هـــذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ: « إنا لم نقض الكتاب بعد »، قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي عَلِي : « فأجزه لي »، قال: ما أنا بمجيز ذلك لك، قال: « بلي فافعل »، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قــد أجزناه لك، قال أبو جندي: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقــد جثت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله عزّ وجلَّ، قال عمر رضي الله عنه : فأنيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً ؟ قال ﷺ : « بلى »، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال عَلَيْهُ : « بلي »، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً ؟ قال عَلَيْهُ : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال ﷺ: ﴿ بلى أَفَاحِبرتك أَنَا نَاتِيهِ العام ﴾، قلت: لا ، قال عَلَيْكُ : « فإنك آتيه ومطوف به، قال، فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر ! أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنَّه على الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال: بلى، قال: أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به .

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيّهَا الذين آمنوا إذا جاء كم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان ابن أُميّة، ثم رجع النبي عَلِي المدينة، فجاءه (أبو بصير) رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجد، لقد جربت منه، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر، حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله يَوْلِي حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً »، فلما انهى إلى النبي علي قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله تعالى منهم، فقال النبي علي إذ ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد »، فلما سمع فد فرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحست ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحست ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام، إلا اعترضوا لها فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي على النبي بسير، خبى أبدهم، فأرسل النبي على البهم، وأزل الله عزّ وجل: ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام، إلا اعترضوا لها فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسل النبي على النبي عنكم وأبول الله عرف أيديهم عنكم وأبديكم عنهم ببطن مكة – حتى بلغ – حمية الجاهلية كه وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه رسول الله ولم يقروا بيسم الله الرحمن الرحم، وحالوا بينهم وبين البيت (الله ولم يقروا بيسم الله الرحمن الرحم، وحالوا بينهم وبين البيت (الله ولم يقروا بيسم الله الم الموسل المنه و من البيت (الله ولم يقروا بيسم الله الرحمن الرحم، وحالوا بينهم وبين البيت (الله ولم يقروا بيسم الله المرسول الله ولم يقروا بيسم الرحمن الرحم، وحالوا بينهم وبين البيت (الله ولم يقروا المنبي المناوية المياه المعروب المناوية الموالم، والمناوية المياه المعروب المياه المناوية المياه المياه

وقال الإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه قال: إن قريشاً صالحوا الذي على وفيهم (سهيل بن عمرو) فقال الذي على رضي الله عنه: « اكتب بسم الله الرحمن الرحم » ، فقال سهيل: لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحم، ولكن اكتب: باسمك اللهم ، فقال على رضي الله »، قال: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعنك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال الذي على الذي اكتب من محمد بن عبد الله »، واشترطوا عليه على ، أن من ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال الذي على الذي اكتب من محمد بن عبد الله »، واشترطوا عليه على ، أن من جاء منكم لا نرده عليكم، ومن جاءكم منا ردد عموه علينا، فقال: يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال على : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله » . وروى الإمام أحمد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نحر رسول الله على الله عنهما قال: نحر رسول الله على المحديبية سبعين بدنة ، فيها جمل لأبي جهل، فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها . . .

لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرَّيْمَا بِالْحَيِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُ وسَكُرْ وَمُقَصِّرِ يَنَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَالَدْ تَعْلَمُواْ فِحَعَلَ مِن دُونِ ذَالِكَ فَتْحَا قَرِيبًا ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولُهُ, بِالْمُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ, عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ مَ وَكَنَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه مسلم في صحيحه .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

كان رسول الله على قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحكريبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيا قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال: وبلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ " قال: لا، قال النبي عَلَيْكِيدَ: « فإنك آتيه ومطوف به »، وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضاً، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الن شاء الله هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ آمنين ﴾ أي في حال دخولكم " وقوله: ﴿ محلقين رؤوسكم ومقصرين ﴾ حال مقدرة، لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره.

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ رحم الله المحلقين ﴾، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ ، قال عَلَيْهُ: « رحم الله المحلقين »، قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال عَلَيْنَةُ: « رحم الله المحلقين »، قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال عَلِيْظُم: « والمقصرين » في الثالثة أو الرابعة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لا تَخَافُونَ ﴾ حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حــال الدخول، ونفى عنهم الخوف حــال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد، وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع، فإن النبي ﷺ لما رجع من الحُدَيْبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بهـا ذا الحجة والمحرم، وخرج في صفر إلى خيبر ، ففتحها الله عليه بعضها عنوة ، وبعضها صلحاً ، وقسمها بين (أهل الحديبية) وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة (جعفر بن أبي طالب) وأصحابه و (أبو موسى الأشعري) وأصحابه رضي الله عنهم ولم يغب منهم أحد، ثم رجع إلى المدينة ، فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج النبي عَلِيْكُم إلى مكة معتمرًا، هو وأهل الحديبية، فأحرم من ذي الحليفة، وساق معه الهدي ، قبل: كان ستين بدنة، فلبى وصار أصحابه يلبُّون، فلما كان ﷺ قريباً من مر الظهران بعث (محمد ابن سلمة) بالخيل والسلاح أمامه، فلما رآه المشركون رعبوا رعبًا شديدًا، وظنوا أن رسول الله عَلِيْكُ يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين، فذهبوا، فأخبروا أهل مكة، فلما كان في أثناء الطريق بعثت قريش (مكرز بن حفص) فقال: يا محمد ما عرفناك تنقض العهد، فقال ﷺ: «وما ذاك؟» قال: دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح، فقال ﷺ: « لم يكن ذلك وقــند بعثنا به إلى يأجج »، فقال: بهذا عرفناك بالبر والوفاء، وحرجت رؤوس الكفّار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ، وإلى أصحابه رضي الله عنهم غيظاً وحنقاً . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان، فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله عَلَمْكُم وأصحابه، فدخلها عليه الصلاة والسلام، وبين يديه أصحابه يلبون، والهدي قـــد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب (ناقته القصواء) التي كان راكبها يوم الحديبية ، وعبد الله بن رواحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله عليه يقودها وهو يقول:

نحن قتلناكم على تأويلــه كما قتلناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهـــام عن مقيله ويذهل الخليــل عن خليله

روى الإمام أحمد. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله على وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرأ، وجلس بشرب ولقوا منها المشركون من الناحية التي تلي الحيثر فأطلع الله تعالى نبيه على ما قالوا، فأمر رسول الله تعلى أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم، قال: فرملوا ثلاثة أشواط، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون، ولم يمنع النبي على أن يرملوا الأشواط كلها إلا ابقاء عليهم، فقال المشركون: أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا ألى قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سعى النبي على البيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته، وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله على الله عنهما الله عنهما قال: إن رسول الله على خرج معتمراً، فحال كفار قويش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر على من العام المقبل، فدخلها، كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً، أمروه أن يخرج فخرج على أن وقوله تعالى: ﴿ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك ﴾ أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي على فتحاً قريباً ، وهو فجعل من دون ذلك ﴾ أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي على فتحاً قريباً ، وهو المسلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين .

ثم قال تبارك وتعالى مبشراً للمؤمنين بنصرة الرسول على على عدوه وعلى سائر أهل الأرض: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ أي بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن الشريعة تشتمل على شيئين : علم، وعمل ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، ومليين ومشركين ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ أي أنه رسوله وهو ناصره، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* تُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَأَشِدًا أَء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَا أَهُ بَيْهُمْ تَرَنهُمْ وَكُمُّا مُجَّدًا يَبْنَعُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضُونَ اللَّهِ وَرِضُونَ اللَّهِ وَرِضُونَ اللَّهِ وَرِضُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللْلَهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ

يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب فقال: ﴿ محمد رسول الله ﴾ وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنَّى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال: ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحمــاء

⁽١) أخرجه أحمد والشيخان . (٢) رواه البخاري ومسلم .

بينهم ﴾، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ أَذَلَة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وهذه صفة المؤمنين، أن يكون أحدهم شديداً على الكفار ، رحياً بالأخيار ، عبوساً في وجه الكافر ، بشوشاً في وجه المؤمن ، كما قال تعالى: ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ ، وقال النبي عَلَيْكُم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ه (١٠) . وفي الصحيح: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ه ، وشبك بين أصابعه .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ وصفهم بكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عزّ وجلّ ، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، وهو (الجنة) المشتملة على فضل الله عزّ وجلّ، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول، كما قال جل وعلا: ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ وقوله جل جلاله: ﴿ سياهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال ابن عباس: يعني السمت الحسن، وقال مجاهد: يعني الخشوع والتواضع، وقال السدي : الصلاة تحسّن وجوههم، وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار " . وقــال بعضهم : إن للحسنة نوراً في القلب ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب النــاس . وقال عثمان رضي الله عنه : « ما أسرّ أحــد سريرة إلا أبداهــا الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه » والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى، أصلح الله عزَّ وجلَّ ظاهره للنــاس، كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: « من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته » ، وقال النبي عَلِيُّكُم : « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر »^(r). وفي الحديث: « إن الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة »(⁴⁾، فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقــد نوّه الله تبارك وتعالى بذكرهم ، في الكتب المنزلــة والأخبار المتداولة، ولهذا قــال سبحانه وتعالى ههنا: ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾، ثم قال: ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي فراخه ﴿ فــآزره ﴾ أي شدّه ﴿ فاستغلظ ﴾ أي شبّ وطال ﴿ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله عليه ، آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشُّطء مع الزرع ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾، ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غـاظ الصحـابة فهو كافر لهـذه الآية، ووافقــه طائفة من العلمــاء رضي الله عنهم على ذلك .

⁽١) أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير .

⁽٢) أسنده ابن ماجة في سننه والصحيح أنه موقوف .

⁽٣) أخرجه الطبراني عن جندب بن سفيان البجلي .

⁽¹⁾ أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس .

والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم، والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم، ثم قسال تبارك وتعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منه ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿ مغفرة ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال، الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليها : « لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه (الله عنه عنه) .

[آخر تفسير سورة الفتح ، ولله الحمد والمنة]



⁽٣) أخرجه مسلم في صحيحه .



يَنَا يُهِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ مَنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ يَنَأَ بُهَا الَّذِينَ عَامَنُواْ لَا اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

هذه آیات أدّب الله تعالی بها عباده المؤمنین، فیما یعاملون به الرسول الله من التوقیر والاحترام، والتبجیل والإعظام، فقال تبارك وتعالی: ﴿ یا أیها الذین آمنوا لا تقدّموا بین بدی الله ورسوله ﴾ أی لا تسرعوا فی الأشباء بین بدیه أی قبله، بل كونوا تبعاً له فی جمیع الأمور. قال ابن عباس: نهوا أن یتكلموا بین بدی كلامه (۱۱) وقال مجاهد: لا تفتاتوا علی رسول الله محلي له بشیء حتی یقضی الله تعالی علی لسانه، وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دینكم، وقال الحسن البصری: لا تدعوا قبل الإمام، وقال قتادة: ذكر لنا أن ناساً كانوا یقولون: لو أنزل فی كذا وكذا، لو صح كذا، فكره الله تعالی ذلك، ﴿ واتقوا الله) فیما أمركم به ﴿ إن الله سیم که أی لأقوالكم ﴿ علیم که بنیاتكم ، وقوله تعالی: ﴿ یا أیها الذین آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبی که هذا أدب ثان أدّب الله تعالی به المؤمنین، أن لا یرفعوا أصواتهم بین بدی النبی علی الله فوق صوته، وقد روی أنها نزلت فی الشیخین (أبی بكر) و (عمر) رضی الله عنهما، روی البخاری عن این أبی ملیكة قال: كاد الخیران أن یهلكا و الموران رضی الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبی الله عنه علیه ركب بنی تمیم، فأشار (أبو بكر) و (عمر) رضی الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبی الله عنه علیه ركب بنی تمیم، فأشار (أبو بكر) و (عمر) رضی الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبی بیاتی قدم علیه رکب بنی تمیم، فأشار (أبو بكر) و (عمر) رضی الله عنه أخی بنی عاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، أحدهما بالأقرع بن حابس رضی الله عنه أخی بنی عاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه،

 ⁽١) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المراد من الآية الكريمة ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ لا تقولوا خلاف الكتاب
 والسنة والقول الآخر هو رواية العوفي عنه وهو الأقوى والأرجح .

فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى هو يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت أنني ولا بجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون في قال ابن الزبير: فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله عليه بعد هذه الآية حتى يستفهمه ع⁽⁰⁾. وفي رواية أخرى له قال: قدم ركب من بني تميم على النبي عليه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمّر (القعقاع بن معبد)، وقال عمر رضي الله عنه: بل أمّر (الأقرع بن حابس)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما: وضي الله عنه: ما أردت الآية هو ولو أنهم صبروا حتى فنزلت في ذلك: هو يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله كله حتى انقضت الآية هو ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم كه الآية، أخرجه البخاري .

وروى الحافظ البزار، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: « لما نزلت هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ قلت: يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار ٥ . وروى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي عَلَيْكُ افتقد (ثابت بن قيس) رضي الله عنه، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك ؟ فقال: شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي عَلَيْكُ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأتى الرجل النبي عَلَيْكُ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، قال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال: « اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل المنار ، ولكنك من أهل المنار ، ولكنك

وروى الإمام أحمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيَّهَا الذِينَ آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون ﴾، وكان ثابت بن قيس بن الشياس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله علي أنا من أهل النار ، حبط عملي ، وجلس في أهله حزيناً ، ففقده رسول الله علي انفاظة بعض القوم إليه ، فقالوا له: تَفقَدك رسول الله علي ، مالك ؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي عَيَالِي وأجهر له بالقول ، حبط عملي أنا من أهل النار ، فأتوا النبي عَيَالِي فأخبروه بما قال ، فقال النبي عَيَالِي : « لا ، بل هو من أهل الجنة » . قال أنس رضي الله عنه : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فقال : بشما تمودون أقرانكم ، فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه ". وفي رواية : فقال له النبي عَيَالِي : « أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة ؟ » فقال : رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله عَلَيْ ، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله عَلَيْ ، قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ "الآية .

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٢) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٤) ذكر هذه الرواية ابن جرير رحمه الله تعالى .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين، كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله على الله على الله على الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي على الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي على قد ارتفعت أصواتهما فجاء، فقال: أتدريان أين أنتها ؟ ثم قال: من أين أنتها ؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتها من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً. وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره على كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حياً، وفي قبره على دائماً، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: فو ولا مجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضاً في، وقوله عز وجلً: فو أن تحبط لبعض في ، كما قال تعالى: فو لا مجمورا له بالقول كجهر بعضكم أعمالكم وأنتم لا تشعرون في أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده، خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله تعالى المغضبه، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: «إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالأ يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالأ يوث ورشد إليه ورغب فيه، فقال: فو إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى في أي أخلصها له وجعلها أهلاً ومحلاً في لهم مغفرة وأجر عظيم في . وعن مجاهد قال: كُتِب إلى عمر ، يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها فو أولئك الذين امتحن الله قلوبهم كله عنه وأله المنافقة الموري الله عنه المنافقة الموري الله عنه المنافقة المه المنافقة المنا

إِنَّ اَلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَمْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَمُمُّ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِمِمٌ ۚ ۞

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات، وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال: ﴿ أكثرهم لا يعقلون ﴾ ، ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج المهم لكان خيراً لهم ﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة ، والمصلحة في الدنيا والآخرة ، ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والإنابة ﴿ والله غفور رحيم ﴾ وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه نادى رسول الله عنهال: يا محمد يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله ، فلم يجبه ، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين، فقال: ه ذلك الله عز وجل " (") . وعن البراء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ قال: جاء رجل إلى رسول الله عنهال: يا محمد، إن حمدي زين وذمي شين، فقال على الحجرات ﴾ قال: اخاء رجل إلى رسول الله عنهال: المحمد، إن حمدي زين وذمي شين، فقال على الحراء الله عنه قال: اجتمع أناس من العرب فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً نعش بجناحه ، قال: فأتيت رسول الله عنه فأخبرته الرجل، فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً نعش بجناحه ، قال: فأتيت رسول الله عناه على الحبرته الرجل، فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً نعش بجناحه ، قال: فأتيت رسول الله عناه الموراء الله عناه الموراء الله عناه الناس به، وإن يك ملكاً نعش بحناحه ، قال: فأتيت رسول الله عناه المحرد الموراء الله عناه الموراء الموراء الموراء الله عناه الموراء الله عناه الموراء الموراء

⁽١) رواه مسلم وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي بنحوه . (٣) أخرجه أحمد في كتاب الزهد .

⁽٤) أخرجه ابن جرير .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

بما قالوا، فجاءوا إلى حجرة النبي عَلِيْكِم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته: يا محمد، فأنزل الله تعالى : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون كي قال: فأخذ رسول الله عَلَيْكِ بإذني فدها، فجعل يقول:

و لقد صدّق الله تعالى قولك يا زيد، لقد صدّق الله قولك يا زيد الله الله على .

يَنَا يُهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواۤ إِن جَاءَكُمْ فَاسِتَ بِنَبَإِ فَتَبَيْنُواۤ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَلِمِينَ ۞ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُرُ رَسُولَ اللَّهُ لَوْ يُطِيعُكُمُ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُو ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُم وَاعْلَمُواْ أَنْ فَيكُمْ وَلَكِنَ اللّهَ حَبِيبَ إِلَيْكُو الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُم وَاعْمَدُ وَالْعَصْبَانَ أَوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلرَّشِدُونَ ﴿ وَكُونَ اللّهِ وَنِعْمَةً فَي مُا لَا شِيدُونَ ﴿ وَكُونَ اللّهِ وَنِعْمَةً فَاللّهُ عَلَيْهُ حَكِيدٌ ﴿ وَاللّهُ عَلَيْهُ حَكِيدٌ ﴿ وَاللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ حَكِيدٌ ﴿ وَالْعَلَمُ اللّهُ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا لَا لَا مُعْمَدُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّعَامُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّ

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له ، وقـد نهى الله عزّ وجلّ عن اتباع سبيل المفسدين ، ومن هاهنا المتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال ، لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون ، وقـد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في (الوليد بن عقبة بن أبي معيط) حين بعثه رسول الله على الله على صدقات بنى المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق :

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير

قال: فنزلت الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسْقَ بَنْبًا – إِلَى قُولُه – حكيم ﴾ " .

وروى ابن جرير ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله على رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله على قالت ، فحدث الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت ، فرجع إلى رسول الله على قتله ، فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم ، فغضب رسول الله على والمسلمون ، قالت: فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا رسول الله على فصفوا له حين صلى الظهر ، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله ، بعثت إلينا رجلاً مصدقاً ، فسررنا بذلك ، وقرت به أعيننا ، ثم إنه رجم من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله على أنه من برالوا يكلمونه ، حتى جاء بلال رضي الله عنه ، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله على إن جاء كم فاسق بنباً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين من ؟

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله على (الوليد بن عقبة) إلى بني المصطلق ليصدقهم، فتلقوه بالصدقة فرجع، فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك، زاد قتادة: وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث رسول الله على الله على الله عنه إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً. فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى رسول الله على الخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وكذا ذكر غير واحد من السلف، أنها نزلت في (الوليد بن عقبة)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ رأي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله ، فعظموه ووقروه وتأدّبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم ، ﴿ لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتُم ﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم ، كما قال سبحانه : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ ولكنَّ الله حبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله على يقول : ﴿ الإسلام علانية والإيمان في القلب ﴾ ، ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول : ﴿ التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، ﴿ وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار ، والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكال النعمة ، وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم ، عن أبي رفاعة الزرق ، عن أبيه قال : لما كان يوم أُحُد وانكم المشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم ، عن أبي رفاعة الزرق ، عن أبيه قال : لما كان يوم أُحُد وانكما المشمون اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضلك ، واللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضلك ، واللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضلك ،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد وابن أبي حاتم والطبراني .

⁽۲) أخرجه ابن جرير من حديث أم سلمة .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول، اللهم أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك، ويصدُّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق *(). وفي الحديث المرفوع: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »، ثم قال: ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ أي هذا العطاء الذي منحكوه، هو فضل منه عليكم، ونعمة من لدنه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية، ممن يستحق الغواية، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وَ إِن طَآ بِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَّا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَنهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرَىٰ فَقَتِلُواْ الَّتِي تَبْغِى حَقَّى تَفِيّ إِلَى اللَّهَ يُعِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿ إِنَّا لَكُ يَعْنَ إِلَى اللَّهَ يُعِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ لَعَدْلِ وَأَقْسِطُواً إِنَّ اللَّهَ يُعِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ لَعَدْلِ وَأَقْسِطُواً إِنَّ اللَّهَ يَعِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ لَعَدْلِ وَأَقْسِطُواً إِنَّ اللَّهُ لَعَلَى اللَّهُ لَعَدْلُ وَأَقْسِطُونَ إِنَّى اللَّهُ لَعَدْلُ وَاللَّهُ لَعَدْلُ وَاللَّهُ لَعَدْلُ وَأَقْسِطُونَ إِنْ اللَّهُ لَعَالَمُوا اللَّهُ لَعَلَى اللّهُ لَعُولُوا لَلْهُ لَعُلَى اللّهُ لَعَلَى اللّهُ اللّهُ لَعَلَى اللّهُ لَعَلَى اللّهُ لَعَلَى اللّهُ لَا اللّهُ لَعَا لَهُ اللّهُ اللّهُ لَا اللّهُ لَعَلَى اللّهُ اللّهُ لَعَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين الفتين الباغيين بعضهم على بعض: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتسلوا فأصلحوا بينهما ﴾ فسياهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره، على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج والمعتزلة، وهكذا ثبت أن رسول الله على خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن ابن علي رضي الله عنهما، فجل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ٣٠٠ . فكان كما قال على أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة، وقوله تعالى: ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ورسوله، وتسمع للحق وتطبعه، كما ثبت في الصحيح: «انصر حتى تفيء إلى أمر الله وأسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال عَلَيْكُم: « تمنعه من الظلم فذاك أخاك ظالماً أو مظلوماً » قبل: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال عَلَيْكُم: « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه » .

وروى الإمام أحمد، عن أنَس رضي الله عنه قال، قبل للنبي عَلِيْكُم : لو أُنيت عبدالله بن أَبي ، فانطلق إليه النبي عَلِيْكُم ، وركب حماراً، وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة، فلما انطلق النبي عَلِيْكُم إليه قال: إليك عني فوالله لقد آذاني ربح حمارك، فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله عَلِيْكُم أُطيب ربحاً منك، قال: فغضب لعبدالله رجال من قومه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيسدي

⁽١) أخرجه الإمام أحمد والنسائي .

⁽٢) أخرجه البخاري عن أبي بكرة رضى الله عنه .

والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانَ مِن المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ . وذكر سعيد بن جبير : أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال، فأنزل اقد تعالى هذه الآية، فأمر بالصلح بينهما، وقال السدي: كان رجل من الأنصار يقال له عمران، كانت له امرأة تدعى أم زيد، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها، وجعلها في علية له، لا يدخل عليها أحد من أهلها، وإن المرأة بعث إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها، لينطلقوا بها، وإن الرجل كان قد خرج، فاستعان أهل الرجل، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية، فبعث إليهم رسول الله على وأصلح بينهم وفاعوا إلى أمر الله تعالى وقوله عزَّ وجلً : ﴿ فَإِن فَاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ أي اعدلوا بينهما بالقسط وهو العدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ أي اعدلوا بينهما بالقسط الله على المرحمن عزَّ وجلً بمنا أقسطوا في الدنيا على الله على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عزَّ وجلً بمنا أقسطوا في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عزَّ وجلً بمنا أقسطوا في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عزَّ وجلً بمنا أقسطوا في الدني يعدلون في وعن النبي مؤلؤ أن الله يقلهم وأولوا أقسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، وفي الصحيح: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون العبد ما كن العبد في عون العبد في عون العبد ما كان العبد في عون العبد ما كان العبد في عون العبد في وفي الصحيح أوفيا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن القشين المقتنين المقتنين المقتنين أوقوله تعالى للرحمة لمن القائد المناسفة على المناسفة ع

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِن فِسَآهِ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِن فِسَآهِ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَرْ يَكُبُ خَيْرًا مِنْهُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَرْ يَكُبُ فَالْوَلْمَا مُن الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَرْ يَكُبُ فَأُولَكَهِكَ هُمُ الظَّلِمُونَ ١

ينهى تعالى عن السخرية بالنساس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله عليه الله قال: والكبر بطر الحق ، وغمط الناس » ، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر أه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يَا أَيّها اللّهِينَ آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكون خيراً منهن كه فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم كه أي لا تلمزوا الناس ، والهماز اللمَّاز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة كه ، والهمز بالفعل واللمز بالقول ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ هماز مشاء بنميم كه قال ابن عباس ومجاهد : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم كه أي لا يطعن بعضكم على بعض ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تنابزوا الله عن على على منه المنابذ والله تنابزوا الله عنه على المنابذ والله تعالى المنابذ والله المنابذ والله تعالى المنابذ والله تنابذ والله المنابذ والله تعالى المنابذ والمنابذ والله المنابذ ولا تلمزوا المنابذ والله المنابذ والله المنابذ والله المنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والمنابذ والله المنابذ والمنابذ والمنابذ

⁽١) أخرجه أحمد ورواه البخاري بنحوه .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم والنسائي .

⁽٣) أخرجه مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو .

بالألقاب ﴾ أي لا تداعوا بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها، قال الشعبي: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قال: قدم رسول الله عليه المدينة، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ ، وقوله جل وعلا: ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعنون بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ ومن لم يتب ﴾ أي من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ .

* يَكَأَيْهَا الَّذِينَ وَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِنَ الظَّنِ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِ إِنَّ اللَّهِ وَلا تَجَسَسُواْ وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّ إِنَّ اللَّهَ تَوَاّبٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَعْفُكُم بَعْضًا أَيُّ إِنَّ اللَّهَ تَوَاّبٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَعْفُكُم الْعُضًا أَيُّ إِنَّ اللَّهَ تَوَاّبٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَعْفُكُم الْعُضَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ تَوَاّبٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَعْفُكُم الْعُضَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ تَوَاّبٌ رَّحِيمٌ ﴾

وعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » فلا وروى الطبراني، عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه عليه : « ثلاث لازمات لأمتي : الطبرة والحسد وسوء الظن »، فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال عليه عنه الأنام عليه عالم الله عنه الله عنه وإذا تطبرت فامض » فلا تحقق ، وإذا تطبرت فامض » فوروى أبو داود، عن زيد رضي الله عنه قال : أتي ابن مسعود رضي الله عنه برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال عبدالله رضي الله عنه : إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به » (١٠) .

وروى الإمام أحمد، عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال: قلت لعقبة إن لنــا جيراناً يشربون الخمر ،

⁽١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود .

⁽٢) أخرجه ابن ماجة في سننه .

⁽٣) أخرجه البخاري والإمام مالك .

⁽٤) أخرجه مسلم والترمذي وصححه .

⁽٥) رواه الطبراني .

⁽٦) رواه أبو داود وسماه ابن أبي حاتم في روايته (الوليد بن عقبة) .

وأنا داع لهم الشرط فيأخلونهم، قال: لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم، قال: ففعل فلم ينتهوا، قال، فجاءه دجين، فقال: إني قد نهيتهم وإني داع لهم الشرط، فتأخذهم، فقال له عقبة: ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله عقبة يقول: « من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا مومودة من قبرها » . ﴿ ولا تجسسوا ﴾ أي على بعضكم بعضاً، والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير « كما قال عزّ وجلّ إخباراً عن يعقوب: ﴿ يا بنيّ اذهبوا فتحسّوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ﴾ . وقال الأوزاعي : التجسس البحث عن الشيء، والتحسس الاستهاع إلى حديث القوم، أو يتسمع على أبوابهم، والتدابر: الصرم .

وقوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ فيه نهي عن الغيبة ، وقعد فَسَرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن أبي هريرة، قال ، قبل : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال على : « ذكرك أخاك بما يكره » قبل : أفرأيت إن كان فيه أنقول فقد أغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد أغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » . وعن عائشة رضي الله عنها قالت ، قلت للنبي على : حسبك من صفية كذا وكذا ، تعني قصيرة ، فقال على : « ما أحب أبي حكيت إنساناً ، فقال على : « ما أحب أبي حكيت إنساناً ، فقال على : « ما أحب أبي حكيت إنساناً ، وإن لي كذا وكذا » أل والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، كفوله على الله عنها وقعد خطبها معاوية وأبو الجهم : « أما معاوية فصعلوك كما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » ، وكذا ما جرى بجرى ذلك ، ثم بقينها على التحريم الشديد ، وقد ورد وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » ، وكذا ما جرى بجرى ذلك ، ثم بقينها على التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل : ﴿ أبيب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميناً فكرهموه في أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً ، فإن عقوبته أشد من هذا ، أن يأكل لحم أخيه ميناً فكرهموه في أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً ، فإن بلدكم هذا » . وهذا من الإنسان والمسانيد من غير وجه أنه يُؤلِك قال في خطبة حجة الوداع : « إن دماء كم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا » .

وروى أبو داود، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عَيْظِيَّة : كل المسلم على المسلم حرام، ماله، وعرضه، ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله عَيْظَةً حتى أسمع العواتق في بيوتها، أو قال: في خدورها، فقال: « يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته الله .

(طريق أُخْرى) : عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورتــه

⁽١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي .

⁽٢) أخرجه أبو داود والترمذي .

⁽٣) رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن غريب .

⁽٤) رواه الحافظ أبو يعلى وأبو داود بنحوه .

يفضحه ولو في جوف رحله » ، قال ، ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله عَلَيْهِ : « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » ، وروى ابن أبي حاتم ، عن سعيد الخدري قال ، قلنا: يا رسول الله حدّثنا ما رأيت ليلة أسري بك ؟ قال: « ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال وناء ، موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم ، فيجذون منه الجذة مثل النعل ، ثم يضعونها في في أحدهم ، فيقال له : كل كما أكلت – وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه – فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة ، فيقال ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ وهو يكره على أكل لحمه ٥ .

وروى الحافظ البيهقي، عن عبيد مولى رسول الله على أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله على ، وأن رجلاً أي رسول الله على فقال: يا رسول الله على الله إنهما والله قد ماتنا، أو كادتا تموتان من العطش، أراه قسال بالهاجرة، فأعرض عنه أو سكت عنه، فقال: يا نبي الله إنهما والله قد ماتنا، أو كادتا تموتان، فقال: « ادعهما »، فعاءت نال بالهاجرة ، فأعرض عنه ودم وصديد، حتى قاءت نصف القدح، فجاءتا، قال للأخرى: « قيني »، فقاءت قيحاً وحماً وصديداً ولحماً ودماً عبيطاً وغيره، حتى ملأت القدح، ثم قال للأخرى: « وي المعافظ أبو يعلى، عن ابن عمر أن ماعزاً جاء إلى رسول الله على المول الله إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس » . وروى الحافظ أبو يعلى، عن ابن عمر أن ماعزاً جاء إلى رسول الله على قال: ونيت ؟ ه قال: يا رسول الله إني قسل المول الله يا المول الله المول المول

وروى الإمام أحمد، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي عَلِيْكُ فارتفعت ربح جيفة منتنة، فقال رسول الله عَلِيْكِ « أتدرون ما هذه الربح ؟ هذه ربح الذين يغتابون الناس ؟ »(ا) وقوله عزّ وجلّ: ﴿ واتقوا

⁽١) أخرجه أبو داود والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه الحافظ البيهقي والإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه الحافظ أبو يعلى وإسناده صحيح . ﴿ ٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

الله ﴾ أي فيا أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ، ﴿ إِن الله تواب رحيم ﴾ أي تواب على من تاب إليه ﴿ رحيم ﴾ لمن رجع إليه واعتمد عليه، قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ، ويعزم على أن لا يعود، وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتابه ، وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله ، فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، لتكون تلك بتلك ؛ كما قال النبي عليه : « من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله تعالى إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بثنيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » (وقال رسول الله على أو مواطن يحب فيها نصرته ، الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته ، وما من امرئ ينصر امراً مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته » ()

يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمُ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَنكُرْ شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَفُوَأَ إِنَّ أَكُرَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَنْقَلَكُمْ ۚ إِنَّالَلَهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞

يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها وهما (آدم) و (حواء) وجعلهم شعوباً وهي أعم من القبائل، وبعدها مراتب أخر « كالفصائل والعشائر والأفخاذ وغير ذلك، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية ، إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله على أيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا فه أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته، وقال مجاهد والتعارفوا في كما يقال فلان ابن فلان من قبيلة كذا و كذا، وعن أبي هريرة بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد والتعارفوا في كما يقال فلان ابن فلان من قبيلة كذا و كذا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه قال: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مشاة في الأثر « " . وقوله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم في ، أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالماشوى لا بالأحساب .

وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله على البخاري عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله على الله الله على الله الله على الله الله الله الله أتقاهم »، قالوا: ليس على هذا نسألك، قال: « فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله ابن خليل الله »، قالوا: وليس عن هذا نسألك، قال: « فعن معادن العرب تسألوني » ؟ قالوا: نعم، قال: « فعن معادن العرب تسألوني » ؟ قالوا: نعم، قال: « فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا ». (حديث آخو) : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم

⁽١) أخرجه أبو داود وأحمد .

⁽٢) أخرجه أبو داود . (٣) أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب .

وأعمالكم " (حديث آخو): وروى الإمام أحمد، عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن النبي عَلَيْكُ قال له: « أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله الله الله الحصري أنه سمع رسول الله عَلَيْكُ يقول: السلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى " فراس العصري أنه سمع رسول الله عَلَيْكُ يقول: السلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى " (حديث آخو): وعن حذيفة رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلَيْكُ : الله كم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان " (حديث آخو): قال ابن أبي حاتم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: طاف رسول الله عَلَيْكُ على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده، فا وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل عَلَيْكُ على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المبيل فأنيخت، ثم إن رسول الله عَلَيْكُ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال: " يا أيها الناس إن الله ناجر شتى هين على الله تعالى، إن الله عز وجل يقول: ﴿ يا أيها الناس إنا خلفناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً فاجر شتى هين على الله تعالى، إن الله عز وجل يقول: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً ولكم " . ثم قال عالية عالى: ﴿ إن الله عليم خبير كم خبير بأموركم، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويغذب من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير .

يقول تعالى منكراً على الأعراب، الذين ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾، وقد استفيد أن الإيمان أخص من الإسلام، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم، إلى الأخص، روى الإمام أحمد، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

⁽١) أخرجه مسلم وابن ماجة .

⁽٤) أخرجه البزار في مسنده .

⁽٢) تقرد به أحمد .

⁽a) أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد .

⁽٣) أخرجه الطبراني .

أعطى رسول الله يُطلق رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن، فقال النبي عَلَيْقٍ: « أو مسلم ؟ » حتى أعادها سعد رضي الله عنه ثلاثاً والنبي يقلق يقول : « أو مسلم ؟ » ، ثم قال النبي علي : « إني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إلي منهم، فلم أعطه شيئاً مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم » ، فقد فرق النبي علي أله تركه من العطاء ، ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام ، ودل على أن ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً ، لأنه تركه من العطاء ، ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام ، فهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك ، وإنما قلنا هذا لأن البخاري رحمه الله ذهب ألى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك ، وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ : أي استسلمنا خوف القتل والسبي ، قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خريمة ، وقال قتادة : نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله يهي والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا ، وإنما قبل لهؤلاء تأدياً : ﴿ قل لم قوموا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ﴾ أي لا ينقصكم من أجوركم شيئاً كقوله عز وجل : ﴿ وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ أي لمن تاب إليه وأناب .

وقوله تعالى: ﴿ إِنمَا المؤمنون ﴾ أي إنما المؤمنون الكُمَّل ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي لم يشكوا ولا تزلزلوا ، بل ثبتوا على حال واحدة ، وهي التصديق المحض ، ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه ، ﴿ أُولئك هم الصادقون ﴾ أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أي أنحبرونه بما في ضهائركم ؟ ﴿ والله يعلم ما في السهاوات وما في الأرض ﴾ أي لا يخفي عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السهاء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ . ثم قال تعالى: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم ﴾ يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم على الرسول عليه ، في بل الله يمن عليكم أن عليهم : ﴿ قِل لا تمنوا على إسلامكم ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه ، ﴿ بل الله يمن عليكم أن الأنصار ألم أجدكم ضاً لأ فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما الأنصار ألم أجدكم ضاً لأ فهداكم الله إلى الحافظ البزار . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله يؤلي فقالوا: يا رسول الله أسلمنا ، وقاتلتك العرب ولم نقاتلك ، فقال رسول الله يؤليه : « إن الشيطان ينطلق على ألسنتهم » ، وزلت هذه الآية : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم ملى الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ ، ثم كور الإخبار بعلمه بجميع الكائنات ، وبصره بأعمال المخلوقات فقال: ﴿ إن الله يعلم غيب الساوات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ .

[آخر تفسير سورة الحجرات ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة]



والقصد أن رسول الله عَلِيْكُ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع، لاشتمالها على؛ ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والقيام، والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، والله أعلم .

بِنْ ۔ ۔ ۔ لِللهِ اَلْحَمْنِ اَلْحَمِدِ

قَ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ٢ مِنْ عَجِبُواْ أَنْ جَآءَهُم مَنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَنفِرُونَ هَنذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ١ أُوذَا مِنْنَا

⁽١) أخرجه أبو داود وابن ماجة .

⁽٢) أخرجه مسلم وأصحاب السنن .

⁽٣) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد .

وَكُنَّا تُوَابِّنَا ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَاتَنَقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمٌ ۚ وَعِندَنَا كِتَنْبُ حَفِيظٌ ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ الْحَقِيلَ اللَّهُ مَا تَنَقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمٌ ۗ وَعِندَنَا كِتَنْبُ حَفِيظٌ ﴾ بَلْ كَذَّبُواْ الْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿ قَ

﴿ قَ ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور ، كقوله تعالى : ﴿ ص – ون – والم ﴾ ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره، وقــد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بمــا أغنى عن إعادته، وقوله تعالى: ﴿ والقرآن المجيدكه، أي الكريم العظيم الذي ﴿ لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدكه، واختلفوا في جواب القسم ما هو ؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى: ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ وفي هذا نظر ، بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه ، وإن لم يكن القسم يتلقى لفظاً ، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاقك، وهكذا قال ههنا ﴿ قَ وَالْقُرَآنَ الْمُجَيَّدُ بَلُ عَجْبُوا أَن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء حمجيب ﴾ أي تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر ،كقوله جلّ جلاله: ﴿ أَكَان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ أي وليس هذا بعجيب، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، ثم قال عزّ وجلّ مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه ﴿ أَتْذَا مَنَا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾ أي يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ؟ ﴿ ذَلَكُ رَجْعَ يَعِيدِ ﴾ أي بعيد الوقوع ، والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه ، قال الله تعالى راداً عليهم ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرضِ منهم ﴾ أي ما تأكل من أجسادهم ﴿ فِي البِلَى، نعلم ذلك ولا يخفى علينــا أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وعنــدنا كتاب حفيظ ﴾ أي حافظ لذلك، فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة، قال ابن عباًس ﴿ قد علمنا ما تنقصُ الأرض منهم ﴾ أي ما تأكُّل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم؛ ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد ، فقال: ﴿ بَلَ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لِمَا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرَ مُرْبِحٍ ﴾ أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، و « المريج » المختلف المضطرب المنكر، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمُ لَنِّي قُولَ مُختلف يؤفك عنه من أفك ﴾.

أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَمَا مِن فُرُوج ﴿ وَ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاْمِي وَأَنْبَنْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْج بَهِيج ﴿ تَبْعِرَةً وَذِكُن لِكُلِّ عَبْدِ مُنِيبٍ ﴿ وَ وَتَلَّنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءُ مُنَاءً مَآءُ مُنَا فَيَا اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى منهاً للعباد على قدرته العظيمة ، التي أظهر بها ما هو أعظم ممــا تعجبوا مستبعدين لوقوعه ﴿ أَفَلَمُ ينظروا إلى السهاء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ﴾ ؟ أي بالمصابيح، ﴿ وما لها من فروج ﴾ قال مجاهد: يعني من

شقوق ، وقال غيره : فتوق، وقال غيره : صدوع، والمعنى متقارب، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلَــق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور كه . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَّدُنَاهَا ﴾ أي وسعناها وفرشناها ﴿ وَأَلقينا فيها رواسي ﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب، فإنهــا مقرة على تيار الماء المحيط بهــا من جميع جوانبها ، ﴿ وأنبتنا فيها من كلُّ زوج بهيج ﴾ أي من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع، ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ وقوله ﴿ بهيج ﴾ أي حسن المنظر ، ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ أي مشاهدة خلق السهاوات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة ﴿ تبصرة ﴾ ودلالة وذكرى لكل ﴿ عبد منيب ﴾ أي خاضع خائف وجل، رجًّاع إلى الله عزّ وجلَّ، وقوله تعالى: ﴿ ونزلنا مْن السياء ماءٌ مباركاً ﴾ أيُّ نافعاً ﴿ فأنبتنا به جنات كه أي حداثق من بساتين ونحوها ﴿ وحب الحصيد ﴾ وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره، ﴿ والنخل باسقات ﴾ أي طوالاً شاهقات، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة: الباسقات الطوال، ﴿ لهـا طلع نضيد ﴾ أي منضود، ۚ ﴿ رَزْقَــاً للعباد ﴾ أي للخلق، ﴿ وأحيينا به بلدة ميناً ﴾ وهي الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك ممــا يحار الطرف في حـــنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بهـا فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى، وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس، أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، كقوله عزّ وجل: ﴿ لَخَلَقَ السَّهَاوات والأرض أكبر من خلقُ الناس﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ أُولم يروا أن الله الذي خلق السهاوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلي إنه على كل شيء قدير ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن آيَاتُهُ أَنْكُ تَرى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهترت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ وَأَصْحَبُ ٱلرِّسِ وَثَمُودُ ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَ إِنْعَوْنُ لُوطٍ ﴿ وَ وَأَصْحَبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ نُبَّعٍ كُلُّ كُذَّبَ ٱلرُّسُلَ خَقَ وَعِيدِ ﴿ أَنْعَيِينَا بِالْحَلْقِ ٱلْأُوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسِ مِّنْ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴿ وَ وَقَوْمُ نُبَّعٍ كُلُّ كُذَّبَ ٱلرُّسُلَ خَقَ وَعِيدِ ﴿ وَ الْعَكِينَا بِالْحَلْقِ ٱلْأُوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسِ مِّنْ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴿ وَ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُلْ اللَّهُ مُ فِي لَبْسِ مِّنْ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مُلْمَ فِي لَبْسِ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴿ وَاللَّهُ مُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مَا إِلَيْهُ اللَّهُ مَا لَهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَهُ إِلَيْهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا لَوْ اللَّهُ مَا لَهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُ إِلَيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا لَهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَيْ اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا لَا أَنْ مُنْ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُلْ لَكُولُ اللَّهُ مَا لَوْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ لَهُ مُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش، بما أحله بأشباههم ونظرائهم من المكذبين قبلهم من النقمات والعذاب الأليم كقوم نوح، وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض، ﴿ وأصحاب الرس ﴾ وقسد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان، ﴿ وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط ﴾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم، وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة، بكفرهم وطغيائهم ومخالفتهسم الحق ﴿ وأصحاب الأيكة ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿ وقوم تبع ﴾ وهو الياني، وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان، ﴿ كُلُّ كذب الرسل ﴾ أي كل من هذه الأم وهؤلاء القرون كذب رسولم، ومن كذب رسولاً فإنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا: ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾، ﴿ فحق وعيد ﴾ أي فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم قد كذبوا مرسولم كما كذب أولئك، وقوله تعالى: ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ أي أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من رسولم كما كذب أولئك، وقوله تعالى: ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ أي أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من عز وجل: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، وقال: ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو عز وجل: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، وقال: ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو

بكل خلق عليم ﴾، وقد تقدم في الصحيح: « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته » .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ عِنَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّ الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عَنِيدٌ ﴿ وَجَآءَتْ سَكُرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَتَّقِ ذَالِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحْيِدُ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصَّورِ ذَالِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآيِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿ لَيْ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَلَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿ }

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأن علمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعانى يعلم ما توسوس به نفسه من الخير والشر ، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله عَلِيُّكُم أنه قالً: « إن الله تعالى تجاوز لأمني ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ بعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنمــا فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل : ٰ وأنا أقرب إليه من حبل الوريد ، وإنمـــا قال: ﴿ وَنَحَنَ أَقَرَب إليه من حبل الوريد ﴾ كما قال في المحتضر ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ يعني ملائكته ، فالملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، بإقدار الله جل وعلا لهم على ذلك، فالملَك لمَّة من الإنسان كما أن للشيطان لمة ، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلِّقِيانَ ﴾ يعنى الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿ عن اليمين وعن الشهال قعيد ﴾ أي مترصد، ﴿ مَا يَلْفَظُ ﴾ أي ابن آدم ﴿ من قول ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿ إلا لديه رقيب عتيد ﴾ أي إلا ولها من يرقبها ، معد لذلك يكتبها ، لا يترك كلمة ولا حركة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافَظَينَ ﴿ كَرَاماً كاتبينَ ﴿ يعلمون ما تفعلون﴾ وقــد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام^(١) ، أو إنمــا يكتب ما فيه ثواب وعقاب 🕅 على قولين: وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مَنْ قُولَ إِلَّا لَدَيْهِ رَقَيْبِ عَنْيَدُ ﴾ . وقد روى الإِمام أحمد، عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عزَّ وجلَّ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه »^(٣) فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث، وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها، وقال الحسن البصري؛ وتلا هذه الآية ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾: يا ابن آدم بسطت لك

⁽١) وهو قول الحسن وقتادة .

⁽٢) وهو قول ابن عباس .

⁽٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة .

صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسنانك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقال لك: ﴿ اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ ثم يقول: عَدَل والله فيك من جعلك حسيب نفسك ».

وقال ابن عباس ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى أنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جثت، رأيت. حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقرَّ منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾. وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يثن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يثن أحمد حتى مات رحمه الله. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ يقول عزّ وجلّ: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه، ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص، والصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، وقيل: الكافر، وقيل غير ذلك، روي أنه لما أن ثقل أبو بكر رضى الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ . وقسد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : « سبحان الله إن للموت لسكرات » . وفي قوله: ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ قولان :

(أحدهما) : أن (ما) ههنا موصولة أي الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتفر « قد حلَّ بك ونزل بساحتك . (والقول الثاني) : أن (ما) نافية بمعنى : ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الرعيد ﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور وذلك يوم القيامة، وفي الحديث، أن رسول الله عليه على على أنم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » . قالوا: يا رسول الله كيف نقول ؟ قال عليه الله على الله ونعم الوكيل » ، فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل . ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ أي ملك يسوقه إلى المحشر » وملك يشهد عليه بأعماله ، هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ، لما روي عن يحيى بن رافع قال: سمعت عليه بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى ، وشاهد يشهد عليها بما عملت ، وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال أبو هريرة : السائق الملك ، والشهيد المعمل ، وكذا قال الضحاك والسدي ، وقال ابن عباس : السائق من الملائكة ، والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه ، وبه قال الضحاك أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ قيل : إن المراد بذلك الكافر ، وقيل : إن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر ، لأن الآخرة بالنسبة إلى حديد ﴾ قيل : إن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر ، لأن الآخرة بالنسبة إلى

الدنيا كاليقظة ، والدنيا كالمنام ، وهذا اختيار ابن جرير (١) ، والظاهر من السياق أن الخطاب مع الإنسان من حيث هو ، والمراد بقوله تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا ﴾ يعني من هذا اليوم ، ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي قوي ، لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً ، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة ، لكن لا ينفعهم ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ .

وَقَالَ قَرِينُهُ, هَلَذَا مَالَدَىَّ عَتِيدً ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿ مَّنَاعِ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ مُّرِيبٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى مَا لَلْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَكُن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعَبِدٍ ﴿ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَكُن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعَبِدٍ ﴿ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَذَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿ مَا مَا يَبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِطَلَّهِ لِللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَى لَا تَعْفَى اللَّهُ وَلَا لَكَ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ

ي**قول تعالى** مخبراً عن الملك الموكل بعمل آدم، أنه يشهد عليه يوم القيامة بمــا فعل ويقول: ﴿ هذا ما لديّ عتيد ﴾ أي معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان ، وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قــد أحضرته، وقــد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿ أَلْقِيا في جهنم كل كفار ْ عنيدكه، وقد اختلف النحــاة في قوله: ﴿ أَلْقِيا ﴾ فقـــال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنيُّ ، والظاهر أنهــا مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير ﴿ أَلْقَيَا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ أي كثير الكفر والتكذيب بالحق ﴿ عنيد ﴾ معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك، ﴿ مناع للخير ﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق، لا بر ولا صلة ولا صدقة ، ﴿ معتد﴾ أي فيما ينفقه ويصرفه، يتجاوز فيه الحد، وقال قتادة: معتد في منطقه وسيره وأمره، ﴿ مريب ﴾ أي شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره، ﴿ الذي جعل مع الله إِلْمَا آخر ﴾ أي أشرك بالله فعبد معه غيره، ﴿ فألقياه في العذاب الشديد ﴾، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلمّــاً آخر ، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم »⁽¹⁾. ﴿ قال قرينه ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الشيطان الذي وكل به ، ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ أي يقول عن الإنسان الذي قـــد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول ﴿ رَبَّنَا مَا أَطَغِيتُه ﴾ أي ما أَضللته، ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً ، معانداً للحق، كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ الآية . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قال لا تختصموا لدي﴾ يقول الرب عزُّ وجلُّ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما

 ⁽١) وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهها .
 (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند .

يختصان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي: يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: هو ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد كه أي عن منهج الحق، فيقول الرب عز وجل لهما: هو لا تختصموا لدي كه أي عندي، هو وقد قدمت إليكم بالوعيد كه أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبراهين، هو ما يبدل القول لدي كه قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، هو وما أنا بظلام للعبيد كه أي لست أعذب أحداً بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحداً إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

* يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ آمْنَكَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدِ ﴿ وَأَزْلِفَتِ آلِحَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿ هَا لَمَا مَا تُومَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ مَّنَا مَا تُومَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ مَّنَا يَعْمُ الرَّحَنَ بِالنَّقِبِ وَجَآة بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿ الْأَعْلُوهَا بِسَلَكُمْ ذَالِكَ يَوْمُ النَّكُودُ وَلَا لِيَكُلُمُ وَلَا يَعْمُ النَّكُ مَرْمِدٌ ﴾ الخَدُودِ ﴾ لَمُدُم مَّا يَشَآهُ وَنَ فِيبُ وَلَدَيْنَا مَرْمِيدٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وهي تقول : هل من مزيد ؟ أي هل بقي شيء تزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث، روى البخاري عند تفسير هذه الآية، عن أنَس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط » . وروى الإمام أحمد، عن أنَس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُزَالُ جَهُمْ يَلْقَى فَيْهَا وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى بنشيُّ الله لهــا خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة »^(٨). (**حديث آخر)** : وروى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ ﴿ تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ؛ وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله عزَّ وجلَّ، للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار : إنمــا أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤهًا . فأما النار فلا تمتليء حتى يضع رجله فيها فتقول : قط قط فهنالك تمتليُّ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عزّ وجلّ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عزّ وجلّ ينشيّ لها خلقاً آخر »⁶⁰. (**حديث آخ**ر): روى مسلم في^{اً} صحيحه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « احتجت الجنة والنار فقالت النار : فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى بينهما؛ فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار ، إنمــا أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها 🐃 وعن عكرمة ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ : وهل فيَّ مدخل واحد ؟ قد امتلأت . وقال مجاهد: لا يزال يقذف فيها حتى تقول قــد امتلأت، فتقول: هل فيّ مزيد؟ وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم نحو هـــذا ، فعند هؤلاء أن قوله تعالى ﴿ هل امتلأت ﴾ إنمــا هو بعد ما يضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذ: هل بتي فيُّ مزيد يسع شيئاً ؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة، والله أعلم .

⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم في صحيحه بنحوه .

⁽٢) أخرجه البخاري في صحيحه . (٣) تفرد به الإمام مسلم .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَزْلُفَتَ الْجَنَةَ لَلْمُتَقِينَ غَيْرِ بَعِيدُ ﴾ قال قتادة والسدي: ﴿ وَأَزْلُفُت ﴾ أدنيت وقربت مسن المتقين، ﴿ غير بعيد﴾ وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب، ﴿ هذا ما توعدون لكِل أواب ﴾ أي رجاع تائب مقلع، ﴿ حفيظ ﴾ أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ، وقال عبيد بن عمير : الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتّى يستغفر الله عزّ وجلّ، ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ أي من خاف الله في سره حيث لا يراه أحـــد إلا الله عزّ وجلّ كقُوله ﷺ: « ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه »^(١) ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ أي ولقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه. ﴿ أَدخلوها ﴾ أي الجنة ﴿ بسلام﴾ قال قتادة : سَلِموا من عذاب الله عزّ وجلّ ، وسَلَّم عليهم ملائكة الله، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ذلك يوم الخلودكه أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ولا يظعنون أبداً ولا يبغون عنها حولاً، وقوله جلت عظمتـــه : ﴿ لَمْ مَا يَشَاءُونَ فَيَهَا ﴾ أي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم، عن كثير بن مرة قال : ه من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون فأمطره لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم ٥ . وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال له: ﴿ إِنْكُ لَتَشْتَهِي الطَّيْرُ فِي الْجنة فيخر بسين يديك مشوياً ٣٠ . وروى الإمام أحمد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إِذَا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة "٣٠". وقوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدَ ﴾ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحَسْنَى وزيادة ﴾، وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم، وقــد روى البزار، عن أنَس بن مالك في قوله عزّ وجلّ ﴿ ولدينا مزيد﴾ قال: « يظهر لهم الرب عزَّ وجلَّ في كل جمعة ع⁽⁴⁾. وروى الإمام أحمد، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحوّل، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام، فيسألها: من أنت ؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، إنَّ أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب⁶⁰.

وَكُرُ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقُبُواْ فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن عَيْصٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذَ كُوكَ لِمَن كَانَ لَهُ قُلْبُ أَوْ ٱلْقَى السَّمْ وَهُو شَهِيدٌ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّارٍ وَمَا مَسْنَا مِن لَفُوبٍ ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿ وَمِنَ الْبُسِلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَدَ الشَّهُودِ ﴿ فَي وَمِنَ الْمُسِلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَدَ الشَّهُودِ ﴿ فَي الْمُسْلِلُهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَ وَسَبِّحْ مِعْمَدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿ إِلَا لَيْعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْفَالِ اللَّهُ مُولِ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْعَالَ الْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

⁽١) هو صنف من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة ، والحديث أخرجه الشيخان .

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعاً . ﴿ ﴿ وَاهُ أَحْمَدُ وَابَنَ مَاجَةَ وَالنَّرْمَذَي ، وزاد الترمذي: كما اشتهى .

⁽٤) أخرجه البزار وابن أبي حاتم موقوفاً ، ورواه الشافعي مرفوعاً في مسنده .

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند .

يقول تعالى: ﴿ وَكُمْ أَهَلَكُنَا قَبِلُهُم ﴾ قبل هؤلاء المكذبين ﴿ من قرن هم أشد منهم بطشاً ﴾ أي كانوا أكثر منهم وأشد قوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ فنقبوا في البلاد هل من محيص ﴾، قال مجاهد: ﴿ فنقبوا في البلاد في ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب. ويقال لمن طوف في البلاد، نقب فيها، وقوله تعالى: ﴿ هل من محيص ﴾ أي هل من مفر لهم من قضاء الله وقدره ؟ وهل تفعهم ما جمعوه لما كذبوا الرسل ؟ فأنتم أيضاً لا مفر لكم ولا محيد، وقوله عز وجلّ: ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ أي لعبرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أي فأنتم أيضاً لا مفر لكم ولا محيد، وقوله عز وجلّ: ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ أي لعبرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أي بلبه، وقال مجاهد: عقل، ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ أي استمع الكلام فوعاه، وتعقله بعقله وتفهمه بلبه، وقال الضحّاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذ استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب، وقوله سبحانه بلبه، وقال الضحّاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذ استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب، وقوله سبحانه قدر على خلق الساوات والأرض ولم يعي بخلقهن ، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى. وقال السبت، وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيا قالوه وتأولوه: ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ أي من إعباء ولا تعب ولا نصب، كما قال تعالى: ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق الساوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ وكما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ لخلق الساوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ وقال تعالى: ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم الساء بناها ﴾ ؟

وقوله عزّ وجل: ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر ، وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجباً على النبي عليه وعلى أمنه حولاً ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبه ، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات . ولكن منهن صلاة (الصبح والعصر) فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، وقد روى الإمام أحمد ، عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال : كنا جلوساً عند النبي عليه فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ، ثم قرأ : ﴿ وستح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل ضبحه ﴾ أي فصل له كقوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ • ﴿ وأدبار السجود ﴾ قال مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : هو التسبيح بعمد السلاة ، ويؤيد هدا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقال السلاة ، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقالوا : يصلون كما يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبي على « وما ذاك ؟ » قالوا : يصلون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، قال على المنا فعلم منه أنها الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال على طرح أنصوم ، ويتصدقون ولا نعم مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر فعلتموه سبقتم من بعد كم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » قال، فقالوا : يا رسول الله سع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال على على مثل منا ما فعلتم عن المنا ففعلوا مثله ، فقال على المنا فعلوا مثله ، فقال المنه من بعد كم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلة عنصل له غلول المنا فعلوا مثله ، فقال المنا فعلوا الله ، فقال المنه من بعد كم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل مثل ما فعلة عنولوا مناه مناه المناه فعلى المناه فعلوا منكم المناه فعله المناه فعلى المناه فعله المناه فعله المناه فعلوا الله الأموا الله المناه فعلوا الله المناه فعله المناه فعله المناه فعله المناه الم

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ، ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة .

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »^(۱). والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وأدبار السجود ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي . روى الإمام أحمد، عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله علي يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر ، وقال عبد الرحمن : دبر كل صلاة ع^(۱) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بت ليلة عند رسول الله علي أثر كعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ، ثم خرج إلى الصلاة فقال : يا ابن عباس : « ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم ، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود ع^(۱) .

* وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانِ قَرِيبٍ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْخَقِّ ذَالِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿ إِنَّا لَمُعْنِ مَعْ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمَ الْمُؤْمِ الْمُؤْمَ اللهُ الْمُؤْمَ الْمُؤْمَ الْمُؤْمَ اللهُ وَعِيدِ ﴿ اللهَ اللهُ ا

ي**قول تعال**: ﴿ واستمع ﴾ يا محمد﴿ يوم ينادي المنادي من مكان قريب﴾ قال كعب الأحبار : يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة. إن الله تعالى يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيــــه يمترون ، ﴿ ذَلَكَ يُومُ الخَرُوجِ ﴾ أي من الأجداث ﴿ إنا نَحَنَ نَحِييَ وَنَمَيْتَ وَإِلَيْنَا الْمُصير ﴾، أي هو الذَّي يبدأ الخلق ثم يعيده، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخير . وإن شراً فشر . وقوله تعالى: ﴿ يَوْمُ تَشْقَقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعاً ﴾ وذلك أن الله عزّ وجلّ ينزل مطراً من السياء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالمـاء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور ، فإذا نفخ فيه خرجت الأرواح تتوهج بــين السهاء والأرض، فيقول الله عزّ وجلّ : وعزني وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها. فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب، سراعاً مبادرين إلى أمر الله عزّ وجلّ، ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كه، وقال تعالى: ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ . وفي صحيح مسلم عن أنُس رضي الله عنه قال، قال رسول الله عَلِيْكُم: « أنا أول من تنشق عنه الأرض » . وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا. كما قال جلُّ جلاله: ﴿ وَمَا أَمْرِنَا إِلَّا وَاحْدَةَ كلمع بالبصر ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمُ وَلَا بَعْثُكُمُ إِلَّا كَنْفُسُ وَاحْدَةً إِنَّ اللَّهُ سَمِيع بصير ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ نَحْنَ أعلم بمــا يقولون ﴾ أي علمنا محيطُ بمــا يقول لك المشركون، فلا يهولنك ذلك؛ كقوله: ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بمــا يقولون ﴾، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به ، وقال مجاهد والضحاك: أي لا تتجبر عليهم، والقول الأول أولى. قال الفراء: سمعت

⁽١) أخرجه الشيخان .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي . (٣) أخرجه ابن أبي حاتم والترمذي .

العرب تقول: جبر فلان فلاناً على كذا بمعنى أجبره، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا كُر بِالقرآن مِن يَخَافَ وعيد ﴾ أي بلّغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده كقوله تعالى: ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾، وقوله جلّ جلاله: ﴿ فَلْ كُر إنما أنت مذكر ه لست عليهم بمسيطر ﴾ . ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿ وما أنت عليهم بجبار، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ كان قتادة يقول: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيد كه كان قتادة يقول: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بار يا رحيم .

[آخر تفسير سورة ق ، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل]





وَالذَّارِ يَنْتِ ذَرُواً ﴿ فَالْحَنْمِلَتِ وِقْراً ۞ فَالْجَنْرِ يَتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّكَ تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُحْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ ۞ قُتِلَ الْحَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْعَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَنَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ عَنْسَتَعْجِلُونَ ۞

قوله تعالى: ﴿ والذاريات ذرواً ﴾ قــال على رضي الله عنه: الريح، ﴿ فالحاملات وقراً ﴾ قال: السحاب ﴿ فالجاريات يسراً ﴾ قال: السفن ﴿ فالمقسمات أمراً ﴾ قال: الملائكة '' .

وقد روي عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذرواً، فقال رضي الله عنه: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله عليه من مقله ما قلته، قال: فأخبرني عن المقسمات أمراً، قال رضي الله عنه: هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله عليه يقوله ما قلته قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً، قال رضي الله عنه: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله عليه يقوله ما قلته من فال فسرها ابن عباس وابن عمر وغير واحد، ولم يحك ابن جرير غير ذلك، وقد قيل: إن المراد بالذاريات (الريح) وبالحاملات وقراً (السحاب) كما تقدم لأنها تحمل الماء، فأما في الجاريات يسراً في أفلاكها، ليكون ذلك أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً، وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسراً في أفلاكها، ليكون ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمراً، الملائكة فوق ذلك

 ⁽١) روي من غير وجه عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في
 كتاب الله تعالى ، ولا عن سنة رسول الله عليه الله أنبأتكم بذلك ، فسأله ابن الكواء عن قوله تعالى ﴿ والذاريات ﴾ الخ.

⁽٢) رواه الحافظ البزار .

تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قسم من الله عزّ وجلّ على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿ إنَّما توعــــلـون لصادق﴾ أي لخبر صدق، ﴿ وإن الدين ﴾ وهو الحساب ﴿ لواقع ﴾ أي لكائن لا محالة، ثم قال تغالى: ﴿ والسماء ذات الحبكك كه قال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء، والحسن والاستواء،♡ وقال الضحاك: الرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق، فذلك الحبك، وعن أبي صالح ﴿ ذات الحبك﴾ الشدة ، وقال خصيف ﴿ ذَاتَ الحبُّكُ ﴾ ذات الصفاقة، وقال الحسن البصري: ﴿ ذَاتَ الحبُّكُ ﴾ حبكت بالنجوم، وقــال عبدالله بن عمرو ﴿ والسياء ذات الحبك ﴾ يعني السياء السابعة وكأنه – والله أعلم – أراد بذلك السياء التي فيهــــا الكواكب الثابتة . وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء ، كمَّا قال ابن عباس رضي الله عنهما فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالكواكب الزاهرات . وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَنِي قُولَ مُختَلِفُ ﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل ﴿ لَنَّى قُولَ مَخْتَلَفَ﴾ مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع ، وقال قتادة: ﴿ إِنَّكُمْ لَنِّي قُولَ مَخْتَلَفَ﴾ ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به ﴿ يَوْفِكَ عَنْهُ مَنْ أَفْكَ ﴾ أي إنمــا يروج على من هو ضال في نفسه، لأنه قول باطل، ينقاد له ويضل بسببه من هو مأفوك ضال، غِمْر لا فهم له: قال ابن عباس ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ يضل عنه من ضل، وقــال مجاهد: يؤفن عنه من أفن، وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به، وقوله تعالى: ﴿ قَتُــلَ الخراصون﴾ قال مجاهد: الكذابون، وهي مثل التي في عبس، ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ والخراصون الـــذين يقولون: لا نبعث ولا يوقنون، وقال ابن عباس ﴿ قتل الخراصون ﴾ أي لعن المرتابون، وقال قتادة: الخراصون أهل الغرة والظنون، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: في الكفر والشك غافلون لاهون ﴿ يسألون أيان يوم الدين ﴾ وإنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً، وشكاً واستبعاداً قال الله تعالى: ﴿ يُومُ هُمْ عَلَى النَّارِ يَفْتَنُونَ ﴾ قال ابن عباس: يعذبون، قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار، وقال جماعــة آخرون: ﴿ يَفْتَنُونَ ﴾ يحرقون ﴿ ذُوقُوا فَتَنْتُكُم ﴾ قال مجاهد: حريقكم، وقال غيره: عذابكم ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، وتحقيراً وتصغيراً، والله أعلم .

* إِنَّ الْمُنَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ ﴿ وَإِلْأَسْعَارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ وَفِي أَمْوَلِهِمْ حَقَّ لِلسَّآبِلِ وَالْمَحْرُومِ
كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِمَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَ وَإِلَّا شَعَارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِى أَمْوَلِهِمْ حَقَّ لِلسَّآبِلِ وَالْمَحْرُومِ
﴿ وَفِي اللَّمْ مِنْ اللَّهُ مَا يَكُ لِلْمُوفِنِينَ ۞ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْهِمُرُونَ ۞ وَفِى السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقِّ مِثْلُ مَا أَنْكُمْ تَنطِقُونَ ۞

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله عزّ وجل، أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف مـــا أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال، وقوله تعالى: ﴿ آخذين ما آتاهم ربهم ﴾، قال ابن جرير:

⁽١) وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وقتادة وغيرهم .

أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض، ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر ، لأن قوله تبارك وتعالى ﴿ آخَذَين ﴾ حال من قوله ﴿ في جنات وعيون﴾ فالمتقون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما آتاهم ربهم، أي من النعيم والسرور والغبطة . وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك ﴾ أي في الدار الدنيا، ﴿ محسنين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بمــا أسلفتم في الأيام الخالية ﴾، ثم إنه تعالى بيّن إحسانهم في العمل فقال جلّ وعلا: ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ . اختلف المفسرون في ذلك على قولين: أحدهما : أن (ما) نافية تقديره : كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه . قال ابن عباس : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا ؛ وقال قتادة: قلّ ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عزّ وجلّ، إما من أولهـا أو من وسطها، وقال مجاهد: قلَّ مـا يرقــدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون، والقول الثاني : أن (ما) مصدرية تقديره: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختساره ابن جرير ، وقال الحسن البصري: ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾، كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر، وقال الأحنف بن قيس: ﴿ كَانُوا قَلْيُلاُّ من الليل ما يهجعون ﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً، ثم يقول: لست من أهل هذه الآية، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة صفةً لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوماً فقال: ﴿ كَانُوا قَلْيلاً من اللَّيل ما يهجعونكه ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم. فقال له أبي : «طوبـي لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ ».وقال عبدالله بن سلام: لمــا قدم رسول الله عَلِيُّكُ المدينة انجفل النــاس إليه فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه عَلِيُّكُم عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته عَلِيْقٍ يقول: « يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». وروى الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها « فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ: ٥ لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام ه^(۱)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ ، قال مجاهد: يصلون ، وقال آخرون: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ ، وقد ثبت في الصحاح ، عن رسول الله على الله على الله على الله على الله على الله على الله الأخير ، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » . وقوله تعالى: ﴿ وفي أموالهم حتى للسائل والمحروم ﴾ لما وصفهم بالصلاة ، ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة ، فقال ﴿ وفي أموالهم حتى ﴾ أي جزء مقسوم قسد أفرزوه للسائل والمحروم ، أما السائل فمروف وهو الذي يبتديّ بالسؤال وله حتى ، كما قال رسول أي جزء مقسوم قسد أفرزوه للسائل والمحروم ، أما السائل فمروف وهو الذي يبتديّ بالسؤال وله حتى ، كما قال رسول أي الإسلام سهم ، يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها ، وقالت أم المؤمنين عائشة في الإسلام سهم ، يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها ، وقالت أم المؤمنين عائشة

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود .

رضي الله عنها: هو المحارب الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك، وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء: المحروم المحارف، وقال قتادة والزهري: المحروم الذي لا يسأل الناس شيئًا، وقد قال رسول الله عليه الله عليه المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه الله. وقال سعيد بن جبير: هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له، وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم، واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب، أو قد هلك ماله بآفة أو نحوها.

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَفِي الأرض آيات للموقنين ﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، هما فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد ، والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم الله وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والسعادة والشقاوة ، وما في تركيبهم من الحكم ، في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه ، ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ وَفِي أَنفسكم أَفلا تبصرون ﴾ ؟ قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة ، ثم قال تعالى : ﴿ وَفِي السياء رزقكم ﴾ يعني المطر وما توعدون ﴾ يعني الجنة ، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقوله تعالى : ﴿ فورب السياء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ ، يقسم تعالى بنفسه الكريمة : أن ما وعدهم به من أمر القيامة ، والبعث والجزاء كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه ، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا . وعن الحسن البصري قال : بلغني أن رسول الله عليه قيال : بالمنبي أن رسول الله عليه قيال .

ع مَلْ أَسَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمُ أَ قَالَ اللهُ قَوْمٌ مُنكُرُونَ ﴿ فَاللهُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمُ عَلِيهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَ

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر ، فقوله: ﴿ هَلَ أَتَاكَ حَدَيْثُ صَيْفَ إِبْرَاهِيمِ الْمُكْرِمِينَ ﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا سلاماً قال سلام ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب، فردّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ﴾ فالخليل اختار الأفضل، وقوله تعالى: ﴿ قوم منكرون ﴾

⁽١) هذا الحديث أسنده الشيخان من وجه آخر .

⁽٢) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسلاً .

وذلك أن الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة، ولهذا قال فو قوم منكرون في وقوله عزّ وجل: فو فراغ إلى أهله في إنسل خفية في سرعة، فو فجاء بعجل سمين في أي من خيار ماله، وفي الآيسة الأخرى: فو فما لبث أن جاء بعجل حنيذ في أي مشوي على الرَّضْف فقر به إليهم فه أي أدناه منهم، فو قال ألا تأكلون في ؟ تلطف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجلٌ فتي سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: فو ألا تأكلون في ؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل. وقوله تعالى: فو فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة في وقوله تعالى: فو فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة في أقولها في الويلتا في فضكت وجهها في أي ضربت بيدها على المرأته في صرة في أي في صرخة عظيمة ورنة من ، وهي قولها في ويلتا في فضكت وجهها في أي ضربت بيدها على المرأته في صرة وقد كنت في حال الصبا عقياً لا أحبل ؟ فو قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكم العليم في أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقياً لا أحبل ؟ فو قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكم العليم في أي علم على علم عا تستحقون من الكرامة، حكم في أقواله وأفعاله .

* قَالَ فَى خَطْبُكُرْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿ قَالُواْ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ جُوْمِينَ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِارَةُ مِن طِينٍ ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿ فَأَنْحَرْجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَتَرَكْنَا فِيهَا عَايَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۞

قال الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ فَا خَطْبَكُمُ أَيَّهَا الْمُسُلُونَ ﴾ ؟ أي ما شأنكم ، وفيم جئتم ؟ ﴿ قَالُوا إِنَا أَرْسَلُنَا إِلَى قُوم مجرمين ﴾ يعنون قوم لوط ، ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة ﴾ أي معلمة ، ﴿ عند ربك للمسرفين ﴾ أي مكتتبة عنده بأسمائهم ، كل حجر عليه اسم صاحبه ، ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فَيَّهَا مِن المؤمنين ﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ﴿ فَا وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، فني ذلك عبرة للمؤمنين ﴿ الذين يخافون العذاب الأليم ﴾ .

وَفِ مُومَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنِ مَبِينِ ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ ، وَقَالَ سَنِحَرُ أَوْ مَجْنُونُ ﴿ فَأَخَذَنَهُ وَجُنُودَهُمْ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْمِيمَ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيجَ الْعَقِيمَ ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتُ

⁽١) الحجارة المحماة.

⁽٢) وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك والسدي وغيرهم .

يقول تعالى: ﴿ وَيَ مُوسَى إِذَ أُرسَلناه إِلَى فَرعُونَ بِسَلطانَ مَبِينَ ﴾ أي بذليل باهر وحجة قاطعة، ﴿ فَتُولَى بَرَكنه ﴾ أي فأعرض فرعُون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً، قال مجاهد: تعزز بأصحابه، وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه، وقال ابن زيد: ﴿ فَتُولَى بَرَكنه ﴾ أي بجموعه التي معه، ثم قرأ: ﴿ لو أَن لَي بَكُم قَوة أُو آوي إِلَى ركنَ شديد ﴾ والمعنى الأول قوي، ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ أي لا يخلو أمرك فيا جتني به، من أن تكون ساحراً أو مجنوناً، قال الله تعالى: ﴿ فَاخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ أي الفيناهم ﴿ في اليم ﴾ وهو البحر، أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً وله ذا قال تعالى: ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ أي ثما تفسده الربح ﴿ إلا جملته أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً وله ذا قال تعالى: ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ أي ثما تفسده الربح ﴿ إلا جملته ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم، والظاهر أن هذه كقوله تعالى: ﴿ وأن تمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم، والظاهر أن هذه تقوله تعالى: ﴿ وأما تمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾ وهكذا قال ههنا: ﴿ وفي تمود أذ قبل لهم تمتعوا حتى حين ه فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار، ﴿ في استطاعوا من قيام ﴾ أي من هرب ولا نهوض، ﴿ وما كانوا أنه أي لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي وأهلكنا قوم متعددة ، والله تعالى أعلى .

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي: ﴿ والسماء بنيناها ﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً، ﴿ بأيد ﴾ أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد، ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أي قد وسعنا أرجاءها، ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ، ﴿ والأرض فرشناها ﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات ، ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أي وجعلناها مهداً لأهلها، ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات ولهذا قال تعالى: ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له، ﴿ ففروا إلى الله ﴾ أي

الجأوا إليه واعتمدوا عليه في أمور كم عليه، ﴿ إِنِّي لَكُمْ منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إِنْمَ أَخْرُ ﴾ أي لا تشركوا به شيئاً ﴿ إِنِّي لَكُمْ منه نذير مبين ﴾ .

يقول تعالى مسلياً لنبية عَلِيْكِياً: وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم ﴿ كذلك ما أنى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ أتواصوا به ﴾ ؟ أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ؟ ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ ، أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم ، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم ، قال الله تعالى : ﴿ فتول عنهم ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد ، ﴿ فا أنت بملوم ﴾ يعني لا نلومك على ذلك ، ﴿ وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين ﴾ أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة ، ثم قال جلّ جلاله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي ، لا لاحتياجي إليهم ، وقال ابن عباس : ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي إلا ليعبدون ﴾ أي الله يقووا بعبادتي طوعاً أو كرهاً ، وهذا اختيار ابن جرير ، وقال ابن جريج : إلا ليعرفون ، وقال الربيع بن أنس إلا للعبادة . وقوله تعالى : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ " ، ومعنى الآية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : أقرأني رسول الله عنها أن أنا الرزاق ذو القوة المتين ﴾ " ، ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر أنه غير محتاج إليهم ، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم ، وفي الحديث القدسي : وابا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك شغلاً و لم أسد فقرك » وإلا تفعل ملات صدرك شغلاً و لم أسد فقرك » " . « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملات صدرك شغلاً و لم أسد فقرك » " .

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى: « ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء » . وقوله تعالى : ﴿ مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴾ شيء » . وقوله تعالى : ﴿ مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴾ ذلك فإنه واقع لا محالة ، ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ يعني يوم القيامة .

[آخر تفسير سورة الذاريات ، ولله الحمد والمنة]

^{* * *}

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي : حسن صحيح .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب .



عن جبير بن مطعم قال: « سمعت النبي عَلِيْكُ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه »^(۱). وروى البخاري، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله عَلِيْكُ أني أشتكي فقال: « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة »، فطفت ورسول الله عَلَيْكِ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .

وَالطُّورِ ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿ فِي رَقِّ مَنشُورٍ ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿ وَالسَّفْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿ وَالْبَحْرِ السَّمَاءُ مَوْدًا ﴿ وَلَلْهَ مُورُ السَّمَاءُ مَوْدًا ﴿ وَلَلْهِ الْمُعْمُورِ ﴾ وَالْبَحْرِ السَّمَاءُ مَوْدًا ﴿ وَلِكَ لَوَافِعٌ ﴾ مَالَهُ مِن دَافِعِ ﴿ يَ يَوْمَ نُمُورُ السَّمَاءُ مَوْدًا ﴿ وَلَسِيرًا لِجْبَالُ سَيْرًا ﴿ فَي فَوْسِ يَلْعَبُونَ ﴿ يَوْمَ يَدَعُونَ إِلَى نَارِجَهَنَّمَ دَعًا ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارُ اللَّهِ كُنتُم بَهَا تُكَوِّفِ فَلَ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ اللَّ

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا دافع له عنهم، والطور هو الجبل الذي يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل، ﴿ وكتاب مسطور ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة، التي تقرأ على الناس جهاراً، ولهذا قال: ﴿ في رق منشور ه والبيت المعمور ﴾ ، ثبت في الصحيحين أن رسول الله عَيِّلِيَّةٍ قال في حديث الإسراء: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم » يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وهو كعبة أهل السماء السابعة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة، والله أعلم. وقال ابن عباس: البيت المعمور هو بيت حذاء

 ⁽١) أخرجه الشيخان من طريق مالك .
 (٢) هو جزء من حديث طويل في الإسراء أخرجه الشيخان .

العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه، وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف. وقال تتادة والسدي: ذكر لنا أن رسول الله المحالية على يوم المحمور ؟ وقالوا: الله ورسوله أعلم قال: « فإنه مسجد في السهاء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم ». وقوله تعالى: ﴿ والسقف المرفوع ﴾ عن علي قال: يعني السهاء، ثم تلا: ﴿ وجعلنا السهاء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴾، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي واختاره المناب جرير، وقال الربيع بن أنس: هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات، وقوله تعالى: ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر، واختلف في معنى قوله ﴿ المسجور ﴾ فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله، ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف، وروي عن يوم القيامة ناراً كقوله، ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف، وروي عن البحار يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعني المرسل، وقال قتادة: المسجور المملوء، واختاره البحار يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعني المرسل، وقال قتادة: المسجور المملوء، واختاره البحدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله عليها قال: السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله عليها قال:

وقوله تعالى: ﴿ إِن عذاب ربك لواقع ﴾ هذا هو القسم عليه أي لواقع بالكافرين، ﴿ ماله من دافع ﴾ أي ليس له دافع يدفعه عنهم، إذا أراد الله بهم ذلك، قال الحافظ ابن أبي الدنيا: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة، فرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائمًا يصلي * فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿ والطور – حتى بلغ – إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط، فحك ملياً ، ثم رجع إلى منزله، فحك شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه ألا . وقوله تعالى: ﴿ يوم تمور السهاء موراً ﴾ قال ابن عباس: تتحرك تحريكاً، وقيال مجاهد: تدور دوراً ، وقال الضحّاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة، قال وأنشد أبو عبيدة بيت الأعشى فقال:

كَأْنَّ مِشْيَتُهَا من بيت جارتها مَوْرُ السحابة لا رَيْثٌ ولا عجل

﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ أي تذهب فتصير هباء منبثاً وتنسف نسفاً، ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله، ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿ يوم يُدَعُون ﴾ أي يدفعون ويساقون ﴿ إلى نار جهنم دَعًا ﴾، قال مجاهد والسدي: يدفعون فيها دفعاً ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعاً وتوبيخاً، ﴿ فصحر هذا أم أنتم لا تبصرون هاصلوها ﴾ أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته، ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾، أي سواء

⁽١) رواه الإمام أحمد في المستد .

⁽٢) رواه ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد العبدي .

صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها، ﴿ إنَّا تَجْزُونَ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ أي ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلاً بعمله .

* إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّنتِ وَنَعِيمِ ﴿ فَكِهِينَ بِمَآ ءَاتَنَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلجَحِيمِ ﴿ كُلُواْ وَاللَّهُمْ وَاللَّالِقُولُولُولُولُولُكُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُولُولُهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللّلَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَالَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِن المتقبن في جنات ونعيم ﴾ وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال، ﴿ فاكهن بما آتاهم ربهم ها أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ من ما كل ومشارب، وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك، ﴿ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سعمت ولا خطر على قلب بشر، وقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾، كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾، كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾، كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾، كقوله تعالى: ﴿ متكئين على سرر مصفوفة ﴾ قال ابن عباس: السرر في الحجال، وفي الحديث: ﴿ إِن الرجل ليتكي المتكا مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه ﴾ أ. وعن ثابت قال: ﴿ بلغنا أن الرجل ليتكي في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة، فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن: قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً ه ومعنى ﴿ مصفوفة ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله: ﴿ على سرر متقابلين ﴾، ﴿ وزوجناهم ﴾ أنكحناهم بحور عين ، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى الحور العين، وقال مجاهد ﴿ وزوجناهم ﴾ أنكحناهم بحور عين ، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عا إعادته ههنا .

وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَبَعَتْهُمْ ذُرِّيَتُهُم بِإِيمَنِ أَخْفَنَا بِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءً كُلُّ آمْرِي عِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَمُمْ كَأَنَّهُمْ لِفَلْكُوهُ وَكَنْ فَيْ الْفَالْوَالْ اللَّهُ وَلَحْهُ مِثَا يَشْتَهُونَ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَمُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُو مَّكُنُونٌ ﴿ وَاللَّهِ السَّمُومِ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَمُ مُ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُو مَّكُنُونٌ ﴿ وَاللَّهِ السَّمُومِ ﴿ وَاللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ الللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللللْمُ اللَّهُ اللللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْ

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه، ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمــان، يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن الهيثم بن مالك الطائي مرفوعاً . ﴿ ﴿ ﴾ أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً عن ثابت البناني موقوفاً .

الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ قال ابن عباس: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه، ثم قرأ : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ أ. وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم ﴾ قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلم ألحقوا بآبائهم و لم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً، وروى الحافظ الطبراني عن ابن عباس أظنه عن النبي عليات قال: ه إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولم ، فيؤمر بإلحاقهم به ، وقرأ ابن عباس: ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ﴾ الآية ، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء ، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء ، فقد قال رسول الله يهيئية : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ه " " .

وقوله تعالى: ﴿ كُلُ امرى بما كسب رهبن ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال تعالى: ﴿ كُلُ امرى بما كسب رهين ﴾ أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أباً أو ابناً ، كما قال تعالى: ﴿ كُلُ نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾، وقوله: ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ أي وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى، وقوله: ﴿ يتنازعون فيها كأساً ﴾ أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر ، قاله الضحاك: ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ ، أي هذبان ، ولا إثم، أي فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا . قال ابن عباس: اللغو الباطل، والتأثيم الكذب، وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون ؛ وقال قتادة : كان ذلك في الدنيا مع الشيطان، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفي عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية ، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿ يسفاء لذة للشاربين ه لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ وقال: ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ وقال : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ وقال : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ وقال ههنا: ﴿ يسفون عليها والجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون ، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم ،

⁽١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً ورواه البزار عنه مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ، قال ابن كثير : اسناده صحيح .

⁽٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

بعضهم على بعض يتساءلون في أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم، ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين في أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه ﴿ فَنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم في أي فتصدق علينا وأجارنا مما نحاف، ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه في أي نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿ إنه هو البر الرحم في ، عن أنَس قال، قال رسول الله يَوْلِيُون : * إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدثان ، فيتكيُّ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهمالصاحبه : يا فلان تدري أي يوم غفر الله لننا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عزّ وجلّ فغفر لنا ؟ " . وعن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية : ﴿ فَنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم في فقالت : اللهم من علينا، وقنا عذاب السموم ، إنك أنت البر الرحيم : قبل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم " .

* فَذَكِرْ فَكَ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَا يَعْنُونِ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ ع رَبْبَ الْمَنُونِ ﴿ قَالَمُهُمْ الْعَلَوْنَ شَاعِرُ الْمَا الْمَنُونِ ﴾ قُلْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَامُهُم بِهَلَدَأً أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُمْ بَهِلَدَأً أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُمْ بِهَلَدَأً أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُمُ بَلَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِنْ إِن كَانُواْ صَلِيقِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله على بأن يبلغ رسالته إلى عباده ، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿ فندكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ ، أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش ، والكاهن الذي يأتيه الربي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السهاء ، ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس . ثم قال تعالى منكراً عليهم في قولم في الرسول عليه حتى يأتيه الموت فنستريح نتربص به ريب المنون ﴾ ؟ أي قوارع الدهر ، والمنون الموت ، يقولون: ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه . قال الله تعالى: ﴿ قُل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أي انتظروا، فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي عليه قائل منهم : احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (زهير) و (النابغة) إنما هو كأحدهم ، فأنزل الله تعالى ذلك من قولم: ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ ؟ ثم قال تعالى: ﴿ أم تأمرهم بهذا ﴾ أي عقولم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل المعاندون ، النبي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿ أم قوم طاغون ﴾ أي ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون ، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك ، وقوله تعالى : ﴿ أم هم يقولون تقوله ﴾ اي اختلقه وافتراه من عند نفسه فهذا هو الذي يحملهم على هذه المقالة : ﴿ في قولم ، تقوله وافتراه : فليأتوا بمثل ما جاء به محمد عليه من مناه . في كانوا صادقين ﴾ أي إن كانوا صادقين في قولم ، تقوله وافتراه : فليأتوا بمثل ما جاء به محمد عليه منه . القرآن ، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض ، من الجن والإنس ما جاءوا بمثله ولا بسورة من مثله .

⁽١) أخرجه الحافظ البزار عن أنَس وقال : لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخُلِقُونَ ﴿ أَمْ خَلَقُواْ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ بَلِلا يُوقِنُونَ ﴿ أَمْ خَلَقُواْ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ بَلِلا يُوقِنُونَ ﴿ أَمْ عَنْدَهُمْ اللَّهُ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانِ مَبِينٍ عِندَهُمْ الْمُنْ أَمْ الْمُعَيْطِرُونَ ﴿ أَمْ لَمُ مُ اللَّهُ مَا الْمُكُونَ ﴿ أَمْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَنْدُهُ اللَّهُ عَنْدُهُمُ الْعَبْدُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ وأم يُحْرَدُ مُنْقُلُونَ ﴿ أَمْ اللَّهُ عَنْدُ اللَّهِ عَنا يُشْرِكُونَ ﴿ اللَّهُ عَنْدُ اللَّهِ عَنَا يُشْرِكُونَ ﴿ اللَّهُ عَنْدُ اللَّهِ مَا اللَّهُ عَنْدُ اللَّهُ عَنْدُ اللَّهِ عَنا يُشْرِكُونَ ﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية، وتوحيد الألوهية، فقال تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقُوا مَنْ غَيْرَ شَيَّءَ؟ أَمْ هم الخالقونَ ﴾ ؟ أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ أي لا هذا ولًا هذا ، بل الله هو الذي خلقُهم وأنشأُهم ، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا ، روى البخاري، عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴿ أَم خلقوا السهاوات والأرض بل لا يوقنون ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك أم هم المصيطرون﴾ ؟ كاد قلبي أن يطير (١). ثم قال تعالى: ﴿ أَم خلقوا السهاوات والأرض بل لا يوقنون﴾ ؟ أي أهم خلقوا السهاوات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ﴿ أَم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون﴾ ؟ أي أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفــاتيح الخزائن ﴿ أم هم المصيطرون﴾ أي المحاسبون للخلائقُ، بل الله عزَّ وجلَّ هو المالك المتصرف الفعال لما يرأيد. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لِمُمْ سَلِّمُ يَسْتَمَعُونَ فَيْهِ ﴾ ؟ أي مرقاة إلى الملأ الأعلى، ﴿ فَلَيْأَتُ مَسْتَمَعُهُمْ بَسَلْطَانَ مَبِينَ ﴾ أي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة، على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال، ثم قال منكراً عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، وقــد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال: ﴿ أَمْ لَهُ الْبِنَات ولكم البنوْن ﴾ ؟! وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿ أم تسألهم أجراً ﴾ ؟ أي أجرة ٰعلَى إبلاغك إياهمَ رسالة الله ، أي لست تسألهم على ذلك شيئًا ، ﴿ فهم مِن مغرم مثقلون ﴾ أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه، ويثقلهم ويشق عليهم، ﴿ أَمْ عَنْدُهُمُ الغيبِ فَهُمْ يَكْتَبُونَ ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السهاوات والأرض الغيب إلا الله، ﴿ أَمْ يُرَيِّدُونَ كَيْدًا ۚ ﴿ فَالَّذِينَ كَفُرُوا هُمُ الْمُكِيِّدُونَ ﴾، يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول، و في الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنمــا يرجع وباله على أنفسهم، قالذين كفروا هم المكيدون، ﴿ أم لهم إلَّه غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾، وهذا إنكار شديَّد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون، ويشركون، فقال: ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ .

وَإِن يَرَوْاْ كِسْفُا مِنَ السَّمَآءِ سَاقِطَا يَقُولُواْ سَحَابٌ مِّن كُومٌ ﴿ فَلَرَهُمْ حَتَّى يُلَنقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَنكِنَ

⁽١) الحديث من رواية الشيخين ، وجبير بن مطعم قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسرى وكان إذ ذاك مشركاً ، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام .

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِكَ ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَا مِنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ وَإِذْ بَلَوْ النَّهُومِ ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّعَهُ وَإِذْ بَلُو النَّهُومِ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿ وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً ﴾ أي عليهم يعذبون بــه لمــا صدقوا ولمــا أيقنوا ، بل يقولون هذا ﴿ سحاب مركوم ﴾ أي متراكم، وهذا كقوله: ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ء لقالوا إنمــا سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورونكه، وقال الله تعالى ﴿ فَلْرَهُمْ ﴾ أي دعهم يا محمد ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وذلك يوم القيامة، ﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شَيئاً ﴾ أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الــذي استعملوه في الدنيا، لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً، ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ . ثم قال تعالى: ﴿ وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى : ﴿ ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلي عنهم مما كانوا عليه فيه، عادوا إلى أسوأ مما كانوا كما جاء في بعض الأحاديث : « إن المنافق إذا مرض وعوفي ، مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيها عقلوه ولا فيها أرسلوه». وقوله تعالى: ﴿ وَاصْبَرَ لَحَكُمُ رَبُّكُ فَإِنْكَ بأعيننا ﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من النــاس، وقوله تعالى﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ أي إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلَّه غيرك'' ، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: هذا ابتداء الصلاة، وقال أبو الجوزاء: ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ أي من نومك من فراشك، واختاره ابن جرير، ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد، عن عبادة ابن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ مَن تَعَارُ مَن اللَّيْلُ فَقَالَ: لا إِنَّهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدُه لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إلَّه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي – أو قال ثم دعا – أستجيب له ، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته »⁶⁰ . وقال مجاهد : ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ قال من كل مجلس، وقال الثوري ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك، وهذا القول كفارة المجالس، وعن أبي هريرة ، عن النبي عَلِيْكُ أَنه قالَ: « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلّه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك "^(٣) . وقوله تعالى: ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي أذكره وأعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنَ اللَّيْلُ فَتُهْجِدُ بِه نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وإدبار النجوم ﴾ قــد تقدم عن ابن عباس: أنهما الركعتان اللتان

⁽١) قاله الضحّاك وعبد الرحمن بن أسلم .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه البخاري وأهل السنن .

⁽٣) أخرجه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة، لحديث: « لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل، يعني ركعتي الفجر » أ. وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر، وفي لفظ لمسلم: « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .

[آخر تفسير سورة الطور ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً .



روى البخاري، عن عبدالله بن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم ﴾، قال: فسجد النبي عَلَيْكُ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخــذ كفــاً من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِل كافراً، وهو أُمية بن خلف ".

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَاضَلَّ صَاحِبُكُرْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞

قال الشعبي : المخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالمخالق ، واختلف المفسرون في معنى قوله : هو والنجم إذا هوى هو إلنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر ، واختاره ابن جرير ، وزعم السدي : أنها الزهرة ، وقال الضحاك : هو والنجم إذا هوى هو إذا رمي به الشياطين ، وهذه الآية كقوله تعالى : هو فلا أقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم ه إنه لقرآن كريم هه . وقوله تعالى : هو ما ضل صاحبكم وما عوى هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول علي الله راشد ، تابع للحق ليس بضال ، والغاوي : هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره ، فنزه الله رسوله عن مشابهة أهل الضلال ، كالنصارى وطرائق اليهود ، وهي علم الشيء وكتمانه ، والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه ، وما بعثه الله به من الشرع العظيم ، في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال تعالى : هو وما ينطق عن الهوى كه أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال تعالى : هو وما ينطق عن الهوى كه أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض كما روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله علي بشر يتكلم في الغضب ، فنهني قريش ، فقالوا : إنك تكتب كل شيء أسمعه من رسول الله علي الا الحق الشمول الله علي بده ما خرج مني إلا الحق اله المسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله علي فقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق المناسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله علي فقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق المسمكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله علي فقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق المسملة عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله علي المناس المناس المناس المناس المناس المناس عمره من الكتاب المناس عمره من الله المناس عمره من الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله علي المناس ال

⁽١) أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي ، وجاء في بعض الروايات أنه (عتبة بن ربيعة) .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود وفي بعض الروايات : بشرٌّ يتكلم في الرضى والغضب .

وقال ﷺ : ﴿ مَا أَخِبَرْتُكُمْ أَنْهُ مَنْ عَنْدَ اللَّهُ فَهُو الذِّي لَا شُكُ فِيهِ ﴾ ``. وعن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ لَا أَقُولَ إِلَا حَقّاً ﴾ قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : ﴿ إِنِّي لَا أَقُولَ إِلَا حَقاً ﴾ ``

عَلَّمُ مُ سَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿ وَهُو بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ﴿ فَمُ مَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿ فَكَانَ قَابَ عَلَيْهِ مَا لَكُنْ الْأَعْلَىٰ ﴿ فَمُ مَنَا فَتَدَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَىٰ ﴿ فَوَسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿ فَأَنْ مَا لَكُنْ الْفُوَادُ مَارَأَىٰ ﴾ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَىٰ ﴿ فَوَسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ فَأَدُونَ ﴿ فَالْمَالُونَ فَي اللّهُ مَا يَكُنْ ﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ تَزْلُةً أَنْعَىٰ ﴿ فَا مَلْغَىٰ ﴿ فَا مَلَكُ مِنْ عَايَنِ رَبِهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ مَا رَاغَ الْبَعَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿ فَا طَغَىٰ ﴿ فَا مَا يَنْ مِنْ عَايَنِ رَبِهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد عَلَيْكُ ﴿ قاب قوسين ﴾ أي بقدرهما إذا مدًا ، قاله مجاهد وقتادة . وقوله: ﴿ أو أدنى ﴾ هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ أي ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله:

⁽١) اخرجه الحافظ البزار .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٤) انفرد بهذه الرواية الإمام أحمد

﴿ يَخْمُونَ النَّـاسَ كَخَشَيَةَ اللَّهُ أَوْ أَشَدَ خَشَيَةً ﴾ ، وقوله : ﴿ وأرسلنــاه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها، فهذا تحقيق للمخبر به لا شك، وهكذا هذه الآية ﴿ فكان قــاب قوسين أو أدنى ﴾ وهذا الذي قلنـــاه من أن هذا المقترب الداني إنمـــا هو جبريل عليه السلام، هو قول عائشـــة وابن مسعود وأُبي ذر كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى. وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: « رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » فجعل هذه إحداهما، وجاء في حديث الإسراء: « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » ولهذا قــد تكلم كثير من النــاس في متن هذه الرواية ، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أُخْرَى، لا أنها تِفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿ ولقد رآه نزلة أُخْرَى عند سدرة المنتهى ﴾ فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض، وقال ابن جرير، قال عبدالله بن مسعود في هذه الآية: ﴿ فَكَانَ قَابِ قُوسِينَ أَو أُدنَى ﴾ قال، قال رسول الله ﷺ : « رأيت جبريل لــه ستهائة جناح »^(۱). وروى البخاري، عن الشيباني فال: سألت زراً عن قوله: ﴿ فَكَانَ قَابِ قُوسِينَ أَو أَدنَى ه فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ قال: حدثنا عبدالله ٣ أن محمداً عَلِيْكُ رأى جبريل له ستماثة جناح . فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿ فَأُوحَى إِلَى عبده ما أُوحَى ﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ما أُوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل؛ وكلا المعنيين صحيح، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبِ الفَوَّادَ مَا رأَى ۚ ۚ أَفْتَارُونَه على ما يرى ﴾ قال مسلم، عن أبي العالية، عن ابن عباس ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾، ﴿ ولقد رآه نزلة أُخْرى ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، وقول البغوي في تفسيره : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنَس والحسن وعكرمة فيه نظر ، والله أعلم .

وروى الترمذي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿ لا تدركه الأيصار وهو يدرك الأبصار هو يعدك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين وقال أيضاً: لتي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبّر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين، وقال مسروق: دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه ؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري، فقلت: رويداً، ثم قرأت: ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ، فقالت: أين يذهب بك ؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه، أو كتم شيئاً مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ﴾ وقد أعظم على الله الفرية ، ولكنه رأى جبريل؛ لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد، وله ستماثة جناح قد سد الأفق هن . وروى النسائي ، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لموسى ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لموسى ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لموسى ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله

⁽١) أخرجه ابن جرير ، ورواه البخاري في صحيحه .

⁽۲) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

⁽٣) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

⁽٤) أخرجه الترمذي في سننه .

وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال: ه نور اتن أراه » ؟ وفي رواية: « رأيت نوراً »، وروى ابن أبي حاتم، عن عباد ابن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه ؟ قلت: نعم، قال: قد رآه ، ثم قد رآه ، قال: فسألت عنه الحسن، فقال : قد رأى جلاله وعظمت ورداءه » (أنه الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله على الله ورأيت ربي عزّ وجلّ » ، فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح ، لكنه مختصر من حديث المنام ، كما رواه أحمد عن ابن عباس أن رسول الله على الله قال: « أتاني ربي الليلة في أحسن صورة – أحسبه يعني في النوم – فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال ، قلت: لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي – أو قال نحري – فعلمت ما في الساوات وما في الأرض ، ثم قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال ، فلت: نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات ، قال: وما الكفارات ؟ قال ، قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمثني على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء في المكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيثته كيوم ولدته أمه . وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك : فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون ، وقال: والدرجات ، بذل الطعام وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام » () .

وقوله تعالى: ﴿ ولقد رآه نزلة أُخرى ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ عندها جنة المأوى ﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله على الم أجريا على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء ، روى الإمام أحمد ، عن عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال: يا أم المؤمنين هل رأى محمد عليه ربه عز وجل والت: سبحان الله لقد قف شعري لما قلت ! أين أنت من ثلاث ، من حدثكهن فقد كذب ؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ، ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ ، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب ، ثم قرأت ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾ الآية ، ومن أخبرك أن محمداً قد كذب ، ثم قرأت ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم من ربك ﴾ ؛ ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين ، وروى الإمام أحمد أيضاً عن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ ، ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله على الساء والأرض » الماء على الله على الله على الله على الساء والأرض ، الله على الماء على عليها الامرتين ، رآه منهبطاً من السهاء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السهاء والأرض » .

وقال مجاهد في قوله: ﴿ وَلَقَدَ رَآهَ نَزِلَةَ أُخْرَى ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قــد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيها نور

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه أحمد في المسئد .

⁽٤) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

الرب، وغشيها ألوان ما أدري ما هي . روى الإمام أحمد ، عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله عليه انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السهاء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يبط به من فوقها فيقبض منها، ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله عليه الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمت المقحمات () . وعن مجاهد قال: كان أغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً ، فرآها محمد عليه ورأى ربه بقلبه ، وقال ابن زيد: قبل يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال: « رأيت يغشاها فراش من ذهب، ووايت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل » . وقوله تعالى: ﴿ ما زاغ البصر ﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً ، ﴿ وما طغى ﴾ ما جاوز ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطى ، وما أحسن ما قال الناظ :

رأی جنة المأوی وما فوقها ولو رأی غیره ما قد رآه لتاهما

وقوله تعالى: ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ كقوله : ﴿ لنر يه من آياتنا ﴾ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّنْ وَٱلْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَوْةَ ٱلنَّالِيَةَ ٱلْأَنْرَىٰ ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكُو وَلَهُ ٱلْأَنْفَى ﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿ أَلَكُمُ الذَّكُمُ اللَّهُ مِهَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مِهَا مِن سُلْطُنَ إِن يَتَبِعُونَ إِلَا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى إِلَّا أَلْفَانُ وَمَا تَهْوَى إِلَّا أَلْفَانُ وَمَا تَهْوَى إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّيْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللللْمُ الللَّلَاللَّاللَّذَا الللَّهُ اللَّلَّةُ اللَّهُ اللللللللللللَّهُ اللل

مِن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا إِلَّامِنَ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن بَشَآءُ وَيَرْضَى ٢

يقول تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن، ﴿ أَفَرَايَمُ اللات ﴾ ؟ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولم علواً كبيراً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ اللات والعزى ﴾ قال: كان اللات رجلاً يلت السويق سويق الحاج (())، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم ، وروى البخاري ، عن أبي هريرة للها الازي ولا الله يُؤلِّقُ : ﴿ مَو لَفَ الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله والله على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية، أقام لك فليتصدق (() ، فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية، كما قال النسائي ، وأما مناة فكانت بالمشلل بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها

⁽١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه البخاري .

⁽٣) أخرجه البخاري أيضاً .

يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها، قال ابن إسحاق: كانت العرب اتحذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها ، كتعظيم الكعبة ، لهما سدنة وحجاب تطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها، فكانت لقريش ولبني كنانة (العزى) بنخلة ، وكان سدنتها وحجابها (بني شيبان) من سليم حلفاء بني هاشم، قلت: بعث إليها رسول الله عليا خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَرَايَتُم اللات والعزى ومناة الثالثة الأُخْرى ﴾ ؟ ثم قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذّكر وله الأنثى ﴾ ؟ أي أنجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكر ، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ قسمة ضيزى ﴾ أي جوراً باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة، التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً ؟

ثم قال تعالى منكراً عليهم فيا ابتدعوه وأحدثوه من عبادة الأصنام وتسميتها آلفة ﴿ إِن يَبَعُونَ إِلاَ أَسَاء سميتموها أَنتُم وآباؤكم ﴾ أي من تلقاء أنفسكم ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ أي من حجة ﴿ إِن يَبَعُونَ إِلاَ الظن وما تهوى الأنفس ﴾ أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هـ أنا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل، بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا انقادوا له، ثم قال تعالى: ﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ أي ليس كل من تمنى خيراً حصل له ، ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ﴾ ولا كل من ود شيئاً يحصل له ، كما روي : هاذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته ﴾ ". وقوله: ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ أي إنما الأمر كله لله ، مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيهما ، وقوله تعالى: ﴿ وكم من ملك في السهاوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ، كقوله: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ، شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن له ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون – أيها الجاهلون — شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله ؟ وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ؟

⁽١) تفرد به الإمام أحمد .

وافتراء وكفر شنيع ، ﴿ إِن يتبعون إِلا الظن وإِن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ أي لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله يُؤلِّكُ قال : « إِياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْرَضَ عَمَ تُولِى عَن ذَكُونا ﴾ أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره ، وقوله : ﴿ وَلَمْ يَرِد إِلاَ الحياة الذنيا ﴾ أي وإنحا أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا ، فذاك هو غاية ما وصلوا إليه ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : من العلم ﴾ أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله عَلِي الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له »(أ) ، وفي الدعاء المأثور : « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » ، وقوله تعالى : ﴿ إِن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أي هو الخالق لجميع المخلوقات ، والعالم بمصالح عباده ، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكته ،

يخبر تعالى أنه مالك السياوات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخلق الخلق بالحق في ليخبر تعالى أنه عمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر، وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر، وإن نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً في، وقال ههنا: ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾، وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال. عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم عما قال أبو هريرة عن النبي على قال: ﴿ إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمتّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه »(١٠). وقال عبد الرحمن ابن نافع : سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿ إلا اللمم ﴾، قال: الفبلة، والغمزة، والنظرة، والمباشرة، فإذا مس الختان الختان، فقد وجب الغسل وهو الزنا، وقال ابن عباس: ﴿ إلا اللمم ﴾ إلا ما سلف، وكذا قال زيد بن أسلم، وروى ابن جرير، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿ إلا اللمم ﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، قال الشاعر:

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأيّ عبد لك ما ألما ؟

وعن الحسن في قول الله تعالى : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ قال: اللمم من الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر ثم لا يعود، وروى ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿ إِلا اللمم ﴾ يلم بها في

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الشيخان أيضاً .

الحين. قلت: الزنا ؟ قال: الزنا ثم يتوب. وعنه قال: اللمم الذي يلم المرة، وقال السدي، قال أبو صالح: سئلت عن اللمم، فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب، وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم.

أَفَرَةَيْتَ الَّذِى تَوَلَىٰ ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكَدَىٰ ۞ أَعِندُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُو َيَرَىٰ ۞ أَمْ لَمْ يُنَبَأَ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۞ وَإِبْرَهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ ۞ أَلَا تَزِرُ وَاذِرَةٌ وِزْرَ أَعْرَىٰ ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَنِ إِلَّا مَاسَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْبَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَنْهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأُوْنَىٰ ۞

يقول تعالى ذاماً لمن تولى عن طاعة الله ﴿ فلا صدق ولا صلى ه ولكن كذب وتولى ﴾ ﴿ وأعطى قليـالاً وأكدى ﴾ قال بن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه، قال عكرمة: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً فيجدون في أثناء الحضر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: أكدينا ويتركون العمل، وقوله تعالى: ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ ؟ أي أعند هذا الذي أمسك يـده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخللاً أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخللاً

⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه .

⁽٧) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة .

⁽٣) أخرجه مسلم وأبو داود والإمام أحمد .

وشحاً وهلعاً، ولهذا جاء في الحديث: ﴿ أَنفَق بِلالاً ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً ﴾ ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وما أَنفَقَتُم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ أَم لَم يَنباً بَما في صحف موسى ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ ؟ أي بلّغ جميع ما أمر به ، قال ابن عباس: ﴿ وفّى ﴾ لله بالبلاغ ، وقال سعيد بن جبير : ﴿ وفّى ﴾ ما أمر به ، وقال قتادة : ﴿ وفّى ﴾ طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قبله ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ فقمام بحميع الأوامر ، وترك جميع النواهي ، وبلغ الرسالة على التهام والكمال ، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يقتدى بعد قال الله تعالى : ﴿ ثُم أُوحِينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ . روى ابن حاتم ، عن أبي أمامة قال : ﴿ أتدري ما وفّى ؟ » قلت : الله ورسوله أي أمامة قال : ﴿ وقى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار » . وعن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله عليه وآله وسلم أنه قال : ﴿ ألا أخبر كم لم سمى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفّى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ » حتى ختم الآية الذي وفّى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ » حتى ختم الآية الذي وفّى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ » حتى ختم الآية الذي وفّى ؟ إنه كان يقول كلما

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿ أَن لا تزر وازرة وزر أُخْرَى ﴾ أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد، كما قال: ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله من أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله الله عنه ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما، وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: ﴿ إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه ؛ والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ الآية، والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً »، وقوله تعالى: ﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ أي يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾، فيجز يكم عليه أتم الجزاء إن خيراً وارن شراً فشر، وهكذا قال ههنا ﴿ شم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ أي الأوفر .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَأَضْعَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَأَمَاتَ وَأَحْبَ ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَ بِنِ ٱلذَّكَرَ

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وَالْأُنثَىٰ ۞ مِن نُطْفَةٍ إِذَا ثُمْنَىٰ ۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَةَ الْأَنْرَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَنْكُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ الشِّعْرَىٰ ۞ وَأَنَّهُ مُونَ ۞ فَعَشَلْهَا مَاغَشَىٰ ۞ فَبِأْتِي اَلاَّهِ رَبِّكَ لَنَمَارَىٰ ۞ وَأَلْمُغَىٰ ۞ وَأَلْمُغَىٰ ۞ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۞ فَغَشَلْهَا مَاغَشَىٰ ۞ فَبِأْتِي اللّهِ رَبِّكَ لَنَمَارَىٰ ۞

يقول تعالى: ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبُّكَ المُنتَهَى ﴾ أي المعاد يوم القيامة، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال : يا بني أود ! إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار() ، وذكر البغوي، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قولهٰ: ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ قال: ﴿ لا فكرة في الرب ﴾ ، وفي الصحيح: ٥ يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كُذا من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته أ . وفي الحديث الذي في السنن: « تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في دَّات الله ٰ، فإن الله تعالى خلق ملكاً ما بــين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة » أو كما قال، وقوله تعالى: ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ أي خلق الضحك والبكاء وهما مختلفان ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ ، كقوله ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ ، ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى ﴾ ، كقوله: ﴿ أَبِحسبُ الْإِنسانَ أَنْ يَتَرَكُ سَدَى ۥ أَلَمْ يَكُ نَطْفَةً مَنْ مَنِي يَمْنَى ﴾ ؟ وقوله تعالى: ﴿ وأن عليه النشأة الأخْرى ﴾ ، أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة ، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ أي ملك عباده المال وجعله لهم (قنية) مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعن مجاهد ﴿ أغنى ﴾ هو رب الشعري ﴾ قال ابن عباس: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه، ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ وهم قوم (هود) ويُقال لهم (عاد بن إرم)، كما قال تعالى: ﴿ أَلَم تر كيف فعل ربك بعاد ه إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلادكه ؟ فكانوا من أشد الناس وأقواهم، وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وثمود فما أبقى ﴾ أي دمرهم فلم يبق منهم أحــداً ، ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا هم أظلُم وأطغى ﴾ أي أشد تمرداً من الذين بعدهم، ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: ﴿ فعشاها ما غشى ﴾ يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ فبأي آلاء ربك تتمارى ﴾ ؟ أي فني أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري قاله قتادة، وقال ابن جريج: ﴿ فِبْأَي آلاء ربك تتمارى ﴾ ؟ يا محمد، والأول أولى وهو اختيار ابن جرير .

هَنَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّـٰذُرِ اللَّولَةِ ﴿ أَنِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿ لَيْسَ لَمَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةً ۞ أَفَينَ هَنذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۞ وَأَنتُمْ سَلِمِدُونَ ۞ فَٱلْجُـدُواْ لِلَّهِ وَآغَبُدُواْ ۞ ﴿

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

وهذا نذير ها يعني محمداً والله من النفر الأولى ها أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالى: وقل ما كنت بدعاً من الرسل ها، وأزفت الآزفة ها أي اقتربت القريبة وهي القيامة، وإليس لها من دون الله كاشفة ها أي لا يدفعها إذاً من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه، و و النذير كه الحدر لما يعاين من الشر، الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم، وفي الحديث: وأنا النذير العريان وأي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك، فجاءهم عرياناً مسرعاً وهو مناسب لقوله: و أزفت الآزفة كه أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة وقال عليات ومثل الساعة كهاتين و وقرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال تعالى منكراً على المشركين في استهاعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم و أفن هذا الحديث تعجبون كه ؟ من أن يكون صحيحاً، و وتضحكون كم منه استهزاء وسخرية، وولا تبكون كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم، و ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً كه، وقوله تعالى: ﴿ وأنتم ساملون كه قال بعاس وساملون كه معرضون، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون ، وهو رواية عن علي ابن عباس والعبادة: ﴿ فاسجلوا بقد واعبلوا كه، أي فاخضعوا له وأخلصوا ووجّلوه . روى البخاري عن ابن عباس قال: والعبادة: ﴿ فاسجلوا بقد واعبلوا كه، أي فاخضعوا له وأخلصوا ووجّلوه . روى البخاري عن ابن عباس قال : سجد النبي يا الله بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

[آخر تفسير سورة النجم ، ولله الحمد والمنة]

*** * ***

⁽١) في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم : كانوا يمرون على الرسول وهو يصلي شامخين فنزلت ﴿ وأنتم سامدون ﴾ .

⁽٢) انفرد به البخاري دون مسلم .



قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله عَلِيْكُ كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الأضحى والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار ، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمْرُ فَي وَان يَرُواْ عَايَةٌ يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُستَعِرٌ فَي وَكَذَّبُواْ وَانَبَعُواْ الْعُواَ عَمْ وَكُلُّ أَمْ مُستَقِرٌ فَي وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنْبَ عِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ فَي حَكَمُةٌ بَلِغَةٌ فَى تُغْنِ النَّذُرُ فَي يَغْبُر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى: ﴿ أَتَر بِللّه فلا تستعجلوه ﴾ وقال : ﴿ أَقَرَبِ للنَاسِ حسابِهم وهم في غفلة معرضون ﴾ وقد وردت الأحاديث بذلك، روى الحافظ أبو بكر الزار ، عن أنس أن رسول الله يَعْلِي خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسبر فقال : ﴿ وَالذِي نفسي بِيدَهُ مَا بِقِ مِن الدنيا فيا مضى منها إلا كما بِي من يومكم هذا فيا مضى منه وما نرى بسير فقال : ﴿ وَالذِي نفسي بِيدَهُ مَا بِقِ من الدنيا فيا مضى منها إلا كما بي من يومكم هذا فيا مضى منه وما نرى والساعة هكذا ﴾ وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى أن وفي لفظ : ﴿ بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقي ﴾ وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى أن وفي لفظ : ﴿ بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقي ﴾ وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى أن وقال الإمام أحمد، عن خالد بن عمير قال: خطبنا رسول الله علي أنه تعلى وأثنى عليه ثم فال: ﴿ أَما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصُرْم وولت حَدَّاء ، ولم يبق منها إلا والله قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً ، والله لتملؤنه أفعجبم ؟ فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً ، والله لتملؤنه أفعجبم ؟ والله لقد ذكر لنا أن أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » أن الحرك هما أن أن الحراء والله المناه أن المناه المناه المناه أن المناه أن المناه أن المناه أن المناه أنها أن الدياه عن عاماً ما يدرك لها قعراً ، والله المناه أن المناه أن ما المن مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » أن أن الدياه الساعة كذاه المناه المن

⁽١) أحرجه الشيخان والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه ابن جرير . معنى (صُرَّم) : قطيعة . و (حذاء) مدبرة لم يتعلق أهلها منها بشيء ، و (صُبابة) : بقية .

تمام الحديث. وعن عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قسد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضهار وغداً السباق. فقلت لأبي أيستبق الناس غداً ؟ فقال: يا بني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال، وقوله تعالى: ﴿ وانشق القمر ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله عليه كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: « خمس قد مضين: الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر »، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي عليه أنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

(ذكر الأحاديث الواردة في ذلك)

﴿ رَوَايَةَ أَنَسَ بِنَ مَالِكَ ﴾ : رَوَى الإمام أحمد عن أَنَسَ بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي عَلِيكُ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ١٠ ٪ وعن أنَس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقينحتي رأوا حِراء بينهما ٣٠. وروى الإمام أحمد، عن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم^٣. وروى البخاري، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ، وقال ابن جرير ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وقال الحافظ البيهقي، عن عبدالله بن عمر في قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله عَلَيْكُمْ انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خَلْف الجبل، فقــال النبي عَلَيْكُمْ : «اللهم اشهد »(b). وقال الإمام أحمد، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه. فقال رسول الله عَلِيْكُم: « اشهدوا »(⁶⁾. وعن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله عَلِيْكُم فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال، فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفَّار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفّار، فقالوا ذلك^(م). وفي لفظ: انظروا السفّار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم ققد صدق. وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار ، قال: وقدموا من كل وجهة، فقالوا: رأينا فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٧٠ . وروى الإمام أحمد، عن عبدالله قال: « انشق القمر على عهد رسول الله عَلِيْظُةٍ، حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر »(٨). وقال ليث عن مجاهد: انشق القمر على

(٦) أخرجه أبو داود الطيالسي .

⁽١) أخرجه مسلم وأحمد .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين .

⁽٣) تفرد به أحمد .

⁽٧) أخرجه البيهقي وابن جرير .

⁽٤) رواه البيهقي وأخرجه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح .

⁽٨) أخرجه الإمام أحمد .

 ⁽٥) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

عهد رسول الله عليه فصار فرقتين، فقال النبي عليه لأبي بكر: « اشهد يا أبا بكر »، فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق، وقوله تعالى: ﴿ وإن يروا آية ﴾ أي دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿ يعرضوا ﴾ أي لا ينقادوا له بل يعرضوا عنه، ويتركونه وراء ظهورهم ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به، ومعنى ﴿ مستمر ﴾ أي ذاهب باطل مضمحل لا دوام له، ﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ أي كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم، من جهلهم وسخافة عقلهم، وقوله ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ قال عاد: إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم، من جهلهم وسخافة عقلهم، وقوله ﴿ وكل أمر مستقر بأهله، وقال بجاهد: ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أي يوم القيامة، وقال السدي: مستقر أي واقع . وقوله تعالى: ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ أي من الأخبار عن قصص الأم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب بما يتلي عليهم في هذا أي من الأخبار عن قصص الأم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب بما يتلي عليهم في هذا القرآن ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أي ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتادي على التكذيب، وقوله تعالى: ﴿ وما تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه ؟ فن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم الشيون ﴾ .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءِ نُكْرٍ ﴿ خُشَعًا أَبْصَنُرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَنفِرُونَ هَنذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴾ أي إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب، وما فيه من البلاء والأهوال، ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ أي ذليلة أبصارهم، ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ وهي القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر أي التشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي، جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال: ﴿ مهطعين ﴾ أي مسرعين ﴿ إلى الداعي ﴾، لا يخافون ولا يتأخرون ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير ، كقوله تعالى ﴿ فذلك يوم شديد ه على الكافرين غير يسير ﴾ .

* كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَانَدَعَا رَبَّهُ وَأَنِي مَغَلُوبٌ فَانَتَصِرْ فَا فَعَنَحْنَا أَبُوبَ السَّمَاءِ بِمَا وَمُنْهُ مَنْ وَجَلَنَهُ عَلَى أَبُوبَ السَّمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ فَى وَجَلَنَهُ عَلَىٰ أَبُوبَ السَّمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ فَى وَجَلَنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلُوجٍ وَدُسُرٍ فَى تَجْرِى بِأَعْبُنِنَا جَزَاتُهُ لِمَن كَانَ كُفِرَ فَى وَلَقَدَ تَرَكُنَهَا اَيَةً فَهَلْ مِن مُدَّكِمٍ فَى فَكَ مُن مُدَّكِمٍ فَى فَكَمْ عَنَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ فَى وَلَقَدْ بَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلدِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِمٍ فَى

يقول تعالى: ﴿ كذبت ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ أي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ قال مجاهد: أي استطير جنوناً، وقيل ﴿ وازدجر ﴾ أي انتهروه وزجروه وتواعدوه، ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ قــاله ابن زيد وهذا متوجه حسن، ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ أي إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك، قال الله تعالى: ﴿ فَفَتَحَنَّا أَبُوابِ السَّمَاء بماء منهمر ﴾ وهو الكثير ، ﴿ وفجّرنا الأرض عيوناً ﴾ أي نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيوناً ، ﴿ فالتقى الماء ﴾ أي من السهاء والأرض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أي أمر مقدر . قال ابن عباس: ﴿ فَفَتَحَنَّا أَبُوابِ السَّهَاءَ بَمَاءَ مَنْهِمُو ﴾ كثير لم تمطر السَّهاء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السهاء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان على أمر قد قدر، ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ قال ابن عباس: هي المسامير » وقال مجاهد : الدسر أضلاع السفينة، وقال عكرُمة والحسن: هو صدرها الذي يُضرب به الموج . وقالٌ الضحّاك: الدسر طرفاها وأصلها، وقالَ العوفي، عن ابن عباس: هو كلكلها أي صدرها، وقوله: ﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أي جزاء لهم على كفرهم بالله، وانتصاراً لنوح عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ ولقد تركناها آيَّة ﴾ قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى: ﴿ وَآيَة لِهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذَريتهم في الفلــك المشحون ﴾ " وقال تعالى: ﴿ إِنَا لَمُمَا طَغَى المَاء حملناكم في الجارية ﴾ ، ولهذا قال ههنا ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي فهل من يتذكر ويتعظ ؟ وقوله تُعالى: ﴿ فكيف كان عذا ٰبِي ونذر ﴾ أي كيف كان عذابيً لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بمــا جاءت بــه نذري، وكيف انتصرت لهم وأخذتُ لهم بالثأر، ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر النــاس، كما قال: ﴿ كتابُ أنزلناه إَليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَإِنْمُمَا يَسْرَنَاهُ بِلْسَانِكُ لَتَبْشُرُ بِهِ الْمُتَقِينَ وَتَنْذَرُ بِهِ قَوْمًا لَداً ﴾، قال مجاهد ﴿ ولقد يَسْرُنَا القرآن للذكر ﴾ يعني هونًا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن، وقال ابن عباس : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحــد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عزّ وجلَّ، وقوله: ﴿ فَهَلَ مَن مَدَكُم ﴾ أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قـــد يسر الله حفظه ومعناه ؟ وقال القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي ؟ وروى ابن أبي حاتم، عن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿ فَهَلَ مَنْ مَدَكُمْ ﴾ هَلَ مَنْ طَالَبَ عَلَمْ فَيَعَانَ عَلَيْهُ ۗ .

كُنَّبَتْ عَادُّ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ دِيحُاصَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسِ مُسْتَمِرٍ ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْبَادُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿ وَلَكَ مَنْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ وَلَقَدْ يَشَرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّحْرِ فَهَلْ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْبَادُ أَنْ الْفُرْءَانَ لِلذِّحْرِ فَهَلْ

مِن مُذِّكِرٍ ١

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم (هود) أنهم كذبوا رسولهم، كما صنع قوم (نوح) وأنه تعالى أرسل ﴿ عليهم ريحاً صرصراً ﴾ وهي الباردة الشديدة البرد، ﴿ في يوم نحس مستمر ﴾ عليهم نحسه ودماره، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي، وقوله تعالى: ﴿ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض ، فتثلغ رأسه فيبقى جثةً بلا رأس،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم وعلَّقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق .

ولهذا قال: ﴿ كَأَنِّهِ أَعْجَازِ نَحُلُ منقع ، فكيف كان عذابي ونذر ، ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ﴾ . كُذَّبَتَ نُمُودُ بِالنُّنُدِ ﴿ فَقَالُواْ أَبْسُراً مِّنَا وَاحِدًا تَّنَّبِعُهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَنِي صَلَالٍ وَسُعُو ﴿ أَعْلَقَ الذِّكُو عَلَيْهِ مِنُ بَيْنِنَا بَلْ هُو كُذَّابُ أَشِرٌ ﴿ مَنْ سَيَعْلَمُونَ عَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ النَّاقَةِ فِتْنَةً لَحَمُ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطِيرٌ ﴿ وَنَيِنْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةُ بَيْنَهُم مَنْ عَدَّا مَن الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾ فَنَادَوْا صَاحِبُهم فَتَعَاطَى فَعَفَر ﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم صَيْحَةً وَحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ بَسِّرْنَا الْقُرْءَانَ اللّذِ كُو فَهَلْ مِن مُذَكِرٍ ﴾

وهذا إخبار عن تحود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لني ضلال وسعر ﴾ يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خياصة من دونهم، ثم رموه بالكذب، فقالوا ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ أي متجاوز في حيد الكذب، قال الله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد، ثم قيال تعالى: ﴿ إنا مرسلوا النياقة فتنة لهم ﴾ أي اختباراً لم ، أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء، من صخرة صياء، طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم في تصديق (صالح) عليه السلام فيا جاءهم به ، ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾ ، أي انتظر ما يؤول إليه أمرهم واصبر عليهم ، فإن الساقة لك والنصر في الدنيا والآخرة ﴿ ونبثهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أي يوم ما يؤول إليه أمرهم واصبر عليهم ، فإن الساقة لم الرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ كل شرب محتضر ﴾ قال بعاهد: إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا المانى ، ثم قال تعالى: ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ قال المفسرون: هو عاقر النياقة واسمه (قدار بن سالف) وكان أشقى قومه ، كقوله: ﴿ إذ انبحث أشقاها ﴾ ، فال المفسرون : هو عاقر النياقة واسمه (قدار بن سالف) وكان أشقى قومه ، كقوله: ﴿ إذ انبحث أشقاها ﴾ ، فتعاطى ﴾ أي حسر ﴿ فعقر » فكيف كان عقابي لم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ، ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم وتكذيبهم رسولي ، ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم هو المرعى بالصحراء حين بيبس ويحترق وتسفيه الربح ، وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ .

* كَذَّبَتْ فَوْمُ لُوطٍ بِالنَّنْدُرِ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَا ءَالَ لُوطٍ فَجَيْنَهُم بِسَحَرٍ ﴿ يَعْمَةُ مِّنْ عِندِنَا كَذَاكِ ثَخْرِي مَن شَكَرَ ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارُواْ بِالنَّذُرِ ﴿ وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ عَلَى عَنْدُونُواْ عَذَائِي وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ عَظَمَشْنَا أَعْبَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَائِي وَلُذُرِ ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكُرَةً عَذَابٌ مَّسْتَقِرِ ۖ فَهُ فَذُوقُواْ عَذَائِي وَلُذُرِ ﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مَّسْتَقِرِ ۖ فَهُ فَدُوقُواْ عَذَائِي وَلُذُرِ ﴾ وَلَقَدْ مَنْ مَا اللَّهُ وَالْ مِن مُدَّرِ ﴾ وَلَقَدْ

يقول تعالى مخبراً عن قوم ﴿ لوط ﴾ كيف كذبوا رسولم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة ﴾ التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم ، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السهاء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال ههنا : ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ وهي الحجارة ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها ، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب أندرهم بطشتنا ﴾ أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم ، قد أنذرهم بأس الله وعذابه ، فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه ، بل شكوا فيه و تماروا به ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة في صور شباب مرد حسان ، محنة من الله بهم ، فأضافهم لوط عليه السلام ، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها ، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، ولوط عليه السلام يدافعهم و يمانعهم دون أضيافه ، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم (جبريل) عليه السلام فضرب أعينهم بون أضيافه ، فلما اشتد الحال وأبوا إلا اللخول خرج عليهم (جبريل) عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم ، يقال إنها غارت من وجوههم ، وقبل : إنه لم يبق لهم عيه ولا انفكاك لهم منه ﴿ فلوقوا عذا بي المالة تعالى : ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه ﴿ فلوقوا عذا بي ونذر ه ولقد يسرنا القرآن للذكر بكرة عذاب مستقر ﴾ أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه ﴿ فلوقوا عذابي ونذر ه ولقد يسرنا القرآن للذكر فلهل من مذكر ﴾ .

* وَلَقَدْ جَآءَ وَالَ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ ١٤ كَذَبُواْ بِعَاينتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَنَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِدٍ ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَنَهِكُرْ أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الزُبُرِ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿ مَنْ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَنُ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه، إنهم جاءهم رسول (موسى) وأخوه (هارون) وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة، فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أي فأبادهم الله ولم يبق منهم عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ﴿ أَكفَارَكُم ﴾ أيها المشركون ﴿ خير من أولئكُم ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم، ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، أأنتم خير من أولئكُم ؟ ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ أي أم معكم من الله براءة، أن لا ينالكم عذاب ولا نكال، ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أي يعتقدون أن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء، قال الله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أي سيتفرق شملهم ويغلبون، روى البخاري، عن ابن عباس أن النبي عَلِيلِيلًا قال وهو في قبة له يوم بدر: « أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً » فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألحدت على ربك، فخرج وهو يش في الدرع، وهو يقول: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر » بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ (أ) ، وروى

⁽١) أخرجه البخاري والنسائي .

ابن أبي حاتم، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ (الله على الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ (الله على الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ (الله على الله

* إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِ صَلَئِلِ وَسُعُرِ ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِ النَّارِعَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿ إِنَّا كُلِّ مَنْ وَخَلَقْنَاهُ بِقَدَرِ ﴿ وَمَا أَمُّ لَمَ إِلَّا وَحِدَةً كَالَيْجِ بِالْبَصَرِ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَا أَشْبَاعَكُمْ فَهَلَ مِن مُّذَكِرٍ ﴾ وَكُلُّ مَنْ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرُ ﴿ إِنَّ الْمُتَّفِينَ فِي جَنَّنِ وَنَهَرٍ ﴿ فَي مَقْعَدِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرُ ﴾ إِنَّ الْمُتَّفِينَ فِي جَنَّنِ وَنَهَرٍ ﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرُ ﴾ إِنَّ الْمُتَّفِينَ فِي جَنَّنِ وَبَهُرٍ ﴾ وَمُنْ فَعَدِرٍ ﴿ فَي عَلَيْهِ مُنْعَدِرٍ ﴾ ومَدْقي عِندَ مَلِيكِ مُقْتَدرٍ ﴾

وفي الحديث الصحيح: « استعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . وروى الإمام أحمد، عن الوليد بن عبادة قال: دخلت

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٥) رواه مسلم وأحمد عن ابن عمر مرفوعاً .

على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي ، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه، قال: يا بني إنك لن تطعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله علي يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة »، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار (أ). وقد ثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله ابن عمرو قال، قال رسول الله علي إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة »، زاد ابن وهب: ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ (). وقوله تعالى: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة ﴾ أي إنما نأمر بالشيء مرة واحدة » لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمراً فإنمسا يقول له : كن – قولة – فيكون

وقوله تعالى: ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل ، ﴿ فهـــل من مدّكر ﴾ ؟ أي فهل من متعظ بمــا أخزى الله أولئك ، وقدّر لهم من العذاب ، كما قال تعالى: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ أي مكتوب عليهم الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ، ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ أي من أعمالهم ﴿ مستطر ﴾ أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وقد روى الإمام أحمد ، عن عائشة أن رسول الله علي الله عائشة إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » " ، وقوله تعالى: ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر ، والسحب في النار على وجوههم ، مع التوبيخ والتقريب والتهديد ، وقوله تعالى: ﴿ في مقعد صدق ﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه ، وفضله وامتنانه ، ، وجوده وإحسانه ﴿ عند مليك مقتدر كي ما يشاء ثما يطلبون ﴿ عند مليك مقتدر على ما يشاء ثما يطلبون ويريدون ، وقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي يُؤلِي قال : و المقسطون عند الله على منابر ويريدون ، وقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي يؤلي قال : و المقسطون عند الله على منابر ويريدون ، وقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي يؤلي قال : و المقسطون عند الله على منابر ويريدون ، وين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكهم وأهليهم وما ولوا »(*) .

[آخر تفسير سورة اقتربت ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة]

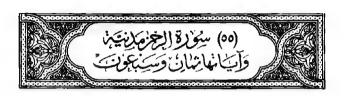
* * *

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

⁽٢) أخرجه مسلم والترمذي .

⁽٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة .

⁽٤) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي .



روى الترمذي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله عَلَيْكُم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله تعالى: ﴿ فَبأَي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا: لا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ه\".

الرَّحْمَنُ ٢ عَلَمُ الْقُرَّانَ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَنَ ﴿ عَلَفَ الْإِنسَانَ ﴿ عَلَفَ الْبَيَانَ ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانِ ﴿ وَالنَّجْمُ وَالْمُورُونَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمِ ﴾ وَالْمُعْهَا لِلْأَنَامِ ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمِ ﴾ وَالْمُعْمَا لِلْأَنَامِ ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ وَالْمُعْمَا لِللَّالَةِ وَلِيَّا اللَّهُ اللهِ اللهُ اللهُ

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه، أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه، فقال تعلى: ﴿ الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ﴾ قال الحسن : يعني النطق، وقال الضحاك : يعني الخير والشر، وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها، على اختلاف مخارجها وأنواعها ، وقوله تعالى: ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ أي يجريان متعاقبين بحساب مقتن ، لا يختلف ولا يضطرب . ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ اختلف المفسرون

⁽١) أخرجه الترمذي ورواه الحافظ البزار وابن جرير بنحوه .

في معنى قوله ﴿ والنجم ﴾ ؛ فروي عن ابن عباس ﴿ النجم ﴾ ما انبسط على وجه الأرض، يعني من النبات ١٠ ، وقال مجاهد: النجم الذي في السهاء، وكذا قال الحسن وقتادة، وهذا القول هو الأظهر والله أعلم، لقوله تعالى: ﴿ أَلَم تَر أَنَّ الله يسجد له من في السهاوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ والسهاء رفعها ووضع الميزان ﴾ يعني العدل، كما قال تعالى: ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ وهكذا قال ههنا: ﴿ أَلا تطغوا في الميزان ﴾ أي خلق السهاوات والأرض بالحق والعدل، ولهذا قال تعالى: ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ أي السهاء أرساها بالجبال الشامخات، لتستقر بما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم في سائر أقطارها وأرجائها، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: الأنام: الخلق، ﴿ فيها فاكهة ﴾ أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح، ﴿ والنخل ذات الأكمام ﴾ أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكمام: قال ابن عباس: هي أوعية الطلع، وهو الذي يطلع فيه القنو، ثم ينشق عن العنقود فيكون بسراً ثم رطباً، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه، وقيل الأكمام رفاتها، وهو الليف الذي على عنق النخلة، وهو قول الحسن وقتادة، ﴿ والحب ذو العصف والريحان ﴾ قال ابن عباس: ﴿ ذو العصف ﴾ يعني التبن، النخلة، وهو قول الحسن وكذا قال قتادة والضحاك: وعنه: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس، وكذا قال قتادة والضحاك: عصف وهو ما على السنبلة، وريحان وهو عصفه: تبنه، وقال ابن عباس ومجاهد: والريحان يعني الورق، وقال الحسن: هو ريحانكم هذا، ومعنى هسذا والله أعلم – أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما، له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها، وقيل: العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا، والريحان الورق يعني إذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

وقولا له : من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا ويخرج منه حب في رؤوسه فني ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى : ﴿ فَبَأَي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان؟ أي النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجن : « اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد » وكانابن عباس يقول : لا بأيها يا رب، أي لا نكذب بشيء منها.

خَلَقُ ٱلْإِنسَنَ مِن صَلْصَلِ كَٱلْفَخَّارِ ﴿ وَخَلَقُ ٱلْحَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿ فَي فَيِأَيِّ اَلآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ وَيَ فَيِأَيِّ اَلْاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ مَنْ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ وَبِأَيِّ اللّهَ وَبِحُما تُكذِّبَانِ ﴿ مَنْ مَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي عَلْكُ عَلَيْهِ اللّهِ وَبِكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ عَنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي عَلَيْ عَالاً ء وَبِكُما تُكَذِّبَانِ ﴿ عَنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي عَلَيْ عَالاً ء وَيَنِّكُما لَكُو الْمُولُولُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ مَا اللّهُ وَلُولُولُوا وَالْمَرْجَانُ ﴿ فَي عَلَيْهِ عَالاً عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ وَالْمَرْجَانُ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ وَالْمَرْجَانُ اللّهِ وَالْمَرْجَانُ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهَ وَالْمَوْلُولُولُوا وَالْمَرْجَانُ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ وَالْمُولُولُولُوا اللّهُ وَالْمَرْجَانُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ وَلَوْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْلُولُ وَالْمَرْجَانُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ وَلُولُولُولُولُولُولُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلُولُولُولُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللل

⁽١) وهو قول سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري واختاره ابن جرير

رَبِّكُمَّا تُكَذِّبَانِ ﴿ وَلَهُ ٱلْحَوَارِ ٱلْمُنشَعَاتُ فِي ٱلْبَحْرِكَالْأَعْلَىمِ ﴿ فَبِأَي ءَالْآءِ رَبِّكُمَّا تُكَذِّبَانِ ﴿

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، وهو طرف لهبها، قاله ابن عباس ابن عباس ابن عباس ابن عباس ابن عباس المنارج من ناركه من خالص النار، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم، وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت، قال رسول الله على النار، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم، وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت، قال رسول الله على الله على المنازكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم محما وصف لكم الكم الله تعالى: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان كه ؟ تقدم تفسيره، ﴿ رب المشرق والمغارب كه وذلك باختلاف مطالع الصيف والشتاء، وقال: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب كه وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس، وقال: ﴿ رب المشرق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان كه ؟ وقوله تعالى : ﴿ مرج البحرين كه قال ابن عباس : أي أرسلهما ، وقوله فل : ﴿ ولبنتها من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله بالبحرين كه قال ابن زيد : أي منعهما أن بلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بالبحرين كه المناح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس الله وقد اختار ابن جرير : أن المراد بالبحرين المناب وبحر الأرض، لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السهاء وأصداف بحر الأرض، وهذا لا يساعده اللفظ، فإنه بعر السهاء، وبحر الأرض، وهذا لا يساعده اللفظ، فإنه تعالى قد قال ﴿ بينهما برزخ لا يبغيان كه أي وجعل بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا على هذا ، فيفسد كل واحد منهما الآخر ، وما بين السهاء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً .

وقوله تعالى: ﴿ يَخرِج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ أي من مجموعهما ، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفي ، كما قال تعالى ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ؟ والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان فقيل : هو صغار اللؤلؤ () ، وقيل : كباره وجيده ، حكاه ابن جرير عن بعض السلف () ، وقيل : هو نوع من الجواهر أحمر اللون ، قال ابن مسعود : المرجان الخرز الأحمر . وأما قوله : ﴿ ومن كُلُ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾ ، فاللحم من كل من الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من المالح دون العذب ، قال ابن عباس : ما سقطت قط قطرة من السهاء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟ وقوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ يعني السفن التي تجري ﴿ في البحر ﴾ قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت . وقال قتادة : المنشآت يعني المخلوقات ، وقال غيره : المنشئات بكسر الشين

⁽١) وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد .

⁽٢) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

 ⁽٣) تقدم الكلام على هذا في سورة الفرقان .

⁽٤) قاله مجاهد وقتادة والضحَّاك .

⁽٥) منهم الربيع بن أنَس وابن عباس ومرة الهمداني .

يعني البادثات ، ﴿ كَالْأَعَلَامِ ﴾ أي كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿ فِبْأَي الاه رَبَّكَا تَكَذَبَانَ ﴾ ؟ عن عمرة بن سويد قال : « كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطى الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ، ثم قال : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله » (١) .

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴿ وَيَبْغَنَى وَجُهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْحَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ۞ فَبِأَيْ ءَالآء رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَسْعَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُو فِي شَأْنِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالْآء رَبِّكَا تُكذِّبَانِ ۞

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السياوات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس هو الحي الذي لا يموت أبداً، قــال قتادة: أنبأ بمــا خلق، ثم أنبــأ أن ذلك كله فانٍ، وفي الدعاء المــأثور : يا حي يا قيوم، يا بديع السياوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إلَّه إلا أنت، برحمتك نستغيث، أصلح لنــا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك . وقال الشعبي: إذا قرأت: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانَ ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام، أي هو أهل أن يُجل فلا يُعصَى، وأن يُطاع فلا يُخالف، كقوله تعالى: ﴿ يريدون وجهه ﴾، وكقوله: ﴿ إنمَا نطعمكم لوجه الله ﴾. قال ابن عباس: ﴿ ذُو الجلال والإكرام ﴾ ذو العظمة والكبرياء ، ولمَــا أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل، قال: ﴿ فِبْأَي آلاء رَبَّكَمَا تَكَذَّبَانَ ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السهاوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ وهذا إخبار عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن، قال الأعمش: من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشني سقياً، وقال مجاهد: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً، ويجيب مضطراً، ويغفر ذنباً، وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السهاوات والأرض يحيي حياً ويميت ميتاً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم، وروى ابن جرير عن منيب الأزدي قال: تلا رسول الله عَلَيْظُ هذه الآية: ﴿ كُلُّ يُومُ هُو فِي شَأْنُ﴾ فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: « أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومـــأ ويضع آخرين »^٣ . وقال ابن عباس: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه يا قوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السهاء والأرض ، ينظر فيه كل يوم ثلثماثة وستين نظرة ، يخلق في كل نظرة ، ويحيى ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء ٣٠٠.

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

 ⁽۲) أخرجه ابن جرير مرفوعاً ورواه البخاري موقوفاً من كلام أبي الدرداء .

سَنَفُرُغُ لَكُرُّ أَيَّهُ ٱلثَّقَلَانِ ﴿ فَيِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ يَسْمَعْشَرَ ٱلِحُنِّ وَٱلْإِنِسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمُّ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَنَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَئِنِ ﴿ فَبِأَي ءَالَآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظُ مِن نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿ فَهِ أَيْ عَالَا وَرَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ قال: وعيد من الله تعالى للعباد، وليس بالله شغل وهو فارغ، وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لحظه، وقال ابن جريج: ﴿ سنفرغ لكم ﴾ أي سنقضي لكم، وقال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأفرغن لك، وما به شغل يقول: لآخذنك على غرتك، وقوله تعالى: ﴿ أيها الثقلان ﴾ الثقلان: الإنس والجن كما جاء في الصحيح: يقول: لآخذنك على غرتك، وفي رواية: « إلا الإنس والجن »، وفي حديث الصور: « الثقلان الإنس والجن » وفي أبأي آلاء ربكا تكذبان ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعم أن تنفذوا من أقطار السهاوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ أي لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم لا تقدرون على والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ أي إلا بأمر الله، ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر » ولهذا التخلص من حكمه، أيها ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿ إلا بسلطان ﴾ أي إلا بأمر الله، ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر » ولهذا قال تعالى: ﴿ يُونحاس ﴾ قال ابن عباس؛ لأخضر المنقطع، وقال الضحاك؛ ﴿ ونحاس ﴾ قال ابن عباس؛ الشواظ الدخان، وقال بها عباهد: هو اللهب الأخضر المنقطع، وقال الن جرير؛ والعرب تسمي الدخان نحاساً. روى الطبراني عن الضحاك؛ أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال؛ هو اللهب الذي لا دخان معه، ضأله الطبراني عن الضحاك أن ذلك من اللغة، فأنشده بيت أمية بن أي الصلت في حسان ؛

ألا من مبلغ حسان عني مُغَلَّغلة تدب إلى عكاظ^(۱) أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات فَسْلا في الحِفاظ يمانياً يظل يشد كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

قال: صدقت، فما النحاس ؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل تعرفه العرب ؟ قال: نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يضيء كضوء سراج الســلي ط لم يجعل الله فيه نحاساً ٣

وقال مجاهد: النحاس الصفر يذاب فيصب على رؤوسهم، والمعنى: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا، ولهذا قال: ﴿ فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟

⁽١) معنى مغلغلة : أي رسالة ، قين : أي عبد ، فَسْل : أي ضعيف عابر .

⁽٢) رواه الطبراني عن الضحّاك عن نافع بن الأزرق .

فَإِذَا انشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿ فَبِأَيْ اَلاَهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ فَيَوْمَهِ لَا يُسْعَلُ عَن ذَنْبِهِ قَ إِنْسُ وَلَا جَآنَّ ﴿ فَيَأْيٌ عَالَاهِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَهُمْ فَيُوْخَدُ بِالنَّوْصِى وَالْأَقْدَامِ ۞ فَبِأَيْ اَلَا وَرَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ۞ هَنْدِهِ مَجَهَمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۞ يَعُلُونُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ اللهِ ۞ فَبِأَيْ اللّهِ وَرَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ۞

ي**قول تعالى** : ﴿ فَإِذَا انشقت السهاء ﴾ يوم القيامة كما دلت عليه الآيات الواردة في معناها، كقوله تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهـي يومئذ واهية ﴾، وقوله: ﴿ ويوم تشقق السماء بِالغِمام ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾، وقوله: ﴿ إِذَا السَّاء انشقت وأَذَنت لربها وحقت ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَكَانَتُ وَرَدَةٌ كَالدَّهَانَ ﴾ أي تذوب كما يذوب الدُّردِيۗ (الفضة في السبك ، وتتلون كمــا تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . عن أنَس بن مالك قال ، قال رسول الله عَلَيْكُم : « يبعث النــاس يوم القيامة والسهاء تطش عليهم عليهم الله عليهم الله المجوهري: الطش المطر الضعيف، وقال ابن عباس: ﴿ وردة كالدهان ﴾ كالأديم الأحمر ، وعنه كالفرس الورد، وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان، وقال الحسن البصري : تكون ألواناً ، وقال السدي : تكون كلون البغلة الوردة ، وتكون كالمهل كدردي الزيت، وقال مجاهد : ﴿ كالدهان﴾ كألوان الدهان، وقال عطاء الخُراساني: كلون دهن الورد في الصفرة، وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومثذ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان، وقال أبو الجوزاء، في صفاء الدهن، وقال ابن جريج: تصير السهاء كالدهان الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم، وقوله تعالى: ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ ، وهذه كقوله تعالى: ﴿ هَذَا يُومُ لَا يَنْطَقُونَ وَلَا يُؤْذَنَ لِمُ فِيعَنْدُرُونَ ﴾ فهذا في حال ، و « ثُمَّ » في حال، يسأل الخلائق عن جميع أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ فوربكُ لُنسَالُنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾، ولهذا قال قتادة ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾، قال: قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيــديهم وأرجلهم بمـا كانوا يعملون ، قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا، فهذا قول ثان، وقال مجاهد في هذه الآية: لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفون بسياهم، وهذا قول ثالث، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النـــار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى: ﴿ يَعْرُفُ الْمُجْرُمُونَ بِسَيَاهُمْ ﴾ أي بعلامات تظهر عليهم، وقال الحسن وقتادة: يعرفون باسوداد الوجوه وزرقة العيون، (قلت) : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء .

وقوله تعالى: ﴿ فِيُوْخَذُ بالنواصي والأقدام ﴾ أي يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك، وقال ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور، وقال الضحّاك: يجمع بين ناصيته وقدميه

⁽١) الدردي : ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والأدهان .

⁽٢) رواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك .

في سلسلة من وراء ظهره، وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتر بط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره، وقوله تعالى: ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ﴾ أي هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً، وقوله تعالى: ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ أي تارة يعذبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالى: ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ . وقوله تعالى ﴿ آن ﴾ أي حار قد بلغ الغاية في الحرارة قال ابن عباس: قد انتهى غليه واشتد حرّه، وقال محمد بن كعب القرظي : يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس، وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿ في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ فقوله ﴿ حميم آن ﴾ أي حميم حار جداً، ولما كان معاقبة العصاة المجرمين، وتنعيم المتقين من فضله ورحمته، وكان إنذره لهم عن عذابه وبأسه، مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي، قال ممتناً بذلك على بريته: ﴿ فبأي آلاء ربكما نكذبان ﴾ ؟

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِهِ ۽ جَنَّتَانِ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ ذَوَاتَاۤ أَفْنَانِ ﴿ فَبِأَيْ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ فَهِمَا مِن كُلِّ فَكُمَةٍ زَوْجَانِ ﴿ فَبِأَيْ ءَالَآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَكُمَةٍ زَوْجَانِ ﴿ فَبِأَيْ ءَالَآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَان ﴾ وَيَهما مِن كُلِّ فَكُمَةٍ زَوْجَانِ ﴿ فَا فَيَا مِنَاكُمْ لَا عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ مَا مِن كُلِّ فَكُمْ اللَّهِ وَيَهما مِن كُلِّ فَكُمْ إِنَا اللَّهِ وَيَهما مِن كُلِّ فَكُمْ إِنَا اللَّهِ وَيَهما مِن كُلُو فَكُمْ إِنَا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهِ وَيَهما مَن كُلُو فَكُمْ إِنَا اللَّهِ وَمِنْ اللَّهِ مَا مُن كُلُونُ وَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

قال عطاء الخُراساني: نزلت هذه الآية ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ في أبي بكر الصديق، وقال عطية ابن قيس: نزلت في الذي قال: أحرقوني بالنار لعلي أضل الله، قال تاب يوماً وليلة، بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة ()، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول الله تعالى: ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما روى البخاري رحمه الله عن عبدالله بن قيس، أن رسول الله يَها قال: ﴿ جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وفي قوله: ﴿ ومن دونهما وما فيهما، وفي قوله: ﴿ ومن دونهما حماد: ولا أعلمه إلا قمد رفعه في قوله تعالى: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾، وفي قوله: ﴿ ومن دونهما أن رسول الله يَها هذه الآية ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾، وفي السرة ؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق ؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق ؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق ؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن رنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن سرق يارسول الله؟ فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت: وإن سرق يأنف أبي المدواء () ، وهذه الآية عامة في الإنس والجن فهي من أدل

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه البخاري وبقية الجماعة إلا أبا داود .

⁽٣) رواه النسالي مرفوعاً وموقوفاً .

دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على النقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم نعت هاتين الجنتين فقال: ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أي أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة، ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟ هكذا قال عطاء وجماعة : أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضاً، وقال عكرمة ﴿ ذواتا أفنان ﴾ يقول : ظل الأغصان على الحيطان ، ألم تسمع قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

وعن ابن عباس ﴿ ذُواتا أفنان ﴾ : ذواتا ألوان ، ومعنى هذا القول أن قيهما فنوناً من الملاذ واختاره ابن جرير ، وقال عطاء : كل غصن يجمع فنوناً من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ واسعتا الفناء ، وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله على وذكر سلرة المنتهى فقال : « يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة – أو قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب – فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » (١) ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ أي تسرحان لستي تلك الأشجار والأغصان ، فراش الذهب كأن ثمرها القلال » (١) ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ أي تسرحان السي تلك الأشجار والأغصان ، فتثمر من جميع الألوان قال الحسن البصري : إحداهما يقال في تسنيم ، والأخرى السلسبيل ، وقال عطية : إحداهما من ماء غير آسن ، والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أي من ماء غير آسن ، والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أي من جميع أنواع الثمار ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿ فبأي آلاء ربكا تكذبان ﴾ فال بونا عظماً وفرقاً بيناً في الدنيا مما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة ، وليس في الدنيا مما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء ، يعني أن بين ذلك بوناً عظماً وفرقاً بيناً في التفاضل .

مُتَكِينَ عَلَى فُرُسُ بَعَلَا بُهَا مِنَ إِسَّبَرِقِ وَجَنَ الْجَنَّيْنِ دَانِ فَي فَيْ عَالَا وَرَبِّكُما تُكَذِبانِ فَي فِيمِنَ فَيصِرْتُ الطَّرْفِ لَمْ يَظْمِينُهُ اللّهَ وَرَبِّكُما تُكَذِبانِ فَي فَيْلِ الْإَحْسَنُ لَيْ فَيْلِي عَالاً وَرَبِّكُما تُكَذَبانِ فَي فَيْلِي عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي فَيْلِي عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي فَيلِي عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي فَيلِي عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي مَلْ جَرَآءُ الْإِحْسَنِ إِلّا الْإِحْسَنُ فَي فَيلًى عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي فَيلًى عَالاً وَرَبِّكُما تُكذّبانِ فَي عَلَى فَي فَيلًا عَنَى عَالاً عَلَى وَهِ مَا عَلَظ مِن الديباج، وقيل: هو الديباج المزين بالذهب، فنبه على التربيع ﴿ على فرش بطائنها من استبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، وقيل: هو الديباج المزين بالذهب، فنبه على التربيع في على الطهارة بشرف البطائنة، فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى، قال ابن مسعود: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ؟ قال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور، وقال الثوري: بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ وظواهرها من نور جامد، وقال القاسم بن محمد: بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ﴿ وقال القاسم بن محمد: بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ﴿ ووجنى الجنتين دان ﴾ أي ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه، على أي صفة كانوا كما قال تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾، وقال: ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ﴾ أي لا تمنع من تناولها بل تنحط إليه من أغصانها ﴿ فَبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿ فين ﴾ أي في الذير قاصرات الطرف ﴾ أي غضيضات عن غير ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿ فين ﴾ أي في الذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿ فين هو أي أي الذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿ فين ﴾ أي في الذير قاصرات الطرف ﴾ أي غضيضات عن غير

⁽١) أخرجه الترمذي في سننه .

أزواجهن، فلا يرين شيئًا في الجنة أحسن من أزواجهن، وقــد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا في الجنة شيئاً أحب إليّ منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك، ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانكه أي بل هن أبكار عرب أتراب، لم يطأهن أحـــد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة، سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال: نعم، وينكحون، للجن جنيات وللإنس إنسيات، وذلك قوله: ﴿ لَمْ يَطَمُّهُنَّ إِنْسَ قَبْلُهُمْ وَلَا جَانَ ؞ فَبْأَي آلاء ربكما تكذبانَ ﴾ ١ ثم قال ينعتهن للخطاب ﴿ كَأَنْهِن الياقوت والمرجان﴾ قال مجاهد والحسن : في صفاء الياقوت وبياض المرجان ، فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ ، عن عبدالله بن مسعود عن النبي مُؤَلِّقُه قال: « إن المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها » وذلك قوله تعالى: ﴿ كَأَنْهِنَ الْيَاقُوتَ وَالْمُرْجَانَ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من وراثه »^(۱) . وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « للرجل من أهل الجنةزوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقهامن وراء الثياب »^{١١)} وعن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء، فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم ﷺ: ٩ إن أول زمرة تلخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على ضوء كوكب دري في السهاء « لكل إمرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب ؟ »٣٪. وروى الإمام أحمد، عن أنَس أن رسول الله عَلِيُّكُم قال: « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده – يعني سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولطاب ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها 🕪 .

وقوله تعالى: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ أي ليس لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ . روى البغوي، عن أنس بن مالك قال، قرأ رسول الله عليه على الله على التوحيد إلا الجنة » أو الماكن في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل، بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿ فِنْ ي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟

وَمِن دُونِهِمَا جَنْتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَا مَّنَانِ ۞ فَبِأِيِّ اَلَآهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَشَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَكَهَةٌ وَنَحْلُ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَبْرَاتُ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُما ثُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ مَّقْصُورَتُ فِي الْخِبَامِ تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَبْرَتُ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُما ثُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ مَّقْصُورَتُ فِي الْخِبَامِ

⁽١) رواه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً ، والموقوف أصح .

 ⁽٢) تفرد به الإمام أحمد .

⁽٣) الحديث مخرج في الصحيحين .

 ⁽٤) أخرجه أحمد ورواه البخاري بنحوه .
 (٥) ذكره البغوي من حديث أنس بن مالك .

﴿ فَيِأْيَ الآهِ رَبِّكُمَ تُكَذِّبَانِ ﴿ لَمُ يَطْمِثُهُنَ إِنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآتُ ﴿ فَيَأَيِّ الآهِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿ فَيَأْتِ اللَّهِ مَا لَكُونِ عَلَى رَفْرُفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِي حِسَانِ ﴿ فَيَأْتِي اللَّهِ رَبِّكُا تُكَذِّبَانِ ﴿ تَبَارُكَ الْمُ رَبِّكَ ذِى الجَلَلْلِ مُنْ كَالِّهُ كُلُولِ مَنْ مَا لَهُ وَعَبْقَرِي حِسَانِ ﴿ فَيَا اللَّهِ رَبِّكُا تُكَذِّبَانِ ﴿ تَالَمُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهِ كُولِ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا مُعَلِّمُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا مَا اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مَا اللَّالِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مَا اللّ

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما، في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَمَن دُو نهما جنتانَ ﴾ وقد تقدم في الحديث: « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ». فالأوليان للمقربين، والأخريان لأصحاب اليمين . وقال أبو موسى: جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين، وقال ابن عباس : ﴿ ومن دو نهما جنتان ﴾ من دو نهما في الدرجة .وقال ابن زيد : من دو نهما في الفضل ؛ ﴿ مدهامتان ﴾ أي سوداوان من شدة الري من الماء ، قال ابن عباس ﴿ مدهامتان ﴾ قــد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء، وعنه ﴿ مدهامتان ﴾ قال: خضروان. وقال محمد بن كعب: ممتلئتان من الخضرة، وقال قتادة: خضروان من الري ناعمتان ، ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض، وقال هناك: ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ وقال ههنا: ﴿ نضاختان ﴾ قال ابن عباس: أي فياضتان والجري أقوى من النضخ، وقال الضحّاك ﴿ نَصَاحْتَانَ ﴾ أي ممتلئتان ولا تنقطعان ، وقال هناك: ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ وقال ههنا ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾، ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على ﴿ فَاكُهَ ﴾ وهي نكرة في سياق الاثبات لا تعم، ولهذا ليس قوله: ﴿ ونحل ورمان ﴾، من باب عطف الخاص على العــام، كما قرره البخاري وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما، عن عمر بن الخطاب قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال: « نعم فيها فاكهة ونخل ورمان »، قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال : « نعم ، وأضعاف »، قالوا: فيقضون الحوائج ؟ قال : « لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب ما في بطونهم من أذى ،(١) . وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: « نحل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة ، منها مقطعاتهم ومنها حللهم ، وورقها ذهب أحمر ، وجذوعها زمرد أخضر ، وتمرها أحلى من العسل وألين من الربد وليس له عجم » . وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله عَلِيُّة قال: « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانهـــا كالبعير المقتب »™، ثم قال: ﴿ فيهن خيرات حسان﴾ قيل: المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة، وقيل: ﴿ خيرات ﴾ جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور ، وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله أن الحور العين يغنين : « نحن الخيِّرات الحسان. خلقنا لأزواج كرام » ولهذا قرأ بعضهم: ﴿ فيهن خيّرات ﴾ بالتشديد ﴿ حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾، ثم قال: ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ ، وهناك قال: ﴿ فيهن قاصرات الطرف﴾ ولا شك أن التي قـــد قصرت طرفها بنفـــها أفضل ممن قَصِرت وإن كان الجميع مخدرات ، قال ابن أبي حاتم، عن عبدالله بن مسعود قال: إن لكل مسلم خيرة ولكل

⁽١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده .

⁽٢) أخرجهما ابن أبي حاتم .

خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، تدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات، ولا بخرات، ولا زفرات، حور عين كأنها بيض مكنون.

وقوله تعالى: ﴿ فِي الخيام ﴾ قال البخاري، عن عبدالله بن قيس أن رسول الله عليهم المؤمنون ، ورواه مسلم من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون ، ورواه مسلم بلفظ: وإن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » . وقال ابن أبي حاتم ، عن أبي الدرداء قال: لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من در (١٠ . وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ قال: خيام اللؤلؤ ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب (١٠ . وقال عبدالله بن وهب ، عن أبي سعيد عن النبي عليه قال: وأدنى أهل الجنة منزلة الذي له ممانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ه (١٠ . وقوله تعالى: ﴿ لم يطمشن إنس قبلهم ولا جان ﴾ قد تقدم مئله سواء إلا أنه زاد في وصف الأواثل بقوله: ﴿ كأنهن الباقوت والمرجان » فبأي آلاء ربكا تكذبان ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ متكثين على رفرف خضر وعبقري حسان ﴾ قال ابن عباس: الرفرف المحابس، وكذا قال مجاهد وعكرمة مها الحابس، وكذا قال مجاهد وعكرمة مي الحابس، وقال الحسن البصري، وقال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة، وقوله تعالى: ﴿ وعبقري حسان ﴾ قال ابن عباس والسدي: العبقري الديباح . الرفرف رياض الجنة، وقوله تعالى: ﴿ وعبقري حسان ﴾ قال ابن عباس والسدي: العبقري الديباح .

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى ﴿ وعبقري حسان ﴾ فقال: هي بسط أهل الجنة لا أباً لكم فاطلبوها ، وقال أبو العالية: العبقري الطنافس المحملة إلى الرقة ما هي ، وقال القيسي : كل ثوب موشّى عند العرب عبقري ، وعلى كل تقدير فصف مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة ، فإنه قد قال هناك: ﴿ متكثين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ ، فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن وتمام المخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ؟ فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخيرتين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين ، عمل الم تابل والإكرام ﴾ أي هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر غلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس ﴿ ذي المجلل والإكرام ﴾ : ذي العظمة والكبرياء . و أجلوا فلا يخفر لكم " في رواية : « ألِفلُوا بيا ذا الجدلال والإكرام » . وفي رواية : « ألِفلُوا بيا ذا الجدلال والإكرام » . وفي رواية : « ألِفلُوا بيا ذا الجدلال والإكرام » . وفي رواية : « ألِفلُوا بندي المجلال

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاحم .

⁽٣) أخرجه الترمذي في سنه .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد .

⁽a) رواه الترمذي .

والإكرام °° . وقال الجوهري: ألظ فلان بفلان إذا لزمه، وقول ابن مسعود : ألظوا بياذا الجلال والإكرام : أي الزموا، يقال: الإلظاظ هو الإلحاح، وفي صحيح مسلم، عن عائشة قالت : كان رسول الله عظي إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »° .

[آخر تفسير سورة الرحمن ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه النسائي وأحمد .

⁽٢) أخرجه مسلم وأصحاب السنن .



روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن مسعود بسنده عن أبي ظبية قال: مرض عبدالله مرضه الذي توفي فيه، فعاده (عثمان بن عقّان) فقال: ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بعطاء ؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أنحشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، وإني سمعت رسول الله عقول: ه من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ه\(الله على أحمد عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله على السلوات كنحو من صلاتكم، التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في القجر الواقعة ونحوها من السور ألله .

بِنْ لِشَالِمَّنِ ٱلرَّحِبِ لِللهِ الرَّمَنِ ٱلرَّحِبِ مِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١ لَيْسَ لِوَقَعَتِهَا كَاذِبَةً ﴿ خَافِعَةٌ رَافِعَةً ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿ وَبُسَتِ آلِحُبَالُ بَسَنَةٍ ﴿ وَلَكُنْ الْمُنْعَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَنْعَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَنْعَنَةِ ﴿ وَكُنْمُ أَزُواجًا ثَلَاثَةً ﴿ فَأَصْحَبُ الْمَنْعَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَنْعَنَةِ ﴿ وَكُنْمُ أَزُواجًا ثَلَاثَةً ﴿ فَالْعَبُ الْمُنْعَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُنْعَمَةِ ﴿ وَالسَّنِهُونَ السَّيْقُونَ ﴿ وَالسَّنِهُونَ السَّيْقُونَ ﴿ وَالسَّنِهُ وَالسَّيْقُونَ السَّيْقُونَ ﴿ وَالسَّنِهُ وَالسَّنِهُونَ السَّيْقِونَ السَّيْقِونَ السَّيْقِونَ السَّنَعَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُنْعَمِدُ وَالسَّنِهُ وَالسَّنِهُونَ السَّيْقُونَ ﴿ وَالسَّالِ الْمُنْعَمِلُ الْمُنْعَمِلُ الْمُنْعَلِقُ الْمُعْرَبُونَ السَّنْعَالَ الْمُنْعَمِدُ الْمُنْعَمِدُ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا لِمُنْعَلِقُونَ السَّنِهُ وَاللَّالِمُ الْمُنْعَمِينَ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا لَهُ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَالِقُونَ السَّنْعِقُونَ السَّالِي الْمُنْعَمِينَا الْمُنْ وَالْمُ وَالْمَالِمُ اللْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَالَ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْ الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَمِينَا الْمُنْعَلِيمُ الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِلَى الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِمِينَا الْمُعْلِقُونَ الْمُنْعِمِينَا الْمُنْعِلَى الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُنْعُلِيمِ الْمُنْعِلَمُ الْمُنْعُلِينَا الْمُنْعِلَعُلِيمُ الْمُعْتَمِ الْمُعْتَمِلِينَا الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَعِلَّالِمُ الْمُعْتَالِعُ الْمُعْتَالُ وَالْمُعْتِمُ الْمُعْتَعِلَمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعِلَّالِمُ الْمُعْتَعِلَمُ الْمُعْتَعِلَمُ الْمُعْتَعِلَّالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتِلُونَ الْمُعْتِعِلَّا الْمُعْتِمُ الْمُعْتِعُونَ الْمُعْتَالِمُ الْمُعْتَالِمُ الْمُعُلِمُ

الواقعة من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى: ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أي ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ ، وقال : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ﴾ ، ومعنى ﴿ كاذبة ﴾ أي لا بد أن تكون ، قال قتادة : ليس فيها ارتداد ولا رجعة ، قال ابن جرير :

⁽١) رواه ابن عساكر وأبو يعلى، وقال بعده : فكان أبو ظبية لا يدعها .

⁽٢) رواه الإمام أحمد في المسند .

والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية، وقوله تعالى: ﴿ خافضة رافعة ﴾ أي تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، وعن ابن عباس: ﴿ خافضة رافعة ﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين، وقال عثمان بن سراقة: الساعة خفضت أعداء الله ابن عباس: ﴿ خافضة رافعة ﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين، وقال عثمان بن سراقة: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة، وقال محمد بن كعب: تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وقوله تعالى: ﴿ إذا رجت كانوا في الدنيا مخفوضين، وقال السلي: خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين، وقوله تعالى: ﴿ إذا رجت الأرض رجّاً ﴾ أي حركت تحريكاً فاهترت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد ﴿ إذا رجت الأرض رجّاً ﴾ أي زلزلت زلزلاً، وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه، كقوله تعالى: ﴿ وبست الجبال ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾، وقال تعالى: ﴿ وبست الجبال كما قال الله تعالى ﴿ كثيباً مهيلاً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وكنت هباء منبئاً ﴾ أي فتتت فتاً، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى ﴿ كثيباً مهيلاً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فكانت هباء منبئاً ﴾ عن على رضي الله عنه ؛ هباء منبئاً كوهج الفبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء، وقال ابن عباس: الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً، وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الربح وبثته، وقال قتادة: ﴿ هباء منبئاً ﴾ كيابس الشجر الذي تذروه الرباح ، وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها ونسفها أي قلعها وصير ورتها كالعهن المنفوش .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزُواجاً ثَلاثَةً ﴾ أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين يؤتون كتبهــم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار ، وطائفة سابقون بين يديه عزَّ وجلَّ وهم أحظى وأقرب من أصحاب اليمين، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين، لهذا قال تعالى: ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون ﴾ : وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أُورِثُنَا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظـالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه، قال ابن عباس ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ الآية . وقال يزيد الرقاشي : سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ وَكُنْتُم أَزُواجاً ثلاثة ﴾ قال: أصنافاً ثلاثة ، وقال مجاهد: ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ يعني فرقاً ثلاثة ، وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثة ، اثنان في الجنة وواحد في النار ، قالُ مجاهد: ﴿ والسابقونَ السابقونَ ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام، وقال السدي: هم أهل عليين ، وقال ابن سيرين ﴿ والسابقون السابقون ﴾ الذين صلوا ألى القُبلتين ، وقال الحسن وقتادة: ﴿ والسابقونُ السابقون ﴾ أي من كل أمة ، وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة ، أنه قرأ هذه الآية ﴿ والسابقون السابقون أولئك المَقربون﴾ ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله، وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات، كما أمروا ، كما قال تعالى: ﴿ وَسَارَعُوا إِلَى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السهاوات والأرض﴾، وقال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السهاءُ

والأرض ﴾ ، فن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تُدان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أُولئك المقربون في جنات النعيم ﴾ ، وقال ابن أبي حاتم ، قالت الملائكة : يا رب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ، فاجعل لنا الآخرة ، فقال : لا أفعل ، فراجعوا ثلاثاً ، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي ، كمن قلت له كن فكان ؛ ثم قرأ عبدالله : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ﴾ أ

* ثُلَةٌ مِّنَ الْأُوَّلِينَ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ عَلَى سُرُدِمَّوْضُونَةٍ ﴿ مُّتَّكِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِلِينَ ﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ثُخَلَدُونَ ﴿ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ لَأَيْصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ۞ وَخُودُ عِينٌ ۞ كَأْمُولِ اللَّهُ لُو الْمُكْنُونِ ۞ وَخُودُ عِينٌ ۞ كَأْمُولِ اللَّهُ لُو الْمَكْنُونِ ۞ جَزَاتُ بِكَ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلَا تَأْتِيمًا ۞ إِلَّا فِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۞ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ ثُلَّة ﴾ أي جمــاعة من الأولين، وقليل من الآخرين : وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولـين والآخريــن فقيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة، وهو اختبار ابن جرير ، واستأنس بقوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ، ولم يحك غيره ، وممــا يستأنس به لهذا القول ما رواه ابن أبي حاتم، عن أبي هر يرة قال: لما نزلت: ﴿ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ شقَ ذلك على أصحاب النبي ﷺ : ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ فقال النبي ﷺ : ﴿ إِنِّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني ٣٠٠٠. وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقــابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ ثُلَة من الأولين ﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ أي من هذه الأمة، قال ابن أبي حاتم، عن عبدالله ابن بكر المُزني : سمعت الحسن أتى على ُهذه الآية ﴿ والسابقُونَ السابقونَ، أُولئكَ المقربونَ ﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا ، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. ثم قرأ الحسن : ﴿ والسابقون السابقون • أولئك المقربون في جنات النعيم • ثُلَّة من الأولين﴾ قال: ثلة ممن مضى من هذه الأمة. وعن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ﴿ ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين ﴾ قال: كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة، فهذا قول الحسن وابن سيرين أنالجميع من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله عليه الله عليه قال: « خير القرون

⁽١) رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو موقوفاً .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم والإمام أحمد .

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ه^(۱) الحديث بتمامه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله على الممثل أمني مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ه أن فهذا الحديث محمول على أن الدين كما هو محتاج ألى أول الأمة في إبلاغه كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها، ولهذا قال عليه السلام: لا تزال طائفة من أمني ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة ه ألله .

وفي لفظ: «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك »، والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى متزلة لشرف دينها وعظم نبيها، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله عليها أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وفي لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفاً وفي آخر – مع كل واحد سبعون ألفاً »، وقد روى الحافظ الطبراني، عن أبي مالك قال، قال رسول الله عليها: «أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة كما جاء مع محمد عليها أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام » فقوله تعالى: ﴿ على سرر موضونة ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به فل الدر والياقوت، وقال ابن جرير: منسوجة بدف وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللائي .

وقوله تعالى: ﴿ متكثين عليها متقابلين ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحـد وراء أحـد ، ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أي مخلدون على صفة واحدة لا يشيبون ولا يتغيرون ، ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ أما الأكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان ، والأباريق التي جمعت الوصفين ، والكؤوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة ، وقوله تعالى : ﴿ لا يصدّعون عنها ولا يتزفون ﴾ أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال : « السكر ، والصداع ، والتيء ، والبول » فذكر المنا خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال ، وقال مجاهد وعكرمة ﴿ لا يصدّعون عنها ﴾ يقول : ليس لهم فيها صداع رأس ، وقالوا في قوله ﴿ ولا يتزفون ﴾ أي لا تذهب بعقولم ، وقوله تعالى : ﴿ وفا كهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ﴾ أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثار ، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، روى الطبراني عن ثوبان قال ، قال رسول الله عليه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، روى الطبراني عن ثوبان قال ، قال رسول الله عليه على إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها التخير لها ، روى الطبراني عن ثوبان قال ، قال رسول الله عليه على إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها

⁽١) أخرجه الشيخان .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين .

⁽٤) أخرجه الحافظ الطبراني .

 ⁽٥) وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك .

وَأَصْعَبُ ٱلْبَدِينِ مَا أَصْحَبُ ٱلْبَدِينِ ﴿ فِي سِدْرِ عَضُودٍ ﴿ وَطَلْحِ مَّنْضُودٍ ﴿ وَظِلِّ مَّمْدُودٍ ﴾ وَمَآو مَّسْكُوبٍ ۞ وَفَلَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَامَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۞ إِنَّا أَنشَأَكُ ۞ فَعَلَنْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَثْرَابًا ۞ لِأَصْحَبِ ٱلْبَدِينِ ۞ ثُلَةٌ مِّنَ ٱلْأُولِينَ ۞ وَثُلَةٌ مِنَ ٱلْآخِرِينَ ۞

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار، كما قال ميمون ابن مهران: أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين ، فقال فو وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في ما حالم وكيف مآلم ؟ ثم فسر ذلك فقال تعالى: في سدر مخضود في قال ابن عباس وعكرمة: هو الذي لا شوك فيه، وعن ابن عباس: هو الموقر بالشر، وقال قتادة: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الشمر، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الشمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما روى الحافظ أبو بكر النجار، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله عليه الذي قد أثقل أصله، كما روى الحافظ أبو بكر النجار، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله عليه شجرة يقولون: إن الله لذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله عليه : « وما هي ؟ » قال: السدر، فإن له شوكاً مؤذياً ، فقال رسول الله عليه لنبت ثمراً لا لبس الله تعالى يقول: في سدر مخضود في خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً

⁽١) أخرجه الحافظ الطبراني .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه ابن أبي الدنيا ، ورواه الترمذي .

⁽٤) رواه ابن أبي حاتم .

تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما فيها لون يشبه الآخر ،، وقوله: ﴿ وطلح منضود ﴾ الطلح: شجر عظام يكون بأرض الحجاز، من شجر العضاه واحدته طلحة، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة:

بشرها دليلهسا وقسالا غدأ ترين الطلح والجبسالا

قال مجاهد ﴿ منضود ﴾ : أي متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر ، قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري: والطلح لغة في الطلـع ، (قلت) وقـــد روي أن علياً يقول هذا الحرف في ﴿ طلح منضود﴾ قال : طلع منضود، فعلى هذا يكون من صفة السلىر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره والله أعلم . وعن أبي سعيد ﴿ وطلح منضود ﴾ قال: الموز (١٠) ، وأهل اليمن يسمون الموز : الطلح، ولم يحك ابن جرير غير هذا القول، وقوله تعالى: ﴿ وظل ممدود ﴾ روى البخاري، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: ﴿ إِن فِي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شتتم ﴿ وظل ممدود ﴾ . وقال الإمام أحمد، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ إِنْ فِي الجِنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، إقرأوا إن شئتم ﴿ وظل مملود﴾ " . وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها »(⁽¹⁾ ، فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أثمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقـــة رجاله . وقال الترمذي، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب »^(۵) . وقال الضحَّاك والسدي في قوله تعالى: ﴿ وظل ممدود ﴾ لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ، وقال ابن مسعود : الجنة سَجْسَج (٢٠ كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وقــد تقدمت الآيات كقوله تعالى : : ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ وقوله : ﴿ أَكلها دائم وظلها ﴾ ، وقوله ﴿ في ظلال وعيون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى: ﴿ وَمَاءُ مُسْكُوبٍ ﴾ قال الثوري: يجري في غير أخدود، وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ الآية ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

وقوله تعالى: ﴿ وَفَاكُهُمْ كَثَيْرَةُ لَا مُقطُّوعَةً وَلَا مُمْنِعَةً ﴾ أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، كما قال تعالى: ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقـــًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ﴾ أي يشبه الشكل الشكل، ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين

⁽١) وهو قول ابن عباس وأبي هريرة والمحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم .

⁽۲) رواه البخاري ومسلم .

⁽٣) أخرجه أحمد ورواه الشيخان .

⁽٤) أخرجه الشيخان .

⁽٥) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .

⁽١) سُجْسَج : أي لا حر ولا برد .

في ذكر سدرة المنتهى: فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر، وروى الحافظ أبو يعلى، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله عليه فتقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة، قال له أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه، قال: « إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السهاء والأرض لا ينقص منه » ((). وقوله تعالى: ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ أي لا تنقطع شتاء ولا صيفاً، من بين السهاء والأرض لا ينقص منه » (() . وقوله تعالى: ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ أي لا تنقطع من تناولها على دود ولا شوك ولا بعد، وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وقد تقدم في الحديث « إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى » .

وقوله تعالى: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ أي عالية وطيئة ناعمة ، روى النسائي عن أبي سعيد عن النبي عليه في قوله تعالى: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة أمانين سنة " ، وقوله تعالى: وعن الحسن: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة أمانين سنة " ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنشَاء ه فجعلناهِن أبكاراً عرباً أتراباً ه الأصحاب اليمين ﴾ جرى الضمير على غير مذكور " لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن ، قال الأخفش في قوله تعالى ﴿ أَنَا أَنشَاهِنَ ﴾ أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك ، وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى : ﴿ إِنَا أَنشَأَناهِنَ ﴾ أي أعدناهن في النشأة الأخرى بعد ما كن عجائز رمصاً ، صرن ﴿ أَبكاراً عرباً ﴾ أي بعد الثيوبة عدن أبكاراً عرباً ، متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والملاحة ، وقال بعضهم ﴿ عرباً ﴾ أي غنجات ، عن أنَس بن مالك قال ، قال رسول الله على الله الشافا في قوله تعالى: ﴿ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَّا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَا أَنشَأَعُهُ يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا ، وقال عبد بن حميد قال : يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَا أَنشَأَناهِنَ إِنَّا أَنشَأَناهِنَ إِنَّا أَنشَأَناهِنَ إِنَّا أَنشَاهِنَ إِنَا أَنشَاهِنَ إِنْهَا وَهِي عجوز ، إِنَ الله تعالى يقول: ﴿ إِنَا أَنشَاهِنَ إِنْهَا وَهُ وَلِهُ اللهُ وَلِكَ اللهُ وَلَى يقول: ﴿ إِنَا أَنشَاهِنَ إِنْهَا وَهُ وَلِهُ وَلِكَ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهَا وَهُ وَلِكُ اللهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهُ اللهُ اللهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهُ اللهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهَا وَهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهُ اللهُ وَلَا أَنشَاهُنَ إِنْهُ اللهُ وَلَانَ أَنْهُ وَلَا أَنْ أَنشَاهُنَ إِنْهُ أَنْهُ وَلَا أ

وعن أم سلمة قالت، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ حور عين ﴾ قال: ﴿ حور » بيض ﴿ عين ﴾ ضخام العيون ، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ كَأْمَثَالَ اللَّؤُلُو المُكنُونَ ﴾ قال: ﴿ صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي ﴾ قلت: أخبرني عن قوله: ﴿ كَأْنَهَن بيض مكنونَ ﴾ قال: حسان ﴾ قال: ﴿ خيرات الأخلاق حسان الوجوه ﴾ ، قلت: أخبرني عن قوله: ﴿ كَأْنَهَن بيض مكنونَ ﴾ قال:

⁽١) أخرجه الحافظ أبو يعلى وأخرجه مسلم بنحوه .

⁽٢) أخرجه النسائي والترمذي وقال : حسن غريب .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري موقوفاً .

⁽٤) أخرجه الترمذي وابن أبي حاتم وقال الترمذي : غريب .

⁽٥) أخرجه الترمذي في الشهائل عن عبد بن حميد .

« رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقيء » قلت: يا رسول الله أخبر في عن قوله:
﴿ عرباً أتراباً ﴾ قال: « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أنراباً على ميلاد واحد »، قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » ، قلت: يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال: « بيض الألوان « بسلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ، ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان خضر الثباب ، صفر الحلي ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن المقيات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كنا له الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كنا له معها من يكون زوجها ؟ قال: « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً ، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » . وفي الحديث: « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » " . وعن أبي هريرة قال ، قبل: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ قال: « إن الموا في اليوم إلى مائة عذراء » " .

وقوله تعالى: ﴿ عرباً ﴾، قال ابن عباس: يعني متحببات إلى أزواجهن، ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك، وقال الضحاك عنه: العرب العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون، وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله ﴿ عرباً ﴾ قال: هي المُلِقة لزوجها، وقال عكرمة: هي الغنجة، وعنه: هي الشكلة، وقال عبدالله بن بريدة في قوله ﴿ عرباً ﴾ قال: الشكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة، وقال تميم بن حدلم: هي حسن التبعل، وقوله ﴿ أَتُراباً ﴾ قال ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، وقال مجاهد: الأتراب: المستويات، وفي رواية عنه: الأمثال، وقال عطية: الأقران، وقال السدي ﴿ أثراباً ﴾ أي في الأخلاق المتواخبات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات، وقال ابن أبي حاتم، عن الحسن ومحمد ﴿ عرباً أَراباً ﴾ قالا: المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلمبن جميعاً، وقد روى الترمذي، عن علي رضي الله عنه قال، ونحن المخالدات فلا نبيد. ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبي لمن كان لنا وكنا له يُن وعن أنس أن رسول الله يُؤلِي قال: ﴿ إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام ﴾ . وعن أنس أن رسول الله يؤلِي قال: ﴿ إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ إن أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾ فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين ، وهذا والأظهر أنه متعلق بقوله: ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾ فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين ، وهذا والأظهر أنه متعلق بقوله: ﴿ وأن أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾ فتقديره أنشأناهن المحداب اليمين ، وهذا وأتراباً وهذا والأنهن أن بحود والهدة ﴿ المُورِي المحداب اليمين ، متعلقاً بما قبله، وهو قوله: ﴿ أَتُوانُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى وَلِلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلِهُ وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ و

 ⁽١) رواه أبو القاسم الطبراني .
 (٢) أخرجه الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

⁽٣) رواه الطبراني وقال الحافظ المقدسي : هو على شرط الصحيح .

⁽٤) أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب .

⁽٥) أخرجه الحافظ أبو يعلى .

لأصحاب اليمين ﴾ أي في أسنانهم، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال، قال رسول الله على الله المعادن الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السهاء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتغلون ، ولا يتمخطون ؛ أمشاطهم الذهب وريحهم المسك، وبجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور الهين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم سنون ذراعاً في السهاء » وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله على الله الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم سنون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ه الله ورى ابن وهب، عن أبي سعيد قال، قال رسول الله على الله على الله عن أبي مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيلون عليها أبداً وكذلك أهل النار » . وروى ابن أبي الدنيا، عن أنس قال، قال رسول الله على الله على طول آدم سنين ذراعاً بذراع الملك ! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون » ، وقال أبو بكر ابن أبي داود » عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله على المن محمد جرد مرد مكحلون » ، وقال أبو بكر ابن أبي داود » عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله على الخذة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » المن وثلاث وثلاثه من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ أي جماعة من الأولين وجماعة من الأولين وثلة من الآخرين .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : قال ، قال رسول الله ﷺ : « هما جميعاً من أمتي ٣٠٠٠ .

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشهال فقال: ﴿ وَأَصحاب الشهال مَا أَصحاب الشهال ما أصحاب الشهال ؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿ في سموم ﴾ وهو الهواء الحار، ﴿ وحميم ﴾ وهو المال: ﴿ انطلقوا ﴿ وحميم ﴾ وهو المال: ﴿ انطلقوا

⁽١) أخرجه الشيخان .

⁽٢) أخرجه الطبراني ورواه الترمذي بنحوه .

⁽٣) أخرجه ابن جرير .

⁽٤) وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم .

إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ ولهذا قال ههنا : ﴿ وظل من يحموم ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ أي ليس طيب الهبوب، ولا حسن المنظر ﴿ ولا كريم ﴾ أي ولا كريم المنظر، وقــال الضّحّاك: كل شرابُ ليس بعذب فليس بكريم، قال ابن جرير: العرب تتبُّع هذه اللفظة في النبي، فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم " ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ أي كانوا في الدار الدنيا منعمين، مقبلين على لذات أنفسهم، ﴿ وكانوا يصرون ﴾ أي يقيمون ولا ينوون توبة ﴿ على الحنث العظيم ﴾، وهو الكفر بالله، قال ابن عباس: الحنث العظيم: الشرك^(١)، وقال الشعبي: هو اليمين الغموس ﴿ وكانوا يقولون أثذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أثنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ يعني أنهم يقولونُ ذلك مكذبين به مستبعُدين لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ الْأُولِينِ والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ أي أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحد ، كما قال تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ ، ولهذا قال ههنا: ﴿ لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم، أي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص، ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ه لآكلون من شجر من زقوم . فالثون منها البطون ﴾ ، وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم، ﴿ فشاربون عليه من الحميم ه فشاربون شرب الهيم ﴾ وهي الابل العطاش واحدها أهيم والأنثى هياء، ويقال: هاثم وهائمة، قال ابن عباس ومجاهد: الهيم الإبل العطاش الظماء، وقال السدي: الهيم داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، ثم قال تعالى: ﴿ هذا نزلم يوم الدين ﴾ أي هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿ كَانْتَ لَهُمْ جنات الفردوس نزلاً ﴾ أي ضيافة وكرامة .

* نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلُوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ مَّا ثُمَنُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَخَلُقُونَهُۥ أَمْ نَحُنُ الخَلِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُلْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلذَّشَأَةُ ٱلْأُولَىٰ فَلُوْلَا تَذَكَّرُونَ ۞

يقول تعالى مقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، ﴿ نحن خلقنا كم ﴾ أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قلر على البداءة، بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى ؟ ولهذا قال: ﴿ فلولا تصدقون ﴾ ؟ أي فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله: ﴿ أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ ؟ أي أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى ﴿ نحن قدّرنا بينكم الموت ﴾ أي صرفناه بينكم، وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السهاء والأرض، ﴿ وما نحن بماجزين ﴿ على أن نبدّل أمثالكم ﴾ أي نغير خلقكم يوم القيامة، ﴿ ونشتكم فيا لا تعلمون ﴾ أي من الصفات والأحوال، ثم قال تعالى: ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ أي قد علمتم

⁽١) وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة .

أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، وقال تعالى: ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾، وقال تعالى: ﴿ قال يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَهُ فَجِعَلَ مَنْ الرَّوْجِينَ الذكو والأنثى و أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ ؟

أَفَرَة يْتُمُ مَّا تَحْرُثُونَ ﴿ وَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّرِعُونَ ﴿ لَوْ نَشَآءُ لِحَعَلَنَهُ حُطَنَمَا فَظَلَتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿ وَأَنتُمْ الْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿ وَأَنتُمْ أَنْرَاتُهُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿ أَفَرَة يُتُمُ الْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿ وَأَنتُمْ النَّارُ الَّذِي تُورُونَ ﴾ وَأَنتُم أَنشَأَتُمُ نَحْرُتُهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِعُونَ ﴾ نَحْنُ جَعَلْنَهُا تَذَرِّرَةً وَمَتَنعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ خَمْرُتُهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِعُونَ ﴾ فَعْلَمُ جَعَلْنَهُا تَذَرِّرَةً وَمَنْهُا لِلْمُقْوِينَ ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى: ﴿ أَفْرَايَتُم مَا تَحَرُثُونَ ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها، ﴿ أَأَنَّم تَرَرعُونَه ﴾ ؟ أي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الأرض، روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ أَأَنَّم تَرَرعُونَه أَم نحن الزارعُونَ ﴾ وأمثالها، يقول: بل أنت يا رب، وقوله تعالى: ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاماً ﴾ أي لأيسناه قبل حطاماً ﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لجعلناه حطاماً، أي لأيسناه قبل استوائه واستحصاده، ﴿ فظلتم تفكهونَ ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ إنّا لمغرمونَ » بل نحن محرومون ﴾ أي لو جعلناه عظاماً لظلتم تفكهون في المقالة تنوعُون كلامكم، فتقولون تارة ﴿ إنّا لمغرمون ﴾ أي لملقون، وقال مجاهد وعكرمة: إنا لمولع بنا، وقال قتادة: معذبون ، وتارة تقولون: ﴿ بل نحن محرمون ﴾ أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح، وقال مجاهد ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تعجبون، وقال ابن عباس ومجاهد ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تعجبون، وقال الحسن وقال عكرمة ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم، وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السب الذي من أجله أصيوا في مالهم، وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تندمون ، وهذا إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب، تقول الكسائي : تفكه من الأضداد، تقول العرب: تفكهت بمعنى تنعمت، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالى : ﴿ أَفَرَايَتُمَ المَاءَ الذي تشربون • أَأَنتُم أَنزلتموه من المَزنَ ﴾ ، يعني السحاب ، ﴿ أَم نحن المَنزلونَ ﴾ يقول بل نحن المنزلون، ﴿ لو نشاء جعلناه أجاجاً ﴾ أي زعافاً مراً لا يصلح لشرب ولا زرع ، ﴿ فلولا تشكرون ﴾ أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ، ﴿ لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ روى ابن أبي حاتم ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن النبي عليه أنه كان إذا شرب الماء قال : « الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا ه الله ثم قال : ﴿ أَفَرَايَتُم النار التي تورون ﴾ أي

⁽٢) أخرجه ابن أبيّ حاتم .

⁽١) قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد .

تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ أَأَنتُم أَنشَأَتُم شَجَرتُها أَم نَحَنُ المَنشُونَ ﴾ أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان: إحداهما (المرخ) والأخرى (العفار) إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار، وقوله تعالى: ﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبرى، وعن النبي عَنفي قال: ﴿ إِن ناركُم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد ﴾ ، وقال الإمام مالك، عن أبي هريرة أن رسول الله عَنفي قال: ﴿ نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم »، فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: ﴿ إِنهَ قَدَ فَضَلَتَ عَلَيها بتسعة وستين جزءاً ﴾ ، وفي لفظ: ﴿ والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها ﴾ أ

وقوله تعالى: ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يمني بالمقوين ﴾ المحاضر والمسافرين، واختاره ابن جرير، وقال ابن أسلم: المقوي ههنا الجائع، وقال ليث، عن مجاهد ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ المحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار، وعنه ﴿ للمقوين ﴾ يعني المستمتعين من النساس أجمعين ، وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير ، الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة، وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في مترله أخرج زنامه وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى بها واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات، فلهذا أفرد المسافرون، وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم، وفي الحديث: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلا والماء » . وفي رواية: « ثلاثة لا يمنعن: الماء والكلا والنار » . وقوله تعالى: ﴿ فسبّح بسم ربك العظيم ﴾ أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة ، الماء الزلال العذب تعالى: ﴿ فسبّح بسم ربك العظيم ﴾ أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة ، الماء الزلال العذب منفعة لهم في معاش دنياهم ، وزجراً لهم في المعاد .

* فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَقِعِ ٱلنَّجُومِ ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمُّ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّهُ لَقُرَّالُ كُومٌ ﴿ فِي كِتَلْبِ مَّكْنُونِ ﴿ لَا يَمَشْهُ ۚ إِلَا ٱلْمُطَهِّرُونَ ﴿ تَنزِيلٌ مِن رَّبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ أَفَيهَا ذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُدْهِنُونَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَلِّقُونَ ﴾

قال الضحّاك : إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه، وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بمــا شاء من خلقه وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين:

⁽١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم .

 ⁽٣) أخرجه أحمد وأبو داود .
 (٤) أخرجه ابن ماجة بإسناد حسن .

(لا) ههنا زائلة، وتقديره: أقسم بمواقع النجوم، ويكون جوابه: ﴿ إِنَّهُ لَقَرْآنَ كُرِيمٍ ﴾، وقال آخرون: ليست (لا) زائدة بل يؤتى بها في أول القُسم إذا كان مقسماً به على منني ، تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم، وقال بعضهم: معنى قوله ﴿ فلا أقسم ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل اقسم (١٠) ، واختلفوا في معنى قوله: ﴿ بمواقع النجوم ﴾ فقال ابن عباس: يعني تجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السهاء العليا إلى السهاء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية، وقال مجاهد: ﴿ مواقع النجوم ﴾ في السياء ويقال مطالعها ومشارقها، وهو اختيار ابن جرير، وعن قتادة: مواقعها: منازلها، وعن الحسن: أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة، وقوله ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ أي وإن هذا القسم الذي أقسمت بــه لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنَ كُرِيمٍ ﴾ أَي إِن هذا القرآن الذَّي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿ فِي كتاب مكنونَ ﴾ أَي معظّم في كُتاب معظم محفوظ موقر ، عن ابن عباس قال: الكتاب الذي في السياء، ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ يعني الملائكة، وقال ابن جُرير، عن قتادة ﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾ قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس، وقال أبو العالية: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾ ليس أنتم أصحاب الذنوب، وقال ابن زيد: زعمت كفّار قريش أن هذا القرآن تنزلت بّه الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لأ يمسه إلا المطهرون ، كما قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ ، وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله، وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وقال آخرون : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، كما روى مسلم عن ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ٣٠٠ ، واحتجوا بمـٰـا رواه الإمام مالك أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر و بن حزم أن « لا يمس القرآن إلا طاهر » وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبدائله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله عليه قال: « ولا يمس القرآن إلا طاهر »، وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به .

وقوله تعالى: ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى: ﴿ أفيهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ قال ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين، وقال مجاهد: ﴿ مدهنون ﴾ أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ بمعنى شكركم أنكم تكذبون بدل الشكر ، عن على رضي الله عنه قال، قال رسول الله يَظِيدُ : « وتجعلون » رزقكم يقول: شكركم أنكم تكذبون » تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا » " ، وقال مجاهد: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون »

⁽١) ذكره ابن جرير عن بعض أهل العربية .

⁽٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

⁽٣) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم ، ورواه الترمذي وقال : حسن غريب .

قال: قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه الله وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب، فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به، ولهذا قال قبله: ﴿ أَفْبَهذَا الحديث أَنْتُم مدهنون ﴿ وتجعلون رزقكم أَنْكُم تكذبون ﴾ .

فَكُولًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿ وَأَنتُمْ حِنَهِدِ تَنظُرُونَ ﴿ وَنَعْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَا تُبْصِرُونَ ﴿ فَكَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿ وَلَكِن لَا تُبْصِرُونَ ﴾ فَكُولًا إِن كُنتُمْ صَالِقِينَ ﴾ فَكُولًا إِن كُنتُمْ صَالِقِينَ ﴾

* فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصَّلِ ٱلْمَمِينِ ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلْمَمِينِ ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّا لِينَ ﴿ فَتُنزُلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ وَتَصْلِيمُهُ جَمِيمٍ ﴾ إِنَّ هَاذَا لَمُوحَقُّ ٱلْمَقِينِ ﴾ فَسَبِّحْ بِآسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون تمن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: في فأما إن كان في أي المحتضر في من المقربين في وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، في فروح وريحان وجنة نعيم في أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطبية في الجسد الطبب، كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، قال ابن عباس في فروح في يقول: راحة في وريحان في يقول: مستراحة، وكذا ولا عالم المراحة، وقال أبو حرزة: الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير: الروح الفرح، وعن

⁽۱) وهكذا قال الضحّاك وغير واحد.

⁽٢) وهو قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة .

مجاهد: ﴿ فروح وريحان ﴾ جنة ورخاء ، وقال قتادة: فروح فرحمة . وقال ابن عباس ومجاهد ﴿ وريحان ﴾ : ورزق؛ وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحـــة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن ﴿ وجنة نعيم ﴾، وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه، وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ، وقــد قلمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سوره إبراهيم ﴿ يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية . روى الإمام أحمد، عن أم هانيُّ أنها سألت رسول الله ﷺ : أنتزاور ۚ إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يكون النسم طيراً يعلَق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » ، هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى « يَعْلَق » يأكل . ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام الشافعي، عن الإمام مالك، عن كعب بن مالك، عن رسول الله عَلَيْكُمْ قال: ﴿ إِنَّمَا نَسْمَةُ المؤمنَ طَائرُ يَعْلَقَ فِي شَجْرِ الْجِنَّةَ حَتَّى يَرْجَعُهُ اللّه إلى جَسْدُه يَوْمُ يَبِعِثُهُ ﴾، وهذا إسناد عظيم ومتن قويم ، وفي الصحيح أن رسول الله عَلِيلَةٍ قال: ﴿ إِنْ أَرُواحِ الشَّهَدَاءُ فِي حَوَاصِلُ طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش »\\ الحديث . وروى الإمام أحمد. عن عبدالرحمن ابن أبي ليلي، عن رسول الله عَلِيْكُ أنه قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال: فأكب القوم يبكون فقال: ﴿ مَا يَبِكَيْكُم ؟ ﴾ فقالوا: إنا نكره الموت، قال: ﴿ ليس ذاك ، ولكنه إذا احتضر ﴿ فَأَمَا إِنْ كَانَ مِنِ الْمَقْرِبَينَ ۚ وَرُوحِ وَرَيْحَانَ وَجِنَةَ نَعِيمٍ ﴾، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عزّ وجلّ ، والله عزّ وجلّ للقائه أحب ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضائين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله . والله تعالى للقائه أكره ٣٠٠ .

وقوله تعالى: ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾ أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين ، وقال قتادة : سَلِمَ من عذاب الله وسلّمت عليه ملائكة الله ، كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقول الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تعزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فترل من حميم وتصلية جحيم ﴾ أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ﴿ فنزل ﴾ أي فضيافة ، ﴿ من حميم ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ﴿ وتصلية جحيم ﴾ أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته ، ثم قال تعالى : ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ أي إن هذا الخبر لهو حق اليقين ، الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ، ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ . قال الإمام أحمد ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : ٨ انولت على مدول الله علي الم والله المعلم ﴾ قال : ٨ اجعلوها في سجود كم » ، ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك العظيم ﴾ قال : ٨ اجعلوها في محود كم » ، ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال رسول الله على الله ي المدينة : ٨ اجعلوها في سجود كم » ، ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال رسول الله على المدينة : ٨ اجعلوها في سجود كم » . ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال رسول الله على الله ي المدينة في سجود كم » . ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال رسول الله ي المدينة في محود كم » . ولما نزلت : ﴿ وسبح اسم ربك الأعلى في قال رسول الله ي المدينة الكذبين المدينة ولم المنام المدينة ولم المنام الماء المنام المنام

الحديث مخرج في الصحيحين .
 (١) أخرجه الإمام أحمد في المسند .

⁽٣) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

وفي الحديث: من قال سبحان الله العظيم و بحمده غرست له نخلة في الجنة $^{\otimes}$. وروى البخاري في آخر صحيحه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم $^{\circ}$.

[آخر تفسير سورة الواقعة ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن غريب .



عن العرباض بن سارية أن رسول الله عَيْلِيِّهِ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: « إن فيهن آية أفضل من ألف آية « (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو الله أعلم ألف آية « (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ .

سَبَّحَ لِلَهِ مَا فِي السَّمَاوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَـزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ, مُلْكُ السَّمَاوَٰتِ وَالْأَرْضُ يُحْيِء وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ الْأَوْلُ وَالْآخِرُ وَالظَّلِهِرُ وَالْبَاطِلُ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

يخبر تعالى أنه يسبّح له ما في الساوات والأرض، أي من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى:
فر تسبّح له الساوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حلياً غفوراً في وقوله تعالى فو وهو العزيز في أي الذي قد خضع له كل شيء، فو الحكيم في خلقه وأمره وشرعه، فو له ملك الساوات والأرض يحيي ويميت في أي هو المالك المتصرف في خلقه، فيحيي ويميت، فو وهو على كل شيء قدير في أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقوله تعالى: فو هو الأول والآخر والظاهر والباطن في وهذه الآية هي المشار إليها في حديث العرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية، روى أبو داود، عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري ؟ قال: ما هو ؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال، فقال لي: أشيء من شك ؟ قال، وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى: فو فإن كنت في شك أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك في الآية، قال، وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم في "، وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية،

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسب غريب .

⁽۲) أخرجه أبو داود .

وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً ، وقال البخاري ، قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً ، والباطن على كل شيء علماً ، روى الإمام أحمد ، عن أبي هر يرة أن رسول الله على كان يدعو عند النوم : « اللهم رب السهاوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر الله وعن عائشة أنها قالت : كان رسول الله عليله اللهم يؤرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ، ما يدرى ما يقول ، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « اللهم رب السهاوات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت العرش العظيم ، وأنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الدين ، واغننا من الفقر اللهم .

وروى الترمذي، عن أبي هريرة قال: بينا نبي الله عليه جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله عليه على الله عليه على الله عليه الله على الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله ورسوله أعلم، قال: وهل تدرون ما فوق ذلك ؟ وقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وهان فوق ذلك السماء بعد ما بين كل سماءين كما بين السماء ذلك سماء بعد ما بين كل سماءين كما بين السماء دلك سماء بعد ما بين السماء مثل ما بين السماءين وي من قال: وهل تدرون ما فوق ذلك ؟ وقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفي فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل ما بين السماءين وي من قال: وهل تدرون ما الذي تحتكم ؟ وقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفي نوق ذلك العرش وبينه الأرض وي منه قال: وهل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟ وقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفي نوق أوضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة و منه قال: ووالله المنهم محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلي لهبط على الله وي مسيرة خمسمائة سنة و منه قال: ووالله والآخر والظاهر وهو بكل شيء عليم هي وقسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وي علم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه، انتهى كلامه وقدروى الإمام أحمد هذا الحديث بسنده، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي عليه في السابعة لهبط على الله و ديتم أحد هذا الحديث بسمرة سبعمائة عام و وقال: ولو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلي السابعة لهبط على الله على الله و ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام و وقال: ولو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلي السابعة لهبط على الله على الله عن المورض من المورف في كتابه، انتهى كلامه و وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام و وقال: ولو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلي السابعة لهبط على الله على الله عن الله على الله على

 ⁽١) وأخرجه مسلم بلفظ : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب
 السهاوات ... الخ .

⁽٢) أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي .

⁽٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وقال : حديث غريب من هذا الوجه .

ثم قرأ : ﴿ هُو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ ، وقال ابن جرير عند قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ عن قتادة قال : التقى أربعة من الملائكة بين السهاء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربي عزّ وجلّ من السهاء السابعة وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلني ربي عزّ وجلّ من المغرب الأرض السابعة وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثمّ ،

* هُوَالَّذِى خَلَقَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اَسْنَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ قَالَا رَضِ اللَّهُ مُلْكُ اللَّهُ مَلْكُ اللَّهُ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْرَبُ فِي اللَّهُ مُلْكُ اللَّهُ مَا لَكُنتُمْ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا الللللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللل

يحبر تعالى عن خلقه السياوات والأرض وما بينهما في سنة أيام، ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية وأشباهها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى: ﴿ يعلم ما يلج في الأرض ﴾ أي يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر، ﴿ وما يخرج منها ﴾ من نبات وزرع و نمار، كما قال تعالى: ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وما يعزل من السياء ﴾ أي من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح: « يرفع إليه عمل الكرام، وقوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينا كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ أي رقيب الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل »، وقوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينا كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم، حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو في القضار، الجميع في علمه على السواء، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال تعالى: ﴿ الاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾، وقال تعالى: ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾، فلا إنه غيره ولا رب سواه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله مقالي خوم الله ما يعرول الله ما تركية المرء نفسه ؟ فقال: « يعلم أن الله معه حيث كان » وفي الحديث، قال رجل: يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال: « يعلم أن الله معه حيث كان » وسول الله تعالى المام أحمد رحمه الله تعالى رسول الله هذين الميين : « إن أفضل الإيمان أن تعلم ان الله معك حيثا كنت » ". وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين الميين :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخنى عليه يغيب

⁽١) أخرجه ابن جرير ، قال ابن كثير : وهذا حديث غريب جداً وقــد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما هنا .

 ⁽٢) أخرجه أبو نعيم من حديث عبد الله العامري مرفوعاً . (٣) أخرجه أبو نعيم عن عبادة بن الصامت .

وقوله تعالى: ﴿ له ملك الساوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾، أي هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ وهو الله لا آله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة ﴾، وقال تعالى: ﴿ وهو الله الآخرة وهو الأولى والمحكم الخبير ﴾، فجميع ما في الساوات والأرض ملك له، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه، كما قال تعالى: ﴿ إن كل من في الساوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾، ولهذا قال: ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، كما قال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسين ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي هو المتصرف في الخلق، يقلب الليل والتهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يعلم السرائر وإن دقت أو خفيت .

أهر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، وحث على الإنفاق ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ أي مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، وقوله تعالى: ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنع الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان . روى مسلم، عن عبدالله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو بست فأبليت ؟ أو تصدقت فأمضيت ؟ وما سوى ذلك فذاهب وتاركه لمناس ، (١) . وقوله تعالى: ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ، ثم قال تعالى: ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ، ثم قال تعالى: ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله

⁽١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ ؟ أي : وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به، وقــد روينا في الحديث أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا: الملائكة، قال: « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ » قالوا: فالأنبياء ، قال: ﴿ وَمَا لَمُمْ لَا يَوْمُنُونَ وَالْوَحِي يَنْزُلُ عَلَيْهُم ؟ ﴾ قالوا: ﴿ فَنَحْنَ، قَالَ: ﴿ وَمَالَكُم لا تَوْمُنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظِهْرَكُم ؟ وَلَكُنَ أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بمــا فيها »(١) . وقوله تعالى: ﴿ وقد أخذ ميثاقكم لَه كما قال تعالى: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ ويعني بذلك بيعــــة الرسول عَيْنَاتُهِ ﴾ وقولَه تعالى: ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات ببنات ﴾ أي حججاً واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات، ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي من ظلمات الجهل والكفر ، إلى نور الهدى والإيمان، ﴿ وَإِنْ اللَّهُ بَكُمْ لَرُؤُوفَ رَحِيمٍ ﴾ أي في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق، ثم حبهم على الإيمان، حثهم أيضاً على الإنفاق، فقال: ﴿ ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السهاوات والأرضَ ﴾ ؟ أي أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض، وهو القائل: ﴿ وَمَا أَنْفَقَتُم مَن شيء فَهُو يَخْلُفُه وهُو خير الرازقين ﴾ ، ﴿ مَا عَنْدَكُم يَنْفُدُ وما عند الله باق ﴾ " فمن توكل على الله أنفق وعلم أنَّ الله سيخلفه عليه، وقوله تعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفَّق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أنه قبل فتح مكة كانُ الحال شديداً، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيمًا ، ودخل النــاس في دين الله أفواجاً ، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسني ﴾، والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا (فتح مكة)، وعن الشعبي: أن المراد (صلح الحديبية) .

وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد، عن أنس قال: كان بين (خالد بن الوليد) وبين (عبد الرحمن ابن عوف) كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي عليه فقال: « دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم » . ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد كان بين صلح الحديبية وفتح مكة . وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله على قال: « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم »، قلنا: من هم يا رسول الله ، قريش ؟ قال: « لا ، ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً »، وأشار بيده إلى اليمن فقال: « هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان يمان والحكمة عانية » ، فقلنا: يا رسول الله هم خير منا ؟ قال: « والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى عانية » ، فقلنا: يا رسول الله هم خير منا ؟ قال: « والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحد كم ولا نصيفه » ، ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال: « ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس فو لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى كه يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم والله بما تعملون خبير كه » " . وقوله تعالى: ﴿ وكلا وعد الله الحسنى كه يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم والله بما تعملون خبير كه " . وقوله تعالى: ﴿ وكلا وعد الله الحسنى كه يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم

⁽١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان .

⁽۲) أخرجه ابن جرير .

ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء، كما قال تعالى: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ الآية، وهكذا الحديث الذي في الصحيح: « المؤمن القوي خير ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » . فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه ، مع تفضيل الأول عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضبق، وفي الحديث: « سبق درهم مائة ألف » . ولا شك أن الصدّيق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

وقوله تعالى: ﴿ مِن ذَا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال عمر بن الخطّاب: هو الإنفاق في سبيل الله ، وقيل: هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أع من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة ، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ، ولهذا قال تعالى: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى ﴿ أضعافاً كثيرة وله أجر كريم ﴾ أي جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة . عن عبدالله ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ قال أبو المدحداح الأنصاري: يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال: « نعم يا أبا المدحداح » ، قال: أرني يمك يا رسول الله ، قال: فإني قمد أقرضت ربي حائطي ، وله حائط فيه ستمائة نخلة ، وأم المدحداح فيه وعيالها ، قال ، فناوله يده ، قال: فإني قمد أقرضت ربي حائطي ، وله حائط فيه ستمائة نخلة ، وأم المدحداح فيه وعيالها ، قال ، فجاء أبو المدحداح ، فناداها: يا أم المدحداح ، قالت : لبيك ، قال : اخرجي فقد أقرضته ربي عزّ وجل . قال ، فجاء أبو المدحداح ، فناداها: يا أم المدحداح ، ونقلت منه متاعها وصبيانها ، وإن رسول الله عَلَيْ قال : « كم من عِذْق ردَاح في الجنة لأبي المدحداح » .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَتِهِم بُشْرَنكُ ٱلْيَوْمَ جَنَّنْ تَجْرِى مِن تَحْيَهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَفِقُونَ وَالْمُنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظُرُونَا لَقْنَيْسُ مِن نُورِكُمْ قِبلَ الْجَعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْنَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلِهِرَهُ فَ نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِبلَ الْجَعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْنَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلِهِرَهُ مِن قَبِيهِ الْعَلَمُ وَيَ يَنْعُونُ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَالْمَرُولُ وَلَى فَالْهُولُ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهِ وَعَرَبُهُمْ أَلَا لَكُولُولُ اللّهِ وَلَكِنَّكُمْ فِي اللّهُ وَلَكِنَاكُمْ فَالْمُولُولُ اللّهُ وَلَكِنَاكُمْ فَاللّهُ اللّهُ وَلَاكُمْ مِنْ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهِ الْعَلَمُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَالْمُولُولُ اللّهُ وَالْمُولُ اللّهُ وَمُرالِكُمْ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَلَا مِن اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ مَالُكُمْ وَالْمُؤْمُ اللّهُ وَلَيْهُ اللّهُ وَلَا مِن اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مُن اللّهُ وَلَولُولُولُولُولُ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُولُولُ اللّهُ وَلَلْمُ اللّهُ وَلَا مِنَ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُولِيلُولُهُ اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ اللّهُ وَلِي مَا لِهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مِن اللّهُ وَاللّهُ وَلَا مِن اللّهُ وَلَا مِن اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللّهُ الل

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين ، أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم بحسب أعمالهم ، كما قال عبدالله بن مسعود في قوله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم . معنى (العذق) : القنوَ من النخل ، والعنقود من العنب 🛚 و (رداح) : ضخم ، مخصب .

منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة (١) ، وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفي نور المنافقين، فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا، نور المنافقين، فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا، وقال الحسن في يسعى نورهم بين أيديهم في: يعني على الصراط. وقد روى ابن أبي حاتم، عن أبي المدداء، عن النبي علي قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له يرفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأم »، فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمّتك من بين الأم ؟ فقال: «أعرفهم، محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسياهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الأم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم الفسخاك: أي وبأعانهم كي وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الأم فيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم من تحتها الأنهار، فو بأيمانهم في وجوههم، وأعرفهم جنات، أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار، فو خالدين من تحتها الأنهار، فو ذلك هو الفوز العظيم في وقوله: في يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فيها في أي ما كثين فيها أبداً فو ذلك هو الفوز العظيمة، والمرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة » وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به، وترك ما عنه زجر .

روى ابن أبي حاتم، عن سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا (أبو أمامة الباهلي) فلما صلي على الجنازة، وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في مترل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات و وتوشكون أن تظعنوا منه إلى مترل آخر، وهو هذا – يشير إلى القبر – بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت اللعود، وبيت الفيتي، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه، وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى مترل آخر، فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق، فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضريه الله تعالى في كتسابه فقال: ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكديراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: ﴿ انظرونا والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: ﴿ انظرونا ﴿ يَعْدُونُ وَلَمْ الله وهو خادعهم ﴾، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجلون شيئاً فينصرفون إليهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه العذاب ﴾ الآية، يقول سليم بن عامر: فا يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور، ويميز الله بين المنافق والمؤمن "، وقال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المنافرة الأومنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قند انطلقوا فلما رأى المنافرة المؤمنون الذورة وكان النور ويعوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنون الله قد الطهوا

⁽١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

اتبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ فإنا كنامعكم في الدنيا قال المؤمنون ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ من حيث جثم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور، وروى الطبراني عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال، قال رسول الله على عباده، وأما عند الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط، فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحداً ».

وقوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ قال الحسن وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد : هو الذي قال الله تعالى : ﴿ وَبِينُهُمَا حَجَابٍ ﴾ ، وهكذا روي عن مجاهد وهو الصحيح ﴿ باطنه فيه الرحمة ﴾ أي الجنة وما فيها ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ أي النـــار ، والمراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق البــاب، وبتي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وشك وحيرة، ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين : أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات؟ ونصلي معكم الجماعات؟ ونقف معكم بعرفات؟ ونحضر معكم الغزوات؟ ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ قالوا: بلى، أي فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قـــد كنتم معناً ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكمُ وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني ﴾، قــال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وتربصتم أي أخّرتم التوبة من وقت إلى وقت، وقال قتادة: ﴿ تربصتم ﴾ بالحق وأهله، ﴿ وارتبتم ﴾ أي بالبعث بعد الموت، ﴿ وغرتكم الأماني ﴾ أي قلتم : سيغفر لنا، وقبــل غرتكم الدنيا ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي ما زلتم في هـــذا حتى جاءكم الموت، ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ أي الشيطان، وقُــال قنادة: كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار ، ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً، وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسُ بَمَا كُسبت رَهْيَنَةَ إِلَّا أَصْحَابِ اليَّمِينَ ه في جنات يتساءلون ي عن المجرمين ه ما سلككم في سقر ﴾ ؟ فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ ؛ ثم قال تعالى: ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بمل الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منهٰ، وقوله تعالى: ﴿ مَاوَاكُمْ النَّارَ ﴾ أي هي مصايركم وإليها منقلبكم، وقوله تعالى : ﴿ هي مولاكم ﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل، على كفركم وارتيابكم وبئس المصير .

* أَلَّمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ عَامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَنِيِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلْسِقُونَ ﴿ الْعَلَمُواْ أَنَّ اللهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِكَ أَقَدْ بَيَّنَا لَكُدُ الْآكِيَتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن المنفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه ، قال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين ، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال: هم أن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله في الآية الله وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿ أَلَم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله في الآية الإ أربع سنين ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم في الأ أربع سنين ، أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم ، من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد، بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وانخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ، ﴿ وكثير منهم فاسقون في الأعمال ، فقلوبهم عن مواضعه في أي فسدت قلوبهم فقست ، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأعمال التي أمروا بها ، وارتكبوا ما نهوا عنه ، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأصلية والفرعية .

روى أبو جعفر الطبري، عن ابن مسعود قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فن آمن به تركناه » ومن كفر به قتلناه، قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القرن بين ثندونيه فلما قيل له: أتؤمن بهذا ؟ قال: آمنت به ويومئ إلى القرن بين ثندونيه، ومالي لا اؤمن بهذا الكتاب ؟ فن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن » . وقوله تعالى: ﴿ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ فيه إشارة إلى أن الله يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير المتعال .

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَفُ لَمُ مَ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } وَرُسُلِهِ } أُورُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِعَايَنتِنَا

أُوْلَيْكِ أَصْحَنْبُ ٱلْجَحِيمِ ١

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) رواه مسلم والنسائي .

⁽٣) أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود موقوفاً .

يخبِر تعالى عما يثيب به ﴿ الْمُصَّدِقِينَ والْمُصَّدِقَاتَ ﴾ بأموالهم على أهــل الحــاجة والفقر والمسكينة ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله ، لا يريدون جزاء بمن أعطوه ولا شكوراً ، ولهذا قال: ﴿ يضاعف لهم ﴾ أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك ، ﴿ ولهم أجر كريم ﴾ أي ثواب جزيْل ومآب كريمٌ، وقوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ﴾ هذا تمام الجملة، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ، قال ابن عباس : ﴿ أُولئكُ هُمُ الصديقُونَ ﴾ هذه مفصولة ، ﴿ والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ ، وقال أبو الضحى ﴿ أُولئك هم الصديقون ﴾ . ثم استأنف الكلام، فقال : ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ " عن ابن مسعود قال: هم ثلاثة أصناف يُعني: (المُصَدَّقين . والصديقين . والشهداء) كما قال تعالى: ﴿ وَمِن يَطِعُ اللَّهِ وَالرَّسُولُ فَأُولَئِكُ مِعَ الَّذِينَ أَنْعُمَ عَلَيْهُمْ مِنَ النبيين والصديقينِ والشهداء والصالحينَ ﴾ فغرق بين الصَّديقين والشهداء ، فدل على أنهما صنفان ، ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد ، كما روى الإمام مالك، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إِن أَهِلِ الْجِنَةُ لِيتراءُونَ أَهِلَ الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قال: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »(". وقال آخرون: بل المراد من قوله تعالى : ﴿ أُولئك هم الصديقون والشُّهداء عند ربهم ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون وشهداء ، وقوله تعالى: ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ أي في جنات النُّعُيم كما جاء في الصحيحين: « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت » الحديث . وقوله تعالى: ﴿ لِهُمْ أَجْرُهُمْ ونورهُم ﴾ أي لهم عندالله أجر جزيل، ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال، كما قال رسول الله ﷺ : « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان، لتي العدوّ فصدق الله فقتل، فذاك الذي ينظرِ النــاس إليه هكذا » ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ وقلنسوة عمر ، والثاني مؤمن لتي العدوّ فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث رجل مؤمن خلطً عملاً صالحاً وآخر سيئاً لني العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لتي العدوّ فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة 🐚 . وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُوا وكذبوا بآياتنا أُولئك أصحاب الجحيم ﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم .

اَعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَمْوْ وَزِينَةٌ وَتَفَائُو بَيْنَكُمْ وَتَكَا أُرُّ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَا وَلَا وَلَا وَلَا الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا لَعِبُ وَلَمْ وَرَضَوَانَّ وَمَا نَبَاتُهُو ثُمَّ يَهِيبُ فَتَرَنْهُ مُصْفَوَا أُمُّ يَكُونُ حُطَنْمًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضُوانَ وَمَا الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَنَعُ الْغُرُورِ فَيْ سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ الْحَيْدَةُ لَذَيْنَ عَامَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ مَ ذَالِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْ لِ الْعَظِيمِ ١٤ أَعْنَ

⁽١) أخرجه الشيخان والإمام مالك .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي ، وقال : حسن غريب .

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقراً لهــا : ﴿ إنمــا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولادكه أي إنمــا حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿ زَينَ لَلنَاسَ حَبِّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المـآب، ﴾ ، ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿ كَمثُلُ غيث ﴾وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي ينزَّل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أعجب الكفار نباته ﴾ أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ، ﴿ ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ﴾ أي يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً ، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً ، أي يصير يبســـاً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، كما قال تعالى: ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعـل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ﴾، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذّر من أمرها ورغّب فيها من الخير، فقال: ﴿ وَفِي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ﴾ أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا عذاب شديد، أو مُغفرة من الله ورضوان، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الْدُنَيَا إِلا مَتَاعَ الْغُرُورُ ﴾ أي هي متاع فانٍ، يغتر بهــا من يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة، قال رَسُولَ اللَّهُ عَلِيْكُمْ : « موضع سـوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرأوا : ﴿ وَمَا الحياة الدنيا إلا متـاع الغرور 🐎 🗥 .

وروى الإمام أحمد، عن عبدالله قال، قال رسول الله على الله المنال الله على المنار مثل ذلك ؟ في هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات فقال الله تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السياء والأرض ﴾ والمراد جنس السياء والأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وجنة عرضها السياوات والأرض أعدت للمتقين ﴾، وقال ههنا: ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾، أي هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله عليهم، وإحسانه إليهم، كما قدمنا في الصحيح: أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: ﴿ وما ذاك ؟ ﴾ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق قال: ﴿ أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعد كم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ تسبحون وتكبرون وتحملون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين »، قال، فرجعوا فقالوا: سمع اخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله عليها : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

⁽١) أخرجه ابن جرير ، وهو في الصحيح ثابت بدون الزيادة .

⁽٢) أخرجه البخاري في الرقاق والإمام أحمد .

مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كَتَنْبِ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرُ ﴿ لَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِن أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كَتَنْبِ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَاهَا إِنْ اللهِ يَسِيرُ ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مُوا الْغَنِي اللَّهُ الْحَمِيدُ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مُوا الْغَنِي اللَّهُ مُوا الْغَنِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُوا الْغَنِي اللَّهُ الْحَمِيدُ ﴿ وَلِي اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

يخبر تعاثى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿ مَا أَصَابَ مَنْ مَصَيَّبَةً فِي الأَرْضُ ولا في أنفسكم ﴾ أي في الآفاق وفي نفوسكم، ﴿ إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ أي من قبل أن نخلق الخليقة ونــبرأ النسمة، وقــال بعضهم: الضمير عائد على النفوس، وقبل عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها، كما روي عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالساً مع الحسن فقال رجل: سله عن قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مَن مَصَيِّبَةً فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسَكُمْ إِلَّا فِي كَتَابَ مِن قَبَل أَن نبرأها ﴾ ، فسألته عنها ، فقال: سبحان الله، ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بسين السهاء والأرض فني كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة، وقال قتادة ﴿ مَا أَصَابَ مَن مَصَيِّبَةً فِي الأَرْضَ ﴾ قال: هي السنون يعني الجدبُّ ﴿ وَلا فِي أَنفُسكم ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض، قال: وبلغنا أنه ليس أحــد يصيبه حدش عود، ولا نكبة قــدم، ولا خلخال عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق – قبحهم الله – . روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السهاوات والأرض بخمسين ألف سنة ۥ٥٪، وزاد ابن وهب: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ ذَلْكَ عَلَى الله يسير ﴾ أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونهــا سهل عليه عزّ وجلّ ، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وقوله تعالى: ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمـــا آتاكم ﴾ أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تيأسوا على ما فاتكم ﴿ ولا تَفرحوا بمـا آتاكم ﴾ أي لا تفخروا على النـاس بمـا أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا بكدكم، وإنمـا هو عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بهـا على الناس، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَحْبُ كُلُّ مَخْتَالًا فَخُورٌ ﴾ أي مختال في نفسه متكبر فخور ، أي على غيره، وقال عكومة : « ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً » ، ثم قال تعالى: ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخلكه أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه، ﴿ وَمَن يَتُولُ ﴾ أي عن أمر الله وطاعتـــه ﴿ فَإِنْ اللَّهِ هُو الغَنِّي الحميد ﴾ ، كما قال : ﴿ إِنْ تَكَفُّرُوا أَنَّمَ وَمَنْ فِي الْأَرْضُ جميعاً فَإِنَّ الله لغني حميد ﴾ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَتِ وَأَرْلَنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَرْلَنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَنَنْفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمُ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ, بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيًّ عَزِيزٌ رَيْ

⁽١) أخرجه مسلم وأحمد ورواه الترمذي بالزيادة ، وقال : حسن صحيح .

يقول تعالى : ﴿ لَقَدَ أَرْسَلْنَا رَسَلْنَا بِالْبَيْنَاتَ ﴾ أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب﴾ وهو النقل الصدق ﴿ والميزان﴾ وهو العدل الذي تشهد بـــه العقول الصحيحة المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى: ﴿ أَفَمْ كَانَ عَلَى بَيْنَةً مَنَ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدُ مَنَّهُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَطَرَّهُ اللَّهِ الَّتِي فطر الناس عليهاكه، وقال تعالى: ﴿ والسَّماء رفعها ووضَّع الميزانَ ﴾ ، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿ ليقوم النَّــاس بالقسط ﴾ أي بالحق والعدل، وهو اتبـاع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديدكه أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبـي الحق وعانده بعد قيــام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله عَلِيكُ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب، وقــد روى الإمام أحمد، عن ابن عمر قال، قال رسول الله عَلَيْكُمْ : « بعثتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزق تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ٧٠١ ولهذا قال تعالى: ﴿ فيه بأس شديد﴾ يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان ونحوها ﴿ ومنافع للناس ﴾ أي في معايشهم كالسكة والفأس والمنشار والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ وغير ذلك، قال ابن عباس: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان، والكلبتان، والميقعة يعني المطرقة، وقوله تعالى: ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿ إِنْ الله قوي عزيز ﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّ يَتِهِمَا ٱلنَّبُوةَ وَٱلْكِتَلَّ فَيِنَّهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ وَالْكِتَلَّ فَيَنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ وَمُ اللَّهِ عَلَيْنَا عَلَى اللَّهِ عَلَيْنَا فَقُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱلنَّبُعُوهُ وَأَفَةً وَرَهْبَانِيَّةً اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَا الْبَيْغَاءَ وَضُونِ ٱللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَتَّ رِعَايَتِهَا فَعَاتَيْنَا ٱلَّذِينَ اللَّهِ عَلَيْهُمْ إِلَّا الْبَيْغَاءَ وَضُونِ اللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَتَّ رِعَايَتِهَا فَعَاتَيْنَا اللَّينَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَمْدُوا مَنْ اللَّهُ فَا رَعُوهَا مَا كَتَبْنَلَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا الْبَيْغَاءَ وَضُونِ اللّهِ فَا رَعُوهَا حَتَّ رِعَايَتِهِما فَا كَنْهُ اللّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْبَيْغَاءَ وَضُونِ اللّهِ فَا رَعُوهَا حَتَّ رِعَايَتِهِما فَا كَتَبْنَلُهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا الْبَيْغَاءَ وَضُونِ اللّهِ فَا رَعُوهَا حَتَّ رِعَايَتِهِما وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ إِلّهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ إِلّهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ إِلّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكُولِهُمْ اللّهُ وَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَيْهُمْ أَمْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ أَلَقُونَ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، لم يرسل رسولاً إلا وهو من سلالته، كما قال تعالى في الآية الأخْرَى: ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل ﴿ عيسى بن مريم ﴾ الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ وهم الحواريون ﴿ رأفة ﴾ أي رقة وهي الخشية ﴿ ورحمة ﴾

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود .

بالخلق ، وقوله: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ أي ابتدعها أمّة النصارى، ﴿ مَا كَتْبَاهَا عَلَيْهِم ﴾ أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ابتغاء رضوان الله ﴾ فيه قولان (أحدهما) : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة، (والآخر): ما كتبنا عليهم ذلك إنمــا كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَعُوهَا حَقَّ رَعَايَتُهَا ﴾ أي فما قاموا بما الترَّمُوه حق القيــام ، وهذا ذم لهم مــن وجهــين : (أحدهما) : الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله، (والثاني) : في عدم قيامهم بمــا التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عزّ وجلّ . وقـــد روى ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال، قال رسول الله عَيْظِيُّهُ: « يا ابن مسعود » قلت: لبيك يا رسول الله، قال: « هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منهـــا إلا ثلاث فرق، قامت بـين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام، فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أُخْرَى لم تكن لهــا قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة، فدعوا إلى دين الله ودين عيسي بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أُخْرَى لم يكن لهــا قوة و لم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبّدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ ٥٠٠ . وروى الإمام أحمد، عن إياس بن مالك أن النبي عليه قال: « لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمّة الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ » . وفي رواية: « لكل أمّة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله »^٣. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال: أوصني ا فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السهاء وذكرك في الأرض "^(٣).

* يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ عَ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَنِهِ وَيَجْعَلَ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ عَ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ وَأَنَّ الْفَضْلَ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ لَيَ لَقَلْمَ الْعَظِيمِ اللَّهِ عَلْمَ الْعَظِيمِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَظِيمِ ﴿ لَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعُمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَا عَلَا عَلَا

عن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدّب أَمّتهُ فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »(ف). وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿ يَا أَيّهَا الذّين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين ﴾ أي ضعفين في من رحمته ﴾، وزادهم ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به كه يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ﴿ ويغفر لكم كففضلهم بالنور والمغفرة . وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيّهَا الذّين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير بطريق أُخْرَى ولفظ آخر .

⁽٢) أخرجه أحمد والحافظ أبو يعلى .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد . (٤) أخرجه البخاري ومسلم .

سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾، ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد، عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ مَثْلُكُم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراطُ قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطـين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت النصارى واليهود، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هــل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا: لا ، قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء ٣٠٠. وروى البخاري، عن أبي موسى، عن النبي عَلِينَةً قال: « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً، يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنـا في أجرك الذي شرطت لنـا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا ، واستأجر آخرين بعدهم = فقـــال : أكملوا يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر، قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال: أكملوا بقية عملكم، فإنمـــا بتي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور 👊 . ولهذا قال تعالى: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله. ﴿ وَأَنَّ الْفَصْلَ بَيْدَ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ . قال ابن جرير : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ أي ليعلم ، وعن ابن مسعود أنه قرأهــا : لكي يعلم لأن العرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح، فالسابق كقوله: ﴿ مَا مُنعَكُ ألا تسجد﴾، ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ .

[آخر تفسير سورة الحديد . ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أحرجه الامام أحمد .

⁽٢) رواه البخاري في صحيحه .



قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيَّ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَعِم يرُّ

عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى الذي على تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجلً: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ إلى آخر الآية " . وفي رواية عنها أنها قالت: تبارك الذي أوعي سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام (خولة بنت ثعلبة) ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله على اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بعلني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾، قالت: وزوجها أوس بن الصامت " . وروى ابن أبي حاتم عن أبي يزيد قال: « لقيت امرأة عمر يقال لها (خولة بنت ثعلبة) وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز ، قال: ويحك وتدري من هذه ؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها » . وعن عامر قال: المرأة التي تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها » . وعن عامر قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة امرأة (أوس بن الصامت) وأمها معاذة .

الَّذِينَ يُظَنهِرُونَ مِنكُم مِّن نِسَآيِمٍ مَّا هُنَّ أَمَّهَاتِهِم ۚ إِنَّ أَمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّذِينَ وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكُرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُونً خَفُورٌ ﴿ وَالَّذِينَ يُظَنّهِرُونَ مِن نِسَآيِمٍ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

⁽١) أخرجه البخاري تعليقاً ، ورواه النسائي وابن ماجة .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عائشة رضي الله عنها .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم وهو منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب كما قاله ابن كثير .

مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ۚ ذَ'لِكُرْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَرْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَ بْنِ مُتَنَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَا اللّهِ فَمَن لَرْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا ۚ ذَالِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَلِلْكَنْضِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ۞

روى الإمام أحمد، عن خولة بنت ثعلبة، قالت : فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قــد ساء خلقه، قالت: فدخل علىّ يوماً فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنترِعليَّ كظهر أمي؛ قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت، قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني فامتنعت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله عَلِيُّلَمْ يقول: « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتتي الله فيه »، قالت: فوالله ما برحت، حتى نزل فيّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنـــه فقال لي: ﴿ يَا خَوَيْلَةً قَدْ أَنزَلَ اللَّهَ فَيْكَ وَفِي صَاحِبْكَ قَرْآنًا ﴾، ثم قرأ عليَّ ﴿ قَد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلَلْكَافَرِينَ عَذَابِ أَلِيم ﴾ قالت، فقال رسول الله ﷺ: « مريه فليعتق رقبة »، قالت، فقلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: « فليصم شهرين متتابعين »، قالت، فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام ، قال: « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر »، قالت، فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت، فقال رسول الله عَيْلِيُّكُم: « فإنا سنعينه بفرق من تمر » ، قالت، فقلت: يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر ، قال: « قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثـم استوصي بابن عمك خيراً » . قالت: ففعلت^{(١}٠ هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ؛ قال ابن عباس: أول من ظاهر من امرأته (أوس بن الصامت) أخو عبادة بن الصامت وامرأته (خولة بنت ثعلبة بن مالك) فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقًا، فأتت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوساً ظاهر مني، وإنا إن افترقنا هلكنا، وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته، وهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جــاء في ذلك شيء، فـأنزل الله تعالى: ﴿ قد سمم الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ﴾ إلى قوله تعالى﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ فدعاه رسول الله عَلِيُّكُ فقال: « أتقدر على رقبة تعتقها » ؟ قال: لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها، قال، فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عتقه، ثم راجع أهله ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر ، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لهـا: أنت عليّ كظهر أُمّي، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود . ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ وَوَاهَ ابْنَ جَرِيرٍ ، قَالَ ابْنَ كُثَيْرٍ : وَإِلَى مَا ذَكُرْنَاهَ ذَهِبَ ابْنَ عَبَاسَ وَالْأَكْثُرُونَ .

الأُمّة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف، وقال سعيد بن جبير: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة (أن وقوله تعالى: ﴿ ما هن أُمّهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾ أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كأمّي، أو مثل أمي، أو كظهر أُمي وما أشبه ذلك، لا تصير أُمه بذلك إنما أمه التي ولدته، ولهذا قال تعالى: ﴿ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ﴾ أي كلاماً فاحشاً باطلاً، ﴿ وإن الله لعفو غفور ﴾ أي عما كان منكم في حال الجاهلية، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه المتكلم، كما روي أن رسول الله وأليه من رجلاً يقول لامرأته: يا أُختي، فقال: و أختك هي ؟ ٣٠ فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ اختلف السلف والأثمة في المراد بقوله تعالى ﴿ ثم يعودون لمــا قالوا ﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم، وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق، وقال أحمـــد ابن حنبل : هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة، وقد حكى عن مالك أنــه العزم على الجماع أو الإمساك وعنه أنه الجماع، وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريمـــاً لا يرفعه إلا الكفارة، وعن سعيد بن جبير ﴿ ثُم يغودون لما قالوا ﴾ يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم . وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفّر . وقال ابن عباس: ﴿ من قبل أن يتماسا ﴾ والمس النكاح (٣٠) . وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر ، وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال: « ما حملك على ذلك يرحمك الله ؟ » قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر ، قال: « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عزّ وجلّ «''. وقوله تعالى: ﴿ فتحرير رقبة ﴾ أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتهاسا، فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان. فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيّد هناك لاتحاد الموجب ، وهو عتق الرقبة ، وقوله تعالى: ﴿ ذَلَكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ﴾ أي تزجرون به ، ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي خبير بمــا يصلحكم ﴿ عليم ﴾ بأحوالكم، وقوله تعالى: ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متنابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعــــام ستين مسكيناً ﴾ قــد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان ﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ أي شرعنا هذا لهذا، وقوله تعالى: ﴿ وتلك حدود الله ﴾ أي محارمه فلا تنتهكوهـا . وقوله تعالى ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البـــلاء ، كلا ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة .

⁽١) رواه ابن أبي حاتم . (٣) وكذا قال عطاء والزهري وقتادة ومقاتل بن حيان .

 ⁽٢) رواه أبو داود .
 (٤) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُونَ اللهَ وَرَسُولُهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنَرْنَا عَايَلَتِ بَيِّنَاتِ وَلِلْكُنفِرِ بَنَ عَلَابٌ مُهِينٌ ﴿ يَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ مُ اللهُ عَمِيعًا فَيُنَيِّبُهُم بِمَا عَمُلُواْ أَخْصَنُهُ اللهُ وَلَاللهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ شَهِيدً عَدَابٌ مُهِينٌ ﴿ يَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ مُ اللهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَهِيدً فَكَاللهُ وَاللهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَهِيدً فَي اللهُ وَاللهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَهِيدً فَي اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿ كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ﴾ أي أهينوا ولمنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم بمن قبلهم ، ﴿ وقد أنزلنا آيات بينات ﴾ أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر ، ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله . والانقياد له والخضوع لديه ، ثم قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ، ﴿ أحصاء الله ونسوه ﴾ أي ضبطه الله وحفظه عليهم ، وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ، ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى . عليهم ، وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ، ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى . كانوا وأين كانوا ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ تَرَ أَنَ الله يعلم ما في السهاوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾ أي من سر ثلاثة كانوا ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ يعلم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له ، كما عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له ، كما مرهم ونجواهم . بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ ، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معبة علمه سرهم ونجواهم . بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ ، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معبة علمه سرهم ونجواهم . بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ ، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معبة علمه على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى : ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء علم قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

* أَلَّمْ ثَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُواْ عَنِ النَّجُوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَقَنَحُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ السَّمُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَبَّهُمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ عِمَا لَوَ يُعَلِّكُ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِمِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ عِمَا لَقُولَ حَسَبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَا فَإِذَا تَنْحَبُّتُمْ فَلَا تَقَنَجُواْ بِالْإِثْمِ وَالْقُدُونِ وَمَعْصِيَتِ جَهَنَّمُ يَصْلُونَا أَلَا يَا لَهُ اللَّهُ اللَّهِ إِلَيْهِ عُشْرُونَ ﴿ إِنَّ إِلَيْهِ إِلَا لَهُ اللَّهُ اللْعَلَالِيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعَلَالِيْ اللَّهُ اللْعَلَالِيْ اللَّهُ اللَّهُ

ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِهِمْ شَيْعًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكَلِّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٢

وقوله تعالى: ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أي يفعلون هذا ويقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك الله أن يعاجلنا بالعقوبة في الدنيا، فقال الله بمعلى: ﴿ حسبهم جهنم ﴾ أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿ يصلونها فبئس المصير ﴾، عن عمرو: أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله يُعلَيْكَ: سام عليك. ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما الله بما نقول ؟ فتزلت هذه الآية: ﴿ وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول » حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ أن وقال ابن عباس: كان المنافقون يقولون لرسول الله يُعلِيكا إذا حيوه : سام عليك، قال الله تعالى مؤدّباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ وإذا بالإثم والعنوان ومعصية الرسول ﴾ أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ، ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ، ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى

⁽١) روي هذا عن مجاهد ومقاتل بن حيان .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أصله في الصحيحين ، وهذا الحديث روي عن عائشة في الصحيح بنحوه .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد .

واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها، روى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله عليه يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال: سمعت رسول الله عليه يقول: « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كتفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ، ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ متى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أن قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أن ثم قال تعالى: ﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أي إنما النجوى وهي المسارة حيث بتوهم مؤمن بها سوءاً ، ﴿ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾ أي ليسوءهم وليس ذلك في إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ أي ليسوءهم وليس ذلك ﴿ بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴾ ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله ، فإنه لا يضره شيء بإذن الله ، وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن ، كما روى ابن مسعود، قال ، قال رسول طه على الله ، وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن ، كما روى ابن مسعود، قال ، قال رسول طه على الله ، إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » (ا

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ َّامُنُوٓا إِذَا قِيلَ لَكُرْ تَفَسَّحُواْفِي الْمَجَلِسِ فَا فَسَحُواْ يَفْسَجِ اللَّهُ لَكُرٌ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُرُواْ فَانشُرُواْ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُرْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَدِتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ ﴿ ﴾ وَاللَّهُ عَالَمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّ

⁽١) أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة .

⁽۲) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود .

سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة ((). وقد ورد عن ابن عمر أن رسول الله عليه قال:
(ا لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا (() وعن أبي هريرة، عن النبي عليه قال:
(ا لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم بجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم (() وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: ((قوموا إلى سيدكم (()) ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: ((من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (()) ومنهم من فصّل فقال:
(يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمسه النبي والله عن من وله أنه أنه أنه أنه أنه أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول لحكه والله أعلم ، فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم ، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول القيالية وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي المحديث المروي في السن أن رسول الله عليه كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم ، فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالباً عثمان وعلي لأنهما كانا بمن يكتب الوحي ، وكان يأمرهما بذلك ، كما روى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله يماليه كان يقول : « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » أن ، وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي الحديث الصحيح : بينا رسول الله يماليه جالس إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فلخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهباً ، فقال رسول الله يماليه الله أن أنه كم بخبر الثلاثة ؟ أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله ، ابن عمرو أن رسول الله يماليه قال : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » . وروى الإمام أحمد ، عن عبدالله البصري في قوله تعالى : ﴿ إذا قبل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ يعني في مجالس الحرب ، البصري في قوله تعالى : ﴿ وإذا قبل انشزوا فانشزوا ﴾ أي انهضوا للقتال ، وقال قتادة : ﴿ وإذا قبل انشزوا فانشزوا ﴾ أي إذا دعيتم إلى خير فأجبيوا ، وقال مقاتل : إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها ، وقوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين أورا الله بما هو رفعة ورتبة عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، يكون نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ورتبة عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الشيخان وأحمد .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٤) أخرجه مسلم في صحيحه .

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد .

العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ ، أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه ، روى الإمام أحمد. عن أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث لتي عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت عليهم من استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا ، فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض ، فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نبيكم على على الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين "٥٠ . وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في « شرح كتاب العلم » من صحيح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

يَنَا أَيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُواۤ إِذَا نَدَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَى نَجْوَنكُرْ صَدَقَةٌ ذَاكِ خَيْرٌ لَكُرْ وَأَطْهَرُّ فَإِن لَرَّ يَكَى نَجُونكُرْ صَدَقَتٍ ۚ فَإِذْ لَرْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُرْ عَمَدَقَتٍ ۚ فَإِذْ لَرْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُرْ فَاللهُ خَيِدُواْ اللهَ عَلْمُ اللهُ عَلَيْكُرْ فَاللهُ خَيِدُوا الطَّهُونَ اللهُ عَلَيْكُرْ فَاللهُ خَيِدُوا الطَّهُونَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَا اللهُ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللهُ خَيِدُوا اللهُ عَمْلُونَ ﴿ اللهُ عَمْلُونَ إِنَّهُ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّه

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله علي أي يساره فيما بينه وبينه ، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلَكَ حَيْرَ لَكُمْ وأطهر ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ﴾ أي إلا من عجز عن ذلك لفقره، ﴿ فَإِنْ اللَّهُ غَفُورَ رَحِيمٍ ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها ، ثم قال تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقَتُم أَنْ تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدِي نَجُواكُم صَدْقَاتٌ ﴾ أي أخفتُم من استمرار هذا الحكم عليكم مِن وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول. ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقْيَمُوا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بمــا تعملون﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقــد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : قال مجاهد : نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قدم ديناراً صدقة تصدق ب، ثم ناجي النبي عَلِي فَالله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة، وقال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عزّ وجلّ لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله عَلِيلَةٍ تصدقت بدرهم، فنسخت، ولم يعمل بهـا أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا إذا نَاجِيتُمُ الرَّسُولُ فقدمُوا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ الآية. وقال ابن عباس ﴿ فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ ، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول عَلِيْنَةً حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيَّه عليه السلام، فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين، وكفوا عنَّ المسألة ، فأنزل الله بعد هذا: ﴿ أَأْشَفَقَتُم أَنْ تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدِّي نَجُواكُم صَدَّقَاتِ فَإِذْ لم تَفْعَلُوا وَتَابِ اللهِ عَلَيْكُمْ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فوسع الله عليهم ولم يضيق ؛ وقال قتادة ومُقاتل: سأل النــاس رسول الله عليه حتى أحفوه بالمسألة، ففطمهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله عَلِيْكُمْ فلا يستطيع أن يقضيها ۚ حتى يقدم بين بديه صدقــة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك : ﴿ فَإِن لَم تجملوا فإن الله غفور رحيم 🙀 .

 ⁽١) أخرجه أحمد ورواه مسلم من غير وجه عن الزهريّ .
 (٢) هذه رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد .

يقول الله تعالى منكراً على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مسع المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ مَدْبَدْبِينَ بَيْنَ ذَلَكَ لَا إِلَى هَوْلاًءَ وَلَا إِلَى هَوْلاًءَ ﴾ . وقال ههنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ تُولُوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن، ثم قال تعالى: ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثُم قالُ تعالى: ﴿ وَيَحْلَفُونَ عَلَى الْكَذَبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المنافقين يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيا حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيماً في مثل حالهم اللعين عيادًا بالله منه، فإنهم كانوا إذا لُقوا الذين آمنوا قالوا آمناً، وإذا جاءوا الرسول حلفوا له أنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذَّبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى: ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ اتْحَلُوا أَيْمَانِهم جنة فصدواً عن سبيل الله، له أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة، فظن كثير َممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صدعن سبيل الله لبعض الناس ﴿ فلهم عذاب مهين﴾، أي في مقـــابلة ما امتُهنوا من الحلف باسمُ الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة، ثم قال تعالى: ﴿ لَن تَغْنِي عَنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾، أي لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم: ﴿ أُولئكَ أَصحابِ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِمُونَ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ يوم يبعثهم اللهِ جميعاً ﴾ أي يحشِرهم يوم القيامة عن آخرَهم فلا يغادر منهم أحداً ، ﴿ فيحلفون ۚ له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيءكه أي يتُحلفون بالله عزّ وجلّ أنّهم كانوا على ألهدى والاَسْتقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا، لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة، ولهذا قال: ﴿ ويحسبون أنهم على شيء ﴾ أي حلفهم ذلك لربهــم عزّ وجلّ ، ثم قال تعالى منكراً عليهم حسبانهم ﴿ أَلا إنهم هُمُ الكاذبون ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب، روى ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير ، أن ابن عباس حدَّثه أن النبي عَلِيلًا كان في ظل حجرة من حِجره وعنده نفر من المسلمين، قد كاد يقلص عنهم الظل، قال: « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه »، فجاء

رجل أزرق، فدعاه رسول الله على فكلمه، فقال: «علام تشتمني أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال، فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون ﴾ " ثم قال تعالى: ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عزّ وجلّ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه، ولهذا قل رسول الله على الله عن الله عن الله عن الله عنه الشيطان، فعليك قال رسول الله على الذئب القاصية » ". قال السائب: يعني الصلاة في الجماعة ، ثم قال تعالى: ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الشيطان كي يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، ثم قال تعالى: ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ .

* إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَ الْكَتْبِكَ فِي الْأَذَلَيْنَ ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَ أَنَا وَرُسُولَ إِنَّ اللَّهَ قَوِيًّ عَزِيزٌ إِنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُواْ عَالَيْهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادً اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُواْ عَابَاتَهُمْ أَوْ أَبْنَا عَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَةُ مُ أَوْ لَتَهِكَ كَتَبَ فِي قُلُو بِيسِمُ الْإِيمَانَ وَأَيْدَهُمُ يِرُوجٍ مِنْ فَوَيُدْ خِلُهُمْ جَنَائِتٍ تَجْرِى مِن عَتْهَا الْأَنْهَ وَرَسُوا عَنْهُ أَوْلَكَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أَوْلَكَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ لَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَيْدُونَ اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ الْعَلَيْدُونَ اللَّهُ عَلَيْمُ وَرَضُواْ عَنْهُ أَوْلَكَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اللَّهِ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَامُ وَلَا إِلَيْنَ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُفْلِحُونَ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُفْلِحُونَ اللَّهُ الْعَلَيْكُ وَلَا إِلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُفْلِحُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ والْمَالِكُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُفْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ اللللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْلِمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللْمُؤْلِمُ اللَّهُ اللْمُؤْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ الللْمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْلِمُ اللَّهُ الللَ

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين بله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد، أي مجانبون للحق مشاقون له ، هم في ناحية والهدى في ناحية في أولئك في الأذلين هم أي في الأشقياء المبعدين الأذلين في الدنيا والآخرة ، في كتابه الأول، وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع والآخرة ، في أن النصرة له ولكُتُبه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، في وأن العاقبة للمتقين في ، كما قال تعالى : في إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد في ، وقال ههنا : في كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز في أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعداثه ، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة ورسليه ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم في أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالى : في قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فه أنزلت ترضوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فه أنزلت ترضوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فه أنزلت هذه الآية في لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر كه إلى آخرها ، في (أبي عبيدة بن الجراح) حين قتل أباه يوم بدر ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ، ولو كانوا آباءهم كه نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه أحمد وابن جرير

⁽٢) أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً .

﴿ أُو أَبِنَاءُهُم ﴾ في الصديق، همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿ أُو إِخوانهُم ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد ابن عمير يومئذ، ﴿ أُو عشيرتهم ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كان أباه أو أخاه فهذا بمن كتب الله في قلبه الإيمان ، أي كتب له السعادة وقررها في قلبه، وزين الإيمان في بصيرته ، قال السدي : ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان ، وقال ابن عباس ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ أي قواهم ، وقوله تعالى : ﴿ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة .

[آخر تفسير سورة المجادلة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه أبو أحمد العسكري .



(وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير)

روى البخاري، عن سعيد بن جبير قال ، قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : سورة بني النضير .

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿ هُو الَّذِي أَخْرَجُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْ لِي الْكِتَلْبِ مِن دِيَرِهِمْ لِأُولِ الْحَشْرِ مَاظَنَنتُمُ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّا نِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللّهِ فَأَنكُهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَرْ يَخْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمُعْبِّ يُخْرِبُونَ بُيُوبَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَتَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿ وَمَن كُن اللّهُ عَلَيْهِمُ الْمُعْبَمُ مِن اللّهُ عَلَيْهُمْ شَاقُواْ اللّهَ وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللّهُ عَلَيْهِمُ الْحَلَا لَا لَعَقَابِ ﴿ مَا اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُمْ مَن لّبِنَةٍ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَامَةً عَلَى أَصُولِما فَيَإِذَنِ وَرَسُولُهُ, وَمَن يُشَاقِ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ مَا مَافَطَعْتُم مِن لّبِنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَا يَهَ عَلَى أَصُولِما فَيَإِذَنِ اللّهَ وَلِيحُونَ اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَيْ أَصُولِما فَيَإِذَنِ اللّهَ وَلِيحُونَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ مَن لّينَةً إِلّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ اللّهُ عَلَى الللّهُ

يخبر تعالى أن جميع ما في السهاوات والأرض يسبّح له ويمجّده، ويقدّسه ويوجّده كقوله تعالى: ﴿ تسبح له السهاوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا ﴿ وهو العزيز ﴾ أي منيع الجناب ﴿ الحكيم ﴾ في قدره وشرعه، وقوله تعالى: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني يهود بني النضير ، كان رسول الله يَوْلِيَّهُ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه ، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فأجلاهم النبي يَوْلِيَّهُ ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ظنوا أنها مانعتهم من بأس الله ، فما أغنى عنهم من الله شيئاً ، وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم ، وسيّرهم رسول الله يَوْلِيَّهُ وأجلاهم من المدينة ، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى (أذرِعات) من أعالي الشام ، وهي أرض المحشر رسول الله يَوْلِيَّهُ وأجلاهم من المدينة ، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى (أذرِعات) من أعالي الشام ، وهي أرض المحشر

والمنشر، ومنهم طاثفة ذهبوا إلى (خيبر) وكان قــد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قُـال تعالى: ﴿ يَخْرِبُونَ بِيُوتُهُمْ بَأَيْدِيهُمْ وَأَبِـدِي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخاًلف رسوله، وكذَّب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا ، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم ، روى أبو داود ، عن عبدالرحمن ابن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : أن كفّار قريش كتبوا إلى (ابن أبيّ) ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل رجعة بدر إنكم أدنيتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنكم، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم، فلما بلغ ذلك (عبدالله بن أبيّ) ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي عَلِيَّكُم ، فلما بلغ ذلك النبي عَلِيَّكُ لقيهم فقال: « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيُّلوا بــه أنفُسكم، يريدُون أن يقــاتلوا أبناءكم وإخوانكم ه ٰ، فلما سمعوا ذلك من النبي عُمِيْكُ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود، إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء ، وهو الخلاخيل، فلمَّا بلغ كُتابهم النبي عَلِيُّكُم أيقنت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي عَلِيُّكُم : اخرج إليناً في ثلاثين رجلاً من أصحابك ليخرج مناً ثلاثون حبراً، حتى نلتني بمكان النصف، وليسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فلما كان الغدُّ غدا عليهم رسول الله ﷺ بألكتائب فحصرهم فقال لهم: ﴿ إِنَّكُم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه » ، فأبوا أن يعطوه عهداً ، فقائلهم يومهم ذلك ، ثم غداً من الغذ على بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، وكان نحل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بهــا ، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ نقول بغير قتال، فأعطى النبي عَلِيْكُ أكثرهــا للمهاجرين قسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبتي منها صدقة رسول الله عليه التي في أيدي بني فاطمة .

وقوله تعالى: ﴿ مَا ظَننتُم أَن يَخرجوا ﴾ أي في مدة حصاركم لهم وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأُخْرَى ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وقدف في قلوبهم الرعب ﴾ أي الخوف والهلع والجزع ، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه ، وقوله : ﴿ يَخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ هو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وحملها على الإبل ، وقال مقاتل بن حيان : كان رسول الله عليه يقاتلهم ، فإذا طهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال ، وكان اليهود إذا علوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ، وقوله : ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ﴾ أي لولا أن الله كتب عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالم ، لكان لهم عند

الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم، عن ابن شهاب قال: أخبر في عروة بن الزبير قال: «ثم كانت وقعة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله عليه حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله عليه قبل الشام، قال: والجلاء أنه كتب عليهم في آي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله عليهم رسول الله عليهم وأزل الله فيهم: ﴿ سبّح لله ما في السهاوات وما في الأرض – إلى قوله – وليخزي الفاسقين ﴾ أن قال قتادة ؛ الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد، وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء فهذا الجلاء، وقد روى الحافظ أبو بكر البيهي، عن ابن عباس قال : كان النبي وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء فهذا الجلاء، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم في الجلاء أرض أخرى . وعن محمد بن مسلمة أن رسول الله عليه إلى بني النضير ، والجلاء إخراجهم في الجلاء ثلاثة أيام .

وقوله تعالى: ﴿ وهُم فِي الآخرة عذاب النار ﴾ أي حتم لازم لا بدلم منه، وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أي إنجما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين، لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد عليه وما يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ثم قال: ﴿ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ اللبن نوع من التمر وهو جيد، قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني من النمر ، وقال كثيرون من المفسرين: اللينة ألوان التمر سوى العجوة ، قال ابن جرير: هو جميع النخل، وذلك أن رسول الله على الله عنه الله على الله على أو إنك أن رسول تنهى عن الفساد، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، اي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشبئته وقدره ورضاه ، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم . روى الإمام من الأشجار فالجميع بإذنه ومشبئته وقدره ورضاه ، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم . روى الإمام أحمد، عن ابن عمر أن رسول الله عقوا على بني النضير وحرق أن وله المه قتل من ابن عمر قال: وقدم نساءهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي يُنِينه فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كله من وقد نقل بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي يُنِينه فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كله من يقاع ع ، وهي البويرة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ . ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم . (٣) أخرجه البخاري .

⁽٢) خرجه أحمد ورواه الشيخان بنحوه . ﴿ ٤) أخرجه الشيخان .

قال أبو إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أُحُد وبعد بئر معونة، وحكى البخاريَ عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

وَمَاۤ أَفَآءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَآ أَوْجَفَتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَلا رِكَابِ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَن يَشَآءُ وَاللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ خَيْلِ وَلا رِكَابِ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَن يَشَآءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَكُمَى وَاللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَكُمَى وَاللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَكُمَ وَالْيَتَكُمُ وَاللّهُ عَلَى مَا مَا مَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَا وَمَا عَالَمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ وَلِلْوَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

الفيء كل مال أخذ من الكفّار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم، فأفاءه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح، التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى: ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ أي من بني النضير، ﴿ فِما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ يعني الإبل، ﴿ ولكنّ الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء، ثم قال تعالى: ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: ﴿ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه .

روى الإمام أحمد، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله على خالصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وما بتي جعله في الكُراع والسلاح في سبيل الله عزّ وجلّ. وقوله تعالى: ﴿ كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ أي جعلنا هذه المصارف لمال النيء، كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخلوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر. عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله عَلَيْتُهُ ؟ قال: بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله عَلَيْتُهُ ، قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف، فما وجدت فيه الذي تقول، قال: فما وجدت فيه الذي المعت نقول، قال: فما وجدت فيه الذي سمعت تقول، قال: فما وجدت فيه: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ؟ قالت: بلى، قال: فإني سمعت رسول الله عَلَيْتُهُ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة، قالت: فلعله في بعض أهلك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت فنظرت، ثم خرجت، قالت: ما رأيت بأساً، فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح: ﴿ وما أريد

أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) ؟ (وقال الإمام أحمد ، عن عبدالله بن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحُسْن ، المغيرات خلق الله عزّ وجلّ . قال : فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيت وكيت ، قال : مالي لا ألعن من لعن رسول الله يَوْلِيهُ وفي كتاب الله تعالى ؟ فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال : إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه ، أما قرأت : فوما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا له ، قالت : بلى ؟ قال : فإن رسول الله يَوْلِيهُ نهى عنه ، قالت : إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال : اذهبي فانظري ، فذهبت فلم تر من حاجتها شيئاً ، فجاءت فقالت : ما رأيت شيئاً ، قال : لو كان كذا لم تجامعتا (وقوله تبالى : فو واتقوا الله يَوْلِيهُ قال : ﴿ إذا أمرتكم بأمر فاثنوا منه ما استطعتم وما نهتكم عنه فاجتنبوه » (وقوله تعالى : فو واتقوا الله إن الله شديد العقاب كها أي اتقوه في امتثال أوامره وترك نواجره ، فإنه شديد العقاب كما عنه زجره ونهاه .

يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال النيء أنهم ﴿ الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورصوله الله ورضواناً ﴾ ، أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة، فقال تعالى: ﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم ، قال عمر : « وأوصي المخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوأوا المدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم ه ألله . وقوله تعالى : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم ، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ، روى الإمام أحمد ، عن أنس قال، قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم ، أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير ، لقد كفونا

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الشيخان وأحمد .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة .

⁽٤) رواه البخاري عند تفسير هذه الآية .

المؤنة وأشركونا في المهنــأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: « لا، ما أثنيتم عليهم ودغوتم الله لهم «٣٠. ودعا النبي عَلِيْكُ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال : « إما لا، فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة ٣٠٠. وقال البخاري، عن أبي هريرة قال، قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: « لا »، فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا: سمعنا وأطعنا، ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صَدُورِهُمْ حَاجَةً ثَمَا أُوتُوا ﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسَّداً للمهاجرين، فيا فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة، قال الحسن البصري ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة ﴾ يعني الحســـد ﴿ مما أُوتُوا ﴾ قال قتادةً: يعني فيما أعطي إخوانهم، وقال عبدالرّحمن بن زيد في قوله تُعالى: ﴿ وَلا يجلون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ يعني مما أوتوا: المهاجرون، قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى: ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ قال، وقال رسول الله يُؤلِّكُم ؛ ﴿ إِنْ إِحْوَانِكُم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم »، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله عَلِيْكُم: « أو غير ذلك ؟ » قالوا: وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: ﴿ هُمْ قُومُ لا يَعْرَفُونَ العَمْلُ فَتَكَفُّونَهُمْ وتقاسمُونَهُمْ الثَّمْرِ »، فقالوا: نعم يا رسول الله، وقوله تعالى: ﴿ ويؤثرون على أنفُسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ يعني حاجة، أي يقدموا المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « أفضل الصدقة جهد المقل »، ومن هذا المقام تصدق الصدّيق رضي الله عنه بجميع ماله، فقال له رسول الله عَلَيْكُم: «ما أبقيت لأهلك؟ » فقال رضي الله عنه: أبقيب لهم الله ورسوله، وهكذا الَّماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر ُ بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقال البخاري، عن أبي هريرة قال: أبي رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النبي عَيْلِيِّكُم: « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله »، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله عُلِيُّكُ لا تدخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: ﴿ لقد عجب الله عزَّ وجلَّ – أو ضحك – من فلان وفلانة ﴾، وأنزل الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ٣ . وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شَحْ نَفْسُهُ فَأُولَئَكُ هُمُ المُفْلَحُونَ ﴾ أي من سلم من الشّح فقد أفلح وأنجح، عن جابر ابن عبدالله أن رسول الله عَلِيْكِيْهِ قال: ﴿ إِيَاكُمُ وَالظّلْمُ فَإِنْ الظّلْمُ ظَلْمَاتَ يَوْمُ القيامة، واتقوا الشّح فإن الشّح أهلك

⁽١) أخرجه أحمد في المسند .

⁽٢) أخرجه البخاري .

⁽٣) أخرجه البخاري ، ورواه مسلم والترمذي والنسائي بنحوه .

من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ٤٠٠ . وعن عبد الله بن عمرو قال ، قال رسول الله عليه الله عليه الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ٤٠٠ . وقال ابن أبي حاتم ، عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت ، فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك مم المفلحون ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئًا ، فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذاك البخل ، وبئس الشيء المبخل ، وعن أبي الهياج الأسدي قال : كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول : اللهم قني شح نفسي ، لا يزيد المبخل ، فقال الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه . وفي الحديث : « بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة ٤٠٠ .

وقوله تعالى: ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإ عان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال النيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لم بإحسان كما قال في آية براءة : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ، فالتابعون لم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة ، وأوصافهم الجميلة ، المداعون لم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ﴾ أي قاتلين ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا ﴾ أي بغضاً وحسداً ﴿ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ ، وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال النيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء ، وقال ابن أبي حاتم ، عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لم فسبوهم ، ثم قرأت هذه الآية : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر النا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الآية ، ثم قال : هذه لحؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربي ﴾ حكيم ﴾ ، ثم قال : هذه لحؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى خمسه وللرسول ولذي القربي كسحى بلغ ﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم – والذين جاءوا من بعدهم ﴾ ثم قال : استوعب هذه المسلمين عامة ، وليس أحد إلا وله فيها حتى ، ثم قال : لثن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها ثم يعرق فيها جبينه (٧) .

⁽١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود .

⁽٣) رواه ابن أبي حاتم .

⁽١) رواه ابن جرير . (١) أخرجه ابن أبي حاتم .

 ⁽٥) أخرجه ابن جرير عن أنس مرفوعاً .

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه ، حين بعثوا إلى يهود بني النضير ، يعسدونهم النصر مسن أنفسهم ، فقال تعالى : ﴿ وَالله يشهد إنهم لكاذبون له أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصركم ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ أي لكاذبون فيا وعدوهم به ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ أي لا يقاتلون معهم الله ولئن نصروهم ﴾ أي قاتلوا معهم ﴿ ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ ، وهذه بشارة مستقلة بنفسها . ثم قال تعالى : ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله تعالى : ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية أو أشد خشية ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جلر محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة ، ثم قال تعالى : ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ أي عداوتهم فيا بينهم شديدة كما قال تعالى : ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً أي عداوتهم فيا بينهم شديدة كما قال تعالى : ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً أهل الكتاب والمنافقين ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولم عذاب ألم ﴾ ، قال بجاهم يعني يهود بني قينقاع ، وهذا القول أشبه بالصواب ، فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله على قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله تعالى: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان الكفر ثم تبرأ منه وتنصل، وقال: ﴿ كَمثُل الشيطان إذ قال ﴿ إِنّي أَخاف الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها

أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجَر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها، قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا: بل قصها علينا، قال، فقصها؛ فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء. قال، فانطلقوا، فاستعد وأنا والله لقد رأيت ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال، فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو (برصيصا) فالله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ فكان عاقبتها أنهما في النار خالدين فيها ﴾ أي فكان عاقبة الأمر بالكفر مصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ أي جزاء كل ظالم .

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسُ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدِّ وَاتَقُواْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَدِيرُ بِمَ تَعْمَلُونَ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَلُهُمْ أَنفُسَهُمْ أَوْلَيْكَ هُمُ الْفَلسِقُونَ ﴿ لَا يَسْتَوِى أَصَّحَبُ النَّارِ وَأَصْحَبُ الْخَارِ وَأَصْحَبُ الْخَارِ وَأَصْحَبُ الْخَارِ وَأَصْحَبُ الْخَلَيْةُ أَصْحَبُ الْجَلَيَّةِ مُمُ الْفَا يَزُونَ وَنَ

عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله عليه في صدر النهار قال، فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النهار العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغيّر وجه رسول الله عليه الناس اتقوا ربكم الفاقة، قال، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن، وأقام الصلاة فصلى، ثم خطب فقال: ﴿ يَا أَيّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ لل تحر الآية، وقرأ الآية التي في الحشر ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ - تصدق رجل من ديناره من درهمه، من ثوبه، من صاع بر، من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله عليه يتهلل وجهه، كأنه مذهبة، فقال رسول الله عليه في الإسلام سنة سيئة كان حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء هذا، فقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء هذا ، فقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله كا من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء هذا ، فقوله تعالى: ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم الأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، ﴿ واتقوا الله كه تأكيد ثان ﴿ إن الله خبير بما تعملون كه أي اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ، القد فأنساهم أنفسهم أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ،

⁽١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .

ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولئك هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يسوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمُ أُمُوالَكُمُ وَلَا أُولادَكُمْ عَن ذَكُرَ الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم المخاسرون ﴾ .

خطب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فقال: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فن استطاع أن يقضي الأجل، وهو في عمل الله عزّ وجلّ، فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزّ وجلّ، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عزَّ وجلَّ أن تكونوا أمثالهم ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾، أين من تعرفونُ من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وخلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه . إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنــا خاشعين﴾ ، لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم »⁽¹⁾ . وقوله تعالى: ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ســـاء مـــا يحكمون ﴾، وقال تعالى: ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصــالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعــل المتقــين كالفجّار ﴾ ، ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ أي الناجون المسلَّمون من عذاب الله عزّ وجلّ. لَوْ أَنَرْلْنَا هَلْذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلِ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْشُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَّنَفَكِّرُونَ ١ هُوَ اللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ هُوَ ٱلرَّحَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَنَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱخْلَاقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى يُسَيِّحُ لَهُ مَافِي ٱلسَّمَلُوتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ **يقول تعالى معظماً لأم**ر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿ لَوَ أَنزَلْنَا هَذَا القرآنِ عَلَى جَبَّلِ لَرَأَيْتُهُ خَاشْعًا متصدعاً من خشية الله ﴾ أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عزّ وجلّ، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقـــد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتَلَكَ الْأَمْثَالَ نَصْرِبُهَا لَلنَّاسَ لَعَلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَو أَنزلنَــا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً ﴾ إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه

لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخلوه بالخشية الشديدة والتخشع ،

⁽١) أخرجه الحافظ الطبراني ، قال ابن كثير : اسناده جيد ورجاله كلهم ثقات .

ثم قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ، وقال الحسن البصري: إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى: ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ﴾ الآية ، وقد تقدم أن معنى ذلك أي لكان هذا القرآن ، ثم قال تعالى: ﴿ هو الله لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو الله لا إله العبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا ، فلا يحفى عليه شيء في الأرض ولا في السهاء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى المشاهدات لنا والغائبات عنا ، فلا يحفى عليه شيء في الأرض ولا في السهاء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى النر في الظلمات ، وقوله تعالى : ﴿ هو الرحمة المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ " وقال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ وقال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الله الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ﴾ أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة .

وقوله تعالى: ﴿ القدوس ﴾ قال وهب بن منبه: أي الطاهر، وقال مجاهد وقتادة: أي المبارك، وقال ابن جريج: تقدسه الملائكة الكرام، ﴿ السلام ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفساله، وقوله تعالى: ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس: أي أمن خلقه من أن يظلمهم، وقال قتادة: أمن بقوله أنه حق. وقال ابن زيد: صدّق عباده المؤمنين في إيمانهم به، وقوله تعالى: ﴿ المهيمن ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ ، وقوله: ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ ، وقوله: ﴿ أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ العزيز ﴾ أي الذي قد عزكل شيء فقهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، ولهذا قال تعالى: ﴿ الجبار المتكبر ﴾ أي الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح: « العظمة إزاري والكبرياء المتكبر ﴾ أي الذي واحداً منهما عذبته » ، وقال قتادة: المجبر يعني عن كل سوء، ثم قال تعالى: ﴿ سبحان المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم، وقال قتادة: المتكبر يعني عن كل سوء، ثم قال تعالى: ﴿ سبحان ما قدره وقوره إلى الوجود ، وليس كل من قدر شيئاً وربّبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجلّ . قال الشاع يمدح آخر

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت، أي قدرت بخلاف غيرك؛ فإنه لا يستطيع ما يريده فالخلق: التقدير، والفري: التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجلاد ثم فرى، أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده، وقوله تعالى: ﴿ الخالق البارئ المصور ﴾ أي الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله تعالى: ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾، ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

وقوله تعالى: ﴿ له الأسماء الحسني ﴾ قــد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراب، ونذكر الحديث المروي

[آخر تفسير سورة الحشر ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) أخرج بعضه الشيخان واللفظ للترمذي .

⁽٢) رواه الترمذي والإمام أحمد .



بِنْ لِلْهُ الْأَمْنُ الْأَجْرِ فِي الْمُعْنُ الْأَجْرِ فِي الْمُعْنُ الْأَجْرِ فِي الْمُعْرِدُ الْمُ

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا لَتَخِذُواْ عَدُوِى وَعَدُوَّ كُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفُرُواْ بِمَا جَآءَ كُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّا كُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ جَهَدُا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي لَسِرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْنُمْ وَمَا أَعْلَنَمُ وَمَن يَفْعَلُهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ فَي إِن يَشْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءٌ وَيَبْسُطُواْ إِلَيْنِكُمُ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسَّوَةِ وَوَدُّواْ لَـوْ تَكْفُرُونَ فَي لَنَ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ

كان سبب نزول صد ر هله السورة الكريمة قصة (حاطب بن أبي بلتعة)، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، فلما عزم رسول الله على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، أمر النبي على المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: «اللهم عمّ عليم خبرنا»، فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم رسول الله على الله عنه قال: بعثني رسول الله على الله عنه قال: بعثني رسول الله على أن والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها »، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قالنا: أخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله على المنظمة في أذ لله الله على المنظمة أن كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من رسول الله على المنظم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أنخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، أن أنخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام،

وقوله تعالى: ﴿ يَرْجُونُ الرسولُ وَإِيَاكُمْ ﴾ هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهسم أخرجوا الرسولُ وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقُمُوا بِللّهُ رَبِّ اللّهُ اللّهُ رَبِّ اللّهُ اللهُ يَكُنُ لَكُمْ عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقُمُوا مِنْهُ اللّهُ وَوَلِهُ تعالى: ﴿ وَمَا نَقُمُوا رَبّا اللّهُ لَهُ وَقُولُهُ تعالى: ﴿ وَانْ كُنتُم خَرِجَمُ جَهَاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ﴾ أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، الله كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ﴾ أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، لدينكم، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَنْ اللهُ وَوَدُوا لُو تَكَفُرُونُ ﴾ والسنتهم بالسوء ﴾ أي لو قلروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال، ﴿ وودُوا لو تَكفُرُونُ ﴾ وأي ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً، فعداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهبيج على أي ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً، فعداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهبيج على عداوتهم أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ لن تنفعكم عند الله، إذا أراد الله بكم سوءاً، وتفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، أي قراباتكم لا تنفعكم عند الله، إذا أراد الله بكم سوءاً، وتفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم، فقد خاب وخسر وضل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد .

قَدْ كَانَتْ لَكُوْ أَسُوةً حَسَنَةً فِي إِبْرَهِمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴿ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَ ۚ أَوَاْ مِنكُوْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُوْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُو الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَى تُؤْمِنُواْ بِاللّهِ وَحْدَهُ ۗ إِلّا قَوْلَ إِبْرَهِمَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُو وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ لَيْ اللّهِ مِن شَيْءٌ وَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّمْنَا وَ إِلَيْكَ أَنْبَنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ لَا إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ إِنَّ اللّهُ مِن اللّهِ مِن شَيْءٌ وَبَالَا عَلَيْكَ تَوَكَّمْنَا وَ إِلَيْكَ أَنْبَنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

⁽١) أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة .

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَهُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُرَّ فِيهِمَ أَسْوَةً حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْمَيْوْمَ الْآخِرَّ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّاللَهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين والتبري منهم: ﴿ قَدْ كَانْتَ لَكُمْ أَسُوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ أي وأتباعه الذين آمنوا معه، ﴿ إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ﴾ أي تبرأنا منكم ﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم، اي بدينكم وطريقكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدأ نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له ، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، وقوله تعالى ﴿ إِلَّا قُولَ إِبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة، تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كأن عن موعدة وعدها إياه؛ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ وَمَا كَانَ استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةً وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ . وقال تعالى في هذه الآيــة الكريمة ﴿ إِلا قُولَ إِبْرَاهِيمِ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفَرَنَ لكَ وَمَا أَمْلُكُ لَكُ مِنَ اللَّهُ مِن شيءً ﴾ أي ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد . ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه، حين فارقوا قومهم وتبرأوا منهم، فقالوا ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك المصير ﴾ أي توكلنا عليك في جميع الأمور ، وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك، وإليك المصير أي المعاد في الدار الآخرة ﴿ رَبَّنَا لَا تَجعلنا فتنة للذين كفرواكه قال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لوكان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروإ علينا لحق هم عليه، واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى: ﴿ واغفر لنا ربنا إنك أنتَ العزيز الحكيم ﴾ أي واستر ذنو بنا عن غيرك، واعف عنهاً فيما بيننا وبينك ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ أي الذي لا يضام من لاذ بجنابك ، ﴿ الحكيم ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك، ثم قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾، وهذا تأكيد لما تقدم، وقوله تعالى: ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد، وقوله تعالى ﴿ ومن يتول ﴾ أي عما أمر الله به، ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾، كقوله تعالى ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميدك، وقال ابن عباس: ﴿ الغني ﴾ الذي قد كمل في غناه، وهو الله ليس كمثله شيء ، و ﴿ الحميد﴾ المستحمد إلى خلقه، أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله، لا إلّه غيره ولا رب سواه .

* عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُرْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ لَا

يَنْهَكُ كُو اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَرْ يُقَانِيلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِينرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ

ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنِّمَا يَنْهَلَكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَلْتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَنْوَجُوكُمْ مِن دِيَلْرِكُمْ وَظَلْهَرُواْ عَلَىٰٓ إِنْوَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلِّمُ مَ فَأُوْلَنَبِكَ هُمُ ٱلظَّلْلِمُونَ ۞

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ أي محبة بعد البغضة، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة، ﴿ والله قدير ﴾ أي على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المنتافرة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾، وكذا قال لهم النبي الأنصار ﴿ وأنه أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ »، وقال الله تعالى ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾، وفي الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما ».

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَفُورَ رَحِيمٍ ﴾ أي يغفر للكافرين كفرهم، إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان، وعن ابن شهاب أن رسول الله عَلَيْكُ استعمل أبا سفيان صخر ابن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله عَيْظِيُّهُ أقبل، فلتي ذا الخمار مرتداً، فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه: ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عــاديتم منهم مودة ﴾ (١) الآية ، وقوله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ ، أي لا ينهاكم عن الأحسان إلى الكفـرة ، الذين لا يقاتلونكم في الدين كــالنساء والضعفة منهم ﴿ أَن تبروهم ﴾ أي تحسنوا إليهم، ﴿ وتقسطوا إليهم ﴾ أي تعدلوا، ﴿ إِن الله يحب المقسطين ﴾ . عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي عَلِيْكُ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفاُصلها ؟ قال: « نعم صلي أُمك »٣. وقال الإمام أحمد حدثنا عارم، حدثنا عبدالله بن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثنا عن عبدالله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر ِ بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها ، فسألت عائشة النبي عَلِيْكُ ، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴾ إلى آخر الآيــة، فأمرها أن تقبل هَديتها وأن تدخلها بيتها^{ها} ، وقوله تعالى: ﴿ إِن الله يحب المقسطين ﴾ في الحديث الصحيح : « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا » . وقوله تعالى: ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ﴾ أي إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة، فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم، ينهاكم الله عزّ وجلّ عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثمَّ أكد الوعيد على مُوالاتهم، فقَال: ﴿ وَمَنْ يَتَّولِمُ فَأُولَئْكُ هم ألظالمون ﴾، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتُولُمُ مَنْكُمُ فَإِنَّهُ مَنْهُمْ إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمُ الظَّالَمِينَ ﴾ .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الشيخان والإمام أحمد . (٣) رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم .

يَنَا يَهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللّ

تقدم في سورة الفتح ذكر صلح الحُديبية، الذي وقع بين رسول الله عَلَيْكِيْ وبين كفار قريش، فكان فيه: على أن لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصِّصة للسنة، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله عزّ وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علم ومنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ﴿ لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾، وسبب النزول ما روي أنه لما هاجرت (أم كلثوم) بنت عقبة بن أبي معيط، خرج أخواها (عمارة) و (الوليد) حتى قدما على رسول الله عن فكلماه فيها أن يردها إليهما، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأن النساء خاصة، فنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأن الله آية الامتحان مول الله عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله عن الله عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت الهاس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله (وج)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين منوا إذ جاء كم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ كان امتحانين أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وقال مجاهد: ﴿ فامتحنوهن ﴾ فاسألوهن عما جاء بهن، فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو وما جاء بك عشق رجل منا، ولا فرار من زوجك، فذلك قوله ﴿ فامتحنوهن ﴾، وقال قتادة: كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخر جكن النشوز، وما أخر جكن إلا حب الإسلام وأهله، وحرص عليه، فإذا قلن ذلك أن يستحلفن بالله ما أخر جكن النشوز، وما أخر جكن إلا حب الإسلام وأهله، وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً ، وقوله تعالى: ﴿ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أمر (أبي العاص بن الربيع) زوج ابنة النبي عَلَيْكُ زينب رضي الله عنها، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت

⁽١) ذكره في المسند الكبير في ترجمة عبدالله بن جحش .

⁽٧) رواه ابن جرير ورواه البزار من طريقه وذكر أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب .

امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة، فلما رآها رسول الله على أن يبعث ابنته إليه، للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا»، ففعلوا» فأطلقه رسول الله على أن يبعث ابنته إليه، فوفي له بذلك، وصدقه فيا وعده، وبعنها إلى رسول الله على أبو العاص بن الربيع سنة (نمان) فردها إليه بالنكاح من بعد وقعة بدر، وكانت سنة (اثنتين) إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة (نمان) فردها إليه بالنكاح الأول، ولم يحدث لها صداقاً؛ كما روى الإمام أحمد، عن ابن عباس أن رسول الله على رد ابنته زينب على أبي العاص، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح، ولم يحدث شهادة ولا صداقاً ه\". وروي أن رسول الله على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد\"، والذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه، وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت، وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ والا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن كي يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فأنكحوهن وقوله بعالى: ﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن كي يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فأنكحوهن بشرطه، من انقضاء العدة والولي وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ تحريم من الله عزّ وجلّ على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن، وفي الصحيح أن رسول الله عليه للم علم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاء كم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما (معاوية بن أبي سفيان) والأخرى (صفوان بن أمية)، وقال الزهري: أنزلت هذه الآية على رسول الله عليه والله الحديبية، حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده إليهم، فلما جاء النساء نزلت هذه الآية، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن، وحكم على المشركين مثل ذلك الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد، وقوله تعالى: ﴿ واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ﴾ أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجهم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين، وقوله تعالى: ﴿ والله على على عاده حكم في ذلك، ثم هاجرن إلى المسلمين، وقوله تعالى: ﴿ والله على على المواجم في ذلك، ثم عالم تعالى: ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ قال تعالى: ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ قال تعالى: ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ قال تعالى ذا ولا يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها، وقال ابن عباس في هذه الآية يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله يؤلي أن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله يونهم مثل ما أنفق من الغنيمة،

⁽١) أخرجه أحمد ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .

⁽٢) أخرجه عبد بن حميد والعمل عليه عند أهل العلم .

⁽٣) قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغير واحد .

وهكذا قال مجاهد ﴿ فعاقبتم ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿ فَآتُوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ يعني مهر مثلها، وهذا لا ينافي الأول، لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار، وهذا أوسع، وهو اختيار ابن جرير (١).

يَنَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَنْ لَا يُشْرِكُنَ بِاللّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلُنَ أَوْلَكَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَدُنِ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفِ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ ﴿

روى البخاري، عن عروة أن عائشة زوج النبي عَلِيْكُ أخبرته أن رسول الله عَلِيْكُ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿ عَفُور رحيم ﴾، قال عروة، قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله عَلِيْكُ: « قد بايعتك » كلامًا، ولا والله ما مست يده يدامرأة في المبايعة قط، ما يبايعهن إلا بقوله: « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخاري .

وروى الإمام أحمد، عن أمية بنت رقيقة ألله التستطعت وأطقت ، قلنا لله عليه في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن وفو أن لا نشرك بالله شيئاً كه الآية ، وقال : « في استطعت وأطقت » ، قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال : « إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة المرأة » وعن (سلمي بنت قيس) – وكانت إحدى خالات رسول الله يهلي – وقد صلت معه القبلتين، قالت : جئت رسول الله يهلي ، نبايعه في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا، ولا نأي ببهتان نفتر يه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، قال : « ولا تغشش أزواجنا ؟ قال ، فسألته قال : « تأخذ ماله فتحابي به غيره » ألى وقال الإمام أحمد، عن عائشة بنت قدامة – يعني ابن مظعون – قالت: أنا مع أمي رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي ألي ببان عائسوة ويقول : « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصيني في معروف – قلن نعم – فيا استطعتن ، فكن يقلن وأقول معهن وأمي تقول لي : أي بنية نعم ، فكنت أقول كما يقلن » ألى البخاري ، عن أم عطية قالت : أسعدتني فلانة ، فأريد أن أجزيها ، فما قال لها رسول الله تعليه شيئاً ، فانطلقت ورجعت فقبضت امرأة يدها ، قالت : أسعدتني فلانة ، فأريد أن أجزيها ، فما قال لها رسول الله تعليه شيئاً ، فانطلقت ورجعت فقبضت امرأة يدها ، قالت : أسعدتني فلانة ، فأريد أن أجزيها ، فما قال لها رسول الله تعليه شيئاً ، فانطلقت ورجعت فقبيضا ، وفي رواية : فما وفي منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان (٢٠)

⁽١) في اللباب ، أخرج ابن أبي حاتم : ﴿ وَإِن فَاتَكُم ﴾ نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها ثقني .

⁽٧) قوله (أميمة بنت رقيقة) هي أخت السيدة خديجة وخالة فاطمة الزهراء .

 ⁽٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي .
 (۵) أخرجه الإمام أحمد أيضاً .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد . (٦) أخرجه البخاري ومسلم .

وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد، كما روى البخاري ، عن ابن عباس، قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله عَلِيُّهُ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله عَلِيْكُ ، فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال : ﴿ يَا أَيِّهِا النِّي إِذَا جَاءَكَ المؤمنات بِبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهـــن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قـــال حين فرغ: « أنتن على ذلك ؟ » ، فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله . لا يدري حسن من هي، قال: فتصدقن، قال: وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال™. وعن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال : « تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم – قرأ الآية التي أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات – فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ه^{هم}. وقد روى ابن جرير ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: « قل لهن إن رسول الله عَلَيْكُ يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ﴾ وكانت (هند بنت عتبة بن ربيعة) التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء، فقالت هند وهي متنكرة: كيف تقبل من النساء شيئًا لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله عليه الله وقال لعمر : « قل لهن : ولا يسرقن »، قالت هند: والله إني لأصبب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهن لي أم لا، قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بتي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ، وعرفها، فقال: «ولا يزنين »، فقالت: يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة، قال: « لا والله ما تزني الحرة » قال: «ولا يقتلن أولادهن »، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال: ﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبهَتَانَ يَفْتَرِينَه بين أيديهن وأرجلهن﴾ قال: ﴿ وَلا يَعْصَيْنُكُ فِي مَعْرُوفَ ﴾ قال: منعهن أن يُنحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب، ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور٣٠. وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، بايع رسول الله مَالِقُهُ الرجال على الصفا، وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله عَلِيْكُم، فذكر بقيته كما تقدم، وزاد: فلما قال: ﴿ وَلا تَقْتَلَنَ أُولَادَكُنَ ﴾ قالت هند: ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى(ا) .

فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النِّي إِذَا جَاءَكَ المؤمنات يَبايعنكُ ﴾ أي من جَاءَكُ منهن يَبايع على هذه الشروط فبايعها، على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، وقوله تغالى: ﴿ ولا يزنين ﴾ كقوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ . وقال الإمام أحمد، عن عروة عن عائشة قالت: جاءت (فاطمة بنت عتبة) تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿ أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ الآية قال: فوضعت

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم .

⁽٣) أخرجه ابن جرير قال ابن كثير : في بعضه نكارة وهو أثر غريب .

^(\$) رواه ابن أبي حاثم .

يدها على رأسها حياءً، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقرّي أينها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنم إذاً، فبايعها بالآية ()، وقوله تعالى: ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لثلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبه ، وقوله تعالى: ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ ، قال ابن عباس: يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود، عن أبي هريرة أنسه سمع رسول الله عليه يقول حين نزلت آية الملاعنة: ﴿ أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين () .

وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَعْصَيْنُكُ فِي مَعْرُوفَ ﴾ يعني فيما أمرتهن بــه من معروف ، ونهيتهن عنه من منكر ، عن ابن عباس قال: إنمــا هو شرط شرطه الله للنساء ، وقال ابن زيد : أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف، وقد قال غير واحد: نهاهن يومئذ عن النوح، وعن الحسن قال: كان فيما أخـــذ النبي عَلِيْكُم، ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذي بين فخذيه^m ، وقال ابن جرير ، عن أم عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشترط علينا رسول الله عَلِينًا من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح، فقالت امراة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني، فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم، ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنَس بن مالك (^{١)}. وعن امرأة من المبايعات قالت: «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً ، ولا ننشر شعراً ، ولا نشق جيباً ولا ندعو ويلاً ه⁽⁶⁾ وروى ابن جرير عن أم عطية قالت: ﴿ لمَا قَدَم رسول الله عَلَيْكُم جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن، أو فرددنا عليه السلام ثم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن ، فقالت، فقلنا: مرحبًا برسول الله وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئًا ولا تسرقن ولا تزنين، قالت، فقلنا: نعم، قالت، فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللهم اشهد، قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا، ونهى عن اتباع الجنائز ، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿ وَلا يَعْصِينُكُ فِي مَعْرُوفُ ﴾ قالت: النياحة^(٢). وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »^{(م}. وعن أم سلمة عن رسول الله يُؤلِينَةٍ في قول الله تعالى : ﴿ وَلا يَعْصَيْنُكُ في معروف ﴾ ◘ قال : النوح .

⁽١) رواه الإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه أبو داود .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٤) أخرجه ابن جرير ورواه البخاري بنحوه .

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٦) رواه ابن جرير .

⁽٧) أخرجه الشيخان .

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامَنُواْ لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَبِسُواْ مِنَ الْآنِوَةِ كَمَا يَبِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصَّحَابِ ٱلْقُبُورِ ١

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة ، كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ يعني اليهود والنصارى وساثر الكفار ، ممن غضب الله عليه ولعنه ، واستحق من الله الطرد والإبعاد ، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل ، وقوله تعالى: ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ فيه قولان: أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم ، الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ، لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشوراً ، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيا يعتقدونه ، قال ابن عباس: يعني من مات من الذين كفروا ، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصري : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة : كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا . والقول الثاني : معناه من الكفار الذين هم في القبور من كل خير (١) ، قال ابن مسعود : ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ قال : كما يئس الكفار الذامات وعاين ثوابه واطلع عليه ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

[آخر تفسير سورة الممتحنة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) وهو قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي .



روى الترمذي، عن عبدالله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله عَلَيْكُم، فتذاكرنا، فقلنا: لـــو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عزّ وجلّ لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿ سَبّح لله ما في الساوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ قال عبدالله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله عَلِيْكُم »(١)

سَبَّحَ بِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عَلَيْهُ وَلَا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عَلَيْهُ وَلَا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ ال

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ سبح لله ما في السهاوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ غير مرة بما أغنى عن إعادته، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ إنكار على من يعد وعداً، أو يقول قولاً لا يني به، وفي الصحيحين أن رسول الله يَوْلِينُ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا الوتمن خان »، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، كقوله تعالى: ﴿ فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون النساس كخشية الله أو أشد خشية ﴾، وقال تعالى: ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ الآية، وهكذا هذه الآية كما قال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عزّ وجلّ دلنا على أحب الأعمال إبه فعمل به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها

⁽١) أخرجه الترمذي والإمام أحمد .

الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ ؟ وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به ، فدلم الله على أحب الأعمال إليه فقال : ﴿ إِن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ﴾ فبين لهم ، فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي عَلَيْكُ مدبرين ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ ، وقال قتادة والضحّاك : نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون : قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا ؛ ولم يكونوا فعلوا ذلك . وقال ابن زيد : نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعلون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك ، وقال مجاهد : نزلت في نفر من الأنصار فيهم (عبدالله بن رواحة) ، قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى غوت ؟ فأنزل الله تعالى هذا فيهم ، فقال عبدالله بن رواحة : لا أبرح حبيساً في سبيل الله أموت فقتل شهيداً .

ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنْ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين، إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي ألعليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذ صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال 🕬. وقال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهـي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: لله أبوك، فقد لقيت فهات، فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله عَيْنَا الله عَلَيْنَ عَلَيْ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ مَا اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْ عَلَيْنَ مُ عَلَيْ فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عزَّ وجلَّ ؟ قال: رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً، فلتي العدو فقتل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل، ثم قرأ : ﴿ إِن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ ٣ وذكر الحديث . وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ إِن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُم بنيــــان مرصوص﴾ أي ملتصق بعضه في بعض ، من الصف في القتال ، وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضه إلى بعض ، وقال ابن عباس : ﴿ كَأَنْهُم بنيان مرصوص ﴾ مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض ، وقال ابن جرير ، عن يحيى ابن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ قال، وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفت في الصف فجأوا⁽¹⁾ في لحيبي .

وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ عَ يَنَقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدَ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْ كُرُّ فَلَتَ زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمُ ۚ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِفِينَ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى اَبْنُ مَرْيَمَ يَلَبَنِيٓ إِمْرَ آوِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْ كُمُ

⁽١) وهذا اختيار ابن جرير .

⁽٢) أخرجه ابن ماجة والإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي والنسائي بنحوه . ﴿٤) فجأوا: أي اضربوا (من : وجأ عنقه أو في عنقه) ضربه .

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ ٱلتَّوْرَيَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى ٱشْهُهُ وَأَخْمَدُ فَلَتَ جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَا يَعْدِى ٱشْهُهُ وَأَخْمَدُ فَلَتَ جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَا يَعْدِى أَشْهُ وَأَخْمَدُ فَلَتَ جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَا يَعْدِى أَشْهُ وَأَخْمَدُ فَلَتَ جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَا يَعْدِى أَشْهُ وَأَخْمَدُ فَلَتَ الْعَالَمُ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْنَ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ مَا أَمْ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْ

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه (موسى بن عمران) عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ لم تؤذونني وقد تعلمون إلى رسول الله يَلِيكُ هِى، أي لم توصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدق فيا جنتكم به من الرسالة ؟ وفي هذا تسلية لرسول الله يَلِيكُ فيا أصابه من الكفّار . وقوله تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى و أصكنها الشك والحيرة والخذلان ، كما قال تعالى: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ومن يشاقق الرسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ يعني التوراة ، وقعد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه ، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول الذي الأمي العربي المكي (أحمد) فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام بعدي وهو الرسول الذي الأمي العربي المكي (أحمد) فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام أبحاري ، عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله عليه يقول : ﴿ إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا ألحمد ، وأنا ألحمد ، وأنا العاقب » (أحمد على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ عليه العهد ، لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو مي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو مي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو مي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهو مي ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث

وقال محمد بن إسحاق، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله عليه انهم قالوا: يا رسول الله اخبرنا عن نفسك، قال: « دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » في وقال رسول الله عليه الله عليه الله عليه الله وسائبة والنبين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبتكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبين يرين » وروى أحمد عن أبي أمامة قال، قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك ؟ قال: « دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وقال عبدالله بن مسعود: بعثنا رسول الله على النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، منهم (عبدالله بن مسعود) و (جعفر) و (عبدالله ابن رواحة) و (عثمان بن مظعون) و (أبو موسى) فأتوا النجاشي، وبعثت قريش (عمرو بن العاص) و (عمارة

⁽١) أخرجه البخاري ورواه مسلم بنحوه .

⁽٢) رواه ابن إسحاق ، قال ابن كثير : إسناده جيد وله شواهد من وجوه أخر .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد عن العرباض بن سارية مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد .

ابن الوليد ﴾ بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له : إن نفرأ من بني عمَّنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا ، وعن ملتنا ، قال : فأين هم ؟ قالا : هم في أرضك فابعث إليهم ، فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلّم و لم يسجد، فقالوا له: مالُّك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عزَّ وجل، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عزَّ وجلَّ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمّه ؟ قال: نقول كما قال الله عزّ وجلّ : هو كلمة الله ، وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ، ولم يعترضها ولد، قال، فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا ، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الذي بَشِّر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه ، وأوضِئه ، وأمر بهدية الآخرين فرُدَّتْ إليهما^(١) . والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بُعث، وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض، على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبيَّاء بعده ، حين دعا لأهل مكَّة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى بن مريم، ولهذا قال: « دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بن مريم، ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك، والإرهاص، فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَا جَاءَهُمُ بَالْبَيْنَاتُ قالوا هذا سحر مبين ﴾ قال ابن جريج، ﴿ فلما جاءهم ﴾ أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقادمة المنوه بذُّكره في القرون السالفة، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون ﴿ هذا سحر مبين ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ آفَتَرَىٰ عَلَى اللهِ ٱلْكَذِبَ وَهُويُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ ۚ وَاللهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِينَ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِ مِلْ رَسُولُهُ, بِالْمُدَىٰ وَدِينِ الْحُكْفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِي َ أَرْسَلَ رَسُولُهُ, بِالْمُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقَقِ لِيُظْهِرُهُ, عَلَى ٱلدِّينِ كُلِهِ - وَلَوْ كَوْهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۞ الْحَكْفِرُونَ ۞ الْحَدَىٰ وَدِينِ

يقول تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ﴾ ، أي لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ، ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يُدّعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفيء شُعاع الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى: ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ، وقد تقدّم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية ، ولقد الحمد والمنة .

⁽١) رواه أحمد وأصحاب السير .

يَتَأَيُّكَ الَّذِينَ اَمَنُواْ هَلْ أَدُلْكُمْ عَلَى بَجَرَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيدٍ ﴿ ثَنَى تُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَ وَنُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمُولِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ يَعْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمُولِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ عَدْرِنْ ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ وَالْمَرَىٰ مُجِبُوبَا اللّهُ مِن تَعْتِهَا الْأَنْهَ لُو وَمَسَكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْرِنْ ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ وَالْمَرَىٰ مُجِبُوبَا اللّهُ مِن تَعْتِهَا الْأَنْهَ لَوْ وَمَسَكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْرِنْ ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللللللللل

فسر الله تعالى هذه التجارة العظيمة التي لا تبور ، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى:
و تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون في ، أي من تجارة الدنيا والكد لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ أي إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه ، غفرت لكم الزلات ، وأدخلتكم الجنات ، والمساكن الطيبات ، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ أي وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها ، وهي ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ أي إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه ، تكفل الله بنصركم ، قال الله تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز كي ، وقوله تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز كي ، وقوله تعالى : ﴿ وفتح قريب ﴾ أي عاجل الهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة ، لمن أطاع عزيز كي ، وقوله تعالى : ﴿ ونصر الله ودينه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ .

يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى اَبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْتِنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَىَ اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَعَامَنَت طَّمَا بِفَهُ مِّنَ بَنِيٓ إِسْرَاءِ بِلَ وَكَفَرَت طَّمَا بِفَةٌ فَأَيْدَنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوهِمْ فَأَصْبَحُواْ

ظَلِهِرِينَ ۞

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين، أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى، حين قال: ﴿ مِن أنصاري إلى الله ﴾ أي من معيني في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، ﴿ قال الحواريون ﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿ نحن أنصار الله ﴾ أي نحس أنصارك على ما أرسلت به، وموازروك على ذلك، وهكذا كان رسول الله عليه يقول في أيام الحج: « من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي » حتى قيض الله عزّ وجلّ له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووآزروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وفوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله (الأنصار) وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم. وقوله تعالى: ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة كي أي لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة

إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة بمن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقاً وشيعاً، فن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس) ومن قائل: إنه الله، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء . وقوله تعالى: ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ أي عليهم وذلك ببعثة محمد عليه . قال ابن عباس: ﴿ فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ﴾ يعني الطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ بإظهار محمد عليه دينم على دين الكفار ، فأمة محمد عليه لا يزالون ظاهرين على يا أمر الله وهم كذلك " وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلى .

[آخر تفسير سورة الصف ، ولله الحمد والمنة]





عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين 🗥 .

بِنْ لِشُوالرَّمُّنُ الرَّجِي فِي

يُسَيِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوْتِ وَمَا فِي الْأُرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِيتِ رَسُولًا مَنْهِمْ عَلَيْهُمْ عَالَيْتِهِمْ عَالَيْتِهِمْ عَالَيْتِهِمْ وَيُعلِّمُهُمْ الْكَتَلَبُ وَالْحَكُمْ وَإِن كَانُواْمِن قَبْلُ لَفِي صَلَّلُ مُّينِ ﴿ وَالْعَلِمِ فَي وَالْعَلِمِ الْمَلِمُ اللّهُ القَدُوسِ هَا يَ هُو مالك المناوات والمؤلم على المنطوقات ناطقها وجامدها، كما على الله تعالى والله القدوس ها ي هو مالك الساوات والأرض، المن من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما عالى تعالى والله القدوس ها ي هو مالك الساوات والأرض، المنتوب فيهما بحكم، وهو المقدس أي المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكال، ﴿ العزيز الحكم ها، وقوله المنتج بحمده ها، ثم قال تعالى ﴿ الملك القدوس ها أي هو مالك العالم وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم ها ؟ وتخصيص الأمين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر ، كما قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم على هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم يتلو عليهم آباته من السبل، وقد التقدت الحاجة إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم يتلو عليهم آباته من السبل، وقد الشتدت الحاجة إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم يتلو عليهم آباته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لني ضلال مين ها، وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين من السبل، وقد الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها، وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه، بشرع عظيم كامل شامل، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاج الناس إليه من أمر معاشهم ومعادهم، وجمع له تعالى بشرع عظيم كامل شامل، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاج الناس إليه من أمر معاشهم ومعادهم، وجمع له تعالى بشما

⁽١) رواة مسلم في صحيحه .

جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه داعًا إلى يوم الدين، وقوله تعالى: ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ . روى الإمام البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي عليه فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله على سلمان الفارسي، ثم قال: ﴿ لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال – أو رجل – من هؤلاء » الله في هذا الحديث دليل على عموم بعثته على الله بل جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿ وآخرين منهم ﴾ يفارس، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال: هم الأعاجم وكل من صدق النبي بفارس، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أي ذو العزة والحكة في شرعه وقدره، وقوله تعالى: ﴿ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ يعني ما أعطاه الله محمداً عليه من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثه على إلهم .

يقول تعالى ذاماً لليهود، الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثم لم يعملوا بها؛ مثلهم في ذلك ﴿ كمشل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، فهم أسوأ حالاً من الحمار، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لم فهوم لم يستعملوها، كما قال تعالى ﴿ أولتك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾، وقال تعلى ههنا: ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ . عن ابن عباس قال، قال رسول الله يَوالله : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له : أنصت ليس له جمعة ه أن ثم قال تعالى: ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ أي إن كنتم صادقين ﴾ أي فيا تزعمونه، قال محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفتين ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي فيا تزعمونه، قال الله تعالى: ﴿ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ أي بما يعملون من الكفر والظلم والفجور ﴿ والله على بالظالمين ﴾ وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى: ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى: ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوْةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰ لِكُرْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوْةُ فَآنَتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَآبْنَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَآذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

إنها سعيت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخوج منها، وفيه تقوم الساعة، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح، وقد كان يقال له (يوم العروبة)، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار البهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدي فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة، كما أخرجه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ينافي المنافق الذي أكمل الله فيه الخليقة، كما أخرجه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة قال، قال الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غذاً والنصارى بعد غده ه. ولسلم: «أضل الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضى بينهم قبل الخلائق ه. وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله كها أي أقصلوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه لما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي وهو مؤمن كه، فأما المشي السريع إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فا أدركتم فصلوا وما فاتكم علياتهم قال الذكرة فصلوا وما فاتكم

⁽١) رواه البخاري والترمذي والنسائي .

⁽٢) رواه الحافظ الطبراني .

⁽٣) هذا لفظ البخاري .

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن رسول الله عليه عليه عليه عنه الحمية الجمعة فليغتسل » ، ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ، قال رسول الله عليه الله على الله على على على على محتلم » . وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله عليه الله الله على الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده ٣٠٠. وعن أوس بن أوس الثقني قـــال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من غسّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكّر وابتكر ، ومشى و لم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها ه[®]. وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال، إن رسول الله ﷺ قال: « من اغتسل يوم الجمعة غسل جنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرَت الملائكة يستمعون الذكر n⁽⁶⁾ ويستحب أن يلبس أحسن ثبابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر . لما روى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله عليه عليه عليه عليه عليه عنه عنه عنه عنه عنه عنه عنه عنه ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخْرَى ،(٢) .وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النهار ، فقال: « ما على أحد كم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوب مهنته »(٣ . وقوله تعالى: ﴿ إِذَا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴾ المراد بهذا النداء هو (النداء الثاني) الذي كان يفعل بين يدي رسول الله عَلِيْكُم إذا خرج فجلس على المنبر ، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه، فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين (عثمان بن عفّان) رضى الله عنه، فإنمــا كان هذا لكثرة الناس، كما رواه البخاري رحمه الله، عن السائب بن يزيد

⁽١) أخرجاه في الصحيحين .

⁽٢) رواه الترمذي .

⁽٣) رواه مسلم .

⁽٤) قال ابن كثير : هذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسَّنه الترمذي .

⁽٥) أخرجه الشيخان .

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد

⁽۷) رواه ابن ماجة .

قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله على المجالية وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس، زاد النداء الثاني على الزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد. وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس، وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿ وذروا البيع ﴾ أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني ، وقوله تعالى: ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ أي فرغ منها ﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء ، وأمرهم بالاجتماع ، أذن لم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله ، كما كان (عراك ابن مالك) رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين ألى وروي عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترع في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم ، اذكروا الله ذكراً كثيراً ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، وهذا جاء في الحديث : « من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد : وهو على كل شيء قدير ، كتب الله ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سبئة » . وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وَ إِذَا رَأَوْاْ نِجَدْرَةً أَوْ لَهَوًا انفَضُواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآ مِكَ ۚ قُلْمَاعِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهُوِ وَمِنَ النِّيجَارَةِ ۖ وَاللَّهُ

خَيْرُالَّازِقِينَ ﴿إِنَّ

يعاتب تبارك وتعانى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومنذ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأُوا تَجَارَةَ أُو لَمُوا انفضُوا إليها وتركوك قائماً ﴾ أي على المنبر تخطب، عن جابر رضي الله عنه قال: قدمت عير مرة المدينة ورسول الله عليه يخطب فخرج الناس، وبني اثنا عشر رجلاً فنزلت: ﴿ وَإِذَا رَأُوا تَجَارَةَ أَو لَمُوا انفضُوا إليها ﴾ ". وروى الحافظ أبو يعلى، عن جابر بن عبدالله قال: بينما النبي عيله يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله يهله حتى لم يبق مع رسول الله عليه إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله عليه الوادي ناراً » ونزلت رجلاً، فقال رسول الله عليه على يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً » ونزلت

⁽١) رواه البخاري .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين .

هذه الآية: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ ، وقال : كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله والله على الله والله والل

[آخر تفسير سورة الجمعة ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة]

* * *

⁽١) رواه الحافظ الموصلي .

⁽۲) أخرجه أبو داود .



إِذَا جَآءَكَ الْمُنَكَفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ, وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَكِفِقِينَ لَكَلَا بُونَ شَيْ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَكِفِينَ لَكَ اللَّهُ وَاللهَ بِأَنَّهُمْ اَلمَنُواْ فَكُو بِمَ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ فَي * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ فَي * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم وَإِن يَقُولُواْ فَلْمِيمَ لِقَوْلِهِمْ تَكُنُ مُن اللهُ الله

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين، أنهم إنما يتفوهون بالإسلام ظاهراً فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بــل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ . ثم قال تعالى: ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ أي فيما أخبروا به لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذّبهم بالنسبة إلى اعتقادهم، وقوله تعالى: ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿ فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم آمنوا، ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، ﴿ فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ أي إنما قبل غلايصل إلى قلوبهم هدى، الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، ﴿ فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ أي أجاسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ أي وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في أي وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في

غاية الضعف والخور والهلع والجزع، ولهذا قال تعالى: ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ أي كلما وقع أمر أو خوف، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم ، كما قال تعالى: ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني ، ولهذا قال تعالى: ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ، ، وفي الحديث: « إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة ، وطعامهم نهبة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ، مستكبرين ، لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل ، صُخب بالنهار » () .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُرْ رَسُولُ اللهِ لَوَوْا رُهُوسَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مَّسْتَكْبِرُونَ ﴿ سَوَا عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهَ لَمُمُ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَلْسِفِينَ ﴿ صَمَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَقَّى يَنفَضُوا أَ وَلِلهِ عَزَ آ بِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَقَى يَنفَضُوا أَ وَلِلهِ عَزَ آ بِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْنُ مِنْ الْمُنفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَاللهُ وَمِن اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَن اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ ال

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿ إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ﴾ أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون ﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ . عن سفيان ﴿ لوّوا رؤوسهم ﴾ حوّل سفيان وجهه على يمينه ، ونظر بعينه شزراً ، ثم قال : هو هذا أن أن عبر واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في (عبدالله بن أبي السلول) كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى . قال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي ، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله على الله على الله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله على يلوي رأسه ، أي لست فاعلاً .

وقال أبو إسحاق في قصة بني المصطلق : فبينا رسول الله عَلَيْكُم مقيم هناك اقتتل على الماء (جهجاه بن سعيد الغفاري) وكان أجيراً لعمر بن الخطاب و (سنان بن يزيد)، فقال سنان: يا معشر الأنصار ، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند (عبدالله بن أبي) فلما سمعها قال : قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لثن رجعنا إلى المدينة ليخرجن

⁽١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال يزيد بن مرة : سُخُب بالنهار أي بالسين .

⁽٢) رواه عنه ابن أبي حاتم .

الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه، وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها (زيد بن أرقم) رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله عليه عليه عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ! مر عباد بن بشر فليضرب عنقه، فقال رسول الله عليه : « فكيف إذا تحدث النــاس يا عمر أن محمداً يِقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر : الرحيل ،، فلما بلغ عبدالله بن أبي أن ذلك قـــد بلغ رسول الله عَلِيْكُم ، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال، ما قال عليه (زيد بن أرقم) وكان عند قومه بمكان، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل، وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه (أسيد بن الحضير) رضي الله عنه، فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة مبكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله عَلِيُّكُم: ﴿ أَمَا بَلْغُكُ مَا قَالَ صَاحِبُكُ ابْنِ أَبِي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل ٥، قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل، ثم قال: ارفق به يا رسول الله؛ فوالله لقد جاء الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه ليرى أن قــد سلبته ملكاً، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ، ونزلت سورة المنافقين، وقال الحافظ أبو بكر البيهتي، عن جابر بن عبدالله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجُلاً من الأنصار ، فقـــال الأنصاري : يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنهـــا منتنة ﴾ • وقال (عبدالله بن أبي بن سلول) وقد فعلوها: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله عَيْظَةٍ ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي عَلِيَّةٍ : ﴿ دعه لا يتحدث الناس أن محمـــداً يقتـــل أصحابه ١٠١٤ . وروى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله عليه في غزوة تبوك فقال عبدالله ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال، فأتيت النبي عظي فأخبرته قال، فحلف عبدالله ابن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا ؟ قال، فانطلقت فنمت كثيباً حزيناً، قال، فأرسل إليَّ نبي الله عَلِيْظُهِ فقال: « إن الله قــد أنزل عذرك وصدقك »، قال، فنزلت هذه الآية: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفَقُوا عَلَى مَنْ عَنْدَ رَسُولَ اللَّهَ حَتَّى يَنْفُضُوا ﴾ حتى بلغ ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز مها الأذل فه^m.

طريق أخْرَى : قال الإمام أحمد رحمه الله ، عن زيد بن أرقم قال : خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبدالله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله علي ، فأرسل إليَّ رسول الله علي فحدثته ، فأرسل إلى رسول الله علي فحدثته ، فأصابني هم لم الى عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، فكذّ بني رسول الله علي وصدّقه ، فأصابني هم لم

⁽١) رواه البيهقي ، ورواه أحمد والبخاري ومسلم بنحوه .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد ورواه البخاري عند هٰذه الآية .

يصبني مثله قط، وجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله على مثله قط، وجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله على مثله قال المنافقون في ، قال ، فبعث إلى رسول الله على فقرأها رسول الله على من عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله على فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيا بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله على إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله على عبد الله بن عبد الله بن عبد الله عبد الله عبد الله يوالك ؟ فقال: فبعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه (عبد الله بن أبي) قال له ابنه : وراءك، فقال : مالك ويلك ؟ فقال : فواله الناس يمهنا حتى يأذن لك رسول الله عبد الله يا وسول الله يوالله المناس أبي المناس أبي المناس الله يا يسلم الله يا يا المنه عبد الله بن أبي الله بنه المناس الله يا يا الله يا يا يا الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله يا النون الناس أبد أذن لك رسول الله عبد الله بن أبي الله بن أبي ابنه، فقال المدينة أبداً حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله يا النون الناس المناس أبي المناس الله أبي الله بنا أبي الله بنا أبه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق لئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي قاتل أبي شها الله يا المن قاتل أبي أبي أبي أبي قاتل أبي موالذي بعثك بالحق لئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك ، فإني أبي أبي أبي قاتل أبي ا

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ اَمَنُواْ لَا تُلْهِكُمُ أَمُّولُكُمُ وَلَا أَوْلَنَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ فَأُوْلَنَهِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ عَ وَأَنفِقُواْ مِن مَّارَزَقْنَكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَاَ أَتَرْتَنِيَ إِنَّ أَجَلِ قَرِيبٍ
فَأَصَّدَ قَ وَأَكُن مِنَ الصَّلِحِينَ شِي وَلَن يُؤَنِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَ ۚ وَاللهُ خَيِيرُ مِنَ تَعْمَلُونَ سَ

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره ، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ، ومخبراً لم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عن طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ ، فكل مفرط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كما قال تعالى: ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعونِ ه لعلي أعمل صالحاً فيا تركت ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) رواه محمد بن إسحاق بن يسار

⁽٣) رواه الحميدي في مسنده .

أي لا ينظر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله، بمن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ . روى الترمذي، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس انق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار ، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا بما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ إلى قوله ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ قال: فا يوجب الركاة ؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً ، قال: فا يوجب الحج ؟ قال: الزاد والبعير () . وروى ابن أبي حاتم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله يوقي العمر فقال: « إن الله لا يؤخر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم في قبره () ()

[آخر تفسير سورة المنافقين ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]



⁽١) أخرجه الترمذي عن الضحَّاك عن ابن عباس ، قال ابن كثير : ورواية الضحَّاك عن ابن عباس فيها انقطاع .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء .



يُسَبِّحُ بِلَهِ مَا فِي السَّمَنَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمَّدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ هُوَ اللَّذِي عَلَمُ اللَّهُ عَلَىٰ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّرْضَ بِالْحَتِّ وَصَوْرَكُمْ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُسِلِّ وَاللَّهُ عَلَيْهُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُسِلُونَ وَمَا تُعْلِمُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِمُونَ وَمَا تُعْلِمُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا تُعْلِمُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الْمُؤْولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمِثْلِي الللْهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنِ اللللْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنِ الللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنَ اللّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ ا

هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدّم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال تعالى له الملك وله الحمد أي هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره. وقولمه تعالى: ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن، وقوله تعالى: ﴿ وهو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ، أي هو الخالق لكم على هذه الصفة، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق المداية ممن يستحق الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ أي أحسن أشكالكم ، كقوله تعالى: ﴿ والذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ وإليه المصير ﴾ أي المرجع والمآل . ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال تعالى: ﴿ يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ .

أَلَرْ يَأْتِكُرْ نَبَوُاْ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْ ذَٰ لِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِيٌ خَمِيدٌ ﴿ يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين، وما حلّ بهم من العذاب والنكال، في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق، فقال تعالى: ﴿ أَلَم يَاتَكُم بَا الذَينَ كَفَرُوا مِن قَبَل ﴾ أي خبرهم وما كان من أمرهم ﴿ فَذَاقُوا وبال أمرهم ﴾ أي وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي، ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أي في الدار الآخرة ، ثم علل ذلك فقال : ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالحجج والدلائل والبراهين، ﴿ فقالُوا أَبْسُر يهدوننا ﴾ أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر ، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم، ﴿ فكفروا وتولُوا ﴾ أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل، ﴿ واستغنى ﴾ أي عنهم، ﴿ والله غني حميد ﴾ .

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِى لَتُبْعَثُنَ ثُمَّ لَتُنَبَّوُنَ بِمَا عَلِمَمُ وَذَاكِ عَلَى اللهِ

يَسِيرٌ ﴿ فَاللَّهُ وَعَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلْنَ ۚ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجُمْعَ

ذَالِكَ يَوْمُ التَّعَابُيْ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّعَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتَهَا

ذَالِكَ يَوْمُ التَّعَابُيْ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّعَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتَهَا

الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَالّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِعَايَلْتِنَا أَوْلَالِكَ أَصَابُ

النَّارِ خَلِدِينَ فِيها أَبِكًا وَيْشَ الْمَصِيرُ نَنْ

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿ قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ أي لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها ﴿ وذلك على الله يسير ﴾ أي بعثكم ومجازاتكم، ثم قال تعالى: ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ يعني القرآن ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية، وقوله تعالى: ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون، في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، كما قال تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾، وقال تعالى: ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يسوم معلوم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ذلك يوم التفاين ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة مغبون أهل النار ، وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، ويذهب بأولئك إلى النار .

مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُوْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ مَنَ اهِ عَلِيمٌ ﴿ وَأَلِلَهُ مِكُلِّ مَنَ اللَّهِ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتُوكَالِ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللللَّ

يقول تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته ، ﴿ ومن بالله يهلِ قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتسب عوضه عما فاته من الدنيا ، هدى في قلبه ويقينا صادقاً ، قال ابن عباس: يعني يهدٍ قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وقال الأعمش عن علقمة ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم ، وقال سعيد بن جبير : يعني يسترجع يقول: ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، وفي الحديث المتفق عليه: و عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ه أ ، وقوله تعالى: ﴿ وأطبعوا الله وأطبعوا الرسول ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فها شرع ، وفعل ما به أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، ثم قال تعالى : ﴿ وأن توليتم فإنما على مسولنا البلاغ المبين ﴾ أي إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمّل من البلاغ ، وعليكم ما حمّل من البلاغ ، وعليكم ما حمّل من السمع والطاعة ، قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسلم ، ثم قال تعالى مخبراً أن الأحد الصمد : ﴿ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أي وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى : ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ .

يَنَائِبُ الَّذِينَ اَمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْ وَاجِكُرْ وَأَوْلَدِكُرْ عَدُوًّا لَكُرْ فَاحْذَرُ وَهُمُّ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللّهَ عَلُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللّهَ عَلُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ عَلَيْهُ مَا اللّهَ مَا اللّهَ مَا اللّهَ عَالَمُ اللّهُ مَا اللّهَ مَا اللّهَ مَا اللّهَ عَلَيْمُ وَاللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ وَا وَلَدُورُ وَلِمُ اللّهُ مَا لَكُورُ وَلِمُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ وَلَا اللّهُ مَنْ وَلَا اللّهُ مَنْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَنْ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ مَنْ وَاللّهُ مَنْ وَاللّهُ مَنْ وَاللّهُ مَنْ وَاللّهُ مَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُنْ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُؤْمِنُونُ اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُؤْمِنُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُؤْمِنُونُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُؤْمِنُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا مُؤْمُونُوا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَالمُولِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

الْحَكِيمُ ١

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد، أن منهم من هو علو الزوج والوالد، بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿ فاحذروهم ﴾ قال ابن زيد: يعني على دينكم، وقال مجاهد ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم علواً لكم ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه، وقال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس، وساله رجُل عن هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم علواً لكم فاحذروهم ﴾ قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله عَلَيْ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله عَلَيْ الله من الله عنه هذه الآية: ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ أله تعالى: ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده

⁽١) أخرجه الشيخان .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه النرمذي ، وقال : حسن صحيح .

أجر عظيم ﴾ . يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد ﴿ فتنة ﴾ أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، وقوله تعالى: ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الماآب ﴾ . روي أن رسول الله عليه كان يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله عنها عليهما الله ورسوله ﴿ إنما أموالكم وأولاد كم فتنة ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » () . وقال رسول الله عليه الولد ثمرة القلوب ، وإنهم مجبنة مبخلة محزنة ه () .

وقوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ أي جهد كم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين: ﴿ إذا أمرتكم بأمر فاثتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ﴾ وهذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، فالدين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، هذه الآية تخفيفاً على المسلمين ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فنسخت الآية الأولى، وقوله تعالى: ﴿ واسمعوا وأطبعوا ﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، وقوله تعالى: ﴿ وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾ أي وابدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم ، يكن خيراً لي وقوله تعالى: ﴿ وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وأن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول: ﴿ من يقرض غير ظلوم ولا عديم ﴾ أي ويكفر عنكم السيئات ، ﴿ والله شكور ﴾ أي يجزي على القليل بالكثير ، ﴿ حليم ﴾ كيب صفح ويغفر ويستر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات ، ﴿ والله شكور ﴾ أي يجزي على القليل بالكثير ، ﴿ حليم ﴾ أي يصفح ويغفر ويستر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات ، ﴿ والله ألغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ تقسيره غير مرة .

[آخر تفسير سورة التغابن ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه أحمد وأهل السنن عن أبي بريدة .

⁽٢) أخرجه الحافظ البزار .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين .

 ⁽٤) في اللباب : أخرج ابن جرير : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّين آمنوا إن من أزواجكم ﴾ نزلت في عوف بن ملك الأشجعي كان ذا أهــــل
وولد ، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه حتى يرق ويقيم .



يَتَأَيُّكَ ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِلَّةُ وَآتَفُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمُ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بَيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُوهُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدُّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ اللَّهُ وَمَن يَتَعَدُّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا يَعْرُجُنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدُّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا يَدْرِى لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَلَى

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعكرمة وغيرهم .

وقوله تعالى: ﴿ وأحصوا العدة ﴾ أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج، ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ أي في ذلك، وقوله تعالى: ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ﴾ أي في مدة العدة لهما حتى السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لهما أيضاً الخروج لانها متعلقة لحتى الزوج أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة، والفاحشة المبينة تشمل الزنا ، وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال ، وقوله تعالى: ﴿ لا تدري لعل الله يحدث ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بهما ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ أي بفعل ذلك ، وقوله تعالى: ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ قالت: هي الرجعة ، ومن ههنا ذهب من ذهب من في قوله تعالى : ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ قالت: هي الرجعة ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أي المقطوعة، وكذا المتوفى عنها زوجها، واعتمدوا أيضاً على حديث (فاطمة بنت قيس) حين طلقها زوجها (أبو عمرو بن حفص) آخر ثلاث تطليقات، وكان غائباً عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها وكيله بشعير يغني نفقة فتسخطته، فقال: والله ليس لك علينا نفقة، فأتت رسول القبا بذلك، فأدس لك علينا نفقة »، ولمسلم: « ولا سكنى »، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: « ليس لك علينا نفقة »، ولمسلم: « ولا سكنى »، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: « للله مرأة يغشاها أصحابي، اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك (الحديث .

فَإِذَا بِلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلٍ مِنكُرْ وَأَقِيمُواْ اَلشَّهَدَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُّ بِهِ عَ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اللَّاخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّه يَعْفَل لَهُ بَعْرَجًا ﴿ وَمَنْ مَتَّقِ اللَّه يَعْفَل لَهُ بَعْرَجًا ﴿ وَمَنْ مَتَّقِ اللَّه يَعْفَل لَهُ مُعْرَجًا ﴿ وَمَنْ مَثَى اللَّهُ يَعْفَلُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ لَهِ اللَّهُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللِيغُ أَمْرِهِ عَذْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ إِنَّ اللّهَ اللّهِ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ إِنَّ اللّهُ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ إِنَّ اللّهُ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ إِنَّ اللّهُ اللّهُ لِكُلّ اللّهُ لِكُلّ اللّهُ لِكُلّ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِللّهُ اللّهُ لِللّهُ اللّهُ لِللّهُ لِللّهُ اللّهُ لِكُلْ اللّهُ لِلللّهُ اللّهُ لِكُلُّ اللّهُ لِنَا لَهُ لِلللّهُ اللّهُ لِنْ اللّهُ لِلللّهُ لَا لَهُ لِكُلْ اللّهُ لِكُلُّ اللّهُ لِلْ اللّهُ لِلْ اللّهُ لِلْ اللّهُ لَاللّهُ لَا لَهُ لَا عَلَى اللّهُ لَا لَهُ اللّهُ لِللْلَهُ لَا لَهُ لِللْهِ لَلْ لَهُ لَا لَا لَهُ لَا عَلَى اللّهُ لِلْ اللّهُ لَلْهُ لَا عَلَى اللّهُ لِللْهُ لَا عَلَى الللّهُ لِلْ اللّهُ لِلْهُ لِللْمُ لَا لَهُ لِللْهُ لَاللّهُ لِلللّهُ لَا لَهُ لِلللّهُ لِلللّهُ لِلللّهُ لِلللّهُ لَيْ اللّهُ لَا لَهُ لِلللّهُ لِللللّهُ لَا لَلْهُ لِلللّهُ لَا لَا لَهُ لِلللّهُ لَا عَلَى اللّهُ لَا لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لِلْمُ اللّهُ لَا لَهُ لَهُ لِلللّهُ لَلْمُ لِلللّهُ لِلْلّهُ لِللّهُ لِلْمُ لِلْمُ لَا لَهُ لِلللللّهُ لِلْمُ لَا لَلّهُ لَا لَا لَلْهُ لَا لَاللّهُ لَا لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَلْهُ لِلللّهُ لِلْمُ لَا لَهُ لَا لَهُ لِلْمُ لَا لَهُ لَا لَاللّهُ لَا لَهُ لَا لَا لَهُ لَا لَا لَهُ لَا لَهُو

يقول تعالى: فإذا بلغت المعتدات أجلهن، أي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ﴿ بمعروف ﴾ أي محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها ﴿ بمعروف ﴾ أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن، وقوله تعالى: ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ أي على الرجعة إذا عزمتم عليها، كما روي عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة، ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها ولا تعد ها،

⁽١) كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعكرمة وغيرهم .

⁽۲) كما قاله أني بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم .

⁽٣) وكذا قال الشعبي وعطاء والضحّاك وقتادة ومقاتل بن حيان .

⁽٤) قصة طلاق فاطمة بنت قيس ذكرها الإمام أحمد والنسائي والطبراني وغيرهم . (٥) أخرجه أبو داود وابن ماجة ـ

وقال ابن جريج: كان عطاء يقول: ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ قال: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل، كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر، وقوله تعالى: ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ أي هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة، إنما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة، وقوله تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ أي من أي ومن يتق الله في أمره مخرجاً ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ أي من جهة لا تخطر بباله .

وقوله تعالى: ﴿ وَمِن يَتُوكُلُ عَلَى الله فهو حسبه ﴾ روى الإمام أحمد، عن ابن عباس: أنه ركب خلف رسول الله عَلَيْكُ يوماً، فقال له رسول الله عَلِيْكُ : « يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف " (") وقال الإمام أحمد، عن ابن مسعود، قال ، قال رسول الله عليك الأم عاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل " () وقوله تعالى:

⁽١) رواه ابن أبي حاتم . (٢) رواه أحمد في المسئد . (٣) رواه ابن جرير . (٤) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة .

 ⁽٥) رواه ابن أبي حاتم .
 (٦) رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح .
 (٧) أخرجه الإمام أحمد .

﴿ إِن الله بالغ أمره ﴾ أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بمــا يريده ويشاؤه ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

وَالَّنْفِى يَهِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِسَآبِكُرْ إِنِ الْرَبَّهُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَهُ أَشْهُرٍ وَالَّنْفِى لَهْ يَحِضْنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَمْرُ اللَّهِ الْمَحْدِضِ مِن نِسَآبِكُرْ إِنِ الْرَبَّهُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَهُ أَشْهُرٍ وَالَّنْفِى لَهْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَمْرُ اللَّهِ أَنْ لَهُ وَمَن يَتَّقِ أَجُمُا لِلَّهُ مِنْ أَمْرِهِ عَيْسُرًا وَهِيَ ذَالِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ وَإِلَيْكُمْ وَمَن يَتَقِي اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ وَمِن يَتَقِي اللَّهُ مَن يَتَقِي اللَّهُ مَن يَتَقِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَقِي اللَّهُ مَن يَتَقِي اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْمُوالِقُولُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّال

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة، وهي التي قــد انقطع عنها المحيض لكبرها، أنها ﴿ ثلاثة أشهر ﴾ عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض، وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض، أن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ، ولهذا قال تعالى: ﴿ واللائي لم يحضن ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ إِن آرتبتم ﴾ فيه قولان: أحدهما : وهو قول طائفة من السلف™ أي إن رأين دماً وشككتم في كونه حيضاً أو استحاضة وآرتبتم فيه، والقول الثاني : إن ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروي عن سعيد عن جبير ، وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى لما روي عن أبي بن كعب قال، قلت لرسول الله ﷺ: إن ناساً من أهل المدينة لمــا أنزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بني من عدة النساء عدد لم يذكرن في البقرة: الصغار والكبار اللأني قـــد انقطع مهن الحيض، وذوات الحمل، قال، فأنزلت التي في النساء القصرى: ﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾ " . وقوله تعالى: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ يقول تعالى ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة، في قول جمهور العلماء كما هو نص هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السنّة النبوية، وقــد روي عن (علي) و (ابن عباس) رضي الله عنهم أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر ، عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة، روى البخاري، عن أبي سلمة قال: جاء رجُل إلى ابن عباس – وأبو هريرة جالس – فقال: افتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين ، قلت: أنا ﴿ وأولات الأحمال أجلهنِ أن يضعن حملهن ﴾، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي – يعني أبا سلمة – فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتِل زوج (سبيعة الأسلّمية) وهي حبلي، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخُطبتْ فأنكحها رسول الله عَلَيْكَيْم، وكان أبو السنابل فيمن خطبها »٣٠.

 ⁽١) كمجاهد والزهري وابن زيد .
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير بنحوه .

⁽٣) هكذا أورد البخاري هذا الحديث مختصراً ، وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه أخر .

فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قــد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي . هذا لفظ مسلم، ورواه البخاري مختصراً ، ثم قــال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هــذه الآية ، وقال أبو سلمان بن حــرب وأبو النعمان ، حدَّثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن محمد هو ابن سيرين قال: كنت في حلقة فيها عبدالرحمن ابن أبي ليلي، وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله ابن عتبة قال: فضمز لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له، فقلت له: إني لجريء أن أكذب على عبدالله، وهو في ناحية الكوفة قال، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر، فسألته، فذهب يحدثني بحديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبدالله فيها شيئاً ؟ فقال: كنا عند عبدالله فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: ﴿ وأُولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . وروى ابن جرير عن علقمة بن قيس أن عبدالله بن مسعود قال: من شاء لاعنته، ما نزلت ﴿ وَأُولَاتَ الْأَحْمَالَ أَجْلُهِنَ أَنْ يَضْعَنَ حَمَّلُهِنَ ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها، قال: وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقــد حلت يريد بآية المتوفى عنهــا ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾(١). وقال ابن أبي حاتم، عن مسروق قال: بلغ ابن مسعود أن علياً رضي الله عنه يقول آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعنته إن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾™. وقوله تعالى:﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ أي يسهل له أمره وييسره عليه، ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلًا، ثم قال تعالى: ﴿ ذَلَكَ أَمْرَ اللَّهَ أَنزَلُهُ إِلَيْكُمْ ﴾ أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله عَلَيْكُم ، ﴿ وَمَن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ أي يذهب عنه المحذور ، ويجزل له الثواب على العمل اليسير .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمُ مِّن وُجِدِكُرُولَا تُضَآرُوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِ فَوَا عَلَيْهِ فَ الْفَقُواْ عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَا اللهُ عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَعَلَاهُ فَا عَلَيْهِ فَعَلَاهُ فَا عَلَيْهِ فَعَلَاهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ فَعَلَيْهُ فَعَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ فَعَلَيْهُ فَا عَلَيْهِ فَعَلَاهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهِ فَا عَلَيْهِ عَلَاهُ فَا عَلَيْهُ عَلَاهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ فَا عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَيْهُ عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ عَلَاهُ عَلَاهُ عَلَاهُ عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا عَلَاهُوا عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَا عَلَاهُ عَلَاهُ عَلَاهُ فَا عَلَاهُ فَا

يقول تعالى آمراً عباده ، إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل، حتى تنقضي عدتها فقال: ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ أي عندكم ﴿ من وجدكم ﴾ قال ابن عباس: يعني سعتكم، وقال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه ، وقوله تعالى: ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه، وقال الثوري: يطلقها فإذا بتي يومان راجعها، وقوله تعالى: ﴿ وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ قال كثير من العلماء: هذه في البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً، وقال آخرون: بل السياق كله في

⁽١) رواه ابن جرير والنسائي . (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه أبو داود وابن ماجة .

الرجعيات ، وإنمــا نص على الانفاق على الحامل وإن كانت رجعية، لأن الحمل تطول مدته غالبًا، فاحتبج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع، لئلا يتوهم أنه إنمــا تجب النفقة بمقدار مدة العدة، وقوله تعالى: ﴿ فــإن أرضعن لكم﴾ أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بنَّ بانقضاء عدتهن، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعَنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَ أُجُورُهُنَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَائْتُمُووَا بَيْنَكُم بمعروفَ ﴾ أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف، من غير إضرار ولا مضارة، كما قال تعالى: ﴿ لا تضارُ والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وإن تعاسرتم فسترضع له أُخْرى﴾ أي وإن اختلف الرجل والمرأة، فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بمــا استؤجرت به الأجنبية فهـي أحق بولدها، وقوله تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته، ﴿ ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممــا آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾، كقوله تعالى: ﴿ لا يَكُلُفُ اللهَ نَفْسًا إلا وسعها ﴾، روى ابن جرير، عن أبي سنان قال: سأل عمر بن الخطاب عـــن أبي عبيدة ، فقيل : إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها ؟ فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره، فقال رحمه الله تعالى: تأول هذه الآية ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾، وقوله تعالى: ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرأ ﴾ وعد منه تعالى، ووعده حق لا يخلفه، وهذه كقوله تعالى: ﴿ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسراكه، وقد روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية ، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته، ثم قالت : اللهم ارزقنا، فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت، قال، وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا، قال، فرجع الزوج فقال: أصبتم بعدي شيئاً ؟ قالت امرأته: نعم من ربنا، فأمّ إلى الرحى فذكر ذلك للنبي عَيْظِيَّةٍ فقال النبي عَيْظِيَّةٍ: « أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة »^(١) .

وَكَأَيِّنَ مِن قَرْيَةٍ عَنَتَ عَنَ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ عَكَسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَنهَا عَذَابًا نَّكُوا ﴿ فَا اَللَّهُ عَالَا أَمْرِهَا وَكَانَ عَلَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسَرًا ﴿ فَا اللَّهُ مُلَمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَا نَقُواْ اللَّهُ يَنَاوْلِي الْأَلْبَالِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مُنَالًا أَمْرِهَا وَعَمِلُواْ الصَّلْحَاتِ قَدْ أَرْلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ وَكُوا الصَّلْحَاتِ اللّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الّذِينَ اَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلْحَاتِ مَن الطَّلُهُ اللّهِ عَلَيْهِ مَن الطَّلُهُ وَمَن يُوْمِنُ بِاللّهِ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُذْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَالُ خَلْلِانَ فَي اللّهُ لَهُ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُذْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَالُ خَلْلِانَ فَي اللّهُ لَهُ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُذْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَالُ خَلْلِانَ فَي اللّهُ لَهُ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُذْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَالُ خَلْلِانَ فَي اللّهُ لَهُ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُدْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَالُ خَلَالِينَ فَيْ اللّهُ لَهُ مُن يُولِينَا إِللّهُ وَيَعْمَلُ صَلْحًا يُدْخِلُهُ جَنَّنِ تَجْرِى مِن تَعْتَهَا اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ ال

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره، وكذَّب رسله وسلك غير ما شرعه، ومخبراً عما حل بالأمم السالفة بسبب

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

ذلك فقال تعالى: ﴿ وَكَأَيْنَ مَنْ قَرِيةً عَتْتَ عَنْ أَمِرَ رَبِّهَا وَرَسَلُهُ ﴾ أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿ فحاسبناها حسابًا شديداً وعذَّبناها عذابًا نكراً ﴾ أي منكراً فظيعاً، ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم، ﴿ وَكَانَ عَاقَبَةَ أَمْرِهَا خَسْرًا ۚ ۚ هُ أَعَدَ الله لهم عذاباً شديداً ﴾ أي في الدار الآخرة مع ما عجّل لهم من العذاب في الدنيا، ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلًاء: ﴿ فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب، ﴿ الذين آمُنوا ﴾ أي صدقوا بالله ورسله ﴿ قَدْ أَنزِلَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ذَكُراً ﴾ يعني القرآن، كقوله تعالى: ﴿ إِنَا نَحْنُ نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾، وقوله تعالى: ﴿ رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾، قال بعضهم: ﴿ رسولاً ﴾ بدل اشتمال؛ لأن الرسول هو الذي يلغ الذكر ، وقال ابن جرير : الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيراً له، ولهذا قال تعالى: ﴿ رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ أي في حــال كونها بينة واضحة جلية، ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾، كقوله تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾، وقـــال تعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾، أي من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله ﴿ نوراً﴾ لما يحصل به من الهدى، كما سماه ﴿ روحاً﴾ لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى: ﴿وَكَذَلَكَ أُوحِينَا إِلَيْكُ رَوْحًا مِن أَمَرِنا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري منَ تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ قد أحسن الله له رزقاً ﴾ قد تقدمَ تفسير مثل هذا ولله الحمد والمنة . اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَـبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ ۚ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ فَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْتُ إِنِّي

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم:
﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ﴾، كقوله تعالى: ﴿ أَلَم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً ﴾ ؟ ، وقوله تعالى: ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ أي سبعاً أيضاً ، كما ثبت في الصحيحين: ٩ من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين » . وفي صحيح البخاري: « خسف به إلى سبع أرضين » . وقد تقدم في سورة الحديد ذكر الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكشافة كل واحدة منهن خمسائة عام ، وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكذا في الحديث الآخر : « ما السهاوات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » ، وقال ابن جرير ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها »(١)

[آخر تفسير سورة الطلاق ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) رواه ابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما .



يَنَا يُهَا النَّبِي لِهِ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُ تَبْتَنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ عَفُورٌ رَحيمٌ ﴿ وَلَا تُحَرِيمُ اللهُ لَكُمْ اللهُ اللهُ عَضِ أَزُواجِهِ عَدِينًا فَلَمَّا نَبَأَتُ عَلَيْهُ إِلَى بَعْضِ أَزُواجِهِ عَدِينًا فَلَمَّا نَبَأَتُ عَلَيْهُ إِلَى بَعْضِ أَزُواجِهِ عَدِينًا فَلَمَّا نَبَأَتُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَالْعَلِيمُ الحَكِمُ فَلَمَّا نَبَأَهُما بِهِ عَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكُ هَلَا أَنْ اللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُو مَوْلِلهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُو مَوْلِلهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُو مَوْلِلهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُو مَوْلِلهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهُ هُو مَوْلِلهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ اللّهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلّهُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنّ اللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ فَإِنّا اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللهُ الللللّهُ الل

أختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزلت في شأن (مارية) وكان رسول الله عَيَّلِيَّهُ قد حرمها فنزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيّهَا النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ الآية، روى النسائي، عن أنس أن رسول الله عَيَّلِيَّهُ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة، حتى حرمها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيّها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ إلى آخر الآية (١) وروى ابن جرير، عن زيد بن أسلم أن رسول الله عَيِّلِيَّهُ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه، فقالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فقالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيّها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ ؟! وعن مسروق قال: آلى رسول لله عَيْلِيَّهُ وحرم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة باليمين (١) ، وعن سعيد بن جبير: أن ابن عباس رسول لله عَيْلِيَّهُ وحرم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة باليمين (١) ، وعن سعيد بن جبير: أن ابن عباس

⁽١) أخرجه النسائي في سننه .

⁽۲) رواه ابن جریر .

⁽٣) رواه ابن جرير أيضاً .

وقال البخاري في « كتاب الطلاق » عن عائشة قالت: كان رسول الله عليه عليه الحلوي والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي عَلِيُّ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالنُّ له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي : أكلت مغافير ، فإنه سيقول لا، فقولي له: ما هذه الربح التي أجد ؟ سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جرست نحله العرفط وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذلك، قالت، تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قسام على الباب، فأردت أن أناديه بمــا أمرتني فرقاً منك، فلما دنا منها، قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال: « لا »، قالت: فما هذه الربح التي أجد منك ؟ قال: « سقتني حفصة شربة عسل »، قالت: جرست نحله العرفط، فلما دار إليّ، قلت نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال: « لا حاجمة لي فيه »، قالت: تقول سودة والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي . هذا لفظ البخاري ولمسلم، قالت: وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الربح، يعني الربح الخبيثة، ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء، فلما قال: « بل شربت عسلاً » قلن: جرست نحله العرفط، أي رعت نحله شجر العرفط الذي صمغه المغافير ، فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته، قال الجوهري: جرست النحل العرفط إذا أكلته، ومنه قبل للنحل جوارس، وفي رواية عن عائشة أن (زينب بنت جحش) هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم، وقــد يقال إمهما واقعتان، ولا بعد في ذلك إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر ، والله أعلم .

ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي عَلَيْكُ اللَّذِينَ قال الله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبًا إِلَى اللَّهُ فَقَدَ

⁽١) أخرجه ابن جرير ، ورواه البخاري عن ابن عباس بنحوه .

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري .

صغت قلوبكما ﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر ، وعدلت معه بالإداوة ، فتبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين: من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبًا إِلَى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ ؟ فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس، قال الزهري: كره والله ما سأله عنه و لم يكتمه، قال: هي (عائشة وحفصة) . قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في دار أُميَّة بن زيد بالعوالي، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، قال: فانطلقت فدخلت على حفصة ، فقلت: أَثر اجمين رسول الله عَلَيْكُم ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكنّ اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قـــد هلكت، لا تراجعي رسول الله ﷺ، ولا تسأليه شيئاً، وسليني من مالي ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم (أي أجمل) وأحب إلى رسول الله عَلِيُّ منك – يريد عائشة – ، قال: وكان لي جار من الأنصار ، وكُّنا نتناوْبِ النزول إلى رسول الله عَيْلِيُّهُ ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوماً، ثم أتى عشاء، فضرب بابي، ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم، فقلت: وما ذاك، أجاءت عَسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طلق رسول الله عَلِيْكُ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كاثناً، حتى إذا صليت الصبح شددت عليَّ ثيابي، ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله عَلِيْظُهُ ؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيت غلامًا له أسود، فقلت: استأذن لعمر، فلنخل الغلام ثم خرج إلي فقال: ذَكُرتك لــه فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست عنده قليلاً. ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي، فقال: فقد ذكرتك له فصمت. فخرجت فجلست إلى المنبر، ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إلى فقال: قَد ذكرتك له فصمت فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل قــد أذن لك ، فدخلت فسلمت على رأسه إنيّ، وقال: « لا »، فقلت: الله أكبر، ولو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلمـــا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتي يوماً، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تُنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قــد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله. فإذا هي قــد هلكت ؟ فتبسم رسول الله عَلِيْتُهُم فقلت: يا رسول الله قــد دخلت على حفصة، فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله عليه منك ، فتبسم أخْرى ، فقلت : أستأنس يا رسول الله ؟ قال: ٥ نعم »، فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهب مقامه، فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمثك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالساً وقال:

« أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا »، فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن، حتى عاتبه الله عزّ وجلّ .

قال على رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قُوْا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ يقول أدبوهم وعلموهم، وقال ابن عباس: اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وقال مجاهد: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله، وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها، وقال الضحاك : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽٢) رواه الحافظ الطبراني في المعجم الكبير .

⁽٣) أخرجه ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام .

وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه، وفي معنى هذه الآية الحديث الشريف: « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » » قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ، وهو مستمر على العبادة والطباعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، وقوله تعالى: ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ قبل: المراد بها الأصنام التي تعبد لقوله تعالى: ﴿ وأيكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾، وقال ابن مسعود ومجاهد: هي حجارة مسن كبريت، أنتن من الجيفة، وقوله تعالى: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ﴿ شداد ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، كما روى ابن حاتم، عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار، وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم، كالحة أنيابهم، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً، ثم يهوون من باب إلى باب خمسائة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها م ، وقوله: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أي مهما أمرهم بعن يدروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية . به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية .

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذَيْنَ كَفُرُوا لا تعتذروا اليوم إنحا تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم، وإنحا تجزون اليوم بأعمالكم، ثم قال تعالى: ﴿ يا أيّها الذِين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات، قال عمر حالتوبة النصوح، فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود أيه أبداً، وقال أبو الأحوص: سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً، وقال ابن مسعود ﴿ توبة نصوحاً ﴾ قال: يتوب ثم لا يعود، ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في المحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه، وفي الحديث الصحيح: «الذم توبة ه أن عن عن أن ين كعب قال: قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمّة عند اقتراب الساعة: منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله و يمقت الله عليه ورسوله و يمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة، وذلك مما حرم الله ورسوله و يمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة، نصوحاً، قال زر: فقلت لأبي بن كعب: فما التوبة النصوح ؟ فقال: سألت رسول الله يَوْلِيُهُ عن ذلك فقال: نصوحاً، قال زر: فقلت لأبي بن كعب: فما التوبة النصوح ؟ فقال: سألت رسول الله يَوْلِيه أبداً هه الدن من المناه منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً هه الدامت منه الذب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك مند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً هه الذب

⁽١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة موقوفاً .

⁽٣) أخرجه أحمد وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم .

الحسن : «التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته » فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات، كما ثبت في الصحيح : « الإسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات – كما تقدم في الحديث وفي الأثر – ثم لا يعود فيه أبداً ، أو يكني العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها » ؟ وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً : « من أحسن في الإسلام أم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة ، فالتوبة بطريق الأولى، والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ وعسى من الله موجبة ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أي ولا يخزيهم معه يعني بوم القيامة ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ الله كما تقدّم في سورة الحديد: ﴿ يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ قال مجاهد والضحّاك: هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفي. روى الإمام أحمد عن يحيى ابن غسان عن رجُل من بني كنانة قال: صلّيت خلف رسول الله عن الله عن اللهم لا تخزني يوم القيامة الله من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي فأعرف أمّي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمّي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمّي من بين الأمم ؟ قال: ﴿ غر محجلون من آثار الطهور الله ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم الأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسياهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الله الله الله السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الله الله السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الله السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الله الله السجود المورة السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم الله الله السجود المؤرك السجود المؤرك المؤرك السجود المؤرك المؤرك المؤرك المؤرك المؤرك المؤرك السجود المؤرك المؤرك

يقول تعالى آمراً رسوله على بجهاد الكفّار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم في أي في الدنيا، فو ومأواهم جهنم وبئس المصير في أي في الآحرة ، ثم قال تعالى : فو ضرب الله مثلاً للذين كفروا في أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئًا، إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم " ثم ذكر المثل فقال : فو امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين في نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشر والاختلاط "

⁽١) رواه الإمام أحمد .

⁽٢) رواه محمد بن نصر المروزي عن أبي ذر وأبي الدرداء .

﴿ فخانتاهما ﴾ أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً ، ولهذا قال تعالى ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ﴾ أي لكفرهما، ﴿ وقيل ﴾ أي للمرأتين ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ ، وليس المراد بقوله ﴿ فخانتاهما ﴾ في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور ، قال ابن عباس ﴿ فخانتاهما ﴾ قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه، وقال الضحاك: عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبى قط إنما كانت خيانتهما في الدين (أ) .

[آخر تفسير سورة التحريم ، ولله الحمد والمنة]

^{* * *}



تَبَرَكَ الَّذِي بِيدِهِ الْمُلْكُ وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوْةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُو النَّعِرِيرُ النَّذِي خَلَقِ الرَّمْنِ مِن تَفَوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ وَهُو الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ الَّذِي خَلَق الرَّمْنِ مِن تَفَوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

⁽١) أخرجه أحمد ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي : حديث حسن .

⁽٢) رواه الطبراني والحافظ المقدسي .

⁽٣) رواه الترمذي ، وقال : غريب من هذا الوجه .

⁽¹⁾ أخرجه الترمذي .

⁽٥) أخرجه عبد بن حميد في مسنده .

تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿ ثُمُّ آرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِثًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الشَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الشَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الشَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ السَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ السَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ السَّعِيرِ ﴿ وَالْقَدْ زَيِّنَا السَّمَاءَ السَّمَاءَ السَّمِيرِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْلُمُ اللَّهُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ اللللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْ

يُمَجِّد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ أي هو المتصرف في جميع المخلوقات، بمــا يشاء، لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل، لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم، أي يختبرهم أيهم أُحْسن عملاً . عَن قتادة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « إن الله أذل بني آدم بالموت، وجُعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء ، (() ، وقوله تعالى: ﴿ لَيْبَلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ أي خير عملاً كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملا، ثم قال تعالى: ﴿ وهو العزيز الغفور ﴾ أي هو العزيز العظيم، لمنيع الجناب، وهو غفور لمن تاب إليه وأناب، بعد ما عصاه وخالف أمره، فهو مع ذلك يرحم ويصفح ويتجاوز ، ثُم قال تعالى: ﴿ الَّذِي خلق سبع سماوات طباقاً ﴾ أي طبقة بعد طبقة، وقوله تعالى: ﴿ ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ أي انظر إلى السهاء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً ؟ قال ابن عباس ومجاهد ﴿ هَلَ تَرَى مَنْ فَطُورَ ﴾ أي شقوق، وقال السدي: أي من خروق، وقال قتادة: أي هل ترى خللاً يا ابن آدم ؟ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ارجع البصر كرتين ﴾ مرتين، ﴿ ينقلب إليك البصر خاسئاً ﴾ قال ابن عباس: ذليلاً، وقال مجاهد: صاغراً، ﴿ وهو حسير ﴾ يعني وهو كليل، وقال مجاهد: الحسير المنقطع من الإعياء، ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر مهما كررت، لانقلب إليك أي لرجع إليك البصر ﴿ خاسنًا ﴾ عن أن يرى عيباً أو خللًا ، ﴿ وهو حسير ﴾ أي كليل قدانقطع من الإعياء، من كثرة التكرر ولا يرى نقصاً، ولما نفى عنها في خلقها النقص، بيّن كمالها وزينتها فقال: ﴿ وَلَقَدَ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب التّي وضعت فيها من السيـــارات والثوابت، وقوله تعالى: ﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ عــاد الضمير في قوله ﴿ وجعلناها﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السهاء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم . ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى كما قال تعالى: ﴿ إِلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسهاء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به ٣٠.

وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّمِ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِنْسَ الْمَصِيرُ ﴿ إِذَا أَلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَمَ شَهِيقًا وَهِي تَفُورُ ﴿ تَكَادُ اللَّهِ مِنَ الْمُعَلِينَ كَفُولُ ﴿ تَكَادُ اللَّهُ مَا لَكُ مَا اللَّهُ مَا أَنْ فَعَلَمْ اللَّهُ مَا أَلُوْ مَا أَلُوْ مَا أَلُوْ مَا أَلُوْ مَا أَلُواْ مَا لَكُواْ بَلَيْ قَدْ جَآءَ نَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا أَنْ فَاللَّا اللَّهُ مَا أَلُواْ مَا أَنْ فَاللَّا اللَّهُ مَا أَلُواْ مَا أَنْ فَاللَّا اللَّهُ مَا أَلُواْ مَا مَا مُعَالِمُ اللَّهُ مَا مَا لَهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ ال

⁽٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْء إِنْ أَنْمُ إِلَا فِي ضَلَيْلِ كَيِيرِ ﴿ وَقَالُواْ لَوْكُنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْفِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَبِ السَّعِيرِ ﴿ وَقَالُواْ لَوْكُنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْفِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَبِ السَّعِيرِ ﴾ فَاعْتَرَفُواْ بِذَنْبِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَبِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى ﴿ وَأَعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم ويئس المصير ﴾ أي بئس المآل والمنقل ، ﴿ إِذَا القوا فيها سمعوا لهما شهيقاً ﴾ يعني الصياح ، ﴿ وهي تفور ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحبُ القليل في المكتبر ، وقوله تعالى : ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ أي تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ، ﴿ كلما ألتي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير • قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ . يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه ، كما قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وقال لم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ ، وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا: ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا على ما كنا على ما كنا عليه ، من الكفر بالله والاغترار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، والاغترار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، قال الله تعالى : ﴿ فاعترفوا بذنهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ . وفي الحديث : « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » (أ ، وفي حديث آخر : « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنه » .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ وَأْسِرُواْ قَوْلَكُمْ أَوِاجْهَرُواْ بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمُ إِذَاتِ الصُّدُودِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُرُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولَا فَامْشُواْ فِي مَنَا كِبَهَا وَكُلُواْ مِن رِزْقِهِ ۗ ءَ وَإِلَيْهِ النَّشُودُ ۞

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه ، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، بأنه له في مغفرة وأجر كبير في أي تكفّر عنه ذنوبه ، ويجازى بالثواب الجزيل ، كما ثبت في الصحيحين : «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضهائر والسرائر فو وأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور في أي بما يخطر في القلوب فو ألا يعلم من خلق في أي الا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله : فو وهو اللطيف الخبير في من خلق في أي الا يعلم الأرض ، وتذليله إياها لم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب ، ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض ، وتذليله إياها لم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب ، عا جعل فيها من الحبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثار ، فقال تعالى : في هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها في فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا فقال تعالى : في هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها في فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا

⁽١) رواه الإمام أحمد من حديث أبي البختر الطائي .

في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل، كما قال رسول الله : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً ٥٠٠ فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق مع توكلها على الله عزّ وجلّ، وهو المسخر المسبب ﴿ وإليه النشور ﴾ أي المرجع يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: مناكبها: أطرافها وفجاجها ونواحيها .

وَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُرُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِى مَّمُودُ ۞ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُرْ حَاصِباً فَسَنَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۞ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ أُوَلَّ يَرُوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّتِ وَيَقْبِضْنَ مَايُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرُ ﴿

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه، أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ الآية، وقال ههنا: ﴿ أَأَمْنَمُ مَن فِي السهاء أَن يُحسف بكم الأرض فإذا هي تحور ﴾ أي تذهب وتجيء وتضطرب، ﴿ أَمْ أَمْنَمُ من فِي السهاء أَن يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي ريحاً فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى: ﴿ أَفَامَنَمُ أَن يُحسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴾، وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ أي كيف يكون إنذاري، وعاقبة من تخلف عنه وكذب به، ثم قال تعالى: ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ أي كيف يكون إنذاري، وعاقبة، ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ؟ أي عظيماً شديداً أليماً، ثم قال تعالى: ﴿ أُولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ﴾ أي تارة يصففن أجنحتهن في الحواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً، ﴿ ما يمسكهن ﴾ أي في الجو ﴿ إلا الرحمن ﴾ أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه، ﴿ إنه بكل شيء بصير ﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالى: ﴿ أَلْم يروا إلى الطير مسخرات في جو السهاء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون ﴾ .

أَمَّنَ هَلَا الَّذِي هُوَجُندٌ لَكُمْ يَنصُرُكُمُ مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَنفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُودٍ ﴿ أَمَّنَ هَلَا الَّذِي يَرْزُفُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل بَخُواْ فِي عُتُو وَنُفُودٍ ﴿ أَفَنَ يَمْشِي مُكِمًا عَلَى وَجُهِمَ الْهَلَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ فَلَ هُوَ اللَّذِي أَلْمَ اللَّهُ عُولَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَ

⁽١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عمر بن الخطاب مرفوعاً .

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم: ﴿ أَمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ إأي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق، ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ إأي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي و يمنع، ويخلق و يرزق إلا الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ بل لجوا ﴾ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم، ﴿ في عتو ﴾ أي في معاندة واستكبار ﴿ ونفور ﴾ على إدبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يتبعونه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيا هو فيه كمثل من يمشي ﴿ مكباً على وجهه أي يعشي منحنياً لا مستوياً ﴿ على وجهه ﴾ أي لا يلري أين يسلك ولا كيف يذهب، بل تاته حائر ضال، أهذا أهدى ﴿ أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ ؟ أي على طريق واضح بين، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجوههم ؟ فقال: لا ألس الذي أمشاهم على أرجلهم ابن مالك قال، قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال: لا أليس الذي أمشاهم على أرجلهم المراك قال، قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال: لا أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » وقال: لا أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » وقال: لا أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » وقال: لا أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » وقال: لا أله الكافرة على وجوههم » وقال على وجوههم » وقال الكافرة على وجوههم » وقال الكافرة على وجوههم » وقال الكافرة على وجوههم » وقال وأله وجوههم » وقال وكوفرة على وجوههم » وقال وكوفرة وكوفر

وقوله تعالى: ﴿ قل هو الذي أنشأكم ﴾ أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفتدة ﴾ أي العقول والإدراك ، ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي قلما تستعملون هذه القوى ، التي أنع الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره . ﴿ قل هو الذي ذراً كم في الأرض ﴾ أي بثكم ونشركم في أقطار الأرض ، مع اختلاف ألسنتكم ولغاتكم وألوانكم ، ﴿ وإليه تحشرون ﴾ أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ، ثم قال تعالى مخبراً عن الكفار ، المنكرين للمعاد ، المستبعدين وقوعه ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ؟ أي متى يقع هذا الذي تخبرنا عنه ، ﴿ قل إنما العلم عند الله ﴾ أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ أي وإنما علي البلاغ وقد أديته اليكم ، قال الله تعالى : ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفّار ، ورأوا أن الأمر كان قريباً ، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك ، وجه التقريع والتوبيخ ﴿ هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾ أي تستعجلون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكُنِي ٱللَّهُ وَمَن مَعِي أَوْ رَحِمْنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكُنفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَنُ ءَامَنَا بِهِ عَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينِ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ ۚ أَصْبَحَ مَآ وُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَا عِ

معين ١

⁽١) الحديث أخرجه أحمد وأصله في الصحيحين عن أنَس بن مالك .

يقول تعالى: ﴿ قَلَ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ﴿ أُرأيتم إِن أَهلكني الله ومن معي أو رحمنا فن يجير الكافرين من عذاب أليم ﴾ أي خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذلكم من الله إلا التوبة والإنابة، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم ، ثم قال تعالى: ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا ﴾ في جميع أمورنا ، كما قال تعالى: ﴿ فستعلمون من هو في ضلال في جميع أمورنا ، كما قال تعالى: ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين ﴾ أي منا ومنكم ، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ؟ ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة في خلقه ﴿ قل أُرأيتم إِن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل ، فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عزَّ وجلً ، فن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فلله الحمد والمنة

[آخر تفسير سورة الْمُلْك]





نَّ وَالْقَـلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونِ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيبِكُمُ ٱلْمَفْنُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۞

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته ههنا، وقيل: المراد بقوله ﴿ ن ﴾ الحسن حوت عظيم وقيل: المراد بقوله ﴿ ن ﴾ اللهواة ، ﴿ والقلم ﴾ اللهواة ، ﴿ والقلم ﴾ الله أنه بعنس القلم الذي يكتب به كقول وقتادة في قوله ﴿ ن ﴾ قالا: هي اللهواة ، وقوله تعالى: ﴿ والقلم ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقول تعالى: ﴿ الذي علم بالقلم ه علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنهم به عليهم ، من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ، ولهذا قال: ﴿ وما يسطرون ﴾ قال ابن عباس: يعني وما يكتبون ، وقال أبو الضحى عنه ﴿ وما يسطرون ﴾ يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد، وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر ، حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السهاوات والأرضين بخمسين ألف عام ، روى ابن أبي حاتم عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: يا رب وما أكتب؟ والم أكتب الملوت ، فقال: إني سمعت رسول الله مروى ابن أبي حاتم عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: يا رب وما أكتب؟ قال أكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد » (وعن ابن عباس أنه كان يحدِّث أن رسول الله على الأبد » (وعن ابن عباس أنه كان يحدِّث أن رسول الله على قال: « إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » (وقال مجاهد ﴿ والقلم ﴾ يعني الذي كتب بـه الذكر ، وقوله تعالى : شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » (وقال مجاهد ﴿ والقلم ﴾ يعني الذي كتب بـه الذكر ، وقوله تعالى : ﴿ وما يسطرون ﴾ أي يكتبون كما تقدم .

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَنتَ بنعمة ربك بمجنون ﴾ أي لست ولله الحمد بمجنون، كما يقوله الجهلة من قومك،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه أحمد والترمذي ، وقال : حسن صحيح غريب .

⁽۲) رواه ابن جریر .

المكذبون بمــا جنتهم بــه من الهدى حيث نسبوك إلى الجنون، ﴿ وإن لك لأجراً غير ممنون ﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى ﴿ غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع ، كَقوله: ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ ، ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد ﴿ غير ممنون ﴾ : أي غير محسوب ، وهو يرجع إلى ما قلناه ، وقوله تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم كه قال ابن عباس: وإنك لعلى دين عظم وهو الإسلام، وقالَ عطية: لعلى أدب عظيم، وقال قتادة: ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلي، قالت: فإن خلق رسول الله عَلِيْكُ كان القرآن، وروى الإمام أحمد عن الحسن قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله عَلِيْكُ فقالت: كان خلقه القرآن^(١)، وقال ابن جرير، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ : ﴿ وَإِنْكَ لَعَلَى خَلَقَ عَظْيم ﴾ ٣٠ ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن سجية له وخلقـــًا، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مـع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل حلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنَس، قال: خدمت رسول الله عَلِيْكُم عشر سنين فسا قال لي : أُفِّ قط ، ولا قال لشيء فعلتُه لِمَ فعلتُه ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلقًا ولا مسست خَزاً ولا حريراً ولا شَيئاً كان أُلين من كف رسوّل الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أَطيب من عرق رسول الله عَلِيْكُ ٣ ، وروى البخاري ، عن البراء قال : كان رسول الله عَلِيْكُ أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خَلَقاً ليس بالطويل ولا بالقصير (4) ، وروى الإمام أحمد، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله عليه الله بيده خادماً قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله عزَّ وجلَّ⁽⁶⁾ .

وقوله تعالى: ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتدون ﴾ أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك ، من المفتون الضال منك ومنهم . وهذا كقوله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ ، قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة ، ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أي المجنون ، وقال قتادة : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أي أولى بالشيطان ، ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله : ﴿ بأيكم ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وتقديره : فستعلم ويعلمون ، أي فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون ، والله أعلم ، ثم قال تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) رواه ابن جرير واللفظ له وراه أبو داود والنسائي بنحوه .

⁽٣) أخرجه الشيخان عن أنَّس رضي الله عنه .

⁽٤) أخرجه البخاري . ﴿ وَهِ أَخرِجه الإمام أحمد والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسى الترمذي كتاب سَّماه (الشهائل) .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿ وَدُواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿ مَّ اَزِ مَشَاعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ وَهُ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّا الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّلَّا اللَّهُ اللّه

وقوله تعالى: ﴿ مناع للخير معتد أثيم ﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿ معتد ﴾ في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحد المشروع، ﴿ أَنْهِ ﴾ أي يتناول المحرمات، وقوله تعالى: ﴿ عَتُل بعد ذلك زنيم ﴾ أما العتل فهو الفظ الغليظ، الجموع المنوع. روى الإمام أحمد، عن حارثة بن وهب قال، قال رسول الله يَتَظِيظٍ: ١ ألا أنبتكم بأهل النار؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبتكم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر ، وفي رواية: ١ كل جواظ جعظري مستكبر ، جماع، منّاع، ه كل جواظ جعظري السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا هضماً، فكان للنساس

⁽١) رواه الشيخان وبقية الجماعة .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود . والقتات : النمام .

⁽٣) أخرجه أحمد .

⁽١) أخرجه أحمد وابن ماجة .

⁽a) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

⁽٦) قال أهل اللغة : الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المنوع .

ظلوماً، فذلك العتل الزنيم ٣^{00 ،} فالعتل هو الشديد القوي في المـأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك، وأما الزنبم في لغة العرب فهو الدعي في القوم، ومنه قول (حسان بن ثابت) يذم بعض كفّار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال ابن عباس في قوله ﴿ زنيم ﴾ قال: الدعي الفاحش اللئيم ، وأنشد :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

إِنَّا بِكُونَكُمْ كَا بِكُونَا أَصُحَبُ الْجُنَةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَهَا مُصْبِحِبنَ ﴿ وَلَا يَسْتَقْنُونَ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآبِقِ مِن رَبِّكُ وَهُمْ نَآ يَمُونَ ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿ وَلَا يَسْتَقْنُونَ ﴾ أَنِ اغْدُواْ عَلَى حَرِيمُ فَي اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

⁽١) أخرحه ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرفوعاً .

⁽٢) أخرحه ابن أني حاتم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وهو جزء من حديث .

قَالُواْ يَنُو يَلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَنْغِينَ ﴿ عَسَىٰ رَبَّنَاۤ أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَاۤ إِنَّاۤ إِلَىٰ رَبِّنَا رَغِبُونَ ۞ كَذَالِكَ ٱلْعَذَابُّ وَلَعَذَابُ ٱلْآنِحَةِ أَكُبِّرُ لُوْكَانُواْ يَعْلَمُونَ ۞

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفّار قريش، فيا أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وهو بعثة محمد عَلِيْتُ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة، ولهذا قــال تعالى: ﴿ إنا بلوناهم ﴾ أي اختبرناهم ﴿ كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، ﴿ إِذْ أُقَسموا ليصرُّمنها مصبحين﴾ أي حلفوا ليجذن ثمرها ليلاً، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ولا يتصدقوا منه بشيء، ﴿ ولا يستثنون ﴾ أي فيما حلفوا به، ﴿ فطاف عليها طائف من ربكُ وهم نائمون﴾ أي أصابتها آفة سماوية، ﴿ فأصبُحت كالصريم ﴾ قالُ ابن عباس: أي كالليل الأسود، وقال السدي: مثل الزرع إذا حصد أي هشيماً يبساً، عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: « إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هي له » ثم تلا رسول الله عَلِيُّكُم : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ﴾^(۱) قــد حرموا خير جنتهم بذنبهم، ﴿ فتنادوا مصبحين﴾ أي وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى (الجذاذ) أي القطع، ﴿ أَن اغدوا على حرثكم إن كنم صارمين ﴾ أي تريدون الصرام، قــال مجاهد : كان حرثهم عنباً ، ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أي يتناجون فيما بينهم ، بحيث لا يُسْمِعُون أحداً كلامهم ، ثم فسر عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به، فقال تعالى: ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلها اليوم عليكم مُسكين﴾ أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عَليكم، قال تُعالى: ﴿ وغدوا على حرد﴾ أي قوة وشدة ، وقال مجاهد: على جد، وقال عكرمة: على غيظ، ﴿ قادرين ﴾ أي عليها فيما يزعمون ويرومون، ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وُهي على الحالة التي قالُ الله عزَّ وجلَّ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهوة وكثرة الثمار ، إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولهذا قالوا: ﴿ إِنَا لَصَالُونَ ﴾ أي قــد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، ثم تيقنوا أنها هي فقالوا ﴿ بل نحن محرومون ﴾ أي بل هي هذه، ولكن نحن لاحظ لنـــا ولا نصيب .

وقال تعالى: ﴿ قال أوسطهم ﴾ ، أي أعدالم وخيرهم () ﴿ أَلَم أَقَل لَكُم لُولا تسبحون ﴾ ! قال مجاهد والسدي: أي لولا تستثنون ، وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً ، وقال ابن جرير : هو قول القائل (إن شاء الله) ، وقيل : ﴿ لُولا تسبحون ﴾ أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ، ولهذا قالوا : ﴿ إِنَا كنا ظالمين » فأقبل بعضهم على بعضاً ، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعضاً ، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعضاً ، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعضاً ، على ما كانوا أعروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم المعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴾ أي إعتدينا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ قيل: راغبون في بذلها لهم في

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة .

الدنيا، وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة ، والله أعلم . ذكر بعض السلف أن هؤلاء قسد كانوا من أهسل اليمن، وقيل: كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قسد خلف لهم هذه الجنة، وكان يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعباله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق، إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية (رأس المال والربح والصدقة) فلم يبق لهم شيء؛ قال الله تعالى فو كذلك العذاب في هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنع به عليه، ومنع حق المسكين والفقير، وبذل نعمة الله كفراً، فو ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون في أي هذه عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة أشق .

إِنَّ لِلمُتَقِينَ عِندَ رَبِّيمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا اَلْحَمْ كَيْفَ تَحْمُحُونَ ﴿ الْمُسْلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا الْحَيْمَ الْمُعْمُونَ ﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمُ وَنَهِ إِنَّا لَكُمْ أَيْمُ وَلَا الْمُسْلِينَ كَالْمُ الْمُكُمْ أَيْمُ وَالْقِينَمَةِ إِنَّ لَكُمْ الْمُ لَكُمْ أَيْمُ وَلَا الْمُسْلِينَ لَكُمْ اللهُ اللهُو

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عزَّ وجلَّ ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم ، التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ، ثم قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ ؟ أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسهاء ، ولهذا قال : ﴿ مالكم كيف تحكون ﴾ ! أي كيف تظنون ذلك ، ثم قال تعالى : ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون » إن لكم فيه لما تخيرون ﴾ يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السهاء ، تدرسونه وتحفظونه وتنداولونه ، بنقل الخلف عن السلف ، منضمن عقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السهاء ، تدرسونه وتحفظونه وتنداولونه ، بنقل الخلف عن السلف ، منضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ؟ ﴿ إن لكم لما تخيرون ، أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكون ﴾ أي أمه عهود منا ومواثيق مؤكدة ؟ ﴿ إن لكم لما تحكون ﴾ أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ سلهم بذلك كفيل ﴿ أم لم شركاء ﴾ أي من هو المتضمن المتكفل بهذا ! قال ابن عباس : أيهم بذلك كفيل ﴿ أم لم شركاء ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾ .

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ يعني يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، والبلاء والامتحان

والأمور العظام، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي عَلِيُّكُ يقول: « يكشف ربنا عن ساقــه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ه^(١). وقال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة . وعن ابن مسعود ﴿ يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر : شالت الحرب عن ساق٣. وقال ابن جرير عن مجاهد: ﴿ يُومُ يَكْشُفُ عَنْ سَاقَ﴾ قال: شـــدة الأمر وجده، وقال ابن عباس قوله: ﴿ يُومُ يَكْشُفُ عَنْ سَاقَ ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي، عن ابن عباس قوله ﴿ يوم يكشف عن ساق﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة ، وروي عن النبي ﷺ قال : « ﴿ يُوم يَكشف عن ساق﴾ يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً »^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عزُّ وجلُّ فيسجد له المؤمنونَ، ولا يُستطيع أحد من الكافرين أو المنافقـين أنّ يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه، ثم قال تعالى: ﴿ فَدْرَنِي ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني القرآن، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه أنا أعلم كيف أستدرجه ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولهذا قال تعالى: ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ أي وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال تعالى: ﴿ أَيحسبون أَنَّمَا تَمَدَّهُمْ بِهُ مَنْ مَالَ وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ وأملي لهم إن كيدي متين ﴾ أي أؤخرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كيدي متين ﴾ أي عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »، ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ۞ . وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَسَأَلُهُمْ أَجَراً فهم من مغرم مثقلون ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ ! المعنى أنك يا محمد ثدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى، وهم يكذبون بما جئتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلحُهُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿ لَيْ لَوْلَا أَن تَذَارَكُهُ, نِعْمَةٌ مِن رَّبِهِ عَلَنْهِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿ فَيَ فَاجْتَبَهُ رَبَّهُۥ فَجَعَلَهُ, مِنَ الصَّلْمِحِينَ ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَلْرِهِمْ لَمَّاسَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿ وَمَا هُوَ إِلَا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى: ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك ويجعل العاقبة لك

⁽١) أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور .

⁽٢) رواه عنهما ابن جرير رحمه الله .

⁽٣) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً ، ورواه أبو يعلى وفيه رجل بهم .

⁽٤) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً .

ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ يعني ذا النون وهو (يونس بن متى) عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر، والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار ، وسماعه تسبيح البحر بمــا فيه للعلي القدير ، فحينئذ نادى في الظلمات : ﴿ أَنْ لَا إِلَّهَ إِلا أَنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾، قال الله تعالى: ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾، وقال تعالى: ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴿ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ ، وقال ههنا: ﴿ إِذْ نادى وهو مكظوم ﴾ قسال ابن عباس ومجاهد: وهو مغموم، وقال عطاء: مكروب، وقــد قدمنا في الحديث أنه لما قال ﴿ لا إِلَّهُ إِلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ خرجت الكلمة تحنّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا ؟ قالوا: لا، قال هذا يونس، قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة، قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء، فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قــال تعالى: ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾، وقــد قال رسول الله عَيْجَيُّةً : ﴿ لَا يَنْبَغِي لأحــد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ۞ . وقوله تعالى: ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ﴿ ليزلقونك ﴾ لينفذونك ﴿ بأبصارهم ﴾ أي يحسدونك لِبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عزّ وجلَّ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية، روى أبو داود عن أنَس قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ لَا رَقِيةَ إِلَّا مَن عين أو حمة أو دم لا يرقأ ه™. وروى ابن ماجة، عن بريدة بن الحصيب قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا رقية إلا من عين أو حمة ٣٠٠) . وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا »([®]. وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين يقول: « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة » ويقول: « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام ه 🏵 .

وروى الإمام أحمد، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله عَلِيكَ اشتكى، فأتاه جبريل، فقال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين والله يشفيك (٢٠)، وقال رسول الله عَلِيكَ : « إن العين حق ٥٠٠٠. حديث أسماء بنت عميس: قال الإمام أحمد، عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال، قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفاسترقي لهم ؟ قال: « نعم . فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين ٥٠٠٠. حديث عائشة رضي الله

⁽١) أخرجه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة .

⁽٢) روه أبو داود .

⁽٣) أخرجه ابن ماجة ورواه البخاري والترمذي عن عمر بن حصين موقوفاً .

⁽٤) أخرجه مسلم .

 ⁽a) أخرجه البخاري وأهل السنن .

⁽٦) أخرجه الإمام أحمد .

 ⁽٧) أخرجاه في الصحيحين .
 (٨) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

عنها: روى ابن ماجة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله على أمرها أن تسترقي من العين ". وعن عائشة قالت: قال رسول الله على الله عنه قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغل منه المعين " . حديث سهل ابن حنيف : قال الإمام أحمد ، عن أبي أمامة بن سهل المن خيف : قال الإمام أحمد ، عن أبي أمامة بن سهل المن خيف أبن حنيف أن أباه حدثه : أن رسول الله يؤلله خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من (الجحفة) اغتسل سهل بن الأحنف ، وكان رجلاً ابيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، فأتى رسول الله على أنه ولا يفيق ، قال : وهل رسول الله على أنه ولا يفيق ، قال : وهل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة ، فدعا رسول الله على عامرا فتغيظ عليه ، وقال : وعلام ومقب وركبته وأطراف رجليه وداخلة إذاره في قدح ، ثم صب ذلك الماء عليه ، فصبه رجل على رأسه وظهره من ومله ، ثم يكفأ القدح وراءه فغمل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس " . حديث عبدالله بن عمرو : قال خله ، ثم يكفأ القدح وراءه فغمل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس " . حديث عبدالله بن عمرو الله الإمام أحمد ، عن عبدالله بن عمرو قال ، قال رسول الله على يؤذونه بألسنتهم ، ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون في إنه لمجنون في المجنون في المجنون في المحبود بأعينهم ، ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون في إنه لمجنون أي لمجيئه بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ .

[آخر تفسير سورة ن ، وقه الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه الشيخان وابن ماجة .

⁽٢) أخرجه ابن ماجة .

⁽٣) رواه أبو داود وأحمد .

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد ورواه ابن ماجة بنحوه .

⁽۵) تفرد به الإمام أحمد .



الْحَاقَةُ إِلَا الْحَاقَةُ فَيْ وَمَا أَدْرَنكَ مَا الْحَاقَةُ فَ كَذَبَتْ نَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ فَ فَامَا نَمُودُ فَأَهْلِكُواْ الْحَاقَةُ فَي مَرْصَرِ عَاتِبَةٍ فَي سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَبَالِ وَثَمَنْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْدَى وَأَمَّا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَبَالِ وَثَمَنْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْدَدُ وَمَن قَبْلَهُ, وَالْمُؤْتِفِكُنتُ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَغْذَهُ مَنْ بَاقِيَةٍ فَي وَجَاءً فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ, وَالْمُؤْتِفِكُنتُ بِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْذَلُهُمْ أَغْذَهُم أَغْذَهُ مَا إِلَيْكَ فَي إِلَيْكُوا اللّهَا عَلَى اللّهُ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

والحاقة في من أسماء يوم القيامة ، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿ وما أدراك ما الحاقة في من أسماء يوم القيامة ، لأن فيها يتحقق الوعد وها الحاقة في الماغية في وهي الصيحة ، وهو اختيار ابن جرير ، وقال مجاهد: التي أسكتهم والزلزلة التي أسكنتهم ، هكذا قال قتادة ﴿ الطاغية في : الصيحة ، وهو اختيار ابن جرير ، وقال مجاهد ؛ ﴿ الطاغية في الذنوب ، وكذا قال ابن زيد إنها الطغيان ، وقرأ : ﴿ كذبت ثمود بطغواها في ، ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر في أي باردة ، قال قتادة والسدي : ﴿ عاتية في أي شديدة الهبوب ، عتت عليهم حتى نقبت عن أفندتهم ، وقال الضحاك : ﴿ صرصر في باردة ﴿ عاتية في عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، وقال علي : عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب ، ﴿ سخرها عليهم في أي سلطها عليهم ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً في كوامل متتابعات ، وعن عكرمة والربيع : مشائيم عليهم كقوله تعالى : ﴿ في أيام مسائيم ، قال ابن مسعود : ﴿ حسوماً في متتابعات ، وعن عكرمة والربيع : مشائيم عليهم كقوله تعالى : ﴿ في أيام صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية في . وقيل : لأنها تكون في عجز الشناء ، قال ابن عباس : ﴿ خاوية في خربة ، وقال غيره : بالية ، أي جعلت الربيع تضرب بأحدهم الأرض فيخر مبتاً على أمّ رَأْسه ، فينشدخ رأسه ، وتبقى جئته هامدة ، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان ، وقد ثبت عن رسول الله على أمّ رَأْسه ، فينشدخ رأسه ، وتبقى جئته هامدة ، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان ، وقد ثبت عن رسول الله على أمّ رَأْسه ، فينشدخ رأسه ، وتبقى جئته هامدة ، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان ، وقد ثبت عن رسول الله على أمّ رأسه ، فينشدخ رأسه ، والمكت

عاد بالدّبور » ". وعن ابن عمر قال ، قال رسول الله عَلَيْكُ : « ما فتح الله على عاد من الربح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم ، فرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السهاء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عادٍ ، الربح وما فيها قالوا: هذا عارض محطرنا ، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » أو فهل ترى لهم من باقية ﴾ ؟ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم ؟ بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لنم خلفاً ، ثم قال تعالى : ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له ، وقوله تعالى : ﴿ والمؤتفكات ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسل ، ﴿ بالخاطئة ﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله ، قال الربيع ﴿ بالخاطئة ﴾ أي بالمعصية ، وقال مجاهد : بالخطايا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ أي كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ ، ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ وإنما جاء إلى كل أمّة رسول واحد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ أي عظيمة شديدة أليمة ، قال مجاهد ﴿ رابية ﴾ : شديدة ، قال السدي : مهلكة .

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَا لَمُنَا طَنَى المَاءِ ﴾ أي ازداد على الحد، وقال ابن عباس: ﴿ طغى المَاء ﴾ كثر، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام، فاستجاب الله له، وعمّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالمناس كلهم من سلالة نوح وذريته، قال علي بن أبي طالب: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الخزان، فخرج، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَا لمَا طغى المَاء ﴾ أي زاد على الحد بإذن الله، ﴿ حملناكم في الجارية ﴾ ولم ينزل شيء من الربح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾ "، ولهذا قال تعالى عنى الناس وحملناكم في الجارية ﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء، ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾ أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ وحمل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾، وقال تعالى: ﴿ وآية أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أذن واعية ، أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية، أوائل هذه الأمة، والأول أظهر، ولهذا قال تعالى: ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله وقال الضحاك: ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله من فهم ووعي .

فَإِذَا نُفِخَ فِى الصَّورِ نَفْخَةٌ وَحِدَةٌ ﴿ وَهُلِتِ الْأَرْضُ وَالِجْبَالُ فَدُتَّكَا دَكَّةَ وَ'حِدَةً ﴿ فَهَوْمَهِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿ وَالشَّقَٰتِ السَّمَاءُ فَهِى يَوْمَهِلِ وَاهِبَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَىۤ أَرْجَآهِمَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ

⁽١) اخرجاه في الصحيحين .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم

يَوْمَهِذِ تَمَانِيَةٌ ١ يَوْمَهِزِ تُعْرَضُونَ لَا تَحْنَى مِنكُرْ خَافِيَةٌ ١

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك (نفخة الفزع)، ثم يعقبها (نفخة الصعق) حين يصعق من في السهاوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها (نفخة القيام) لرب العالمين، وقد أكدها ههنا بأنهـــا واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد، قال الربيع: هي النفخة الأخيرة، والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ههنا: ﴿ وَحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ أي فمدت مد الأديم، وتبدلت الأرض غير الأرض، ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ أي قامت القيامة، ﴿ وانشقت السهاء فهي يومئذ واهية ﴾. عن علي قال: تنشق السهاء من المجرة، وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿ وفتحت السهاء فكانت أبواباً ﴾، ﴿ والملك على أرجائها ﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة . على أرجاء السهاء: أي حافاتها، وقال الضحّاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنَس في قوله: ﴿ والملك على أرجائها ﴾ يقول: على ما استدق من السهاء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله تعالى: ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله عَلِي قال: ﴿ أَذَنَ لِي أَنْ أَحَدَثُ عَنَ مَلَكُ مِن ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام $^{(0)}$. وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ ويحمــل عرش ربك فوقهم يومثذ ثمانية ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة. وقوله تعالى: ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عـــالم بالظواهر والسرائر والضمائر ، ولهذا قال تعالى: ﴿ لا تَحْفَى مَنكُم خَافِيةً ﴾، وقد قــال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تحفى منكم خافية ﴾ " ، وروى الإمام أحمد، عن أبي موسى قال، قال رسول الله عليه : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأبدي فآخذ بيمينه وآخذ بشهاله «٣).

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَنَبَهُ بِيَمِينِهِ عَنَيْقُولُ هَآ قُرُمُ الْقُرُءُواْ كِتَنْبِيَهُ ﴿ إِنِّ ظَنَنْتُ أَتِي مُلَتِي حِسَابِيَهُ ﴿ فَهُو فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِبَةٍ ﴿ فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيَتُنَا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل مـــن لقيه: ﴿ هَاؤُم اقرأُوا كتابيه، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، وعن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة (غسيل الملائكة) قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم

⁽۱) رواه أبو داود .

⁽٢) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ثابت بن الحجّاج .

⁽٣) أخرجه أحمد والترمذي .

أفضحك به وإني قــد غفرت لك، فيقول عند ذلك: ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه ﴾، ﴿ إني ظننت أني ملاقِ حسابيه ﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة^(١) ، وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله عَلِيْكُ يقول: « يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قـــد هلك، قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظننت أَنِّي ملاق حسابيه ﴾ أي قـــد كنت موقناً في الدنيا، أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهم ملاقو ربهم ﴾، قال تعالى: ﴿ فَهُو فِي عَيْشَةَ رَاضِيةٍ ﴾ أي مرضية، ﴿ فِي جَنَّةُ عَالَيَّةٍ ﴾ أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمـــة دُورها، دائم حبورها، روى ابن أبي حاتم، عن أبي أمامة قال: سأل رجل رسول الله عَلِيْكُم : « هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال: « نعم . إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعَّدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم ٣٠ ، وقــد ثبت في الصحيَّح: «أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السهاء والأرض » . وقوله تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب: أي قريبة يتناولها أحدهم وهو ناثم على سريره، وكذا قال غير واحد، روى الطبراني، عن سلمان الفارسي قال، قال رسول الله عليه أ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عاليــة قطوفها دانية «^{٣٣}؛ وفي رواية: « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية ء■ . وقوله تعالى: ﴿ كُلُوا واشربُوا هَنِينًا بَمَا أَسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وأمتناناً، وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسولَ الله يَهْجُلُمُ أنه قال: « اعملوا وسٰددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) رِواه ابن أبي حاتم .

⁽٣) رواه الطبراني .

⁽٤) أخرجه الضياء في صفة الجنة .

وقال قتادة: تمنّى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، ﴿ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيهِ هَ لَكَ عَني سلطانيه ﴾ أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عزُّ وجلُّ : ﴿ خَذُوه فَغُلُوه ه ثم الجحيم صلُّوه ﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم فتصليه إيّاها، أي تغمره فيها . عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى: خدوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول: هكذا، فيلقي سبعين ألفاً في النار^(١)، وقال الفضيل ابن عياض إذا قال الرب عزَّ وجلَّ ﴿ خذوه فغلوه ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه، ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ أي أغمروه فيها ، وقوله تعالى: ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ قال كعب الأُحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، وقال ابن عباس: بذراع الملك، وقال العوفي عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه، روى الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله عليه ع ه لو أن رضاضة مثل هذه – وأشار إلى جمجمة – أرسلت من السهاء إلى الأرض وهي مسيرة خمسهائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها ه. • وقوله تعالى: ﴿ إِنه كان لا يؤمن بالله العظيم • ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا بـــه شيئاً ، وللعباد بعضهم على بعض حتى الإحسانُ والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي وهو يقول: « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » ، وقوله تعالى: ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين ء لا يأكله إلا الخاطئونكه أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى، لا ﴿ حميم ﴾ وهو القريب، ولا ﴿ شَفَيع ﴾ يطاع، ولا طعمام له ههنا ﴿ إلا من غسلين ﴾ قال قتادة : هو شر طعام أهل النار ، وقال الضحّاك: هو شجرة في جهنم، وقال ابن عباس: ما أدري ما الغسلين ؟ ولكني أظنه الزقوم^{٣)}، وقال عكرمة عنه: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم، وعنه: الغسلين صديد أهل النار.

فَلَآ أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيرٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكُّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞

يقول تعالى مقسماً لخلقه، بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته، الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم، إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال تعالى: ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ﴾ يعني محمداً على أضافه إليه على معنى التبليغ، ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلاً

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي ، وقال : حديث حسن .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

ما تذكرون فأضافه الله تارة إلى (جبريل) الرسول الملكي، وتارة إلى (محمد) الرسول البشري، لأن كلا منهما مبلغ عن الله، ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض وسول الله يَوْلِنَكُ قبل أن أسلم، فوجدته قسد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾ قال، فقلت: كاهن، قال: فقرأ ﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ إلى آخر السورة، قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وَلُوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَسَامِمُ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنْجِزِينَ ۞ وَإِنَّهُ لِتَذْكِرَةُ اللِّمُتَّقِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُكَذِينِنَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَسَّرَةُ عَلَى ٱلْكُنْفِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لِحَقَّ ٱلْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِالنّهِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۞

يقول تعالى : ﴿ ولو تقول علينا ﴾ أي محمد على العاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا خذنا منه باليمين ﴾ قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل : لأخدنا بيمينه ، ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ قال ابن عباس : وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه ؛ وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه، وقوله تعالى : ﴿ فا منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه ، إذا أردنا به شيئاً من ذلك ، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله عزَّ وجلَّ مقرر له ما يبلغه عنه ، ومؤيد له بلحجزات الباهرات والدلالات القاطعات ، ثم قال تعالى : ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ . كما قال تعالى : ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ . كما قال تعالى : ﴿ ولا هو منكم من يكذب بالقرآن ، ثم قال تعالى : ﴿ وإنه لحسرة على الكافرين ﴾ قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين » قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين » ولهذا قال تعالى : ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وانه لحق اليقين » أي الخبر الصدق الحق ، الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ، ما قال تعالى : ﴿ وله لحق اليقين » أي الخبر الصدق الحق ، الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ، ما قال تعالى : ﴿ وانه لحق اليقين » أي الذي أنول هذا القرآن العظيم .

[آخر تفسير سورة الحاقة ، ولله الحمد والمنة]



سَأَلُ سَآيِلٌ بِعَذَابِ وَاقِيعٍ ۞ لِلْكَنفِرِينَ لَيْسَ لَهُ وَافِيعٌ ۞ مِّنَ اللّهِ ذِى الْمَعَادِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَكَيْكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ بَعْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَآصِيرٍ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَرَنَهُ قَرِيبًا ۞

وسأل سائل بعذاب واقع ﴾ أي استعجل سائل بعذاب واقع ، كقوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ . قال النسأي ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ ، قال (النضر الحارث) وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: ذلك سؤال الكفّار عن عذاب الله وهو واقع بهم ، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال وهو قولم : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السهاء أو اثتنا بعذاب أليم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ للكافرين ﴾ أي مرصد معد للكافرين ، ﴿ ليس له دافع ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال ابن عباس : ذو الدرجات ، وعنه : ذو العلو والقواضل ، وقال مجاهد ﴿ في المعارج ﴾ : معارج السهاء ، وقال قتادة : ذي القواضل والنع ، وقوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قال قتادة ﴿ تعرج ﴾ : تصعد ، وأما الروح فيحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السهاء ، كما دل عليه حديث البراء ، في قبض يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السهاء ، كما دل عليه حديث البراء ، في قبض الموح الطيبة وفيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء ، حتى ينتهي بها إلى السهاء التي فيها الله » .

وقوله تعالى : ﴿ فِي يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فيه أربعة أقوال : أحمدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فِي يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين، إلى منتهى أمره من فوق السياوات خمسين ألف سنة (القول الثاني : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله عزَّ وجلَّ يوماً . وعن عكرمة: وفي يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (الف سنة الله الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عزَّ وجلَ (القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً، روي عن محمد بن كعب قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة (القول المرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة، وبه قال الضحّاك وابن زيد وعكرمة، وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، روى مقداره خمسين ألف سنة ، روى القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال، قيل لرسول الله على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة اليوم ؟ فقال رسول الله على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ، والم الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على الخام، حتى يحكم الله يصليها في الدنيا ، والم الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله على المؤم، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، هن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، هن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، هن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، هن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، هن اله بهن عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة واما إلى النار ، هن الم

وقوله تعالى: ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله تعالى: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾، ولهذا قال: ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ ونراه قريباً ﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، ولكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين ﴿ يوم تكون الساء كالمهل ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي كدردي الزيت، ﴿ وتكون الجبال كالعهل ﴾ أي كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وتكون

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة .

⁽٣) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٤) أخرجه أحمد وابن جرير . (٥) أخرجه الإمام أحمد .

الجبال كالعهن المنفوش ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمْيَمُ حَمْيًا يَبْصُّرُونَهُم ﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره. قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ لَكُلُّ امْرَىٰ مَنْهُمْ يُومَنْذُ شَأْنَ يَغْنِيه ﴾، وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿ وَاخْشُوا يُومَّا لَا يَجْزِي وَاللَّدَ عَنْ وَلَدْهُ وَلا مُولُودُ هُو جَازَ عَنْ وَاللَّهُ شَيًّا ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ يَوْمُ يَفْرُ المُرْءُ من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومثذ شأن يغنيه ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يُودُ الْمُجرم لو يفتدي من عذاب يومثذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملُ الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، قال مجاهد والسدي: ﴿ فَصيلته ﴾ قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فخذه الذي هورمنهم، وقوله: تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَظَى ﴾ يصف النار وشدة حرهـــا ﴿ نَرَاعَةَ لَلْشُوى ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وعن ابن عباس: ﴿ نَرَاعَةَ لَلْشُوى ﴾ الجلود والهام، وقال أبو صالح ﴿ نزاعة للشوى ﴾ يعني أطراف اليدين والرجلين، وقال الحسن البصري: تحرق كل شيء فيسه ويبقى فؤاده يصيح، وقال الضحّاك: تبري اللحم وٓالجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿ تدعوا من أدبر وتولى ـ وجمع فأوعى﴾ أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لهـــا، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر ، كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعى ﴾ أي جمع المال بعضه على بعض، فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه، من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، وقــد ورد في الحديث: « ولا توعي فيوعي الله عليك »، وكان عبدالله بن عكيم لا يربط له كيساً، يقول، سمعت الله يقول: ﴿ وجمع فأوعى ﴾ ، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيدُ الله ثم أوعيت الدنيا ، وقال قتادة في قوله ﴿ وجمع فَأُوعَى ﴾ قال : كان جموعًا قمومًا للخبيث .

* إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسَهُ ٱلشَّرْجَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ إِلَا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿ اللَّهِ مِنَ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَآ يَمُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُصَلِّقُونَ بِيَوْمِ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَآ يَمُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُصَلِّقُونَ بِيَوْمِ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونِ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونِ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُوجِهِمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ وَاللَّذِينَ هُمْ إِنَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مَلَائِهِمْ عَلَى مَلْكُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ إِنْهَالَانِيمَ عَلَيْهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ إِنْهَا لَكُونَ اللَّهِ وَاللَّهِمْ عَلَيْهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ وَاللَّذِينَ هُمْ إِنْهَالَهُ اللَّهُ عَلَى مَلْكُن الْبَعْفَى وَرَآءَ ذَالِكَ فَأُولَتِكَ عَلَى مَلَائِهِمْ وَالَّذِينَ هُمْ إِنْهُ اللَّهُ عَلَى مَلَالَةً مَا عَلَى مَلَائِهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَعَهْدِهِمْ وَعُولَ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ إِنْهُ اللَّهُ عَلَى مَلَالِهُمْ عَلَى مَلَالِهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهِمْ عَلَى مَلَالِهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى مَلَالَهُ وَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مُ عَلَى مَلَالَهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهُ وَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ مَا عَلَى مَلَا مُ وَاللَّذِينَ هُمْ إِنْهُ عَلَى مَلَا عَلَى مَلَا عَلَيْهُ وَلِي اللَّهُ عَلَى مَلَا عَلَى اللَّهُ عَلَى مَلَا عَلَى مَلَا عَلَى اللْهُ عَلَى مَلَا عَلَى مَلَا عَلَى مَلَا عَلَى اللَّهُ عَلَى مَلَا عَلَى مَلَا عَلَيْهُ وَاللَّذِينَ اللْمُعَالَةُ عَلَى مَلْ عَلَى مَلَالِهُ عَلَى مَلَالِهُ عَلَى مَلَا عَلَيْهِمْ وَاللَّهِمُ عَلَى مَلَا عَلَيْهِمُ وَاللَّهُ عَلَى مَلَالِكُونَ عَلَى مَا مُلْكُولًا وَاللَّهُ عَلَى مَلَالِهُ عَلَى مَلَا الللَّهُ عَلَى مَلَالَهُ عَلَى مَا مُلْكُلُومُ وَاللَّهُ عَلَى مَلْكُولُ مَالْمُعَالِمُ وَاللَّهُ عَلَى مَا مُلْكُولُومُ الللَّهُ عَلَى مَا الللَّهُ عَلَيْ مُلْكُولًا عَلَيْكُولُومُ اللْعَلَاقِ عَلَى اللْعَلَى اللْعَلَالَ عَلَيْكُومُ اللَّهُ عَلَا عَلَالَهُ وَاللَّهُ ع

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿ إِن الإنسان خلق هلوعاً ﴾ ، ثم فسره بقوله: ﴿ إِذَا مسه الشر جزوعاً ﴾ أي إذا مسه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصله

له بعد ذلك خير ﴿ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها . وفي الحديث: « شر ما في الرجُل : شح هالع وجُبن خالع €" . ثم قال تعالى: ﴿ إِلَّا الْمُصَلَّينَ ﴾ أي إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير = ويسر له أسبابه وهم المصلون ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ قيل : معنساه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قاله ابن مسعود، وقيل: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿ قد أُفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ قاله عقبة بن عامر ، ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد؛ وهـــذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة ؛ فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده لم يسكن فيها ولم يدم، بل ينقرها نقر الغراب، فلا يفلح في صلاته؛ **وقيل**: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه، وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله عليه أنه قال: « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل "، قالت: وكان رسول الله عَيْظِيُّهُ إذًا عمل عملاً داوم عليه، وقوله تعالى: ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم ﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، ﴿ والذين يصدقون بيُّوم الدين ﴾ أي يُوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مَنْ عَذَابِ رَبُّهُم مشفقونَ ﴾ أي خائفون وجلون، ﴿ إِن ،عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لا يأمنه أحد إلا بأمان من الله تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي يكفونهـا عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَى أَرُواجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيَانَهُم ﴾ أي من الإماء، ﴿ فَإِنَّهُم غَيْر ملومين ، فمن ابتغى ورَّاء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقــد تقدم تفسير هذا بمــا أغنى عن إعادته ههنا أله ، وقوله تعالى: ﴿ والدِّينَ هُم لأماناتهــم وعهدهم رأعون﴾ أي إذا اوتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة، واختتمه بذكرها، فدلَ على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، ﴿ أُولئك في جنات مكرمون﴾ أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار . أَكَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۞ أَيَطَمَعُ كُلُّ ٱمْرِي مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيدٍ ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَنَهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿ فَلَا أَقْدِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَرِقِ وَٱلْمَغَرِبِ إِنَّا لَقَائِدُونَ ﴿ عَلَىٰ أَنْ نَبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوفِينَ ﴿ فَلَوْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَىٰ يُلَقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُم إِلَى نُصُبِ يُوفِضُونَ ﴿ خَشِعَةً أَبْصَنُرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَالِكَ ٱلْمَيْوَمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١

يقول تعالى منكراً على الكفّار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وهم مشاهدون لمــا أيده الله به من المعجزات

⁽١) رواه أبو داود .

⁽٢) تقدم تفسيره في أول سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ .

الباهرات، ثم هم شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً ، ﴿ كَأَنَّهُم حَمْرَ مُسْتَنْفُرَةَ ۥ فُرْتُ مِن قسورةٍ ﴾ ، قال تعالى : ﴿ فَا لَلَّذِينَ كَفُرُواْ قَبِلُكُ مَهُطِّعِينَ ﴾ أي فما لهؤلاء الكفَّار الذَّين عندك يا محمد ﴿ مَهُطَّعِينَ ﴾ أي مسرعين نافرين منك، قال الحسن البصري ﴿ مهطعين ﴾ أي منطلقين، ﴿ عن اليّمين وعن الشَّمال عزّين ﴾ واحدها عزة أي متفرقين، وقال ابن عباس: ﴿ فَمَا لَلَّذِينَ كَفُرُوا قَبْلُكَ مُهُطِّعِينَ ﴾ قال: قبلك ينظرون ﴿ عن اليَّمِينَ وعن الشَّهَال عزينَ ﴾ العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به، وعن الحسن في قوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل ؟ وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابُه وهم حلق فقال: ﴿ مَالَيَ أَرَاكُمُ عَزِينَ ؟ ﴿ أَنْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّ كلاكه أي أيطمع هؤلاء ، والحالة هذه من فرارهم عن الرسول عَلِيْكُم ، ونفارَهم عن الحق، أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا ، بل مأواهم جهنم، ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم مستدلاً عليهم بالبداءة: ﴿ إِنَا خلقناهم ممــا يعلمون ﴾ أي من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلَقُكُمْ مَنْ مَاءٌ مُهِينَ ﴾، وقال: ﴿ فَلينظر الْإنسان مم خَلْق ﴿ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والتراثب ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ أي الذي خلق السياوات والأرض، وسخّر الكواكب تبدُّو من مشارقها وتغيبُ في مغاربُها، ﴿ إِنَّا لَقَادُرُونَ على أن نبدل بعاجزين، كما قال تعالى: ﴿ أَيحُسُبِ الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾، وقـــال تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم المُوت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾، واختــار ابن جرير ﴿ على أن نبدل خيراً منهم ﴾ أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم كه، والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم . ثم قال تعالى:' ﴿ فَلَرَهُم ﴾ أي يا مُحمد ﴿ يَخُوضُوا ويلعبوا ﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿ حتى يُلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله، ﴿ يُوم يَحْرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ أي يقومون من القبور ، إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لمُوقف الحساب، ينهضون سراعاً ﴿ كَأَنْهُمْ إِلَى نصب يوفضونُ﴾ قال ابن عباس: إلى علّم يسعون، وقال أبو العالية: إلى غاية يسعون إليها. ﴿ نُصُب ﴾ بضم النون والصاد وهو الصنم، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، ﴿ يوفضونَ ﴾ يبتدرون أبهم يستلمه أول، وهــذا مروي عن مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرهم، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ أي خاضعة ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ .

[آخر تفسير سورة سأل سائل ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ومسلم والنسائي بنحوه .



إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِنَّ قَوْمِهِ مَا أَنْ ذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ قَالَ يَنْفَوْم إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينُ ۞ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَا تَقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُرٌّ وَيُؤَيِّرُكُمْ إِنَّ أَجَلِ مُسَمَّى إِنَّ أَجَلَ الله إِذَا جَآءَ لايُؤَمِّرُ لَوْكُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام، أنه أرسله إلى قومه، آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ه قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾ أي بيّن النذارة، ظاهر الأمر واضحه ﴿ إن اعبدوا الله واتقوه ﴾ أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه » ﴿ وأطبعونِ ﴾ فيا آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب ، وقد يستدل بلده الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة ، كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر »، وقوله تعالى: ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لوكنتم تعلمون ﴾ أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة ، فإنّ أمره تعالى لا يرد ولا يمانع ، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء ، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات .

قَالَ رَبِّ إِنِّ دَعُوْتُ قَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِى إِلَّا فِرَارًا ﴿ وَإِنِّ كُمَّا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهِ عَلَوْا أَصَابِعُهُمْ فِي اَذَانِهِمْ وَاسْتَغْشُوا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اَسْتِكْبَارًا ﴿ فَلَا يَعْفِرُهُمْ جِهَارًا ﴾ جَعَلُواْ أَصَابِعُهُمْ فِي اَفْدُكُانَ عَفَّارًا ﴿ فَي دَعُوتُهُمْ لِجَهَارًا ﴾ عَلَيْتُمُ إِنِّ أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَدْتُ لَمُمْ إِسْرَارًا ﴿ فَعَلَنْ اَسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿ فَي مُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ فَي وَعُولُ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ فَي وَعُولُ اللّهُ مَا لَكُوا لَهُ مُعَلِي اللّهُ مَا لَكُوا اللّهُ اللّهُ مَا لَكُوا اللّهُ مَا مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّ

فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَنَكُم مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ مُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُحْرِجُكُمْ إِنْرَاجًا ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞

يخبر تعالى عن عبده ورسوله (نوح) عليه السلام، أنه اشتكى إلى ربه عزَّ وجلَّ، ما لتي من قومه في تلك المدة الطويلــة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بيّن لقومه ووضّح لهم فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعُوت قومي ليــلأ ونهاراً ﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار ، وامتثالًا لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿ فَلَمْ يَزْدُهُمْ دَعَانَي إلا فَراراً ﴾ أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق، فروا منه وحادوا عنه، ﴿ وإنِّي كلما دعوتهم لتغفر لمم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهُم إليه، كما أخبر تعالى عن كفار قريش ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبونك، ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ قال ابن عباس: تنكروا له لثلا يعرفهم، وقال السدي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول، ﴿ وأصروا ﴾ أي استمروا على ما هم فيــه من الشرك، والكفر العظم الفظيم، ﴿ واستكبروا استكباراً ﴾ أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له، ﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ﴾ أي جهرة بين الناس، ﴿ ثم إني أعلنت لمم ﴾ أي كالاماً ظاهراً بصوت عال ﴿ وأسررت لهم إسراراً ﴾ أي فيا بيني وبينهم، فنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم، ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾ أي ارجعوا اليه وارجُّموا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه ، ﴿ يُرِسِل السَّهَاءَ عليكم مدراراً ﴾ أي متواصلة الأمطارٰ، قال ابن عباس : يتبع بعضه بعضاً، وقوله تعالى: ﴿ ويمددكمُ بأموال وبنين ويجعُل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ أي إذا تبتم إلى الله وأطعتموه، كثّر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السهاء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأمدَّكم ﴿ بأموال وبنين ﴾ أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخَلَها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقــام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ ؟ أي عظمة قال ابن عباس : لم لا تعظمون الله حق عظمته، أي لا تخافون من بأسه ونقمته ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ قيل: معناه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة قاله ابن عباس وقتادة .

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرُوا كَيْفَ خَلَقَ الله سَبِع سَمَاوات طَبَاقاً ﴾ أي واحدة فوق واحدة، ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرّة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى: ﴿ خلق سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ أي فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجاً، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستسر ، ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن، ﴿ ثم يعيد كم فيها ﴾ أي إذا متم ﴿ ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي يوم القيامة يعيد كم كما بدأ كم أول مرة، ﴿ والله جعل لكم يعيد كم فيها ﴾ أي إذا متم ﴿ ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي يوم القيامة يعيد كم كما بدأ كم أول مرة، ﴿ والله جعال كم يعيد كم فيها ﴾ أي إذا متم ﴿ ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي يوم القيامة يعيد كم كما بدأ كم أول مرة، ﴿ والله جعل لكم يعيد كم فيها ﴾ أي إذا متم ﴿ ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي يوم القيامة يعيد كم كما بدأ كم أول مرة، ﴿ والله جعال كم الأرض بساطاً ﴾ أي بسطها ومهدها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات، ﴿ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ أي

خلقها لكم لتستقروا عليها، وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها، ينبههم نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السياوات والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السياء بناء، والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السياء بناء، والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد.

قَالَ نُوحٌ رَّبِ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُواْ مَن لَرْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ وَ إِلَّا خَسَارًا ﴿ وَمَكُرُواْ مَكُرُواْ مَكُرُا ﴿ وَلَا نَوْدُ وَيَعُوفَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُواْ كَثِيرًا اللهِ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ وَلَا تَذَرُنَّ وَلَا تَذَرُنَّ وَقَالُ اللهِ عَالَمُوا كَثِيرًا ﴿ وَلَا يَغُوثُ وَيَعُوفَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُواْ كَثِيرًا اللهِ وَلَا يَغُوثُ وَيَعُوفَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُواْ كَثِيرًا اللهِ وَلَا تَذَرُنَ وَلَا تَذَرُنَ وَلَا تَذَرُنَ وَلَا تَذَرُنَ وَلَا تَذَرُنَا وَلَا يَعُونُ وَيَعُونَ وَيَعُونَ وَنَسْرًا ﴿ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا تَذَرُنُ وَلَا تَذَرُنُ وَلَا تَذَرُنَا وَلَا يَعُونُ وَيَعُونُ وَيَعُونَ وَنَسُوا اللّهِ وَاللّهُ وَلَا يَعُونُ وَيَعُونَ وَلَا تَعْرَالُ اللّهُ وَلَا تَذَرُقُ وَلَا تَعْرَا اللّهُ وَلَا لَا تَذَرُقُ وَلَا تَذَرُقُ وَلَا تَذَرُقُ وَلَا تَعْرُفُونَ وَلَا تَذَوْلُ وَلَا تَعْرَالُوا لَا تَصَالُوا لَا تَنْهُ وَاللّهُ وَلَا لَا تَعْرَالُوا لَا تَذَرُقُ وَلَا تَعْرَالُ فَلَا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُ فَلَا مُنْ اللّهُ وَلَا مُعَلّمُ وَلَا اللّهُ وَلَا مُنْ اللّهُ وَلَا لَا تَعْرَالُوا لَا تَذَوْلُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تَعْرَالُ اللّهُ وَلَا لَا عَلَيْ اللّهُ اللّهُ وَلَا تَعْرَالُوا لِلللّهُ وَلَا لَا مُعْلِمُ لِي الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا تُعْرَالُوا لَا تُعْلِيلُوا لَا تَعْرَالُوا لَا تُعْلِقُوا لَا تُعْرِقُوا لَا اللّهُ الل

يقول تعالى: مخبراً عن نوح عليه السلام، أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا من غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج لا إكرام، ولهذا قال: ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمُكْرُوا مَكُراً كَبَاراً ﴾ قال مجاهد: ﴿ كَبَاراً ﴾ أي عظياً، وقال ابن زيد: ﴿ كَبَاراً ﴾ أي كبيراً، والعرب تقول: أمر عجيب وعجاب وعجّاب، بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد، ﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾ أي باتباعهم لهم وهم على الضلال، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿ بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ﴿ ود﴾ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما (سُــواع) فكانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما (يعسوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحِمْيُر لال ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت^(۱). وقال ابن جرير ، عن محمد بن قيس ﴿ وَيغوث ويعوق ونسراً ﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم وُنوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم، لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنمــا كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَصْلُوا كَثْيُراً ﴾ يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بهـا خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها إلى زماننا هذا، في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿ واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ﴾ . وقوله تعالىٰ: ﴿ ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿ رَبُّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتُكذيبهم لما جاءهم به .

⁽١) رواه البخاري عن ابن عباس ، وكذا روي عن عكرمة وقتادة والضحّاك .

⁽۲) رواه ابن جریر عن محمد بن قیس .

يقول تعالى : ﴿ مَمَا خَطَيْنَاتُهُمْ أَغْرَقُوا ﴾ أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم، وإصرارهم على كفرهم، ومخالفتهم رسولهم، ﴿ أَغرقِوا فَأَدَّحَلُوا نَاراً ﴾ أي نقلوا من البحار إلى حرارة النار ، ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ من دون الله أنصاراً ﴾ أي لم يكن لهم معين ولا مجير ، ينقدُهم من عذاب الله، كقوله تعالى: ﴿ لا عَاصَمُ اليَّومَ مَنْ أَمْرَ الله إلا من رحم ﴾ . ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً، ولا ﴿ دياراً ﴾ وهذه من صيغ تأكيد النبي، قال الضحّاك ﴿ دياراً ﴾ واحداً، وقال السدي: الديار الذي يسكن الدار ، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه . وقال: ﴿ سَآوي إلى جبل يعصمني من الماءكه عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ : « لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ، ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولِدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة ٣٠، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه، وقوله تعالى: ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك﴾ أي إنك إنَّ أبقيت منهم أحداً، أضَّلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ أي فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم قال: ﴿ رَبِّ اغْفَرَ لِي وَلُوالَّذِيُّ وَلَمْ دَحُلُّ بَيْتِي مُؤْمَنًّا ﴾ قال الضحَّاك يعني مسجدي، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن . وقد روى الإمام أحمد، عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿ لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تتي ٣٠، وقوله تعالى: ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام، وبما جاء في الآثار ، والأدعية المشهورة المشروعة، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَرْدَ الظَّالِمِينَ إِلا تباراً ﴾ قال السدي: إلا هلاكاً، وقال مجاهد : إلا خساراً أي في الدنيا والآخرة .

[آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ، ولله الحمد]

* * *

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : حديث غريب ورجاله ثقات .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .



عُلْ أُوحِىَ إِلَى أَنَهُ اَسْنَمَعَ نَفُرٌ مِّنَ الْحِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿ يَهْدِىَ إِلَى الرَّشْدِ فَعَامَنَا بِهِ ۽ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدُا ﴿ وَلَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَا آَنَ لَن يَقُولُ اللَّهِ مَا اللَّهِ كَذَبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ كَذَبًا ۞ وَأَنَّهُمْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَذَبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ اللَّهِ عَلَى اللّهِ كَذَبًا ۞ وَأَنَّهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ أَحَدًا ۞ وَاللّهُ عَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ

يقول تعالى آمراً رسوله على أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى: ﴿ قَلَ أُوحِي إِلَى أَنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ه يهدي إلى الرشد أي إلى السداد والنجاح ﴿ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وقال مجاهد: جلال ربنا، وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي: تعالى أمر ربنا، وقال سعيد بن جبير: ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ أي تعالى ربنا، وقوله تعالى: ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً، ويحتمل أن يكون قال مجاهد ﴿ سفيهنا ﴾ يعنون إبليس، ﴿ شططاً ﴾ أي جوراً، وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً، ويحتمل أن يكون قال المجاهد ﴿ وإنه كان يقول سفيهنا ﴾ أي الله المراد بقولم: سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿ وإنه كان يقول الإنس والجن، يتمالأون على الله تعالى، في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا كذباً ﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن، يتمالأون على الكذب على الله تعالى، في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾، كانت عــادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون

بهم من خوفهم منهم ﴿ زادوهم رهقاً ﴾ أي خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم ، كما قال قتادة ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ أي إثماً ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ، وقال الثوري ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ أي ازدادت الجن عليهم جرأة ، وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه ومالي أو ولدي أو ماشيتي ، قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك ، وعن عكرمة قال : كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، فكان الإنس الأذى عند ذلك ، وعن عكرمة قال : كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الانس منهم أو أشد ، فكان الإنس نفرق منهم ، فدنوا من الإنس ، فأصابوهم بالخبل والجنون ، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ أي إثماً ، وقال الجن أي السائب الأنصاري قال : خرجت أي إنماً ، وقال بحاهد : زاد الكفار طغياناً . روى ابن أبي حاتم ، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت أي إنما ، وقال جاء ذئب ، فأخذ حملاً من المغنى ، فوثب الراعي ، فقال : يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سرحان أرسله ، فأخذ حملاً من المغنى ، فوثب الراعي ، فقال : يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سرحان أرسله ، فأخي الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ ". وقوله تعالى : ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن يبعث الله أحداً ها أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً .

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا ثُكًّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعُ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدُا ﴿ وَأَنَّا لَانَدْرِىَ أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً على وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقون شيئاً من القرآن، وهـذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز " ولهذا قال الجن: ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ه وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم، يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿ وأنا لا ندري أشر أن يسترق السمع اليوم، يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ أي ما ندري هذا الأمر الذي قـد حدث في السباء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل وقد ورد في الصحيح : « والشر ليس إنيك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ينظيه يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السباء في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السهاء، فآمن من آمن منهم، رسول الله ينظيه يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السهاء، فآمن من آمن منهم،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

وتمرد في طغيانه من بتي، كما تقدم حديث ابن عباس عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ الآية . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السهاء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، فأتوا إبليس فحدَّثوه بالذي كان من أمرهم فقال: التوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه، فشم فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا فوجدوا نبي الله عَلَيْ عالمي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى على رسوله عَلَيْ (١)

وَأَنَّا مِنَّا الصَّلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَالِكُ حَكُنَّا طَرَآ بِنَ قِدَدًا ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُعْجِزَهُ مَرَبًا ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَنَا الْمُدَى وَامَا الْقَاسِطُونَ وَمِنَّا الْمُدَاوَلُونِ وَمَن يُعْرِضَ عَن وَكُو رَقِهِ عَلَاكُمُ عَذَابًا ﴿ وَاللَّهُ عَلَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا أَوْلَا إِلَى تَعَرَّوْا رَسُدُا ﴿ وَاللَّهُ وَمَن يُعْرِضَ عَن وَ رَبِّهِ عَلَيْكُمُ عَذَابًا وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُ اللَّهُ وَمَن يُعْرِضَ عَن وَ رَبِّهِ عَيْسُلُكُمُ عَذَابًا وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الل

يقول تعالى مخبراً عن الجن ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ﴾ أي غير ذلك، ﴿ كنا طرائق قدداً ﴾ أي مخبلة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد ﴿ كنا طرائق قدداً ﴾ أي منا المؤمن ومنا الكافر، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال، سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل بنشد .

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وشارق تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخالائق

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنا ظَننا أَن لَن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً ﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا، ﴿ وأنا كما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ يفتخرون بذلك وهو مفخر لم وشرف رفيع، وصفة حسنة، وقولم: ﴿ فَن يؤمن بربه فلا يخاف بحَساً ولا رهقاً ﴾ قال ابن عباس وقتادة: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿ فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾، ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسط، وهو الجاثر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل، ، ﴿ فن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ أي وقوداً تسعر بهم، ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: (أحدهما): وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، واستمروا عليها ﴿ لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾ أي كثيراً ، والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

⁽١) هذه بعض رواية ذكرها السدي .

من السهاء والأرض ﴾، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي لنختبرهم من يستمر على الهداية بمن يرتــــد إلى الغواية. قال ابن عباس: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة ﴾ يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد: يعني الإسلام ((). وقال تتادة: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة ﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، (والقول الثاني): ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة ﴾ الضلال ﴿ لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً ، كما قال تعالى: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ وهذا قول أبي مجلز ، وحكاه البغوي عن الربيع، وزيد بن أسلم، والكلبي، وله اتجاه ويتأيسد بقوله ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ ، وقوله: ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ﴾ أي عذاباً مشقاً موجعاً مؤلاً ، قال ابن عباس ومجاهد ﴿ عذاباً صعداً ﴾ أي جهنم .

وَأَنَّ ٱلْمَسْنِجِدَ لِلَهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ اللّهِ أَحَدًا ﴿ وَأَنَّهُ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَا ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسْنِجِدَ لِلّهِ فَلَا إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿ فَلَ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿ فَلَ إِنِّي لَنَ اللّهِ وَرِسَالَتِهِ عَوْلَ اللّهِ وَرَسَالَتِهِ عَوْلَ اللّهِ وَرَسَاللّهَ وَرَسُولُهُ وَسُولُهُ وَلَا لَهُ مَا اللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسَاللّهَ وَرَسُولُهُ وَلَا لَهُ مَا اللّهَ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهِ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهِ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَرَسُولُهُ وَلَا اللّهُ وَرَسَالُلُهُ وَلَا اللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَلَا اللّهُ وَرَسَالُهُ وَا اللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَلَا اللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَرَسَالُهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

⁽١) وكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والسدي وابن المسيب ومحمد بن كعب القرظي .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

 ⁽٣) أخرجه ابن جرير

⁽٤) هذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ، وهو اختيار ابن جرير .

من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿ إنما أدعوا ربي ﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿ ولا أشرك به أحداً ﴾ .

قُـلْ إِنْ أَدْرِى أَقَـرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُرُ رَبِّى أَمَدًا ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ ۗ أَحَدًا ۞ إِلّا مَنِ آرْتَضَىٰ مِن رَّسُولِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ رَصَدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَلَاتِ رَبِّيْهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَذَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۞

يقول تعالى آمراً رسوله على أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد فل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً فه أي مدة طويلة، ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً و إلا من ارتضى من رسول كه هـذه كقوله تعالى: ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بمـا شاء كه وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ثم قال تعالى: ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً كه أي يحصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿ ليعلم أن قسد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً كه ، وقد اختلف المفسرون في الضمير في قوله ﴿ ليعلم كه إلى من يعود ؟ فقيل: إنه عائد إلى النبي عليه ومن جلفه رصداً كه قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ﴿ ليعلم كه محمد عليه ﴿ أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً كه () ، وقال قتادة: ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم كه قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد

⁽١) حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير .

بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها (١٥) ، وقيل المراد: ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأن عند أبلغوا رسالات ربهم ، وفي هذا نظر ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عزّ وجل (١٠) ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وكقوله تعالى: ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين الله أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة ، ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ وأحاط عمل المديم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ .

[آخر تفسير سورة الجن، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، واختاره ابن جرير .

⁽٢) حكاه ابن الجوزي في (زاد المسير) .



عن جابر رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً يصد النساس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: ليس بساحر، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: ليس بساحر، فقال : فتفرق المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النبي عَلَيْكُ فتزمَّل في ثيابه وتدثر فيها، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال :
﴿ يا أيها المزمل﴾ ، ﴿ يا أيها المدثر ﴾ أ

يَنَا يُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ فَمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ وَأَوْانَفُسْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أُوزِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّلِ الْفُرْوَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْنِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَفِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِفَةَ الَيْلِ هِى أَشَدُّ وَطْفًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞ وَاذْكُو اللّهَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَكَ إِلّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِلًا ۞

يأمر تعالى رسوله عَلَيْكُم أن يترك التزمل، وهو التغطي، وينهض إلى القيام لربه عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن اللَّيلِ فَتَهَجَد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً مجموداً ﴾، فقال تعالى: ﴿ يا أيها المزمل ، قم اللَّيل الله قليلاً ﴾، قال ابن عباس ﴿ يا أيها المزمل ﴾ يعني يا أيها النائم، وقال قتادة: المزمل في ثيابه، وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفة، وقوله تعالى: ﴿ نصفه ﴾ بدل من اللَّيل ﴿ أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ﴾ أي أمرناك أن تقوم نصف اللَّيل بزيادة قليلة، أو نقصان قليل، لا حرج عليك في ذلك، وقوله تعالى: ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ أي اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها، وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن

⁽¹⁾ أخرجه الحافظ البزار .

قراءة رسول الله على فقال: كانت مداً، ثم قرأ: فو بسم الله الرحمن الرحم فه يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحم ا، وعن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله على فقالت: كان يقطع قراءته آية آية: وبسم الله الرحمن الرحم والمدين في المدين الرحم وفي الحديث: ويقال لقارئ القرآن: اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ه أ، وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل، وتحسين الصوت بالقراءة، كما جاء في الحديث: وزينوا القرآن بأصواتكم و الميس منا من لم يتغن بالقرآن ». وقال ابن مسعود: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة المقلة، وقوله تعالى: فو إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً في قال الحسن وقتادة: أي العمل به، وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته، كما قال زيد بن ثابت عليك قولاً ثقيلاً كان الحارث بن هشام سأل رسول الله على خذي، فكادت ترض فخذي، روى البخاري عن عائشة رضي الله عني وفعد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ه المحت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي على اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه لينفصد عرقاً (ه . وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنه قالت: إن كان ليوحي إلى رسول الله يوقع على راحلته فتضرب بجرانها (١٠٠٠).

وقوله تعالى: ﴿ إِن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً ﴾ قال عمر: الليل كله ناشئة، وقال بجاهد: نشأ إذا قيام من الليل، وفي رواية عنه: بعد العشاء، والغرض أن ﴿ ناشئة الليل ﴾ هي ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ هِي أَشد وطأ وأقوم قيلاً ﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش، ، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾، قال أبو العالية ومجاهد: فراغاً طويلاً، وقال قتادة: فراغاً وبغية ومتقلباً، وقال السدي: ﴿ سبحاً طويلاً ﴾ تطوعاً كثيراً، وقال عبد الرحمين ابن زيد ﴿ سبحاً طويلاً ﴾ تطوعاً كثيراً، وقال عبد الرحمين النه تبارك وتعالى من على عباده فخففها، ووضعها. روى الإمام أحمد، عن زرارة بن أوفي، عن سعيد بن هشام قال، فلت: يا أمّ المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله على الما أحمد، عن زرارة بن أوفي، عن سعيد بن هشام خلق رسول الله على كان القرآن، فهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيام رسول الله على ما المؤمنين أنبئيني عن تقرأ هذه السورة: ﴿ يَا أَيّها المزمل ﴾ ؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض عن قيام رسول الله على قالت: ألمت تقرأ القرآن، فهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيام رسول الله على قالت: بلى، قالت: فإن الله افترض عن قيام رسول الله على قيام رسول الله على قيام رسول الله على قالت: فإن الله افترض عن قيام رسول الله على قالت: ألمت تقرأ هذه السورة: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

⁽٣) أخرجه أحمد ورواه الترمذي والنسائي .

⁽٤) رواه البغوي عن ابن مسعود موقوفاً .

⁽٥) أخرجه البخاري في أول صحيحه .

⁽٦) ألجران : باطن العنق .

قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله عَلَيْكُم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السهاء الذي عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هسذه السورة فصار قيام اللبل تطوعاً من بعد فريضة ألا وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله عليا حصيراً يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحياً فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال: «أيها الناس أكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن: (في يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً و نصفه أو انقص منه قليلاً و أو زد عليه ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل.

وقال ابن جرير: لما نزلت ﴿ يَا أَيّهَا المَرْمَلَ ﴾ قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: ﴿ فاقرأوا ما تيسر منه ﴾ قال: فاستراح الناس. وقوله تعالى: ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، كما قال تعالى: ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ إي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته، وعبادته لتكون فارغ البال، ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي أخلص له العبادة، وقال الحسن: المجتهد وابتل إليه نفسك، وقال ابن جرير: يقال للعابد متبتل، ومنه الحديث المروي (نهى عن التبتل) يعني الانقطاع إلى العبادة وترك التروج، وقوله تعالى: ﴿ رب المشرق والمغرب لا آله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو ، وكما قال نعبد وإياك نستعين ﴾ .

وَاصْبِرْعَلَى مَا يَقُولُونَ وَالْجُرَّهُمْ جُمْرًا جَمِيلًا ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِلَهُمْ قَلِيلًا ﴿ إِنَّ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِلَهُمْ قَلِيلًا ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ لَا يَنْكُونُ وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِلَهُمْ قَلِيلًا ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ عَلَيْكُمْ كُمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ وَمُعْمَى فِرْعَوْنَ وَلَا مَا مَا مَا اللَّهُ مَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿ وَعَلَى اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

يقول تعالى آمراً رسوله عَيِّلِكَ بالصبر ، على ما يقوله سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لاعتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفار قومه: ﴿ وَذِرْنِي وَالْمُكذِّبِينَ أُولِي النَّعمة ﴾ أي والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، ﴿ ومهلهم قليلاً ﴾ أي رويداً، كما قال تعالى: ﴿ تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ إن لدينا أنكالاً ﴾ وهي القيود، قاله ابن عباس وعكرمة والسدي وغير واحد، ﴿ وجحياً ﴾ وهي السعير المضطرمة، ﴿ وطعاماً ذا غصة ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، ﴿ وعذاباً ألياً ، يوم ترجف الأرض

⁽١) أخرجه الإمام أحمد ، وهو جزء من حديث طويل ، وقد رواه مسلم في صحيحه بنحوه .

والجبال ﴾ أي تزلزل، ﴿ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ أي تصير ككثبان الرمال بعد ما كانت حجارة صهاء النها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض ﴿ قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ﴾ أي وادياً ﴿ ولا أمتاً ﴾ أي رابية، ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع، ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس: ﴿ إِنَا أَرسلنا إلى فرعون رسولاً ما هداً عليكم ﴾ أي بأعمالكم، ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ه فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾، قال ابن عباس ﴿ أخذاً وبيلاً ﴾ أي شديداً، فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿ فأخذه الله نكال الآخسرة والأولى ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الوالدان شيباً ﴾ أي فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ وكيف يحصل لكم أمان من يوم هـذا الفزع العظيم إن كفرتم ؟ ومعنى قوله: ﴿ يوم النار وواحد إلى الجنة، وقوله ابعث بعث النار ، فيقول : من كم ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، وقوله تعالى: ﴿ كان وعده مفعولاً ﴾ أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً ، أي واقعاً لا محالة وكائناً لا محيد عنه .

إِنَّ هَنَدِهِ عَنَّرَكَةً فَنَ شَآءَ الْحَنَدَ إِلَى رَبِهِ عَسِيلًا ﴿ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَى الَيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُنَهُ وَطَآبِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّدُ الَّيْلُ وَالنَّهَ لَا عَلَمَ أَلَن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَفَا قُرُ وَا مَا تَيَسَّرَ مِنَ أَ عَلَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ أَنْ سَيَكُونُ مِن مَعْقَلِ اللهِ وَالنَّهُ وَالنَّهُ وَالنَّهُ وَاللهُ يَعْمُونَ فَي الْأَرْضِ يَبْتَعُونَ مِن فَضَلِ اللهِ وَالنَّهُ وَالنَّهُ وَالنَّهُ وَاللهُ وَالل

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ أي السورة ﴿ تَذَكَرة ﴾ أي يتذكر بها أولو الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَن شَاء التّغذ إلى ربه سبيلاً ﴾ أي بمن شاء الله تعالى هدايته، ثم قال تعالى: ﴿ إِن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثاثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ أي تارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل، لأنه يشق عليكم، ولهذا قال: ﴿ والله يقدّر الليل والنهار ﴾ أي تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، وهذا من هذا، ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ أي الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ أي من غير تحديد بوقت، أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال: ﴿ ولا تجاب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة، واعتضد بهذه الآية وهي قوله: ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة، واعتضد

بحديث المسيء صلاته : « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » " ، وقد أجاب الجمهور بحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله على قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » " . وعن أبي هريرة مرفوعاً : « لا مجزيء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » " . وقوله تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله في أي علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار ، من مرضى لا يستطيعون القيام ومسافرين يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بالغزو في سبيل الله ، ولهذا قال تعالى : وما فو فاقرأوا ما تيسر منه في أي قرموا بما تيسر عليكم منه ، روى ابن جرير » عن أبي رجاء قال ، قلت للحسن : يأ أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة ؟ قال : يتوسد القرآن لعن الله ذلك ، قال الله تعالى ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن في ، قال : نعم ، ولو خمس آيات ، وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري ، أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن ، أن يقوموا ولو بشيء منه في وهذا ظاهر من مذهب الحديث أن رسول الله تمالى عن رجل نام حتى أصبح ؟ فقال : « ذاك رجُل بال الشيطان في أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل .

وقوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآنوا الزكاة ﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآنوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله على قال لذلك الرجل: وخمس صلوات في اليوم والليلة »، قال: هل على غيرها ؟ قال: ولا ، إلا أن تطوّع » ، وقوله تعالى: ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً في من الصدقات، فإن الله على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى: ﴿ ومن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ومن نغير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا ، عن عبدالله بن مسعود قال رسول الله عليه . وين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا ، عن عبدالله بن مسعود قال رسول الله عليه . وأيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا: يا رسول الله ، مامنا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا: يا رسول الله ، مامنا من أحد إلا ماله أحد كم ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » " ، ثم قال تعلى: ﴿ واستغفره أي الدنيا ، في أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم اله أنه غفور رحيم كما النه غفور رحيم كما الله غفور رحيم كما النه غفور رحيم كما النه غفور رحيم كما استغفره في أموركم المها الله المنا الستغفره .

[آخر سورة المزمل ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) جزء من حديث مشهور رواه الشيخان .

⁽۲) أخرجه البخاري ومـــلم .

⁽٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه .

⁽٤) أخرجه الحافظ الموصلي ، ورواه البخاري والنسائي بنحوه .



يَنَأَيُّهَا ٱلْمُدَّقِرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَيِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالْبُحْزَ فَأَجُمْ تَشْتَكْثِرُ۞ وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرْ۞ فَإِذَا نُقِرَ فِ ٱلنَّاتُورِ۞ فَذَالِكَ يَوْمَهِـ ذِيوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرِ۞

روى البخاري، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله يَظْلِي قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري ، هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شبئاً ، ونظرت عن شمالي قلم أر شيئاً ، ونظرت خلني فلم أر شيئاً ، فنزلت : ﴿ يَا أَيها المدثر و قُمْ فأنذر و وربك فكبّر كه ﴿ وعن أي سلمة فلاروني وصبوا علي ماء بارداً حقال فلاروني وصبوا على ماء بارداً -قال فلاروني وصبوا على ماء بارداً ، قال ، فنزلت : ﴿ يَا أَيها المدثر و قُمْ فأنذر و وربك فكبّر كه ﴿ وعن أي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله يَوْلِيْكُ يحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: « فبينا أنا أمشي والأرض ، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجثت إلى أهلي فقلت: زملوني . زملوني ، فزملوني ، فأنزل : ﴿ يَا أَيّها المدثر و قُمْ فأنذر – إلى – فاهجر كه ، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، « ثم حمي الوحي وتتابع » ﴿ وَهُو الله الذي كان بحراء ، » وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ إِقْرَا الملك الذي كان بحراء ، » وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ إِقْرا الملك بعد هذا ، كما قال الإمام أحمد ، عن حابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول الله يقول : و ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي بن السماء والأرض ، فجثت أهلي ، فقلت لم : زملوني ، فزملوني ، فزملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَهَا أَيّها المدثر و فَهُ أَنْ الله الله الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض ، فجثت أهلي ، فقلت لم : زملوني ، ذملوني ، فزملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَهَا أَيّها المدثر و الله الله الذي ، فرملوني ، فرملوني ، فرملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَهَا أَيْهَا المدثر و المهاء و

⁽١) رواه البخاري .

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم .

قُمُ فأنذر و وربك فكير و وثيابك فطهر و والرجز فاهجر ﴾ ثم حيى الوحي وتتابع ٧٠٠. وروى الطبراني، عن ابن عباس قال: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: الله ساحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك الذي يَنظِينُه فحزن وقتع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيّها المدثر و قم فأنذر و و ربك فكبر و وثيابك فطهر و والرجز فاهجر و ولا تحنن تستكثر و ولربك فاصبر ﴾ وقوله تعالى ﴿ قم فأنذر ﴾ أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظم ﴿ وثيابك فطهر ﴾ سئل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ فقال: لا تلسها على معصية ولا على غدرة، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقني :

فإني بحمد الله لاثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقسع

وفي رواية عنه: فطهر من الذنوب، وقال مجاهد: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قال: نفسك ليس ثيابه، وفي رواية عنه: أي عملك فأصلح، وقال قتادة: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي عملك فأصلح، وقال محمد بن سيرين: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي اغسلها بالماء، وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه. وقال سعيد بن جبير ﴿ وثيابك فطهر ﴾ وقلبك ونيتك فطهر.

وقوله تعالى: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ قال ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر ﴾ ، وقال الضحاك ﴿ والرجز فاهجر ﴾ ، أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير ، فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي اتن الله ولا تعلى الكثر منها ، وقال المحسن المعري: لا تمتن بعملك على ربك تستكثره ، واختاره ابن جرير ، وقال مجاهد: لا تضعف أن مستكثر من الخير ، قال: تمنن في كلام العرب تضعف، وقال ابن زيد: لا تمن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا ، فهذه أربعة أقوال ، والأظهر القول الأول ، والله أعلم . وقوله تعالى: ﴿ ولربك فاصبر ﴾ أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عزَّ وجلَّ ، قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي : اصبر عطيتك لله عزَّ وجلَّ . أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عزَّ وجلَّ ، قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي : اصبر عطيتك لله عزَّ وجلَّ . وقوله تعالى: ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : ﴿ للناقور ﴾ الصور ، قال مجاهد : وهو كهيئة القرن، وفي الحديث : ﴿ كيف أنم وصاحب القرن قعد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله على أنا أمرنا يا رسول الله ؟ قال : ﴿ قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » ، وقوله تعالى : ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ أي شديد، ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ أي غير سهل عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ أي شديد، ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ أي غير سهل عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ ، وقد روينا عن (زرارة بن أوفى) يسير ﴾ أي غير سهل عليهم ، كما قال تعالى : هو يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ ، وقد روينا عن (زرارة بن أوفى)

⁽١) خرجه أحمد والشيخان .

⁽٢) وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد أن الرجز يراد به الأوثان .

⁽٣) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم .

قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلَكَ يُومِئْذُ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شهق شهقة ، ثم خرّ ميناً رحمه الله تعالى .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿ وَمَهَّدَتْ لَهُ مَهْ لِمَالًا مَعْدُودًا ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿ وَمَهَّدَ اللهُ مَعْمُ اللهُ عَلَمُ مَعُودًا ﴿ إِنَّهُ وَكُلَّ إِنَّهُ كَانَ لِآ يَنتِنَا عَنِيدًا ﴿ سَأَرْهِقُهُ مَعُودًا ۞ إِنَّهُ وَكَلَّ إِنَّهُ مَا كَيْفَ فَعَلَ كَيْفَ فَقَالَ إِنْ هَلَدَ آ إِلَّا فَعَلَ إِنْ هَلَدَ آ إِلَّا فَعَلَ إِنْ هَلَدَ آ إِلَّا فَعَلَ الْبَشِرِ ۞ سَأْصَلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَذْرَبُكَ مَاسَقُرُ ۞ لَا تُبْتِي وَلَا تَذَرُ ۞ لَوَاحَةٌ لِلْبَشِرِ ۞ عَلَيْكَ وَسَعَةً عَشَرَ ۞ سَأْصَلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَذْرَبُكَ مَاسَقُرُ ۞ لَا تُبْتِي وَلَا تَذَرُ ۞ لَوَاحَةٌ لِلْبَشِرِ ۞ عَلَيْكَ وَسَعَةً عَشَرَ ۞

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث، الذي أنم الله عليه بنع الدنيا، فكفر بأنع الله وبدلها كفراً، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وقلد علد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ وَلَى وَسَعْ كَثِيراً، قبل : ألف دينار ، وقبل : بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله تعالى: ﴿ مالاً محدوداً ﴾ أي واسعاً كثيراً، قبل : ألف دينار ، وقبل أرضاً يستغلها، وقبل غير ذلك، وجعل له ﴿ بنين شهوداً ﴾ قال مجاهد: لا يغيبون، أي حضوراً عنده لا يسافرون، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيا ذكره السدي ثلاثة عشر، وقال ابن عباس وجاهد: كانوا عشرة، وهذا أبلغ في النعمة، وهو إقامتهم عنده، ﴿ ومهدت له تمهيداً ﴾ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ شم يطمع أن أزيد ه كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾ أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله تعالى: ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ وسأرهقه صعوداً ﴾ وسأرهقه صعوداً ﴾ وسوداً ﴾ وسعوداً ﴾ وسعوداً ﴾ وسعوداً ﴾ وسعوداً ﴾ وسعوداً ﴾ وسعوداً أله وقدر أله وقدر أله وقدر أله أن يصعدها، وقال مجاهد: ﴿ وقوله تعالى: ﴿ إنه فكر وقوله إنها أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكر ﴿ وقدر ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكر ﴿ وقدر ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكر ﴿ وقدر ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكر ﴿ وقدر ﴾ أي تربي عنيه أي تربي ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختل من المقال ﴿ وقدر ﴾ أي تربي عينه قدر ك معه قدر كيف قدر ك وعره، ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابني منها صدود رأيشه وإعراضها عن حاجني وبُسُورها

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَ أَدبر واستكبر ﴾ أي صرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿ فقال، إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿ إن هذا

⁽١) رواه ابن أبي حاتم والبزار وابن جرير .

إلا قول البشركه أي ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو (الوليد بن المغيرة) المخزومي، أحـــد رؤساء قريش لعنه الله، قال ابن عباس: « دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر ، فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ، ولا بسحر ، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفرِ من قريش ائتمروا، وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال الوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال: ألست أكثرهم مالاً وولداً ؟ فقال له أبوجهل: يتحدثون أنك إنمــا تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: ٰ أقد تحدث به عشيرتي ؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر ، فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ ذَرَنِي ومن خلقت وحيداً ﴾ إلى قوله ﴿ لا تبقي ولا تذر﴾ (١) وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل، فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحَّر فأنزل الله: ﴿ فَقَتَلَ كَيف قَلْتُر ﴾ الآية، ﴿ ثُم عبس وبسر ﴾ قبض ما بين عينيه وكلح، وروى ابن جرير عن عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم ؟ قال: يعطونكه، فإنك أتيت محمداً تعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنك كاره له، قال: فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ،' والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْت وحيداً ﴾ حتى بلغ ﴿ تسعة عشر ﴾™ . وقد زعم السدي أنهم لمــا اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر ، وقال آخرون: ساحر ، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، كما قال تعالى: ﴿ أَنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطبعون سبيلاً ﴾، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، فقال: (إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر) قال الله تعالى: ﴿ سأصليه سقر ﴾ أي سأغمره فيها من جميع جهاته، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكُ مَا سَقَرَ ﴾ ؟ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْقِي وَلَا تَذَرَ ﴾ أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون .

وقوله تعالى: ﴿ لُواحة للبشر ﴾ قال مجاهد: أي للجلد، وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل، وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان، وقوله تعالى: ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ أي من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خُلُقهم، روى ابن أبي حاتم، عن البراء في قوله تعالى: ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ قال: إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله عَلَيْكُ عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء رجل فأخبر

⁽١) أخرجه العوفي عن ابن عباس .

⁽۲) رواه ابن جریر

الذي يَؤْتِكُ ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتند ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ فأخبر أصحابه ١٠٠ وروى الحافظ البزار عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى الذي يَؤْلِكُ فقال: يا محمد، غلب أصحابك اليوم ، فقسال : وبأي لييء » ؟ قال: سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا عَؤْلَكُ ؟ علي علمون فقالوا: لا نعلم ، حتى نسأل نبينا عَؤْلَكُ ؟ علي بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » ، فأرسل إليهم فدعاهم ، قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال: « هكذا » وطبق كفيه ، ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة ، وقال لأصحابه: « إن سئلتم عن تربة اجمعة فهي الدرمك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار ، قال لهم رسول الله عَؤْلُكُ : « ما تربة الجنة » فنظر بعضه م إلى بعض » فقالوا: خبزة يا أبا القاسم ، فقال : « الخبز من الدرمك » .

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَبُ النَّارِ إِلَّا مَلَكَهِكَةُ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتُهُمْ إِلَّا فِنْنَةُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَنَبَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ أِنْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم الْكِتَنَبَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مُرَضَّ وَالْكَثِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مُرَضَّ وَالْكَثِيرُ وَالْمُنْوَ وَلَا يَعْلَمُ جُنُودَ وَبِكَ مُرَضَّ وَالْكَثِيرُ وَلَا يَعْلَمُ جُنُودَ وَبِكَ مُرَضَّ وَالْمُنْوَ وَمَا هِنَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشِرِ فَى لِللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُنْوَقِ إِنَّهَا لَإِحْدَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمَا هِنَ إِلَا ذِكْرَى لِلْبَشِرِ فَى لِلللَّهُ وَالْمُنْوِقِ وَاللَّهُ وَالْمُنْ فَي إِلَا فِي اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا وَاللَّهُ وَالْمُولِ فَي اللَّهُ وَالْمُنْ فَي إِلَا اللَّهُ وَالْمُؤْمِقُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِقُ وَاللَّهُ وَالْمُولِ فَي اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللْمُعُلِقُ مَا اللْمُعْمَالَ اللَّهُ مِنْ اللْمُعْمَالِ اللْمُ اللَّهُ مِنْ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللْمِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللْمُ اللَّهُ مُلِي اللْمُعْمِلُ اللْمِنْ اللْمُعْمِلُ مِنْ اللْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُعُمِلُ الللْمُ اللْمُنْمِقُ مُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُلْمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُلْمُولُولُ اللْمُنَامُ مِنْ اللللْمُ اللَّهُ مُلِمُ اللَّهُ مُلِلْمُ اللَّهُ مُنْ اللَّه

يقول تعانى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النّار ﴾ أي خزانها ﴿ إلا ملائكة ﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً ، وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونه ، فقال الله تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغابون، وقد قيل: إن ﴿ أبا الأشدين ﴾ قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيا يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة لينزعوه من وقال: إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه النبي عَنَالِي مراراً فلم يؤمن أن ، وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي إنحا ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس ، ﴿ ليستيقن الذين أونوا الكتاب ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق ، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السهاوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إعانًا ﴾ أي إلى إيمانهم بمرض ﴾ أي من المنافقين ، ﴿ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ ؟ وتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين قوبهم مرض ﴾ أي من المنافقين ، ﴿ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ ؟

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) رواه البزار وأحمد والترمذي .

⁽٣) نــب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم .

أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى: ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وقوله تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، وقد ثبت في حديث الإسراء في صفة البيت المعمور الذي في السهاء السابعة: « فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم (١)

وروى الإمام أحمد، عن أبي ذر قال، قال رسول الله بين أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السهاء، وحق لهما أن نقط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولمخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى " فقال أبو ذر : والله لوددت أني شجرة تعضد " " وعن جابر بن عبدالله قال، قال رسول الله يهني : « ما في السهاوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً " " وعن ابن مسعود أنه قال: إن من السهاوات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم، ثم قرأ: ﴿ وإنا لنحن الصافون » وإنا لنحن المسبحون ﴾ " . وروى محمد أبن نصر، عن عباد بن منصور قال: " بمعت عدي بن أرطأة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: " معت رجلاً من أصحاب النبي يهني عن رسول الله يهني قال: « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر ولا يرفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا: سبحانك ما عبدناك حت عبادتك ، ومن القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا: سبحانك ما عبدناك حت عبادتك ، وقوله تعالى: ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ أي النار التي وصفت ﴿ إلا ذكرى للبشر ﴾ ، ثم قال عبادتك ، وكلا والقمر ه والليل إذ أدبر ﴾ أي وكي ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾ أي أشرق ﴿ إنها لإحدى الكبر ﴾ أي انذارة ويهندي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها .

كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً ﴿ إِلَّا أَصْنَبَ الْيَمِينِ ﴿ فِي جَنَّنِتٍ يَنَسَآءَ لُونَ ﴿ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا الْمُسَكِينَ ﴿ فَي سَفَرَ ﴿ فَا الْمُعَلِينَ ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطُعُمُ الْمِسْكِينَ ﴿ وَكُمَّ الْمُعَلِينَ ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطُعُمُ الْمِسْكِينَ ﴿ وَكُمَّا الْمُعَلِينَ ﴿ وَكُمْ الْمُصَلِّينَ ﴿ وَهُ الْمُعَلِينَ ﴾ وَكُمَّ الْمُعَدِّنَ ﴿ وَهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُلِلِكُونَ اللْمُعْمِلِ اللللْلِلْمُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

⁽١) أخرجاه في الصحيحين .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب .

⁽٣) أخرجه الحافظ الطبراني .

⁽٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة . (٥) أخرجه محمد بن نصر ، قال ابن كثير : إسناده لا بأس به.

ٱلْآخِرَةَ ﴿ كَلَّا إِنَّهُۥ تَذَكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرُهُ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ هُوَأَهَلُ التَقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۞ لَلْمَغْفِرَةِ ۞

يقول تعالى مخبراً أن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ أي معتقلة بعملها يوم القيامة ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فإنهم ﴿ فِي جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات، وأولئك في الدركات قائلين لهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ۚ فِي سَقَرَ ۥ قَالُوا لَمْ نَكُ مِن الْمُصَلِّينَ ، ولم نَكُ نُطِّيمُ المسكين﴾ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا، ﴿ وَكَنَا نَحُوضَ مَعَ الْحَائِضِينَ ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه، ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ يعني الموت كقوله تعالى: ﴿ وأعبد ربك حتى يأتيك اليَّقين ﴾، وقال رُسول الله ﷺ: « أما هو – يعني عثمان بن مظعون – فقد جاءه اليقين من ربه » قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَافَعِينَ ﴾ أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه، لأن الشفاعة إنمــا تنجح إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافي الله كافراً، فإن له النار لا محالة خالداً فيها . ثم قال تعالى: ﴿ فَمَا لهم عن التذكرة معرضين ﴾ أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿ كَأَنَّهُم حَمْرُ مُسْتَنْفُرَةُ فُرتَ مَن قَسُورَةً ﴾ أي كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسدُّ ، وقوله تعالى: ﴿ بِل يُريد كُل امرئ منهم أنْ يؤتى صحفًا منشرة ﴾ أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عايه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قال مجاهد وغيره كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نؤمن حتى يؤنِّي مثل ما أوتي رسل الله ﴾، وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل، فقوله تعالى: ﴿ كلا بل لا يخافون الآخرة ﴾ أي إنمــا أفسدهم عـــدم إيمانهم بهــا وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال تعالى: ﴿ كلا إنه تذكرة ﴾ أي حقاً إن القرآن تذكرة، ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكْرِه ومَا يَذَكَّرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ ﴾ كقوله : ﴿ ومَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءُ الله ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هُو أَهُلُ التَّقُوى وأَهُلُ المُغْفُرة ﴾ أي هو أهل أن يُخافِ منه، وهو أهلِ أن يغفر ذنب من تابُ إلبه وأناب . عن أنَس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله عَلِيلَتُم الآية ﴿ هُو أَهُلَ النَّقُوى وأهــل المغفرة﴾ وقال : « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إلَّه ، فمن اتقى أن يجعل معي إلمَّـــاً كان أهلاً أن أغفر له ^۳۵

[آخر تفسير سورة المدثر ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) قاله أبو هريرة وابن عباس وزيد بن أسلم ، وهو قول الجمهور .

⁽٢) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب .



لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِينَمَةِ ﴿ وَلَا أَقْسِمُ إِلنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿ أَعَسَبُ الْإِنسَنُ أَلَّن تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿ يَهُ بَكَى قَلْدِينَ عَلَى أَلْفَ الْمِيمَةِ ﴿ وَهَا لَهُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿ فَي يَسْعَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِينَمَةِ ﴿ وَهَ فَإِذَا بَرِقَ الْمَسْتَقُرُ ﴿ وَهُ عَلَى اللَّهُ الْإِنسَانُ يَوْمَ إِلَيْ الْمَعَرُ وَ وَخَسَفَ الْقَمَرُ فَي وَبَعِيدٍ أَيْنَ الْمَعَرُ فَي اللَّهُ الْإِنسَانُ يَوْمَ إِلَيْ الْمَسْتَقُرُ ﴿ وَالْقَمَرُ فَي يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَ إِلَيْ الْمَعَرُ فَي اللَّهُ الْإِنسَانُ يَوْمَ إِلَيْ اللَّهُ الْمَالَ الْإِنسَانُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

قد تقدم أن المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النبي، والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة : بل أقسم بهما جميعاً ، والصحيح أنه أقسم بهما معاً وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، واختاره ابن جرير ، فأما يوم القيامة فعروف، وأما النفس اللوامة فقال الحسن البصري : إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ، ما أردت بأكلتي ، ما أردت بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه ، وعن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله ما أردت بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه ، وعن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا ، وعن سعيد بن جبير قال : تلوم على الخير والشر ، وقال ابن عباس : اللوامة المذمومة ، وقال قتادة : ﴿ اللوامة ﴾ الفاجرة ، قال ابن جرير : وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى ، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر ، وتندم على ما فات . وقوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ ؟ أي يوم القيامة ، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أما كنها المتفرقة ؟ ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ قال ابن عباس : أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أما كنها المتفرقة ؟ ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ قال ابن عباس :

أن تجعله خفاً أو حافراً " والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿ قادرين ﴾ حال من قوله تعالى ﴿ تجمع ﴾ أي أيظن الإنسان أنا لا تجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه، أي قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، قنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج، وقوله: ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ قال ابن عباس: يعني يمضي قدماً، وعنه: يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال المحسن: ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة، وقال مجاهد ﴿ ليفجر أمامه ﴾ : ليمضي أمامه راكباً رأسه، وقال الحسن: لا يلفي ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً الا من عصمه الله تعالى، وروي عن غير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوّف التوبة، وقال ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب، وهذا هو الأظهر من المراد ، ولهذا قال بعده: ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ ؟ أي يقول متى يكون يوم القيامة، وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ه قل لكم ميعاد يوم لا تستاحرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ه قل لكم ميعاد يوم لا يرند إليهم طرفهم ﴾ ، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور .

وقايله تعالى: ﴿ وحسف القمر ﴾ أي ذهب ضوؤه، ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ قال مجاهد: كوّرا، كقوله ﴿ إِذَا الشَّمَسَ كُوِّرَتَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينثذ يريد أن يفر ويقول: ﴿ أين المفر ﴾ ؟ أي هل من ملجأ أو موثل، قال الله تعالى: ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: أي لا نجاة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ مالكم من ملجأ يومثذ ومالكم من نكير ﴾ أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه، وكذا قال ههنا: ﴿ لا وزر ﴾ أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿ إِلَى رَبُّكَ يُومَنُدُ المُستقر ﴾ أي المرجع والمصير، ثم قال تعالى: ﴿ يَنَهأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر ﴾ أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى:﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾』 وهكذا قال ههنا: ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ أي هو شهيد على نفسه عــالم بمــا فعله ولو اعتذر وأنكر ، كما قــال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك -حسيباً ﴾ وقسال ابن عباس ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ يقول: سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه، وقال قتادة: شاهد على نفسه، وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم، غافلاً عن ذنوبه وكان يتنال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، وتترك الجذع في عينك لا تبصره ه وقال مجاهد: ﴿ وَلُو أَلْقَى مَعَاذَيْرِهُ ﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها، وقال قتادة: ﴿ وَلُو أَلْقَى معاذيره ﴾ ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه، وقال السدي: ﴿ وَلُو أَلْقَى مَعَاذَيْرِهُ ﴾ حجته، واختاره ابن جرير، وقال الضحّاك: ولو ألقى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر المعذار، والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله تعالى: ﴿ ثُمُّ لَمُ تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كه، وكقوله تعالى: ﴿ يُومْ يَبَعْتُهُمْ الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون

⁽١) وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحّاك ، قال ابن جرير : أي في الدنيا لو شاء لجعل ذلك .

لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾، وقال ابن عباس: ﴿ وَلُو أَلْقَى مُعَاذَيْرُهُ ﴾ هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿ يُومِ لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ ؟

لَائُحَرِّكَ بِهِ عَلِسَانَكَ لِنَعْجَلَ بِهِ مِنَ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَا تَسِعْ قُرْءَانَهُۥ ۞ فُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۞ فَإِذَا قَرَأُنَهُ فَا تَسِعْ قُرْءَانَهُۥ ۞ فُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۞ حَلًا بَلْ يَحْبُونَ اللَّاخِرَةَ ۞ وَتَذَرُونَ اللَّاخِرَةَ ۞ وَكُوهُ يَوْمَهِدِ نَاضِرَةً ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةً ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَهِدِ بَاسِرَةً ۞ تَظُنْ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً ۞

هذا تعليم من الله عزّ وجلّ لرسول الله عَلَيْكُ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخسله، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عزّ وجلّ أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن يبينه له ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه، ولهذا قال تعالى: ولا تحجل بالقرآن من قبل أن يقضى إلميك وحيه في لا تحرك به لسانك لتعجل به في أي بالقرآن كما قال تعالى: ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إلميك وحيه كالآية، ثم قال تعالى: ﴿ وَان تعبل الملك عن الله تعالى ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ أي بعد حفظه عليك الملك عن الله تعالى ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ أي فاستمع له ثم اقرأك، ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ أي بعد حفظه من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا بيانه ﴾ فكان من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا بيانه ﴾ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه ه (. وفي رواية للبخاري : فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا قرأنه ه أتحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك به شفتيه، خشية أن ينسى أوله قبل يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك به شفتيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن نجمعه أن نجمعه أن نجمعه اك ﴿ وقرآنه ﴾ أن نقرئك فلا تنسى وقال ابن عباس : كان لا يفتر من أن يفره، وكان إذا الله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه أن نجمعه لك ﴿ وقرآنه ﴾ أن نقرئك فلا تنسى " وقال ابن عباس ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه أن نجمعه لك ﴿ وقرآنه ﴾ أن نقرئك فلا تنسى " وقال ابن عباس ﴿ ثم إن علينا بيانه كه تبين حلاله وحرامه، وكذا قال قتادة.

وقوله تعالى: ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أي تراه عياناً ، كما رواه البخاري في صحيحه: ﴿ إِنكُم سترون ربكم عياناً » وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عزَّ وجل في الدار الآخرة، في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أثمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ »

⁽١) أخرجه أحمد ورواه البخازي ومسلم بنحوه .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

قالوا: لا ، قال: « إنكم ترون ربكم كذلك » (). وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر ، فقال: ﴿ إِنَّكُمْ تُرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تُرُونَ هَذَا القَمْر ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا ٣٠٠ ، وفي الصحيحين عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ: ٥ جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عزَّ وجلَّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ه^{٢١١}. وفي مسلم عن صهيب عن النبي علي قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة – قال – يقول الله تعالى تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة »، ثم تلا هذه الآية: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة كها[®]، فني هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عزَّ وجلَّ في العرصات وفي روضات الجنات ، وروى الإمام أحمد، عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: ٥ إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألني سنة برى أقصاد كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين a (b قال الحسن ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ قال: حسنة، ﴿ إلى ربُّها ناظرة ﴾ قال: تنظر إلى المخالق، وحق لهـــا أن تنضر وهي تنضر إلى الخالق، وقوله تعالى: ﴿ ووجوه يومئذ باسرة » تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ هذه وجوه الفجار تكون يومُ القيامة باسرة، قال قتادة: كالحة، وقال السدي: تغير ألوانها، وقال ابن زيد ﴿ باسرة ﴾ أي عابسة ﴿ تظن ﴾ أي تستيانن ﴿ أَن يفعل بهـا فاقرة ﴾ قال مجاهد: داهية، وقال قتادة: شر، وقال السدي: تستيقن أنها هالكة ه وقال ابس زيد: تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى: ﴿ يُومَ تَبِيضَ وَجُوهُ وَتَسُودُ وَجُوهُ ﴾ ، وكقولـــه تعالى: ﴿ وَجُوهُ يَوْمَئُذُ مَسْفُرَةً مَ صَاحَكَةً مَسْتَبِشْرَةً ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ وَجُوهُ يَوْمَئُذُ نَاعِمَةً م لَسْعِيهَا رَاضِيةً = في جنة عالية ﴾ وأشباه ذلك من الآيات الكريمة .

كُلًّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِ ﴿ وَفِيلَ مَنْ رَاقِ ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَىٰ وَبِلَا يَدْمَهِ لِهِ الْمَسَاقُ ۞ فَكَ مَسَلَقَ ۞ وَلَا صَلَّى ۞ وَلَاكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ فُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْ لِهِ عَيْتَمَطَّىٰ رَبِّكَ يَرْمَهِ لِهِ الْمَسَاقُ ۞ فَمَّ أَوْلَى اللَّهِ عَلَيْ صَلَّى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْلَا اللَّهُ الللْمُولَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولُولُلِي اللللْمُولَى اللللْمُولَى اللَّهُ الللْمُولَى الللَّهُ

⁽١) أخرجه الشيخان.

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين .

⁽٣) رواه البخاري ومسلم .

⁽٤) رواه مسلم .

⁽٥) أخرجه أحمد والترمذي

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار، وما عنده من الأهوال، ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت، فقال تعالى: ﴿ كلا إِذَا بَلَغْتُ البَرَاقِ ﴾ إن جعلنا (كلا) رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى (حقاً) فظاهر أي حقاً إذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي جمع (ترقوة) وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى: ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينتذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾، ﴿ وقيل من راق ﴾ ؟ قال ابن عباس: أي من راق يرقي ؟ وقال أبو قلابة ؟ أي من طبيب شاف (وعن ابن عباس: ﴿ وقيل من راق ﴾ قبل ابن عباس في قوله : أي من طبيب شاف (وعنه ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ يقول: آخر يوم من برحه ملائكة العذاب (التفت عليه الدنيا والآخرة، وعنه ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ يقول: آخر يوم من أيام الآخرة، فتلتي الشدة بالشدة بالا من رحمه الله، وقال عكرمة: ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ اجتمع عليه أمران: بالساق كالحسن: هو لفهما في الكفن، وقال الضحاك: ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه .

وقوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِكُ يَوْمِئَدُ المُسَاقِ ﴾ أي المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السهاوات، فيقول الله عزّ وجلّ : ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، كما ورد في حديث البراء الطويل، وقوله جلّ وعلا: ﴿ فلا صدق ولا صلى ولكن كذّب وتولى ﴾ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متوليباً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متوليباً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى: ﴿ فلا صلى ولكن كذب وتولى ه ثم ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ أي جذلان أشراً بطراً، لا همة له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿ إنه كان في أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور ﴾ أي يرجع، وقال ابن عباس: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ أي يختال، وقال قتادة : يتبختر، قال الله تعالى: ﴿ أولى لك فأولى ه ثم أولى لك فأولى ﴾ وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى للكافر، المتبختر في مشيه، أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارثك، وذلك على سبيل التهكم والتهديد، كقوله في مشيه، أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارثك، وذلك على سبيل التهكم والتهديد، كقوله في اعملوا ما شتم ﴾ إلى غير ذلك، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ﴿ أولى لك فأولى » ثم أولى لك فأولى » وعله الله أبولى ك فأولى » وعله الله أبولى لك فأولى » وعل الله أبو جهل الله أبو جهل أخذ نبي الله يُؤلِي عجلم ثنا به ما أولى لك فأولى لك فأولى لك فأولى الله فأولى » فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت ثم قال: « أولى لك فأولى لك فأولى لك فأولى » فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت لا بن شبئاً ، وإني لأبول لك فأولى الله فأولى » فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت

⁽١) وكذا قال قتادة والضحَّاك وابن زيد .

⁽٢) ذكره ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

⁽٣) أخرجه النسائي .

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة .

وقرله تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ ؟ قال السدي: يعني لا يبعث ، وقال مجاهد: يعني لا يؤمر ولا ينهى ، والظاهر أن الآية تع الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً ، لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد ، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة ﴿ أم يك نطفة من مني يمنى ﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين ﴿ يمنى ﴾ أي يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ ثم كان علقة فخلق فسوّى ﴾ أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سوياً ، سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره : ولهذا قال تعالى : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ أي أما هذا الذي أننا هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة ، بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ، روى أبو داوود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله على أن يحيده ومن أشاهدين ؛ ومن قرأ منكم بالتن والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ؛ ومن قرأ بالله الله عنه ﴿ فليقل : بلى مون قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فليقل : بلى ومن قرأ يها والمرسلات ﴾ فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟ فليقل : آمنا بالله ه أن يحيي الموتى ﴾ فليقل : بلى ، ومن قرأ : بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟ فليقل : آمنا بالله ه أن يحيي الموتى ﴾ فتاد : « سبحانك وبلى ه ألي سندال بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ قال : «سبحانك وبلى ه ألى مهاد على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ قال : سبحانك فبلى ألى الن عاس إذا مر بهذه الآية : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ قال : سبحانك وبلى ه ألى عاس عاس إذا مر بهذه الآية : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ ؟ قال : سبحانك فبلى ألى المن عاس إذا مر بهذه الآية : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ ؟ قال : سبحانك فبلى ألى ألى المن عاس إذا مر بهذه الآية : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى أن أن إذا مر بهذه الآية : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى قادة فيداك فيلى ألى أن إذا مر بهذه الآية .

[آخر تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه أبو داود وأحمد ، ورواه الترمذي بنحوه .

⁽٢) أخرجه ابن جرير .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .



عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿ أَلَمْ تَنزَيْلَ﴾ السجدة و ﴿ هُلَ أَتَى عَلَى الإِنسانَ﴾ ٣٠؟

بِنْ لِنُهُ الرَّمْنِ الرَّجِي فِي السِّلِي المُّانِ الرَّجِي فِي السِّلِي المُّلِي الرَّجِي المِنْ

هَـلَ أَنَّى عَلَى الْإِنسَـنِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَدْ يَكُن شَـيْكًا مَّذْكُورًا ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَـنَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ بِحَعَلْنَنهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّاكَفُورًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه، فقال تعالى :
همل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ ﴾ ثم بين ذلك فقال جلَّ جلاله: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ أي أخلاط، والمشيج والمشيج، الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وصاء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ، وحال إلى حال، وقال عكرمة ومجاهد: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وقوله تعالى: ﴿ نبتله ﴾ أي نختبره كقوله جلَّ جلاله :
وليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾، ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جلّ وعلا: ﴿ وأما عكرمة وعلا: ﴿ وأما عكرمة والمعصية على الهدى على الهدى ﴾ ، وكقوله جلَّ وعلا: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وهذا قول عكرمة ومجاهد والجمهور ، وروي عن الضحاك والسدي ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ يعني خروجه من الرحم، وهذا قول غريب ، والصحيح المشهور الأول ، وقوله تعالى: ﴿ إما شاكراً وإما كفوراً منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ تقديره: فهو في ذلك إما شتي وإما سعيد ، كما جاء في الحديث الصحيح : «كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبقها أو معتقها » " ، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي التصوب الصحيح : «كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبقها أو معتقها » " ، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي الله على الصحيح : «كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبقها أو معتقها » " ، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي الله على الحديث الصحيح : «كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبقها أو معتقها » " ، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي الله على المناس ا

 ⁽١) أخرجه مسلم في صحيحه .
 (٢) رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري .

تعالى عنه قال: قال رسول الله على أو كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إمسا شاكراً وامسا كفوراً ١٠٠، وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي على قال: « ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لمسا يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لمسا يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجسع إلى بيته، هم الشيطان عن يرجس

إِنَّا أَعْتَدُنَا اللَّكَنْفِرِينَ سَلَسِلَا وَأَغْلَنَكُ وَسَعِيرًا ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَنْكَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِٱلنَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُهُ مُستَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ عَصْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنِّكَ نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ بَرَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِنَا يَوْمًا عَبُوسًا لِلْمَارِيرًا ۞ فَوَقَنْهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ نَضْرَةً وَلَا شُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِنَا يَوْمًا عَبُوسًا لِلْمَارِيرًا ۞ فَوَقَنْهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ نَضْرَةً وَلَا صَابُوا ۞ وَنَقَنْهُمْ مَنْ مَنْ اللّهُ مَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ مَنْكُورًا ۞ وَبَرْنَهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَجَرِيرًا ۞ فَوَقَنْهُمُ ٱللّهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ مَنْكُورًا ۞ وَبَرَنَهُم بَعَلَى مُنْ رَبِّنَا يَوْمُ وَلَقَنْهُمْ أَلِقُولُونَ اللّهُ مَنْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ فَلَاهُمْ فَضَرَدًا ۞ وَبَرَنَهُم بَلَوْ وَلَمْ اللّهُ مَنْ أَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَنْهُمْ اللّهُ مَا يَاللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ مُؤْلِقًا لَنْهُ وَقَنْهُمُ اللّهُ مُنْ وَلَقَلْهُمْ مَنْ اللّهُ اللّهُ مُعْرَدًا هُ اللّهُ اللّهُ مُنْ وَلَعْلَمُ مَا لِلْهُ اللّهِ مِنْ وَاللّهُ اللّهُ مُنْ إِلْكُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ مُ اللّهُ مُنْ وَقَوْلُهُ مُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ وَقِلْكُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّه

يه نبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه، من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون و في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ ولما ذكر ما أعد، لمؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والراتحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة ، قال الحسن : برد الكافور في طيب الرنجبيل ، ولهذا قال : ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴾ أي هذا الذي مزح لحؤلاء الأبرار من الكافور ، هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها ، قال بعضهم: هو من عين كافور ، وقوله تعالى: ﴿ يفجرونها تفجيراً ﴾ المنافور ، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ ، وقال: ﴿ وفجرنا خلالهما نهراً ﴾ وقال بعاهد: ﴿ يفجرونها تعلى المؤبون بالنذر ﴿ يفجرونها تعلى المؤبود على أنه يتعبدون الله فيا أوجبه عليهم من فعل الطاعات وما أوجبوه على أنه يهم النذر ، وفي الحديث: « من نذر أن يطبع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ، " ، ويتركون الحرمات الني مناء خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿ شره مستطيراً ﴾ أي منتشراً عاماً على التي منها خيه من من عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿ شره مستطيراً ﴾ أي منتشراً عاماً على التي منها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿ شره مستطيراً ﴾ أي منتشراً عاماً على

⁽١) أخرجه أحمد ، وقد تقدم في سورة الروم .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه البخاري من حديث مالك .

الناس إلا من رحم الله، قال ابن عباس: فاشياً، وقــال قتادة: استطار والله شر ذلك اليــوم حتى مـــلاً السهاوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿ ويطعمونَ الطعام على حبه ﴾ قيل: على حب الله تعالى لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد ومقاتل، واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿ وَآتِي المال على حبه ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾، وروى البيهتي عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقوداً بدرهم، فاتبَع الرسول سائل، فلما دخل به قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه ()، وفي الصحيح: « أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغني وتخشى الفقر » أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتياً وأسيراً ﴾ أما المسكين واليتيم فقـــد تقدم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير فقال الحسن والضِحّاك: الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس: كـــان أسراًوهم يومنذ مشركين، يشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء حتى كان آخر ما أوصى بــه أن جعل يقول: « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد: هو المحبوس، أي يطعمون الطعام لهؤلاء، وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال: ﴿ إِنَّمَا نطعمكم لوجه الله ﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿ لا نريد منكم جزَّاء ولا شكوراً ﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بهأ ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب ﴿ إِنَا نَخَافَ مَن رَبَّنا يُومًا عَبُوسًا قَمَطُريراً ﴾ أي إنمــا نَفْعَل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير، قال ابن عباس ﴿ عبوساً ﴾ ضيقاً ﴿ قمطريراً ﴾ طويلاً، وقال عكرمة: يعبس الكافر يومثذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقال مجاهد: ﴿ عبوساً ﴾ العابس الشفتين، ﴿ قمطريراً ﴾ قال: يقبض الوجه باليسور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿ قَمَطُرُ يُرَّأُ ﴾ تقلص الجبين وما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس الشر، والقمطرير الشديد، وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد، يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر ، ويوم عصيب وعصبصب .

قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَاهُمُ اللهُ شُرَ ذَلِكُ اليومُ وَلَقَاهُمْ نَضَرَ وَسَرُوراً ﴾ وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿ فَوَقَاهُمُ اللّهُ شَرَ ذَلِكُ اليوم ﴾ أي آمنهم مما خافوا منه، ﴿ ولقاهُم نَضَرَة ﴾ أي في وجوههم، ﴿ وسروراً ﴾ أي في قلوبهم وهذه كقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه . قال كعب ابن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله عَنْظَةً إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر، وقالت عائشة رضي الله عنها: « دخل عليَّ رسول الله عَلِيَّةٍ مسروراً تبرق أسارير وجهه » الحديث . وقوله تعالى: ﴿ وجزاهُم بِمَا صبروا ﴾ أي سبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿ جنة وحريراً ﴾ أي منزلاً رحباً، وعيشاً رغداً، ولباسًا حسناً .

⁽١) أخرجه البيهتي عن نافع وفيه أنها أرسلت بدرهم آخر فاشترت به فأعطاه للسائل ثم بدرهم ثالث .

يعابر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى: ﴿ متكنين فيها على الأرائك ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال، وقوله تعالى: ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ أي ليس عندهم حرّ مزعج، ولا يرد مؤلم، ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ أي قرية إليهم أغصانها، ﴿ وذلكت قطوفها تذليلاً ﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه، تدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع، كما قال تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذلّلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿ تذليلاً ﴾، وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، وقوله جلّت عظمته: ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب ﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي التي لا عرى لها ولا خراطم، وقوله: ﴿ قوارير من فضة ﴾ فالأول منصوب بخير كان، أي كانت قوارير ، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز، قال ابن عباس: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظامرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا. قل ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قمد أعطيتم في الدنيا شبه إلا قوارير من فضة، وقوله تعالى: ﴿ قدروها تقديراً ﴾ أي على قدر رتيم لا تزيد عنه ولا تنقص. بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقال ابن عباس: ﴿ قدروها تقديراً ﴾ لنيافي القول الأول، فإنها مقدرة في القدر والري. قدرت للكف، وقال الفسحاك ؛ على قدر كف الخادم، وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ أي ويسقون – يعني الأبرار أيضاً – في هـذه الأكواب ﴿ كأساً ﴾ أي خمراً، ﴿ كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ فتـارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد. وتارة بالزنجبيل وهو حـار ليعتلل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد. وقـد تقدم قوله جل وعلا: ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله ﴾، وقال ههنا: ﴿ عيناً عبها تسمى سلسبيلاً، قال عكرمة، اسم عـين في الجنة . وقـال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جربها، وقوله تعالى: ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾ أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿ مخللون ﴾ أي على حالـة

واحدة، مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا رأيتهم حسبتهم لُولُواً منثوراً ﴾ ولا يكون في منثوراً ﴾ أي إذا رأيتهم في صباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ﴿ حسبتهم لُولُواً منثوراً ﴾ ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن، قال قتادة : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه، وقوله جل وعلا: ﴿ وإذا رأيت ﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ مُنه أَلُهُ أَي هناك يعني في الجنة ونعيمها، وسعتها وارتفاعها، وما فيها من الحبرة والسرور ﴿ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة، وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: ﴿ إِن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها »، وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعاً : ﴿ إِن أَدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فا ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى ؟

وقوله جلَّ جلاله: ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير (السندس) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، و (الاستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر ، كما هو المعهود في اللباس، ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال تعالى : كما هو المعهود فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد، والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة ، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذ انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجلوا هناك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشر بوا من إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن، وقوله تعالى: ﴿ كلوا واشر بوا هنيئا جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿ كلوا واشر بوا هنيئا جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ أي جزاكم الله تعالى: ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وكان سعيكم مشكوراً ﴾ أي جزاكم الله تعالى القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿ فَاصِيرْ لِحُكُمْ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمِّ أَوْ كَفُورًا ﴿ وَالْحَرُونَ وَرَآءَهُمْ رَبِّكَ بُكُرَةً وَأَصِيلًا ﴿ وَهَوَ وَمَنَ اللَّهِ وَالْمَا عُلَمُ اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّ

يقول تعالى ممتناً على رسوله على النوله عليه من القرآن العظيم، ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ أي كما أكرمتك ما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره، وأعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿ ولا تطع منهم آثمــاً أو كفوراً ﴾

أي لا نطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يَعْصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه، ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره، ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾، كقوله تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ الآية، وكقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا المزمل ﴿ قَمِ اللَّيلِ إِلَّا قَلْيَلًا ﴾، ثم قال تعالى منكراً على الكفَّار ومن أشبههم حب الدنيا والإقبال عليها، وترك الدار الآخِرة وراء ظهورهم، ﴿ إن هؤلاء يحبون العــاجلة ويذرون وراءهم يومـــأ ثقيلاً ﴾ يعني يوم القيامة، ثم قال تعالى: ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ﴾، قال ابن عباسٍ ومجاهد: يعني خلقهم ﴿ وَإِذَا شَنْنَا بِدَلْنَا أَمْنَاهُم تَبْدَيْلًا ﴾ أي وإذا شَنْنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلناً هم فأعدناهم خلقاً جديداً، وهذا استدلال باُلبداءة على الرجعة، وُقال ابنْ جرير : ﴿ وإذا شئنا ٰبدلنا أمثالهم تبديلاً ﴾ أي وإذا نْشئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأَ يَذَهَبُكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ ويأْتِ بَآخرين وكانُ الله على ذلك قديراً ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ إِن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ إِنْ هَذَهُ تَذْكُرَةَ ﴾ يعني هـــذه ُ السورة تذكرةٍ، ﴿ فَمَن شَاءَ اتَخَذَ إِلَى رَبِّهُ سَبِيلًا ﴾ أي طريقاً ومسلكاً، أي من شاء اهتدى بالقرآن ، ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الايمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿ إِلا أَن يشاء الله إن الله كان عليًا حكيًا ﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ، ومن يستحقُّ الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحنكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهـ إلى الله تعالى: ﴿ إِنْ الله كَانَ عَلَيًّا حَكَيًّا ﴾، ثم قال: ﴿ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعــدًّا لهم عذاباً أليماً ﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاءً، فمن يهده فلا مضل لـــه ومن يضلل فلا هادي له .

[آخر تفسير سورة الإنسان ، ولله الحمد والمنة]





وَالْمُرْسَلَنَتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَلِصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّلْشِرَاتِ نَشْرًا۞ فَالْفَلْرِقَاتِ فَرْقًا۞ فَالْمُلْقِيكَتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَ قِيعٌ ۞ فَإِذَا النَّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَآءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا اَلِحْبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقِنَتْ ۞ لِأَي يَوْمٍ أُجِلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَآ أَدْرَنكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ ۞ وَيْلُ يَوْمَهِ ذِ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ﴿ والمرسلات عُرفاً ﴾ قال: هي الملائكة ٣٠ ، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل . وقال الثوري، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفـــاً ، قال: الربح: وكذا قال في : ﴿ العاصفات عصفاً والناشرات نشراً ﴾ إنها الربح، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة، وتوقف ابن جرير في : ﴿ المرسلات عرفاً ﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف، أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضهاً ، أو هي

⁽١) أخرجه البخاري ، ورواه مسلم من طريق الأعمش به .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين من طر يق مالك عن الزهري . (٣) وهو قول مسروق وأبي الضحى والسدي والربيع بن أنَس .

الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً ؟ وقطع بأن ﴿ العاصفات عصفاً ﴾ الرياح، وتوقف في ﴿ الناشرات نشراً ﴾ هل هي الملائكة أو الربح كما تقدم، وعن أبي صالح أن ﴿ الناشرات نشراً ﴾ هي المطر ، والأظهر أن ﴿ المرسلات ﴾ هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقع ﴾، وقال تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بــين يدي رحمته كه ، وهكذا ﴿ العاصفات كه هي الرياح، يُقال: عصفت الرياح إذا هبت بتصويت، وكذا ﴿ الناشرات ﴾ هي الرباح التي تنشر السحاب في آفــاق السهاء كما يشاء الرب عزَّ وجلَّ . وقوله تعالى: ﴿ فالفارقات فرقـــا ه فالملقيات ذكراً ء عذراً أو نذراً ﴾ يعني الملائكة فإنها ننزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلتي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، وقوله تعالى: ﴿ إِنْمَـا تُوعِدُونَ لُواقِعٍ ﴾ هذ هو المقسم عليه أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة، ثم قال تعالى: ﴿ فَإِذَا النَّجُومُ طَمَّسَتَ ﴾ أي ذهبِ ضوءها كقولِه تعالى: ﴿ وإذا النجوم انكُلُّـرت ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فرجت ﴾ أي فطرت وانشقتْ وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها، ﴿ وَإِذَا الجبال نسفت ﴾ أي ذهب بهما فلا يبقى لهما عين ولا أثر ، كقوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فِقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ الآية ، وقال تعالى: ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الرَّسَلُ أَقْتَتَ ﴾ قال ابن عباس : جمعت، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرَّسَلُ ﴾ وقال مجاهد: ﴿ اقْنَتَ ﴾ أجلت، ثم قال تعالى: ﴿ لأي يوم أجلت ه ليوم الفصل ه وما أدراك ما يوم الفصل ه ويل يومثذ للمكذبين﴾ يقول تمالى: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة، كما قال تعالى: ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام ﴾ وذلك في يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿ ليوم الفصل﴾ ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكُ مَا يُومُ الْفُصَلِ ﴾ ؟ ﴿ وَيَلْ يُومَنَّذُ لَلْمَكَذَّبِينَ ﴾ أي ويل لهم من عدَّاب الله غداً .

أَلَرْ نُهُ إِلِنِ الْأُوَّلِينَ ﴿ مُ نَفْيِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿ كَذَالِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿ وَيَلْ يَوْمَهِ إِلِّهُ كَذَيْهِ نَ ﴾ أَلَا تَخْلُو وَنَ ﴿ اللَّهُ عَلَمُ مِنْ مَا أُو مَهِينٍ ﴾ وَخَعَلْنَا فَيْعَمُ الْقَايِرُونَ ﴿ وَمَا لَمُ اللَّهُ فَا مُوْتَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوْتَا ﴾ وَاللَّهُ وَاللَّالِ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّذُا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ واللَّا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَهِلَكُ الأُولِينَ ﴾ يعني المكذبين للرسل المخالفين لما جاموهم به، ﴿ ثُمْ نَتَبِعُهُمُ الآخرينَ ﴾ أي ممن أشبههم، ولهذا قبال تعالى: ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين ﴾، ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعبادة بالبداءة: ﴿ أَلَمْ نَخَلقَكُمْ مِن مَاءَ مَهِينَ ﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البباري عزَّ وجلَّ، كما تقدم في سورة يس: « ابن آدم أنّى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه ؟ " ﴿ ﴿ وَجَعَلناه في قرار

⁽١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة .

مكين في يعني جمعناه في الرحم، وهو حافظ لما أودع فيه من الماء، وقوله تعالى: ﴿ إِلَى قَدَرِ معلوم ﴾ يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فقلرنا فنع القادرون ، ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ أَلَم تَجعل الأَرض كفاتاً ه أحياء وأمواتاً ﴾ قال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء، وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ، ﴿ وجعنا فيها رواسي شامخات ﴾ يعني الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب، ﴿ وأسقينا كم ماء فراتاً ﴾ أي عذباً زلالاً من السحاب ، أو مما أنبعه من عيون الأرض ، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات ، الذالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

ٱنطَلِقُوۤاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿ آنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِى ثَلَثِ شُعَبِ ﴿ لَاَظَلِيلِ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱلْهَبِ ﴿ إِنَّا تَرْمُ لِكَنتُ مُفَرِّ ﴿ وَيُلْ يَوْمَ لِاللَّهُ مِلْكَ مُ مِلْكَ مُفَرِّ ﴿ وَيُلْ يَوْمَ لِا يَنطِقُونَ ﴿ وَلَا يَعْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ وَلا يُغْفَرُ وَيَا لَمُ مَن اللَّهُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا مَا لَهُ مَا لِهِ مَا لَا لَهُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا لَمُ مَا مَا مَا لَمُ مَا مَا مُعَالِمُ مَا مَا مُعَالِمُ مَا مُعَلِّمُ اللّهُ مَا لَمُ مَا لَا مَا مَا مُنْمَ مِهُ مِنْ لِهُ مَا مُعَلِقُونَ مَا لَا مُعَلِيدًا مَلْكُمْ مَا مُعَلِيدًا مَلْ مَا مُعَلِيمُ لِلْ مَا مُن مُنْ مَا لَمُ مَا لَهُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مَا لَمُ مُن مُ مَا لَمُ مَا لَمُ مُعَلِّمُ مَا مُعَالِمُ مَا مُعَلِيدًا لَمُ مَا لَمُ مُن مُ مُن مُعَمِّلًا مَا مُعَالِمُ مَا مُعَلِمُ مَا مُعَلِمُ مَا مُعْمَالًا مَا مُعَالِمُ مَا مُعَلِمُ مَا مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَلِمُ مُعْمَالِمُ مَا مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمِلِمُ مِنْ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمِلِمُ لِلْمُعِلَمُ مِنْ مُعْمَالِمُ مُعْمِلًا مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعْمَالِمُ مُعَالِمُ مُعْمِعُولُولِ مُعْمَالِمُ مُعْمِعُولِمُ مُعْمِعُولُوكُ مِنْ مُعْمَالِمُ مُعْمَل مُعْمَالًا مُعْمَالِمُ مُعْمِعُهُمُ مُعْمِعُهُمْ مُعْمَالِمُ مُعْمِعُمُ مُعْمِعُولُولُولِمُ مُعْمِعُولُولُولُ

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء أنهم يُقال لهم يوم القيامة ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ه انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ﴿ ولا يغني من اللهب ﴾ يعني ولا يقيهم حرّ اللهب، وقوله تعالى: ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر ، قال ابن مسعود: كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد: يعني أصول الشجر ﴿ كأنه جمالة صفر ﴾ وي كالإبل السود ، قال ابن مسعود: كالحصون ، وقال ابن جرير ، وعن ابن عباس ﴿ جمالة صفر ﴾ يعني حبال السفن، وعنه ﴿ جمالة صفر ﴾ يعني حبال السفن، عن عبد الرحمن بن عابس: قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ إنها ترمى بشرر كالقصر ﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع ، وفوق ذلك فنرفعه للبناء، فنسميه القصر ﴿ كأنه جمالة صفر ﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ، ثم قال هم فيه ليعتذروا بل قمد قامت عليهم الحجة ، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرصات القيامة حالات ، والرب تعالى بخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولمذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وقوله تعالى . وقوله تعالى ، والولون كان لكم كيد فكيدون ﴾ وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لمم: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين كان لكم كيد فكيدون كا صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وقوله تعالى .

⁽١) أخرجه البخاري .

و فإن كان لكم كيد فكيدون في ، تهديد شديد ووعيد أكيد أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجَنّ والْإِنْسَ إِنْ استطعتم أَنْ تَنفُلُوا مِن أَقطار السّاوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان في . عن عبادة بن الصامت أنه قال: إذا كان يوم القياسة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون في اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد (١) .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَكُلِ وَعُبُونِ ﴿ وَفَوْكِهَ مِنَ يَشْتَهُونَ ﴿ كُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيَتَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ وَيُلُ يَوْمَهِذِ لِللَّهُ مُكَدِّبِينَ ﴾ كُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُرِمُونَ ﴿ وَيْلُ يَوْمَهِذِ إِنَّا كُذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُحَدِّنِينَ ﴿ وَيُلُ يَوْمَهِذِ لِللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَلَّ يَوْمَهِذٍ لِللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَهُ وَيْ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَيْهُ مَا أَوْكُ عُواْ لَا يَرْكُعُونَ ﴿ وَيُلَّ يَوْمَهِ إِلَا لَهُ مَا لَا يَمْ كَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا لَا يَا لَكُونَ ﴾ وَيُل يَوْمَهِ إِلَيْهُ وَمَهُ إِلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا أَوْلَا عَبِيلُ أَمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَيْهُ عَلَيْهِ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا إِلَا عَلِيلًا عَلَيْهِ مَا إِلَا عَلَيْهِ مَا إِلَا عَلَيْهُ مَا أَوْمَهُ مِنْ اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ مَا إِلَا عَلِيلُكُ مَا أَوْ كُنَا عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ الْمَعْتَالِكُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا أَنْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ إِلَيْهُ عَلَيْهِ مَا إِلَّا عَلِيلُ اللَّهُ عَلَوْهُ مَا أَعْلَا عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا أَنْ عَلَيْهُ مَا أَلَّا عَلَيْهُ مَا أَنْ عُلُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ أَنْ إِلَا عَلَالَكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَا عَلَا عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُولُونَ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَا عَالْمُوا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالْمُ اللَّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَا عَلَا عَا عَلَا عَا

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن، وقوله تعالى: ﴿ وَفُواكه مما يشتهون ﴾ أي ومن سائر أنواع الثار مهما طلبوا وجدوا، ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى: ﴿ كلوا ﴿ إنا كذلك بجزي المحسنين ﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴾ خطاب للمكذبين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد، فقال تعالى ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً ﴾ أي مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿ إنكم مجرمون ﴾ أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ ثم نديقهم العذاب للمكذبين ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ ثم نديقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وإذا قبل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهـذا قال تعالى: ﴿ وبل يومئذ للمكذبين ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وبل يومئذ للمكذبين ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وبل يومؤن ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنون ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنون به ؟ كقوله تعالى: ﴿ وبل يومؤن به ؟ فليقل آمنت بالله و آياته يؤمنون ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنون به ؟ كقوله تعالى: ﴿ وبل يومؤن به ؟ كفوله تعالى: ﴿ وبل يومؤن به ؟ فبله تعالى: ﴿ وبله تعالى: ﴿ وبله تعالى المناحدة المناحدة المناكل المناحدة ا

[آخر تفسير سورة المرسلات ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .



عَـمَّ يَنَسَاءَلُونَ ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ الَّذِي هُمَّ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۞ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ فَمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ وَخَلَقْنَكُرُ أَزُوَجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُرُ سُبِعْلُمُونَ ۞ وَخَلَقْنَكُرُ أَزُوجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُرُ سُبِعًا شِلَادًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُرْ سَبْعًا شِلَادًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُرْ سَبْعًا شِلَادًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُرْ سَبْعًا شِلَادًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُرْ سَبْعًا شِلَادًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَعَلْنَا اللَّهُ وَاللَّهُ ﴾ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها: ﴿ عَمْ يَسَاءَلُونَ وَ عَنَ النَبا العظيم الله عَن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة، وهو النبا العظيم: يعني الخبر الحسائل المفظع الباهر، قال قتادة: النبا العظيم: البعث بعد الموت، وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول، لقوله: ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ يعني الناس فيه مؤمن به وكافر، ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة : ﴿ كلا سيعلمون و ثم كلا سيعلمون ﴾ وهسذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى بين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة، المدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المصاد وغيره، فقال: ﴿ أَلمْ بَعِل الأَرض مهاداً ﴾ أي مهدة للخلائق ذلولاً لهم، قارة ساكنة ثابتة ﴿ والجبال أوتاداً ﴾ أي جعلها لها أوتاداً، أرساها بها وثبتها وقررها، حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها، ثم قال تعالى: ﴿ وخلفناكم أزواجاً ﴾ يعني ذكراً وأنثى، يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بمذلك كقوله: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد، والسعي في المعايش في المعايش في عرض النهار، ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ أي يعنى الناس بظلامه وسواده، كما قال: ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾، وقال قتادة ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ أي يعنى الناس بظلامه وسواده، كما قال: ﴿ والليل إذا بغشاها ﴾، وقال الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتحارات وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوَقَكُمُ سَبِّماً شَدَاداً ﴾ يعني السهاوات السبع في اتساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانها

وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات، ولهـذا قال تعالى: ﴿ وجعلنا سراجاً وهاجاً ﴾ يعني الشمس المنيرة على جميع لعالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِن الْمُعْصِرَاتُ مَاء تُجَاجاً ﴾ قـــال ابن عباس: المعصرات: الرياح، تستدر المطر من السحاب، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: من المعصرات أي من السحاب" ، وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد، كما يقال: امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض، وعن الحسن وقتادة: ﴿ من المعصرات﴾ يعني السياوات وهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب، كما قال تعالى: ﴿ الله الذي يرسل الرياح فنثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا انترى الودق يخرج من خلاله ﴾ أي من بينه، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ مَاء مُجَاجًا ﴾ قال مجاهد: ﴿ ثَجَاجًا ﴾ : منصباً، وقال الثوري: متتابعاً، وقال ابن زيد: كثيراً، قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج، وإنمــا الثج الصب المتتابع، ومنه قول النبي عَظِيُّة : « أفضل الحج العج والثج » يعني صب دماء البدن، قلت: وفي حديث المستحاضة: ﴿ إنَّمَا أَثْجَ ثَجَاً ﴾ وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير « والله أعلم . وقوله تعالى: ﴿ لنخرج به حَبًّا ونباتًا وجنَّات ألفافاً ﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿ حبًّا ﴾ يدخر للأناسي والأنعام، ﴿ ونباتاً ﴾ أي خضراً يؤكل رطباً، ﴿ وجنات ﴾ أي بساتين وحداثق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال: ﴿ وجنات ألفافاً ﴾ قال ابر عباس وغيره : ألفافاً مجتمعة، وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمــاء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيـــات لقوم يەقلون 🦫 .

إِنَّيَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُكَا فِي يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ الْفُواَجُا فِي وَفُتِعَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتُ أَبُوبُا فِي وَسُيِّرِتِ

الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا فِي إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا فِي الطَّاخِينَ مَعَابًا فِي الْبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا فِي لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا فِي إِلَّا جَبِمًا وَغَسَّاقًا فِي جَرْآءُ وَفَاقًا فِي إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا فِي وَكَذَّبُواْ فِي إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا فِي وَكَذَّبُواْ فِي إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا فِي وَكَذَّبُواْ فِي إِنَّا مِنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ فَي وَ أَخْصَيْنَكُ كِتَلِياً فِي فَذُوقُواْ فَلَنَ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَنَابًا فِي

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو (يوم القيامة) أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجلّ، كما قال تعالى: ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ أنه ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ قال بجاهد: زمراً زمراً . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ، كقوله تعالى : ﴿ يوم نفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ عن أبي هريرة قال، قال رسول الله يَعْلِيْكُ : «ما بين النفختين أربعون » قالوا: أربعون يوماً ، قال: «أبيت »، قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: «أبيت »، قالوا: أربعون سنة ؟ قال: «أبيت »، قال: «ثم ينزل الله من الساء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس

⁽١) وهو قول عكرمة والضحاك والحسن والربيع بن أنَس والثوري ، واختاره ابن جرير وهو الأظهر كما قال ابن كثبر .

من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظماً واحداً ، وهو (عجب الذنب) ومنه يركب الخلق يوم القيامة 🕪 . ﴿ وفتحت السهاء فكانت أبواباً ﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ، ﴿ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش، وقال ههنا ﴿ فكانت سراباً ﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر ، كما قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ه فيذرها قاعاً صفصفاً • لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ ، وقــال تعالى : ﴿ ويوم نسيِّر الجبــال وترى الأرض بارزة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ جَهُمْ كَانَتَ مُرْصَاداً ﴾ أي مُرْصَدة معَـدة ﴿ لَلْطَاعْينَ ﴾ وهم المردة العصاة المخـالفون للرســل ، ﴿ مَآبًا ﴾ أي مرجعًا ومنقلبًا ومصيرًا ونزلاء ﴾ وقــال الحسن وقتــادة : لا يدخــل أحـــد الجنة حتى يجتـــاز النار ، فإن كان معــه جواز نجــا وإلا احتبس ، وقوله تعالى : ﴿ لابثين فيهــا أحقــاباً ﴾ أي ماكثين فيهـــا أحقاباً وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير، قال على بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، وعن الحسن والسدي: سبعون سنة. وعن عبدالله بن عمرو : الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة ممــا تعدون٣ ، وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة، اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلثًائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة . وقال السدي: ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون، وقال خالد بن معدان هــــذه الآية ، وقوله تعالى: ﴿ إِلا ما شاء ربك ﴾ في أهل التوحيد٣ ، قال ابن جرير: والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما إلا الخلود في النار، ولكن ذُكروا أن الحقب سبعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، وقال قتادة، قال الله تعالى : ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جـاء حقب بعده . وقال الربيع بن أنَس: ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عزَّ وجلَّ ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة ، والسنة ثلثمائة وستون يوماً ، كل يوم كألف سنة مما تعدون^(١) .

وقوله تعالى: ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به، ولهذا قال تعالى: ﴿ إلا حميماً وغساقاً ﴾، وقال أبو العالية: استثني من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق، قال الربيع بن أنس: فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، وقوله تعالى: ﴿ جزاءاً وفاقاً ﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم قال تعالى: ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون، ﴿ وكذبوا بآياتنا كذاباً ﴾

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽٢) رواهما ابن أبي حاتم .

 ⁽٣) أخرجه ابن جرير أيضاً .

أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلاثله على خلقه التي أنزلها على رسله على فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقوله في وكذاباً في أي تكذيباً ، وهو مصدر من غير الفعل، وقوله تعالى: ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً في أي وقد علمنا أعمال العباد وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقوله تعالى: ﴿ فنوقوا فلن نزيد كم إلا عذاباً في يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيد كم إلا عذاباً من جنسه وآخر من شكله أزواج، قال قتادة: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿ فنوقوا فلن نزيد كم إلا عذاباً في فهم في مزيد من العذاب أبداً.

إِنَّ اللَّمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿ حَدَآ بِنَ وَأَعْنَابًا ﴿ وَكُواعِبَ أَثْرَابًا ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلَا كِذَّابًا ۞ جَزَآ كَا مِن رَّبِكَ عَطَآءٌ حِسَابًا ۞

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿ إِن للمتقبن مفارًا ﴾ قال ابن عباس متنزهاً، وقال مجاهد: فازوا فنجوا من النار، والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده: ﴿ حداثق ﴾ والحداثق البساتين من النخيل وغيرها، ﴿ وأعناباً وكواعب أثراباً ﴾ أي وحوراً كواعب، قال ابن عباس ومجاهد ﴿ كواعب ﴾ أي نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين، لأنهن أبكار (عرب أثراب) أي في سن واحد، كما تقدم ببانه في سورة الواقعة، روى ابن أبي حاتم، عن ابن أبي القاسم الدمشقي، عن أبي أمامة ، عن النبي عَلَيْ أنه قال: ﴿ إِن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله، وأن السحابة لتمر بهم فتناديهم: يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأثراب ﴾ (وقوله تعالى: ﴿ وكأساً دهاقاً ﴾ قال ابن عباس: مملوءة متنابعة، وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد والحسن ﴿ دهاقاً ﴾ الملأى المترعة، وقال سعيد بن جبير: هي المتنابعة، وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد والحسن ﴿ دهاقاً ﴾ الملأى المترعة، وقال سعيد بن جبير: هي المتنابعة، وقال عكرمة: صافية، وقال عمله علام من النقص، وقوله: ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ﴾ كقوله: ﴿ لا لغو فيه ولا تأثيم ﴾ أي ليس فيها كلام كلاغ عر عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص، وقوله: ﴿ جزاءً من ربك عطاء حساباً ﴾ أي هذا الذي ذكرناه، جازاهم الله به بفضله ومنّه وإحسانه ﴿ عطاء حساباً ﴾ أي كافياً وافياً سالم كثيراً، ومنه حسى الله ، أي الله كافي ً .

رَّبِ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَنَبِكَةُ صَفَّا لَآ لَا يَسْكُلُمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿ يَ ذَلِكَ الْبَوْمُ الْحَقَّ فَمَن شَاءَ الْحَنَّ إِلَىٰ رَبِّهِ مِ مَعَابًا ﴿ إِنَّا لَيْكُمُ الْمُؤْءُ مَا قَلْمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنتُ ثُرَ بَا ﴿ يَهُولُ الْمَاءُ مَا قَلْمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنتُ ثُرَ بَا ﴿ إِنَّا لَيْ اللَّهُ الْ

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السهاوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى: ﴿ لا يملكون منه خطاباً ﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كقوله

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

تعالى: ﴿ مَن ذَا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾، وكقوله تعالى. ﴿ يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمُ يَقُومُ الرُّوحِ وَالْمَلاثُكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا مــا هو ؟ على أقوال : أُحدها : ما روي عن ابن عباس انهم أرواح بني آدم . ا**لثاني :** هم بنو آدم ، قاله الحسن وقتادة . ا**لثالث** : أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر قاله ابن عباس ومجاهد . الرابع : هو جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحّاك . المخامس أنــه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، قال ابن عباس: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً . والأشبه عندي – والله أعلم – أنهم بنو آدمً (١) ، وقوله تعالى: ﴿ إِلا من أذن له الرحمن ﴾ كقوله: ﴿ يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾، وكمأ ثبت في الصحيح: « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل »، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ أي حقاً، ومن الحق ﴿ لا إله إلا الله ﴾، كما قاله عكرمة: وقوله تعالى: ﴿ ذلك اليوم الحق﴾ أي الكائن لا محالة، ﴿ فَن شاء اتخذ إلَّى ربه مآباً ﴾ أي مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمر به عليهُ، وقولُه تعالى: ﴿ إِنَا أَنذَرَنَاكُم عَذَابًا قَريبًا ﴾ يعني يوم القيامةُ لتأكد وقوعه صار قريبًا، لأن كل ما هو آت قريب، ﴿ يُومُ يَنظُرُ الْمُرْءُ مَا قَدْمَتُ يَدَاهُ ﴾ أي يعرضُ عليه جميع أعماله خيرها وشرها، قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿ وُوجِدُوا مَا عَمَلُوا حَاضَراً ﴾، وُكَقُولُه تعالى: ﴿ يَنَبُّ الْإِنْسَانَ يُومِئُذُ بَمَـا قدم وأخر ﴾، ﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾ أي يود الكافر يومثذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قــد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لهـا : كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر ﴿ يَا لَيْنَي كُنْتَ تَرَابًا ﴾ أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وغيرهما .

[آخر تفسير سورة النبأ ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

 ⁽۱) الأظهر أن المراد بالروح هنا (جبريل) عليه السلام كما قال سعيد بن جبير والضحّاك ويؤيده قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمن على قلبك لتكون من المنذرين ﴾، فالروح هو جبريل .



وَالنَّذِيَ عَنِ عَرَّفًا ۞ وَالنَّنْ طَلَتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّبِحَتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّنِقَتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِرَتِ أَمْرُ ارْ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَنْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَهِذٍ وَاجِفَةً ۞ أَبْصَرُهَا خَشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَوْذَا كُنَّا عِظْما تَّخِرَةً ۞ قَالُواْ تِلْكَ إِذَا كُرَّةً خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّا هِي زَجْرَةً وَاحِدَةً ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاحِرَةِ ۞

و والنازعات غَرَقاً إلى : الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿ والناشطات نشطاً ﴾ قاله ابن عباس وغيره، وعنه و والنازعات ﴾ : هي أنفس الكفّار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار (()) ، وقال بجاهد ﴿ والنازعات غرقاً ﴾ الملوت . وقال الحسن وقتادة ﴿ والنازعات غرقاً و والناشطات نشطاً ﴾ : هي النجوم، والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى ﴿ والسابحات سبحاً ﴾ فقال ابن مسعود : هي الملائكة ، وقال قتادة : هي النجوم، وقال عطاء : هي السفن، وقوله تعالى ﴿ فالسابقات سبقاً ﴾ : يعني الملائكة ، قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتصديق، وقال قتادة : هي النجوم، وقال عطاء : هي الخيل في سبيل الله، وقوله تعالى : ﴿ فالمدبرات أمراً ﴾ والتصديق، وقال قتادة : هي النجوم، وقال عطاء : هي الخيل في سبيل الله، وقوله تعالى : ﴿ فالمدبرات أمراً ﴾ وترجف الراجفة ه تتبعها الرادفة ﴾ قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية (() عالم عله عله الأرض والجبال في وأما الثانية وهي الرادفة ، كقوله : ترجف الراجفة فكقوله جلت عظمته : ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال في وأما الثانية وهي الرادفة ، كقوله : شقال رجل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ ، وفي الحديث قال رسول الله عليك ؟ قال : « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، عقال رسول الله عليك ؟ قال : « إذاً يكفيك الرادفة ، عالم عليك ؟ قال : « إذاً يكفيك

⁽١) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٢) وهو قول مجاهد والحسن وقتادة والضحّاك وغيرهم .

الله ما أهمك من دنياك وآخرتك ٥^(١) رواه أحمد والترمذي، ولفظ الترمذي: كان رسول الله عَيِّكُ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى: ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ قال ابن عباس: يعني خائفة ﴿ أبصارها خاشعة ﴾ أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة. أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال .

وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَتُنَا لَمُردُودُونَ فِي الْحَافَرَةَ ﴾ يعني مشركي قريش، يستبعدُون وقوع البعث بعد المصير إلى ﴿ الحافرة ﴾ وهي القبور٣ وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم وتخورها، ولهذا قالوا: ﴿ أَنْذَا كَنَا عَظَامًا نحرة ﴾ وقرئ : ناخرة أي بالية، قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الربح فيه، ﴿ قالوا تلك إذاً كَرَّةً خاسرة ﴾ . وعن أبن عباس وقتادة: الحافرة الحياة بعد الموت، وقال ابن زيد: الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها ! هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة، وأما قولهم: ﴿ تَلْكُ إِذًا كَرَّةٌ خاسرة ﴾ فقال محمد ابن كعب، قالتُ قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِي رَجِرَة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ أي فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عزَّ وجلَّ ينظرون، كما قال تعالى: ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ وقال تعالى: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وُقَالُ تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةُ إِلَا كُلِّمِحُ البِّصِرُ أَوْ هُو أَقْرَبُكُ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ فَإِنَّمَا هَي زَجْرَةَ وَاحْدَةً ﴾ صيحــة واحدة، وأشد ما يكون الرب عزُّ وجلُّ غضباً على خلقه يوم يبعثهم، قال الحسن البصري: زجرة من الغضب، وقوله تعالى: ﴿ فَاذَا هُمْ بِالسَّاهُرَةُ ﴾ قال ابن عباس: الساهرة الأرض كلها، وقال عكرمة والحسن: الساهرة وجه الأرض، قال مُجاهد: 'كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها، عن سهل بن سعد الساعدي ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النتي 🗥 ، وقال الربيع بن أنَس : ﴿ فإذاهم بالساهرة ﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهاركه، ويقول تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾، ويقول تعالى: ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ﴾، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم .

هَلْ أَنَنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ ۚ إِذْ نَادَنَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُوَّى ۞ اَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَـٰ لِ اللَّهِ أَلَى اللَّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللللل

⁽١) أخرجه أحمد .

⁽٢) قاله مجاهد . (٣) رواه ابن أبي حاتم .

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون وأبده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخــذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك يا محمد وكذب بمــا جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿ إِن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾، فقوله تعالى: ﴿ هُل أتاك حديث موسى ﴾ أي هل سمعت بخبره ﴿ إِذْ ناداه ربه ﴾ أي كلمه نداء ﴿ بالواد المقدس ﴾ أي المطهر ، ﴿ طوى ﴾ وهو اسم الوادي على الصحيح، فقال له: ﴿ اذْهِبِ إلى فرعون إنه طغي ﴾ أي تجبر وتمرد وعتا، ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكنَ ﴾ أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع، ﴿ وأهديك إلى ربك ﴾ أي أدلك إلى عبادة ربك ﴿ فتخشى ﴾ أي فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً، بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير ، ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحقحجة قوية، ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء، به من عند الله، ﴿ فَكَذَب وعصى ﴾ أي فكذَّب بالحق، وخالف ما أمره بــه من الطاعة، ﴿ ثُم أَدبر يسعى ﴾ أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات ﴿ فحشر فنادى ﴾ أي في قومه، ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿ مَا عَلَمَتَ لَكُمْ مِنْ إِلَّهُ غَيْرِي ﴾ بأربعين سُنَّة ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَخَذُهُ الله نكال الآخرة والأولى ﴾ أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا، ﴿ ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ ، كما قال تعالى ﴿ وجعلناهم أثمــة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾، وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿ نَكَالَ الآخرة والأولى ﴾ أي الدنيا والآخرة ، وقيل: المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية ، وقيل: كفره وعصيانه، والصحيح الأول، وقوله: ﴿ إِن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ أي لمن يتعظ وينزجر .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَنْهَا ۞ رَفَعَ سَمَّكُهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَنْرَجَ ضُحَنْهَا۞ وَٱلْأَرْضَ

بَعْدَ ذَاكِ دَحُلهَا فَي أَثْرَجَ مِنْهَا مَا وَهُم عَلها فَي وَالْجَبَالُ أَرْسَلها فَي مَتَلعًا لَكُمْ وَلاَنعَمُ مَتَلعًا لَكُمْ وَلاَنعَمُ هَا الناس فَي أَبْهَا الناس فَي أَبْهَا الناس فَي أَبْهَا الناس فَي أَبْهَا الناس فَي وقوله تعالى: فولي السياء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: فولي السياوات والأرض أكبر من خلق الناس في، وقوله تعالى: فوليناها في فسره بقوله: فورفع سمكها فسواها في أي جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وقوله تعالى: فوأغطش ليلها وأخرج ضحاها في أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، والأرض بعد ذلك دحاها في فسره بقوله تعالى: فوأخرج منها ماءها ومرعاها في أي انار نهارها، وقوله تعالى: فوأخرج منها ماءها ومرعاها في وقد تقدم في سورة وحم السجدة ، أن الأرض خلقت قبل خلق السهاء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السهاء بمعنى أنه أخرج ما كمان فيها بالنوة إلى الفعل، عن ابن عباس فو دحاها في ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله: فو والأرض بعد ذلك دحاها في، وقد تقدم تقرير ذلك هنالك، وقوله تعالى: فو والجبال أرساها في أي قررها وأثبتها في أماكنها، وهو الحكم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم. وقوله تعالى: فو والجبال أرساها في أي دحا الأرض فأتبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وشعاءاً لكم ولأنعامكم في أي دحا الأرض فأتبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وشعاءاً لكم ولأنعامكم في أي دحا الأرض فأتبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وأشها والمناولة والمناها والنبت وروعها وأشجارها وأنها والمناها والنبت وروعها وأشجارها وأله والمناها والمناها والنبت وروعها وأشها والمناها والمناها والمناها والأرض فأتبع عيونها، وأطهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وأسماء المناها والمناها والمن

وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام، التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل .

يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةِ الكبرى ﴾ وهو يوم القيامة، قاله ابن عباس سميت بذلك، لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع ، كما قال تعالى: ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ ، ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله، خيره وشره كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئْذُ يَتَذَكُّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذَّكْرَى ﴾، ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً، ﴿ فَأَمَا مِنْ طَنِّي ﴾ أي تمرد وعتا، ﴿ وَآثُر الحياةالدنيا أي قدمها على أمر دينه وأخراه، ﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾، أي فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم، ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهمي النفس عن الهوي ﴾ أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها، ﴿ فَإِنْ الْجِنَّةَ هِي الْمَاوَى ﴾ أي منقلبه ومصيره إلى الجنة الفيْحاء، ثم قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةُ أَيَانَ مَرْسَاهَا هِ فَيْمِ أَنْتُ مِنْ ذكراهَا إلى ربك منتهاهـــا ﴾ أي ليس علمها اليك ولا إلى أحد من الخلق ، بل مردهـــا ومرجعها إلى الله عزَّ وجلَّ ، فهو الذي يعلم وقتهــا على التعيين ﴿ قُلُ إِنَّمَا عَلَمُهَا عَنْدُ اللَّهُ ﴾ ، وقــال ههنا : ﴿ إِلَى رَبُّكُ مَنْتُهَاهَا ﴾ • ولهــذا لمــا سأل جبريل رسول الله مَا اللَّهِ عَنْ وقت الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » » وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أنت منسلر من يخشاها ﴾ أي إنما بعثتك لتنذر النــاس، وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح ، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك ، وقوله تعالى : ﴿ كَأَنْهِم يَوْمَ يَرُونُهَا لَم يلبثوا إلا عشية أو ضَّحاها﴾ أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم، قال ابن عباس: أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس، ﴿ أَو صَحاها ﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار ، وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

[آخر تفسير سورة النازعات، ولله الحمد والمنة]



بِنْ لِشُهِ الْمُعْنُ الْحَجِيبِ

عَبَسَ وَتَوَلَّقَ ۞ أَن جَآءَهُ الْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَىٰ ۞ أَوْيَذَكُرُ فَتَنفَعَهُ الدِّكُوَىٰ ۞ أَمَّا مَنِ السُنغُنَىٰ ۞ فَأَنتَ لَهُ, تَصَـدًىٰ ۞ وَمَا عَلَبْكَ أَلَّا يَزَّكِن ۞ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۞ وَهُو يَخْشَىٰ ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهًىٰ ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَهُ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرُهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۞ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةً ۞ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۞ كِرَامِ بَرَرَةٍ ۞

فَكُو غير واحد من المفسرين أن رسول الله عَلَيْكُ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله عَلَيْهُ عن شيء وبلع عليه، وود النبي عَلِيْكُ أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى، هو عبس وتولى أن جاءه الأعمى ه وما يدريك لعله يزكى كه أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه، هو أو يذكر فتنفعه الذكرى كه أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم. هو أما من استغنى فأنت له تصدى كه أي أما الغني فأنت تعرَّض له لعله يهتدي هو وما عليك ألا يزكى كه أي ما أنت بمطالب به إذا لم يزك نفسه . هو وأما من جاءك يسعى ه وهو يخشى كه أي يقصلك ويؤمك ليهتدي بما تقول له، هو فأنت عنه تلهّى كه أي تتشاغل . ومن ههنا أمر الله تعالى رسول الله عليه أن لا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، روى الحافظ أبو يعلى والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهو يكلم (ابيّ بن خلف) عن أنس رضي الله عنه في قوله: هو عبس وتولى كه قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبي عَيَالِيَّ بعد ذلك يكرمه الأعرض عنه، فأنزل الله عزّ وجلّ: هو عبس وتولى ه أن جاءه الأعمى كه فكان النبي عَيَالِيَّ بعد ذلك يكرمه الله فأنزل الله عزّ وجلّ: هو عبس وتولى ه أن جاءه الأعمى كه فكان النبي عَيَالِيَّ بعد ذلك يكرمه الله فأنول الله عزّ وجلّ:

⁽١) أخرجه الحافظ أبو يعلى .

وعن عائشة قالت: أنزلت في عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى رسول الله مَلِيْ ، فجعل يقول أرشدني . قالت: وعند رسول الله مَلِيْ رجل من عظماء المشركين قالت: فجعل النبي مَلِيْ يعرض عنه، ويقبل على الآخر ، ويقول: وأترى بما أقول بأساً ؟ فيقول: لا ، فني هذا أنزلت: في عبس وتولى في الموال المن واحد من السلف والمخلف: أنها نزلت في ابن ام مكتوم ، والمشهور أن اسمه عبدالله ، وقوله تعالى: في كلا إنها تذكرة في أي هذه الوصية بالمساواة بين الناس ، في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم ، وقال قتادة في كلا إنها تذكرة في يعني القرآن في فن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه ، وقوله تعالى: في صحف مكرمة في أي معظمة موقرة ، في صحف مكرمة في أي عالمية القدرة ، في مطهرة في أي من الدنس والزيادة والنقص ، وقوله تعالى: في بأيدي سفرة في قال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكة ، والسفرة يمني بين الله تعالى وبين خلقه ، وقال قتادة : هم القراء ، وقال ابن جرير : والصحيح أن السفرة الملائكة ، والسفرة يمني بين الله تعالى وبين خلقه ، ومنه السفير الذي يسعى بين الناس أي الصلح والحير ، كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

وقال البخاري: سفرة: الملائكة، سفرتُ أصلحت بينهم، وجُعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بسين القوم، وقوله تعالى: ﴿ كرام بررة ﴾ أي خُلقهم كريم، وأخلاقهم بارة طاهرة، وفي الصحيح: « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر بسه مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران ، «

قُتِلَ ٱلْإِنسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿ مِنْ أَيْ فَيْ وَخَلَقَهُ ﴿ مِن نَطْفَةٍ خَلَقَهُ وَفَقَدَرَهُ ﴿ هَ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَرَهُ ﴿ مُ ثُمَّ أَمَاتَهُ وَفَاقَبَرُهُ ﴿ هُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ﴿ كَلَّا لَمَا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿ هَ فَلْيَنظُو ٱلْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ مَنَ النَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبَّا ﴿ مُ مُ شَفَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًا ﴿ فَأَنْبُنْنَا فِهَا حَبُّ ﴾ وَعِنبًا وَفَضْبًا ﴿ وَزَيْشُونًا وَنَحْلُا ﴿ وَحَدَآ إِنَى غُلْبُ ﴾ وَوَنكِهَةً وَأَبًا ﴿ مَّ مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَدِكُمْ ﴿

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾، قال ابن عباس: لعن الإنسان ، وهذا الجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه ﴿ ما أكفره ﴾ أي ما أشد كفره، وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً أي ما حمله على التكذيب بالمعاد ؟ وقال قتادة: ﴿ ما أكفره ﴾ ما ألعنه، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: ﴿ من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ﴾ أي قدّر أجله ورزقه وعمله وشتي أو سعيد ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ قال ابن عباس: ثم يسر

⁽١) أخرِجه ابن جرير وأبو يعلى .

⁽٢) أخرجه الجماعة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

عليه خروجه من بطن أمه أمه أمه أمه الما عليه علمه، وهذا هو الأرجح والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ ثُمُ أَمَاتُهُ فَأَقَبُره ﴾ أي أنه بعد خلقه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وهذا هو الأرجح والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ ثُمُ أَمَاتُهُ فَأَقْبُره ﴾ أي جعله ذا قبر، والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولي ذلك منه. وأقبره الله، وطردت عني فلاناً وأطرده الله، أي جعله طريداً، وقوله تعالى: ﴿ ثُمُ إذا شاء أنشره ﴾ أي بعثه بعد موته، ومنه يقال البعث والنشور، عن أبي سعيد عن النبي عليه قال: ﴿ يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه ﴾ " قبل : وما هو يا رسول الله ؟ قال: ﴿ مثل حبة خردل منه تنشأون ﴾ وهذا الحديث ثابت في الصحيحين بدون هذه الزيادة، ولفظه: ﴿ كل ابن آدم يبلي إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب ﴾ "، وقوله تعالى: ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قسد أدى حق الله عليه في نفسه وماله، ﴿ لمّا يقض ما أمره ﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عزّ وجلّ، عن مجاهد قال: لا يقضي أحد أبداً كل ما افترض عليه .

وقوله تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة، على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً ، ﴿ أنا صببنا الماء صباً ﴾ أي أنزلناه من السباء على الأرض، ﴿ ثم شققنا الأرض شقاً ﴾ أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، ﴿ فَانْبَتنا فيها حباً وعنباً وقضباً ﴾، فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لهما الفت أيضاً . قال ذلك ابن عباس وقتادة، وقال الحسن البصري: القضب وريتوناً ﴾ وهو معروف، وهو أدم وعصيره أدم، ويستصبح به ويدهن به، ﴿ ونحلاً ﴾ يؤكل بلحماً وبسراً، ورطباً وتمراً، ونيتاً ومطبوخاً، ويعتصر منه رب وخل . ﴿ وحداثق غلباً ﴾ أي بساتين، قال الحسن وقتادة: غلباً نخل غلاظ كرام، وقال ابن عباس ومجاهد: كل ما التف واجتمع، وقال ابن عباس أيضاً ﴿ غلباً ﴾ الشجر ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب الكلاء وعن مجاهد والحسن: الأب البهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبته للبهائم كالفاكهة فيهو الأب . وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلاء والمرعى . روي أن عمر بن الخطاب الأرض سوى الفاكهة فهو الأب . وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلاء والمرعى . روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ ﴿ عبس وتولى ﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة فه الأب ؟ وهذا لمحمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجسه وعينه، فقال لممرك يا ابن الخطاب إن هذا لمو التكلف" ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجسه وعينه، فقال لممرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف" ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجسه وعينه،

⁽١) وهو قول عكرمة والضحّاك وقتادة والسدي واختاره ابن جرير .

⁽٢) أخرجه ابن أبن حاتم .

⁽٣) أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة .

⁽٤) رواه ابن جرير ، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير .

وإلا فهو يعلم أنه من نبــات الأرض لقوله : ﴿ فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحداثق غلبــاً وفاكهة وأباً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ متاعــاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار ، إلى يوم القيامة .

فَإِذَا جَآءَتِ الصَّاخَةُ شَي يَوْمَ يَفِرُ الْمَرَّهُ مِنْ أَخِيهِ ﴿ وَأَمِهِ وَأَبِيهِ ﴿ وَصَحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿ لِكُلِّ الْمَرِي مِنْهُمْ يَوْمَ بِنِ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَ بِذِمْ شَفِرَةٌ ﴿ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَ بِإِعْلَيْهَ الْمَرَاءُ الْمَاعِدُ مُنْ الْمَاعِدُ اللّهِ عَلَيْهَا عَبَرَةٌ ﴿ وَاللّهِ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ ﴿ وَاللّهِ لَا عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللللللّ

قال ابن عباس : ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذَّره عباده، وقال البغوي: ﴿ الصاخة ﴾ يعني يوم القيامة، سميت بذلك لأنهـا تصخ الأسماع، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها، ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ه وأمَّه وبنيه ه وصاحبته وبنيه ﴾ أي يراهم ويفر منهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل، قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لهـا : يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول : نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلى أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف، قال: وإن الرجل لبلقى ابنه فيعلق به فيقول: يا بني أي والد كنت لك ؟ فيثني بخير ، فيقول له: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى فيقول ولده: يا أبتِ ما أيسر ما طلبتِ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أُعطيك شيئاً، يقول الله تعالى: ﴿ يوم يفر المرء من أخيه • وأمَّه وأبيه • وصاحبته وبنيه ﴾ وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة : حتى عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتني ، عن ابن عباس قال، قال رسول الله عليه ا « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً » قال، فقالت زوجته: يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض قال: « لكل امريّ يومئذ شأن يغنيه ﴾ أو قال : « ما أشغله عن النظر »^(١) . وروى النسائي عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال: « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ه. وعن أنَس بن مالك قال: سألت عائشة رسول الله عليه فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال : « إن كــان عنـــدي منه علم » قالت يا نبى الله كيف يحشر الرجال ؟ قال: « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة، فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء؟ قال: « كذلك حفاة عراة » ، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: « وعن أي ذلك تسألين إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون »، قالت: أية آية هي يا نبي الله ؟ قال: « لكل امريُّ منهم يومئذ شأن يغنيه ٣٠٠ ، وقال البغوي في تفسيره . عن سودة زوج النبي عَلِيْتُهِ قالت، قال رسول الله عَلِيْتُهُ : « يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » ، فقلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : قد شغل

⁽١) أخرجه ابن أبن حاتم .

⁽٢) انفرد به النسائي من هذه الوجه .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

الناس ﴿ لَكُلُ امْرِيُّ مَهُمْ يُومَئْدُ شَأْنَ يَغْنِيهُ ﴾ (وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهُ يُومَئْدُ مَسْفُرةً ضَاحَكَةً مُسْتَبِشْرَةً ﴾ أي يكون الناس ﴿ لَكُلُ امْرِيُّ مَهُمْ يُومِئَدُ مَسْفَرَةً أي مُسْتَبِرَةً ﴿ فَاسْفَرَةً أَي مُسْرُورَةً فَرْحَةً ، قَدْ ظَهُرَ البشر على وجوههم ، وهؤلاء هم أهل الجنة ، ﴿ وَوَجُوهُ يُومِئْدُ عَلَيها غَبْرَةً ﴾ أي سواد ، وفي الحديث : ﴿ يَلْجُمُ الْكَافُرِ الْعُرِقُ ثُمْ تَقَعَ الْغَبْرَةَ عَلَى وَجُوهُهُم ﴾ ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَوَجُوهُ يُومِئُدُ عَلَيْها غَبْرَةً ﴾ أي الكفرة وقال ابن عباس ﴿ تَرْهَهُما قَتْرَةً ﴾ أي يغشاها سواد الوجوه ، وقوله تعالى : ﴿ أُولَئْكُ هُمُ الكَفْرَةُ الْفُجْرَةً ﴾ أي الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلا يلدوا إلا فاجراً كَفَاراً ﴾ .

[آخر تفسير سورة عبس ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) حديث غريب من هذا الوجه .

⁽٢) أحرجه ابن أبي حاتم .



قال رسول الله ﷺ: « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسَ كُورَتُ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقْتَ ﴾ » أخرجه أحمد .

بِنْ لِللهِ الرَّمُّنِ الرَّجِ لِي

قال ابن عباس: ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وقال قتادة: ذهب ضوءها، وقال سعيد بن جبير: ﴿ كورت ﴾ غورت، وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض، قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿ كورت ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، روي عن ابن عباس أنه قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً (()، وروى البخاري، عن أبي هريرة عن النبي والنجوم وإذا النجوم انكدرت ﴾ أي انتثرت كما قال عملى: ﴿ وإذا الكواكب انتثرت كما قال أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة، تعالى: ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ . وأصل الانكدار الانصباب، قال أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالَ سِيرِتَ ﴾ أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صفصفاً، وقوله: ﴿ وَإِذَا العَشَارِ عَطَلَتَ ﴾ عشار الإبل، قال مجاهد: ﴿ عَطَلْتَ ﴾ تركت وسيَّبت، وقال أُبيَّ بن كعب،: أهملها أهلها، وقال الربيع بن خيثم: لم تحلب وتخلى عنها أربابها، والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل رهي خيارهاً والحوامل منها، واحدتها عشراء قــد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بمــا دهمهم من الأمر العظيم الهائل، وهو أمر يوم القيامة ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها، كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السهاء والأرض لخراب الدنيا، والراجح أنها الإبل، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ أي جمعت كما قال تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ قال أبن عباس: يحشركل شيء حتى الذباب، وقال عكرمة: حشرها موتها، وعن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس 🐃 وعن الربيع بن خيثم ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ قال: أتى عليها أمر الله، وعن أبيّ بن كعب أنه قال: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ اختلطت، قال ابن جرير : والأولى قول من قال حشرت جمعت، قال الله تعالى: ﴿ والطير محشورة ﴾ أي مجموعة، وقوله تعالى: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ قـال ابن عـاس: يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج، وفي سنن أبي داود: « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً ₃ الحديث، وقال مجاهد ﴿ سجرت ﴾: أوقدت، وقال الحسن: يبست، وقال الضحّاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة، وقال الضحّاك أيضاً : ﴿ سمرت ﴾ فجّرت، وقال السدي: فتحت وصيرت، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النَّفُوسَ زُوِّجَتَ ﴾ أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي الضرباء كل رجل مع كُل قوم كَانوا يعملون عمله. روى النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ: ﴿ وإذا النفوس زوجت﴾ فقال: نزوجها

⁽١) أخرجه ابن جرير .

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجه ابن جرير .

أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم، يقرن بين الرجل الصالح، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النفوس زُوجت ﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة، وقال مجاهد: ﴿ وَإِذَا النفوس زُوجت ﴾ قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري وعكرمة: زوجت الأرواح بالأبدان، وقيل: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين " .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا المُوعُودَةُ سَئْلُتُ مَ بِأَي ذَنِّبِ قُتِلَتْ ﴾ الموتمودة هي التي كانت أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل المونمودة على أي ذنت قُتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها ، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً ؟ وقال ابن عباس: ﴿ وإذا الموتمودة سئلت ﴾ أي سألت أي طالبت بدمها . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءُودة فقال الإمام أحمد عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله عَلَيْكُمْ في ناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئًا »، ثم سألوه عن العزل ؟ فقال رسول الله عَلِينًا: ﴿ ذلك الوأد الخني وهو الموتحودة سُتلت ،٣٠٠. وروى الإمام أحمد عن سلمة بن يزيد الجعني قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله عليه فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم، وتقري الضيف، وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً ؟ قال: ﴿ لا ﴿، قلنا: فإنها كانت وأدت أُختاً لنــا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً ؟ قال: ﴿ الوائدة والموتمودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها ٤⁰⁰. وفي الحديث: ٩ النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والمونمودة في الجنة »⁽⁶⁾ . وعن قرة قال : سمعت الحسن يقول : قيل، يا رسول الله مَن في الجنة ؟ قال : « المونمودة في الجنة »(٢٠ . وقال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله تعالى: ﴿ وإذا المونحودة سئلت ه بأي ذنب قتلت ﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة، وقال عبد الرزاق: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله عَلَيْكُ فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية، قال: « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال: يَا رسول الله إني صاحب إبل، قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة »(٧٠ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصحف نشرت ﴾ قال الضحّاك: أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشهاله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّهَاءَ كَشَطَّتَ ﴾ قال مجاهد: اجتذبت؛ وقال السدي: كشفت؛ وقال الضحّاك: تنكشط فتذهب، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجُحْمِ سَعَرَتُ ﴾ قال

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) حكاه القرطبي في التذكرة .

⁽٣) أخرجه أحمد ورواه مسلم وأبو داود والترمذي بنحوه .

⁽٤) أخرجه أحمد والنساني .

⁽٥) أخرجه أحمد من حديث خنساء بنت معاوية الصريمية عن عمهــا قال ، قلت : يا رسول الله من في الجنة ؟ فقال الحديث.

⁽٦) هذا من مراسيل الحسن ومنهم من قبله .

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق والحافظ البزار بنحوه عن عمر بن الخطاب .

السدي: أحميت، وقال قتادة: أوقدت، قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَنّةُ أَزَلْفَتَ ﴾ قال الضحّاك: أي قربت إلى أهلها، وقوله تعالى: ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾، وقال تعالى: ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ . عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال عمر: لما بلغ علمت نفس ما أحضرت ﴾ قال: لهذا أجري الحديث .

فَلَا أَنْسِمُ بِالْخُنْسِ فَ الْجُوَارِ الْكُنْسِ فَ وَالَّبِلِ إِذَا عَسْعَسَ فَ وَالصَّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ فَ اللهُ لَفُولُ رَسُولِ كِرِمِ فَي ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينِ فَي مُطَاعِ ثُمَّ أُمِينِ فَي وَمَا صَاحِبُكُم إِنَّهُ وَلَقَدْرَءَاهُ بِالْأَفْقِ النَّهُ بِنِ وَمَا هُوَعَلَى الْفَيْسِ بِضَينِينِ فَي وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطُونِ رَّجِيمٍ فَي بِمَجْنُونِ فَي وَلَقَدْرَءَاهُ بِالْأَفْقِ النَّهُ مِن وَمَا هُوعَلَى الْفَيْسِ بِضَينِينِ فَي وَمَا هُو بِقَوْلِ شَيْطُونِ رَجِيمٍ فَي بِمَجْنُونِ فَي وَمَا نَشَاءَ وَنَ إِلَّا أَنْ يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءَ وَنَ إِلَا أَنْ يَشَاءَ مَن كُذَ أَنْ يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءَ وَنَ إِلَا أَنْ يَشَاءَ وَنَ إِلَا أَنْ يَشَاءَ مَن كُذَ أَنْ يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءَ وَنَ إِلَا أَنْ يَشَاءَ مَن كُونَ اللّهُ مُن اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ ا

﴿ فلا أقسم بالخنّس ، المجوار الكنّسي ﴾ قال على: هي النجوم نحنس بالنهار وتظهر بالليل . وروى ابن جرير عن حالد بن عرعرة سمعت علياً ، وسئل عن ﴿ لا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ﴾ فقال : هي النجوم تحنس بالنهار وتظهر بالليل أ ، وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن : أنها النجوم ، وقال بعض الأثمة : إنما قبل للنجوم الخنس ، أي في حال طلوعها ، ثم هي جوار في فلكها ، وفي حال غيبوبتها يقال لهما كنّس ، من قول العرب : أوى الظبي إلى كناسه ، إذا تغيب فيه ، وروى الأعمش عن عبدالله ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ قال : بقر الوحش اوقال ابن عباس ﴿ الجوار الكنس ﴾ البقر تكنس إلى الظل ، وقال العوفي عن ابن عباس : هي الظباء أو وقال أبو الشعثاء : هي الظباء والبقر ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله : ﴿ الخنس الجوار الكنس ﴾ هل هو النجوم أو الفلاء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مراداً ، وقوله تعالى : ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ فيه قولان (أحدهما) : إقباله بظلامه ، قال عجاهد : أظلم : وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ ، وقال الحسن البصري : إذا غشي الناس ، ﴿ والنافي) : إدباره ، قال ابن عباس : ﴿ إذا عسعس ﴾ إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك الناس ، ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ أي إذا أدبر ، قال :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسمسا

⁽١) أخرجه ابن جرير .

⁽٢) وكذا قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك .

أي أدبر ، وعندي أن المراد بقوله : ﴿ إذا عسعس ﴾ إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً ، لكن الإقبال ههنا أنسب ، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والضحى » والليل إذا سجى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والصبح وجعل الليل سكناً ﴾ وغير ذلك من الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ قال الضحّاك : إذا طلع ، وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل ، وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ ، وقال ابن جرير : يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبيّن .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولُ كُرِيمٍ ﴾ يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر ، وهو (جبريل) عليه الصلاة والسلام، ﴿ ذِي قَوةَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ علمه شديد القوى ه ذو مرة ﴾ أي شديد الخلق شديد البطش والفعل، ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ أي له مكانة عند الله عزٌّ وجلَّ ومنزلة رفيعة، ﴿ مطاع ثُمَّ ﴾ أي له وجاهة وهو مسموع القُول مطاع في الملأ الأعْلى، قال قتادة: ﴿ مطاع ثم ﴾ أي في السهاوات، يعني ليس هو من أفناد⁽⁾ الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرســـالة العظيمة، وقوله تعالى: ﴿ أُمين ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً، أن الرب عزَّ وجلَّ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكي عبده ورسوله البشري محمداً عَلَيْكَ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحْبُكُم بَمْجَنُونَ ﴾ قال الشعبي وميمون: المراد بقوله ﴿ وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني محمداً ﷺ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدَ رَآهُ بَالأَفْقَ المبينَ ﴾ يعني ولقد رأى محمد (جبريل)، الذِّي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّ وجلَّ، على الصورة التِّي خلقه الله عليها له ستمأثة جناح، ﴿ بِالأَفْقُ الْمِينَ ﴾ أي البين، وهي الرؤية الأولى كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿ علمه شديد القوى . ذُو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى﴾، والظاهر أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء، لأنه لم يذكر المنتهى ه عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ فتلك إنمــا ذكرت في سورة النجم، وقــد نزلت بعــد سورة الإسراء، وقوله تعالى: ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ أي بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضَّاد، أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة : (ظنين) و (ضنين) سواء، أي ما هو بفاجر ، و (الظنين) المتهم ، و (الضنين) البخيل، وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد، فما ضنَّ به على النــاس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، واختار ابن جرير قراءة الضاد . (قلت) : وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدُّم ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُو بِقُولُ شَيْطَانُ رَجِيمٍ ﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له ، كما قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين ه وما ينبغي لهم وما يستطيعون ه إنهم عن السمـــع لمعزولونكه . وقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَكُهُ ؟ فَأَيْنَ تَذْهَبُ عَقُولَكُمْ فِي تَكَذِّيبُكُم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه وبيان كونة حقــاً من عند الله عزُّ وجل ! كما قــال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الكذَّاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تــذهب عقولكم ؟ والله إن هــذا الكلام لم يخرج من إل » أي من إلّه، وقال قتادة: ﴿ فأين تذهبون ﴾ أي عن كتاب الله

⁽١) أفناد : جماعات .

وعن طاعته، وقوله تعالى: ﴿ إِن هُو إِلا ذَكُرُ لَلْعَالَمِينَ ﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون بــ ويتعظون ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي لمن أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ وما نشاءون إِلا أَن يشاء الله رب العالمين ﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم ، بــل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين، قال سفيان الثوري: لمــا نزلت هذه الآية: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما تشاءون إِلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

[آخر تفسير سورة التكوير ، ولله الحمد والمنة]





قد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: « من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشمس كورت ﴾ ، و ﴿ إِذَا السهاء انفطرت ﴾ ، و ﴿ إِذَا السهاء انشقت ﴾ » .

إِذَا السَّمَا ٤ انفَطَرَتْ ﴿ وَإِذَا الْكُواحِبُ انتَنَرَتْ ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿ وَإِذَا الْفَهُورُ الْقُهُورُ اللَّهُ الْفَهُورُ اللَّهُ الْفَهُورُ وَعَلَيْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَنَّرَتْ ﴿ يَكَأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِكَ الْكَرِيمِ ﴿ الَّذِى خَلَقَكَ فَعَدَلَكَ ﴿ وَيَكَ الْكَرِيمِ ﴿ اللَّذِى خَلَقَكَ فَعَدَلَكَ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ خَلَفِيلِنَ ﴾ فَسَوَّا فَي مُورَةً مَا شَاءً وَكَبَكَ ﴿ كَالَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ خَلَفِظِينَ ﴾ وَمَا مَا تَفْعَلُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللَّا الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللللَّا الللللَّالَةُ الللّ

يقول تعالى: ﴿ إِذَا السّاء انفطرت ﴾ أي أنشقت، كما قال تعالى: ﴿ السّاء منفطر به ﴾ ، ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي تساقطت، ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ قال ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض، وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها ، وقال الكلبي: ملئت . ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ قال ابن عباس: بحثت . وقال السدي: تبعثر – تحرك فيخرج من فيها ، ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ أي إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ ؟ هذا تهديد من الله للإنسان () والمعنى: ما غرك يا ابن آدم ﴿ بربك الكريم ﴾ أي العظيم، حتى أقدمت على معصيته ، وقابلته بما لا يليق ؟ كما جاء في الحديث: ﴿ يقول الله تعالى يوم القيامة : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ، ؟ وعن يحيى البكاء قال: سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال ابن عمر : غره والله جهله ، وقال قتادة : ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان ، وقال الفضل الكريم ﴾ قال ابن عمر : غره والله جهله ، وقال قتادة : ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان ، وقال الفضل

⁽١) الكلام تهديد كما قال ابن كثير ، وليس كما زعم بعضهم أنه إرشاد إلى الجواب حتى قالوا :

ابن عياض: لو قال لي: ما غرّك بي ؟ لقلت: ستورك المرخاة، وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم ؟ لقلت: غرني كرم الكريم، وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل، لأنه إنما أتى باسمه الكريم، لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، وقوله تعالى: ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ أي جعلك سوياً مستقياً معتدل القامة، منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال، روى الإمام أحمد عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله عربي يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه ثم قال: « قال الله عربو وجلّ : يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وثيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي: قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟ ٥١٠ .

وقوله تعالى: ﴿ فِي أَي صورة ما شاء ركبك ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم، أو خال أو عم، وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار ، وإن شاء في صورة خنزير ، وقال قتادة: قادر والله ربنا على ذلك ، ومعنى هذا القول عندهم أن الله عزّ وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح ، من المخوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه ، يخلقه على شكل حسن مستقيم ، معتدل تام حسن المنظر والهيئة . وقوله تعالى: ﴿ وَلَمُ عَلَى مُواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي ، تكذيب قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين ه كرامًا كاتبين ه يعلمون ما تفعلون ﴾ يمني وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً ، فلا تقابلوهم بالقبائح ، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله يَقَالِي : ﴿ إن الله ينها كم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فلي عرى في أول الصحيفة ، وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ، في أبى الصحيفة ، وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ، فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا: أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا: أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: هلك الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمِ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَعِيمٍ ﴿ يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَا يِهِينَ ﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسُ لِنَفْسٍ لِنَفْسٍ لِنَفْسٍ لَيْنَا أَوْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسُ لِنَفْسٍ لَيْنَا فَا لَا يَنْ اللَّهِ مِنْ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسُ لِنَفْسٍ لَيْنَا فَا لَا مُنْ يَوْمَهِا لِذَا لِللَّهِ ﴾ وَمُ الدِّينِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّ

⁽١) أخرجه أحمد وابن ماجة .

 ⁽٢) أخرجه الحافظ البزار عن أنس بن مالك مرفوعاً .
 (٣) أخرجه البزار أيضاً وفي سنده سلام المدائني لين الحديث .

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله عزَّ وجلَّ ولم يقابلوه بالمعاصي، ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أي يوم الحساب والجنزاء والقيامة، ﴿ وما هم عنها بغاثبين ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً، وقوله تعالى: ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ﴾ تعظيم لشأن يسوم القيامة، ثم أكده بقوله تعالى: ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وفي الحديث قال عليه السلام : « يا بني هاشم أنق فوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً »، ولهذا قال: ﴿ والأمر يومئذ لله كو والأمر والله اليوم لله لا ينازعه فيه يومئذ أحد .

[آخر تفسير سورة الإنفطار ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]





وَيْلٌ اِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُحْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنْ أَوْلَيْكِ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم النبي على المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى : فو ويل للمطفقين في فحسنوا الكيل بعد ذلك (()) وروى ابن جرير، عن عبد الله قال ، قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله تعالى : فو ويل للمطففين — حتى بلغ — يوم يقوم الناس لرب العالمين في () والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان ، إما بالازديد إن اقتضى من الناس، وإما النقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالوافي والزائد، فو إذا كتالوا على الناس، وإما النقصان أن يجعل لا كالوا ووزنوا الا متعدياً ويكون (هم) في محل كالوهم أو وزنوهم يخسرون فه أي ينقصون، والأحسن أن يجعل لا كالوا ووزنوا الا متعدياً ويكون (هم) في محل نصب: وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: فو وأوفوا الكيل إذا كلتم في، وقال تعالى: فو وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان في وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال، ثم قال تعالى متوعداً لهم: فو ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون به ليوم عظيم في ؟ أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضهائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع جليل المخطب، من خسر فيه أدخل والمين على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه، عن ابن عمر أن النبي علي قال : في يوم بقوم الناس لرب العالمين في أنصاف أذنيه عران ابن عمر أن النبي علي قال : في يوم بقوم الناس لرب العالمين في شحه إلى أنصاف أذنيه عران من مو ورواية لأحمد عن النبي علي قال :

⁽١) أحرجه النسائي وابن ماجة .

⁽۲) ریاه ابن جریر

⁽٣) أ. ورجه البخاري ومسلم والإمام مالك .

كُلَّا إِنَّ كِنَنْبَ الْفُجَّارِ لَنِي سِجِينِ ﴿ وَمَا أَدْرَنْكَ مَاسِجِينٌ ﴿ كِنَنْبٌ مَّرْقُومٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَ إِنْ اللَّمُكَذِّبِينَ ﴿ اللَّهِ يَنْ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ ۚ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِأُ ثِيمٍ ۞ إِذَا نُتْلَى عَلَيْهِ وَايَتُنَا قَالَ أُسَطِيرُ الْأُولِينَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَنْذَا الّذِي كُنتُم بِهِ ء تُكَذِّبُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَنْذَا الّذِي كُنتُم بِهِ ء تُكَذِّبُونَ ۞

يقول تعالى حقاً: ﴿إِن كتاب الفجار لني سجين﴾ أي ان مصيرهم ومأواهم ﴿ لني سجين﴾ فعيل من السجن، وهو الضيق كما يقال: ﴿ ما أدراك ما سجّين﴾ ؟ أي هو أمر عظيم، وسجين مقيم، وعذاب أليم، ثم قال قاثلون: هي تحت الأرض السابعة، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب يقول الله عزَّ وجلَّ في روح الكافر و اكتبوا كتابه في سجين »، وقيل: بئر في جهنم، والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين، كما قال تعالى: ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين » إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وقال ههنا: ﴿ كلا إن كتاب الفجار لني سجين وما أدراك ما سجين ﴾ وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ما أوعد، ثم قال تعالى: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من ولا ينقص منه أحد، ثم قال تعالى: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

السجن والعذاب المهين، ﴿ ويل ﴾ لهم والمراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان، ثم قال تعالى: مفسراً للمكذبين الفجّار الكفرة: ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ أي لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعلون أمره، نال الله تعالى: ﴿ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ﴾ أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام، والمجاوزة في تناول المباح، والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا تَتَلَى عَلَيْهُ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأُولِينَ ﴾ أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأواثل، كما قالَ تعالى: ﴿ وَإِذَا قَيْلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين﴾، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه َبكرة وأصيلاً ﴾ قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين: بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به، ما عليها من الرين الذي قاء لبس قلوبهم، من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَكْسَبُونَ ﴾ والرين يعتري قلوب الكافربن، والغَيْن للمقربين، وقــد روى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إِن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »^(١) ولفظ النسائي: « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ ٣٠. وقال الحسن البصري: هو الذنب حتى يعمى القلب فيموت٣٠، وقولـــه تعالى: ﴿ كَلَّا إِنْهُمْ عَنْ رَبُّهُمْ يُومَنَّذُ نَحْجُوبُونَ ﴾ أي ثم هم يوم القيامة محجَّوبُون عن رؤية ربهم وخالقهم، قــال الإمام الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزُّ وجلُّ يومئذ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ وَجِوه يومنذ ناضرة إلى ربَّها ناظرة ﴾، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة، في رؤية المؤمنين ربهم عزَّ وجلَّ في الدار الآخرة، قال الحسن: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غــدوة وعشية، وقوله تعالى: ﴿ ثُمْ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحْيَمُ ﴾ أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران، ﴿ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك، على وجه التقريع والتوبيخ ، والتصغير والتحقير .

كُلَّ إِنَّ كِنَنْبَ الْأَبْرَادِ لَنِي عِلِيِّينَ ﴿ وَمَا أَدْرَنْكَ مَا عِلَيْونَ ﴿ كِنَنْبُ مَّرَفُومٌ ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ إِنَّا لَأَبْرَادَ لَنِي نَعِيمٍ ﴿ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَسْظُرُونَ ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِمِ مَنَظْرَةَ النَّعِيمِ ﴿ يُسْقَوْنَ مِن اللَّهُ الْمُقَرَّةُ وَفِي اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِلَّةُ اللْمُولِي اللْمُ اللَ

⁽١) أخرجه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

 ⁽۲) هذا لفظ النسائي وقـــد رواه أحمد بنحوه .
 (۳) وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد .

يقول تعالى : حقاً إن كتاب الإبرار – وهم بخلاف الفجار – ﴿ لَيْ عَلَيْنَ ﴾ أي مصيرهم إلى عليين وهــو بخلاف سجين، روى الأعمش عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عبَّاس كعباً – وأنا حاضر – عن سجين ؟ قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عليين ؟ فقال: هي السياء السابعة وفيهــا أرواح المؤمنين^(١)، وقال ابن عباس: ﴿ لَنِّي عَلَيْنِ ﴾ يعني الجنة، وفي رواية عنه: أعمالهم في السهاء عند الله، وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمني ، وقال غيره : عليون عند سدرة المنتهي ، والظـاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلمــا علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ﴾ ؟ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿ كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ وهم الملائكة قاله قتادة، وقال ابن عباس: يشهده من كل سماء مقربوها، ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارِ لَنِي نَعْيَمُ ﴾ أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم ﴿ على الأراثك ﴾ وهي السرر تحت الحجال ﴿ ينظرون ﴾ قيل: معناه ينظرون في ملكهم، وما أعطاهم الله من الخير ، والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، وقيل: معناه ﴿ على الأراثك ينظرون ﴾ إلى الله عزُّ وجلُّ، كما تُقدم في حديث ابن عمر : ١ إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألني سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عزَّ وجلَّ في اليوم مرتين 🛭 . وقوله تعالى: ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم ﴿ نَصْرَةَ النَّعِيمُ ﴾ أي صفة التراقة والسرور ، والدعة والرياسة، مما هم فيه من النعيم العظيم. وقوله تعالى: ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ أي يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر ™، وفي الحديث: « أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظماٍ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤَمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة ٣٠، وقال ابن مسعُّود َفي قوله: ﴿ ختامه مسك ﴾ أي خلطه مسك، وقال ابن عباس: طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك، وقال الحسن: عاقبته مسك، وقال ابن جرير، عن أبي الدرداء: ﴿ حتامه مسك ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها(⁶⁾ ، وقال مجاهد: ﴿ ختامه مسك ﴾ طيبه مسك، وقوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَلَكَ فَلِيَتُسَافَسَ المتنافسون﴾ أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون، وليتباهى وليستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون﴾، وقوله تعالى: ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ أي مزاج هـــذا الرحيق الموصوف ﴿ من تسنيم ﴾ أي من شراب يقال له تسنيم، وهُو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، ولهذا قال: ﴿ عيناً يشرب بها المقربون﴾ أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً ﴿ ﴿

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ َّامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا

⁽١) وهكذا قال غير واحد من السلف أنها السهاء السابعة .

⁽٢) وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة .

⁽٣) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

⁽٤) أخرجه ابن جرير .

⁽٥) قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم .

اَنقَلَبُوٓ اللَّهُ أَهْلِهِمُ اَنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿ وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَنَوُلاَ وَلَضَالُونَ ﴿ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَنْفِظِينَ ﴾ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنظُرُونَ ﴿ هَـَلْ حَنْفِظِينَ ﴾ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنظُرُونَ ﴾ هَـلْ وُعِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنظُرُونَ ﴾ هَـلْ وُعِنِ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنظُرُونَ ﴾ هَـلْ وُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين، أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم فو وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين إي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين، أي مهما طلبوا وجلوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسلونهم فو وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون أي لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: فو وما أرسلوا عليهم حافظين أي وما بعث هؤلاء المجرمون، حافظين على هؤلاء المؤمنين، ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعنهم ؟ كما قال المؤمنين، ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعنهم ؟ كما قال تعالى: فو إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون كه، ولهذا قال ههنا: فو فاليوم كه يعني يوم القيامة فو الذين آمنوا مس الكفار بضحكون كه أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك فو على الأرائك ينظرون كه أي إلى الله عز وجل ، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته، وقوله تعالى: فو هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون كه ؟ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون كه ؟ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين، من الاستهزاء والسخرية أم لا ؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

[آخر تفسير سورة المطففين ، ولله الحمد والمنة]



روى البخاري، عن أبي رافع قال: «صلَّيتُ مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءَ انشقت ﴾ فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ه(١٠).

يقول تعالى: ﴿ إِذَا السّمَاء انشقت ﴾ وذلك يوم القيامة ، ﴿ وأذنت لرّبها ﴾ أي استمعت لرّبها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿ وحُقَّتْ ﴾ أي وحق لها أن تطبع أمره ، لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء " ثم قال: ﴿ وإِذَا الأرض مدَّت ﴾ أي بسطت وفرشت ووسعت، وفي الحديث اإذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم ، حتى لا يكون لبشر من النساس إلا موضع قدميه ه ألى وقوله تعالى: ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم ، ﴿ وأذنت لرّبها وحقت ﴾ كما تقدم، وقوله: ﴿ يا أيّها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ أي إنك ساع إلى ربك صعياً وعامل عملاً ﴿ فلاقيه ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، عن جابر قال ، قال رسول الله

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

⁽٣) أخرجه ابن جرير عن علي بن الحسين مرفوعاً .

عَلَيْكُمْ: « قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه 🕅 ، ومن النــاس من يعيد الضمير على قوله ﴿ ربك ﴾ أي فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، قال ابن عباس: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً، وقال قتادة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله: ثم قال تعالى: ﴿ فَأَمَا مِنْ أُوتِي كُتَابِهِ بِيمِينَهِ فَسُوفَ يَحَاسَبُ حَسَابًا يَسْيَراً ﴾ أي سهلاً بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقــاثق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة، روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: 1 من نوقش الحساب عذب 1، قالت، فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿ فَسُوفَ يحاسب حساباً يسيراً ﴾، قال: « ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القياسة عذب ٣٠ . وروى ابن جرير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت؛ قال رسول الله عَلِيْكُ : « إنه ليس أحـــد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً »، فقلت: أليس الله يقول ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ ؟ قال: « ذاك العرض، إنه من نوقش الحساب عذب ،، وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت (٢٠). وفي رواية عن عائشة قالت : ٥ من نوقش الحساب – أو من حوسب – عذب، ثم قالت: إنمــا الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم »®. وقوله تعالى: ﴿ وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ أي ويرجع إلى أهله في الجنة ﴿ مسروراً ﴾ أي فرحاً مغتبطاً بمــا أعطاه الله عزَّ وجلَّ، وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إن أهله فسرورأو مكظوم 🕪 . وقوله تعالى: ﴿ وأما من أونِّي كتابه وراء ظهره ﴾ أي بشهاله من وراء ظهره تثنى يده إلى وراثه، ويعطى كتابه بها كذلك ﴿ فسوف يدعو ثبوراً ﴾ أي خساراً وهلاكاً ﴿ ويصلى سعبراً ؞ إنه كان في أهله مسروراً ﴾ أي فرحاً لا يفكر في العواقب، ولا يخاف بما أمامه فأعقبه ذلك الفرح البسير الحزن الطويل، ﴿ إنه ظنَّ ان لن يحور ﴾ أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قال ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحَوْر هو الرجوع، قال الله: ﴿ بلى إن ربه كان به بصيراً ﴾ يعني بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه ﴿ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ أي علماً خبيراً .

فَلاَ أَفْهِمُ بِالشَّفَقِ ﴿ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَالْفَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۞ لَتَرْكُبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۞ فَكَ لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْفُرَّءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۞ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ

وَ فَبَيْرُهُم بِعَدَابٍ أَلِيمٍ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَمُمْ أَجْرُ عَيْرُ مَمْنُونِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَالَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا أَجْرُ عَيْرُ مَمْنُونِ ﴿ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عِلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَه

⁽١) أخرجه أبو داود الطيالسي .

⁽٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

 ⁽٣) أخرجه الشيخان وابن جرير .

⁽٤) رواه ابن جرير .

⁽٥) أخرجه الطبراتي .

قال على وابن عباس: ﴿ الشفق ﴾ الحمرة ، وقال عبدالرزاق ، عن أبي هريرة : ﴿ الشفق ﴾ البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق ، إما قبل طلوع الشمس ، كما قاله مجاهد ، وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة ، قال الخليل : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فإذا ذهب قيل : غاب الشفق ، وفي الحديث : وقت المغرب ما لم يغب الشفق » (أ) ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية : ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ هو النهار كله ، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى : ﴿ والليل وما وسق ﴾ أي جمع ، كأنه أقسم بالضياء والظلام ، قال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً ، وقال آخرون : الشفق اسم للحمرة والبياض ، وهو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد : ﴿ وما وسق ﴾ وما جمع ، قال قتادة : وما جمع من نجم ودابة ، وقال ابن عباس الله ذهب كل شيء إلى مأواه ، وقوله تعالى : ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ قال ابن عباس : إذا اجتمع وامتلاً ، وقال قتادة : إذا استدار ، ومعنى كلامهم إنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق .

وقوله تعالى: ﴿ لَتَرَكَبُنَ طَبْقاً عَنْ طَبْقَ ﴾ قال البخاري، قال ابن عباس : ﴿ لَتَرَكَبُنَ طَبْقاً عن طبق ﴾ حــالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ "، وقال الشعبي ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: لتركبنّ يا محمد سماء بعـــد سماء، يعني ليلة الإسراء، وقيل: ﴿ طبقاً عن طبق﴾ منزلاً على منزل، ويقال: أمراً بعد أمر، وحالاً بعد حال ٣٠ " وقال السدي: ﴿ لِتَرَكِبُنَ طَبْقًا عَنَ طَبْقَ ﴾ أعمال من قبلكم منزلًا بعد منزل، وكأنه أراد معنى الحديث الصحيح: « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ،، قالوا: يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال: « فَمَن ؟ » . وقال ابن مسعود: ﴿ طَبْقاً عَنْ طَبْقَ ﴾ السهاء مرة كالدهان، ومرة تنشق، وقال سعيد بن جبير ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: قوم كانوا في الدنيا خسيسٌ أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وقال عكرمة: ﴿ طَبْقاً عَنْ طَبْقٌ ﴾ حالًا بعد حال فطيمًا بعدما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً، وقال الحسن البصري: ﴿ طَبْقاً عن طبق﴾ يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة . ثم قال ابن جرير : والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك – وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله يُؤلِّقُهُ – جميع الناس، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالًا، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَمُ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قَرَىٰ عَلَيْهِمَ القَرَآنَ لَا يُسْجِدُونَ ﴾ أي فاذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا ؟ وقوله تعالى: ﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكَذَبُونَ ﴾ أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق، ﴿ والله أعلِم بمــا يوعون ﴾ قال مجاهد وقتادة : يكتمون في صدورهم ، ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ أي فأحبرهم يا محمد بأن الله عزَّ وجلَّ

⁽١) أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو .

⁽٢) أخرجه البخاري .

⁽٣) هي رواية العوفي عن ابن عباس .

قد أعد الم عذاباً ألياً، وقوله تعالى: ﴿ إِلاَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي بجوارحهم ﴿ لهم أجر ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿ غير ممنون ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص، وقال مجاهد: غير محسوب، وحاصل قولهما: أنه غير مقطوع، كما قال تعالى: ﴿ عطاء غير مجنوذ ﴾ ، وقال السدي: قال بعضهم: غير ممنون : غير منقوص، وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول قد أنكره غير واحد، فإن الله عزَّ وجلَّ له المنة على أهل الجنة، في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائماً سرمداً ، والحمد لله وحده أبداً .

[آخر تفسير سورة الإنشقاق ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]





روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسهاء ذات البروج = والسهاء والطارق .

وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿ وَالْبَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿ فَتِسَلَ أَصَّلُ الْأَخْدُودِ ﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿ وَهَا مَقَدُ اللَّهُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِاللَّمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ النَّالَ فَا يَعْدُونَ بِاللَّهُ عَلَى عَلَى مَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ اللَّهُ السَّمَوْتِ وَاللَّرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنَ وَشَهِيدً ﴾ إلا أن يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْمَوْرِيزِ الْمَحْمِيدِ ﴿ اللَّهِ مَلْكُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنَ وَشَهِيدً ﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَنَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَرْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَكُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ

يقسم تعالى بالسباء وبروجها وهي النجوم العظام، قال ابن عباس: البروج النجوم، وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السباء، وقال المنهال بن عمرو: ﴿ والسباء ذات البروج ﴾ الخلق الحسن، واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين، وقوله تعالى: ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾ اختلف المفسرون في ذلك فروي عن أبي هريرة مرفوعاً ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة، ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال: ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة أن والموم المعالمة والميهود والمشهود ومن المنهود والمشهود والمشهود ومن المناهد يوم المنهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة ألى ومن سعيد بن المسيب أنه قال، قال رسول الله على المنهود يوم المنهود يوم عرفة ، وروى ابن جرير عن ابن عباس قال:

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ، والأشبه أنه موقوف على أبي هريرة .

⁽٢) أخرجه أحمد .

⁽٣) هذا من مراسيل سعيد بن المسيب.

الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة . ثم قرأ : ﴿ ذلك يوم مجموع له النــاس وذلك يوم مشهود﴾ ١٠. وسأل رجل الحسن بن علي عن ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ فقال: سألت أحداً قبلي ؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالاً: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ، ثم قرأ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَنْنَا مَن كُل أمة بشهيد وجئناً بك على هؤلاء شهيداً ﴾ والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ : ﴿ ذَلَكَ يُومُ مَجْمُوعُ لَهُ الناس وذلك يسوم مشهود ﴾ وهكذا قال الحسن البصري، وقال مجاهد والضحّاك: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة؛ وعن عكرمة: الشاهد محمد ﷺ ، والمشهود يوم الجمعة، وقال ابن عباس: الشاهد الله ، والمشهود يوم القيامة، وقال ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ وشاهد ومشهود﴾ قال: الشاهد الإنسان، والمشهود يوم الجمعة^{٣٠} ، وقال ابن جرير ، عن ابن عباس: ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم القيامة، قال ابن جرير : وقال آخروم: ﴿ المشهود ﴾ يوم الجمعة، لحديث أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ أَكْثَرُوا مَن الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة »(⁽¹⁾ ، وعن سعيد بن جبير : الشاهد الله، وتلا:﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ والمشهود نحن 🅯 ، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

وقوله تعالى: ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ أي لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عملوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عزِّ وجلَّ فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لهــا وقوداً يسعرونها به، ثم أراديهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَحْدُودُ النَّارُ ذَاتُ الوقودُ مَ إِذَ هُم عليها قدودٌ « وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودكه أي مشاهلون لمــا يفعل بأولئك المؤمنين ، قال الله تعالى: ﴿ وما نقموا منهم إلا أنْ يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله ﴿ العزيز ﴾ الــذي لا يضام من لاذ بجنابه، ﴿ الحميد﴾ في جميع أقواله وأقعاله ٰوشرعه ٰوقدره، ثم قال تعالى: ﴿ الذي ْله ملـك السهاوات والأرض ﴾ من تمَّام الصفة أنه المالك لجميع السهاوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿ والله على كل شيء شهيدكه أي لا يغيب عنه شيء في جميع السهاوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، وقـــد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ? فعن علي أنهم أهل فارس، حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعن ابن عباس قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء ، فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه، وقيل غير دلك .

وقد روى الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلي عن صهيب الرومي أن رسول الله عَلِيُّكُ قال: ٥ كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قــال

⁽١) أخرجه ابن جرير .

⁽٤) أخرجه ابن جرير . (٢) أخرجه ابن جرير أيضاً .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٥) حكاه البغوي .

للملك : إني قـــد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وَكَانَ بِينَ السَّاحِرَ وَبِينَ الملكُ رَاهِبِ، فَأَتَى الغَلامِ عَلَى الرَّاهِبِ، فسمع من كلاَّمه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك ؟ وإذا أتى أهلمه ضربوه، وقالوا ما حبسك ؟ فشكما ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر، قال: فبينها هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قــد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ؟ قال، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز النــاس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمــه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس، فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشني أحدًا، إنمـا يشني الله عزَّ وجلَّ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال: ربي ؟ فقال: أنا ! قال: لا ، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري ؟ قال: نعم، ربي وربك الله ، فلم يزل يعذب حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبريُّ الأُكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشني أحداً إنحـا يشني الله عزَّ وجلَّ . قال: أنا ؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري ؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتىٰ وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضَع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بمــا شثت، فرجف بهم الجبل، فدهدهوا أجمعون، وجـاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث بــه مع نفر في قرقور، فقال: إذا لجحتم بــه البحر، فإن رجع عن دينـــه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا بــه البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بمــا شئت فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو، قال: تجمع النــاس في صِعيد واحــد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسة، ثم رماه وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك ؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق٣٠٠.

⁽١) أخرجه احمد ورواه مسلم والنسائي بتحوه .

وروى ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنّس في قوله تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في رمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر، وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبلوا الأوثان التي اتخفوا وأنهم أبوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبلوا هدفه الآلهة التي عبلت فإني قاتلكم، فأبوا عليه، فخد أخلوداً من نار، وقال لهم الجبار بعد أن وقفهم عليها، اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية، ففزعت الذرية، فقالوا لهم – أي آباؤهم : لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقيضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بها، فني ذلك أنزل الله عز وجل : ﴿ قتل أن يترمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السهاوات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ "، وقوله تعالى: إلا أن يترمنوا بالله الغرنيز الحميد ، الذي له ملك السهاوات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ "، وقوله تعالى: ويتلموا على ما أسلفوا ﴿ فلهم عذاب جهنم ولم عذاب الحريق ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن ويتلموا على ما أسلفوا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

إِنَّ الَّذِينَ عَامِنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَا لُو ذَاكَ الْفَوْدُ الْكَبِيرُ ﴿ إِنَّ الْمُعْرِيلُ الْمَالِكُ الْفَوْدُ الْمَالِكُ الْفَوْدُ الْمَالِكُ الْمُوعِيدُ ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿ ذُو الْعَرْضِ الْمَجِيدُ ﴾ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدُ ﴿ وَهُو الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿ وَهُ وَالْعَرْضِ الْمَجِيدُ ﴾ فَعَالًا لِيمَا لَذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكَذِيبٍ فَعَالًا لِيمَا يُرِيدُ ﴿ فَي مَلْ اللَّهِ مِن وَرَآ يَهِم عُجِيطُ ﴿ فَي بَلْ هُو قُرْءَانٌ عَجِيدٌ ﴿ فِي لَوْجٍ عَنْهُ وَلِمْ ﴿ فَي اللَّهِ مِنْ وَرَآ يَهِم عُجِيطُ ﴿ فَي بَلْهُ وَقُرْءَانٌ عَجِيدٌ ﴿ فِي لَوْجٍ عَنْهُ وَلِمْ إِنَّ

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لهم جنات بجري من تحتها الأنهار ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه، الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، ولهذا قال تعالى: ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ أي من قوته وقدرته التامة، يبدئ الخلق ويعيده، كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، و ﴿ الودود ﴾ قال ابن عباس: هو الحبيب ﴿ ذو العرش ﴾ أي صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق. و ﴿ المجيد ﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه صفة للرب عر وجل ، والجر على أنه صفة للمرش، وكلاهما معنى صحيح، ﴿ فعال لما يريد ﴾ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكه، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وعدله، كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب،

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم ، وروى محمد بن اسحاق قصة أصحاب الأخدود بسياق آخر وأنها كانت مع عبدالله بن التــــامر وأصحابه المؤمنين في نجران ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة البروج ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجه البغوي .

⁽¹⁾ أخرجه الطبراني .



روى النسائي عن جابر بن عبدالله قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي عَلَيْكُم: وأفتان أنت يا معاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالبياء والطارق، والشمس وضحاها ونحوها ؟ ٧٥٠ .

وَالسَّمَآءَ وَالطَّارِقِ ﴿ وَمَآ أَدْرَنْكَ مَا الطَّارِقُ ﴿ النَّامِمُ النَّاقِبُ ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسِ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظُ ۞ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مِّآءِ دَافِقِ ۞ يَغْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآبِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ عَلَى مَعْدُ ﴿ مِنْ الصَّلْبِ وَالتَّرَآبِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ عَلَى السَّرَ الْمَ السَّرَآبُ ۞ فَا لَهُ مِن قُوْ وَلَا نَاصِرٍ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآبُ ۞ فَا لَهُ مِن قُوْ وَلَا نَاصِرٍ ۞

يقسم تبارك وتعالى بالسياء، وما جلل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ والسياء والطارق ﴾ ، قال : ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ ، ثم أسره بقوله: ﴿ النجم الثاقب ﴾ . قال تتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختني بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث: ﴿ إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ الثاقب ﴾ قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُل نفس لما عليها حافظ ها أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى: ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلقه يحفظونه من أمر الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قلد على البداءة ، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ، ولهذا قال: ﴿ غيرج من بين الصلب والتراثب ﴾ يعني صلب الرجل وتراثب المرأة وهو (صدرها) ، وقال ابن عباس: صلب الرجل وتراثب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلامنهما، وعنه قال: هذه الله عبا هذه الحاد الله عباس عباس: صلب الرجل وتراثب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلامنهما، وعنه قال: هذه

⁽١) أخرجه النسائي .

الترائب ووضع يده على صدره، وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر، وعنه أيضاً: التراثب أسفل من الترائي، وقال الثوري: فوق الثديين، وقال قتادة: ﴿ يَخْرِج من بين الصلب والترائب ﴾ من بين صلبه ونحره، وقوله تعالى: ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ فيه قولان: (أحدهما): على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما. (الثاني): إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر، قال الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى: ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً، وقوله تعالى: ﴿ قاله ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿ من قوة ﴾ أي في نفسه، ﴿ ولا ناصر ﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلُ ۞ وَمَا هُوَ بِالْمُزَّلِ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَهِلِ الْكَنْفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۞

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ إنه لقول فصل ﴾ قال ابن عباس: حتى، وقال غيره: حكم عدل، ﴿ وما هو بالهزل ﴾ أي بل هو جدحق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به، ويصدون عن سبيله فقال: ﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾ أي يمكرون بالناس، في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى: ﴿ فهل الكافرين ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿ أمهلهم رويداً ﴾ أي قليلاً وسترى ماذا أحل بهم ، من العذاب والنكال، والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿ نمتمهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

[آخر تفسير سورة الطارق ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) وهو قول ابن جرير وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغيرهم .



ووى البخاري، عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي عليه مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي عليه في المرأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله على قد جاء حتى قرأت: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ في سور مثلها (). وروى مسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن النبي عليه كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما ()، وقد روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله عليه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، زادت عائشة: والمعوذتين () .

سَبِّحِ اللهَ رَبِّكَ الْأُعْلَى إِللَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ﴿ وَالَّذِي قَدَدَ فَهَدَى ﴿ وَالَّذِي وَالَّذِي الْمَرْعَىٰ ﴿ وَالَّذِي الْمَاشَاءَ اللهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلُمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿ وَالْمَاشَاءَ اللهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلُمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿ وَالْمَيْسُرُكَ اللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

عن ابن عباس : أن رسول الله عَلَيْهِ كان إذا قرأ : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قــال : ﴿ سبحان ربي الأعلى ﴿ وقوله الله عالى : ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ أي خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات، وقوله تعالى : ﴿ والذي قــدُ وهدى الأنعام لمراتعها، وهـــذه

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه .

⁽۲) أخرجه مسلم وأهل السنن .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٤) أخرجه أحمد وأبو داود .

الآية كقوله تعالى ﴿ وقال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ أي قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم : « إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السهاوات والأرض بخمسين ألف سنة وكـــان عرشه على الماء 🕪 . وقوله تعالى: ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع، ﴿ فجعله غثاء أحوى ﴾ قال ابن عباس: هشيمًا متغيرًا، وقوله تعالى: ﴿ سنقرئك ﴾ أي يا محمد ﴿ فلا تنسى ﴾ وهذا إخبار من الله تعالَى ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله، وقُوله تعالى: ﴿ إِنَّه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ أي يعلم ما يجهر بــه العباد، وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وقوله تعالى : ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير ، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً ، لا اعوجاج فيــه ولا حرج ولا عسر ، وقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّر إِنْ نَفْعَتَ الذَّكُرَى ﴾ أي ذكّر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله ؟ وقوله تعالى: ﴿ سيذكّر مَن يَحْشَى ﴾ أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ﴿ ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى • ثم لا يموت فيها ولا يحيى، ﴾ أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حيــاة تنفعه بل هي مضرة عليه، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العــذاب وأنواع النكال: عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلهــا فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النـــار بذنوبهم – أو قال بخطاياهم – فيميتهم إماتة حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ™، ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قــال إنكم ماكثون ﴾، وقال تعالى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى .

قَدْ أَفَلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اللَّمَ رَبِّهِ ۦ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ۞ وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ ۞ إِنَّ هَنذَا لَنِي الصَّحْفِ الْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَهِمِ عَرُوسَىٰ ۞

يقول تعالى: ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، واتبع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرع الله، روي عن جابر بن عبدالله يرفعه ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾قال : مـن شهد أن لا إلّه إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ قال: ﴿ هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها ﴿ أَنَّ عَبْلُ الله عَبْد العزيز أنَّه قال ابن عباس إن المراد بـذلك الصلوات الخمس ، واختاره ابن جرير ، وعن عمر بن عبد العزيز أنه

⁽١) أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه أحمد ومسلم .

⁽٣) أخرجه الحافظ البزار .

كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية: ﴿ قد أُفلح من تزكى ـ وذكر اسم ربه فصلي ﴾ ، وقال قتادة في هذه الآية: ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى ﴾ زكى ماله وأرضى خالقه، ثم قال تعالى : ﴿ بِل تَؤْثُرُونَ الحِياةَ الدُّنيا ﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدُّونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم، ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة، خير من الدنيا وأبقىٰ، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفني على ما يبقى، ويهتم بمــا يزول عنه قريباً ويترك الاهتهام بدار البقاء والخلد ؟ وقد قال رسول الله عَلَيْظُ : « الدنيا دار من لا دار له، ومأل من لا مال له، ولهــا يجمع من لا عقل له »(١) عن عرفجة الثقني قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ فلما بلغ ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ ترك القراءة وأقبَّل على أصحابه وقال: آثرنا الدنياً على الآخرة، فسكت القوم، فقاَّل: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم، وفي الحديث: ﴿ مَن أَحِب دنياه أَضِر بآخرته، ومن أَحِب آخرته أَضِر بدنياه فآثروا ما يبقى على مــا يفنى »^{٣٥} ، وقوله تعالى: ﴿ إِن هذا لفي الصحف الأولى « صحف إبراهيم وموسى ﴾ كقوله في سورة النجم: ﴿ أم لم ينبأ بمــا في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ء ألا تزر وازرة وزر أُخْرَى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعَّى ، وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى ﴾ الآيات إلى آخرهن؛ وهكذا قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَذَا لَنِي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ﴾ يقول : الآيات التي في ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾، وقــال أبو العالية: قصة هــذه السورة في الصحف الأولى، واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿ إِنّ هذا ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿ قد أفلح من تزكى ه وذكر اسم ربه فصلى • بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ إِن هذا ﴾ أي مضمون هذا الكلام ﴿ لَنِي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى ﴾ وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة سبح ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

⁽١) أخرجه أحمد عن عائشة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه أحمد عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً .



هَلْ أَتَلَكَ حَدِيثُ ٱلْغَشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَهِدٍ خَشِعَةً ۞ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيةً عَانِيةٍ ۞ لَيْسَ لَمُمْ طَعَامً إِلَّامِن ضَرِيعٍ ۞ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُـوعٍ ۞

الغاشية من أسماء يوم القيامة، لأنها تغشى الناس وتعمهم، روي عن عمرو بن ميمون أنه قال: مرّ النبي عليه على امرأة تقرأ: ﴿ علم أنه على المرأة تقرأ: ﴿ علم قد جاءني » . وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ أي ذليلة ، وقال ابن عباس : تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى : ﴿ عاملة ناصبة ﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة ناراً حامية ، عن ابي عمران الجوني قال : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب ، قال ، فناداه : يا راهب ، فأشرف ، قال ، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ عاملة ناصبة و الدنيا بالمعاصي ، فذاك الذي أبكاني ، قال ابن عباس : ﴿ عاملة ناراً حامية ﴾ أي حارة شديدة الحر ، ﴿ تسلى ناراً حامية ﴾ أي قال ابن عباس : ﴿ تسلى ناراً حامية ﴾ أي حارة شديدة الحر ، ﴿ تسلى من النار ، وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم ، وعنه أنها الحجارة ، وقال البخاري ، قال مجاهد : الضريع نبت يقال له من النار ، وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم ، وعنه أنها الحجارة ، وقال البخاري ، قال معام إلا من ضريع ﴾ من النار ، وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم ، وعنه أنها الحجارة ، وقال البخاري ، قال مجاهد : الضريع نبت يقال له شر الطعام وأبشعه وأخبثه ، وقوله تعالى : ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

⁽١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن .

وُجُوهٌ يَوْمَهِ إِنَّا عِمَةٌ ١ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاخِيَةً ١ فِيهَا عَيْنٌ

جَارِيَةٌ ﴿ إِنَّ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿ وَأَكُواَبٌ مَّوضُوعَةٌ ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿ وَزَرَانِي مَبْثُوثَةً ﴾

لا ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿ وجوه يومئذ ﴾ أي يوم القيامة، ﴿ ناعمة ﴾ أي يعرف النعيم فيا، وإنما حصل لها ذلك بسعيها، ﴿ لسعيها واضية ﴾ قد رضيت عملها، وقوله تعالى: ﴿ وَ بَنَهُ عَالِمَة ﴾ أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون، ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو، كما قال تعالى: أو لا يسمعون فيها لغنواً إلا سلاماً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ ، ﴿ فيها عين جارية ﴾ أي سارحة وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات، وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله يَعْلِينًا: « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال — أو من تحت جبال — المسك » أن ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ أي عالية ناعمة ، كثيرة الهرش مرتفعة السمك ، عليها الحور العين، فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له ، ﴿ وأكواب موضوعة ﴾ يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها، ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ قال ابن عباس: النهارق الوسائد ونمارق مصفوفة ﴾ قال ابن عباس: النهارق أراد الجلوس عليها، عن أسامة بن زيد قال، قال رسول الله عليها عن مشمر للجنة فإن الجنة لاخطر أراد الجلوس عليها، عن أسامة بن زيد قال، قال رسول الله عيولية ونعمة ، في محلة عالية بهية ! » ، قالوا: طحل تثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ! » ، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمون لها، قال: « قولوا: إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، في محلة عالية بهية ! » ، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمون لها، قال: « قولوا: إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، في محلة عالية بهية ! » ، قالوا:

أَفَهُ: يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتَ ﴿ وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى اَلِمِحْتُ فُ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿ فَذَكِرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلّا مَن تَوكَى وَكَفَرَرِ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللّهُ ٱلْفَدَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَاۤ إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِمَابَهُمْ ۞

ينول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ ؟ فإنها خلن عجيب وتركيبها غريب، فإنهما في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرهما ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السهاء كيف رفعت! أي كيف رفعها الله عزَّ وجلَّ عن الأرض هذا الرفع العظيم، كما قال تعالى: ﴿ أفلم ينظروا إلى السهاء فوقهم كيف بنيناهما وزيناها وما لهما من فروج ﴾ ، ﴿ وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تحيد الأرض بأهلها « وجعل

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) وكذا قال عكرمة وقتادة والضحّاك والسدي وغيرهم .

⁽٣) أخرجه ابن ماجة .

فيها ما جعل من المنافع والمعادن ، فؤوإلى الأرض كيف سطحت كه ! أي كيف بسطت ومدت ومهدت ، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسهاء التي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه ، والأرض التي تحته ، على قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف ، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه ، ، عن أنس قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله على عن كل شيء ، فكان يعجبنا أن أن يجيء الرجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنا أتانا رسولك ، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال: فرصدق » قال: فن خلق السهاء ؟ قال: « الله » قال: فن خلق الأرض ؟ قال: « الله » ، قال: والله أرسلك ؟ قال: « نعم » . قال: « الله » ، قال: والذي خمس خلق السهاء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال: « نعم » . قال: « نعم » ، قال: « نعم » ، قال: « وعمل وسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال: « صدق » ، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال: « نعم » ، قال: « فقال نها : « وحدق به نها الذي يكي الله أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ؟ قال: « صدق » ، قال: ثم ولى ، فقال : « قال: ثم ولى ، فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد علين شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً ، فقال الذي يكي الن صدق ليدخلن الجنة » " .

وقوله تعالى: ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ﴾ أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ ، ولهذا قال: ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : لست عليهم بمبيطر ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : لست عليهم بمبيار ، أي لست محلق الإيمان ، عن لست عليهم بمبيار ، أي لست محلق الإيمان ، عن العبار قال ، قال رسول الله يَوَلِيهُ : ﴿ أَمْرِتُ أَنْ أَقَالُ النَّاسِ حتى يقولوا: لا إلّه إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ ، ثم قراً : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ﴾ " . وقوله تعالى : ﴿ إلا من تولى وكفر ﴾ أي تولى عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ فلا صدَّى ولا صلَّى ، ولكن كلَّب وتولى ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فيعذّبه الله العذاب الأكبر ﴾ ، روى الإمام أحمد : أن أبا أمامة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية ، فسأله عن آلين كلمة سمعها من رسول الله يَؤلِيهُ ، فقال : سمعت رسول الله يَؤلِيهُ ، فقال : سمعت رسول الله يَؤلِيهُ ، فقال : سمعت رسول الله يَؤلِيهُ يقول : « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير عن أهله هنه . وقوله تعالى : ﴿ إلى النا إبابهم ﴾ أي مرجعهم ومنقلبهم ، ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ .

[آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن والإمام أحمد ، وجاء في بعض الروايات : « وأنا ضهام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر » .

⁽٢) أخرجه أحمد ورواه مسلم والنساني والترمذي .

⁽٣) تفرد بإخراجه الإمام أحمد .



وَالْفَجْرِ ۚ وَلَيَالِ عَشْرِ ۚ وَالشَّفْعِ وَالْوَثْرِ ۚ وَاللَّهِ إِذَا يَشْرِ ۚ هَلَ فِي ذَالِكَ قَسَمٌ لِذِى جِبْرٍ ۚ وَالْفَجْرِ ۚ وَاللَّهُ فَعَلَا رَبُّكَ بِعَادٍ ۚ وَاللَّهِ وَالْوَرِ ۚ وَاللَّهِ مَا لَيْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

أمّا الفجر فمعروف وهو الصبح، وعن مسروق: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة " وقد ثبت في صحيح البخاري. «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ إلا رجُلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » ". وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم، عن ابن عباس : ﴿ وليال عشر ﴾ قال: هو العشر الأول من رمضان، وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم، عن ابن عباس : ﴿ وليال عشر ﴾ والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ". والصحيح القول الأول . روي عن جابر يرفعه: « إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ". وقوله تعالى: ﴿ والشفع والوتر ﴾ قاله ابن عباس : قول ثان : عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿ والشفع والوتر ﴾ قلت : صلاتنا وترنسا هذا ؟ قال : لا ، ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى . قول ثالث : عن أبي سعيد بن عوف قال : سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال : الشفع عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال : الشفع عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال : الشفع

⁽١) وهو قول ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف .

⁽٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس مرفوعاً .

⁽٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : إسناد رجاله لا بأس بهم والمتن في رفعه نكارة .

قول الله تعالى: ﴿ فَن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ ، والوتر قوله تعالى: ﴿ وَمِن تَأْخُر فلا إثم عليه ﴾ . و في الصحيحين: ه إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » . قول رابع : قال الحسن البصري: الخلق كلهم شفع ووتر ، أقسم تعالى بخلقه . وقال ابن عباس : ﴿ والشفع والوتر ﴾ قال : الله وتر واحد ، وأنتم شفع ، ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر صلاة المغرب . قول خامس : عن مجاهد ﴿ والشفع والوتر ﴾ قال : الشفع الزوج ، والوتر الله عزَّ وجل الله وعنه : الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى ، وعنه : كل شيء خلقه الله شفع : السهاء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ، ونحو هذا ، كقوله تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد . قول سامس : قال أبوالعالمية والربيع بن أنس ؛ قال : الحسن : ﴿ والشفع والوتر ﴾ هو العدد منه شفع ، ومنه وتر . قول سابع : قال أبوالعالمية والربيع بن أنس ؛ هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ، ومنها وتر كالمغرب ، فإنها ثلاث ، وهي وتر النهار ، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل ، ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر .

وقوله تعالى : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ قالِ ابن عباس: أي إذا ذهب، وقال مجاهد وأبو العالية ﴿ والليل إذا يسر ﴾ : إذا سار أي ذهب، ُويحتمل إذا ساْر : أي أقبل، وهذا أنسب لأنه في مقابلة قوله: ﴿ والفجَّر ﴾ فإن الفجر ْ هو إقبال النهار، وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿ والليل إذا يسر ﴾ على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهسـار وبالعكس ، كقوله: ﴿ والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفسُ ﴾ وقال الضحَّاك: ﴿ والليل إذا يسر ﴾ أي يجري، وقال عكرمة: ﴿ والليل إذا يسر ﴾ يعني ليــلة جمع ليلة المزدلفة، وقوله تعالى: ﴿ هُلُ فِي ذَلْكُ قَسَمُ لذي حجر ﴾ أي لذي عقل ولب وحجى، وإنمــا سمي العقل (حجراً) لأنه يمنع الإنسان من تعاطي مإ لا يليق به من الأفعال والأقوال، وحجَر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف، وهمذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب، التي يتقرب إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قــال بعده : ﴿ أَلَمْ تَرْ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّك بعاد ﴾ ؟ وهؤلاء كإنوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبِّكَ بِعَادَ ﴾ إرم ذات العماد ﴾ ؟ وهؤلاء (عاد الأولى) وأهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، ليعتبر بمصرعهم المؤمنونُ، فقوله تعالى: ﴿ إِرْمُ ذَاتُ العماد) عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: ﴿ ذَاتَ العمادَ ﴾ لأنهم كأنوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقــد كانوا أشد النّــاس في زمانهم خَلقة وأقواهم بطشاً، وَلهذا ذكَّرهم (هود) بتلك النعمـــة ، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعْلُكُمْ خَلْفًاء مَنْ بَعْدُ قُومُ نُـوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٣) وهو رواية عن مجاهد . (٤) أخرجه ابن أبي حاتم .

وقال تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة كه، وقال ههنا : ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلادكه أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم، وقـــال مجاهد: إرم أمة قديمة يعني عاداً الأولى، قال قتادة والسدي: إن إرم بيتُ مملكة عساد، وكانوا أهل عمد لا يقيمون، وقال ابن عباس: إنمــا قيل لهم ذات العماد لطولهم، واختار الأول ابن جر بر ، وقوله تعالى: ﴿ الَّتِي لَم يُخلق مثلها في البلاد﴾ الضمير يعود على القبيلة، أي لم يخلق مثل ثلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم، روي عن المقدام أنه ذكر ﴿ إرم ذات العماد﴾ فقال: « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم »(١) ، وسواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحهم يقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بثمود كما هبهنا، والله أعلم. ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿ إرم ذات العماد﴾ مدينة إما دمشق، أو اسكندرية أو غيرهما، فضعيف لأنه لا يتسقُّ الكلام حينتُذ، ثم المراد إنمــا هو الاخبار عن إهلاك القبيلة المسهاة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم، وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ إرم دات العماد﴾ قبيلة أو بلدة كانت عــاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر ، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿ وَثَمُودَ الذِّينَ جَابُوا الصَّخْرُ بِالْوَادَ ﴾ يعني يقطعون الصَّخر بالوادي، قال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها، يقال: اجتاب الثوب: إذا فتحه، وقال تعالى: ﴿ وَتَنْحَتُونَ مَنَ الْجِبَـال بيوتأ فارهين﴾ ، وقال ابن إسحاق : كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى، وقــد ذكرنا قصة عــاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعــادته. وقوله تعالى: ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ قال ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد، وقال السدي : كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمــة فيشدخه، وقال ثابت البناني: قيل لفرعون ذي الأوتاد، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت، وقوله تعالى: ﴿ الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد﴾ أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للنــاس، ﴿ فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ أي أنزل عليهم رجزاً من السهاء، وأحل بهم عقوبة لا يرده عن القوم المجرمين، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ رَبُّكُ لِبَالْمُرْصَادَ ﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فها يعملون، ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كُلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلاً بما يستحمّه وهو المنزه عن الظلم والجور .

فَأَمَّا ٱلْإِنْسَنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَنَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَنَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَبَقُولُ رَبِيِّ أَهَانَ إِنَّا مَا ٱبْتَلَنَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ مِرْزُقَهُ فَبَعُولُ رَبِّي أَهَانَ فَلَا تُحَرِّمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿ وَلَا تَحْتَضُونَ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ عَلَيْهِ وِزْقَهُ فَبَعُونُ الْمَالَ حُبَّا جَمَّ ﴾ وَتُعْتَمُ اللهُ اللهُل

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم عن المقدام مرفوعاً .

يقول تعالى منكراً على الإنسان، إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان، كما قال تعالى: ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ه نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، قال الله تعالى: ﴿ كلا ﴾ أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبر، وقوله تعالى: ﴿ بل لا تكرمون اليتيم ﴾ المحالين، إذا كان غنياً بأن يصبر، وقوله تعالى: ﴿ بل لا تكرمون اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي بيت فيه يتيم يحسن إليه » وقال علياتية : ه أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام » ، ﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿ وتأكلون التراث ﴾ يعني الميراث ﴿ أكلاً لمّا كيان من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام على بعض في ذلك ﴿ وتأكلون التراث ﴾ يعني الميراث ﴿ أكلاً لمّا كي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام على بعض في ذلك حبال حباً جماً ﴾ أي كثيراً فاحشاً .

كَلَّآ إِذَا دُكِّتِ ٱلْأَرْضُ دَكَّا دَكَّا شَ وَجَآءَ رَبُكَ وَٱلْمَلَكُ صَفَّا صَفًّا ﴿ وَجِأْى ٓ يَوْمَهِ فِي جِمَهَ مَّ يَوْمَهِ فِي إِجْهَ مَّ يَوْمَهِ فِي إِجْهَ مَّ يَعْوَمُ فِي الْمُ وَأَنَّى لَهُ ٱلدِّكَوَىٰ ﴿ يَعُولُ يَلَلَبْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَبَانِي ۞ فَيَوْمَهِ لِللَّهُ عَذَابُهُ وَأَحَدُّ لَيَ يَعُولُ يَعَذِبُ عَذَابُهُ وَأَحَدُ الْمُ عَذَابُهُ وَأَحَدُ الْمُ عَذَابُهُ وَأَحَدُ الْمُ عَلَيْهُ وَالْمُ وَمَاقَهُ وَأَحَدُ ۞ يَتَأَيّتُهَا ٱلنَّفُسُ ٱلْمُطْمَهِ فَي الْرَجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَّرْضِيّةً ۞ وَلَا يُولِي وَمَاقَهُ وَأَحَدُ ۞ يَتَأْيَتُهَا ٱلنَّفُسُ ٱلْمُطْمَهِ فَي الْمُعَلِيّةُ ۞ الْرَجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَّرْضِيّةً ۞ فَاذْخُلِ فِي عِبَدِى ۞ وَاذْخُلِ جَنَّنِي ۞

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى: ﴿ كَلاَ ﴾ أي حقاً ﴿ إذا دكت الأرض كا ً كا ﴾ أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿ وجاء ربك ﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق، محمد صلوات الله وسلامه عليه، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً، وقوله تعالى: ﴿ وجيء يومئذ لحيا يومئذ بجهنم ﴾ روى الإمام مسلم في صحيحه: عن عبدالله بن مسعود قال رسول عليه : ﴿ يؤتى بجهنم يومئذ لحيا سبعون ألف ملك يجرونها ﴾ أ وقوله تعالى: ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان ﴾ أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه، ﴿ وأنّى له الذكرى ﴾ أي وكيف تنفعه الذكرى، ﴿ يقول يا لينني قدمت لحياتي ﴾ يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً، كما قال الإمام أحمد بن حنبل عن جبير بن نفير عن محمد بن عمرة، وكان من أصحاب رسول الله عليا قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الذنيا قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الذنيا قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الذنيا قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الذنيا

⁽١) أخرجه عن عبد الله من المبارك .

⁽٢) أخرجه أبو داود . (٣) أخرجه مسلم في صحبحه .

كما يزداد من الأجر والتواب، وقال الله تعالى: ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ﴾ أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، ﴿ ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ أي وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم عزّ وجلّ ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثائرة مع العقى، فيقال لها: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ﴾ أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنت العقى، فيقال لها: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ﴾ أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في عبادي ﴾ أي في خملتهم، ﴿ وادخلي جنتي ﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة بيشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا، ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية ، فروي أنها نزلت في عثمان بوقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقال ابن عباس فقال في قوله تعالى: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال في قوله تعالى: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال ابن مساكر ، عن أمامة أن رسول الله ما أحسن هذا ؟ فقال: « قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك ، "

[آخر تفسير سورة الفجر ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر .



بِنْ لِنُهُ الْأَمْنُ الْآجِ فِي الْمُعْنَا لَرَّحُ الْآجِ فِي الْمُعْنَا لَرَّحُ الْآجِ فِي الْمُعْنَا الْآجِ

لَا أَقْسِمُ بِهَانَذَا ٱلْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلَّ بِهَانَدَا ٱلْبَلَدِ ۞ وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۞ أَيُغْسَبُ أَن لَزَ يَرَهُ وَ أَحَدُ ۞ أَلَرْ تَجْعَل لَهُ, أَيَعْسَبُ أَن لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدُ ۞ يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَالًا تُبَدًّا ۞ أَيَعْسَبُ أَن لَرْ يَرَهُ و عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَكُ ٱلنَّجَدُيْنِ ۞

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة (أم القرى) في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال مجاهد: ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ لا، رد عليهم . أقسم بهذا البلد ﴾ وقال ابن عباس : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ يعني مكة ﴿ وأنت حِلْ بهذا البلد ﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به ، وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك ، وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار ، وهذا المعنى قد ورد به الحديث المتفق على صحته: ﴿ إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السهاوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه ، وإنحا أحلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ﴾ . وفي لفظ آخر : و فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى : ﴿ ووالد وما ولد ﴾ قال ابن عباس : الوالد الذي يلد ﴿ وما ولد ﴾ الهاقم الذي لا يولد له ، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك : يعني بالوالد آدم ﴿ وما ولد ﴾ ولده ، وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي " لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن " أقسم بعده بالساكن " وهو (آدم) أبو البشر وولده ، واختار ابن عباس : منتصباً في بطن أمه ، والكبد : الاستواء والاستقامة ، ومعنى ابن مسعود وابن عباس : يعني منتصباً ، كقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء القول : لقد خلقناه سوياً مستقيماً ، كقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في شدة خلق، ركبك كه ، وكقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في شدة خلق، وشدة خلق، والمدة خلق، الما الما الما المن عباس ﴿ في كبد كه في شدة خلق، والمدار ركبك كه ، وكقوله تعالى : ﴿ الذي خلقال ابن عباس ﴿ في كبد كه في شدة خلق، وركبك كه ، وكقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك في المد خلق، عن شدة خلق، وقال ابن عباس ﴿ في كبد كه في شدة خلق، المد خلق، الله المد خلق المد خلوله المد خلق المد خلق المد خلق المد خلق المد خلق المد

⁽١) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن .

ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه، وقال مجاهد: ﴿ فِي كَبدَ ﴾ نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، يكبد في الخلق، وهو كانوله تعالى: ﴿ حملته أُمّه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ فهو يكابد ذلك، وقال سعيد بن جبير: ﴿ فِي كبد ﴾ في شدة وطلب معيشة، وقال قتادة: في مشقة، وقال الحسن: يكابد أمر الدنيا وأمر من الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها.

وقال تعالى : ﴿ أَيحسب أَن لن يقدر عليه أحد ﴾ قال الحسن البصري: يعنى يأخذ ماله، وقال قتادة: يظن أن لن بسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدي: ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال: الله عزُّ وجلُّ يظن أن لن يقدر عليه ربه، وقوله تعالى: ﴿ يقول أهلكت مالاً لبدأ ﴾ أي يقول ابن آدم: أنفقت ﴿ مالاً لبداً ﴾ أي كثيراً قاله مجاهد والحسن ، ﴿ أيحسب أن لم يره أحد﴾ قال مجاهد: أي أيحسب أن لم يره الله عزُّ وجلُّ ، وكذا قال غيره من السلف، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلُ لَهُ عَيْنِينَ ﴾ أي يبصر بهمـــا ﴿ ولساناً ﴾ أي ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿ وشفتين ﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه . وقــد روى الحافظ ابن عساكر عن مكحول قال؛ قال النبي ﷺ : ﴿ يقول الله تعالى: يا ابن آدم، قـــــــــ أنعمت عليك نعماً عظاماً، لا تحصي عددها ولا تطبق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بمــا أمرتك، وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي »(١) . ﴿ وهديناه النجدين ﴾: الطريقين، قـــال ابن مسعود: الخير والشر ، وعن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال: ذكر لنـــا أن نبي الله ﷺ كان يقول؛ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسِ إنَّهُمَا النَّجَدَانُ؛ نجد الخير ، ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير »°° ، وقال ابن عباس ﴿ هديناه النجدين ﴾ قال: الثديين، قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، نظير مله الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَا هَدَيْنَاهُ السَّبَيْلُ إِمَا شَاكُواً وَإِمَا كَفُوراً ﴾ .

فَلَا أَفْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿ وَمَا أَدْرَنْكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ فَكُ رَقَبَةٍ ﴿ أَوْ إِطْعَنَمٌ فِي يَوْمِ ذِى مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَنَمٌ فِي يَوْمِ ذِى مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَثْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ عَامَنُواْ وَتَوَاصَواْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَواْ بِالْمَرْحَةِ ۞ أَوْلَنَظِنَ أَصْحَابُ الْمَشْعَمَةِ ۞ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةً ۞ أَوْلَنَظِنَ أَصْحَابُ الْمَشْعَمَةِ ۞ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةً ۞

روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿ فلا اقتحم ﴾ أي دخل ﴿ العقبة ﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى، ﴿ وما أدراك ما العقبة ﴾ ؟ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿ فَكَ رَقِبة عَ

⁽١) اخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشتي .

⁽٢) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسلاً .

أو إطعام ﴾، وقال ابن زيد: ﴿ فلا أقتحم العقبة ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى: ﴿ وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ﴾ ، عن سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله على الرجل ، وبالفرج الفرج » ، فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد: نعم ، فقال علي الرجل ، وبالفرج الفرج » ، فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد: نعم ، فقال علي مسلم أن هذا الغلام له أفره غلمانه: ادع مطرفاً ، فلما قام بين يديه ، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله ه () . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم ، وعن عمرو ابن عبسة أن النبي على قال: «من بني مسجداً ليذكر الله فيه بني الله له بيتاً في الجنة ، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة » () وي الحديث: «من ولد له ثلاث أولاد في الإسلام فاتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة في سبيل الله بغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النبار ، ومن أعتق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها » () . وهذه أسانيد جيدة قوية وله الحمد .

وقوله تعالى: ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسبغة ﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة (١) ، والسغب: هو الجوع، وقال النخمي: في يوم الطعام ، وقوله تعالى: ﴿ يتيماً ﴾ أي أطعم في مثل هذا اليوم بتيماً ﴿ ذا مقربة ﴾ أي ذا قرابة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: « الصدقة على المسكين صدقة، مثل هذا اليوم بتيماً ﴿ ذا مقربة ﴾ أي ذا قرابة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: « الصدقة على المسكين صدقة وهو الدقعاء أيضاً ، قال ابن عباس: ذا متربة هو المطروح في الطريق، الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب . وفي رواية : هو الذي لصق بالدقعاء من القور والحاجة ليس له شيء ، وقال عكرمة: هو الفقير المدين المحتاج ، وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحد له ، وقال قتادة: هو ذو العبال ، وكل هذه قريبة المعنى ، وقوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالموجمة ﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ وتواصوا بالمرجمة ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً . « المتواصين بالصبر وقواصوا بالمرجمة ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً . « المتواصين بالصبر على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم » ، كما جاء في الحديث: « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم » ، كما جاء في المحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض على أذى الناس ، وعلى الرعمة به وعن عبد الله بن عمرو يرويه قال : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حتى كبيرنا فليس منا » (أولئك أصحاب الميمنة » أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال : من اله وقوله تعالى : ﴿ أولئك أصحاب الميمنة » أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال :

⁽١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه أحمد .

⁽٣) أخرجه أحمد أيضاً .

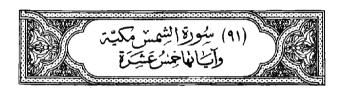
⁽١) وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحّاك وقتادة وغيرهم .

⁽٥) أخرجه أحمد ورواه الترمذي والنسائي وإسناده صحيح . (٩) أخرجه أبو داود .

و والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة في أصحاب الشهال، و عليهم نار مؤصدة في أي مطبقة عليهم فلا محيد لم عنها، ولا خروج لهم منها، قال أبو هريرة و مؤصدة في أي مطبقة، وقال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب أي أغلقه، وقال الضحّاك: و مؤصدة في حيط لا باب له، وقال قتادة و مؤصدة في : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد، وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً ولا والله لا تلتق جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا ينوقون فيها بارد شراب أبداً (الله المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة الله المنافقة ا

[آخر تفسير سورة البلد . ولله الحمد والمنة]





وَالشَّمْسِ وَضُّحَنْهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَنْهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّنْهَا ۞ وَالَّيْسِلِ إِذَا يَغْشَنْهَا ۞ وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنْلَهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنْهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنْهَا ۞ فَأَلْمَمَهَا بُحُورَهَا وَتَقْوَنْهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكِّنْهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنْهَا ۞

قال، مجاهد ﴿ والشمس وضحاها ﴾ : أي وضوئها، وقال قتادة : ﴿ وضحاها ﴾ النهار كله . قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار، ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال : يجاهد : تبعها، وقال ابن عباس : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال : يتلو النهار، وقال قتادة : إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال . وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تتلوه وهو يتقدمها

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

في النصف الأخير من الشهر، وقوله تعالى: ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ قال مجاهد: أضاءها، وقال قتادة: إذا غشيها النهار ، وتأول بعضهم ذلك بمعنى : والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها^(١). (ق**لت**) : ولو أن القائل تأول ذلك بمعنى ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد: ﴿ والنَّهَارَ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿ والنَّهَارَ إذَا تَجْلَى ﴾ ، وأما ابن جرير فاختار عود الضمير ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿ واللَّيْلُ إِذَا يغشاها ﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق . وقال بقية : إذا جاء الليل قـــال الرب جلُّ جلاله : غشي عبادي خلتي العظيم، فالليل تهابه، والذي خلقه أحق أن يهابُّ . وقوله تعالى: ﴿ والسهاء وما بناها ﴾ يحتمل أن تكون (ما) ههنا مصدرية بمعنى : والسهاء وبنائها، وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنى (من) يعني : والسهاء وبانيها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿ والسهاء بنيناها بأيد – أي بقوة – وإنا لموسعون﴾ ، وقوله تعالى: ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال عجاهد: ﴿ طحاها﴾ دحاها، وقــال ابن عباس : أي خلق فيها، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك: ﴿ طحاها ﴾ بسطها، وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته أي بسطته، وقوله تعالى: ﴿ ونفس وما سوّاها ﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قــال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدِين حنيفًــاً فطرة الله الـتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ، وقال رسول الله عليه الله عليه على مولود يولد ُعلى الفطرة » . وفي صحيح مسلم : « يقول الله عزُّ وجلُّ : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » . وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْهُمُهَا فَجُورُهَا وَتَقُواهَا ﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لهــا وهداها إلى ما قدر لهــا، قــال ابن عباس: بيّن لهــا الخير والشر، وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها . وفي الحديث : أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله عُلِيَّةٌ فقال : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قمد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم بـــه نبيهم عليه وأكدت به عليهم الحجة ؟ قــال: « بل شيء قــد قضي عليهم »، قال: ففيم نعمل ؟ قال: « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لهــا، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ ونفس وما سواها ء فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ قَـد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ المعنى قـد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله ، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، كقوله: ﴿ قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ﴾ ﴿ وقد خـاب من دساها ﴾ أي دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة اللهءز وجلَّ، وقـد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقـد خاب من دسّى الله نفسه، كما قـال ابن عباس (٤) . وروى ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة

⁽١) ذكره ابن جرير عن بض أهل اللغة .

⁽۲) رواه ابن أبي حاتم .

⁽٣) رواه أحمد ومسلم .

 ⁽٤) هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع : «أفلحت نفس زكّاها الله عزّ وجلٌ » أخرجه ابن أبي حاتم ولكن في
إسناده ضعف .

قال: "معت رسول الله عليه على يقرأ: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال: « اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »(۱) ، وفي رواية عن عائشة أنها فقدت النبي عليه من مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: « رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »(۱) حديث آخر: روى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله عليه يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خبر من زكاها، أنت وايها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها (يد: كان رسول الله على ينفع، ودعوة لا يستجاب لها (يد: كان رسول الله من اللهم أن نحر من نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها (يد: كان رسول الله من الله وحن نعلمكوهن.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَ آ ۞ إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقَلَهَا ۞ فَقَالَ لَمُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَلَهَا ۞ فَكَذَّابُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّلَهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَلَهَا

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقبن ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ أي أشقى القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاقر النساقة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ الآية، وكان هـذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومه، نسيباً رئيساً مطاعاً، كما قبال الإمام أحمد: خطب رسول الله على فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منبع في رهطه مثل أبي زمعة » (أ). وروى ابن أبي حاتم، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله على الله على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » قال: ورجلان أحيم ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا على على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته (أ). وقوله تعالى: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ ناقة الله ﴾ أي احذروا ناقة الله أن تعلوه المها في سقياها فإن لهما شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قبال الله تعالى: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أي كذبوه فيا جاءهم به ، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها الله من الصخرة تعلى السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، نازلة عبهم على السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، ناذلة عبهم على السواء. وقال الضحاك والسدي: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما طعاء الله الله أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، والله أعلى .

[آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرِجه ابن أبي حاتم . (٤) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن زمعة .

⁽٢) أخرِجه أحمد . (٥) أخرِجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجه أحمد ومسلم . ﴿ ٦) وكذا قال مجاهد والحسن وبكر المزني وغيرهم .



تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » .

اقسم تعالى بالليل ﴿ إذا يغشى ﴾ أي إذا غشى الخليقة بظلامه، ﴿ والنهار إذا تجلى ﴾ أي بضيائه وإشراقه، ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾، ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة، فن فاعل خيراً ومن فاعل شراً، قال الله تعالى: ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ أي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره، ﴿ وصدّق بالحسنى ﴾ بالمجازاة على ذلك أي بالثواب، وقال ابن عباس، ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أي بالخُلف، وقال الضحّاك: بلا إلّه إلا الله، وقال أبي بن كعب: سألت رسول الله على أن الحسنى قال: ﴿ فسنيسره للبسرى ﴾ قال ابن عباس: يعني المخير، وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة ، ﴿ وأما من بخل ﴾ أي بما عنده ﴿ واستغنى ﴾ قال ابن عباس: أي بخل للخير، وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة ، ﴿ وأما من بخل ﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ أي بالحريق الشر، كما قال تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾، لطريق الشر، كما قال تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة داوى البخاري عن على بن أبي طالب رضي الله عنه وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة . روى البخاري عن على بن أبي طالب رضي الله عنه وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة . روى البخاري عن على بن أبي طالب رضي الله عنه وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة . روى البخاري عن على بن أبي طالب رضي الله عنه

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: « ما منكم من أحد إلا وقــد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار »، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى راتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى – إلى قوله – للعسرى ﴾(" ، وفي رواية أخرى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله عليه لله فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل بنكت بمخصرته ، ثم قال: « ما منكم من أحد – أو ما من نفس منفوسة – إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قــد كتبت شقية أو سعيدة ». فقال رَجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء »، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى رصدق بالحسني فسنيسره لليسرى - وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسني فسنيسره للعسري ﴾ ". وعن جابر بن عبدالله أنه قال: يا رسول الله أنعمل لأمر قــد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال: «لأمر قــد فرغ منه » فقال سراقة : فضيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله عَيْلِكُمْ : « كُلُّ عامل ميسر لعمله »(٣) . وفي الحديث: « ما من يوم غربت فيه شمسه إلّا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً ﴾ رأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿ فأما من أعطى واتقى وصــدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴿ وأمــا من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (۵ . وذكر أن هذه الآية نزلت في (أبي بكر الصديق) رضى الله عنه كان يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناســأ ضعفاء " فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنمـــا أريد ما عند الله، فنزلت الآية: ﴿ فأما من أعطى واتقى وصــدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ (٥) . وقوله تعالى: ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردى)، قال مجاهد: أي إذا مات، وقال زيد بن أسلم: إذا تردى في النار .

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿ وَإِنَّ لَنَ لَلَا حِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿ فَأَنَذَرُتُكُرُ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿ لَا يَصْلَلُهَاۤ إِلَّا الْأَشْقَ ﴿ فَأَنْذَرُتُكُرُ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿ لَا يَصْلَلُهَۤ إِلَّا الْأَشْقَ ﴾ الْأَشْقَ ﴿ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَىٰ ﴿ وَسَوْتَ يَرْضَىٰ ﴾ الْأَحْدِ عِندَهُ, مِن يَعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ إلاّ البِيغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿ وَلَسَوْتَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة ﴿ إِن علينا للهدى ﴾ : أي نبيّن الحلال والحرام، وقال غيره: من سلك طريق الهـدى وصل إلى الله ، وجعله كقوله تعالى: ﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما، وقوله تعالى: ﴿ وأنْلُوتُكُم ناراً تلظى ﴾ قال مجاهد: أي توهج، وفي الحديث: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » أخرجه البخاري . وفي رواية

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽٢) أخرجه البخاري وبقية الجماعة . ﴿ وَإِنْ أَبِّي حَاتُم .

⁽٣) رو ، مسلم وابن جرير . (٥) أخرجه ابن جرير .

لمسلم: ﴿ إِنْ أَهُونَ أَهُلَ النَّارَ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعَلَانَ وشراكانَ مَنْ نَارَ يَعْلَيَ مُنهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً »(" ، وقوله تعالى: ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾ أي لا يدخلها إلا الأشقى، ثم فسره فقال: ﴿ الذي كذب ﴾ أي بقلبه ﴿ وتولى ﴾ أي عن العمل بجوارحه وأركانه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عَيْظِيُّهُ: « لا يدخل النـــار إلا شتى » ، قيل: ومن الشتى ؟ قال: « الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية »[%] . وقــال رسول الله ﷺ : « كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبـى » ، قالوا : ومن يأبـى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبـي ، " ، وقوله تعالى : ﴿ وسيجنبها الأنقى ﴾ أي وسيزحزح عن النار التتي النَّتي الأتقى، ثم فسره بقوله: ﴿ الذي يؤتي ما له يتزكى ﴾ أي يصرفُ ماله في طاعةً ربه ليزكي نفسه ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ أي ليس بذله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: ﴿ وَلَسُوفَ يرضي﴾ أي ولسوف يرضي من اتصف بهذه الصفات . وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع على ذلك، ولا شك أنه داخلٍ فيها وأولى الأمة بعمومها فإنه كان صدِّيقاً تقياً، كريماً جواداً، بذالاً لأمواله في طـاعة مولاه، ونصرة رسول الله ﷺ، وكان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له (عروة بن مسعود) وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يدُّ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصدّيقِ قــد أغلظ له فيالمقــالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا لأَحْدُ عَنْدُهُ مَنْ نَعْمَةُ تجزى = إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى ﴾ . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « من أعتق زوجين في سبيل الله، دعته خزنة الجنة يا عبدالله هذا خيرٌ » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة " فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : « نعم وأرجو أن تكون منهم »($^{(a)}$.

[آخر تفسير سورة الليل ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير .

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٣) أخرجه البخاري وأجمد عن أبي هريرة .

⁽٤) أخرجه الشيخان .



بستحب التكبير من آخر الضحى لآخر سورة الناس ، وقد ذكر القراء أن ذلك سنّة مأثورة وذكروا في مناسبة التكبير من أول (سورة الضحى) أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله عَلَيْكُ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه : ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ السورة بتمامها كبّر فرحاً وسروراً (١)

بِنْ _____ َ لِسُوالرَّمُ نُوا لَرَّمِ نِي الْمُ

وَالطَّمْعَىٰ ﴿ وَالَّيْـلِ إِذَا سَمَىٰ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿ وَلَجْدَكَ ضَا لَا فَهَدَىٰ ﴿ وَوَجَدَكَ عَايِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿ يُعْطِيكَ رَبُكَ فَتَرْضَىٰ ﴿ وَوَجَدَكَ عَايِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿ يَعْطِيكَ رَبُكَ فَتَرْضَىٰ ﴿ وَوَجَدَكَ عَايِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ فَا أَمْ يَنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿ وَوَجَدَكَ عَايِلًا فَالْمُغْنَىٰ ﴾ فَا النَّايِلَ فَلَا تَنْهَرُ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

روى الإمام أحمد ، عن جندب بن عبدالله قال: اشتكى النبي عليه فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ". وفي رواية: أبطأ جبريل على رسول الله عليه فقال المشركون: ودع محمداً ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿ والضحى والليل إذا سجى وما جعل فيه من الضياء ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ أي سكن فأظلم وادلهم، وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى، كما قال تعالى: ﴿ والليل إذا يُعلى ﴾ وقال تعالى: ﴿ والليل إذا يعشى ، والنهار إذا تجلى ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العليم ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ما ودعك ربك ﴾ أي ما تركك ﴿ وما قلى ﴾ أي وما أبغضك ، ﴿ وللآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله عليه أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها إطراحاً ، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيرً عليه السلام في آخر عمره، بين الخلد في

⁽١) قال ابن كثير : لم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم .

⁽۲) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي .

الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عزَّ وجلَّ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية، روى الإمــام أحمد، عن عبدالله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله عَلِيُّكُم على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها »(١). وقوله تعالى: ﴿ وَلَسُوفَ يَعَطِّيكُ رَبُّكُ فَتَرْضَى ﴾ أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أُمته، وفيها أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتــاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي . وروي عن ابن عياس أنه قال: عرض على رسول الله عليه ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً فسرٌ بذلك، فأنزل الله ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم™، وقال السدي عن ابن عباس: من رضاء محمد عَلَيْكُ أَن لا يَدْخُلُ أَحْـَدُ مِن أَهُلَ بِيتِهِ النَّارِ ، قال الحسن: يعني بذلك الشفاعة، ثم قال تعالى يعدّد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكُ بِتِيمَّ فَآوَى﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمـــل في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن نوفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره ، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين " وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به .

وقوله تعالى: ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ كقوله: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ الآية، ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي عليه ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع، وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكباً ناقة في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق، حكاهما البغوي، وقوله تعالى: ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر العني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عليه : « ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غنى النفس ه (٣٠ وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمروقال، قال رسول الله عليه : ﴿ قَدَ أَفْلُح مَن أَسْلُم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه ه (٣٠). ثم قال تعالى: ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أي كما كنت

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

⁽٢) أخرجه ابن جرير ۽ قال ابن كثير : إسناده صحيح ، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف .

⁽٣) أخرجه الشيخان .

⁽٤) أخرجه مسلم .

يتياً فآواك الله، فلا تقهر البتم، أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وقال قتادة: كن لليتم كالأب الرحيم، هو وأما السائل فلا تنهر في أي وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد، قسال ابن إسحاق: هو وأما السائل فلا تنهر في أي فلا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله، وقال قتادة: يعني ردّ المسكين برحمة ولين، هو وأما بنعمة ربك فحدث في وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله، فحدث بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور: «واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها وأنمها علينا ». وعن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها "، وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجركله، قال: «لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم » أن وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي عَلَيْكَ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس » وقال بجاهد: يعني النبوة الني أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن، وقال الحسن بن علي: ما عملت من خير فحدّث إخوانك، وقال ابن إسحاق: ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة، فحدث بها واذكرها وادع إليها.

[آخر تفسير سورة الضحى ، ولله الحمد والمنة]



⁽١) رواه ابن جرير .

⁽۲) أخرجه الشيخان .

⁽٣) أخرجه أبو داود والترمذي .



أَكُمْ تَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿ وَرَفَعْنَ لَكَ ذِكَكَ ۞ فَإِذَا مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۞

يقول تعالى: ﴿ أَلَم نشرح لك صدرك ﴾ يعني قد شرحنا لك صدرك أي نورناه، وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً سهلاً ، لا حرج فيه و لا إصر ولا ضيق ، وقيل: المراد بقوله: ﴿ أَلَم نشرح لك صدرك ﴾ شرح صدره ليلة الإسراء، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الاسراء ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الحسي الشرح المعنوي أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ بمعنى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ، ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ الإنقاض الصوت أي أثقلك حمله، وقوله تعالى: ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ قال مجاهد: لا اذكر إلا ذكرت معي * أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله »، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها، أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يوى ابن جر ير عن أبي سعيد عن رسول الله عليات أنه قال: * أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك ؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي » أل. وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان، يعنى ذكره فيه ، كما قال حسان بن ثابت :

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق لـه من اسمه ليجلـــه فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون : رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته، فلا يذكر الله إلا ذكر معه .

⁽۱) رواه ابن جریر .

وقوله تعالى: ﴿ فإن مع العسر يسراً و إن مع العسر يسراً ﴾ أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر، بقوله ﴿ إن مع العسر يسراً ﴾ ، قال الحسن: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين، وعن قتادة دكر لنا أن رسول الله على بشر أصحابه بهذه الآية فقال: « لن يغلب عسر يسرين » ، ومعنى هذا أن العسر معرف في الحسالين، فهو مفرد، واليسر منكر، فتعدد، ولهذا قال: « لن يغلب عسر يسرين » يعني قوله: ﴿ فَإِنْ مِع العسر يسراً ﴾ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدد، ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

وقال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقيله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَعْتَ فَانَصِبِ * وَإِلَى رَبِكُ فَارَعْبِ ﴾ أي إذا فرغت من أُمور الدنيا وأشغالها ، وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة ، وقم إليها نشيطاً فارغ البال * واخلص لربك النية والرغبة، قال مجاهد في هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك . وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وفي رواية عنه ﴿ فانصب ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وقال ابن عباس ﴿ فإذا فرغت انصب ﴾ يعني في الدعاء، وقال الضحاك ﴿ فإذا فرغت ﴾ أي من الجهاد ﴿ فانصب ﴾ أي في العبادة ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ قال الثوري: أجعل نيتك ورغبتك إلى الله عزَّ وجلًّ .

[آخر تفسير سورة ألم نشرح . وقه الحمد والمنة]

* * *

⁽۱) رواه ابن جرير



روى مالك عن البراء بن عازب قال: « كان النبي عَلَيْكُ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه » أخرجه الجماعة .

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَلْذَا الْبَلَدِ الْأُمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَهُ أَسْفَلَ سَلفِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِـلُواْ الصَّلِحَتِ فَلَهُمْ أَجْرُ غَبْرُ ثَمَّنُونٍ ۞ فَ الْمِكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَبْسَ اللهُ بِأَحْكِمَ الْحَكِمِينَ

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل: المراد بالتين دمشق، وقيل: الجبل الذي عندها، وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف، وروي عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي، وقال مجاهد: هو تينكم هذا ﴿ والزيتون ﴾ قال قتادة: هو مسجد بيت المقدس، وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون، وطور سينين ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ يعني مكة (١)، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال بعض الأثمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار. (فالأول) محلة التين والزيتون وهي (بيت المقدس) التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام، (والثاني) طور سينين وهو (طور سيناء) الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، (والثالث) مكة وهو (البلد الأمين) الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمداً عليه ألوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء – يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران – وأشرق من ساعير – هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله منه عيسى – واستعلن من جبال فاران – يعني جبال مكة التي أرسل الله منها معني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى – واستعلن من جبال فاران – يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً عليه م غلى الترتيب الوجودي، بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم محمداً عليه م غلى الترتيب الوجودي، بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم

⁽١) هو قول جمهور المفسرين ، قال ابن كثير : ولا خلاف في ذلك .

[آخر تفسير سورة التين والزيتون ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) قاله مجاهد والحسن وأبو العالية وابن زيد .

⁽٢) وروي هذا القول عن ابن عباس وعكرمة ، حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر .

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم .



آفَـرَأْ بِآسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَىٰ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱفۡـرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَمَ بِٱلْقَـلَمِ ۞ عَـلَمُ ٱلْإِنسَىٰنَ مَالَرْ يَعْـلَمُ ۞

عن عائشة قالت : أول ما بديء به رسول الله عَلِيْكُ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحى، وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، قال رسول الله عَيْطِيُّة: « فقلت: ما أنا بقارئ – قال – فأخذني فغطّني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثائثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق – حتى بلغ – مــا لم يعلم » . قال: فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: «زمّلوني زمّلوني » ، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة: « مالي » ؟! وأخبرها الخبر ، وقال: « قد خشيت على نفسي » . فقالت له: « كلّا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق »، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل) بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أحى أبيها، وكان امرأ قــد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قــد عمي، فقالت خديجة : أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله عَلِيُّكُم بمــا رأى فقال ورقة: هذا الناموسُ الذي أنزل على موسى، ليتني فبها جذعاً، ليتني أكون حيــاً حين بخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: « أو مخرجيّ هم ؟ » فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمــا جثت بــه إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي »(⁽⁾ . فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بهــا العباد، وأول نعمة أنعم

⁽١) أخرجه الشيخان والإمام أحمد واللفظ له .

الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علَم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز بــه أبو البرية آدم على الملائكة ؛ والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في الكذابة بالبنان⁽⁾ ، ذهني، ولفظي، ورسمي، فلهذا قال : ﴿ اقرأ وربك الأكرم ه الذي علم بالذلم » علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وفي الأثر : من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يكن يعلم .

كَلْآ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَيَّ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْرَّجْعَىٰ ۞ أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ وَنَبُدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْمُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقُوَىٰ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقُوَىٰ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَىٰ ۞ أَلَا يَعْلَمُ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَهِن لَمْ يَعْنَمُ لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيةِ ۞ نَاصِيةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ وَتُولَىٰ ۞ أَلَدْ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَهُ مِنْ اللهُ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَهُ مُعْمُ وَٱجْهُدُ وَٱقْتَرِب ۞ ﴿

ي**خ**بر **تعالى** عن الإنسان، أنه ذو أشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قـــد استغنى وكثر ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿ إِنْ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى ﴾ أي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفتــه، عن عبدالله بن مسعود قال: منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأمــا صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، قال، ثم قرأ عبدالله: ﴿ إِنَّ الْإِنسان ليطغي ۽ أنْ رآه استغني ﴾، وقال للآخر : ﴿ إنما يخشي الله من عباده العلماء ﴾، وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول اللهِ ﷺ: « منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا ٣٠، ثم قال تعالى: ﴿ أُرأَيتِ الذي ينهى ﴿ عبداً إذا صلَّى ﴾ نزلت في (أبي جهل) لعنه الله، تُوعد النبي عَلِيْكُ على الصلاة عند البيت، فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً، فقال: ﴿ أَرأَيت إِن كِان على الهدى ﴾ أي فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿ أَو 'مر بالتقوى﴾ بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؟ ولهذا قال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُ بَأَنَ اللَّهَ يرى ﴾ ؟ أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً ﴿ كَارْ لِسُنْ لَمْ يَنْتُهُ ﴾ أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿ لَنَسْفَعًا بالناصية ﴾ أي لنسمتُها سواداً يوم القيامة، ثِم قال: ﴿ ناصية كاذبة خَاطئة ﴾ يعني ناصية (أبي جهل) كادبة في مقالهـا، خَاطئة في أفعالها، ﴿ فليدع ناديه له أي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستنصر بهم، ﴿ سندع الزبانية ﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب، أحزبنا أو حزبه ؟ روى البخاري عن ابن عباس قال؛ قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي عَلِيْتُهُ فقال: « لئن فعل لأخذته الملائكة ٣٥٠. عن ابن عباس قال: كان رسول الله عَلِيْتُهُ يصلي عند المقام، فمرّ بــه أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعدّه فأغلظ له رسول الله عَلِيْكُ وانتهره، فَقَال: يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا، فأنزل الله: ﴿ فليسدع

⁽١) ﴿ فِي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة .

⁽٢) خرجه ابن أبي حاتم .

ناديه م سندعُ الزبانية كي وقال ابن عباس: لودعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته " وروى ابن جرير ، عن أبي هريرة قال؛ قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا: نعم، قال، فقال: واللات والعزى كن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله على وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فا فجأهم منه إلاوهو ينكص على عقبيه ويتني بيديه، قال: فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة ! قال، فقال رسول الله على الله على المحمد عنواً عضواً »، وانزل الله: ﴿ كلا لا تطعه في يا محمد قال: وأنزل الله: ﴿ كلا لا تطعه في يا محمد لا تطعه في ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت ولا تباله، فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس، ﴿ واسجد واقترب ﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » " : وتقدم أيضاً أن رسول الله على كان يسجد في ﴿ إذا السهاء ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » " : وتقدم أيضاً أن رسول الله على كان يسجد في ﴿ إذا السهاء الشقت كه و ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ك .

[آخر تفسير سورة اقرأ ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]





إِنَّا أَنْزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْدِ ﴿ وَمَا أَدْرَنْكَ مَالَيْلَةُ الْقَدْدِ ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْدِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ ﴿ تَنَزَّلُ الْمَالَةِ مُا لَقَدْدِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ ﴿ تَا تَنَزَّلُ الْمَالَةِ مَا لَقَدْدِ خَيْرٌ مَا لَيْهَا الْفَجْرِ ﴾ تَنَزَّلُ الْمَالَةِ مُن كُلِّي أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۞

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ﴿ ليلة القدر ﴾ وهي الليلة المباركة التي قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَا أَنزلناه في ليسلة مباركة ﴾ وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾، قال ابن عباس: أنزل

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي ، وقال جسن صحيح .

 ⁽۲) رواه أحمد والنسائي وابن جرير واللفظ له .

⁽٣) رواه مسلم في صحيحه .

اللَّهَ القرَآن جمسلة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السهاء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله عَلِيَّةٍ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال : ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلةُ القدر خير من ألف شهر ﴾ . روى ابن أبي حاتم، عن مجاهد أن النبي عَظِيلَةً ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل 'لله عزُّ وجلُّ: ﴿ إِنَا أَنزِلنَاهُ فِي لِيلَةُ القدرِ ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ التي لبس دلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر (١٠ ، وروى ابن جرير ، عن مجاهد قالاً، كان في بني إسرائيل رجل يقوم لميل حتى يصبح، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية ﴿ ليـلة القدر خير من ألف شهر ﴾ قيــام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل "٣٠. وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، وعن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وقال عمرو بن قيس: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر، وهذا القول بأنها فضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، كقوله عليه : « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فها سواه من المنازل ٣٦١). وفي الحديث الصحيح في فضائل رمضان قال عليه السلام: « فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم »(نا ولمــا كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »(٥) . وقوله تعالى: ﴿ نَتَرَلَ المَلائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ أي يكثر نتزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطـالب العلم تعظماً له، وأما الروح فقيل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العــام، وقيل: هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ مَن كُلُّ أَمْرَ ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر ، وقال سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله: ﴿ سلام هي ﴾ قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى، وقال قتادة: تقضى فيها الأُمور . وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ . وروى أبو داود الطيالسي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى »^(١). وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿ سلام هي ﴾ يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وأمارة ليلة القدر أنهـا صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لهـا شعاع مثل القمر ليلة البدر، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽۲) أخرجه ابن جرير عن مجاهد موقوفاً

⁽٣) أخرجه أحمد .

⁽٤) أُخِرجه أحمد والنسائي .

⁽٥) أخرجه الشيخان .

في ليلة القدر: « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء ٣٠٠، وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : « إني رأيت ليــلة القدر/فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها ٩,

فصبل

المحتلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الإمة ؟ فقال الزهري: حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أريّ أعمار النــاس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ™ ، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقيل : إنها كانت في الأمم الماضين كما هي في امتناء ثم هي باقية إلى يوم القيامة وفي رمضان خساصة لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة، وترتجى في جميع الشهور على السواء، وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان) ، ثم روى بسنده عن عبدالله بن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر ؟ فقال: هي في كل رمضان ٩^{٣١}، وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجي في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي .

فصبل

ثم قد قيل : إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة، وهو قول الشافعي « وبحكى عن الحسن البصري ، ووجهوه بأنها لبلة بدر ، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قــال الله تعالى فيه: ﴿ يَوْمُ الفَرْقَانَ ﴾ . وقيل: ليلة تسع عشرة، يحكى عن على وابن مسعود، وقيل: ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله عَلَيْكُمْ في العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتا جبريل فقال : الذي تطلب أمامك، ثم قــام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: « من كان اعتكف معي فليرجع فإني رأيت ليلة القدر ، وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء » ، وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السهاء شيئاً، فجاءت قرعة، فمطرنا فصلَى بنا النبي ﷺ، حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه في صبح إحدى وعشرين 🕬 . قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات، وقيل: ليلة ثلاث وعشرين، وقيل: تكون لبـــلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبدالله بن عباس أن رسول الله عَلَيْكُم قال: « التمسوها في العشر الأواخر من

⁽٣) أخرجه أبو داود .

⁽١) أخرجه الطيالسي .

⁽٢) أخرجه مالك . (1) أخرجه الشيخان .

رمضان في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى " فسره كثيرون بليالي الاوتار، وهو أظهر وأشهر ، وحمله آخرون على الأشفاع . وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين ، لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله على أنها ليلة سبع وعشرين، قال الإمام أحمد: عن زر : سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنفر إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القلر، قال: يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك ؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم الاشعاع لها يعني الشمس . وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً، وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين، روى الإمام أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله على عليلة القدر، فقال رسول الله يماليلة : ﴿ في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة لما تقدم من هذا المحديث آنفاً، ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عبينة بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله المحديث آنفاً ، ولما واله الترمذي والنسائي من حديث عبينة بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله المحديث آنفاً ، ولمان و ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » . وفي المسلد من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي عليلة في ليلة القدر : «إنها آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي عليلة في ليلة القدر : «إنها آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي عليلة في ليلة القدر : «إنها آخر ليلة » .

فصيل

⁽١) خرجه البخاري .

⁽۲) خرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه .

⁽٣) خرجه أحمد .

 ⁽٤) خرجه أحمد .

⁽٥) أخرجه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

 ⁽٦) أخرجاه في الصحيحين .
 (٧) أخرجه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله عليه ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحي رجلان من المسلمين فقال: « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعــــة والخامسة ه 🕪 ، وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لمــا حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لمــا علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال إنه إنمــا خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط، وقوله: « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استثناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفــائدة والعلم النافع » كما جاء في الحديث: « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وقوله: « فرفعت » أي رفع علم تعيينها لكم ، لا أنهــا رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة، لأنه قــد قال بعد هذا: « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » ، وقوله: ٥ وعسى أن يكون خيراً لكم » يعني عـــدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة بخلاف مــا إذا علموا عينها، فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر، ولهذا كـــان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزُّ وجلُّ، ثم اعتكف أزواجه بعده . عـــن ابن عمر : كـان رسول الله عَلِيْقُهُ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ﴿ وَقَالَتَ عَانِشَةَ : كَانَ رَسُولَ الله عَلِيْكُمُ إِذَا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وشد المتزر ، ولمسلم عنها : كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره، وهذا معنى قولهـا وشد المتزر، وقيل: المراد بذلك اعتزال النساء، ويحتمل أن يكون كتاية عن الأمرين لمــا رواه الإمام أحمد، عن عائشة قالت: كان رسول الله عَلِيُّكُم إذا بتى عشر من رمضان شد مترره، واعتزل نساءه، وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليــالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يترجح منها ليلة عــلى أخرى ، والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر، والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، لما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة أن عائشة قالت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال: ٥ قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني »^(٣) .

[آخر تفسير سورة ليلة القدر ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽٢) أخرجاه في الصحيحين.

⁽٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة .



عن أنَس بن مالك قال؛ قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ «قال: وسماني لك ؟ قال: « نعم »، فبكى (١)

بِنْ لِللهِ الرَّمُّنِ الرَّجِ السِيارِ وَالرَّمُ الرَّجِ السِيارِ وَالرَّمُ الرَّجِ السِيارِ وَالرَّمُ الرَّجِ

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم، قال مجاهد: لم يكونوا ﴿ منفكين ﴾ يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق ﴿ حتى تأتيهم البينة ﴾ أي هذا القرآن، ولهذا قال تعالى: ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ ثم فسر البينة بقوله: ﴿ رسول من الله يتاو صحفاً مطهرة ﴾ يعني محمداً على أله ومكتب في الملأ الأعلى في صحف مطهرة ، كقوله تعالى: ﴿ فيها مطهرة » كرام بررة ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فيها كتب قيمة عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل ، قال قتادة ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثني عليه بأحسن الثناء ، وقال ابن زيد: ﴿ فيها كتب قيمة ﴾ مستقيمة معتدلة ، وقوله تعالى: ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد م جاءتهم البينة ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من عليه ، عظيم ﴾ ، يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا عذاب عظيم ﴾ ، يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا عذاب عظيم ﴾ . يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا عذاب عظيم الحجج والبينات تفرقوا على الأم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا على عنداب عظيم الحجج والبينات تفرقوا واختلاق المناء هم المنات المنزلة على الأم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلاق المنات المنات

⁽١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كبيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: وإن البهود اختلفوا على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على اللهود اختلفوا على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ،، قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين كقوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون كي، ولهذا قال: ﴿ حنفاء كي أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد، كقوله: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت كي، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته هاهنا، ﴿ ويقيموا الصلاة كي وهي أشرف عبادات البدن، ﴿ ويؤتوا الزكاة كي وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج ﴿ وذلك دين القيمة كي الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين، المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة، أنهم يوم القيامة في نار جهنم ﴿ خالدين فيها ﴾ أي ماكثين فيها لا يحولون عنها ولا يزولون، ﴿ أولئك هم شر البرية ﴾ أي شر الخيفة التي برأها الله وذرأها، ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا يقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله : ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ جزاؤهم عند ربهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعم القيم ﴿ ورضوا عنه ﴾ فيا منجهم من الفضل العميم، وقوله تعالى: ﴿ ذلك لمن خشي ربه ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله عليا أخبركم بخير البرية ؟ ه قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ﴿ رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة الستوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ﴿ رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة الستوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ﴿ رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ﴿ ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا: بلى، قال: ﴿ الذي يسأل بالله ولا يعطي به ﴾ () .

[آخر تفسير سورة البينة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .



وي الترمذي عن أنس قال، قال رسول الله على الله على الله عن قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » وعن ابن عباس قال، قال رسول الله على الله إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » وعن أنس بن مالك أن رسول الله على قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت يا فلان ؟ » قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج، قال: « أليس معك قل هو الله أحد ؟ » قال: « ثلث القرآن »، قال: « أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ » قال: بلى، قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك إذا زلزلت الأرض؟ » قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك إذا زلزلت الأرض؟ »

بنِ لِسُواَلِحَهُ نِ الرَّحِبِ

إِذَا زُلْزِلِتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالْمَىٰ ﴿ وَأَغْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَمَىٰ ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَالَمَى تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَمَىٰ ۞ يَوْمَهِدٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْنَاتًا لِيُرُوّاْ أَعْمَلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَ لَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَرَهُ ۞

قَلُ ابن عباس ﴿ إِذَا زَلَزُلْتَ الأَرْضَ زَلْزَالِهَا ﴾: أي تحركت من أسفلها ﴿ وَأَخْرَجَتَ الأَرْضَ أَثْقَالِهَا ﴾ يعني أُلقت ما فيها وتخلت ﴾، وكقوله : ﴿ وَأَلقت ما فيها وتخلت ﴾، وألقت ما فيها وتخلت ﴾، وفي الحديث: « تلتي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هـــذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدّعونــه قتلت. ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدّعونــه

⁽١) أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب .

⁽٢) أخرجه الترمذي ، وقال : غريب .

⁽٣) أخرجه الترمذي أيضاً ، وقال : حديث حسن .

فلا يأخذون منه شيئاً ﴾ " وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وقال الإنسان مالها ﴾ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قـد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسهاوات، وبرزوا لله الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ أي تحدث أخبارها ﴾ قال: « فإن أخبارها ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإن أخبارها » أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » " أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » " أن تشهد على خل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » " أن تشهد على خل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » أن تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة » " قوله تعالى: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، وقال ابن عباس: ﴿ يومئذ قلد أخبارها ﴾ قال اللها وقال البن عبد أن أن أن أن تقول بالله أن يرجعون عن موقف الحساب ﴿ أشتاتاً فلا يجتمعون أن تنشق عنهم، وقوله تعالى: ﴿ أشتاتاً فلا يجتمعون أن نشق وسعيد، مأمور به إلى الخار، قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم، وقال السدي ﴿ أشتاتاً ﴾ فرقاً .

وقوله تعالى: ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أي ليجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ، ولهذا قال: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله عليه قال: « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » الحديث . فسئل رسول الله عليه عن الحمر ؟ فقال: « ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ " وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي عليه فقراً عليه : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال : حسي أن لا أسم غيرها أن وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال : حسي أن لا أسم غيرها أن وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً توقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » ، وله أيضاً في الصحيح : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستستي ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » (١٠ . وفي الصحيح أيضاً : « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرنً جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (١٠ يعني ظلفها ، وفي الحديث الآخر : « ردوا السائل ولو بظلف محرق » . وعن عائشة أن رسول الله عليه قال : « يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » (٨٠ . وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت : كم فيها من مثقال ذرة ، وروى ابن جرير مسدها من الشبعان » (٨٠ . وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت : كم فيها من مثقال ذرة ، وروى ابن جرير

⁽١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي والسائي .

⁽٣) أخرجه الحافظ الطبراني .

⁽٤) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري .

 ⁽a) أخرجه أحمد والنسائي .

⁽٦) أخرجه البخاري .

⁽٧) أخرجه البخاري أيضاً .

⁽A) أخرجه أحمد .

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿ فَن يعمل مثقال ذرة خبراً يره » ومن يعمل مثقال الرة شراً يره ﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتهاً وأسيراً ﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزاة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامين على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فزلت ﴿ فين يعمل مثقال المرة كال : يكتب لكل بر وفاجر بكل مثقال المرة كالله واحدة وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشراً ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بي المود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها (المجل ينطلق فيجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها (المجل على المود والرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها (المجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها (الهود) المناه المعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها (الم

[آخر تفسير سورة إذا زلزلت . ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽۱) أخرجه ابن جرير

⁽٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد .



وَالْعَندِينَتِ ضَبَّهُ إِنَّ فَالْمُورِينَتِ قَدْحًا ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿ فَأَثَرُنَ بِهِ عَقْعًا ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ ۽ جَمْعًا ﴿ إِنَّ الْإِنسَنَ لِرَبِّهِ ء لَكَنُودٌ ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱخْصَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ * أَفَلَا يَعْـلُمُ إِذَا بُعْـثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۞ وَحُصِّـلَ مَا فِي ٱلصَّـدُورِ ۞ إِنَّا رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَهِدِ لَحَبِيرُ ۞ يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله، فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو " ﴿ فالموريات قدحاً ﴾ يعني اصطكاك نعالهـا للصخر ، فتقدح منه النــار ، ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رُسُول الله عَلِيْكُ يغير صباحاً ويستمع الآذان، فإن سمع أذاناً وإلا أغار، وقوله تعالى : ﴿ فَأَثْرُنَ بِهِ نَقَعاً ﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول، ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ أي توسطن ذلك المكان كلهـــن جمع، روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: بينا أنا في الحجر جالــاً جاءني رجل فسألني عن: ﴿ العــاديات ضبحاً ﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثـم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني، فذهب إلى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحاً، فقال: سألت عنها أحداً قبلي ؟ قال: نعم سألت ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلمنا وقف على رأسه، قال: أتفتي النــاس بمــا لا علم لك ؟ والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنمــا العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى مني، وفي لفظ: إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران ٣٠، فمذهب ابن عباس أنها الخيل™، وقال (على) إنها الإبل. قال عطاء: ما ضبحت داية قط إلا فرس أوكلب، وقال عطاء: سممت ابن عباس يصف الضبح: أحأح، وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿ فَالْمُورِيَاتُ قَدْحاً ﴾ يعني

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) وإلى قول ابن عباس ذهب جمهور المفسرين ، منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة واختاره ابن جرير .

بحوافرها، وقيل: أسعرت الحرب بـين ركبانهن، وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل، وقيل: المراد بذلك نيران القبائل، قال ابن جرير : والصواب الأول : الخيل حين تقدح بحوافرها، وقوله تعالى: ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله، وقال: من فسرها بالإبل هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى منى، وقالوا كلهم في قوله: ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو، وقوله تعالى: ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ قال ابن عباس وعطاء: يعني جمع الكفار من العدو. ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعاً ويكون منصوباً على الحال المؤكدة، وقوله تعالى: ﴿ إِنَ الإِنسان لربه لكنود ﴾ هذا هو المقسم عليه، بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود، قال ابن عباس ومجاهد: الكنود الكفور . قال الحسن : الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلْكُ لَشَّهَيْدُ ﴾ قال قتادة والثوري : وإن الله على ذلك لشهيد، ويحتمل أن يُعود الضمير على الإنسان فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي بلسان حاله، أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَبُ الْخَيْرِ لَشَدَيْكُ ﴾ أي وإنه لحب الخير وهو المال ﴿ لَشَدَيْدُ ﴾ ، وفيه مذهبان: ﴿ أحدهما ﴾: أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال، ﴿ وَالثَّانِي ﴾ وإنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح، ثم قال تبارك وتعالى مزهداً في الدنيا، ومرغباً في الآخرة، ومنهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال ﴿ أَفَلَا يَعْلُمُ إِذَا بَعْثُرُ مَا فِي الْقَبُورِ ؟ ﴾ أي أخرج ما فيها من الأموات، ﴿ وحصَّل ما في الصدور ﴾ يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم، ﴿ إِن ربهم بهم يومثذ لخبير ﴾ أي لعــالم بجميع ما كانوا يصنعون ، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة .

[آخر تفسير سورة العاديات ، ولله الحمد والمنة]





الْقَارِعَهُ فِي مَا اَلْقَارِعَهُ فِي وَمَا أَدْرَنكَ مَا الْقَارِعَةُ فِي يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ فِي وَتَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ فِي وَتَكُونُ الْجَبَالُ كَالْفِرَاشِ الْمَنفُوشِ فِي فَالْمَا مَنْ تَقُلُتُ مَوْزِينُهُ فِي فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ الْجَبَالُ كَالْفِيرِ اللهِ فَي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ إِنَّ فَأَمْهُ مَاوِيَةٌ ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَاهِيَهُ ﴿ نَارُّ حَامِيكُ ۖ كَالُّ

القارعة من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولًا لشأنها ﴿ وما أدراكُ ما القارعة ﴾ ؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ يوم يكون النــاس كالفراش المبثوث ﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث، كما قال تعالى: ﴿ كَأْنَهُم جراد منتشركُم ، وقوله تعالى: ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفُوش﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قـــد شرع في الذهاب والتمزق، قال مجاهد: ﴿ العهن ﴾ الصوف، ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العــاملين. وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم، فقال: ﴿ فَأَمَا مَن ثَقَلَتَ مُوازِينِهِ ﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته ، ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ يعني في الجنة ، ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته ، ﴿ فأمـــه هَاوِية ﴾ قيل: معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعبّر عنه بأمه يعني (دماغه) ، قال قتادة: يهوي في النار على رأسه، وقيل : معناه فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعــاد إليها ﴿ هاوية ﴾ وهي اسم من أسماء النـــار ، قال ابن جرير : وإنمــا قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ : ﴿ ومأواهم النار ﴾ . وروي عن قتادة أنه قال : هي النار وهي مأواهمٌ، ولهذا قال تعالّى مفسرًا للهاوية: ﴿ وَمَا أَدْرَاكُ مَا هَيْهِ مَا نَارَ حَامِيةً ﴾، روى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قـال: إذا مات المؤمن ذُهُب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روّحوا أخاكم؛ فإنه كان في غم الدنيا، قال: ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول: مات أوما جاءكم ؟ فيقولون: ذهب بــه إلى أمه الهاوية ٥٠ ، وقوله ٰتعالى: ﴿ نار حامية ﴾ أي حارة شديدة الحر ، قوية اللهب والسعير ، عن أبي هريرة أن النبي عليه قال: « نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » ، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية ؟ فقال: « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا ه⁶. وفي رواية: «كلهن مثل حرها ». وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة عن النبي عَلِيْكُةِ: « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد »^(٣). وروى الترمذي وابن ماجة، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿ أُوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة »(ن). وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لهــا بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف مِن حرها »(⁶⁾. وفي الصحيحين: « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » .

[آخر تفسير سورة القارعة . ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه ابن جرير .

 ⁽٢) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم بنحوه .
 (٤) أخرجه الترمذي وابن ماجة .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد . (٥) أخرجاه في الصحيحين .



بِنْ لِنُعْالِكُمْ نُواَلِحَمْ نُواَلِحَ مِنْ الْحَرِيبِ

أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ٢ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ١ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

عِلْمُ ٱلْيَقِينِ ١ لَتَرَوُنَ ٱلْجَحِيمَ ١ مُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ١ مُمَّ لَتُسْفَلُنَّ يَوْمَهِذِ عَنِ ٱلنَّعِيمِ

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وررتم المقابر، وصرتم من أهلها، عن زيد بن أسلم قال، قال رسول الله على التكاثر في عن الطاعة، وحتى زرتم المقابر في حتى يأتيكم الموت (). وقال الحسن البصري: وألهاكم التكاثر في يغني: «لوكان الطاعة، وحتى زرتم المقابر في حتى يأتيكم الموت () وقال الحسن البصري: وألهاكم التكاثر في يغني: «لوكان لابن آدم واد من ذهب » () . وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال: انتهت إلى رسول الله على وهو يقول: «في ألهاكم التكاثر في يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو لبست فأبليت، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله على : «يتبع أو تصدقت فأمضي، وما سوى «يقول احبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفني، أو لبس ف أبلي، أو تصدق فأمضي، وما سوى ذلك فا اهب وتاركه للناس » () . وروى البخاري عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله على : «يتبع الميت فلائة فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله () . وعن أنس أن ذلك فا اهبر عما أن ويبقى عمله () . وعن أنس أن الأحنف بن آدم ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله () . وعن أنس أن الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهماً فقال: لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته الأحنف متمثلاً قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

(٤) تفرد به مسلم .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) رواء البخاري في الرقاق . (۵) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

⁽٣) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي .

⁽٦) أخرجاه في الصحيحين.

وقال ابن بريدة : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار (بني حارثة) و (بني الحارث) تفاخروا وتكاثروا . فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان وفلان، وقال الآخرونُ: مثل ذلك تفاخروا بالأحياء " ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين، تقول: فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور، ومثل فلان . وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿ أَلِهَا كُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زَرْتُمُ الْمُقَابُرُ ﴾ (أ) لقد كان لكم فيها رأيتم عبرة وشغل، وقال قتادة: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، حتى صاروا من أهل القبور كلهم، والصحيح أن المراد بقوله: ﴿ زَرْتُمَ الْمَقَابُرُ ﴾ أي صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله عَلَيْكُم دخل على رجل من الأعراب يُعوده، فقال « لا بأس طهور إن شاء الله » ، فقال، قلت: طهور، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير ، تزيره القبور ، قال: « فنعم إذن » . وعن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عَمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ أَلَمَا كُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتِّي زَرْتُمُ الْمُقَابِرِ ﴾ فلبث هنيهة ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله، يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار، وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ فقال: بعث اليوم ورب الكعبة، أي أن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره، وقوله تعالى: ﴿ كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ﴾ قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد، وقــال الضحَّاك ﴿ كَلَّا سُوفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني أيَّها الكفار ، ﴿ ثُمْ كَلَّا سُوفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني أيها المؤمنون، وقوله تعــالى : ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ أي لو علمتم حق العلم لَما ألهاكم التكاثر عن طلب الدَّار الآخرة حتى صرتمإلى المقابر ثم قال: ﴿ لِتَرُونَ الْجَحْيَمِ * ثم لترونها عين اليقين ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿ كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون ﴾ توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار ، التي إذا زفرت زفرة واحدة، خرّ كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك .

⁽١) أخرجه ابن أبي حاتم .

⁽٢) أخرجه ابن جرير ورواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة بنحوه .

الذي تسألون عنه الله . وروى الإمام أحمد عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿ أَلَمَاكُم التَكَاثَرُ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ لتسألى يومئذ عن النعيم ﴾ قالوا: يا رسول الله عن أي نعيم نسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر ، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون الله

وروي الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي على الله الله أول ما يسأل عنه العبد من النعيم، أن يقال له ألم نصح لك بدنك، ونروك من الماء البارد ه (٣) ؟ وروى ابن أبي حاتم، عن عبدالله بن الزبير قال، قال الزبير: لما نزلت فو ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في قالوا: يا رسول الله لأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال: «إن ذلك سيكون ه (١). وفي رواية عن عكرمة: قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه ؟ وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى إلى نبية على الله الماء ألى تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم . وعن أبن مسعود مرفوعاً: « الأمن والصحة » . وقال زيد بن أسلم عن رسول الله على في ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق ولذة النوم. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وقال الحسن البصري: من النعيم الغداء والعشاء، وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال ، وقال ابن عباس: في ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار . يسأل الله العباد فيا استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: فو إن السمع والبصر والقواد كل أولئك كان عنه مشوولاً في . وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي عن ابن عباس قال، قال رسول الله علي أولت كان عنه فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ه (١٠ ومعني هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمين لا يقومون بواجبهما، فيهما بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

[آخر تفسير سورة التكاثر . ولله الحمد والمنة]



⁽١) أخرجه أحمد والنسائي .

⁽٢) أخرجه أحمد .

⁽٣) أخرجه الترمذي وابن حيان .

⁽٤) أُخرِجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي وابن ماجة .

⁽٥) أخرجه البخاري .



ذكر الطبراني عن عبيدالله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

وَٱلْعَصْرِ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَنِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِـلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَتِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّــبْرِ ﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال زيد بن أسلم : هو العصر ، والمشهور الأول ، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لني خسر أي في خسارة وهلاك ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أي على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

[آخر تفسير سورة العصر ، ولله الحمد والمنة]



وَيْلُ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لَٰمَزَةٍ ۞ الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ ۖ أَخْلَدُهُ ۞ كَلَّا لَيُنْبَذَنَ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَذْرَنْكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مَّوْصَدَةٌ ۞ فِي عَمْدٍ ثُمَّ لَذَةً ۞ فِي عَمْدٍ ثُمَّ لَذَةً ۞ فِي عَمْدٍ ثُمَّ لَذَةً إِنَّى اللهُ عَلَيْهِم مُّوْصَدَةً ۞ فِي عَمْدٍ ثُمَّ لَذَةً إِنَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِم أَوْصَدَةً ۞ اللهُ عَمْدٍ ثُمَدَةً إِنَّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

الهماز بالقول، واللماز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم، قال ابن عباس: ﴿هزة لمزة طالمة معياب، وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان؛ ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق)، وقال مجاهد: هي عامة. وقوله تعالى: ﴿ الذي جمع مالاً وعدده ﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى: ﴿ وجمع فأوعى ﴾ قال محمد بن كعب: ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة، وقوله تعالى: ﴿ يحسب أن ماله أخلاه ﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار، ﴿ كلا ﴾ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال تعالى: ﴿ لينبذن في الحطمة ﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدده ﴿ في الحطمة ﴾ وهي اسم من أسماء النار، لأنها تحطم من فيها، ولهذا قال: ﴿ وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ﴾ قال ثابت البناني : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده، وقوله تعالى: ﴿ في عمد ممددة ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد . وقوله تعالى: ﴿ في عمد ممددة ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد . وقوله تعالى: ﴿ في عمد ممددة ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في عمد ممددة كي يعني الأبواب هي الممددة ، وعنه: أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد، في أعناقهم السلاسل ، فسدت بها الأبواب (، وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار ، واختاره ابن جرير ، وقال أبو صالح : ﴿ في عمد ممددة كهددة كي يعني القيود النقال .

[آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة . ولله الحمد والمنة]

⁽١) هذه رواية العوفي عن ابن عباس والأولى رواية عكرمة عنه .



أَلَّهُ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجَعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولِ ۞

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيا صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة ، هذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار . يروى أن أبرهة الأشرم بني كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء عالية الفِناء مزخرفة الأرجاء، سمتها العرب (القليس) لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها، وعزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش، لذلك غضباً شديداً، حتى قصْدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها، فأحدث فيها وكرّ راجعاً، فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم (أبرهة) وقالوا له: إنحـا صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به ، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً، وذكر مقاتل أن فتية من قريش دخلوها، فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت، فتأهب أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظماً كبير الجئة لم ير مثله ، يقال له (محمود)، ويقال: كان معه اثنا عشر فيلاً غيره، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً . ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت، ورد من أراده بكيد، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذو نفر) فدعا قومه إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له (نفيل بن حبيب) الخثعمي في قومه فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه لبدله في بلاد الحجاز، فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات، فأكرمهم وبعثوا معه (أبا رغال) دليلاً. فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به. وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها.

فأخذوه، وكان في السرح ماثتا بعير لعبد المطلب، وبعث أبرهة حناطة الحِمْيري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصلّوه عن البيت، فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة: فاذهب معيي إليه، فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله – وكان عبد المطلب رجلاً جسماً حسن المنظر – ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد علي الملك ماثتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في ماثتي بعير أصبتهالك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيب رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك، ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام مكة، والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معد نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معد نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة،

اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك لا يغلب بن صليبهم ومحالهم أبدأ محالك

ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال. وذكر مقاتل أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة ، لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منهم ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة ، برك الفيل، وخرج (نفيل بن حبيب) يشتد حتى صعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم ، فأبى ، فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه ، فنزعوه بها ليقوم ؛ فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى البمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس ، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ، ويسألون عن (نفيل) ليدلم على الطريق ، هذا و نفيل على رأس الجبل مع قريش ، وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل ويسألون عن (نفيل) ليدلم على الفيل يقول :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وذكر الواقدي بإسناده: أنهم لما تعبأوا لدخول الحرم، وهيأوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائسر الجهات إلا ذهب فيها، فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم، وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون، وماذا

يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب، فبينها هم كذلك إذ بعث الله عليهم ﴿ طيراً أبابيل﴾ أي قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحلَّقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا، قال عطاء: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعــل يتساقط عضواً عضواً، وهم هاربون، وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم، قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً عَلِيْكُم ، كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عليهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال: ﴿ أَلَمْ تُرَكِيفُ فَعَلَ رَبُّكُ بِأَصْحَابِ الفَيلَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَجَعَلَهُم كعصف مأكولَ ﴾ ، وقوله: ﴿ لَإِيلَافَ قَرِيشُ هُ إِيلَافَهُمْ * رَحَلَةُ الشَّتَاءُ والصَّيفُ ءَ فَلْيَعِبْدُوا رَبِّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾. قال ابن هشام: « الأبابيــل » الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال: وأمــا « السجيل » فأخبرني يونس النحوي أنه عند العرب الشديد الصلب. « والعصف » ورق الزرع الــذي لم يقضب واحدته عصفة . انتهى ما ذكره . وقال ابن عباس والضحّاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً، وقال الحسن البصري وقتادة: الأبابيل الكثيرة، وقال مجاهد «أبابيــل» شتى متتابعة مجتمعة، وقال ابن زيد: «الأبابيــل» المختلفة تأتي من ههنا، ومن ههنا، أتتهم من كل مكان، وقال عكرمة: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لهــا رؤوس كرؤوس السباع. وعن ابن عباس ومجاهد: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لهــا عنقاء مغرب، وقال عبيد بن عمير : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجراً في منقاره، قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحتَ وألقت ما في أرجلهـــا ومناقيرها، فما يقع على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتهــا شدة فأهلكوا جميعاً . وقال ابن عباس ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال: طين في حجارة .

وقوله تعالى: ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسميه العامة هبور، وقال ابن عباس: العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة، وقال ابن زيد: العصف ورق الزرع، وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريناً، المعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمّرهم وردهم بكيدهم وغيظهم، لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، كما يروى لأمية بن أبي الصلت ابن ربيعة قوله:

ما يماري فيهن إلا الكفور مستبين حسابه مقدور بمهاة شاعها منشور صار يحبو كأنه معقور كلهم عظم ساقه مكسور الله إلا دين الحنيفة بور إن آيات ربنا باقيات خلق الليل والنهار فكل ثم يجلو النهار رب رحيم حبس الفيل بالمغمس حتى خلفوه ثم ابذعروا جميعاً كل دين يوم القيامة عند

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله على لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته ، فزجرها فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء ، أي حرنت ، فقال رسول الله على الله القصواء وما ذاك لهما بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » ، ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها » ، ثم زجرها فقامت أل . وفي الصحيحين أن رسول الله عليه قال يوم فتح مكة : اإن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فيبلغ الشاهد الغائب » .

[آخر تفسير سورة الفيل ، ولله الحمد والمنة]





لإِيلَافِ قُـرَيْسُ ۞ إِءلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّـتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَلَاَ ٱلْبَيْتِ ۞ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۞

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كانت متعلقة بما قبلها ، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله ﴿ لإيلاف قريش ﴾ أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين، وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فن عرفهم احترمهم ومن سار معهم أمن بهم، وهذا حالم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى: ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم ﴾ بدل من

⁽١) الحديث أخرجه البخاري .

الأول ومفسر له ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك، قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿ إنحا أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنع الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله على أطعمكم من جوع وآمنكم البلافهم رحملة الشناء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من جوع وآمنكم من جوع وآمنكم من جوع وآمنكم من خوف » أ .

[آخر تفسير سورة لإيلاف قريش . وقه الحمد والمنة]

* * *



أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿ فَذَاكِ ٱلَّذِي يَدُعُ ٱلْيَقِيمَ ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿ وَكَا يَكُمُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ اللَّهِ مَا مُرَاّءُونَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ اللَّهِ مَا أَيْرَاءُونَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ

يقول تعالى : ﴿ أَرأَيت ﴾ يا محمد ﴿ الذي يكذب بالدين ﴾ وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿ فذلك الذي يدع

⁽١) قال ابن كثير : صوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن (أم سلمة) الأنصارية رضي الله عنها ، لا عن أسامة بن زيد ولعله وقع خطأ في النسخة أو في أصل الرواية .

(١) أخرجه الشيخان .

(٣) أخرجه أحمد .

اليتيم ﴾ أي هو الذي يقهر اليتيم ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿ ولا يحض على طعام المسكين﴾ كقوله ﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فويل للمصلين ؞ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال ابن عباس: يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر، ولهذا قال: ﴿ للمصلين ﴾ الذين هم من أهل الصلاة ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، أو يخرجها عن وقتها، وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قــال: ﴿ عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل ﴿ في صلاتهم ساهون﴾ فيؤخرونها إلى آخر الوقت، أو لا يؤدونها بأركانها وشروطها عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله عَلِيْكُم قال: « تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قــام فنقر أربعاً ، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً "'' . فهذا أخّر صلاة العصر التي هي الوسطى –كما ثبت به النص – إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً، ولهذا قال: ﴿ لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » ولعله إنحـا حمله على القيام إليها مراءاة النــاس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصل بالكلية ، قــال الله تعالى: ﴿ إِنَ المُنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراۋون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ ، وقال تعالى ههنا: ﴿ الذين هم يراؤون ﴾ ، وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿ إِن في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعدّ ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله "" وروى الإمام أحمد عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوساً عند أبي عبيدة، فذكروا الرياء، فقسال رجل يكني بأبي يزيد : سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: « من سمّع الناس بعمله سمّع الله بــه سامع خلقه وحقّره وصغّره »(٣) . ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ الذين هم يراؤون ﴾ أن من عمل عملًا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رياء، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل، فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال: « كتب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية »^(ن). وفي رواية عنه قال، قال رجل: يا رسول الله ! الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال، قال رسول الله عليه عليه الله عليه أجران: أجر السر وأجر العلانية «٥٠). وعن سعد بن أبي و قاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿ الَّذِينَ هُمْ عن صلاتهم ساهون﴾ قال: « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها »(١٠) . قلت: وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، ويحتمل صلاتها بعدُّ وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت .

وقوله تعالى : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ أي لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى . وقد قال مجاهد ﴿ الماعون ﴾ الزكاة، وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ : صدقة ماله . وقال

⁽¹⁾ أخرجه الحافظ الموصلي .

⁽٢) أخرجه الطبراني . (٥) أخرجه الترمذي والطيالسي وأبو يعلى الموصلي .

⁽٦) أخرجه ابن جرير الطبري .

زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها. وسئل ابن مسعود عن الماعون ؟ فقال: هو ما يتعاطاه النساس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك، وقال ابن جرير، عن عبد الله قال: « كنا أصحاب محمد على المنافق النسائي عن عبد الله قال: كل محمد على نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن » ، ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله على عارية الدلو والقدر، وعن ابن عباس: ﴿ وبمنعون الماعون ﴾ يعني متاع البيت، وكذا قال مجاهد والنخعي انها العارية للأمتعة ، وقد اختلف الناس في ذلك، فمهم من قال: يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال: يمنعون الطاعة، ومنهم من قال: يمنعون العارية، وعن على: الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة، وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ، ولهذا جاء في الحديث: « كل معروف صدقة » .

[آخر تفسير سورة الماعون . ولله الحمد والمنة]

* * *



إِنَّا أَعْطَيْنَكَ ٱلْكُوْثَرَ ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱلْحَرُّ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتُرُ ﴾

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله على الله على المسجد إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: « لقد أنزلت على آنفاً سورة » فقرأ: ﴿ بسم الله الرحم الرحم ، إنا أعطيناك الكوثر » فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر ﴾، ثم قال: « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السهاء فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك » (أ) ، وقد استدل كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، فأما قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فقد

⁽١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة، وقد رواه الإمام أحمد عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَا أَعطيناك الكوثر ﴾ قال، قال رسول الله: وأعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته، فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر "". وروى ابن جرير، وأتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل في السهاء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه قصر من عن أنس بن مالك قال: لما أسري برسول الله علي الله علي السهاء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك، قال: ويا جبريل ما هذا النهر ؟ وقال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربك؛ وفي رواية عن أنس قال: سئل رسول الله علي عن الكوثر ؟ فقال: وهو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة للك ربك؛ وفي رواية عن أنس قال: سئل رسول الله علي عن الكوثر ؟ فقال: وهو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر »، قال أبو بكر: يا رسول الله إنها لناعمة؟ قال: «آكلها أنع منها». وقال البخاري: حدّثنا خالد بن يزيد الكاهلي. حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَا أَعطيناك الكوثر ﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم علي أنها الموائل عليه عنه در مجوف آنيته كعدد النجوم »". وعن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف، نبيكم علي عن الكوثر ؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت ()

وقال البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه أن . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير، وهذا التفسير يعم النهر وغيره، لإن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد، حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة، وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير: عن ابن عباس قال: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل ». وعن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه خيل الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل ». وعن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه الإمام أحمد: عن ابن عمر قال، قال رسول الله علي الله عن البن، وأحلى من العبل " وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العبل " وماؤه أشد بياضاً من السائب قال: قال لي على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل " ومدير عن عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر . قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر . قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر . قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير ، فقال:

⁽١) أخرجه الإمام أحمد .

⁽٢) أخرجه البخاري .

⁽٣) أخرجه البخاري .

 ⁽٤) أخرجه ابن جربر .
 (٦) أخرجه الترمذي موقوفاً .

 ⁽٥) أخرجه البخاري .
 (٧) رواه الترمذي وبن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

صدق الله إنه للخير الكثير ؛ ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت ﴿ إِنَا أَعطِينَاكَ الْكُوثُر ﴾ قال رسول الله ﷺ: 8 الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت » . وهكذا روي عن أنّس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة ، وقال عطاء: هو حوض في الجنة .

وقوله تعالى : ﴿ فصلِّ لربك وانحر ﴾ أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا وِالآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونحرك فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ قُلُ إِنْ صَلَاتِي وَنُسَكِّي وَمُحَيِّاي وَثَمَاتِي لَلَّهُ رَبِّ الْعَالَمِين ۥ لا شريك له وبهذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك نحر البدن ونحوها، وقيل: المراد بقوله: ﴿ وانحر ﴾ وضع اليد اليمني على اليسرى تحت النحر، وقيل: ﴿ وانحر ﴾ أي استقبل بنحرك القبلة، والصحيح القول الأول: أن المراد بالنحر ذبح المناسك، ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول: « مِن صلى صلاتنا ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » الحديث . قال ابن جرير : والصواب قول من قال: إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً، دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به، وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقوله تعالى: ﴿ إِن شَانَتُكَ هُو الأَبْتَرَ ﴾ أي إن مبغضك يا محمد . ومبغض ما جئت به من الهدى والحق، والبرهان الساطع والنور المبين ﴿ هُو الأبتر ﴾ الأقل الأذل المنقطع ذكره، قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في العاص ابن وائل، وقال يزيد بن رومان: قال، كان العاص بن واثل إذا ذكر رسول الله عَلَيْكُ يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هــذه السورة، وقيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقال عطاء: نزلت في (أبي لهب) وذلك حين مات ابن لرسول الله عليه ، فذهب أبو لهب إلى المشركين، فقال: بتر محمد اللبلة فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِن شَانتُكَ هُو الأَبْتَر ﴾، وعن ابن عباس: نزلت في (أبي جهل) وعنه ﴿ إن شانتك ﴾ يعني عدوك، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم . وقال عكرمة: الأبتر الفرد، وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل، قالوا: بتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ ، قالوا : بتر محمد، فأنزل الله : ﴿ إِن شانئك هو الأبتركه ، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم المحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد .

[آخر تفسير سورة الكوثر . ولله الحمد والمنة]



ثبت في صحيح مسلم، عن جابر، أن رسول الله يَوَالِيَّهِ قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف⁽⁽⁾⁾، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله يَوَالِيَّهِ قرأ بهما في ركعتي الفجر، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن، وروى الطبراني أن رسول الله عَلِيْتُهُ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ حتى يختمها (() ، وعن الحارث بن جبلة قال، قلت: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: «إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿ يا أيها الكافرون ﴾ فإنها براءة من الشرك » (() ، والله أعلم .

بِنْ لِنُهُ الرَّمُّنُ الرَّحِي حِر

فُلْ يَنَأَيُّكَ ٱلْكَنْفِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُمَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَلِيدُونَ مَاۤ أَعْبُدُ۞ وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَاعَبَدَتُمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَلِيدُونَ مَاۤ أَعْبُدُ۞ وَلَا أَنَاْ عَابِدٌ مَاعَبَدَتُمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَلِيدُونَ مَاۤ أَعْبُدُ۞ لَكُرْ دِينَكُمْ وَلِيَ دِينِ ۞

هذه سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، فقوله تعالى: ﴿ قَلْ يَا أَيُّهَا الْكَافُرُونَ ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن الموجهون بهذا الخطاب هم (كفار قريش) دعوا رسول الله على الله على الله عليه الله على المؤلفة، فقال: ﴿ لا أعبد ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله على فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ يعني من الأصنام والأنداد، ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ وهو الله وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ه ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي لا تقتلون بأوامر الله وشرعه، في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، ولهذا كان كلمة الإسلام « لا إلّه إلا الله محمد رسول الله » أي لا معبود إلا الله، ولا

⁽١) أخرجه مسلم .

⁽٢) أخرجه الطبراني (٣) أخرجه الإمام أحمد .

طريق إليه إلا يما جاء به الرسول على المشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن الله بها، ولهذا قال: ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾ ، وقال: ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ ، وقال البخاري ﴿ لكم دينكم ﴾ الكفر ، ﴿ ولي دين ﴾ الإسلام ، ولم يقل: ديني ، لأن الآيات بالنون فحذف الياء ، كما قال : ﴿ فهو يهدين ﴾ ﴿ ويشفين ﴾ ، وقال غيره : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ الآن ولا أجيبكم بما بني من عمري ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ، ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله : ﴿ فإن مع العسر يسراً ﴾ إن مع العسر يسراً ﴾ فهذه ثلاثة أقوال : أولهما : ما ذكرناه أولاً . الثاني : ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد : ﴿ لا أعبد ما تعبدون » ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ في الماضي ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم » ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ في الماخلية ، ﴿ ولا أنا عابد من أيضاً نفى الفعل لأنها جملة فعلية ، ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ نني قبوله لذلك بالكلية ، لأن الني بالجملة الإسمية آكد ، فكأنه نفى الفعل ، وكونه قابلاً لذلك ، ومعناه ما عبدتم ﴾ ونني الإمكان الشرعي أيضاً ، وهو قول حسن أيضاً ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون . ولله الحمد والمنة]





روى الحافظ أبو بكر البزار، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ على رسول الله على الله

بِنْ لِللَّهِ ٱلرَّمُنُ ٱلرَّجِ لِي

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَسْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرُهُ

روى البخاري، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عزّ وجلّ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ؟ فقال بعضهم: أمرنا أن تحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول ؟ فقلت: هو أجل رسول الله على الله على فقال: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿ فسبّع بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول ألا ما تقول أله مقبوض في تلك السنة، وهكذا قال مجاهد والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله عليه على إليه، وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختم السورة قال: نعيت الله على عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختم السورة قال: نعيت الله على المنه ما إله منه الله على المنه أله المنه أله المنه أله الله عالم الله والفتح كله عنى ختم السورة قال: نعيت الله على المنه أله المنه الله المنه أله المنه الله والفتح كم حتى ختم السورة قال: نعيت المنه الله المنه المنه الله المنه ال

⁽١) أخرجه البزار والبيهتي .

⁽٢) أخرجه البيهتي ورواه النسائي بنحوه بدون ذكر فاطمة . (٣) أخرجه البخاري في صحيحه .

روى البخاري، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله على يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: اسبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن ")، وقالت عائشة: كان رسول الله على أخير في آخر أمره من قول: « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه »، وقال: « إن ربي كان أخبر في أن سأرى علامة في أمني، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمد وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً « فسيّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ » "، والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمئة، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله يَها في كانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبي (عبد الله) فسلم على أن فجمل فإن ظهر عليهم فهو نبي (جابر بن عبد الله) فسلم على " فجعلت أحد ثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل من سفر فجاءني (جابر بن عبد الله) فسلم على " فجعلت أدرته عن افتراق الناس وما أحدثوا ، وسيخرجون منه أفواجاً » () "

[آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة]

* * *

⁽١) أخرجه الطبراني والنسائي . ﴿ ٤) أخرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه .

⁽٢) أخرجه البخاري ومسلم . (٥) أخرجه البخاري .

⁽٣) أخرجه البخاري وبقية الجماعة إلا الترمذي .(٦) أخرجه الإمام أحمد .



بِنْ لِنُهُ الرَّمُ نِ ٱلرَّحِ لِينَا الرَّحِ الْحَالِمَ الرَّحِ الْحَالِمَ الرَّحِ الْحَالِمَ الرَّحِ الْحَالِمَ الرَّحِ الْحَالِمَ الْحَالِمِ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمِ الْحَالِمِ الْحَالِمِ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمَ الْحَالِمِ الْحَلْمِ الْحَلْمُ الْحَلْمِ الْمَلْمِ الْحَلْمِ الْحَلْمِ الْحَلْمِ الْمَلْمِ الْحَلْمِ الْعِلْمِ الْعَلَمِ الْعَلْمِ الْحَلْمِ الْحَلْمِ الْعِلْمِ الْمَلْمِ الْمَلْمِ الْعَلْمِ الْمَلْم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَمَبِ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَمَبِ ۞ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّلَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدِرٍ۞

روى البخاري، عن ابن عباس أن النبي على خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: ويا صباحاه و فاجتمعت اليه قريش، فقال: و أرأيتم إن حدثتكم أن العلو مصبحكم أو بمسيكم أكنتم تصدقوني ؟ وقالوا: نعم، قال: و فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد و، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك ماثر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ إلى آخرها () . وفي رواية : فقام ينفض يديه وهو يقول: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله على الإسام (عبد العزى بن عبد المطلب) وكان كثير الأذية لرسول الله على والبغض له، والتنقص له ولدينه، روى الإسام أحمد عن أبي الزناد قال : أخبر في رجل يقال له (ربيعة بن عباد) من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت أحمد عن أبي الزناد قال : أخبر في رجل يقال له (ربيعة بن عباد) من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابي كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فقالوا : هذا عمه أبو لهب الله على القبيلة فيقول: وتعاني رسول الله على القبائل ، ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة، يقف رسول الله على القبيلة فيقول: وسول الله على المول الله المحرة أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني و تمنعوني حتى أنفذ عن الله ما جاء به من البدعة والضلالة، فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى ما بعثني به ٤، وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى ورحلفاء كم من الجن إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي : من هذا ؟ قال

⁽١) أخرجه البخاري .

⁽۲) أخرجه أحمد .

عمه أبو لهب (١٠) . فقوله تعالى: ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه، ﴿ وتب ﴾ أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه .

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عنه ماله وما كسب ﴾ قال ابن عباس: ﴿ وما كسب ﴾ يعني ولده، يروى أن رسول الله وقوله تعالى: ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ العذاب بما لي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد، ﴿ وامراً ته حمالة الحطب ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿ حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ يعني تحمل الحطب فتلتي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، هي مهيساة لذلك مستعدة له، ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ قال مجاهد: من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة ﴿ حمالة الحطب ﴾ كانت تمشي بالنميمة ﴿ . وقال ابن عباس والضحّاك : كانت تضع الشوك في طريق رسول الله عليها وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار، والمسد خوص، وقال مجاهد: ﴿ وَعل من مسد ﴾ أي طوق من حديد، أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر خوص، وقال مجاهد: ﴿ وَعل من مسد ﴾ أقبلت العوراء (أم جميل) بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول :

ورسول الله عَلَيْهُ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله عَلَيْهُ: «إنها لن تراني »، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله عَلَيْهُ، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها، قال: فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مذم ''). وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائماً.

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوّة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ه وامرأته حمالة الحطب ه في جيدها حبل من مسد ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً ، فكان هـــذا من أقوى الأدلة البــاهرة ، على النبوّة الظاهرة .

[آخر تفسير سورة المسد ، ولله الحمد والمنة]

⁽١) أخرجه أحمد والطبراني . (٢) واختاره ابن جرير . (٣) أخرجه ابن أبي حاتم .



(ذكر سبب نزولها وفضلها)

عن أبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُو الله أَحدٌ ﴾ أن الله الله الله تعالى: ﴿ الصمد ﴾ أحدٌ ، الله الصمد أحدٌ به الله يلد ولم يولد أنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عزَّ وجلَّ لا يموت ولا يورث، ﴿ ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

حديث آخر في فضلها: روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي عَلَيْهُ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿ قُلْ هُو الله أحد ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك النبي عَلَيْهُ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك » ؟ فسألوه » فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي عَلَيْهُ: « أخبروه أن الله تعالى يحبّه » " .

حديث آخو: قال البخاري في كتاب الصلاة، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة عما يقرأ به، افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي عَلِيلِهِ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ه ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » ؟ قال: إني أحبها، قال: «حبك إياها أدخلك الجنة »(*)

حديث آخر: قال البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله عَلَيْكُ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة »؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن »().

⁽١) أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير . (٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة .

⁽٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد . (٤) أخرجه البخاري .

حديث آخر : قال أحمد، عن أُبيّ بن كعب قال، قال رسول الله ﷺ: « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن »(')

حديث آخر : عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أيعجز أحــدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن؟ « قالوا : نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال : « فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فقل هو الله أحد ثلث القرآن » أن .

حديث آخو: عن عبدالله بن حبيب قال: أصابنا عطش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال: « قُلْ » فسكت، قال: « قُلْ » ، قلت: ما أقول ؟ قال: « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي ، وحين تصبح ثلاثاً . تكفيك كل يوم مرتين » ()

حديث آخو : عن سهل بن معاذبن أنّس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله عَلَيْكُ قال: « من قرأ قُل هو الله أحد حتى يختمها عشر مزات بنى الله له قصراً في الجنة »، فقال عمر : إذاً نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله عَلَيْكِ : « الله أكثرُ وَأَطيب »(¹⁾

حديث آخر، في فضلها مع المعوذتين: عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله على ، فابتدأته ، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال: «يا عقبة أخرس لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيتك ، قال: ثم لقيني رسول الله على فابتدأني ، فأحد بيدي فقال: «يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » ؟ قال، قلت: بلى، جعلني الله فداك، قال: فأقرأني: ﴿ قَلْ هُو الله أحد – وقل أعوذ برب الفلق – وقل أعوذ برب الناس ﴾ ، ثم قال: «يا عقبة لا تنسهن فأقرأني: ﴿ قَلْ هُو الله أحد – قال: ﴿ فَا نَسِيتُهِنَ مَنْذُ قَالَ لا تنسهن ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن ، قال عقبة : ثم لقيت رسول الله على فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: «يا عقبة صل من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك » (*)

حديث آخر : في الاستشفاء بهن، قال البخاري، عن عائشة، ان النبي عَلَيْكُ كان إذا أوى إلى فراشه كل كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُو الله أُحدِ ﴾ و ﴿ قُلْ أُعوذُ برب الفاق ﴾ و ﴿ قُلْ أُعوذُ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات (٢)

⁽١) أخرجه أحمد .

⁽٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

⁽٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

⁽٤) رواه أحمد والدارمي .

⁽٥) رواه أحمد والترمذي .

⁽٦) أخرجه البخاري وأهل السنن .

قُـلْ هُوَاللَّهُ أَحَدُ ﴿ اللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوا أَحَدُ ﴿

قال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عزير بن الله ، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح بن الله، وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هُو الله أحدكه يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا شبيه ولا عديل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقوله تعالى: ﴿ الله الصمد ﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، قال ابن عباس: هو السيد الذي قــد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قــد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قــد كمل في عظمته ، والحليم الذي قـــد كمل في حلمه، والعليم الذي قــد كمل في علمه، والحكيم الذي قُد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحــــد القهار، وقال الأعمش ﴿ الصمد ﴾ السيد الذي قـــد انتهى سؤدده، وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقـــه، وقال الحسن أيضاً ﴿ الصمد ﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال الربيع بن أنَس : هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له ، وهو قوله : ﴿ لم يلد ولم يولد﴾ وهو تفسير جيد، وقال ابن مسعود والضحَّاك والسدي: ﴿ الصمد﴾ الذي لا جوف له ، وقال مجاهد ﴿ الصمد﴾ المصمت الذي لا جوف له ، وقال الشعبي : هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب . وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عزَّ وجلَّ، هِو الذي يصمد إليه في الحواثج، وهو الذي قــد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقــال البيهتي نحو ذلك، وقوله تعالى : ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحــد ﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد: ﴿ وَلَمْ يَكُنُّ لَهُ كَفُواً أَحْدَكُهِ يَعْنِي لا صاحبة له ، وهذا كما قال تعالى: ﴿ بديع السماوات والأرض آئى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كــل شيء﴾ أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه ؟ تعالى وتقدس وتنزه، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولداً لقــد جثتم شيئًا إدًّا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ـ لا يسبقونه بالقول وهم بـأمره يعملون ﴾ . وفي صحيح البخاري: « لا أحــد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »^^. وفي الحديث القذسي : « كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد ٣٠٠.

[آخر تفسير سورة الإخلاص . ولله الحمد والمنة]

 ⁽١) أخرجه البخاري .
 (٢) أخرجه البخاري أيضاً .



وتقدم حديث عائشة أن رسول الله علي كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، وروى الإمام مالك، عن عائشة أن رسول الله علي كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات، وأمسح بيده عليه رجاء بركتها(۱۱). وعن أبي سعيد أن رسول الله علي كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما(۱۰).

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿ مِن شَرِّ مَاخَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَلثَتِ فِ ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞

قال ابن عباس ﴿ الفلق ﴾ : الصبح، وقال ابن جرير : وهي كقوله تعالى: ﴿ فالق الأصباح ﴾ . وقــال

⁽١) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

⁽٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .

⁽٣) أخرجه مالك ورواه البخاري وأبو داود والنسائي .

⁽٤) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

ابن عباس: ﴿ الفلق ﴾ الخلق، أمر الله نبيّه أن يتموذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار: ﴿ الفلق ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، قال ابن جرير: والصواب القول، إنه فلق الصبح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رحمه الله تعالى ، ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري: جهم وإبليس وذريته مما خلق ، ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال مجاهد ﴿ غاسق ﴾ الليل ﴿ إذا وقب ﴾ غروب الشمس () ، وقال الحسن وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه، وقال الزهري: الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة : ﴿ إذا وقب ﴾ الليل إذا ذهب، وقال أبو هريرة ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ الكوكب، قسال ابن جرير ، وقال آخرون: هو القمر ، قالت عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله علي يبدي فأراني القمر حين طلع ، وقال: ﴿ تموذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب » () ، ولفظ النسائي: ﴿ تموذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب ﴾ الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِ النَّفَاتَاتَ فِي الْعَقَدَ ﴾ قال مجاهد وعكرمة : يعني السواحر ، قال مجاهد : إذا رقين ونفثن في العقد ، وفي الحديث : أن جبريل جاء إلى النبي عليه فقال اشتكيب يا محمد ؟ فقال : « نعم » ، فقال : باسم الله أرقيك ، من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك . ولعل هذا كان من شكواه عليه حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم .

روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه، عن عائشة قالت: كان رسول الله على سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال: « يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيا استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال: مطبوب، قال : ومن طبه ؟ قال (لبيد بن أعصم) رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً، قال: وفيم ؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين ؟ قال: في جف طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، ، قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: « هذه بئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن غلها رؤوس الشياطين »، قال: فاستخرج، فقلت: أفلا تنشرت ؟ فقال: « أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً » ألى وروى الثعلبي في تفسيره ، قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله علي في نفسيره ، فيال ابن عباس وعائشة رأس النبي علي . وعدة من أسنان أحد من الناس مثله ، فيال له ذروان، فرض رسول الله علي تولى ذلك رجل منهم يقال له (ابن أعصم) ثم دسها في مشطه ، فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له (ابن أعصم) ثم دسها في بئر لبني زريق، يقال له ذروان، فرض رسول الله عليها هو نائم إذ أتاه ملكان فبطس أحدهما عند رأسه والآخر عند ولا يأتيهن، وجعل يذوب، ولا يدري ما عراه، فبينها هو نائم إذ أتاه ملكان فبطس أحدهما عند رأسه والآخر عند

⁽١) حكاه البخاري عنه وهو قول ابن عباس والضحّاك .

⁽٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

⁽٣) أخرجه البخاري ورواه مسلم وأحمد بمثله .

رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل ؟ قال: طبّ ، قال: وما طب ؟ قال: سحر ، قال: ومن سحره ؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وبم طبه ؟ قال: بمشط ومشاطة، قال: وأين هو ؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بثر ذروان، والجف قشر الطلع، والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتيء يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله يَوْلِيَّهُ: مذعوراً، وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي »، ثم بعث رسول الله علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر، كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله علي خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين، الله يشفيك، فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله ؟ فقال رسول الله عليه الناس شراً ه\()





بنِ لِنُعْالِكُهُ نِ ٱلدَّحِيرِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَّاسِ ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴿ إِلَهِ النَّاسِ ﴿ مِن شَرِّ الْوَسُواسِ الْخَنَاسِ ﴾ اللهِ النَّاسِ ﴿ مِن شَرِّ الْوَسُواسِ الْخَنَاسِ ﴾ اللهِ عُوسُوسُ فِي صُدُودِ النَّاسِ ﴿ مِنَ الْجِئَةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزَّ وجلَّ : (الربوبية) و (الملك) و (الإلهية)، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش . ولا يألوه

⁽١) قال ابن كثير : هكذا أورده الثعلبي بدون إسناد وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم .

جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت في الصحيح: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه» قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال: « نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » . وثبت في الصحيحين « إن الشيطان يجري من ابن آدم بجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً – أو قال – شراً » (وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك، قال ، قال رسول الله على أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي النقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس » (وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، قال ابن عباس في قوله: ﴿ الوسواس الخناس ﴾ ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، قال ابن عباس في قوله: ﴿ الوسواس الخناس ﴾ قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

[آخر التفسير ، وقد تم والحمد لله رب العالمين]

* * *

استدراك : الحديث الوارد عند قوله تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ من سورة البقرة ص ٢٢٦/ج ١ وهو قوله ﷺ : « الأبدال في أُمتي ثلاثون ، بهم ترزقون ، وبهم تمطرون ، وبهم تمطرون ، وبهم تعد الله وبهم تنصرون » لم تشر النسخ المطبوعة والمخطوطة إلى ضعفه ، وقد أرشدني فضيلة الشيخ عبد الله ابن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام إلى أن الحديث ضعيف وأنه قد وجد ذلك

⁽١) أخرجه الشيخان في قصة زيارة صفية للنبي عليه وهو معتكف فلقيه رجلان فقال : « على رسلكما إنها ضفية » الحديث .

⁽٢) أخرجه الحافظ الموصلي .

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة بلفظ أطول .

⁽٤) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .

في نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم الشريف، وقد رجعت بنفسي إلى المخطوطة فوجدت النص التالي : «روى أبو بكر بن مردويه بسنده عن ثوبان – رفع الحديث – قال : لا يزال بكم سبعة تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله » . ثم ذكر بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله على الا يزال في أُمتي ثلاثون . بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة : وإني لأرجو أن يكون الحسن منهم . وهذان الحديثان ضعيفان وإسناد كل منهما لا يثبت . هكذا ورد في النسخة المطبوعة المخطوطة ج ١ ص ١٤٦ ومع ملاحظة الفرق بين اللفظين (الأبدال في أُمتي ثلاثون) في النسخة المطبوعة و (لا يزال في أُمتي ثلاثون) الخ في المخطوطة فقد رأينا التنبيه إلى ذلك وشكر الله لفضيلة الشيخ بن حميد مسعاه ، وجزاه الله على إرشاده الكريم خير الجزاء .

وكتبه محمد على الصابوني

محتويات المجكد الثالث

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
474	 تفسير سورة الطور		 تفسير سورة القصص
79 A	تفسير سورة النجم	YA	تفسير سورة العنكبوت
£ • V	تفسير سورة القمر	27	تفسير سورة الروم
110	تفسير سورة الرحمن	7.4	تفسير سورة لقمان
277	تفسير سورة الواقعة	٧٧	تفسير سورة السجدة
224	تفسير سورة الحديد	۸۰	تفسير سورة الأحزاب
\$01	تفسير سورة المجادلة	14.	تفسير سورة سبأ
274	تفسير سورة الحشر	١٣٨	تفسير سورة فاطر
143	تفسير سورة الممتحنة	101	تفسير سورة يس
841	تفسير سورة الصف	171	تفسير سورة الصافات
£9V	تفسير سورة الجمعة	197	تفسير سورة ص
0.4	تفسير سورة المنافقون	711	تفسير سورة الزمر
۰۰۸	تفسير سورة التغابن	377	تفسير سورة غافر
917	تفسير سورة الطلاق	307	تفسير سورة فصلت
a 1 4	تفسير سورة التحريم	414	تفسير سورة الشورى
770	تفسير سورة الملك	445	تفسير سورة الزخرف
041	تفسير سورة القلم	799	تفسير سورة الدخان
0 8 \	تفسير سورة الحأقة	۳۰۸	تفسير سورة الجاثية
017	تفسير سورة المعارج	710	تفسير سورة الأحقاف
904	تفسير سورة نوح	779	تفسير سورة محمد
700	تفسير سورة الجن	779	تفسير سورة الفتح
975	تفسير سورة المزمل	TOV	تفسير سورة الحجرات
9 7V	تفسير سورة المدثر	***	تفسير سورة ق
ovi	تفسير سورة القيامة	47/	تفسير سورة الذاريات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
707	تفسير سورة العلق	۰۸۰	تفسير سورة الإنسان
707	تفسير سورة القدر	PA3	تفسير سورة المرسلات
774	تفسير سورة البينة	٥٩٠	تفسير سورة النبأ
770	تفسير سورة الزلزلة	090	تفسير سورة النازعات
778	تفسير سورة العاديات	099	تفسير سورة عبس
779	تفسير سورة القارعة	7-1	تفسير سورة التكوير
177	تفسير سورة التكاثر	71.	تفسير سورة الانفطار
377	تفسير سورة العصر	7.14	تفسير سورة المطففين
770	تفسير سورة الهمزة	714	تفسير سورة الانشقاق
777	تفسير سورة الفيل	777	تفسير سورة البروج
779	تفسير سورة قريش	777	تفسير سورة الطارق
٦٨٠	تفسير سورة الماعون	774	تفسير سورة الأعلى
YAF	تفسير سورة الكوثر	744	تفسير سورة الغاشية
eAF	تفسير سورة الكافرون	740	تفسير سورة الفجر
7.47	تفسير سورة النصر	78.	تفسير سورة البلد
7/4	تفسير سورة المسد	754	تفسير سورة الشمس
791	تفسير سورة الاخلاص	727	تفسير سورة الليل
798	تفسير سورة الفلق	789	تفسير سورة الضحى
797	تفسير سورة الناس	707	تفسير سورة الشرح
		702	تفسير سورة التين

فعاكرك مغصتك د لأهم محتوي*رت المج*لي*لات* المثلاث

ففيت محنوا كرالج للالأول

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
وجوه إعجاز القرآن الكريم	£ Y	كلمة الناشر	۵
تنبيه ينبغي الوقوف عليه	٤٣	مقدمة المختصر	٧
ضرب الأمثال في القرآن الكريم	to	مقدمة ابن كثير	11
قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلَ فِي الأَرْضُ خَلِيفَةً ﴾ إلى	٤٨	مقدمة مفيدة تذكر قبل الفاتحة	11
قوله « قال إني أعلم ما لا تعلمون ٥		ذكر ما ورد في فضل سورة الفاتحة	٥
قوله تعالى ٥ وعلم آدم الأسماء كلها ٥ إلى قولسه	• 1	تفسير الاستعاذة	٧
« وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »		تفسير سورة الفاتحة	۱۸
تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام	۰۳	تفسير البسملة	۱۸
هبوط سيدنا آدم وحواء من الجنة	٥٦	أسماء الله تعالى التي لا يجوز أن يسمى بها غيره	۲.
أَمْرُ الله بني إسرائيل الدخول في الإسلام	٥٧	تفسير آيات سورة الفاتحة	۲.
قوله تعالى ﴿ أَتَأْمَرُونَ النَّاسُ بِالبِّرِ وَتُنْسُونَ	•4	« فصل » فيما اشتملت عليه سورة الفاتحة	40
أنفسكم s		ما ورد في فضل سورة البقرة	77
الاستعانة بالصبر والصلاة	٦.	تفسير سورة البقرة	**
تعداد نعم الله على بني إسرائيل	77	أقوال المفسرين في الحروف المقطعة	**
ضرب الذُّلة والمسكنة على بني إسرائيل	٧٠	التي في أواثل بعض السور	
قوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاقكم » إلى قوله	**	قوله تعالى « هدى للمتقين »	44
« لعلكم تشكرون »		قوله تعالى ه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون	79
إعتداء أصحاب السبت ومصيرهم	٧٣	الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ،	
الأمر يذبح البقرة	٧o	قوله تعالى و وبالآخرة هم يوقنون ٥	۳.
بسط قصة البقرة	77	قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم »	77
قسوة قلوب بني إسرائيل	٧٨	صفة المنافقين	77
قوله تعالى « ومنهم أُشِّيون » إلى قوله « وويل لهم	۸۱	قوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » إلى	۳۸
ها یکسبون »		قوله دوأنتم تعلمون ،	
دعوى (أدعاء) يهود بنجانهم من النار يسوم	٨٢	ذكر حديث في معنى الآية السابقة	44
القيامة ورد القرآن الكريم عليهم		تقرير النبوة	٤١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
عناد يهود في مخالفتهم ما يعرفونه من شــأن	144	مخالفة يهود لما أخذ الله عليهم من ميثاق	٨٤
النبي باللغ		قوله تعالى « قل من كان علوًّا لجبريل » إلى	41
أقوال المفسرين في شأن تكرار أمر الله تعالى	11.	قوله « فإن الله عدو للكافرين »	
باستقبال المسجد الحرام		تحريف أحبار يهود لما جاء في كتبهم	41
الاستعانة بالصبر والصلاة	127	فصل : في الكلام على السحر وأنواعه	11
الشهداء أحياء في برزخهم يرزقون	127	فصل : فيمن يتعلم السحر ويستعمله	1.1
فضل الصابرين على الابتلاء	124	قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا »	1.4
الطواف بالصفا والمروة	122	إلى قوله « والله ذو الفضل العظيم ه	
وعيد الله لمن يكتم العلم	731	تفسير قوله تعالى و ما ننسخ من آية ٥ الخ .	1.4
فصل : في جواز لعن الكفّار	787	تفسير قوله تعالى ٥ وقالوا لن يدخــل الجنـــة ٥	1.4
تفرده سبحانه بالألوهية	124	إلى قوله « فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيــــه	
الأمر بالأكل من الطيبات والشكر على ذلك	10.	عَتَلَفُونَ »	
مسألة : إذا وجد المضطر ميتة أو طعام الغير	101	قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله »	1.4
كتم يهود لما عرفوه من صفة الرسول عليه	107	تفسير قوله تعالى د ولله المشرق والمغرب ، الخ .	11.
قَوِله تعالى ه ليس البر أن تولوا وجوهكم ، الآية	104	قوله تعالى د وقالوا اتخذ الله ولدأ ، إلى قولــه	111
الأمر بالعدل في القصاص	100	« کن فیکون » 	
الأمر بالوصية للوالدين والأقربسين وأقوال	104	تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَا أَرْسَلْنَاكُ بِالْحَقِّ بِشَيْراً ﴾	117
المفسرين في ذلك		قوله تعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه »	110
فريضة الصيام وما يجب على الصائم عمله أو	101	تفسير قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مثـــابـــة	117
الامتناع عنه		للناس وأمنا ،	
تحريم أكل أموال الناس بالباطل	178	تفسير قوله تعالى و وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل.	114
الكلام على الأهلة	174	إلى قوله ؛ إنك أنت التواب الرحيم ؛	
الجهاد في سبيل الله	179	بناء قريش الكعبة بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام	14.
الأمر بالانفاق في سبيل الله	174	دعاء سيدنا إبراهيم لأهل الحرم	179
حكم الشروع في الحج والعمرة	174	وصية سيدنا إبراهيم لبنيه عليهم السلام	14.
زمن الاحرام بالحج وما يجب عمله	144	وصية سيدنا يعقوب لبنيه عليهم السلام	141
صفات المنافقين وصفات المؤمنين	184	إرشاد الله تعالى عباده إلى الإيمــان بالرسل	144
أمر الله تعالى المؤمنين بوجوب العمل في جميع	140	والأنبياء	
الأوامر ، والانتهاء عما زجر عنه سبحانه		إرشاد الله تعالى لنبيّه عليه الله الله الله الله الله الله	144
آیات سیدنا موسی علیه السلام	147	المشركين	
قوله تعالى « كان الناس أمة واحدة » الخ .	144	أَمْرِ الله تعالى لنبيَّه بالتحول في القبلة إلى المسجد	145
ابتلاء الله تعالى عباده المؤمنين	144	الحرام	
نفقة التطوع	144	مسألة : نظر المصلي أثناء صلاته	144

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أطول آية في القرآن العظيم ومــا قبـــل في	404	فريضة الجهاد	144
تفسيرها		حكم القتال في الشهر الحرام	14.
قوله تعالى « نله ما في السموات وما في الأرض »	707	تفسير قوله تعالى و يسألونك عن الخمر ۽ الخ .	144
قوله تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه »	Yex	الأمر باصلاح شأن اليتامي	144
إلى قوله ﴿ فانصرنا على القوم الكــافرين ﴾ ،		تفسير قوله تعالى • ولا تنكحوا المشركات حتى	148
وما ورد من الأحاديث في فضل هساتين		يؤمن a الخ .	
الآيتين		تفسير قوله تعالى و ويسألونك على المحيض »الخ	190
تفسير سورة آل عمران	777	النهي عن جعل الحلف بالله تعالى مانعة من البر	144
أقوال السلف في المحكم والمتشابه	414	حكم الإيلاء والطلاق	Y
مآل الكافرين يوم القيامة	777	تفسير قوله تعالى « الطلاق مرتان » الخ .	7 . 2
زينة الحياة الدنيا	779	حكم المخالعة	7.7
ما أعده الله للمتقين	**	حكم المحلل وذكر الأحاديث الواردة في ذلك	Y • A
صفة المتقين	441	كمال مدة الرضاعة	*11
تفسير قوله تعالى وشهد الله أنه لا إله إلا هو ١	YVI	عدة المترفى عنها زوجها	714
ذم الله تعالى لأهل الكتاب الذين يكذبون	777	الأمر بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى	*14
بالقرآن		تفسير قوله تعالى « والذين يتوفون منكم » الخ .	**
تنبيه وإرشاد	740	قوله تعالى وألم تر إلى الذين خرجوًا مــن	111
نهمي المؤمنين عن موالاة الكافرين	777	ديارهم » الخ .	
ذكر من اصطفاهم الله من عباده	***	إنحراف بني إسرائيل عن شريعة موسى عليه	777
امرأة عمران	YVA	السلام	
كفالة مريم عليها السلام	YV4	إنتصار القلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة	440
دعاء زكريا عليه السلام	۲۸.	تفضيل الله تعالى بعض الرسل على بعض	777
إخبار الله تعالى بخطاب الملائكة	YAN	ما ورد في فضل آية الكرسي	***
للسيدة مريم عليها السلام		تفسير قوله تعالى « لا إكراه في الدين »	***
خير نساء العالمين	747	قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود	***
بشارة الملائكة لمريم عليها السلام	444	تفسير ڤوله تعالى ۽ أو كالذي مرَّ على ڤرية ۽	440
تعليم الله عيسى عليه السلام الكتاب والحكمة	347	إحياء الموتى لسيدنا إبراهيم	747
إختلاف المفسرين في قوله تعالى ٥ إني متوفيك	7.47	فضل الانفاق في سبيل الله	747
ورافعك إلي ه		الأمر بالانفاق والصدقة من طيبات الرزق	78.
تفسير قوله تعالى « إن مثل عيسى عند الله » الخ .	TAV	حكم إعلان الصدقة وإسرارها	727
سبب نزول آية المباهلة	YAY	وجوه الانفاق والصدقة	727
دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء	PAY	حكم جريمة الربا وحال المرابين في الدنيــــا	Yio
حسد يهود للمؤمنين	177	والآخرة	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
بما أنزل على محمد علي المنافق		تحذير المؤمنين من الاغترار بيهود	141
المرابطة في سبيل الله	401	بعض صفات يهود	441
تفسير سورة النساء	rot	أخذ الله العهد على كل نبي بالايمان بمن يأتي	747
ما ورد في فضل آيات من سورة النساء	708	بعده من الأنبياء حتى خاتم الرسل عليه الصلاة	
ما ورد بشأن أموال البتامي ما ورد بشأن أموال البتامي	700	والسلام	
النهي عن تمكين السفهاء في التصرف في الأموال	70 V	لا يقبل الله ديناً بعد بعثة محمد ﷺ سوى	747
تفسير آية الميراث وفضل تعلم الفرائض	471	الإسلام	
شروط التوبة	777	جزاء من كفر بعد إيمانه	APY
رربه رب سبب نزول قوله تعالى « با أيها الذين آمنوا	417	البر في الانفاق	799
لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ٥ الخ .		تفسير قوله تعالى ه كل الطعام كسان حلاً	799
تحريم المحارم من النسب	441	لبني إسرائيل ، الخ .	
المراد بالاحصان	***	الكعبة هي أول بيت وضع لأداء العبادة	4.1
بيان الله تعالى للحلال والحرام	***	والمناسك	٠, ٠
 النهى عن أكل الأموال بالباطل	***	تعنيف الله تبارك وتعالى الكفرة من أهل الكتاب	4.4
اليمين الغموس وأقوال السلف في ذلك	۳۸.	على عنادهم تفسير قوله تعالى ويا أيها الذين آمنوا انقوا	4.8
تفضيل الرجال على النساء	474	الله حق تقاته ، الخ .	
معالجة نشوز الزوجة	440	الدعوة إلى الخير في اتباع القرآن والسَّة	4.3
الإحسان إلى الوالدين	۳۸۷	إخبار القرآن الكريم بأن الأمَّة المحمَّديَّة هي	۳.٧
قوله تعالى ۽ فكيف إذا جثنا من كل أمــة	791	خير الأمم وذكر الأحاديث الواردة في ذلك	
بشهيد ۽ الآية		نهى الله للمؤمنين عن اتحاذ بطانة من الكافرين	414
النهي عن الصلاة في حال السكر ومشروعية	444	نصر الله للمؤمنين في غزوة بدر	718
التيمم		مذاهب العلماء في سبب نزول قوله تعالى	418
إخباره تعالى عن يهود أنهم يشترون الضلالة	444	« وإذ غدوت من أهلك » الخ .	
بالهدى		النهي عن تعاطي الربا	414
أمر أهل الكتاب بوجوب الإيمان بالقرآن	t • •	غزوة أُخُد	441
الكريم		منَّته تعالى على رسوله فيما ألان قلبه على أمته	441
ما ورد من الأحاديث في تفسير قوله تعالى « إن	1.1	قوله تعالى 4 وما كان لنبي أن يغل »	777
الله لا يغفر أن يشرك به » الخ .		حياة الشهداء وما ورد في ذلك من الأحاديث	770
قول یهود والنصاری : « نحن أبناء الله وأحباؤه « مدانها مدالة آن فرنااه	1.4	التنفير من البخل	¥£.
وما نزل من القرآن في ذلك ذكر نه الله تمال ما آل به نا اراد	4.00	توبيخ الله لأهل الكتاب لنبذهم ميثاقه	711
ذكر نعم الله تعالى على آل سيدنا إبراهيم الأد عطاعة الله وروراه وأدل الأد	1.7	الاعتبار بمخلوقات الله الدالة على صفاته تعالى الحداد الله عن طائفة من أها الكتاب يؤمنها	767 70,
الأمر بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر	1.7	إخبار الله عن طائفة من أهل الكتاب يؤمنون	,

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تحريم بعض الطيبات على يهود	274	الأمر بالتحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله	1.9
ذكر بعض فضائح ومثالب يهود	270	ذكر سبب نزول قوله تعالى «ومن يطع الله	21.
نهي أهل الكتاب عن الغلو في الاطراء	£7V	والرسول » الخ .	
عبودية المسيح نله تعالى	199	الأمر بأخذ الحذر من الأعداء	£17
أحكام ميراث الكلالة	٤٧٠	الأمر بالجهاد	٤١٤
آخر آبة نزلت من القرآن الكريم	£V1	الأمر بتدبر القرآن عند التلاوة	113
تفسير سورة المائدة	٤٧٤	أدب رد التحية	
وقت نزول سورة المائدة سنة	٤٧٤	النهي عن إختلاف المؤمنين في أمر المنافقين	£14
كتاب النبي عليه لعمرو بن حزم	٤٧a	الهمي على إعمارك المومن تحريم قتل المؤمن أخاه المؤمن	271
ما حرم من الأنعام وما أحل	٤٧a	_	
شعاثر الله تعالى	2 ¥ ₹ ₹	سبب نزول قوله تعالى ديا أيها الذين آمنوا إذا	171
قتل المشرك إذا لم يكن له أمان	٤٧٧	خرجتم في سبيل الله) الخ .	
تفسير قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة » الخ	٤٧À	تحفيف الله عن أولي الضر	140
المذاهب في حكم ما أمسكه كلب الصيد	274	سبب نزول قوله تعالى وإن الذين توف هم	277
حكم الجوارح من الطيور	٤٨٠	الملائكة » الخ .	
تحريم ما ذبع على النصب	173	مشروعية قصر الصلاة في السفر	£ 7 A
قوله تعالى و اليوم أكملت لكم دينكم ٥ الخ .	17	مشروعية صلاة الخوف	٤٣٠
ما أحل من الذبائح	£A£	الأمر بذكر الله عقب الصلاة	£77
التسمية عند إرسال الكلب للصيسد والرمي	٤٨٥	الحث على التوبة والاستغفار	£40
بالسهم		ما لابن آدم من كلامه وما عليه منه تماد أدا الكتاب	£ ٣٧
حلّ طعام أهل الكتاب	٤٨٦	تخاصم أهل الكتاب	11.
نكاح نساء أهل الكتاب	£AV	تفسير قوله تعالى « ويستفتونك في النساء » الخ.	111
تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم	\$ A A	الوضع الزوجي في حال النفور وحال الاتفاق	111
إلى الصلاة ، الخ .		أمر المؤمنين بالقيام بالقسط	447
ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين عند	1.63	الأمر بالإيمان تفصيلاً	£ £ V
الوضوء		حكم من دخل الإيمان ورجع عنه	£ £ A
بيعة الناس للنبي علية عند إسلامهم	191	تربص المنافقين بالمؤمنين	224
نقض يهود والنصاري للمواثيق	197	الحكم بكفر من فرق في الايمان بين الله تعالى	104
تبيان وخيم عاقبة الحسد والظلم في خبر (قابيل	0.0	ورسله الماد والماد وأكار في وال	4.0.0
وهابيل)		نني قتل المسيح وصلبه ، وتأكيد رفعـــه إلى السهاء حيًّا	100
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله النتر الما الله براه الهم مات مغما الطاعات	٩٠٩	السهاء حميا الواردة في نزول عيسى عليه الم	į o A
التقرب إلى الله بترك المحرمات وفعل الطاعات	٥١٣	د تر الاعاديث الوازدة في ترون عيسى عليه السلام في آخر الزمان	/\
قطع يد السارق والسارقة	010	السرم ي اسر الرساق	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
عناد المشركين وتكذيبهم للحق	AF	المسارعون في الكفر	۰۱۷
الله تعالى وحده مالك الضر والنفع	• ٧ ١	كتمان يهود لحد الرجم في التوراة	٥١٨
حال المشركين والكفّار يوم القيامة	977	سبب نزول قوله تعالى و يا أيها الرسول لا يحزنك	019
حسارة من كذب بلقاء الله	ovi	الذين يسارعون في الكفر ، الخ .	
قصة أبي جهل في الاستماع إلى النبي عليه	•٧•	مسألة	977
معرفة الغيب من علم الله تعالى وحده	۰۸۰	القرآن الكريم هو الأمين على الكتب المنزلة قبله	• 77
بيان أن لكل آدمي حفظة من الملائكة	۰۸۳	نهي المؤمنين عن موالاة أعداء الإسلام	770
الله سبحانه هو المنجي من كل كرب	010	صفات المؤمنين	• * V
تكذيب قريش للقرآن	7.0	صفات المنافقين	4 Y A
الأمر بإقامة الصلاة	011	تقوى الله سبب توسعة الرزق	۱۳۰
النفخ في الصور	•	عصمة الله تعالى لرسولة من الناس	044
حوار سبدنا إبراهيم لأبيه آزر	091	كفر من قال إن المسيح هو الله	۰۳۱
الأنبياء من ذرية سيدنا آدم وإبراهيم عليهما السلام	097	وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٣٧
المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين	444	تفسير قوله تعالى والتجدن أشد الناس عداوة	٥٣٩
ذكر بعض نعم الله على الناس	7.7	للذين آمنوا والخ . سبب نزول قوله تعالى ويا أيها الذين آمنوا	١٤٥
الله نعالی خالق کل شیء	٦٠٣	لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » النخ .	••,
بصائر من الله تعالى	7.0	حكم كفارة اليمين	PEY
أعداء الأنبياء من الأنس والجن	7.4	م تحريم الخمر والميسر	ott
إباحة أكل الذبائح مما ذكر اسم الله عليه	711	ذكر الأحاديث الواردة في تحريم الخمر	oto
مداهب الفقهاء في شأن النسمية على الذبيحة	717	تحريم قتل الصيد في حال الأحرام	۰Ł۸
مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين	315	حل صيد البحر وأقوال الفقهاء في ذلك	•••
انشراح صدر الإنسان للإسلام دليل الهداية	717	تفسير قوله تعالى و يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا	١٥٥
دار السلام في الآخرة لأهل الإسلام في الدنيا	718	عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، الخ .	
إعذار الله بإرسال الرسل	77.	النهمي عن كثرة السؤال لغير سبب	904
الله غني عن العالمين	177	الكلام عن البحيرة والوصيلة	001
الأمر بإيتاء الزكاة والنهي عن الاسراف	375	الإشهاد على الوصية	001
قوله تعالى و قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » .	74.	منة الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم	170
آیة نزلت فی یهود والنصاری	746	قصة المائدة	770
مضاعفة الخسنات	747	ذكر أخبار في نزول المائدة على العواريين	470
الأمر بالاخلاص لله في العبادة	744	خطاب الله لعبده ورسوله عيسى بن مريم يوم القيامة	975
الناس خلائف الله تعالى في الأرض	781	ما أعده الله للصادقين يوم القيامة	770
حديث أبي هر يرة د جعل الله الرحمة ماثة جزء ١٥ الخ.	717	تفسير سورة الأنعام	47

قضيت محتويرت للحجة لمرالث ابي

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
إرسال نوح عليه السلام إلى قومه وعاقبة المكذبين	۲V	تفسير سورة الأعراف	٥
منهم		تفسير قوله تعالى ه فلنسألن الذين أرسل إليهم	٦
قصة عاد قوم هود عليه السلام	79	ولنسألن المرسلين »	
قصة ثمود قوم صالح عليه السلام	۳١	فلاح من ثقل ميزانه وخسران من خف ميزانه	7
قصة قوم لوط عليه السلام	41	يوم القيامة	
قصة قوم شعيب عليه السلام	40	تشريف الله تعالى لآدم عليه السلام وعــداوة	٧
قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون	44	إبليس له	
سعة رحمة الله تعالى	۰٤	إمتناع إبليس من السجود لآدم	٨
صفة سيدنا محمد علية في كتب الأنبياء قبله	00	طرد إبليس من الجنة	٨
رسالة النبي عليه إلى الناس كافة	۶٦	توعد إبليس لبني آدم بالاغواء	•
خمس أعطيها رسول الله مُعَلِّقُهُ لم يعطها نبي قبله	٥٧	وسوسة إبليس لآدم عليه السلام	١.
قصة أصحاب السبت	۰۸	أكل آدم وحواء من الشجرة	11
كل مولود يولد على الفطرة	77	الهبوط إلى الأرض	17
سؤال كل ميت عن الميثاق الذي أقرَّ به في	74	تحذير بني آدم من كيد الشيطان	14
صلب آدم		قوله تعالى « كما بدأكم تعودون »	14
قصة بلعم بن باعوراء	70	سبب نزول قوله تعالى و خذوا زينتكم عند كل	١٤
الغافلون عن الهداية	٦٨	مسجد ه	
فضل الدعاء بأسماء الله تعالى الحسنى	79	إباحة الحلال من زينة الدنيا	17
الحثُّ على النظر في ملكوت السهاوات والأرض	٧٠	تحريم الفواحش الظاهرة والباطنة	17
علم الساعة عند الله تعالى وحده	٧١	ما أعده الله تعالى للمتقين من النعيم ، وما وعد به	17
تفويض الأمور إلى الله	٧٣	الكافرين من الجحيم	
الانكار على المشركين لعبادتهم أصناماً مخلوقة	٧٤	قصة أصحاب الأعراف	*1
لا تضر ولا تثفع		أدب الدعاء إلى الله تعالى	70
تفسير قوله تعالى « خُلدِ العفو وأمر بالمعروف »	٧٦	مثل المؤمن والكافر	*7

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
نعمة الله تعالى على المؤمنين في تآلف قلوبهم	117	حال المتقين وحال إخوان الشياطين	Υ٨
تحريض المؤمنين على الجهاد في سبيل الله	117	الأمر بالانصات عند تلاوة القرآن الكريم	V 4
إباحة الغناثم لرسول الله وللمجاهدين	114	أدب ذكر الله وتسبيحه	۸۰
أصناف المؤمنين وأن كلاً منهم أحق بالآخر من	14.	تفسير سورة الأنفال	AY
كل أحد	•	سبب نزول آية الأنفال	۸۳
قطع الموالاة بين المؤمنين وبين الكفار	14.	صفات المؤمنين	٨٤
ما أعده الله تعالى للمهاجرين والأنصار من	177	درجات المؤمنين يوم القيامة	۸ø
عظيم الأجر في الآخرة		خروجه ﷺ مع المؤمنين إلى بدر	٨٦
تفسير سورة التوية	174	توعد الله الفرّار من الزحف بالنار يوم القيامة	44
آخر سورة نزلت	177	الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله	4.6
إنذار الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر	171	القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن	4.
اختلاف المفسرين في المراد بالأشهر الحرم	177	قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا	41
حكمته تعالى في البراءة من المشركين ومحبته	144	منكم خاصة »	
للمتقين		سبب نزول قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا	44
شهادة الله تعالى لعمَّار المساجد بالإيمان	14.	لاتخوتوا انله والرسول وتمخونوا أماناتكم وأنتم	
سبب نزول قوله تعالى وأجعلتم ســقايــة	14.	تعلمون يا الخ .	
الحاج 4 الخ .		عاقبة المتقين وجزاؤهم	99
أمره تعالى بعدم موالاة الكفّار ولو كانوا آباء	141	سبب نزول قوله تعالى « وإذ يمكر بك الذين	44
أو أبناء		كفروا و	
فضله تعالى على المؤمنين في نصره إياهم	144	أمانان لأمة سيدنا محمد	1.1
قوله تعالى ويا أيها الذين آمنوا إنما المشركون	148	سبب نزول قوله تعالى « إن الذين كفروا ينفقون أ المالية	1.4
نجس ۽ الخ .		أموالهم » الخ .	
فرية اليهود والنصارى على الله تعالى	141	الله تعالى يقبل التوبة من الكافر ويغفر له	1.8
ظهور الإسلام على جميع الأديان	140	إحلال الغناثم وكيفية تقسيمها	1.0
إخبار الله تعالى عن أحبار يهود ورهبان النصارى	147	يوم الفرقان	1.4
بأكلهم أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيل		الأمر بالثبات والاستعانة بذكر الله عند مواجهة الأعداء	11.
الله تعالى		الرعداء حال توفي الملائكة أرواح الكفار	117
عذاب من يكترون الأموال ويمنعون زكاتها عدد شهور العام والأشهر الحرم	147 11•	كان توي المرابع الرواح العداد عدل الله تعالى وقسطه في حكمه	117
عدد مهور العام والاسهر العرم القتال في الشهر	121	هم عدن الله تعالى هم الكفّار شر الدواب عند الله تعالى هم الكفّار	117
• -	161	شر ما دب على وجه الأرض وفعالهم	118
الحرام ذم المشركين لتصرفهم بآراثهـــم في شرع	187	الأمر بإعداد القوة لمواجهة الكفّار	118
الله تعالى		وآداب الإسلام في الحرب والسلم	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تاسير سورة يونس	144	الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى	188
الأمر بعبادة الله تعالى خالق السياوات والأرض	184	وعيد من تباطأ عن الجهاد في سبيل الله تعالى	125
تنبيه تعالى لبعض الآيات الدالة على كمال	148	نصر الله تعالى لرسوله عليه	124
قلوته		الحث على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال	122
دعاء المؤمنين في الجنة	112	صفة المنافقين	120
حال السابقين الذين كذبوا الرسل	7.47	بيان الأصناف الذين تصرف إليهم الصدقات	184
تفسير قوله تعالى و والله يدعو إلى دار السلام »	14.	صفات المنافقين	104
الآية .		ما أعده الله من الأجر والمثوبة للمؤمنين والمؤمنات	100
قوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »	14.	يوم القيامة	
الآية .		أمره تعالى بالجهاد والغلظة على المنافقين والكفّار	107
حال الأشقياء	141	عقوبة من نقض العهد	104
إعجاز القرآن الكريم	148	أمره تعالى بعدم الصلاة على أحد من المنافقين	171
الإخبار عن قيام الساعة	147	ذم المتخلفين عن الجهاد	177
المؤمن التنبيوليّ الله تعالى	111	ما أعده الله تعالى من المثوبة للمؤمنين والمجاهدين	175
إنكار الله تعالى على من ادعى أن لله ولداً	Y••	ني سبيله	
نبأ سيدنا نوح عليه السلام ومن بعده	7 - 1	بيان ذوي الأعذار في ترك الجهاد	178
تفسير قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ	4.4	التوبة والصدقة تحطان الذنوب	177
إن كنتم آمنتم بالله ، الآية .		سبب نزول قوله تعالى و والذين اتخذوا مسجداً	179
إغراق فرعون وجنوده		ضراراً » الخ .	
كشف العذاب عن قوم يونس لإيمانهم	Y•V	تفسير قوله تعالى د إن الله اشترى من المؤمنين	171
إرشاد الله تعالى عباده إلى التفكر في آلائه بيان أن الخير والشر راجع إلى الله تعالى	Y•X	أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، الآية	
بيان ان العور والسر راجع إلى الله لعالى تفسير سورة هود	41.	نعت المؤمنين	174
صحير عووه مود سبب نزول قوله تعالى « ألا إنهـــم يثنون	Y11	سبب نزول قوله تعالى « ما كان للنبي والذين	۱۷۳
صدورهم ، الخ .		آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الخ .	
علمه سبحانه في جميع أحوال المخلوقات	411	قصة الذين خُلِفوا	170
وتكفله برزقهم		أجر الغزاة في سبيل الله تعالى	YVV
قدرته سبحانه علی کل شیء	*1*	سبب نزول قوله تعالى و وما كان المؤمنون	144
إخبار القرآن الكريم عن صفات أصناف من	714	لينفروا كافة ، الخ .	
الناس		أمره تعالى بقتال الكفّار الأقرب إلى حوزة	174
إرشاده تعالى للنبي عَلَيْكِ	317	الإسلام	
إخباره سبحانه عن حال المؤمنين الذين هم على	317	تفسير قوله تعالى و لقــد جاءكم رسول من	۱۸۰
فطرة الله تعالى		أنفسكم ، الآيات	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
دخول يوسف عليه السلام السجن ومعه الفتيان	711	بيان حال المفترين على الله وفضيحتهم في	710
رؤيا ملك مصر وتأويل يوسف لها	701	الآخرة	
تولية يوسف عليه السلام على خزائن الأرض	707	ذكر حال المؤمنين	717
مجيء إخوة يوسف إلى مصر للميرة	Yet	أمر سيدنا نوح قومه بعبادة الله تعالى	*17
أحذ يعقوب عليه السلام الميثاق على بنيه	700	استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه	414
وصية سيدنا يعقوب لبنيه	707	أمره عليه السلام بصنع السفينة	719
موقف إخوة يوسف من أبيهم بشأن يوسف	YOA	موعدة الله تعالى لنوح عليه السلام	719
إعتصام سيدنا يوسف بالصبر والالتجاء إلى	404	ركوب السفينة وارساؤها باسم الله تعالى	44.
الله تعالى	77.	دعــــاء نوح ربه من أجل أهله وابنه	44.
عفو يوسف عليه السلام عن إخوته	۲٦.	تفسير قوله نعالى « قيل يا نوح اهبط بسلام »	777
إجتماع يوسف بأبويه وإخوته	471	الآية .	
دعاء يوسف الصديق وثناؤه على ربه عزُّ وجلَّ	777	الأمر بالصبر ووعد المتقين بالفلاح	777
إخبار القرآن الكريم عن غفلة أكثر الناس عن	478	إرسال سيدنا هود عليه السلام لقوم عاد	777
التفكر بآيات الله تعالى		الحث على الاستغفار والتوبة	777
تفسير قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا	470	إرسال سيدنا صالح إلى ثمود	377
رجالاً ، الخ .		قصة الناقة	377
دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى	۸۶۲	قصة سيدنا إبراهيم مع الملائكة	440
بعض أحوال المشركين	44.	مجادلة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط	441
إخبار القرآن الكريم عن تمام علمه تعالى	441	قصة قوم لوط	777
مآل السعداء والأشقياء	478	قصة مدين قوم شعيب	777
صفات المؤمنين		أحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة	7.77
وعيد من نقض العهد وأفسد في الأرض	YV4.	الأمر بالاستقامة وعدم الركون إلى الظالمين	74.5
صفات من وعدهم الله بالعقبي في الدار الآخرة	44.	الأمر بإقامة الصلاة	740
مدحه سبحانه للقرآن الكريم	YAY	فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة	740
ذكر عقاب الكفار وثواب الأبرار	3.4	قدرته تعالى على جعل الناس أمّة واحدة من	747
ينسخ الله تعالى ما يشاء من الأقدار ويثبت ما	7.77	إيمان وكفر	
ىشاء دىرىدى دىن دىن دىن مىلاشد	W.1.1	تثبيت الله تعالى فؤاد نبيّه عَلَيْكُ	747
إنكار الكفار لرسالة النبي عليائية	7.4	تفسير سورة يوسف	744
تفسير سورة إبراهيم عليه السلام	PA9	تنزيل القرآن الكريم باللغة العربية لفصاحتها	744
لطف الله تعالى بحُلقه بإرساله الرسل منهم وبلغاتهم	79.	وبيانها	.
قصص قوم نوح وعاد وتمود معالمة مالة تاك الأمال الكنّا	791	رؤيا يوسف عليه السلام	46.
مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفّار	798	قصة سيدنا يوسف وخبره مع إخوته	781
خطاب إبليس لأتباعه يوم القيامة	440	قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزبز	780

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
جزاء المهاجرين في سبيل الله تعالى	۲۳۱	تحية المؤمنين في الجنة	747
حلمه تعالى وإنظاره العصاة	444	مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة	747
قبائح المشركين	448	تفسير قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول	797
المراد بالوحي في قوله تعالى « وأوحى ربك إلى	441	الثابت ، الخ .	
النحل ،		جزاء الذين يبدلون نعمة الله كفراً	744
نعمه تعالى على عباده بأن جعل لهم من أنفسهم	447	الأمر بإقامة الصلاة والانفاق في السر والعلن	4
أزواجاً		تعداده تعالى نعمه على خلقه	۳.,
مئل ضربه الله تعالى للكافر والمؤمن	444	دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها	4.1
كمال علمه تعالى ومقدرته	41.	قول الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب	٣٠٣
شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة	717	يوم القيامة	
تفسير قوله تعالى ₈ إن الله يأمر بالعدل والإحسان،	414	تضير سورة الحجر	2.4
الآية		ما روي من الأحاديث في قوله تعالى « ربما يود	4.4
الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان	455	الذين كفروا لو كانوا مسلمين ،	
المؤكدة		تسلية الله تعالى نبيّه في تكذيب كفّار قريش	***
وعده تعالى لمن عمل صالحاً	710	الله تعالى مالك كل شيء	۴1.
ضعف عقول المشركين	417	أصل خلق الإنسان وخلق الجان	711
حكم من كفر بعد الايمان بالله تعالى	711	تمرد إبليس	414
الأمر بالأكل من الرزق الحلال الطيب	40.	حال المتقين في الجنة	414
ثناء الله تعالى على إبراهيم عليه السلام	401	قصة ضيف إبراهيم عليه السلام	418
الأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة	707	إهلاك قوم لوط عليه السلام	417
العدل في القصاص	401	السبع المثاني ما هي ؟	414
تفسير سورة الإسراء	401	أمره تعالى للرسول عليه باللاغ ما بعثه بــه	44.
ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء	405	والصدع به	
فصل: في مضمون ما انفقت عليه الأحاديث	414	تفسير سورة النحل	777
من مسرى الرسول علي المسلمة		إخباره تعالى عن إقتراب الساعة ودنوها	444
فائكة	415	خلق العالم العلوي والعالم السفلي	444
إفساد بني إسرائيل في الأرض	410	الطريق الموصلة إلى الله تعالى	445
إمتنانه تعالى على خلقه بآياته العظام	411	آيات الله العظام وتسخيرها لخدمة وهداية	440
تفسير قوله تعالى ووكل إنسان ألزمناه طائره	414	الإنسان	
ني عنقه ، الخ .		علمه تعالى يحيط بالضهائر والسرائر	441
مسألة : في ولدان المشركين	77 A	مذهب ابن عباس في قوله تعالى وقد مكر	447
فصل : في والداي المشركين	44.	الذين كفروا من قبلهم ٥	
من يريد العاجلة ومن يريد الآخرة	441	خبر السعداء وخبر الأشقياء	444

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
السعداء في الآخرة هم المؤمنون في الأولى	244	الأمر بعبادة الله تعالى	***
الشرك والشهوة الخفية	111	بر الوالدين وأدب معاملتهما	444
تفسير سورة مريم	EEV	الإحسان إلى القرابة وصلة الرحم	TY !
دعاء سيدنا زكريا عليه السلام وقصته	111	النهي عن الإسراف في الانفاق	445
قصة السيدة مريم	í to	الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده	440
خبر سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام	104	النهي عن مقاربة الزنا	477
قصة سيدنا موسى كليم الله عليه السلام	100	النهبي عن قتل النفس بغير حق شرعي	477
ثناء الله تعالى على سيدنا إسماعيل عليه السلام	100	توجيه القرآن الكريم لبعض الآداب الاجتماعية	***
(والد عرب الحجاز)		عداوة إبليس لآدم وذريته	۳۸٦
قصة سيدنا إدريس عليه السلام	107	تفسير قوله تعالى د يوم ندعو كل أناس	474
عاقبة مضيعي الصلاة	į •V	بإمامهم ٤ الخ .	
سبب نزول قوله تعالى ، وما نتنزل إلا بأمر	209	تفسير قوله تعالى « وإن كادوا ليفتنونك » الخ.	44.
ربك و الخ .	4-4	قرآن الفجر	441
تفسير قوله تعالى و وإن منكم إلا واردها » الخ .	171	قوله تعالى «وعسى أن يبعثك ربك مقــاماً	444
كيفية حشر المتقين وسوق المجرمين يوم القيامة	£70	محبوداً ه	
قصة سيدنا موسى وتكليم الله إياه أمره تعالى لنبيّه موسى بدعوة فرعون إلى عبادة	£V*	الكلام عن الروح	444
الله تعالى	• • •	عجز الإنس والجن مع اجتهاعهم عن الاتيان	447
. حدیث الفتون حدیث الفتون	٤٧٥	بقرآن	
قصة موسى عليه السلام مع السحرة وإيمانهم	٤٨٤	موقف بعض رجالات قريش من النبي عَلَيْكُ	77.7
أمره سبحانه لموسى أن يسري ببني إسرائيل	٤٨٨	بعث الله تعالى موسى عليه السلام بتسع آيات	٤٠٣
قصة هارون مع السامري	149	تفــير قوله تعالى وقل ادعوا الله أو ادعوا	٤٠٥
حديث الصور	194	الرحمن » الغ . تفسير سورة الكهف	٤٠٧
تفسير سورة الأنبياء	۰۰۱	سبب نزول سورة الكهف	٤٠٨
ير حرير التنبيه على شرف القرآن الكريم	۰۰۳	سبب ترون سوره الكهف قصة أصحاب الكهف	٤٠٩
الرد على من قال بأن لله ولداً من الملائكة	0.0	مثل صاحب الجنتين	£1%
قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	•11	إجابة المؤمن لصاحب الجنتين	119
قصة سيدنا داود وسيدنا سلهان عليهما السلام	010	مثل الحياة الدنيا	173
قصة سيدنا أيوب عليه السلام	۰۱۷	الباقيات الصالحات	173
قصة سيدنا يونس عليه السلام	٩١٨	أهوال يوم القيامة	277
نداء سيدنا زكريا ربه	019	قصة سيدنا موسى مع الخضر	273
قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام	• 7 •	خبر ذي القرنين	£ 77.
تفسير قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة »	• 7 •	الأخسرون أعمالاً	\$ ٣٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ذكر بعض الآثار في ذلك	1.1	حديث يأجوج ومأجوج	471
تفسير قوله تعالى ، الله نسور السماوات	7.0	القرآن الكريم شفاء للذين آمنوا	979
والأرض ۽ الخ .		تفسير سورة الحج	PTV
الأمر ببناء المساجد وتعظيمها باعمارها بالعبادة	7.4	وصف أهوال يوم القيامة	• 44
توعان من الكفار	711	سبب نزول قوله تعالى د هذان خصيان اختصموا	040
صفات المنافقين	714	في ربيم ا	
وعد الله تعالى لأمَّة سبدنا محمد ﷺ	710	أذان سيدنا إبراهيم بالحج	•44
آداب إجماعية يوجهها القرآن الكريم للأقارب	717	الأيام المعلومات	
فيا بينهم		تفسير قوله تعالى و ولكل أمة جعلنا منسكاً ۽ الخ	• { *
رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض	719	مسألة : في نحر الأضاحي	oto
وآختلاف المفسرين في ذلك		سبب نزول قوله تعالى وأذن للذين يقساتلون	730
آداب أخرى للمؤمنين	771	بأنهم ظلموا ، الخ .	
عفسير سورة الفرقان	777	قصة الفرانيق	**
سخافة عقول الجهلة الكقار	375	جزاء المهاجرين في سبيل الله تعالى	
صفات عباد الرحمن	744	تضير سورة المؤمنون	
تفسير سورة الشعراء (وتسميتها سورة	787	عشر آیات من أقامهن دخل الجنة	0 0 A
الجامعة)		بيانه تعالى عن ابتداء خلق الإنسان	47.
قصة سيدنا موسى مع فرعون	111	خلق أنسياوات السبع وتعداد بعض نعم الله تعالى	477
قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	789	على عباده	
قصة سيدنا نوح مع قومه	707	عدله تعالى فيما شرعه لعباده	AFA
قصة سيدتا هود مع قومه	705	عجز العباد واختلافهمني آرائهم وأهوائهم	94.
قصة سيدنا لوط مع قومه	747	تقرير وحدانيته تعالى وتنزيهه	4 44
قصة سيدنا شعيب مع قومه	YaY	حال المحتضر من الكافرين عند الموت	944
تفسير سورة النمل	170	تفسير سورة النور	٠٨٠
إنعام الله تعالى على عبديه ونبييه ؛ داوود ۽	777	بيان بعض الحلال والحرام	٠٨٠
وه سلیان ؛ علیهما السلام		جَلَّد القاذف للمحصنة	٩٨٣
كتاب سيدنا سليمان إلى بلقيس	74.	ما جاء في اللعان	310
هدية بلقيس لسيدنا سليان	171	عشر آيات نزلت في شأن السيدة عائشة أم	ava
عرش بلقيس	777	المؤمنين رضي الله عنهما (قصة الإفك)	
أخبار طغاة ثمود ورؤوسهم	770	آداب شرعية إجتماعية أدَّب الله تعالى بها عباده	947
الله تعالى وحده هو المدعو عند الشدائد -	٦٧٨	المؤمنين	
خبر الدابة التي تخرج في آخر الزمان	747	آيات اشتملت على بعض الأحكام المحكمة	7.7

تفصيت كمحتويرت للجئة لمرالنابس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير سورة العنكبوت	YA.	تفسير سورة القصص	٠
إبتلاء الله تعالى عباده المؤمنين	44	نبأ سيدنا موسى مع فرعون	•
أمره سبحانه عباده بالإحسان إلى الوالدين	44	حال أم موسى حين ذهب ولدها في البحر وتثبيت	٧
صفات المكذبين	*•	الله غا	
عاقبة الظلم يوم القيامة	۳١	بلوغ سيدنا موسى أشده ونبوته	٨
إخباره تعالى لُنبيّه عَمِّالِكُ عن نبأ سيدنا نوح عليه	۳١	توجه سيدنا موسى إلى مدين	•
المسلام		خطاب سيدنا موسى للمرأتين	•
إخباره تعالى عن عبده ورسوله إبراهيم عليه	44	من أجل سقاء الغنم	
المسلام		إختلاف المفسرين في والد المرأتين	١.
إخباره تعالى عن نبيَّه لوط عِليه السلام	40	إستثجار الرجل موسى وتزوجه إحدى بنتيه	11
إستنصار سيدنا لوط بالله عزَّ وجلَّ	4.1	قوله تعالى ء آنس من جانب الطور ناراً ،	14
إخباره تعالى عن رسوله شعيب عليه السلام	47	أمره تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون	**
إخباره تعالى عن الأمم المكذبة للرسل وعاقبتهم	44	دعوى فرعون الإلوهية واستخفافه لقومه	11
مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة	**	تنبيه تعالى على برهان نبوة محمد ﷺ	\0
من دون الله		القرآن الكريم أكسل وأشرف الكتب	17
الآثار الواردة في قوله تعالى ه إن الصلاة تنهى	۳۸	المنزلة	
عن الفحشاء والمنكر ۽ الخ .		إيمان العلماء من أهل الكتاب بالقرآن الكريم	14
قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب » الخ	74	الهداية من الله تعالى وحده	۱۸
وأقوال العلماء في نسخها أو عدمه		توبيخ الله تعالى المشركين يوم القيامة	41
تعنت المشركين وطلبهم من النبي علي آبات على	٤١	إمتنانه تعالى على عباده بما سخّر لهم من الليل	77
مثال من سبقه من الأنبياء		والنهار	
الأمر بالهجرة لإقامة الدين	£ Y	قصة قارون	74
غرف الجنة	٤٣	الدار الآخرة للمؤمنين المتواضعين في الدنيا	77
تقرير مقام الإلهية	24	أمره ثعالى لرسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة وتلاوة	77
حقارة الدنيا وزوالها	11	القرآن الكريم على الناس	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
استعجال الكفّار وقوع البأس بهم	٧٨	حرم الله الآمن	ŧŧ
تفسير سورة الأحزاب	۸۰	تفسير سورة الروم	۲3
سبب نزول أواثل سورة الأحزاب	۸۰	سبب نزول أواثل سورة الروم	٤٧
قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »	٨٢	الدعوة إلى تنبيه مخلوقات الله تعالى الدالة على	13
أخذ الميثاق من الرسل الخمسة أولى العزم ومن	۸۳	وجوده	
بقية الأنبياء		تسبيحه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد العباد إلى	٥.
إخباره تعالى عن نعمته وإحسانه إلى عبـــاده	٨٤	تبيحه	
المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم		مثل ضربه الله تعالى للمشركين العابدين معه	۳۰
وقعة الأحزاب	۸٦	غيره	
المعوقون عن الجهاد	۸V	تفسير قوله تعالى « وإذا مب الناس ضر دعوا	٥٥
التأسي برسول الله عليه	۸۸	ريهم ، الخ .	
محافظة المؤمنين على العهود والمواثيق	۸۸	الأمر بإعطاء ذي القربى والمساكين حقهم	٥٦
إجلاء الأحزاب عن المدينة	4+	أمره تعالى عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في	٥٧
تخيير نساء النبي علية	41	طاعته	
آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي عَلَيْكُ	94	كيف يخلق الله تعالى السحاب	٥٨
سبب نزول قوله تعالى « إن المسلمين والمسلمات	40	تنقل الإنسان في أطوار الخلق	٦.
والمؤمنين والمؤمنات ، الخ ، الآية .		تفسير سورة لقمان	77
سبب نزول قوله تعالى «وما كان لمؤمن ولا	17	صفات المحسنين	77
مؤمنة ، الآبة .		الآثار في تفسير لهو الحديث	٦٢
قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش	44	ذكر مآل الأبرار	٦٣
مدحه تعالى للذين يبلّغون رسالات الله	44	إختلاف السلف في لقمان عليه السلام	78
لا نبي بعد محمد ﷺ	1	وصية لقمان لولده	78
الأمر بكثرة ذكر الله تعالى وتسبيحه	1	وصايا نافعة حكاها الله سبحانه عن لقمان	77
صفة رسول الله عَلِيْكُ فِي التوراة والقرآن	1.4	نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة	٦٧
أحكام كثيرة تتعلق بالنكاح	1.4	عظمة الله وكبرياؤه	٦٨
المرأة التي وهبت نفسها للنبي عليك .	1.0	تفسير قوله تعالى « يولج الليل في النهار » الخ .	79
آية نزلت في مجازاة نساء النبي عَلَيْكُمْ عَلَى حسن	1.7	الأمر بتقوى الله والخشية من يوم القيامة	۷۰
صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله		مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها	۷۱
آية الحجاب وفيها أحكام شرعية	۱۰۸	تفسير سورة السجدة	V Y
الصلاة على النبي علية	11.	إخباره تعالى أنه هو الذي أحسن خلق الأشياء	٧٣
فضائل الصلاة على النبي علياته	111	حال المشركين يوم القيامة	٧٤
فصل: الصلاة على غير الأنبياء	117	تفسير آية السجدة وما روي بشأنها	٧ŧ
عقاب من يؤذون الله ورسوله	۱۱۳	عدل الله تعالى وكرمه	٧a

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
من نطفة ، الخ الآيات		الأمر بالحجاب	118
تفسير سورة الصافات	178	قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة » الخ .	117
كان رسول الله علي يؤم المسلمين بالصافات	171	وما ورد فيها من أقوال المفسرين	
زينة السهاء الدنيا وفائدتها	\V•	تفسير سورة سبأ	14.
قيل الكفّار يوم القيامة	171	الآيات الثلاث التي لا رابع لهن	141
تخاصم أهل النار يوم القيامة	1	ما أنعم الله تعالى بـه على بعض رسله من	177
عباد الله المخلصين وجزاؤهم	144	الآيات	
تساؤل أهل الجنة عن أحوالهم	۱۸۰	قصة سبأ	140
تحطيم سيدنا إبراهيم للأصنام	111	تفرده تعالى بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية	14.
هجرة سيدنا إبراهيم بعد يأسه من إيمان قومه	1.1.7	ارساله ﷺ إلى الناس كافة وتبيان عاقبة المكذبين	141
الآثار الواردة بشأن من هو الذبيع إسماعيل	1.4.4	يوم القيامة	
أم إسحاق عليهما السلام		تاسير سورة فاطر	147
ما أنعم الله به على بعض رسله	1/4	معنى فاطر السهاوات والأرض	147
تفسير سورة ص	197	ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن	۱۳۸
قوله تعالى « ولات حين مناص » س.»	197	تفسير قوله تعالى « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى	184
تعجب المشركين من بعثة النبي عليكم.	147	الله اللغ ، الآيات .	
سبب نزول قوله تعالى وعجبوا أن جاءهم	174	اصطفاء الله لأمة محمد وتقسيمها إلى ثلاثة	114
منذر منهم » الخ الآيات .		أنواع	
الاختلاف في سجدة (ص)	Y • •	أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه	184
وصية الله تعالى لولاة الأمور		بيان حال الكفار الأشقياء	\0.
قوله تعالى « إذ عرض عليه بالعشي الصافنات	4.4	تفسير سورة يس	108
الجياد ، الغ الآيات المعادد الله من الأسلسان المعادد		ما ورد في فضل قراءة سورة پس	30/
إبتلاء الله تعالى سيدنا أيوب عليه السلام ذكر بعض فضائل المرسلين		قوله تعالى و إنا نحن نحييي الموتى ونكتب	70/
د تو بعض طفائل المرسلين ذكر قصة خلق آدم عليه السلام		ما قدموا وآثارهم » النخ الآية وما ورد في تفسيرها	
د نو طبعه علق ادم طلبه السارم تفسير صورة الزمر		السجاب القرية ومن هم ؟ وخبرهم	۱۵۸
حديو صوره بوحو غنى الله تعالى عبما سواه من المخلوقات		بعض آیات قدرته تعالی	171
سب نزول قوله تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت		النفخة الثالثة في الصور	174
سبب وروق عوله على با ولماين البسبو الحد عوف أن يعبدوها » الخ الآيات		حال أهل الجنة يوم القيامة	111
ويبدره . إخباره تعالى عن أن أصل الماء في الأرض من		حال الكفار يوم القيامة	177
و من الله الله الله الله الله الله الله الل		إخباره تعالى عن حال ابن آدم كلما طال	134
مدح الله تعالى لكتابه (القرآن العظيم)		عبره	
نفسير قوله تعالى «ولقد ضّربنا للناس في هذا		سبب نزول قوله تعالى 3 أولم ير الإنسان أنا خلقناه	171

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
با حكم برأسها	منه	القرآن ، الغ الآيات	
عده تعالى للذين يصدون عن سبيل الله من		كفاية الله تعالى لمن عَبَدَهُ وتوكل عليه	441
ن به	آمر	ما ورد في فضل قوله تعالى ۽ قل اللهم فساطر	774
باره تعالى عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم سواء	۲۷٤ إخ	السهاوات والأرض » الغ الآية	
ہم البر والفاجر	منه	حال الإنسان في الضراء وحاله في النعمة	444
ورد في قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً	b TVe	دعوة العصاة إلى التوبة والإنابــة في قولــه	770
المودة في القربس ه	וֹצ	تعالى « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم »	
له تعالى توبة التائبين وعفوه عنهم	۲۷۷ قبو	الخ الآيات	
.اد بعض من آیاته تعالی	۸۷۲ شا	ذكر أحاديث فيها نني القنوط	777
ورد في قوله تعالى ه ولمن انتصر بعد ظلمه	L 44.	الإخبار عن هول يوم القيامة	774
لثك ما عليهم من سبيل ،	فأو	تفسير سورة غافر	778
مير سورة الزعوف	3AY TA	حملة العرش من الملائكة	747
كر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة	۲۸۲ ذ	يوم الآزفة	744
يلمه تعالى بالمشركين لعبادتهم الأوثان	۸۸۲ تند	مؤمن آل فرعون	711
نادهم وتعنتهم	وع	تمرد فرعون وعتوه	711
مير سورة الدخان		نصر الله لرسله والمؤمنين	717
ورد في تفسير قوله تعالى ١ يوم تأتي السماء	L TT.	إخباره تعالى عن أنه يعيد الخلائق يوم القيامة	711
خان مبين ۽ الخ الآبات	بل	من فضله تعالى أنه ندب عباده إلى دعائه	729
يخلق الله تعالى السهاوات والأرض عبثأ	4 4.8	أمره تعالى رسوله عَلَمَالِيُّهُ بالصبر على من كذبه	707
يعذب الله تعالى ؟ الكافرين الجماحدين	L T.0	وقوع العذاب بمن كذب الرسل من الأمم	707
ائه	للقا	تفسير سورة فصلت	307
يجازي الله تعالى ؟ المتقين المؤمنين به	L 7.7	قراءته على عتبسة	701
مير سورة الجاثية	₩ ٣.٧	ابن ربيعة وقصة ذلك	
الده تعالى الخلق إلى التفكير بآلآته ونعمه	۳۰۷ إرد	إنكاره تعالى على المشركين الذين عبدوا معه	707
اد بعض النعم التي أنعم بها تعالى على بني	۳۱۰ تما	غيره	
رائيل	إس	تفسير قوله تعالى ۽ ومن أحسن قولاً ممن دعـــا	777
باره تعالى عن قول الدهرية في إنكار المعاد	٣١١ إخ	إلى الله ۽ الخ .	
باره تعالى عن حكمه في قومه يوم القيامة	٣١٣ إخ	ما جاء في تفسير قوله تعالى « إن الذين يلحدون	474
مير سورة الأحقاف	#10	في آياتنا ۽	
ثر التوحيد له تعالى وإخسلاص العسادة	53 410	حال الإنسان في السراء والضراء	777
استقامة له	والا	تفسير سورة الشورى	779
صية بالوالدين والدعاء إلى الله لصلاح	٣١٨ الوه	ذكر الخمسة من الرسل أولي العزم	441
ئة	الذ	آیة اشتملت علی عشر کلمات مستقلات کل	7~7

			71.
الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
إنكاره تعالى على الأعراب الذين ادعوا مقام	41 4	جزاء عقوق الوالدين	**•
الإيمان		ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفَنَا إِلَيْكَ	***
تفسير سورة ق	**	نفراً من الجن ، الخ الآيات	
سورة ق مي أول الفصل	**	تفسير سورة محمّد	444
قدرته تعالى على الإنسان وأن علمه محيط	**	إرشاده تعالى المؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم	**•
بجميع أموره		مع المشركين	
إخباره تعالى أن الملك الموكل بعمل ابن آدم	440	إخباره تعالى عن المشركين في بلادتهم وقلة	***
يشهد عليه يوم القيامة		فهمهم	
إخباره تعالى عن قول جهنم يوم القيامة	***	إخباره تعالى عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعيــة	448
تفسير سورة الذاريات	441	الجهاد	
أقوال المفسرين في قوله تعالى «والذاريات	477	الأمر بتدبر القرآن والنهي عن الإعراض عنه	440
ذرواً ۽ إلى قوله تعالى ۽ هذا الذي كنتم بـــه		كشفه تعالى أمر المنافقين لعباده المؤمنين	۳۳٦
مستعجلون ،		تفسير سورة الفتح	444
صفات المتقين ومآلهم	474	سبب نزول سورة الفتح	444
مذهب الإمام أحمد في وجوب الضيافة م	474	آية أحب إلى رسول الله مالية ما على الأرض	48.
قوله تعالى « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم		بيعة الحديبية ومعجزة نبع الماء من بين أصابعه	737
المكرمين ٥		ماران خوان	
تفسير سورة الطور	444	ذكر سبب هذه البيعة العظيمة	787
قراءته عليني أثناء طوافه بسورة الطور	477	الأقوال في من هم القوم أولو البأس الشديد ؟	711
سبب إسلام مطعم بن جبير سماعه آيات من	444	رضاه تعالى عن المؤمنين الذين بايعوا رسول	450
سورة الطور		الله عَلِيْكُ تحت الشجرة	
ما روي في قوله تعالى ۽ ومن الليل فسبحه وإدبار	448	ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة	457
النجوم »		الصلح	
تفسير سورة النجم	193	ثناء الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى أصحابه	408
أول سورة أنزلت فيها سجدة	297	رضي الله عنهم	
أقوال المفسرين في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدُ رَآهُ نَزَلُهُ	444	تفسير سورة الحجرات	* •V
أخرى ،		آیات أدب الله تعالی بها عباده المؤمنین	***
تفسير قوله تعالى و الذين يجتنبون كبائر الإثم	* • 4	أمره تعالى بالتثبت في خبر الفاسق	۳٦.
والفواحش إلا اللمم » الخ الآيات .		أمره تعالى بالإصلاح بين الفئتين المقتتلتين	414
تفسير سورة القمر	t •V	نهيه تعالى عن السخرية بالناس	۳٦۴
إخباره تعالى في السورة عن اقتراب الساعــة	1.1	نهيه تعالى عن كثير من الظن وعن صفــات	478
وفراغ الدنيا وانقضائها		أغرى	
إنشقاق القمر وذكر الأحاديث الواردة في ذلك	٤٠٨	إخباره تعالى عن خلقه الناس من نفس واحدة	* 1V

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أدب مناجاة الرسول علية	£70	ما جاء في تفسير قوله تعالى « إنا كل شيء خلفناه	٤١٣
تفسير سورة الحشر	279	يقدر ،	
خبر يهود بني النضير ونقضهم العهد		تفسير سورة الرحمن	110
الذي بينهم وبين رسول الله علية وعاقبة ذلك		إخباره تعالى في سورة الرحمن عن فضله ورحمته	110
بيان حال الفقراء المستحقين لمال النيء .	277	بخلقه	
تفسير قوله تعالى a ولا تكونوا كالَّذين نسوا الله	٤٧٧	ما ورد عن النبي علي قوله بعد آية « فبأي الآء	113
فأنساهم أنفسهم » الآية		ربکا تکذبان ،	
تفسير أمعنى بعض أسماء الله الحسنى		سبب نزول قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه 	173
ما ورد في فضل قراءة ثلاث آيات من آخر	٤٨٠	جنتان »	
سورة الحشر		تفسير سورة الواقعة	£ 7 V
تفسير سورة الممتحنة	£A1	ما ورد في فضل قراءة سورة الواقعة	277
سبب نزول صدر سورة الممتحنة (قصة حاجب	٤٨١	تفسير قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة »	244
ابن أبي بلتعة)		ما ورد عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى ا حور عين الخ الآيات .	244
مذاهب بعض المفسرين في قوله تعالى « يا أيها	٤٨٥	علين بالنخ الويات . ما جاء في تفسير قوله تعالى ، فلا أقسم بمواقع	٤٣٨
الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات 🛚		النجوم »	• () (
الآيات		المجوم " تفسير سورة الحديد	227
مبايعته لمنساء	£AV	ما ورد في فضل قوله تعالى ، هو الأول والآخر	733
تفسير سورة الصف		والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »	
ما ورد في سبب نزول أوائل سورة الصف		وإختلاف عبارات المفسرين في هذه الآية	
حديث إن الله يبغض ثلالة ويحب ثلالة		ما ورد في قوله تعالى ، لا يستوي منكم من أنفق	٤٤٧
إخباره تعالى عن التجارة التي لا تبور		1	•••
تقسير سورة الجمعة		من قبل الفتح وقاتل ، الخ الآيات سبب نزول قوله تعالى ه ألم يأن للذين آمنوا أن	101
بيان المراد بالأميين في قوله تعالى « هو الذي . 		نجب مرود ود مدون ما مين مدو الله » الآية نخشع قلوبهم لذكر الله » الآية	•
بعث في الأميين رسولاً » سبب تسمية الجمعة جمعة		تفسير قوله تعالى و سابقوا إلى مغفرة ، الآية	204
سبب تسمية المجمعة جمعة ما يستحب لمن جاء إلى الجمعة		نفسير قوله تعالى وما أصاب من مصيبة في	٤٥٤
ما پیشخب بین جماع این اجمعه سبب نزول قوله تعالی « وإذا رأوا تجارة أو لهواً		الأرضُ وُلا فِي أَنفسكم ﴾ الآية	
سبب روق نوه عندل برويه روز بهود و عرب انفضوا إليها » الآية .		جزاء المتقين المؤمنين بالله ورسوله في قوله تعالى	203
نفسير سورة المنافقون		« يُؤتكم كفلين من رحمته » الآية	
نيو لور. نضحه تعالى للمنافقين		تفسير سورة المجادلة	£0A
نصة بني المصطلق		تبيان فيمن أنزلت سورة المجادلة وبيان أحكام	809
تفسير سورة التغابن		الظهار وأصله	
خر سور المسبحات	٥٠٨	آداب إجتماعية أدب الله بها المؤمنين من عباده	٤٦٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لله فلا تدعو مع الله أحداً »		مذهب ابن عباس في قوله تعالى « ما أصاب	٥١٠
قوله تعالى « فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه	۰۳۰	من مصيبة إلا بإذن الله ، الآية	- •
رصداً ، الآية .		احباره تعالى عن الأزواج والأولاد ومداهب	۰۱۰
۔ تفسیر سور ۃ المزمل		الفسرين في قوله تعالى ١ إن من أزواجكم	
ما ورد في كيفية قراءة رسول الله عَلَيْكُ القرآن	۳۲٥	وأولادكم عدواً لكم » الآبة	
تنفيذاً لأمر الله تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً »		تفسير سورة الطلاق	٥١٢
تفسير سورة المدثر	VFe	سبب نزول قوله تعالى ديا أيها النبي إذا طلقتم	017
سبب نزول قوله تعالى «يا أيها المدثر ، قم	۹٦٧	النساء ٥ الآية	
فأنذر » الخ الآيات .		أحكام الطلاق	٥١٢
كل نفس معتقلة بعملها يوم القيامة إلا أصحاب	٥٧٣	ما رواه ابن مسعود عن أجمع آية في القرآن ،	018
اليمين		وعن أكبر آية في القرآن فرجاً	
تفسير صورة القيامة	071	عدة الآيسة وأولات الأحمال	٥١٥
تعليم من الله عزَّ وجلَّ لرسوله عَلِيَّ في كيفية	PY7	تفسير سورة التحريم	٥١٩
تلقيه الوحى		بيّان الاختلاف في سبب نزول صدر سورة	019
تفسير سورة الإنسان	۰۸۰	التحريم	
إخباره تعالى عما أرصده للكافرين وما هيـأه	٥٨١	مذاهب بعض الصحابة والتابعين في قوله تعالى	277
للأبرار يوم القيامة		« قوا أنفسكم وأهليكم ناراً »	
تفسير سورة المرسلات	7 A G	مثل ضربه الله للمؤمنين في امرأة فرعون	070
ما ورد في وقت نزول سورة المرسلات	270	تفسير سورة الملك	279
تفسير سورة النبأ	٥٩٠	ما ورد في فضل سورة الملك	647
إخباره تعالى عن السعداء وما أعده لهم من نعيم	094	تفسير سورة القلم	٥٣٢
مقيم		ما ورد في أن خُلُق النبي عَلِيْكُ كان القرآن	٥٣٣
تضير سورة النازعات	090	المراد في قوله تعالى « عُتُلٌ بعد ذلك زنيم ،	٤٣٥
تفسير سورة عبس	099	قصة أصحاب الجنة	۲۳٥
سبب نزول صدر سورة عبس	099	ما ورد في قوله تعالى « وإن يكاد الذين كفروا	٥٣٩
مذاهب المفسرين في قوله تعالى «وفاكهة	7.1	ليزلقونك بأبصارهم ٥	
وأبًّا ﴾		تفسير سورة الحاقة	0 £ 1
تفسير قوله تعالى « يوم يفر المرء من أخيه » الآية		تفسير سورة المعارج	0 2 7
تفسير سورة التكوير		تفسير سورة نوح	004
ما ورد في المومودة		شکوی نوح علیه السلام إلی ربه عزَّ وجلَّ	۳٥٥
مذاهب المفسرين في قوله تعالى « فلا أقسم	٦٠٧	تفسير سورة الجن	700
بالخنس الجوار الكنس » 		إخباره تعالى عن الجن	۸۵٥
تفسير سورة الانفطار	71.	مذاهب المفسّرين في قوله تعالى « وأن المساجد	009

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ما ورد في كيفية نزول القرآن الكريم	704	تفسير سورة المطففين	715
فصول : تتضمن أقوال السلف في شأن ليسلة	77.	سبب نزول سورة المطففين	715
القغر		مصير الفجّار يوم القيامة	317
تفسير سورة البينة	774	مصير الأبرار يوم القيامة	717
قراءة النبي عَلَالَتُهُ سورة البينة على أبي بن كعب	774	تفسير سورة الانشقاق	714
تفسير سورة الزلزلة	770	ما ورد عن السلف في تفسير الشفق	77.
ما ورد في فضل قراءة سورة الزلزلة	770	تفسير سورة البروج	777
تفسير سورة العاديات	774	قصة أصحاب الأخدود	775
مذاهب المفسرين في قوله تعالى « وإنه لحب	774	تفسير سورة الطارق	777
الخير لشديد ، الآية		تفسير سورة الأعلى	774
تفسير سورة القارعة	774	ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ قد أُفلح من تُزكى	74.
تفسير سورة التكاتر	171	وذكر اسم ربه فصلي »	
قول ابن بريدة في سبب نزول قوله تعالى «ألهاكم السبد علام	777	تفسير سورة الغاشية	747
التكاثر ، الآيات		تفسير سورة الفجر	740
أول ما يسأل عنه العبد من النعيم **	777	ما ورد في تفسير قوله تعالى « والفجر ، وليال	740
تفسير سورة العصر مع عاديدة	771	عشر » الآيات .	
تفسير سورة الهمزة مذاهب المفسرين في قوله تعالى «همزة لمزة »	770	تفسير سورة البلد	71.
مداهب المصدرين في فوله نادي و عرب عرب . تفسير سورة الفيل	770	ما ورد عن ابن عمر في تفسير قوله تعالى	781
تسير سوره سين قصة أصحاب الفيل	777	« فلا اقتحم العقبة »	
عبد مورة قريش تفسير سورة قريش	774	تاسير سورة الشمس	725
تفسير سورة الماعون تفسير سورة الماعون	٦٨٠	تفسير سورة الليل	727
تفسير سورة الكوثر	7.47	أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة	787
ما روي عن رسول الله علية في تفسير الكوثر	7.7.7	تفسير سورة الضحى	789
مذاهب المفسرين فيمن نزل فيه قوله تعالى «إن	345	ما ورد في استحباب التكبير بعد قراءة سورة	784
شانئك هو الأبتر »		الضحى	
تفسير سورة الكافرون	٩٨٥	سورة الناس وسبب نزول سورة الضحى	
ما ورد في فضل قراءة سورة الكافرون	۹۸۶	تفسير سورة الشرح	707
تفسير سورة النصر	٦٨٧	تفسير سورة التين	701
ما قاله الرسول عليه للسيدة فاطمة عند نزول	٦٨٧	اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى « والتين	701
سورة النصر وما ورد عن ابن عبــاس في		والزيتون » الآية	
تفسيرها		تفسير سورة العلق	707
تفسير سورة المسد	7/4	أول ما بدئ به رسول الله عليه من الوحي	707
سبب نزول سورة المسد وفيمن نزلت	7.44	تفسير سورة القدر	701

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير سورة الناس	797	تفسير سورة الإخلاص	791
ثلاث صِفات وردت في سورة الناس من صفات	747	ذكر سبب نزول سورة الإخلاص وفضلها	791
الرب عزُّ وجلَّ		فضل سورة الإخلاص مع المعوذتين	797
		تفسير سورة الفلق	791
		ما ورد في تفسير قوله تعالى « ومن شر النفاثات	190
		في العقد a	

« تم ولله الحمد والمنة »



صدر للشيخ محمد على الصابوني

- ١ من كنوز السنّة
- « دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف »
 - ٢ التبيان في علوم القرآن
 - ٣ النبوة والأنبياء
- « دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام المذكورين في القرآن »
 - ٤ المواريث في الشريعة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنّة
 - ه روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (مجلدان)
 - ٦ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه
 - ٧ رسالة الصلاة

صدر عن دار القرآن الكريم

- ١ القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بالألوان والذهب ضمن علبة موزاييك فاخرة
- ٧ القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بالألوان والذهب تجليد فني فاخر مع علبة من نوع الغلاف
 - القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بالألوان والذهب بمحفظة ذات سحاب.
 - القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بلونين على ورق أبيض بمحفظة ذات سحاب.
 - القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بلونين على ورق أصفر بمحفظة ذات سحاب.
 - القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بلونين على ورق شاموا تجليد فني .
 - ٧ القرآن الكريم (قياس وسط) طبعة فاخرة بلونين مجلد بغلاف بلاستيك سكاي بلسان .
 - ٨ القرآن الكريم (قياس جيب) طبعة فاخرة بالألوان والذهب بمحفظة ذات سحاب.
 - القرآن الكريم (قياس جيب) طبعة فاخرة بالألوان والذهب تجليد فني فاخر .
 - ١٠ القرآن الكريم (قياس كبير) (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق شاموا تجليد فني
 - ١١ ربع يس (قياس كبير) (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
 - ١٢ العشر الأخير من القرآن الكريم (قياس كبير) (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
 - ١٣ جزء تبارك (قياس كبير) (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
 - البض فاخر .
 البض فاخر .
 البض فاخر .
 - ١٥ روائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢/١ (مجلدان) للشيخ محمد على الصابوني .
 - ١٦ عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام (مجلد) للشيخ إبراهيم القطان .
 - 1۷ مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عبدالله دراز
 - ١٨ مقدمة في أصول التفسير للشيخ الإمام ابن تبمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور .
 - 19 أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنة للدكتور مصطفى السباعي
- البرهان في تجويد القرآن ورسالة في فضائل القرآن (مقرر في معاهد الأزهر) للشيخ محمد الصادق قمحاوي (ورق أبيض فاخر) (ورق ميفان ممتاز).
 - ٢١ مقدمة في التضمير مع تفسير الفائحة وأوائل سورة البقرة ، للإمام الشهيد حسن البنا
 - ٢٢ في رحاب القرآن (١) للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري .
 - ٢٣ في رحاب القرآن (٢) عروبة وإسلام ، للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري .



دارالقران الكريم

مؤکسٹ فرآنینیت مخصصة بيليهالنگنا کليرون واليالي و وزيرة صانبدال مثلاث اندائسال

تعمل على

نشر هداية القرآن الكريم وتعاليمه السمحة التي تقدم أفضل الحلول لجميع مشكلات الإنسان في كل زمان ومكان .

سبيلها إلى ذلك:

- العناية بطبع القرآن الكريم وتوزيعه في جميع أنحاء العالم .
 - » نشر علوم القرآن وتراثه .
 - نشر الدراسات القرآنية وتسهيلها للناشئة وطلبة العلم .
- نشر وترجمة معاني القرآن الكريم إلى جميع لغات العالم .

كل ذلك بإشراف نخبة من العلماء المختصين وبمستوى لائق من العناية والاتقان .

بيروت: سَاحة دياض الصلح - بناية شاكر وعويني - كاتف: ٢٩٧٧٢٢ - ص. ب ٧٤٩٧ - برقيا: دا قدُلُان

مُلْبِع عَلَىٰ نفقَتَ المحسن الكَّبْير معتالي السِّير حَبَ عَبَّاسِ لِلشِّر بَتِلِي وَجعَله وَقفً للهِ تعتالی فِحَدَلهُ الله كُلِّ جَسَير بِحُورُع مِحَانًا وَلا يُسَاعَ يحورُع محتانًا وَلا يُسَاعَ